الجزء الثاني من تفسير القرآن

المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى
اعجاز القرآن تصنيف الامام الكامل المحقق الثقة
الهمام الفاضل نادرة الزمان ونتيجة الاوان
مورد الافاده ومصدر الاجاده الشيخ العلامة على
المهايمي قدس الله روحه ونور ضريحه

وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للامام
أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني عليه سحائب الرحمة
والرضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة مريم)

سميت بها لان قصتها تشير الى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله وطلب بها اشراق نوره يرجى ان يكشف له عن صفات الحق وعن عالم الملكوت ويظهر له الكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته فى مظاهر أنبيائه وأوليائه (الرحمن) عليهم بالذات وعلى من سواهم بواسطتهم (الرحيم) على الخواص بخواص الرحمة التى يشير اليها (كهيعص) أى كبير هيبة بديع عزيزة صاعدة أو كافى هداية يقين عال صاف أو كريم هاطل عين عام صادق أو كاشف هم يأس عظيم صعب أو نحو ذلك مما يناسب المقام (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) أى ذكر الله انما رحم به زكريا عليه السلام بمقتضى كمال ربوبيته المنسوبة الى نبينا عليه السلام لاصالته فى باب النبوة التى طلب ان يكون أصلا فيها الفرع فانتسب الى الهوية التى هى أصل الكل بواسطة دخوله تحت حيطة نبينا عليه السلام لذلك اعطاه ولدا كاملا فى باب النبوة فبشره بنفسه تارة وبعلامة تكته اخرى وتولى تسميته ولم يشرك فيها من تقدمه ايشابه بذلك انفراد الحق باسم الله بوجه وذكرها لنا كبير هيبة لنا فى تعريف مقام النبوة من يده العزيزة التى تغلب الاوهام والخيالات المعارضة للعقل المعزة للاصعاد الى معارف السعادة الابدية كيف وفيها كفاية فى افادة هداية يقين بالله وبقدرته وعنايته بصفوته عال على ما يحصل

بالدلائل

(باب الصاد المفتوحة)

(قوله عز وجل صيب) أى مطر فيعل من صاب يصوب اذا نزل من السماء (قوله صاعقة) أى صوت والصاعقة أيضا كل عذاب مهلك (قوله عز وجل صابئين) أى خارجين من دين الى دين يقال صبا فلان اذا خرج من دينه الى دين آخر وصبات النجوم خرجت من مطالعها

بالدلائل العقلية اصفائها عن الشبهات وهى كرم هاطل فى افادة الكشوف الغير المتناهية كاشف هم الباس العظيم الصعب فى حل الشبهات وفيه اشارة الى كرم الهاطل على من مات وخلف ولدا صالحا وكشف هم عوارض المعاصى عنه وكانت هذه الرحمة اثر دعائه (اذ نادى ربه) المخصوص به لكن لما كانت الرحمة المذكورة لايتصور افاضتها منه افاضها من اسم اعلى منه وذكر (نداء) لئلا يتوهم ان (خفيا) حال من ربه فيتوهم انه كان حال الدعاء محجوبا عنه وانه يمكن كونه مجاهرا بندائه لكنه اخفاه ليكون ابلغ فى التذلل وابعد من شماتة الاعداء أو نسبتهم اياه الى السفه بطلب المحالات العادية (قال رب) اى يامن ربانى بالعلم والولاية والنبوة وسائر الكمالات انها صارت كالتالفة عند ضعف الحياة (انى وهن العظم) التى هى أقوى الاعضاء واصلبها وان كان لها قوة باطنية (منى و) هنت قواى المدركة والمحركة لانه (اشتعل الرأس) أى خالط سواده اختلاط النار (شيبا) فاحترق ما فيه وذهب رونقه (و) هو وان كان مانعا من حصول الولد دعوتك فيه لانى (لم أكن بدعائك رب) أى يامن ربانى باستجابة الدعوات (شقيا) بالرد وعدم الالتفات اليه ولو فى الامور المستحيلة عادة (و) لم ادعك لامر دنيا ربما تمنعها خواصك لما فيه من صلاحهم بل لاصلاح امور الخلق (انى خفت الموالى) أى الذين يلون أمر الخلق (من ورائى) أى من بعد موتى فتسوء خلافتهم اذا لم يقتدوا بنبى فطلبت منك الولد مع ظهور استحالته من جهتى مشيختى ومشيخة امرأتى (و) من جهة أنه (كانت امرأتى) حال شبابها (عاقرا) فكانى طلبته بلا سبب ليحصل بلا واسطة فيكون اكمل (فهب لى من لدنك وليا) يلى أمر الناس (يرثنى) النبوة والولاية والعلم وسائر الكمالات (ويرث) ما ليس لى (من آل يعقوب و) لا تجعل كما لانه سبب سخطك عليه لتكبره بها وطغيانه على الخلق بل (اجعله رب) أى يامن ربانى بالكمالات فى مقام الرضا (رضيا) ترضى جميع ما فيه ويرضاه الخلائق فقال (يازكريا) ناداه ليقبل اليه فيما يبشره به (انا) من مقام عظمتنا الانزال (نبشرك بغلام) لا تعرف غاية كماله سوى انه (اسمه) عندى ليحب مطابقته للمسمى (يحيى) اذ يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام وكيف يعرف غاية كماله مع انه لم يكن لمن قبله اذ (لم نجعل له من قبل سميا) فضلا عن ان يتصف بكمالاته فكان أعلى مما طلبته اذ حصل من اسم أعلى من الذى طلبته منه (قال) زكريا (رب) أى يامن ربانى باعطاء ولد يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام (أنى) أى كيف (يكون لى غلام) ينسب الى من غير أن أكون أنا ولا امرأتى سببا فيه (و) لو جعلت السببية لى فهل تجعل امرأتى ولودا بعدما (كانت امرأتى عاقرا و) هل اجعل شابا بعدما (قد بلغت من الكبر عتيا) أى يبسا (قال) ينسب اليك الولد مع كونكما (كذلك) شيخا وعاقرا ليكون الولد بلا سبب مؤثر اذ عند تأثيره لا يخلو من الانصباغ بصبغته وان لم يكن لها أثر بالحقيقة (قال ربك) أى الذى رباك باعطاء مثل هذا الولد عن دعوتك (هو) أى جعل الولد منسوبا اليك مع عدم تأثير سببيتك (على هين وقد خلقتك من قبل) أى من قبل هذه الكمالات فيك (ولم تك شيا)

وقال قتادة وصبا نابه خرج الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن الصابئون يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة ويقرؤن الزبور والمجوس يعبدون الشمس والقمر والذين أشركوا يعبدون الاوثان واليهود والنصارى • قال أبو عبدالله ابن خالويه قلت لابى عمر كان قتادة عجبا فى الحفظ فقال نعم قال وقال يوما

من انسان ونطفة وعلقة وعناصر فوجدت مادتك بلا شئ أصلا فضلا عن سبب فلا يبعد أن يحصل لك ولد من غير سبب مؤثر بالكلية لا فى الظاهر ولا فى الباطن فغاية الامر انه حصل بسبب لا أثر له سوى هذه النسبة (قال رب) انك وان رببتنى بهذا الولد لكن جعلت هذه الآية فى ذات الولد (اجعل لى آية) تكميلا لتربيتك واشتغالا بشكرك قبل ظهور نعمتك (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أى تمتنع عليك مكالمتهم (ثلاث ليال) لكونك فى حكم الغائب عنهم لافراط اشتغالك بالحق (سويا) بلا مرض فى بدنك ولا فى اسانك وليس ذلك بالفناء فى الله بل حال الرد الى الخلق (فخرج على قومه من المحراب) الذى كان فيه فى حكم الغائب عنهم فرد اليهم لتكميلهم (فأوحى اليهم) أى اشار اليهم (ان سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) أى ناظرين الى ظهوره فى الخلق مع بطونه فلا يحجبكم احدهما عن الآخر وان غلب عليكم نور الحق ولعدم احتجابه باحدهما عن الآخر عبر عنها بالايام فى سورة آل عمران ولسريان نور الجمعية منه الى ولده قلنا له (يا يحيى) المخلوق لاحياء الظاهر بالاعمال والباطن بالاخلاق والاحوال والعلوم (خذ الكتاب) الجامع لها وهو التوراة (بقوة) أى عزيمة فى العمل والتخلق بما فيه وفهم ظاهره وباطنه بحيث يتحقق فيك ميراث أبيك وميراث آل يعقوب (و) يسرنا له ذلك اذ (آتيناه الحكم) أى استنباطه بطريق الاجتهاد (صبيا) فلا يعسر عليه الترقى الى ما ذكر (و) لم يكن كماله لازما بل متعديا اذ آتيناه (حنانا) أى رحمة يرحم بها الخلق لتحققه باسمائنا لا بطريق الاكتساب بل موهوب له (من لدنا و) لم يدع بذلك كمالا لنفسه اذ آتيناه (زكوة) أى طهارة عن الخبائث التى من جملتها الدعاوى الفاسدة (و) لم يقصد بذلك طلب جاه ولا مال اذ (كان تقيا) عن طلب ما سوى الله هذا فيما بينه وبين الله (و) اما فيما بينه وبين الخلق فكان (برا بوالديه) محسنا لخدمتهما اوالم يتصور فى حق الجميع قال فى حقهم (ولم يكن جبارا) بابطال حقوقهم (عصيا) بترك تعليمهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وارادة السوء بهم ثم أشار الى عصمته وقربه فقال (وسلام) من الله وملائكته (عليه يوم ولد) فلم يمسه فيه الشيطان ولم يملكه الهوى والغضب (ويوم يموت) فلم يكن للشيطان عليه سلطان ولم يكن له التفات الى ما ترك من الدنيا ولا سؤال القبر ولا عذابه (ويوم يبعث) فلم تحزنه أهوال القيامة فكان (حيا) أطيب حياة فيه (واذكر) يا نبى الرحمة للامة المرحومة مما يصل اليهم بواسطتك أتم مما يصل اليهم بدونها (فى الكتاب) الالهى نيابة عن الله وهو وان كان عبارة عن القلم الاعلى فهو عين باعتبار أن ما سوى الله فائض من نوره صلوات الرحمن عليه حقيقتك رحمة ربك امته (مريم) اذ اعطاها ولدا بلا والد ودعاء أحدهما وأعجب من ولد زكريا رحمهما الله (اذ انتبذت) أى اعتزلت (من أهلها) لئلا يشغلوها عن العبادة فاستقرت (مكانا شرقيا) اى شرقى بيت المقدس لطلب اشراق انوار الحق (فاتخذت من دونهم حجابا) لئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار الحق فكشفنا لها عن عالم الملكوت (فارسلنا اليها) جبريل يحمل (روحنا) اى المنسوب الى مقام عظمتنا الغاية كماله لينفخ فيها بعد ان تمنى ليكون مادة لجسد عيسى (فتمثل) أى فتصور

في مجلسه ما نبت شيأ قط
ثم قال لغلامه هات نعلى
فقال نعلاك فى رجلك (قوله
عز وجل صفراء فاقع
لونها) أى سوداء ناصع
لونها وكذلك جمالات صفر
أى سود قال الاعشى
تلك خيلى منه وتلك ركابى
هن صفر اولادها كالزبيب
ويجوز أن يكون صفراء
وصفر من الصفرة قال أبو
محمد قال أبو عبد الله النمرى

الرسول (لها) أى لرؤيتها (بشرا) لاحيوانا آخر (سويا) لم ينقص من صورة البشر شيأ لئلا تنفر من رؤيته فلما رأته فى مكان الخلوة ولم تعرفه ظنت انه يريد مواقعتها وهى عفيفة (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) أى الذى رحم بالايمان والخوف منه اذا سمع اسمه لتنزجر به (ان كنت تقيا) تخافه عند سماع اسمه والاستعاذة به فلا تجترئ على المستعيذ به (قال) لست بشرا فاجرا (انما انا رسول ربك) أرسلنى اليك بروح منه (ليهب لك) بنفخ الروح على يدى وقرئ لأهب لك أى لاكون سببا فى الهبة (غلاما) فوق ما وهبك امك (زكيا) أى طاهرا عن المعاصى والرذائل ناميا فى الخيرات (قالت أنى) أى كيف (يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) أى لم يطأنى بنكاح (ولم اك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) يكون لك الولد وانت (كذلك) أى على الحال التى أنت عليها (قال ربك) أى الذى رباك بالكرامات (هو على هين) اذ لا افتقر الى الوسايط فنخلقه لاظهار غناى عنها (ولنجعله آية للناس) على بعثهم يوم القيامة بلا واسطة الآباء والامهات (ورحمة منا) عليك بهذه الكرامة وعلى سائر الناس بالهداية وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وغير ذلك (وكان أمرا مقضيا) شئت أم أبيت ولما سمعته يقول انما أنا رسول ربك ورأته لايعتدى اليها وقع فى قلبها صدقه ومالت اليه ولما سمعته يقول لأهب لك غلاما زكيا وقطع ترددها بقوله وكان أمرا مقضيا سرى فى باطنها الشهوة فأمنت فنفخ جبريل فى جيب درعها فوصلت النفخة الى باطنها حاملة للرطوبة الموهوبة من النفخة فصارت الرطوبتان بمنزلة اجتماع منى الرجل ومنى المرأة ليكون منهما جسد عيسى (فحملته) أى صارت فى الحال حاملة به وتصور الولد وكبر فى بطنها من غير مدة مديدة (فانتبذت به) أى اعتزلت بسببه فاخذت (مكانا قصيا) أى بعيدا من قومها خوف الفضيحة فلم يمكث الولد فى بطنها الامدة وصولها الى ذلك المكان (فأجاءها المخاض) أى فالجأها ألم الولادة (الى جذع النخلة) التى لاسعف لها ولا رأس ولا ثمر لتتمسك به من شدة الالم وقد ازداد من خوف التهمة الى حيث (قالت يا) موت تعال (ليتنى مت قبل هذا) الحمل (وكنت) منسية (نسيا منسيا) ذلك النسى أيضا من خوف الملامة ووقوع الناس فى المعصية (فناداها من تحتها) أى عيسى بعدما ولدت (ألا تحزنى) للتهمة فان الله يقلعها بما يعطيك من الكرامات (قد جعل ربك تحتك) بضرب رجلى (سريا) اى نهرا جاريا (وهزى اليك) اى حركى الى نفسك اذا اخذت (بجذع النخلة) المذكورة (تساقط) أى تتساقط ثمارها (عليك رطبا جنيا) جاء أوان اجتنائه وانما خصصت بهاتين الكرامتين لتستعين بهما فى دفع الجوع والعطش (فكلى) ما يختار للنفساء من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) بولد ذى الارهاصات فلا تبالى للتهمة (فاما ترين) أى فان تحقق رؤيتك (من البشر احدا) يسألك عن حالك (فقولى) بطريق الايماء (انى نذرت للرحمن) الذى رحمنى بهذه الكرامات وباعطاء هذا الولد ذى الارهاصات على انه ان خلصنى من التهمة لأصومن له (صوما) أى امساكا عن الطعام والكلام لامع الله وملائكته بل مع الانس (فلن أكلم اليوم انسيا) اى شخصا منسوبا الى جنس الانس بل يكلم الصبى عنى

قال أبو رياش من جعل الاصفر أسود فقد اخطأ وأنشدنا بيت ذى الرمة وهو
كحلاء فى برج صفراء فى نعج
كأنها فضة قد مسها ذهب
قال أفتراه وصف صفراء بهذه الصفة وقال فى قول الاعشى
هن صفر أولادها كالزبيب
أراد زبيب الطائف بعينه وهو أصفر وليس باسود

ليكون اقلع للتهمة ولما سمعت منه هذا الكلام ورأت منه الارهاصات لم يبق فيها مبالاة للتهمة (فاتت به قومها تحمله) افتخارا به (قالوا يا مريم) ملاحظين أصل معناها وهو العابدة والله (لقد جئت شيأ فريا) أى بديعا لم يكن فى أهل العبادة (يا أخت هرون) من أبويه أو من أبيه وكان أصلح الناس وحق الفرعين ان يتماثلا فيمر تا شجرة واحدة لا تختلفان حلاوة وحموضة بل حق الفرع ان يتبع الاصل وانت (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) بل قدوة لاهل الصلاح (و) لو قيل ان أخاك انما تبع اباك وأنت تبعت أمك (ما كانت أمك بغيا) فاجرة (فاشارت) الى انها نذرت صوما وان الجواب مفوض (اليه) أى الى ولدها (قالوا كيف نكلم من) لا يتصور منه الجواب اذ (كان) مستقرا الى الآن (فى المهد صبيا) فنسبت الى السفه فانطقه الله من غير أن يستنطقه أحدهم قلعا للتهمة اذ (قال انى عبد الله) أى المنسوب الى اسمه الجامع و يبعد حصول هذه الجمعية التى هى دليل الكرامة لولد الزنا و لجمعيتى (آتانى الكتاب) أى الانجيل (و) انما آتانى الكتاب لانه (جعلنى نبيا و) يدل على صدقى فى دعوى النبوة انه (جعلنى مباركا) كثير الخيرات (أينما كنت) من امور الدنيا والدين (و) انما كثرت خيراتى لانه (أوصانى) أى آمرنى أمرا موكدا (بالصلوة والزكوة) بنفسى وبسائر المؤمنين لاحفظ عمارة باطنى بعمارة الظاهر لاحتياجى الى عمارة الظاهر (مادمت حيا) لئلا يسرى الفساد من الظاهر الى الباطن هذا فى حق الله (و) فى حق الخلق جعلنى (برا بوالدتى و) فى حق العامة الذين لا يتصور معهم عموم البر (لم يجعلنى جبارا) عليهم وان جعلنى حاكما عليهم وهذا يدل على انه لم يجعلنى (شقيا) حتى يتصور منى الدعاوى الكاذبة وكيف اشقى (والسلام على يوم ولدت) فلم يمسنى الشيطان (ويوم أموت) فلا يكون له على سلطان ولا يكون على سؤال المنكر ونكير ولا على عذاب قبر (ويوم ابعث) فلا افزع من أهوال القيامة فاكون فيه (حيا) أطيب حياة و يبعد كل البعد حصول هذه الكرامات والارهاصات لولد الزنا فلما رد بذلك على اليهود القائلين بانه ولد الزنا رد على النصارى بقوله (ذلك) القائل (عيسى) لا الله اذ لا يتصور ان يقول شيأ مما ذكر (ابن مريم) لا ابن الله اذ لا يتصور منه أكثر هذه الاقوال واما احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهو (قول الحق) لها باعتبار ظهوره على لسان عيسى اذ هو (الذى فيه يمترون) أى يتنازعون فى كونه قوله أو قول ربه فلم يعلم انه قوله أو قول الحق لكنه قد علم هذه الامور من فعل الله فى غير صورة النزاع فتحمل عليه صورة النزاع وكيف تكون لعيسى وهو اما بالالهية وهى منتفية عن المولود لحدوثه أو بالولدية لكنه (ما كان لله أن يتخذ من ولد) لانه من خواص الحيوانات التى تموت فتخلف أولادها (سبحانه) من أن يكون من الحيوانات أو يلحقه الموت ولا يحتاج فى احداث شئ الى مباشرة امرأة لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) والحاصل بامر كن لا يختلف بكونه ولدا تارة وعدم ولد أخرى (و) لو تصور لله ولد لم يكن عيسى لما صرح به بقوله (ان الله ربى وربكم) لا على معنى انه ربانى بحيث أستحق أن أعبد اذ لا يتأتى فى ربكم مع قوله (فاعبدوه) على ان قوله (هذا صراط مستقيم) يدل على ان عبادة

الغير

(قوله ولم يردسائر الزينب) (قوله تعالى ان الصفا والمروة) هما جبلان بمكة (قوله عزوجل الصلاة الوسطى) هى صلاة العصر لانها بين صلاتين فى الليل وصلاتين فى النهار والصلاة على أربعة أوجه الصلاة المعروفة التى فيها الركوع والسجود والصلاة من الله الترحم لقوله عزوجل اولئك عليهم صلوات من ربهم أى ترحم والصلاة

الغير غير مستقيم فضلا عن الهيته أو ولديته وهذا القول يقتضى اتفاق الاحزاب على نبوته لكونه ارهاصا مشتملا على الدلائل العقلية مؤيدا بالمعجزات لكنهم لم يجروا على مقتضاه (فاختلف الاحزاب) من النصارى واليهود اختلافا نشأ (من بينهم) فهو من كفرهم وعنادهم الذى لا يتركونه الا بمشاهدة العذاب (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يشهد فيه عظمة كل نوع من العذاب وانما كفروا لعدم سماعهم للدلائل النقلية والعقلية وابصارهم للمعجزات والارهاصات لبعدهم عنا (أسمع بهم وابصر) أى تعجب من سماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) ولو انصفوا لسمعوا الآن وابصروا (لكن الظالمون) بترجيح أهويتهم (اليوم) الذى يجدون فيه فوائدها ولا يشعرون ضررها (فى ضلال مبين) بتحملهم أعلى وجوه الشدة الدائمة لادنى اللذات الفانية (و) ان قالوا كيف نترك اللذة الحاضرة للشدة الغائبة (انذرهم يوم الحسرة) الذى يتحسر فيه على تحمل الشدة الدائمة للذة لم تبق لهم ويجب أن يخافوه (اذ قضى) أى بجزم (الامر) بوقوعه (و) قد علموا ذلك من الدلائل النقلية المؤيدة بالعقلية لكن لا يبالون له اذ (هم) مستغرقون (فى غفلة و) لو لم يغفلوا (هم) لعنادهم (لا يؤمنون) وانما عاندوا لتوهمهم انهم يملكون شيأ من الارض فان صح فلا يبقى لهم (انا نحن نرث الارض ومن عليها) من الاملاك والعبد وما فى يده لمولاه (و) كيف يبقى لهم توهم الحرية أو توهم مالكيتهم مع أنهم (الينا يرجعون) فيظهر لهم مالكيتنا لهم ولأملاكهم (واذكر) يانبى الرحمة (فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (ابراهيم) بهبة اسحق ويعقوب حين اعتزل اباه لشركه الذى يشبه القول بالهية عيسى وولديته وقد استحقها الصديقيته التى اعتزل لها عن أهل الشرك المفترين على الله الكذب (انه كان صديقا) ولاتمامه فيها جعل (نبيا) ولذلك نبأه بفضائح الشرك وانذر عليه (اذ قال) رحمة (لابيه) الذى حقه أن يكون راحما عليه (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم ذاتك بالشرك (لم تعبد) الجماد الذى هو اخس الموجودات (ما لا يسمع) قول العابد (ولا يبصر) عبادته (و) لو سمع وأبصر (لا يغنى) أى لا يدفع (عنك شيأ) من ضر ولا يجر لك شيأ من نفع (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم نسبتك الى الضلال لو قصدت بذلك عبادة الحق الذى تعترف بظهوره فيه فهذه المعرفة قاصرة وانما المعرفة الكاملة ما يستفاد من الانسان الكامل وانا كامل (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) وحق القاصر اتباع الكامل ليهديه (فاتبعنى) وان كان حق الابن اتباع الاب فى العرف لكنه باطل لان الحق اتباع الصواب فان اتبعتنى (أهدك صراطا سويا) معتدلا لا افراط فيه بعبادة من لا يستحق ولا تفريط بترك عبادة من يستحق وكذا فى باب الاخلاق والاعمال (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم نسبتك الى عداوة ربك ان ظهور الحق لما كان فيها قاصرا فالآثار الظاهرة منها لا تنسب الى الله بل الى ما تعلق بها من الشياطين (لا تعبد الشيطان) لان تقربك اليه ليس تقربا الى الله بل موجب عداوته (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فكان عصيانه لراحمه موجبا لاشد وجوه العداوة (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم تعذيبك لا تجترئ على عداوته اغترارا برحمته

الدعاء كقوله ان صلوتك
سكن لهم أى دعاؤك سكون
وتثبيت لهم وصلاة الملائكة
للمسلمين استغفار لهم
والصلاة الدين كقوله عز
وجل ياشعيب أصلوتك
تامرك أى دينك وقيل
كان شعيب عليه السلام
كثير الصلاة فقالوا ذلك له
(قوله صفوان) أى حجر
أملس وهو اسم واحد
معناه جمع واحدته صفوانة

(انى أخاف) من عداوتك لله الذى رحمك فلم تطعه واطعت عدوه (ان يمسك عذاب من الرحمن)
بدل رحمته بان يقطعها عنك كما قطعها عن الشيطان (فتكون للشيطان وليا) أى مقارنا له
ومشاركا معه فى عذابه فلم يتنبه لشئ من انذاراته ولم يسمع لشئ من نصائحه ولم يبصر لشئ من
دلائله بل (قال) من افراط ظلمه وغلوه فى الضلال (اراغب) أى امائل (أنت) مع كونك دونى
(عن آلهتى يا ابراهيم) لم يقل يا ابنى تنبيها على براءته من بنوته (لئن لم تنته) عن القول فيها وعن
انذاراتك ونصائحك ودلائلك (لارجمنك) أى لارمينك بالحجارة من افراط غضبى عليك بدل
ما ترحمتنى فى ضمن ندائك باسم الاب مرارا (و) لو اردت رحمتى مع اصرارك على الميل عن آلهتى
(اهجرنى) أى تباعد عنى (مليا) زمانا طويلا (قال) بطريق التوديع والمتاركة (سلام عليك)
اتسلم عن معصية رجمى (سأستغفر لك ربى) ليسلمك عن هذا الاعتقاد الردئ ايرحمنى بالاراحة
عن الهموم المشار اليها (انه كان بى حفيا) أى مبالغا فى اللطف بى (و) لو لم تسلموا عن اعتقادكم
(أعتزلكم) لاسلم عن شقاوتكم (و) اعتزل سبب شقاوتكم وهو عبادة (ما تدعون من دون الله)
بل عبادة الدون شقاوة كما ان عبادة الاعلى سعادة (و) لذلك (ادعو ربى) واقل ما فيها من السعادة
انها تنجى من الشقاوة وهى وان لم اجزم بها لكثرة اسبابها لكن سبب السعادة وان كانت
واحدة يرجى غلبتها (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله)
نجيناه من الشقاوة عن صحبتهم وعن ملابسة اسباب الشقاوة كلها حتى الدنيوية بالانفراد
وآتيناه من سعادة الدارين اذ (وهبنا له اسحق ويعقوب و) انما كانا من أسباب سعادة
الدارين اذ (كلا جعلنا نبيا) ولا سعادة فى الدارين اكمل من النبوة اما كونها سعادة الآخرة
فلا يخفى واما كونها سعادة الدنيا فلانها اما بالنظر فى ذات المسعود (و) قد حصلت لهم اذ
(وهبنا لهم من رحمتنا) ولاية النبوة المقتضية للمقامات العلية والاحوال السنية والاخلاق
الفاضلة والاعمال الصالحة واما بالنظر الى خارج الذات (و) اجلها الجاه وقد حصل لهم على
أكمل الوجوه اذ (جعلنا لهم لسان صدق عليا) أى ثناء صادقا يفيد علو رتبتهم فى قلوب الخلائق
كلهم بخلاف ثناء الملوك على لسان الكذابين فانه لا يعلى رتبتهم الا فى قلوب العوام العماة
عن الحقائق فلا عبرة به (واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (موسى) بهبة اخيه اياه نبيا
وتنزيله مكان الابن فى التقوية مع ان الاخ دون الابن فى النسبة لكن سرى اليه سره بادنى
ملابسة سريان السر من الاب الى الابن لمكان اخلاصه التوحيد (انه كان مخلصا) له التوحيد
فوق توحيد الصديق (و) لذلك جمع الفضائل حتى (كان رسولا نبيا و) لمزيد جمعيته الفضائل
(ناديناه) جذبا له الى مقام عظمتنا (من جانب الطور) الذى هو مظهر كمالاتنا (الايمن) لموسى
اشعارا له بتقوية جانبه لئلا يضعف فى تحمل اعباء القرب (و) بعد تقويته (قربناه نجيا) أى
كليما اذ كلمناه بلا واسطة (و) لتقويته عند الرد على تحمل اعباء الرسالة (وهبنا له من رحمتنا)
التى هى افاضة الانوار (اخاه هرون) ليشد أزره فى اداء الرسالة اذ كان (نبيا واذكر فى الكتاب)
الالهى نيابة عنه رحمته (اسمعيل) بهبة جميع الخلائق سيما أهله لمزيد اخلاصه بقائه عند التجربة

(قوله عز وجل صلدا) أى
يابسا أملس (قوله عز وجل
صدقاتهن) أى مهورهن
واحدتها صدقة (قوله
تعالى صعيدا طيبا) أى
ترابا نظيفا والصعيد وجه
الارض (قوله عز وجل
صيد) ما كان ممتنعا ولم
يكن له مالك وكان حلالا
اكله فاذا اجتمعت فيه هذه
الخلال فهو صيد (قوله
عز اسمه صدف عنها)

(انه

(انه كان صادق الوعد) اذ وعد الصبر عند ذبح نفسه فوفى به (و) لكونه جامعا للفضائل عن هذا الاخلاص (كان رسولا نبيا و) لكونه مكملا فيه أهله (كان يأمر أهله) الذين هم أقبل لنور الكمال منه (بالصلوة) ليتصلوا بها بربهم (والزكوة) ليتطهروا عن النقائص فى مقامات القرب (وكان عند ربه مرضيا) لانقص فى شئ من أحواله ومقاماته واخلاقه واعماله وهو مستوجب لرضا الخلق فكان موهوبا له على العموم بعد هبة الاهل بالخصوص (واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (ادريس) هبة دوام الحياة المقصودة من اعطاء الولد باخراجه من عالم الكون والفساد واعطائه أعلى الاماكن نكانته المطلوب من اعطاء الاولاد الانبياء والاولياء والاهل الصالح لمكان صديقيته (انه كان صديقا) فرفعته صديقيته هذه الرتبة كما رفعته الى رتبة النبوة اذ كان (نبيا) ولكن النبوة رفعة معنوية (ورفعناه) مع تلك الرتبة (مكانا عليا) بالمكانة وهو السماء الرابعة التى هى أعلى الطبقات منزلة لتوسطه ولذلك كانت محل الشمس التى هى كالملك ينزل وسط مملكته ليدل هذا الظاهر على الباطن فى حق كل صديق ولا يبعد أن يكون يحيى وعيسى واسحق ويعقوب موهوبين لمن ذكر اذ (أولئك الذين أنعم الله عليهم) بهبة هؤلاء مع كونهم (من النبيين) هبات لآخرين كادريس لآدم لانه (من ذرية آدم) وان كان بينهما أوساط منهم شيث لكن آدم لمزيد جمعيته أولى بكونه موهوبا له ادريس (و) لكن ينسب الى الاقرب اذ كان مؤمنا كابراهيم فانه (ممن حملنا مع نوح) لا الى أبيه لكفره ولا الى نوح لايهامه كونه موهوبا له مع انه قد جعل فى سورة الانعام من ذرية ابراهيم المعنوية ولذلك لم يصرح بكون ابراهيم من ذرية المؤمنين من أمته على أنه فى الظاهر من ذرية نوح (و) اذا وهب لابراهيم مثل نوح فلا يبعد هبة اسحق ويعقوب له لكونهما (من ذرية ابراهيم و) لا يبعد كون يحيى مع جلالة شأنه هبة لزكريا لان لقربه مزيد تأثير فى ذلك لذلك جعل زكريا من ذرية (اسرائيل) دون ابراهيم بل القرب يجعل النبى هبة للولى (و) لذلك جعل عيسى هبة لمريم لكونها (ممن هدينا) فسلك (واجتبينا) فجذب لكن مع هذه الفضائل لم يصرح بكونه ذرية لها ههنا وان صرح بكونه هبة لها أولا ليعلم انه هبة لها من وجه دون وجه ولجعل الله الانبياء هبات لمن دونهم وهى اذلال لهم لم يزالوا خائفين وان نزلت عليهم آيات الرحمة لذلك (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا) أى وقعوا (سجدا) استشعارا بان أصلهم الذلة وانما ارتفعوا بالرحمة (وبكيا) من خوف ابدال الرحمة بالعذاب وهذا الخوف وان لم يقع فى حقهم لخوفهم وقع فى المغترين بهم من ذرياتهم (فخلف من بعدهم) أى من بعد ما علموا من حالهم (خلف أضاعوا الصلوة) المتضمنة للسجود والاذكار المستدعية للبكاء (و) أتوا بما ينافى البكاء والامور المرضية من الاخلاق والاعمال وهو انهم (اتبعوا الشهوات) فانهمكوا فى المعاصى التى هى بريد الكفر (فسوف يلقون غيا) أى جزاء الضلال العظيم الجامع بين الكفر والمعاصى قيل هو واد فى جهنم أشدها حرا وأبعدها قعرا ويروى فى الحديث الغى والآثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار (الا من تاب) من اضاعة الصلاة واتباع الشهوات فانه لا يلقى غيا كيف

(قوله عز وجل صفا) أى اعرض عنها (قوله عز وجل صغار) أى أشد الذل (قوله صديد) قيح ودم (قوله عز وجل صوم) امساك عن طعام أو كلام أو نحوهما لقوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا (قوله عز وجل صفا) ذكر أبو عبيدة فيه وجهين ثم ائتوا صفا أى صفوفا والصف أيضا المصلى الذى يصلى فيه

(و) انما تاب لانه (آمن) والايمان وحده مجوز للمغفرة فكيف اذا اجتمع مع التوبة كيف (و) انما تاب لمعرفة ضرر اضاعة الصلاة واتباع الشهوات ونفع اتيان الصلاة وترك الشهوات ومثل هذا لا محالة (عمل صالحا فاولئك) كيف يلقون غيا وهم بايمانهم واعمالهم الصالحة (يدخلون الجنة و) ان عذبوا بترك الصلاة واتباع الشهوات مع الايمان والقبائح لعدم التوبة (لا يظلمون شيأ) حتى يلقون غيا فكيف مع التوبة ولا يتضررون بتحمل مشاق الصلاة وترك اتباع الشهوات فى الحال أيضا لانهم بقوة ايمانهم المؤيدة باعمالهم كأنهم الآن يدخلون (جنات عدن) أى اقامة فكأنهم أقاموا فيها بما وثقوا من وعده اذ هى (التى وعد الرحمن) مع ان رحمته تقتضى اعطاءها من غير وعد فكيف اذا وعد سيما اذا وعد (عباده) الخواص وهو وان كان (بالغيب) فليس مما يجوز الخلف فيه حتى لا يترك له اللذات المحققة الدنيوية (انه كان وعده مأتيا) فكانه آتيهم الآن ثم شهوات الدنيا وان حصلت كاملة فلا تخلو عن نزاع يسمع به كلمة لغو وهؤلاء اذا تلذذوا بربهم فكأنهم فى جنة (لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما) فانه يسلم لهم الكل ولا يفوتهم الشهوات المحسوسة فى الدنيا بل هم فى هذا الباب كأنهم فى جنة (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) يأتيهم من بيوت الناس من غير تعب ولا يفوتهم بذلك الجنة الاخروية اذ لم يكن ذلك مطلوبهم بل يحصل لهم منها نصيبهم ونصيب من يرثونها منهم اذ (تلك الجنة) وان كانت من خلق الرحمن فحقها ان يرحم بها مقيمى الصلاة وتاركيها ومتبعى الشهوات ومجتنبيها هى (التى نورث) من غير المتقى (من عبادنا) وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا (من كان تقيا) فانه يأخذ نصيبه ونصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة (و) لا يبعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على الانبياء ولا يعم أوقاتهم بل يختص ببعضها فانا (ما نتنزل الا بأمر ربك) الجامع للكمالات فلا يمكننا مخالفته على ان مخالفته اما بالتقدم أو بالتأخر أو بالاستقرار على ما نحن عليه قبل الامر لكنا نخاف فى التقدم اتلاف أمر نستقبله كالآخرة اذ (له ما بين أيدينا و) فى التأخر اتلاف أمر قد قطعناه كالاعمال اذ له (ما خلفنا و) فى الاستقرار على ما نحن عليه بخلاف أمره نخاف تغير أحوالنا الى الشيطنة مثلا اذ له (ما بين ذلك و) كيف لا نفعل ذلك وهو مشعر بنسيان الامر لكن (ما كان ربك نسيا) ومقتضى ربوبيته تربيتك بالامر والنهى وقد ربى لك الكل اذ هو (رب السموات والارض وما بينهما) يفيض عليها الوجود الذى هو من أعراضها كل حين فلو غفل عن ذلك ساعة هلكت ربها الاجلك لينعم بها عليك فتشكره بعبادته المترتبة على الامر والنهى (فاعبده و) لو شقت عليك (اصطبر لعبادته) استكمالا لتربيته واحترازا عن عبادة النفس والهوى التى لا تستحق العبادة اذ لا يستحقها غيره والا لتسمى باسمه ولو مجازا لكن (هل تعلم له سميا) أى هل تعرف أحدا اجترأ على تسمية نفسه أو غيرها باسمه حقيقة أو مجازا (ويقول الانسان) الذى أعطى العقل لينظر فى العواقب وأنعم عليه بخلق السموات والارض وما بينهما ليعرف المنعم فيشكره ويعبده فيجازى على فعله

وحكى عن بعضهم انه
قال ما استطعت أن آتى
الصف اليوم أى المصلى
(قوله عز وجل صفصفا)
أى مستوى من الارض
أملس لا نبات فيه (قوله
عز وجل صواف) أى قد
صفت قوائمها والابل تنحر
قياما ويقرأ صوافن وأصل
هذا الوصف فى الخيل يقال
صفن الفرس فهو صافن اذا
قام على ثلاث قوائم وثنى

بما يخلص لذته وعلى تركه بما يخلص المه لا تحمل مشاق الصلاة وترك الشهوات واصطبر على
العبادات من أجل جزاء يعقب الموت (ءاذا مامت لسوف أخرج حيا) أى أحقا اخرج حيا
بعد ما لبثت فى القبر مدة (أ) يستبعد الانسان اعادة الحياة الى ما صار ترابا وعظاما (ولا يذكر
الانسان أنا خلقناه من قبل) أى قبل جعله ترابا ونطفة (و) كان عدما صرفا اذ (لم يك شيأ)
موجودا فى الاعيان فلا يبعد اعادته وقد اقتضتها التربية بالعقل والانعام الكلى وتأكدت
بالقسم الالهى باعظم أسمائه (فوربك) الذى هو أعظم الاسماء الالهية (لنحشرنهم
والشياطين) الذين أضلوهم عن هذه المقدمات الاولية لنسألنهم فضلا عن الضلال والاضلال
(ثم لنحضرنهم حول جهنم) المحفوفة بالشهوات التى أضلوهم بلذاتها ليعلموا ما استعقبوا بها
من الآلام (جثيا) على الركب لا يمكنهم التجاوز عن مواضع التعريف (ثم لننزعن من كل
شيعة) أى لنخرجن الى النار من كل فرقة (أيهم) أى الذى هو (أشد على الرحمن) الذى
رحمه بترك الشهوات وتعريف مضارها بالعقل والنقل (عتيا) أى جراءة بايثار الشهوات
على أمره وعدم مبالاته به (ثم) لا يلزم من هذا السؤال عن التعيين عدم علمنا بمن هو أولى بالصلى
اذ (لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) وهم أولى الشيع الذين ضلوا وأضلوا لاجل لذات الدنيا
وشهواتها فصاروا أولى بالصلى بها (و) لعدم خلو أحد عن التلذذ بشئ منها (ان منكم) أى
ليس أحد منكم من بر وفاجر (الا واردها) أى حاضرها اما بالدخول فيها او بالمرور على متنها
ليعلم مقدار تلك اللذات وما استعقبت من الآلام لمن آثرها ومن اللذات العالية لمن جاوزها
(كان على ربك حتما) أى واجبا لا بمعنى ان الحكمة توجب عليه شيأ بل الموجب وجوده
لكونه (مقضيا) صار كالواجب على الله تعالى (ثم) بعد ذلك الاحضار الواجب للتعريف
(ننجى) من تلك الآلام (الذين اتقوا) فى تحصيل تلك اللذات عن مضارها حتى ان بعضهم
من سرعة مروره كالبرق الخاطف يكون فى حكم المبعد عنها (ونذر الظالمين) باستعمال تلك
الشهوات فى غير المواضع المشروعة (فيها جثيا) لا يمكنهم التجاوز عن تلك الآلام كما لا يمكنهم
عن مواضع تلك الشهوات (و) يكفيهم من الظلم ترجيحهم لذات شهوات المال والجاه على
لذات الآيات الالهية البينات فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) فلم يروا
لآيات الله لذة (للذين آمنوا) فرأوا لذة الآيات أعظم اللذات (أى الفريقين) متبعو
الشهوات أم متبعو الآيات (خير مقاما) أى استقرارا فى اللذات (و) لا يخفى ان المستقر فيها
يكون أحسن مجلسا فانظروا أيهما (أحسن نديا) أى مجلسا (و) لا يعلمون انه لا يعتد بلذة يعقبها
مضرة أعظم منها فلو لم يكن فى اتباع الآيات لذة سوى السلامة من تلك المضرة كفى بها لذة
وذلك لانه (كم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم) لينظروا فى حالهم (من قرن) لان اهلاك الواحد
بعد الواحد لا يفيد مزيد اعتبار (هم أحسن أثاثا) أى متاعا من كثرة المال (ورئيا) أى
هيئة من عظم الجاه فان زعموا انها لو كانت مستعقبة للضرر لظهر ضررها عن قريب والا فلا
ينسب اليها (قل) يكفى فى نسبته اليها دلالة الادلة العقلية والنقلية على ذلك وعدم كونها

سنبك الزابغة والسنبك
طرف الحافر والبعير اذا
أراد وانحره تعقل احدى
يديه فيقوم على ثلاث قوائم
وتقرأ صوافن أى خوالص
لله لا يشركون به فى التسمية
على نحرها أحدا (قوله عز
وجل صوامع) هى منازل
الرهبان وقوله صلوات يعنى
كنائس اليهود وهى
بالعبرانية صلوتا (قوله عز
وجل صرفا ولا نصرا) أى

على الفور لئلا تكون ملجئة الى الايمان ومقتضى ذلك ان (من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن) بمقتضى رحمته الداعية له الى التوبة المستوجبة للرحمة (مدا) عظيما لكنهم لا يزالون يزدادون ضلالا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من ضرر تلك اللذات (اما العذاب) على فواتها (واما الساعة) الآتية بالآلام بدلها فان توقعوا العود حينئذ الى ما كانوا عليه (فسيعلمون من هو شر مكانا) لاستقرارهم فى مكان الآلام بعد استقرارهم فى مقام اللذات (وأضعف جندا) حصلوه من جاههم ليدفعوا بهم الشدائد وقد وقعوا فى شدائدهم فضعفوا من ان يدفعوها عن أنفسهم (و) لا يدل هذا على ان الاموال والشهوات شر محض لكن ليس فى خلق الله ما هو شر محض لانه (يزيد الله) بهذه الاموال والشهوات (الذين اهتدوا) أى طلبوا الهداية من كل شئ (هدى) بصرفها فيما خلقت له (و) هى وان أفادتهم ثوابا وقربا عند الله لا يكون كثواب من تلذذ بالآيات فاكتسب بها الباقيات الصالحات اذ (الباقيات الصالحات) من الاخلاق الفاضلة وهيئات الاعمال الصالحة (خير عند ربك) الذى رباك بتلك الآيات دون الاموال والجاه (ثوابا) يلذهم من الجنة بأعظم من لذاتهم (وخير مردا) أى رجوعا يفيدهم من لذات القرب أكثر من افادة الاموال والجاه فى الخيرات (أ) رأيت من نفى خيرية الباقيات الصالحات على فوائد المال والجاه (فرأيت الذى كفر بآياتنا) العقلية والنقلية الدالة على خيرية الباقيات الصالحات فى افادة السعادة على افادة الاموال والاولاد لها اذا صرفا فى مصارفهما بل حصر السعادة فيهما فى الدارين (و) جزم بحصولهما لنفسه هنالك حتى (قال) والله (لأوتين مالا وولدا) اذا رددت الى ربى لجريان سنته بذلك فى حقى فقال تعالى (أطلع الغيب) فعلم من سنته ان من آتاه مالا وولدا فى الدنيا يؤتيه اياهما فى الآخرة فجزم بذلك حتى حلف عليه (أم) لم يطلع ولكن اتخذ عهدا من اطلع عليه من نبى أو ولى فى حق نفسه فكأنه (اتخذ عند الرحمن) الذى من شأنه ان يرحم ولو لم يعهد فكيف اذا أعطى بذلك (عهدا كلا) زجر عن دعوى الاطلاع وأخذ العهد فان لم ينزجر الى أن يموت (سنكتب ما يقول) بحيث لا يمكن محوه (ونمد له) كما مد فى هذه الدعوى بعد الزجر (من العذاب مدا) فوق مده على مجرد الكفر بآياتنا (و) لا يقطعه المال والولد اذ (نرثه ما يقول) من ان له مالا وولدا فلا يبقيان له حتى يمكنهما قطع العذاب عنه (و) لا نردهما عليه بعد ما ورثناهما منه بل (يأتينا فردا) أى مجردا عنهما (و) قد علم أكثرهم هذه الفردية وخاف من ذلتها الذلك (اتخذوا من دون الله آلهة) تحملوا ذل العبادة لها (ليكونوا لهم عزا) بدل عز المال والاولاد بتقريبها اياهم اليه (كلا) زجر لهم عن اعتقاد افادتها العز لهم فانه انما يتصور لو كانوا مستحقين للعبادة فيمكنهم أن يقولوا عبدنا ليتعززوا بنا عندك فأعزهم بل (سيكفرون بعبادتهم) لا يخافون على أنفسهم دعوى الشرك فى استحقاقها (ويكونون عليهم) لعبادتهم لها (ضدا) يريدون اهلاكهم الكلى اذا أوقعوهم فى هلاك دعوى الشرك وكيف لا يكفرون بعبادتهم ولا يكونون عليهم بها ضدا مع انها لم تكن بامر الله بل بامر أعدائه (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) مسلطين

حيلة ولا نصرة ويقال صرفا أى لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم عذاب الله ولا نصرا أى ولا انتصارا من الله عز وجل (قوله عز وجل صرح) أى قصر وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح (قوله عز وجل صياصيهم) أى حصونهم وصياصى البقر قرونها لانها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها بها

(على

(على الكافرين تؤزهم) أى تحركهم الى عبادتها المنافية من عبادتهم بامتثال أمرهم (أزا) عظيما من غير أن يعارضهم ملك أو عقل أو نقل وهو وان كان مغالبة مع الله يقتضى تعجيل العذاب عليهم لكنه لا يعجله لئلا يلجئهم الى الايمان (فلا تعجل) من شدة غيرتك (عليهم) اذ ليس فى تأخير العذاب عنهم تخفيف عليهم (انما نعد لهم) معاصيهم (عدا) لا يفوته شئ منها ليعذبهم على كل واحد منها او يشتد عليهم العذاب بكونه يوم مزيد الرحمة على أعدائهم لوقوعه (يوم نحشر المتقين) الذين تحفظوا من أسبابه (الى الرحمن) ليجعل لهم رحمته العامة فلا يترك منها الاعدائهم شيأ و يضم لهم اليها رحمته الخاصة اذ يحشرهم اليه (وفدا) أى راكبين اكراما لهم وجزاء على ركوبهم متون المشاق الشديدة فى سبيله (و) كما يزيد فى اكرامهم يزيد فى اذلال أعدائهم اذ (نسوق المجرمين) سوق الدواب (الى جهنم) مكان الاذلال لا الى الله العزيز لينالوا شيأ من عزته فيردونها (وردا) ورود الانعام مكان الماء فرارا من ذل السوق وكيف يشفع لهم معبودوهم وشياطينهم مع انهم (لا يملكون الشفاعة) من الانبياء والملائكة (الا من اتخذ) من أهل النار (عند الرحمن) الذى شأنه ان يرحم المؤمن به (عهدا) أن يخرجه من العذاب لايمانه به فيشفع الشفيع لانجائه قبل استيفائه مقدار ما يستحقه من العذاب (و) هؤلاء فعلوا بشفعاء الملائكة والانبياء ما يمنعهم الشفاعة فى حقهم اذ (قالوا اتخذ الرحمن ولدا) من هؤلاء فيقول لهم الشفعاء اذا ذهبوا اليهم (لقد جئتم شيأ ادا) أى ثقيلا على الشفيع أن يشفع معه لانه سبب خراب العالم لانه قائم بالحق فلو فرض له عدم او غيبة لهلك لذلك (تكاد) أى تقارب (السموات يتفطرن) أى يتشققن (منه) فلا تبقى سموات تفيض شيأ (وتنشق الارض) فلا تبقى أرض تقبل شيأ (وتخر) أى تسقط (الجبال) لانها تنكسر (هدا) أى كسرا فلا يكون لها حفظ الارض لا تيانهم ما يشعر بموت الله تعالى (ان دعوا للرحمن) الذى رحم بعض عباده باعطاء بعض الكمالات (ولدا) يقوم مقامه بعد موته (و) لو لم يعتبر قيامه مقامه عند موته (ما ينبغى للرحمن) وان بالغ فى رحمته (أن يتخذ ولدا) يقاربه فى كمالاته لان جلاله يقتضى اذلال ما سواه (ان كل من فى السموات والارض) وان بلغ بعضهم من الكمال ما بلغ (الا آتى الرحمن) الذى رحم باعطاء تلك الكمالات (عبدا) ذليلا بالنظر الى كمالاته كيف وكمالاته غير متناهية مقدارا وعددا بخلاف كمالاتهم (لقد أحصاهم) فجعل لكمالاتهم حدا (وعدهم) اى عد أفراد كمالاتهم (عدا) لا يمكنهم الزيادة عليه (وكلهم) وان كان فيهم من كثر اتباعه (آتيه يوم القيامة) وان كان معه اتباعه كأنه آتيه (فردا) اذ ليس لهم مقاومته ثم ان الله تعالى وان لم يتخذ ولدا يفعل ببعض عباده من المحبة ما يفعله الوالد بولده (ان الذين آمنوا) وهو موجب محبته (وعملوا الصالحات) وكل عمل منها موجبها (سيجعل لهم الرحمن) الذى من شأنه أن يرحم بلا سبب (ودا) يشبه ود الوالد لولده يجعلهم به شفعاء لمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واذا كان الله يود قوما فيجعلهم شفعاء ويبغض آخرين بحيث لا يملكون الشفاعة وجعل من أسباب ذلك الايمان والاعمال الصالحة والتلذذ فيهما فلا بد من الاعلام بهما

وصيحنا الديك شوكاه (قوله تعالى صريخ لهم) أى مغيث لهم (قوله عز وجل صديق) هو من صدقك مودته ومحبته (قوله عز وجل الصافات صفا) يعنى الملائكة صفوفا فى السماء يسبحون الله كصفوف الناس فى الارض للصلاة والزاجرات زجرا قيل الملائكة تزجر السحاب وقيل الزاجرات زجرا كل

ولا أتم فى الاعلام من خطابه لكن خطابه الازلى لا يفهمه الا كمل الانبياء الا اذا يسر تنزيله على لسان بعضهم (فانما يسرناه) بأن جعلناه (بلسانك لتبشر به المتقين) بأنك تجعلهم من أهل مودته او من المشفوعين لهم (وتنذر به قوما لدا) يخاصمون فى باب الايمان والاعمال ولا يسلون مرتبة الشفعاء ولا كونهم لا يملكون الشفاعة (و) يكفى فى انذارهم أن يقال لاحدهم (كم أهلكنا قبلهم من قرن) بهذا اللدد اهلاكا كليا (هل تحس) بالبصر أو اللمس (منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا يسمع من قبورهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة طه)

سميت به لدلالته على كمالاته صلى الله عليه وسلم المقتضية كمال سعادة اتباعه فيما أنزل عليه من أكمل السعادات وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجوامع كمالاته فى نبيه وكتابه (الرحمن) بانزال ذلك الكتاب على ذلك النبى (الرحيم) باسعاد من اتبعه فيه (طه) أى يا طاهرا عن النقائص وأسباب الشقاوة هاديا الى الكمالات واسباب السعادة أو يا طالع الهمة أو يا طالب الحق هاربا عما سواه أو يا طيبا هبة استعداده أو نحو ذلك مما يناسب المقام (ما أنزلنا) من مقام كمال جودنا وهبتنا (عليك) أيها المتصف بهذه الصفات (القرآن) الطاهر عن النقائص وأسباب الشقاوة الهادى الى الكمالات وأسباب السعادة او الذى لا يطلع عليه الا طالع الهمة أو الذى لا يستفيد به الا طالب الحق الهارب عما سواه أو الطيب استعداده (لتشقى) فان الشقاوة تنافى الطهر عن النقائص وعن أسبابها والهداية الى الكمالات وأسباب السعادة ولا تنال طالع الهمة ولا طالب الحق الهارب عما سواه ولا طيب الاستعداد (الا تذكرة) فانها لو كانت شقاوة (لمن يخشى) لكان انزاله شقاوة لك لكنها أجل أسباب السعادة لمن يخشى (تنزيلا) له من سماوية الانسانية الى أرضية البهيمية (ممن خلق) فى الانسان الانسانية والبهيمية كما خلق فى العالم الكبير (الارض والسموات العلى) بل خلق فيه اسرار العالم لانه استوى على قلبه باسمه الرحمن كما ظهر به فى عرشه اذ (الرحمن على العرش استوى) وانما خلق فيه ذلك لانه وان ظهر فيه هذا الظهور الكلى فله أن يظهر فيه ظهورات جزئية مختلفة علوا وسفلا وتوسطا ونزولا الى أسفل السافلين اذ (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى و) ليس ظهوره بمقتضى ظاهر الاستعداد فقط ليأمن صاحبه لانه ناظر الى الاستعداد الظاهر والباطن جميعا نظره الى الاقوال الظاهرة والباطنة فانك (ان تجهر بالقول) أو تخفه فانهما يستويان عنده (فانه يعلم السر) الذى يطلع عليه صاحبه (وأخفى) هو ما لا يطلع عليه صاحبه وانما أحاط علمه بالكل لاحاطة الهيته بالكل اذ (الله لا اله الا هو) وانما اختلف ظهوره مع وحدته اذ (له الاسماء الحسنى) التى بها ظهوره لاقتضاء جمالها أن تظهر بجلاله (و) كيف يغتر بما ظهر به مع انه قد يريد فى الباطن غيره (هل أتاك حديث موسى) أراد مطلوب ظاهر قلبه وأراد مطلوب باطنه (اذ رأى نارا) كان يطلبها

بظاهره

ما زجر عن معصية الله عز وجل فالتاليات ذكرا قيل الملائكة وجاز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلو ذكر الله (والذاريات ذروا) الرياح فالحاملات وقرا السحاب تحمل الماء فالجاريات يسرا السفن تجرى فى الماء جريا سهلا ويقال ميسرة أى مسخرة (قوله فالمقسمات أمرا) الملائكة هكذا يؤثر عن على

بظاهره لاهله و يطلب الحق بباطنه لنفسه (فقال لاهله) المحتاج اليها للاصطلاء في ليلة شاتية
أو للاهتداء في ليلة مظلمة (امكثوا) أي اصبروا واحتي ارجع اليكم بما رأيت (اني آنست) أي
رأيت (نارا لعلي) بعد ذهابي اليها ورجوعي منها (آتيكم منها بقبس) تصطلون به (أو أجد)
من اطلاعي (على النار هدى فلما اتاها) وجدها تجلي الحق بصورة النار لا في مظهرها اذ لم تغير
خضرة الشجرة مع احاطتها بها وكانت نارا بيضاء وهو وان تجرد عن الصورة له أن يظهر بما شاء
منها كظهور جبريل بصورة دحية وهي وان كانت مطلوب الظاهر اعتبر فيها الباطن لذلك
(نودي) ليقبل بالكلية (ياموسى) سمي لئلا يتوهم ان المنادى غيره (اني انا ربك) تجليت
باسمي الخاص في هذه الصورة لكن لما لم يكن بظهور وجب فيه رعاية أدب القيام عند الملوك
(فاخلع نعليك) كيف وقد وجب تنزيه مكان ظهوره لا بظهوره كما يجب تنزيه مكان الملوك عن
القاذورات التي هي من لوازم النعال (انك بالواد المقدس طوى) أي الذي طوى فيه الالتفات
الى ماسواه فيجب فيه رعاية الادب من كل وجه ولما حصلت له الولاية بهذا التجلي أعطاه النبوة
والرسالة بقوله (وأنا اخترتك) للرسالة من بين أهل الولاية (فاستمع لما يوحى) لتبليغ الرسالة
حتى تؤديه من غير تغيير فيه وأشار الى ترتيب الاداء فذكر أولا وجوده الجامع للكمالات بقوله
(انني انا الله) ثم الى توحيده بقوله (لا اله الا انا) ثم الى استحقاقه العبادة بقوله (فاعبدني
و) جعلها جزئية لسبقها على الكلية ثم ذكرها بقوله (اقم الصلوة) الجامعة لمقتضيات
الالهية الجامعة للكمالات لانك تقيمها (لذكري) أي لتذكرني فيها بقلبك ولسانك وسائر
جوارحك بان تجعل حركاتها دالة على ما في القلب واللسان لاذكرك بجوامع التجلي حتى يتجلى
لك الامور الاخروية كما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في صلاة الكسوف
وهي وان كانت معدومة فهي في حكم الموجودة (ان الساعة آتية) وهي وان كان حقها
ان تجلي على المكاشفين (اكاد اخفيها) عنهم لئلا يبطل تكليفهم وتكليف اتباعهم (لتجزى
كل نفس بما تسعى) عن اختيارهم بها من عدم ظهورها لهم ولكن لما لم يكن بد من الجزاء
لم يكن بد من اتيانها (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) وان كان مكاشفا فأداه عدم انكشافها
له الى انكارها (و) لم يعلم ان المكاشف لا يكاشفه بالجميع وقد ظهرت له دلائل وجودها
فلم يعتبرها اغترارا بكشفه لانه (اتبع هواه) فترك النظر في الدلائل (فتردى) بمتابعة هواه نظرا
الى مكاشفته مع ترك متابعة الدليل ولما أعطاه النبوة أراد أن يعطيه معجزة من جنس
ما يتداوله السحرة ليعلم أنها فوق رتبتهم ولذلك سأله عن عصاه ليذكر مراتب فوائدها فيجعل
لها مرتبة فوق تلك المراتب فقال (وما تلك) الخشبة التي شغلت أقوى جوانبك اذ أخذتها
(بيمينك) مع جلالة قدرك (ياموسى قال هي عصاي) التي اتذكر بها المعاصي التي يستحق
الضرب بها من أجلها (أتوكؤا) أي اعتمد اعتماد العاصي على قوة تحمله للعذاب (عليها)
ليظهر لي ضعف نفسي (واهش) أي أسقط الورق (بها على غنمي) هش العاصي أوراق شجرة
غفلته على شهواته ليغتنم بها لكني أفعل ذلك لاعلم اني لو تبعت شهواتي تركت نفسي حيوانية

ابن أبي طالب رضوان الله
عليه في والذاريات الى قوله
فالمقسمات أمرا (والمرسلات
عرفا) الملائكة تنزل
بالمعروف ويقال المرسلات
الرياح عرفا متتابعة ويقال
هم اليه عرف واحد اذا
توجهوا اليه وا كثروا
وتتابعوا (فالعاصفات
عصفا) الرياح الشداد
والناشرات نشرا الرياح
التي تاتي بالمطر كقوله نشرا

محضة (ولى فيها مآرب) أى حوائج (أخرى) أتذكر بها فوائد أخرى كانت ذات شعبتين اذا استسقى بها طالت وصارت الشعبتان دلوا وتصيران شمعتين بالليل وكان يقابل بها العدو والسباع واذا اشتهى ثمرة فركزها أورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقايته فتماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام (قال ألقها ياموسى) مع القائها فى قلبك من العلم بفوائدها ليحصل له علم ما يختص به الحق من اسرار المعجزات (فألقاها) القاء الفانى وجوده (فاذا هى حية تسعى) ظهرت فيها الحياة بافعالها فى صورة مخوفة ليشير الى احياء المعجزات القلوب بالتخويف من جحدها (قال خذها) لتحيا بها بطريق التخويف (ولا تخف) صورتها الظاهرة اذ ليست لتخويفك بل لاظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة ليعلم الانسان انه مستعد لقبول الحياة الالهية لكن ليس لها فى ذاتها حياة لذلك (سنعيدها) آخذة (سيرتها) أى هيئتها (الاولى) ليعلم الانسان أنه وان اتصف بهذه الحياة فانما تدوم فيه من لطف الحق به لا بذاته ثم أعطاه آية أخرى لتكونا كالشاهدين فقال (واضمم يدك) التى هى الفاعلة فيك (الى جناحك) أى ابطك لينسب ما ظهر عليها الى الحق (تخرج بيضاء) أى منورة (من غير سوء) أى قبح ليعلم أن من رد الافعال الى الله نور قلبه من غير قبح وهذا التنور وان كان نوعا من الحياة لكنها حياة معنوية فكانت (آية أخرى) وانما أريناكهما الآن مع ان حقهما أن يظهرا بعد التحدى والمناظرة (لنريك) أوّلا (من آياتنا الكبرى) أى بعضها ليقوى قلبك على مناظرة الطغاة (اذهب الى فرعون انه طغى) فلا بد من التنبيه له على طغيانه بالدلائل العقلية المؤيدة بالنقلية التى صدقتها المعجزات (قال رب) انك وان ربيتنى بتقوية قلبى لكنه انما تتم تقويته لو شرحت صدرى (اشرح) أى وسع (لى صدرى) وهو وجه للقلب يلى النفس فاذا انشرح انشرح الوجه الذى يلى الروح (و) لا يكفى انشراحه لصعوبة أمر الطاغى الذى لا يبالى بالآيات (يسر لى أمرى و) تيسير المناظرة انما يتم باللسان لتوقف الفهم عليه (احلل عقدة من لسانى) حصلت لى لحرمن احراقى بالجمرة حين وضعت مع اليواقيت لتجربتى حين ضربت فرعون فتألم فأراد قتلى فامرت آسية بوضع الطبقين (يفقهوا قولى و) مع ذلك انى منفرد فى مناظرة الجم الغفير من الطغاة (اجعل لى وزيرا) يتحمل بعض اعبائى (من أهلى) اذ الاجنبى ربما لا يهتم وأقربهم أولى وهو (هرون) لكونه (أخى) الاكبر بمنزلة الاب ولم أطلبه للاستعانة به بل بك بواسطة سببيته (اشدد به أزرى) أى قوّ به ظهرى (و) ربما لا تتم سببيته عند اشتداد الامر ما لم يكلف بحمل اعباء النبوّة (أشركه فى أمرى) ولم نطلب منك لتحصيل الكمال لانفسنا من حيث هى بل (كى نسبحك كثيرا) باعتقاد تنزيهاتك عن مظاهرنا (ونذكرك كثيرا) بصفات الكمال برؤيتها بمظاهرنا (انك كنت بنا بصيرا) برؤية كمالاتك بالمظاهر ووراء رؤيتها فى ذاتك (قال قد أوتيت سؤلك) أى تحققت على الفور اجابة دعواتك لعزتك (ياموسى) فأقبل بالشكر كيف (ولقد مننا عليك) من غير سؤال منك (مرة أخرى) دون مرة الانباء وان أشبه انباء والدتك (اذ أوحينا) أى ألقينا بطريق الالهام (الى

أمك)

بين يدى رحمته يقال نشرت الريح اذا جرت قال جرير نشرت عليك فذكرت بعد البلا ريح يمانية بيوم ماطر (قوله عز وجل فالفارقات فرقا) الملائكة تنزل فتفرق بين الحلال والحرام فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا الملائكة تلقى الوحى الى الانبياء عليهم السلام اعذارا وانذارا من الله جل اسمه

امك) مثل (ما يوحى) الى الانبياء بلسان الملك ان من خاف البر ركب البحر فعليك (أن اقذفيه
فى التابوت) ليظهر باجرائها من غير مجر على ان من شانها ان لا تجرى أصل الارهاص لولدك
والكرامة لك (فاقذفيه فى اليم) اى البحر متوكلة على خالقه ان يأمره بالالقاء (فليلقه
اليم بالساحل) والهرب وان كان من مكان العدو الى غيره فهنا من الغير اليه فانه ان لم يلقه
اليم بالساحل (يأخذ عدو لى) بدعوى الالهية لنفسه ونفيها عنى (وعدو له) لدعوته
الى (و) لا تبالى بعداوته اذ (القيت عليك محبة منى) توجب محبة الكل فعلت ذلك
ليحصل لك الامن الكلى (ولتصنع) أى ولتربى بيدى العدو (على عينى) اى نظرى بالحفظ
حتى يتم تربيتك بحضانة أمك ورضاعها (اذ تمشى) على الساحل مع التابوت (أختك) مريم
(فتقول) لقوم العدو اذا طلبوا لك حاضنة ومرضعة (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمن
حضانته ورضاعته فقبلوا قولها فجاءت بأمك (فرجعناك الى امك) مع كونك بيدى العدو
(كى تقر) برؤيتك (عينها ولا تحزن) بفراقك فهذه منة زائدة على النجاة من القتل (و) قد
مننا عليك بالنجاة من القتل الذى لا يدفع بتلبيس حين (قتلت نفسا) من آل فرعون فاغتممت
للقصاص والعقوبة الاخروية (فنجيناك من الغم و) لم يكن من هاتين الجهتين فقط بل من
جهات كثيرة اذ (فتناك فتونا) كثيرة كحمل أمك اياك فى سنة الذبح ومنع الرضاع من
غير ثدى أمك وتناول الجمرة ومشى ثمانية مراحل جائعا عطشان (و) كما أنجيناك من
غمومها انجيناك من الجهل والاخلاق الرديئة اذ (لبثت سنين) ثمانية وعشرين (فى أهل
مدين) لتتعلم منهم وتتخلق باخلاقهم (ثم جئت على قدر) أى مقدار من العلوم والاخلاق
اجل من أن يحصل بالتعلم والصحبة (ياموسى) كيف (و) قد (اصطنعتك) أى اخترتك
(لنفسى) أى لاظهار اسرارى اليك لتصير كاملا مكملا (اذهب أنت وأخوك) الذى كمل
بدعوتك (بآياتى) الدالة على كمال قربك منى وعظمتك عندى (و) تزداد كمالا بمواظبتك على
ذكرى (لا تنيا) أى لا تضعفا عن الاقامة (فى ذكرى) لانه يضعفكم عن اداء الرسالة وذكركم
اياى يزيدكم قوة (اذهبا الى فرعون) من غير مبالاة لعظمته (انه) لا عظمة له بالحقيقة بل
غايته أنه (طغى) لكن لا تزيدا طغيانه بالاغلاظ (فقولا له قولا لينا) فانه يرجى تأثيره فى الطغاة
(لعله يتذكر) دلائل صدقكم (أو يخشى) احتمال صدقكم (قالا ربنا) الذى ربانا بهذه الوجوه
(اننا) مع هذه التقوية (نخاف ان يفرط) أى يعجل قبل سماع كلامنا بالعقوبة (علينا أو ان
يطغى) بالعناد فى دفع حججنا ثم يأمر بقتلنا (قال لا تخافا) من افراطه وطغيانه (اننى معكما)
اقرب منه وأقوى (اسمع) فأمنعه من ان يقول ما تكرهون (وارى) فامنعه مما تخافونه
(فأتياه) من غير مبالاة له فى جعله مربوبا (فقولا انا رسولا ربك) ارسلنا اليك لترد من
غصبتهم منه خواص عباده بنى اخصهم (فارسل معنا بنى اسرائيل) ليكونوا مع سائر خواصه
(و) لو لم ترسلهم (لا تعذبهم) باستعبادك اياهم ولا تسكن غير مبال بامساكهم واستعبادهم بعد
تبليغنا رسالته بظهور صدقنا (قد جئناك بآية) يعلم بالضرورة انها (من ربك) اعطاها

(والنازعات غرقا) الملائكة
تنزع أرواح الكفار
اغراقا كما يغرق النازع
فى القوس والناشطات
نشطا الملائكة تنشط أرواح
المؤمنين أى تحل حلا
رفيقا كما ينشط العقال من
يد البعير أى يحل حلا برفق
والسابحات سبحا الملائكة
جعل نزولها كالسباحة
فالسابقات سبقا الملائكة
تسبق الشياطين بالوحى
الى الانبياء عليهم السلام
اذ كانت الشياطين

للدلالة على ماهو الهدى عنده (و) لابد من اتباعه اذ (السلام) أى الخلاص عن آفات الضلال موقوف (على من اتبع الهدى) والا فلا سلامة بدلالة دلائل العقل مؤيدة بالنقل (انا قد أوحى الينا ان العذاب) نازل (على من كذب) الهدى (وتولى) عن العمل به فلما سمع منهما ذلك القول (قال) ان لم أكن ربكما (فمن ربكما) فان انتسب هرون الى غيرى فمن ربك (ياموسى) مع ان تربيتك كانت على يدى (قال) موسى ليس المراد التربية العرفية بل الحقيقية (ربنا الذى اعطى كل شئ) أى كل ما يصير الى الوجود (خلقه) أى وجوده الحادث (ثم هدى) للاستكمال الذى من جملته التربية المتعارفة ولا يتصور ذلك الا من رب العالمين ثم سأله عن ذلك كما ذكر فى مواضع أخر (قال) لو كان الله هاديا للكل فما معنى مجيئك لهدايتى فان اردت انه هدى بك (فما بال) أى حال (القرون الاولى) هل هداهم الله أم لا (قال) كان هاديا للكل بحسب حاله وحال المكلف انما يوجب الهداية البيانية وقد كانت لتلك الامم على ألسن الرسل ثم من اختاره منهم الاتباع خلق فيهم الهداية والا فلا وقد خلق الاختيار فيهم بمقتضى استعدادهم اذ (علمها عند ربى) أى علم استعدادها وهو مناط القضاء والقدر لذلك هو (فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) لا يترك الحكمة فى هذا التقدير بان يقدر اختيار الهداية لمن يستعد لاختيار الضلال وبالعكس (ولا ينسى) الاستعدادات فيهم للهداية أو الضلال وان عم هداية البيان اذ هو (الذى جعل لكم الارض مهدا) لتعلموا انه لابد لكم من مستقر والدنيا ليست كذلك فالمستقر هو الآخرة (وسلك لكم فيها سبلا) لتعلموا ان للوصول الى الله سبلا مختلفة بعضها هداية وبعضها ضلال (وأنزل من السماء ماء) لتعلموا ان لكل شئ سببا فالاعمال المنزلة من السماء اسباب السعادة وضدها اسباب الشقاوة ثم اشار الى ان لاسباب السعادة آثارا مختلفة كما ان للماء آثارا مختلفة من قدرة الله تعالى (فاخرجنا به) لا بتأثيره بل بتأثير قدرتنا عنده (ازواجا) أى أنواعا (من نبات شتى) مختلفة الاجناس ولو كان للسبب تأثير لامتنع اختلاف الانواع فضلا عن اختلاف الاجناس كيف لا يكون للسعادة الاخروية اسباب مع انه راعاية القوة العاقلة وقد راعى سبحانه وتعالى بانزال الماء من السماء رعاية القوة البهيمية لذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وليست الجهة المقصودة بل هى العاقلة وهى وسائل اليها لذلك قال (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) أى للناظرين الى الغايات واحدى الآيات ماذكرنا والثانية ان تمهيد الارض اشارة الى تمهيد المقدمات وسلوك السبل الى طرق الاستدلالات من القياسات الاقترانية الحملية والشرطية والاستثنائية والاستقراء والتمثيل وانزال الماء الى انزال النتائج واخراج انواع النبات المختلفة الاجناس الى تمير النتائج للعلوم المختلفة والثالثة ان تمهيد الارض اشارة الى القاعدة الكلية وسلوك السبل اشارة الى الدلائل العقلية والنقلية وانزال الماء من السماء الى العلوم الكشفية المثمرة للامور التى لا تحصل بالاستدلال ومن نظرهم انه (منها خلقناكم) خلق النبات من التراب (وفيها نعيدكم) اعادة البذر الى الارض (ومنها نخرجكم) اخراج

تسترق السمع فالمدبرات أمرا الملائكة تنزل بالتدبير من عند الله جل اسمه وقال أبو عبيدة والنازعات غرقا الى قوله فالسابقات سبقا هذه كلها النجوم فالمدبرات أمرا الملائكة (وقوله جل وعز والعاديات ضبحا) الخيل والضبح صوت أنفاس الخيل اذا عدت ألم تر الى الفرس اذا عدا يقول اح اح يقال ضبح الفرس والثعلب وما أشبههما

النبات من البذر (تارة أخرى) هى تارة البعث (و) لم نقتصر معه على هذه الآيات بل والله (لقد أريناه آياتنا) على الامور الاخروية والمعارف الالهية (كلها) الفعلية والقولية العقلية والنقلية (فكذب) جميعها (وابى) ان ينقاد لشئ منها أو من مقدماتها (قال) انما تنقاد لما يفيد الزيادة أو التقرير (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) بان نصير عبيد الغير فاولا يطيعنا أحد ممن يطيعنا لا بعسكر منك بل (بسحرك ياموسى) وانما يتأتى لك الاخراج لو لم يعارض سحرك (فلنأتينك بسحر مثله) يعارضه ولا بد لظهورها من تعيين زمان ومكان (فاجعل) للاجتماع (بيننا وبينك موعدا) من مكان وزمان فان لم تعين لنا زمانه فاجعله بحيث (لانخلفه) اى الموعد (نحن ولا أنت) بأن نأخذ أو تأخذ (مكانا سوى) اى يساوى جمعنا ذلك المكان (قال) موسى لا أخاف من تعيين الموعد الزمانى (موعدكم يوم الزينة) أى العيد (و) لا يكفى فيه تعيين اليوم لطوله بل يعين له وقت (أن يحشر) اى يجمع (الناس) فيه وهو وقت (ضحى فتولى فرعون) اى اشتغل بتحصيل أسباب المعارضة فلم يحصل له أسبابها بالحقيقة (فجمع كيده) اى مايوهم القاصرين انه من أسباب المعارضة (ثم أتى) ذلك المكان فى ذلك الوقت لا مع أسباب المعارضة التى هى المقصود ثم من ذلك الموعد (قال لهم موسى) احذروا (ويلكم) من زعمكم ان آيات الله يمكن معارضتها أو ان له شريكا يعارضه (لاتفتروا على الله كذبا) بانه عاجز وانه يشارك فى قدرته (فيسحتكم) اى فيستأصلكم (بعذاب) من افراط غضبه عليكم (وقد) علمتم انه (خاب من افترى) على مخلوق فكيف من افترى على الخالق (فتنازعوا أمرهم بينهم) هل لنا ان نعارضه لكونه ساحرا مثلنا أم لا لأن امره سماوى (وأسروا النجوى) انه لو غلبنا اتبعناه ولما رأى فرعون وقومه منهم ذلك (قالوا) للسحرة (ان) اى ان الشان (هذان) ساحران انهما (لساحران) لاتتوهموا منهما ارادة الهداية بل (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) لا من الضلال لانهما يريدان عزل فرعون عن ملكه بجعله عبد الغير فيقومان مقامه ويجعلان قومهما مكانكم ولا تنظروا الى قوتكم على دفعهما لانهما لايستعملان قوتكم معكم بل يخرجانكم (بسحرهما) الذى يريدان اعجازكم به هذا فعلهما فى الامر الدنيوى (و) أما الاخروى فهما يريدان ان (يذهبا بطريقتكم المثلى) اى التى هى أكثر مشابهة للصواب لاتفاق العقلاء على استحسانها (فأجمعوا) اى اعزموا (كيدكم) اى أسباب المعارضة فى أوهام العامة (ثم ائتوا صفا) فانه أهيب فى قلوب الرائين (وقد أفلح) اى فاز بالانعامات العظيمة من فرعون وملئه (اليوم من استعلى) أى طلب العلو لنفسه فاجتهد ان يكون له الغلبة (قالوا ياموسى اما ان تلقى) أولا فيحصل لك الالقاء اذ لو ألقينا أولا تحيرت فلم تأت لك القاء بعده ونحن لانبالى بالتاتك لكثرتنا (واما ان نكون) نحن الملقين لكونا (أول من ألقى قال (بل ألقوا) أولا فانى لا أبالى بما أرى من سحركم فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) التى ألقوها (يخيل اليه) اى يصل اليه من طريق الخيال الذى تحرك (من سحرهم انها تسعى) باختيارها

والضبح والضبع أيضا ضرب من العدو فالموريات قدحا الخيل تورى النار بسنابكها اذا وقعت على الحجارة فالمغيرات صبحا من الغارة وكانوا يغيرون عند الصبح والاغارة كبس القوم وهم غارون لايعلمون وقيل انها كانت سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى كنانة وأبطأ عليه خبرها فنزل عليه الوحى بخبرها فى والعاديات وذكران على بن أبى طالب

(فاوجس) اى أضمر (فى نفسه) بحيث لايظهر لغيره (خيفة) من توهم الخلق المعارضة
بان لهم من حبالهم وعصيهم حيات كما ان له من عصاه حية (موسى قلنا لاتخف) المعارضة
بل (انك) مع وحدتك (أنت الاعلى) أى الغالب عليهم لكون حيتك أكبر من حياتهم بكثير
(و) لاتلتفت لكثرتها بل (ألق مافى يمينك) التى هى الجانب القوى فى نفسها مع تقويتنا
اياها (تلقف) أى تلتقط التقاط الطائر جميع (ماصنعوا) ولا يبعد ذلك لانهم (انما
صنعوا كيد ساحر) فى مقابلة المعجزة (ولايفلح الساحر) أى لايفوز بمطلوبه (حيث
أتى) أى أى مكان جاء لدفع الحق فكيف يفلح حيث أتى معارضا لدفع المعجزة فالقى موسى عصاه
فتلقفت ماصنعوا (فالقى السحرة) بعدما ألقوا حبالهم وعصيهم للمعارضة (سجدا) بالذلة
(قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدموا هرون لما فى تقديم موسى من ايهام ارادة فرعون
(قال آمنتم له) أى لموافقة موسى (قبل أن آذن لكم) فهو دليل مخالفتكم اياى (انه
لكبيركم) فى باب السحر كانه (الذى علمكم السحر) فاتفقتم معه ليكون لكم الملك فوعزتى
لافعلن بكم فعل الملوك بمن أراد تبديل الملك (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى
من جانبين متخالفين (و) لا اقتصر عليه حتى يمكنكم اخراجنا من أرضنا بسحركم بل مع ذلك
(لأصلبنكم) متمكنين (فى جذوع النخل) التى هى أقوى الاخشاب وأخشنها (و) لئن
زعمتم انكم انما آمنتم برب موسى خوفا من شدة عذابه أو من تخليده فى العذاب (لتعلمن أينا
أشد عذابا وأبقى) فان رب موسى لم يقطع من أحد يده ورجله من خلاف ولم يصلبه فى جذوع
النخل ولم يبقه مصلوبا (قالوا) انما يستأذنك من يؤثر جانبك ونحن (لن نؤثرك على ماجاءنا
من البينات) الداعية الى ايثار جناب الحق عليك وفيه اشارة الى انا ماوافقناه لكونه
أسحر بل لكونه صاحب البينات (و) لولم تأتنا البينات ما كنا نؤثرك على (الذى فطرنا) ولا
نخاف ماخوفتنابه فانه ليس بأشد من عذابه بالنار (فاقض ما انت قاض) ولا ابقى فانك
(انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) التى لابقاء لها ولا سلطان لك بعدها وقد دفعنا بهذا الايمان
ماهو أشد وأبقى (انا آمنا بربنا) الذى لايزول سلطانه أبدا ولا بد لنا من الرجوع اليه (ليغفر
لنا خطايانا) من القسم بعزة عدوه ومعارضة رسوله وأنواع الكفر فى السحر (وما أكرهتنا
عليه) أى ومافعلت بنا مما يشبه الاكراه اذ اتنازعنا الامر بيننا وأسررنا النجوى والاكراه
لو تحقق فانما يسقط الاثم لولم يقع به اضرار متعد وهذا مما يتعدى الاضرار به لكونه (من
السحر) ولولم يكن شئ من ذلك كيف نختار جنابك على جناب الله (والله خير) من كل
ماعداه (و) لو زعمت انه ليس بخير منك فلاشك انه (أبقى) وكيف يكون عذابك أشد وأبقى
مع ان عذابه الخلود فى جهنم (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم) خالدا فيها اذ (لايموت فيها)
فيستريح من عذابها (ولايحيى) حياة يستفيد بها (و) كيف تكون خيرا منه مع أنه (من
يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى) التى لاتبلغ أعلى درجاتك أدناها
فاذا كانت هذه درجات من تذلل له فى العبادة فاين درجاته اذا على درجاتك ملك مصر وهذه

رضوان الله عليه كان
يقول العاديات هى الابل
ويذهب الى وقعة بدر وقال
ما كان معنا يومئذ الافرس
المقداد ابن الاسود (قوله عز
وجل صافون) اى صفوف
(قوله تعالى صافنات) جمع
صافن من الخيل وقد
مضى تفسيره (قوله عز
وجل صرصر) أى ريح
باردة لها صوت (قوله عز
وجل صفحا) أى اعراضا
يقال صفحت عن فلان اذا
أعرضت عنه والاصل

الانهار

الانهار تجرى من تحتك ودرجاتهم (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار) من الماء
والعسل واللبن والخمر مع انه لاخلود لك بمصر ويكونون (خالدين فيها و) نحن نرجو ان يحصل
لنا ذلك وان لم نعمل الصالحات لان (ذلك جزاء من تزكى) بتلك الاعمال وقد حصل لنا ذلك
بهذا الصبر ولم يمكننا الاعمال الصالحة مع ان هذه التزكية داعية اليها ميسرة لها فكانها
حصلت (و) كيف لا يكون للتزكية ذلك وقد كان من أثر الايمان الانجاء بطريق كرامة الوحى
مع ظهور المعجزة فانا (لقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) اخفاء على اعدائهم واذا
ظهر لهم ومنع البحر من العبور (فاضرب) بعصاك البحر لتجعل (لهم طريقا فى البحر) ايماء
لهم الى انه لابد فى الوصول الى الحق من عبور بحر المعرفة (يبسا) لاتزل فيه الاقدام ومع
يبسه (لاتخاف) من العدو (دركا) فى وسط البحر (ولا تخشى) منهم العبور فضرب
فسلكوه (فاتبعهم) على الفور فى دخول البحر اغترارا بكونه طريقا يبسا (فرعون بجنوده)
مع علمه بكونه معجزة لعدوه يخاف عليه الانعكاس (فغشيهم) أى غطاهم (من اليم) اى البحر
المملوء ماء (ماغشيهم) من الغشاء الكلى الذى لايمكنهم التنفس فيه (وأضل فرعون قومه)
قبل دخول البحر بأن قال انشق لى البحر لادرك عبيدى (وما هدى) حين أدركه الغرق اذلم
يعلمهم بايمانه لانهم لو اجتمعوا على الايمان فى ذلك الوقت ربما أنجاهم منه وكان هذا الاغراق
هو الانجاء الكلى لبنى اسرائيل لذلك قال (يابنى اسرائيل) ناداهم ليتنبهوا على شكر الانجاء
الكلى (قد أنجيناكم من عدوكم) بالاخراج من بلادهم من غير أن يكون لهم خبر أولا وبعبوركم
البحر وبمنعهم عن درككم وباغراقهم (و) أنجيناكم عن القصور فى القوة النظرية
والعملية اذ (واعدناكم) انزال التوراة حين صعودكم (جانب الطور الايمن) ليشير الى أن
النجاة عن القصور انما تكون بالصعود عن البشرية وبالتمسك بالقوة الالهية (و) نجيناكم
حين ابتليناكم بالتيه من شدائده اذ (نزلنا عليكم المن والسلوى) وانما كان انجاء اذلم يكن
ابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم) ليدفع طيبه شدة الابتلاء (ولا
تطغوا) بدعوى الولاية (فيه) أى فى هذا الابتلاء بحصول الكرامة لكم (فيحل عليكم
غضبى) برؤيتكم مكان الغضب مكان الكرامة (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) أى
سقط من عينى فلا يفيده مايعمل بعد (و) لكن هذا لايوجب اليأس (انى لغفار لمن تاب)
عن موجب الغضب (و) يكفى فيه ان (آمن و) قوى ايمانه بأن (عمل صالحا ثم اهتدى)
بأن لم يأمن مكره ولم ييأس من روحه ولم يعجب بعمله ولم يدع الولاية والكرامة لنفسه
(و) لما كان كمال الاهتداء بالاهداء لم يكن التسابق على الاتباع من كمال هذا الاهتداء
لذلك قال تعالى (ما أعجلك) أى ما دعاك الى العجلة بالتقدم (عن قومك) الذين أرادوا كمال
متابعتك (ياموسى) المبعوث لتكميلهم وهو بادراك حالك معنا أتم وكان قد مضى مع
النقباء الى الطور ثم تقدمهم (قال هم) وان غابوا لم يبعدوا عنى اذ صح فى حقهم أن يقال
(أولاء) وهو الاشارة الى القريب ولم يتخلفوا عن متابعتى لانهم (على أثرى و) لكن

فى ذلك ان تولبه صفحة
وجهك أو صفحة عنقك
يقال ذلك عند الاعراض
(قوله عزوجل صرة) أى
شدة صوت (قوله سبحانه
صكت وجهها) أى ضربت
وجهها بجميع أصابعها
(قوله سبحانه صلصال)
طين يابس لم يطبخ اذا نقرته
صل أى صوت من يبسه
كما يصوت الفخار والفخار
ماطبخ من الطين ويقال
الصلصال المنتن مأخوذ
من صل اللحم اذا أنتن

(عجلت) بالتقدم اليه لمزيد التقرب (اليك رب) لتربيتي بمزيد التقرب (لترضى) عن اتباعي برضاك عني (قال) اذا أبعدت هؤلاء زدت اتباعهم ابعادا بوقعهم في الابتلاء (فانا قد فتنا) أي ابتلينا (قومك) الذين تركتهم مع هرون (من بعدك) لبعدك عنهم حسا ومعنى اصالة وواسطة (و) هو وان لم يتم سببا انضم اليه ما يتم سببيته وهو انهم (اضلهم السامري) بصوغ عجل من حلي القبط مع رمي قبضة تراب من حافر فرس جبريل وقوله هذا الهكم واله موسى (فرجع موسى) من مقام غاية القرب (الى قومه) ليتلافى ما فاتهم (غضبان) على ما نووا على أنفسهم (اسفا) أي حزينا هل يتم لهم التلافي أم لا (قال يا قوم) الذين حقهم التزام الهداية سيما عند وعد الزيادة فيها (الم يعدكم ربكم) الذي رباكم بالهداية (وعدا حسنا) بانزال التوراة لتزدادوا بها اهداية (او) ثقتم بوعده أم لا (فطال عليكم العهد) بان تأخر الى أربعين بعدما كان ثلاثين هل أردتم الوفاء بذلك الوعد (ام) لم تريدوه ولكن (اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي) بمتابعة التوراة الموجبة للرحمة (قالوا ما أخلفنا موعدك) بقصدنا والاختص صنعه (بملكنا ولكنا) وقعنا فيه اتفاقا اذ (حملنا) اموالا كانت (اوزارا) أي آثاما لكونها (من زينة القوم) أي حلي القبط استعرناها منهم وليس للمستأمن أخذ مال الحربي ولم يمكننا ردها على أهلها فقدهم (فقذفناها) في حفرة أوقدنا فيها النار لسبكها (ف) كما قذفناها (كذلك القى السامري) من غير زيادة صنع (فاخرج لهم) من الحفرة (عجلا) خلقه الله من الحلي ولم يكن حيوانا حقيقيا بل (جسدا) بصورته لكن (له خوار) أي صوت بقر (فقالوا) تبعا للسامري لما رأوه من غير صنع ورأوا له خوارا (هذا الهكم واله موسى) وضعه في الحفرة (فنسي) ثم ذهب الى الطور لطلبه (أ) عموا في اعتقاد الهيته (فلا يرون أن) أي ان الشان (لا يرجع اليهم قولا) أي لا يرد عليهم جوابا مع ان التكلم دون الرؤية (ولا يملك لهم ضرا) لو لم يعبدوه (ولا نفعا) لو عبدوه (و) كما انهم عموا (لقد) صموا أيضا اذ (قال لهم هرون) الذي هو كموسى (من قبل) أي قبل مجي موسى قطعا لعذرهم وتمهيدا لعذره (يا قوم) الواجب عليهم اتباعي كاتباع موسى (انما فتنتم به) أي ابتلاكم الله باخراجه من غير صنع واعطائه الخوار لكنه خال عن النفع (وان ربكم) بحسب عموم نفعه لانه (الرحمن) وقد رحمكم بارسالي وأخي (فاتبعوني و) ان زعمتم ان موسى هو الاصل فقد استخلفني عليكم (اطيعوا أمري قالوا) انك وان أرسلت أو استخلفت فلا تعرف الاله اذ لم يتجل لك وقد تجلى لموسى (لن نبرح) أي لن نزال (عليه عاكفين) أي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) ولما رجع موسى ورأى هرون لم يقاتلهم على قولهم لن نبرح عليه عاكفين (قال يا هرون) لم يناده باسم الاخ اشارة الى عدم مبالاته بها (ما منعك) من مقاتلتهم (اذ رأيتهم ضلوا) بالردة قاصدا لك على (ان لا تتبعن) في مقاتلة المرتدين وقد أمرتك باصلاحهم ولا تحصل لك الا بالمقاتلة (أ) تركت مقاتلتهم (فعصيت امري) فاستحققت الغضب عليك باخذ اللحية والرأس فاخذهما (قال

فكأنه أراد صلا لا فقابت احدى اللامين صادا (قوله عز وجل صفت قلوبكما) أي مالت قلوبكما (قوله عز وجل صافات ويقبضن) اي يقول باسطات أجنحتهن قابضاتها (قوله جل وعز صريم) اي الليل وصريم صبح أيضا لان كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه (وقوله فاصبحت كالصريم) أي سوداء محترقة كالليل ويقال اصبحت وقد ذهب ما فيها

يا ابن أم) مقتضى شفقتى عليك أن لا أتركك اضربا لاستمرار على الغضب الواقع سهوا (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) غضبا على بترك المقاتلة (انى خشيت) فى المقاتلة (أن تقول فرقت) بها (بين بنى اسرائيل) بأن تصير فرقة منهم معك وأخرى محاربة لك (ولم ترقب) أى ولم تراع (قولى) أصلح فانه مناف للتفريق والقتال ثم رجع الى معاتبة المفرق (قال) اذا فعلت هذا التفريق (فما خطبك) أى أهم مقاصدك منه (يا سامرى قال) أردت أن أكون متبوع طائفة بما خصصت به من الكشف اذ (بصرت بما لم يبصروا به) من حصول الحياة بوطء فرس جبريل (فقبضت قبضة من) تراب (أثر) قدم فرس (الرسول) جبريل لحملها سر الحياة (فنبذتها) فى الحلى المذاب لتسرى فيه الحياة وتتبعها الصورة فتتزين للقوم حتى يتخذوها الها (وكذلك سولت) أى زينت (لى نفسى) حتى اتخذته الها وتوهمت أنى أصير متبوعة لفرقة (قال فاذهب) أى ابعد عن البلاد (فان لك فى) أيام (الحيوة) بدل اجتماع التابعين حولك (أن تقول) لمن يريد الاجتماع بك (لا مساس) اذ هو سبب حمى الماس والممسوس (و) لا يقتصر عليها بل (ان لك موعدا) هو عذاب الآخرة (لن تخلفه) اذ لا توبة لك عن هذا الشرك (وانظر الى الهك الذى) أشركته اذ (ظلت) أى صرت (عليه عاكفا) أى مقيما (لنحرقنه) لتتفرق أجزاؤه والاله لا يتأتى فيه أدنى التغيرات (ثم لننسفنه) أى لنطيرنه فنجعله (فى اليم) أى البحر الممتلئ (نسفا) لا يبقى له معه أثر فتظهر غاية ذلته فى مقابلة غاية كمال الله (انما الهكم الله) الجامع للكمالات لانه (الذى لا اله) فى غاية الكمال (الا هو) ومن كمالاته التى لا تتصور لغيره انه (وسع كل شئ علما) ومن ذلك وسعناه عليك اذ (كذلك) أى مثل هذه القصص الجامعة للعلوم (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) فى جميع العلوم (و) هى وان وجدت فى كتب الاولين فليست بحسن ما فى كتابك اذ (قد آتيناك من لدنا ذكرا) أى أشرف الاعجاز ولغاية شرفه (من أعرض عنه فانه) وان تمسك بكتاب سابق عليه (يحمل يوم القيامة وزرا) اتركه الفاضل وأخذه المفضول بعد ما نسخ ولا يجزون بالمفضول بل يبقون (خالدين فيه) أى فى جزاء الوزر (و) لو لم يكن لهم الخلود فيه على زعمهم الفاسد وهو انه ان تمسنا النار الا أياما معدودة (ساء لهم يوم القيامة) الذى تتصور فيه المعانى (حملا) اذ يفتضحون بحملها وانما تتصور فيه المعانى لانه (يوم ينفخ فى الصور) فيخرج منه أرواح المعانى طالبة لصورها خروج صور الاجساد طالبة لها (و) لا يلزم أن يكون لها محل غير تلك الاجساد حتى لا يتألم بها الذات (نحشر المجرمين يومئذ زرقا) لتقبح عيونهم من قبح نظرهم الباطن (يتخافتون) أى يتكلمون خفية فيما (بينهم) انه انما قبح نظركم لقصركم نظركم على الادنى الذى لا بقاء له (ان لبثتم) فى ذلك الادنى (الا) ليالى (عشرا) ولا يقتصرون على هذا القول بل لا يزالون يستقصرون مدة الحياة الدنيوية ما ازداد عليهم طول ذلك اليوم فلا يزالون يقولون أقوالا (نحن أعلم بما يقولون) من كثرتها وانما نذكر أوسطها (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) لانه

من الثمر فكأنه قد صرم أى قطع وجد (قوله عز وجل صعدا) شاقا يقال تصعدنى الامر اذا شق على ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدنى خطبة النكاح ومنه قوله عز وجل سأرهقه صعودا يعنى عقبة شاقة وقيل انها نزلت فى الوليد بن المغيرة وانه يكلف ان يصعد جبلا فى النار من صخرة ملساء فاذا بلغ اعلاها لم يترك ان يتنفس وجذب الى

بين العشر وساعة من نهار (ويسئلونك عن الجبال) هل تبقى يوم القيامة فيمكن التستر بها
عن الصور القبيحة (فقل ينسفها) أى يجعلها رملا (ربى) الذى ربانى بأن جعلنى أقوى
من الجبال فى ذلك اليوم (نسفا) كاملا بحيث لم يبق فيه شئ صلب ثم يسلط عليها الرياح
(فيذرها) أى يترك أرضها (قاعا) أى مستويا (صفصفا) أى أملس (لاترى فيها
عوجا) معنويا يدركه المهندس فضلا عن المحسوس (ولا أمتا) أى نتوأ وكما لا يستتر يومئذ
بالجبال ولا بأعوجاج الارض ونتوءها لا يستتر بالتباعد لاجتماع الناس فى طريق المحشر أو
بالمحشر أما الاول فلانهم (يومئذ يتبعون الداعى) أى يجيبون اسرافيل اذ يدعوهم الى
المحشر قائما على صخرة بيت المقدس فينقلبون من كل أوب الى صوبه (لا عوج له) أى
لاتباعهم يمينا وشمالا اذ لا موجب للعدول من الجبال ونحوه (و) لا يشغل عن رؤية تلك
الصور سماع أصوات الناس فانه (خشعت) أى خفتت (الاصوات للرحمن) فانه وان
ظهر للمؤمنين برحمته فهم مستغرقون فى هيبته واذا لم تسمع من أهل الرحمة (فلا تسمع) من
غيرهم (الا همسا) اى ذكرا خفيا ولا ترتفع تلك الصورة بالشفاعة لانه (يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من أذن) بعض الشفعاء ان يشفع (له الرحمن) بأن يفيض عليه نور الرحمة
ليفيضها على المشفوع (ورضى) ان يشفع (له قولا) وانما احتيج الى الاذن لان الشفيع
لا يعلم مبدأ المعصية من قصد الاستهانة بأمر الله أو اتباع الشهوات ولا منتهاها من الجراءة
على الله أو الندم على مخالفته والله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) فمن علمه استهان
بامره وبقى مجترئا عليه لم يأذن بالشفاعة فى حقه والا ربما أذن (ولا يحيطون به علما) فلا
يعاونون ما فى علمه من الاستعدادات (و) كيف يشفع أحد عنده بدون اذنه مع انه (عنت
الوجوه للحى القيوم) اى صارت الوجوه ذليلة لظهوره بصفة الحياة والقيومية الدالة على
ان كل ما عداه ميت بل معدوم هذا فى حق اهل العدل (وقد خاب من حمل ظلما و) لكن (من
يعمل من الصالحات وهو مؤمن) فانه وان حمل ظلما (فلا يخاف ظلما) بنزع ثواب العمل
(ولا هضما) بنقصه (و) ليست هذه الآيات لمجرد التخويف لانه (كذلك انزلناه) اى
جميع الكتاب ولا يتصور فى حق الله تعالى انزال كتاب أكثره كاذب (٣) ولا يحمل على تأويل
المحسوس بالمعقول لكونه (قرآنا عربيا) ليفهمه اهل العربية والحمل على التأويل مانع
لهم عن الفهم (و) لا يتأتى التأويل فى جميعها اذ (صرفنا فيه من الوعيد) بعبارات مختلفة
يبعد حمل جميعها على التأويل لو أمكن على انه لو امكن فهو مخل بالمقصود من الانزال لانه انما
أنزله (لعلهم يتقون) المعاصى فيتركونها بالكلية (او يحدث) الوعيد (لهم ذكرا) بقبح
عواقب المعاصى فيدعوهم الى التوبة وكيف يكون وعيدا مجردا وهو يستلزم مخالفة
الحكمة (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن مخالفتها على انه (الملك) الذى لا بد له من جود
وسياسة ولا يكونان بالعكس لانه (الحق و) قد ظهر بهذا التعالى والملكية والحقية
فى هذا القرآن لمن لم يستعجل لذلك قيل لا صنى الناس فى اصفى الاوقات (لا تعجل بالقرآن من

قبل

اسفلها ثم يكاف مثل ذلك
(قوله عز وجل الصاخة)
يعنى يوم القيامة تصخ أى
تصم ويقال رجل أصخ
وأصلخ اذا كان لا يسمع
(قوله عز وجل الصمد)
يقال الصمد السيد الذى
يصمد اليه ليس فوقه
احد والصمد أيضا الذى
لا جوف له

* (باب الصاد المضمومة)

(قوله عز وجل صرهن
اليك) اى ضمهن اليك

قبل أن يقضى اليك وحيه) وكان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل فراغ جبريل من الوحى
(و) لاتكتف بالتأمل مع التأنى بل (قل رب) يامن ربانى بالوحى (زدنى علما) بالكشف عن
اسراره الغير المتناهية (و) لايكن عهدك بترك الاستعجال ولا بطلب زيادة العلم كعهد آدم فانا
(لقد عهدنا الى آدم) أن لايقرب من الشجرة ولايسمع من ابليس (من قبل) أى من قبلك فلا
يبعد ان ترثه منه (فنسى) العهد (ولم نجد له عزما) فى حفظه (و) اذكر لتحقيق ذلك (اذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم) لتكونوا مسخرين له قائمين بمصالحه (فسجدوا الا ابليس) لانه
(أبى) أن يكون مسخرا له بل أراد ان يعاديه (فقلنا) تنبيها له (يا آدم ان هذا عدو لك)
يريد افساد أمورك (ولزوجك) اذ فى افساد أمورها افساد أمورك وأجل وجوه الافساد
اخراجكما من الجنة (فلا يخرجنكما من الجنة) الى دار الابتلاء (فتشقى) بالابتلاء اذ يتمكن من
افساد أمورك باحواجك الى الاموال لتوقف حوائجك فى دار الابتلاء على تحصيلها من حرام
وحلال وليست تلك الحوائج فى الجنة (ان لك ألا تجوع فيها) فلا تحتاج الى الطعام الذى
يفتقر اليه فى قوام البنية (ولا تعرى) فلا تحتاج الى اللباس الذى يفتقر اليه فى ستر العورة
(وأنك لا تظمؤا فيها) فلا تحتاج الى الماء الذى يفتقر اليه فى هضم الطعام (ولا تضحى) فلا
تحتاج الى البيت الذى يفتقر اليه فى دفع الحر فلما رأى الشيطان أن عداوته لاتتم مادام فى
الجنة لعدم افتقاره الى الاموال التى تكتسب من الحلال والحرام حاول اخراجه منها
(فوسوس) أى حدث حديثا واصلا (اليه) أى الى ظاهره وباطنه (الشيطان) اذ (قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى التى يفيد أكل ثمرتها الخلد فى الجنة (و) على (ملك)
هو ازدياد القرب من الرب بحيث (لا يبلى) فضلا عن الزوال اذ هما شجرة الفناء شجرة الخلد
وسبب زوال الملك سبب دوامه بل سبب الخزى سبب القرب فاستمالهما ونسيا عهد ربهما
(فأكلا منها) فنزع عنهما الملك كل شئ حتى نزع لباسهما (فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت
لهما عوراتهما (و) لم يجدا لباسا آخر لذلك (طفقا) أى شرعا (يخصفان) أى يلزقان
(عليهما) بعضا (من ورق) أشجار (الجنة) فحصل لهما هذا الخزى بدل جاه الملك المخلد
وحصل لهما بدل شجرة الخلد هذه الاوراق الفانية عليهما من سائر أشجار الخلد التى يتجدد
أوراقها كلما سقط منها ورقة (و) افتضحا فضيحة أخرى معنوية اذ وقع بين الملائكة وأهل
الجنة انه (عصى آدم ربه) بارتكاب النهى وهو وان كان سهوا لكنه من تقصيره فى
حفظ العهد (فغوى ثم) انه لمزيد تذلله (اجتباه ربه) لتقريبه (فتاب عليه) لمحو سبب
بعده (وهدى) لمزيد أسباب القرب حتى تم اجتباؤه ومع ذلك ابتلاه وذريته بما يحصل مقصود
ابليس به اذ (قال) لآدم وحواء (اهبطا منها) أى من الجنة (جميعا) أى مجتمعين مع ابليس
اجتماعا فيه (بعضكم لبعض عدو) فالمرأة عدو الزوج فى الجائه الى تحصيل الحرام
والزوج عدوها فى انفاقه عليها وابليس يوقع الفتنة بينهما ويدعوهما الى أنواع المفاسد التى
لاترتفع الا باتباع الامر السماوى (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان تحقق اتيان هدى

ويقال املهن اليك
وصرهن بكسر الصاد
أى قطعهن المعنى خذ
أربعة من الطير فصرهن
أى قطعهن صورا قال أهل
اللغة الصور جمع الصورة
ينفخ فيها روحها فصيا
والذى جاء فى التفسير ان
الصور قرن ينفخ فيه
اسرافيل والله أعلم (قوله
عز وجل صواع الملك)
وصاع الملك واحد ويقال
الصواع جام كهيئة المكوك

منى من الدلائل العقلية والنقلية فى امر المعاش والمعاد (فمن اتبع هداى فلا يضل) بأخذ الفساد مكان الصلاح وبالعكس (ولا يشقى) بالتعب الدنيوى والعذاب الاخروى وكيف يشقى والهدى يلزمه ذكر الله المفيد له فى الدارين (ومن أعرض عن ذكرى) لاعراضه عن الهدى المذكر له ضل وشقى فى الدارين امافى الدنيا (فان له معيشة ضنكا) أى ضيقا اذ لاقناعة له ولا توكل فى أمر الرزق ولا رضا له فى أمر القضاء (و) أمافى الآخرة فلانا (نحشره يوم القيامة) الذى يتصور فيه عماه عن الآيات (أعمى قال رب لم حشرتنى اعمى) مع ان الاعادة انماتكون على وفق البداية (وقد كنت) فى البداية (بصيرا قال) بل كنت (كذلك) أى أعمى فى آياتنا اذ (أتتك آياتنا) بل تعاميت عنها بحيث ازلتها عن قلبك (فنسيتها و) هو سبب شقاوتك اذ (كذلك اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب ترك المنسى (و) لا يختص صورة العمى بمن عمى عن الآيات أو تعامى عنها بالاعراض بل (كذلك نجزى من أسرف) فبالغ فى النظر فى الآيات (و) لكن (لم يؤمن بآيات ربه) وكيف لا يجزى جزاءه فى العمى بهذه المبالغة فى النظر (ولعذاب الآخرة) فى حقه (أشد) من الاولى فهو أولى بالعمى (و) أقل وجوه الشدة فى حقه انه (ابقى) لانه لا يزول عند نضج الجلود قبل تجديدها بخلاف غير المعاند (أ) يصرون على انكارك الآيات بعد مصيرها فى حكم الضروريات (فلم يهد لهم كم أهلكنا) أى كثرة من أهلكنا (قبلهم) فعلوا بذلك استمرار سنة الله الماضية لافى حق الآحاد بل (من القرون) لا بطريق الامراض بل حين (يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات) أى دلالات على ان من سنة الله تعذيب المعرض عن آيات الله والمعاند فيها وصدق الرسل والامور الاخروية لكنها انما تحصل (لاولى النهى) أى أرباب النهاية فى الهداية ثم اشار الى أن مقتضى انتهاء الآيات الى الضروريات المؤاخذة على الفور (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (لكان) العذاب (لزاما) لهم لكنه مانع من كفر من بعدهم فيمنع من مل ء جهنم (و) كذلك لولا (اجل مسمى) وهو الموت ليكثروا المعاصى فيكثر عذابهم لكان أيضا لزاما (فاصبر) الى وقت الوعد (على مايقولون) من انك لكذبك جعلت العذاب أخرويا (وسبح) ربك من أن يكذبك فى وعده تسبيحا مقرونا (بحمد ربك) على ظهوره بالجمال والجلال وبالتفريق بين المحسن والمسىء واجعل ذلك فى الصلاة لتزداد وصلة تزداد اعداؤك انقطاعا (قبل طلوع الشمس) وقت توقع الظهور وهو صلاة الفجر (وقبل غروبها) وقت توقع البطون وهو صلاة العصر عن تقييده بظهورا وبطون (ومن آناء) أى بعض ساعات (الليل) وقت ابتداء البطون أو كماله وهو المغرب والعشاء (فسبح) عن محض البطون (و) سبحه (أطراف) أى ملتقى أطراف (النهار) وهو صلاة الظهر عن التقييد بالمظاهر (لعلك ترضى) بكمال المعرفة الموجبة للصبر على مايظهر ويحتجب وبكمال وصالك وانقطاع اعدائك (و) اذا حصل لك مايرضيك من المعارف والوصول الى الله (لاتمدن عينيك) ناظرتين (الى مامتعنا به أزواجا) أى طوائف (منهم) فانه ينافى الرضا

بالمعارف

من فضة وقرأ يحيى بن يعمر صوغ الملك بغين معجمة يذهب الى انه كان مصوغا فسماه بالمصدر (قوله عز وجل الصدفين) والصدفين ناحيتى الجبل (قوله عز وجل ساوى بين الصدفين) ويقرأ الصدفين أى ما بين الناحيتين من الجبلين (قوله عز وجل صنعا) وصنيعا أى عملا والصنع والصنيع والصنعة بمعنى واحد (قوله عز وجل

بالمعارف وبالوصول الى الله تعالى وهو رضا بمشاركة أهل الضلال والغضب ولا ينافي ذلك ماوعدناهم من ضنك العيش لان غاية أمرهم انا اعطيناهم (زهرة) أى زينة (الحيوة الدنيا) والزينة سيما الدنيوية تتضمن المشاق العظيمة الموقعة فى الضيق ولايخلو صاحب المال عن ضيق خوف التلف على يد الظالم أو السارق أو بوجه آخر ولو سلم عن ذلك فهو أيضا عين الضيق لمن نظر بعين الحقيقة لانا انما اعطيناهم اياها (لنفتنهم) أى نختبرهم كيف يتصرفون (فيه) أعلى النهج المشروع وفيه الضيق الحسى أم لا وفيه ضيق استيجاب العذاب (و) لو خلا عن هذه الامور فهو ضيق أيضا لانه الاشتغال بالعالم المحسوس الذى هو أضيق من العالم الروحانى لذلك (رزق ربك) المعنوى للارواح (خير) من الحسى لعظمته (وابقى) لبقاء الروح المغتذى به بخلاف البدن المغتذى بالرزق المحسوس فانه وان تقوى به مدة فلا بقاء له (و) لكون المعنوى خيرا وأبقى (أمر اهلك) اهل الكمال المستعدين لاستفاضة الرزق المعنوى (بالصلوة) الجاذبة لها (و) ان وجدتها مانعة من طلب الرزق المحسوس (اصطبر) عن المحسوس (عليها) وليس ذلك ايقاعا للنفس فى التهلكة اذ (لا نسئلك) أى لا نكلفك تكليفا نسأل عنه ان تطلب (رزقا) لمنافاته تكليفنا اياك بالصلاة ولا يبطل التكليف بالصلاة بعدم الاستطاعة عليها بدون الرزق اذ (نحن نرزقك و) لو طلبت الرزق بترك الصلاة فلا عاقبة له اذ (العاقبة للتقوى) التى من اعظم وجوهها الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاما ان يذهب سريعا أو يوجب عقوبة آخروية (وقالوا) حين سمعوا ورزق ربك خير وأبقى الى قوله والعاقبة للتقوى (لولا يأتينا بآية) تدل على ماذكرتم بعلم أنها (من ربه) لنحصله ونترك من أجله الاموال واللذات العاجلة (أ) لم تأتهم الآيات الكثيرة (و) لو انكروها فكيف ينكرون اعجاز القرآن فيقولون (لم تأتهم) كلام معجز هو (بينة) أى شاهد صدق (مافى الصحف الاولى) التى لا اعجاز لها فلا بد لها من مصدق هى معجزات الاولين فى أزمنتهم فاذا بطل تواترها كان هذا المعجز بينة تلك الكتب ولا ينافى ذلك استدلالنا بها على صدقه لان ذلك باعتبار انها مقبولة لطائفة وهذا باعتبار نفس الامر (و) لو أرادوا الآية الملجئة فلا يلجئهم سوى الاهلاك لكنا (لو أنا أهلكناهم بعذاب) يلجئهم الى الايمان (من قبله) أى من قبل غير الملجئة (لقالوا ربنا) انك وان لم يجب عليك شئ لكن مقتضى ربوبيتك ارسال الرسول (لولا أرسلت الينا رسولا) بآيات غير ملجئة (فنتبع آياتك من قبل أن نذل) فلا يكون لايماننا عزة لزوال الاختيار (ونخزى) بالعذاب فان زعموا ان غير الملجئة يحتمل الكذب فان صدقت عذب المنكر والا فالمفترى (قل) حاصل هذا الكلام (كل متربص) على صاحبه العذاب (فتربصوا) على صاحب الآيات مع استقامته دون المكذبين حتى تأتيهم الآية الملجئة فلابد من اتيانها (فستعلمون) عند اتيانها المانع من الانتفاع بالايمان (من أصحاب الصراط السوى) هل هم الانبياء والاولياء أو العلماء والآباء الاغبياء (ومن اهتدى) هل هو المقتدى بالانبياء او الآباء ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

وهى تمزمز السحاب صنع الله) أى فعل الله

(باب الصاد المكسورة)

(قوله عزوجل الى صراط مستقيم) أى طريق واضح وهو الاسلام (قوله صبغة الله) أى دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها (قوله عزوجل صر) أى برد شديد (قوله عزوجل صديقا) أى كثير الصدق كما يقال سكيت وسكير وشريب اذا كثر ذلك منه

(سورة الانبياء)

سميت بهم لاشتمالها على فضائل جليلة لجماعة منهم (بسم الله) المتجلى بجلاله الموجب لحجاب الغفلة وجماله الموجب اتيان الذكر المحدث (الرحمن) بوضع الحساب (الرحيم) بانزال الذكر (اقترب) من تقريب الاعمال (للناس) الذين نسوا حساب الاعمال (حسابهم) السيئ (و) لا يتذكرون مانسوا اذ (هم) غرقى (فى) بحر (غفلة) لايريدون الخروج لانهم (معرضون) عن دواعيه وهى الذكر فانه (ماياتيهم من ذكر) به شرف الاعجاز وجميع الفوائد لكونه (من ربهم محدث) عندهم ليجدد لهم التذكر (الا استمعوه) ايهاما التذكرهم (و) لكن لم يتذكروا به اذ (هم يلعبون) وانما لعبوا مع كثرة زواجره لكونهم (لاهية) أى ذاهلة (قلوبهم) عن التفكر المفضى الى التذكر (و) لكن يتفكرون فى دفع الرسالة والاعجاز اذ (أسروا) أى بالغوا فى اخفاء (النجوى) بالقاء الشبه ليفاجؤا بها الضعفاء تحقيقا لعجزهم عن التفصى عن شبهاتهم مع علمهم بسطلانها الانهم (الذين ظلموا) أنفسهم وضعفاءهم بالقائها اذ يقولون (هل هذا الا بشر مثلكم) وارسال احد المثلين دون الآخر ترجيح بلا مرجح وهو محال فليست معجزاته غير السحر (أ) تتوهمون الاعجاز (فتأتون السحر) منقادين له عن الالتباس (وانتم) يمكنكم التمييز بينهما بان المعجز هو الذى بلغ الى حد الالجاء ومالم يبلغ فهو من السحر وهذا ظاهر كانكم (تبصرون قال) للمبالغين فى اخفاء هذه الشبهة ليفاجؤا بها الضعفاء لايمكنكم المناجاة بها اذ (ربى يعلم القول) أى كل مايقال (فى السماء) العالم العلوى (والارض) السفلى وكيف لايعلمه (وهو السميع) ويعلم مافيه ومايترتب عليه لانه (العليم) فلا يبعد ان تظهر هذه الشبهة على من تخفونها عنهم مع حلها قبل مفاجاتكم فيبين لهم انكم انما قلتم بسحريته لغاية حسنه فلا يقولون به (بل قالوا) انه فى غاية القبح لانه (اضغاث أحلام) أى اختلاطات عقول فيقال انه كلام متين لايشبه كلام المجانين فلا يقولون به (بل) قالوا (افتراه) فيقال لم يجرب عليه الكذب فلا يقولون به (بل) قالوا (هو شاعر) فيقال ليس كلامه كلام الشعراء فيقولون كيفما كان فليس بمعجز (فليأتنا بآية) من آيات الاولين ليكون بها رسولا (كما أرسل الاولون) فيقال انما أوتى آية غير آياتهم لانه (ما آمنت قبلهم من قرية) أرسل اليها أولئك الرسل بتلك الآيات حتى (أهلكناها) وهؤلاء لم يؤمنوا الاعظم منها (أ) تنزل لايمانهم احدى تلك الآيات مع دونها (فهم يؤمنون و) كيف يؤمنون مع بقاء شبهتهم استحالة ارسال البشر وان كان له آية ملجئة من اهلاك المكذبين من أمم الاولين فانا (ما أرسلنا قبلك الا رجالا) وكيف تنافى البشرية الرسالة مع انه لايشترط فيها نزول الرسل من السماء بل يكفى فيهم انه (نوحى اليهم) بارسال الملك اليهم فان التبس بالشيطان عليكم (فاسئلوا اهل الذكر) أى الشرف من علماء الامم (ان كنتم لاتعلمون) الفرق لقصور نظركم (و) لايشترط فى نزول الملائكة عليهم خروجهم عن البشرية بالكلية لانه اما الى الجماد وهو باطل لانا (ماجعلناهم جسدا) جماديا بحيث (لاياكلون الطعام) فان الجمادية تبطل المناسبة بالملائكة فلا يكمل بترك الطعام مناسبتهم (و) اما الى كمال الحياة

بحيث

(قوله صنوان) نخلتان ونخلات يكون أصلها واحدا (قوله عز وجل وصبغ للآكلين) الصبغ والصباغ مايصطبغ به أى يغمز فيه الخبز ويؤكل به (قوله عز وجل صهرا) قرابة النكاح

(باب الضاد المفتوحة)

(قوله عز وجل ضربتم فى الارض) أى سرتم فيها وقيل تباعدتم فيها (ضرر) أى زمانة ومرض

بحيث ينافى الموت لكنهم (ما كانوا خالدين) وانما اشترط فيها دلائل الصدق فصدقناهم بالمعجزات (ثم صدقناهم) تأكيد التصديق المعجزات (الوعد) باهلاك اعدائهم ويدل عليهم انجاؤهم (فانجيناهم) مع مخالطتهم للهالكين (ومن نشاء) من المؤمنين (و) لم نجعل أمر المسرفين على المشيئة بل (أهلكنا المسرفين) من غير استثناء وان زعمتم ان فى ترك الاسراف تذللا قيل (لقد أنزلنا اليكم كتابا) جامعا للعلوم (فيه ذكركم) أى شرفكم الذى تذكرون به فوق شرف الاسراف (ا) تطلبون الشرف فى الاسراف دون جمع العلوم (فلا تعقلون) كيف (و) الاسراف يستوجب القهر لذلك (كم) أى كثيرا (قصمنا) أى قهرنا (من قرية كانت ظالمة) بالاسراف (و) لم يكن ذلك اسرافا منا باتلاف ملكنا بلا شئ اذ (أنشأنا بعدها قوما آخرين) فكانت استبدالا بالشئ الردى جيدا والدليل على رداءتهم انهم مثل الحيوانات العجم فى الانهماك على الشهوات والفرار من الاذيات ولو فى الشئ المشتهى لهم فانهم لم يزالوا راغبين فيما أسرفوا فيه ماداموا مسرفين به (فلما احسوا بأسنا) أى أبصروا عذابنا على اسرافهم فيما أترفناهم (اذاهم منها يركضون) أى يسرعون الهرب من النعم التى أسرفوا فيها اسراع الدواب عند ركضها فلا يمكنهم الهرب اذ يقال لهم (لاتركضوا) فانه لا ينجيكم (وارجعوا الى ما اترفتم) أى متعتم فاسرفتم (فيه ومساكنكم) التى كثر فيها اسرافكم (لعلكم تسئلون) ما الذى الجأكم الى الاسراف فيها ولعلكم يحضركم جواب لايحضر بالغيبة فينجيكم من عذاب الله (قالوا) لاجواب لنا ينجينا الان ندعو الويل (ياويلنا) تعال الينا فهذا مكانك لاسرافنا (انا كنا ظالمين) بهذا الاسراف ظلما لم يبق لنا جوابا ينجينا ولا يختص هذا بوقت الدهشة بل يدوم عليهم ما أمكنهم النطق (فمازالت تلك) الكلمة (دعواهم) يتمسكون بها للنجاة اذ فيها الاعتراف بالذنب وهو قد يكون سببا للعفو ولكنها لم تفدهم (حتى جعلناهم حصيدا) أى كنبات محصود بل (خامدين) باخماد نار ارواحهم فاذا لم يفدهم فى الامر الدنيوى فكيف فى الامر الاخروى (و) كيف نترك سؤالهم عما انعمنا عليهم مع انا (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) بل للانعام عليهم وما انعمنا عليهم بذلك الالتستعملوهم اعمالا تستعقب تجليات لطيفة أو قهرية ولا دلالة فيها على توليدنا اربابا فانه مستحيل فى حقنا الافتقاره لى اجتماع المرأة ولا يليق بنا لو امكن فى حقنا بل حينئذ (لو أردنا أن نتخذ) ولدا يقتضى (لهوا) لم نحصله به بل (لاتخذناه من لدنا) بلا واسطة امرأة (ان كنا فاعلين) لنا ولدا لكن الفعل يقتضى الحدوث المانع من مناسبتنا وليست كمالاتهم من ظهور سر والديتنا فيهم (بل نقذف بالحق) أى نلقى نور التجلى باشراق الوجود الحق (على) الوجود (الباطل) الذى هو العرض العام للاشياء ولا بقاء للاعراض لكنها تتجدد بحدوث الامثال وهذا مانع منه (فيدمغه) أى يضرب على دماغه الذى هو محل علومه (فاذا هو زاهق) بالفناء فى الله والبقاء به زهوق الروح (و) ليس ذلك بالهية ولا والدية له بل (لكم الويل مما تصفون) المظاهر بصفات الالهية من ظهر فيها (و) لكن لاظهور لتلك الصفات بمظاهر الاجسام اذ (له) عبيد (من فى السموات والارض و) لا

(قوله عز وجل ضراء) ضر أى فقر وقحط وسوء حال واشباه ذلك الضر ضد النفع (ضيق) تخفيف ضيق مثل ميت وهين وابن تخفيف ميت وهين ولين وجائز أن يكون مصدرا كقولك ضاق الشئ يضيق ضيقا وضيقا وضيقة (قوله عز وجل ضربنا على آذانهم فى الكهف) أى أنمناهم وقيل منعناهم السمع (قوله عز وجل ضنكا)

فى المجردات والا استكبرت عن عبادته لكن (من عنده) بقوة تجرده الموجب مزيد المناسبة معه (لا يستكبرون عن عبادته و) لا يتركونها كسلا بل (لا يستحسرون) أى لا يعيون عن عبادته وقت التجلى بل (يسبحون الليل والنهار) الاسم الباطن والظاهر ان يتقيدا بمظاهرهما (لا يفترون) عن التنزيه وان كانوا لايزالون يزدادون مراتب بتجليهما هل اتخذوهم آلهة عند التجلى الذى لايزالون ينزهون فيه (أم اتخذوا آلهة) محجوبين بالحجاب الظلمانى لكونهم (من الارض) اذ يعتقدون فيهم انهم (هم ينشرون) أى يخرجون مافى العدم الى الوجود لكن تعدد الآلهة مانع من النشر فانه (لو كان) يتصرف (فيهما) أى فى السماء والارض (آلهة) متعددة بل واحد قاصر (الا الله) أى غيره (لفسدتا) أى بقيتا على العدم لانه لو استغنى عنهما لم يكن النشر لهما ولا لاحدهما وان احتيج الى كليهما لم يستقل أحدهما بدون الآخر فكانا قاصرين ولا يصلح النشر وان احتيج الى أحدهما دون الآخر كان المحتاج اليه هو الناشر دون الآخر واذا كان التعدد والقصور مانعين من النشر (فسبحان الله) ان يشارك فى الايجاد بل هو منفرد به لاتصافه بغاية الكمال لاختصاصه بوصف (رب العرش) المحيط بالاشياء احاطة تقتضى احاطته بالكمالات فلا بد من تنزهه (عما يصفون) من النقائص التى من جملتها المشاركة فى الايجاد وهذا الوصف منهم وان كان بايجاده اياه فيهم (لا يسئل عما يفعل) لانه بحسب استعدادات حقائق الاشياء (وهم) وان توهموا بذلك كونهم مجبورين (يسئلون) لانهم لم يجبرهم الله بالحقيقة وانما يجبرهم استعداداتهم فان زعموا انه وان تنزه عن مشاركة من يساويه فلا يتنزه عن مشاركة من دونه فيقال لهم هل اتخذوا آلهة يساوونه (ام اتخذوا من دونه آلهة) لان الالهية تقبل التفاوت (قل هاتوا برهانكم) العقلى على قبولها التفاوت فان زعموا انه نقلى فلا يعتبر فى النقل الا ما ظهر شرفه وهو الكتب السماوية وقد اجتمعت فى كتابك فهو الجامع لشرف الكل (هذا ذكر من معى) من الصحابة (وذكر من قبلى) من امم الانبياء ولاشرف لكلام الآباء (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) الذى به الشرف فان أمروا بالنظر ليحصلوا هذا الشرف (فهم معرضون و) كيف يكون لكلامهم الشرف وقد قابلوا كلام الشرفاء الذين قالوا بالتوحيد الذى هو اتم وجوه الشرف سيما الانبياء فانه (ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا) وكيف لا نرسل بذلك وهو يدعوهم الى العبادة كانه يقول أنا المستحق للعبادة (فاعبدون وقالوا) قد اوحى الله الى بعض الرسل ما يدل على الشرك وهو انه ورد فى الانجيل انه (اتخذ الرحمن ولدا) فيقال لهم ليس على ظاهره لوجوب أن يسبح الله (سبحانه) الكامل (بل) معناه انهم مع حدوثهم الدال على انهم (عباد) هم (مكرمون) باطلاق لفظ الولد عليهم مجازا ويدل على بقاء عبوديتهم ومع هذا الاكرام انهم (لا يسبقونه بالقول) فلا يقولون ما لم يقل رعاية لادب العبودية (و) مراعاتهم لها فى الافعال اظهر اذ (هم بامره يعملون) وكيف يخرجون عن عبوديته مع احاطته بهم لانه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم و) كيف يخرجون عن عبوديته ولا يقدرون على ادنى وجوه معارضته لانهم

(لا

أى ضيقا (قوله ضللنا فى الارض) أى بطلنا وصرنا ترابا فلم يوجد لنا لحم ولا دم ولا عظم ويقرأ صللنا أى أنتنا وتغيرنا من قولك صل اللحم وأصل وصن وأصن اذا أنتن وتغير (قوله ضنين) شحيح بخيل (ضريع) نبت بالحجاز يقال لرطبه الشبرق

(باب الضاد المضمومة)

(قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة والمسكنة)

(لايشفعون الالمن ارتضى) اذ الشفاعة لغير المرتضى نوع معارضة معه وكيف يعارضونه (وهم من خشيته) أى قهره (مشفقون) خائفون وكيف لايخافون قهره فى شفاعة من لايرتضيه وهو يشبه دعوى الالهية مع الاعتراف بالدونية (ومن يقل منهم) أى من العباد المكرمين بانواع من الكرامات (انى اله) لابطريق الفناء فيه والبقاء به بل مع الاعتراف بكونه (من دونه) فضلا عن دعوى المساواة أو الفوقية (فذلك) وان بلغ من الاكرام ما بلغ (نجزيه جهنم) فنقلب اكرامه اذلالا لانه استهان برتبة الالهية بجعلها للدون فصار ظالما فاستحق الجزاء بها اذ (كذلك نجزى الظالمين أ) يزعمون انهم وان كانوا بهذه الصفات فليسوا بعباد بل هم أولاد اذ كثيرا مايتصفون بها (ولم ير الذين كفروا) بجعل عباده اولاده أن الولادة ليست بحسب الاكرام بل بحسب الفتق والرتق وافاضة الماء وهذا الاعتبار يوجب كون كل نبات وحيوان أولاد الله تعالى وكأنهم لم يروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) ينضم بعض اجزائهما الى بعض بحيث لايخرج منهما شئ (ففتقناهما) باخراج الماء والنبات (و) ان زعموا ان الهيتهم باحيائهم فغايتهم انهم سبب فيضانها كالماء فانا (جعلنا من الماء كل شئ حى أ) ينسبون الاحياء اليهم لابطريق السببية (فلا يؤمنون) بمن هو محى بالحقيقة (و) ان جعلوا الالهية بالارتفاع فقد (جعلنا فى الارض رواسى) فان قالوا يمنع الهيتها عدم تأثيرها قيل لهم انها مؤثرة لانها تمنع الارض (أن تميد) أى تتحرك فتضر (بهم و) ان زعموا أن التأثير المعتبر هو التأثير بالهداية فهو موجود فى الجبال اذ (جعلنا فيها فجاجا) أى سككا واسعة لتصير (سبلا) وهى وان لم تكن موصلة الى الحق تفيد اعتبار سبل الوصول اليه بطريق المقايسة (لعلهم يهتدون) لسبل الوصول الى الحق (و) ان زعموا ان الالهية بغاية العظمة أو البقاء انتقض بالسماء فقد (جعلنا السماء سقفا) للارض كلها (محفوظا) مع شدة الحركة عليها ثم أشار الى أن ظهور هذه الامور فيها ليس لالهيتها بل للدلالة على الهية من ظهر فيها بهذه الامور (وهم عن آياتها معرضون و) لو كان الظهور دليل الالهية لكان الليل والنهار الهين بظهور اسم الباطن والظاهر فيهما لكنه باطل لسرعة زوالهما فتعين ان الله (هو الذى خلق الليل والنهار) كيف (و) قد خلق منشأهما اذ جعل (الشمس والقمر) ويدل على جعلهما دوام تغيرهما بالحركة التابعة لحركة الغير اذ (كل فى فلك) هو خارج المركز أو التدوير (يسبحون) فى الفلك الممثل أو الحامل فنى حركته تبعيته من جهات (و) ان سلم ان البقاء يدل على الالهية فلا بقاء لعيسى لانه وان طالت حياته فهو بشر (ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فلا بد له من الموت بعد النزول فان استثنى من لحق بالملائكة أو من خص بمزيد القرب من الله فمحمد اولى بذلك (أ) يخرجون من هذا الاستقراء من جعلوهم آلهة دونك (فان مت) مع كمال ملكيتك وقربك (فهم الخالدون) لايكون كذلك بل (كل نفس) وان طالت حياتها ولحقت بالملائكة أو خصت بمزيد القرب من الله (ذائقة الموت) كيف (ونبلوكم) أى نكلفكم (بالشر) فننهاكم عنه (والخير) فنأمركم به (فتنة) اى اختبارا هل تنقادون لنا فى أمرنا ونهينا وهو انما يتم عندمن يعتقد جزما رجوعه

أى ألزموها والذلة والذل والمسكنة فقر النفس لا يوجد يهودى موسر ولا فقير غنى النفس وان تعمل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز ضعف) وضعف لغتان وقيل ضعف بالضم ما كان من الخلق وضعف ما ينتقل

(باب الضاد المكسورة)

(قوله جل وعز ضغث) مل‌ء كف من الحشيش والعيدان (ضعف) الشئ مثله ويقال مثلاه

اليناوهو انما يحصل بوقوعه وهو مترتب على الموت فيموتون (والينا ترجعون و) استبعاد بقائهم
مع موتك انما يعتقده من يؤمن بفضلك على من جعلوهم آلهة لامن كفر بك فانه (اذا رآك
الذين كفروا) برسالتك فضلا عن فضلك على آلهتهم (ان يتخذونك الاهزوا) أى محل مضربة
فيجعلونك أهون الاشياء فاذا ادعيت التفضل على آلهتهم قالوا (اهذا الذى يذكر آلهتكم)
بالاستهانة (وهم) أولى بالسخرية فى ذلك اذ (بذكر الرحمن) أى بذكر المؤمنين اياه (هم كافرون)
اذلا يؤمنون بعموم رحمته بل يجعلون آلهتهم شركاءه فى الرحمة وقد بالغوا فى هذا الكفر
بحيث لايبالون فى مقابلته بالدلائل العقلية ولا النقلية بل يريدون الملجئة ولا يلجئهم سوى
الاهلاك فيستعجلونه ليحصل لهم آياته فيقال لهم (خلق الانسان) عجولا فى كل شئ حتى فى
الشركاء (من عجل سأريكم) بعد موتكم (آياتى) على عموم رحمتى وقدرتى وصدق رسلى وانما
اخرته الى ذلك لانى جعلت له وقتا معينا فلا تقدم عليه باستعجالكم (فلا تستعجلون و) اذا
منعوا من استعجاله عن الوقت المعين له (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين)
فى انه يوجد فى وقته المتعين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا) وقت ذلك العذاب اعنى (حين
لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) اى اشرف اعضائهم وأقواها
بواسطة الشرف والقوة لا يتأتى لهم هذا الدفع بانفسهم (ولاهم ينصرون) بدفع الغير عنهم
لاخروا الايمان الى ما يقرب من ذلك الوقت فيصرون على الكفر الى زمان قربه فيصير هذا سببا
للاصرار على الكفر فينقلب مقصود الدعوة فلا وجه لاعلامهم لذلك (بل) ابهامه ربما يدعوهم
الى ترك الاصرار فان اصروا (تأتيهم بغتة) أى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم لانهم ان أرادوا الصبر
عليها لم يقدروا عليه وان أرادوا ردها الى الايمان (فلا يستطيعون ردها) بسبب من الاسباب
(و) ان استمهلوا للايمان (لاهم ينظرون) لتمام مدة الانظار قبله (و) اذا سمعوا ذلك استهزؤا بك
وهو لا يدفع عنهم ذلك بل يزيد العذاب الاخروى وربما يضم اليه الدنيوى أيضا فانه (لقد
استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط فوق احاطة عذاب مجرد الكفر (بالذين سخروا منهم)
بعدما كفروا عذاب (ما كانوا به يستهزؤن) وهو زيادة العذاب الاخروى مع العذاب الدنيوى
فلا يبعد ان يحيط بهؤلاء مثل ما أحاط بامثالهم وان استبعدوا اتيان العذاب بغتة (قل من
يكلؤكم) أى يحفظكم (بالليل) وقت الغفلة (والنهار) وقت التيقظ (من الرحمن) ان يفجأكم
بالعذاب ولا يمنع من ذلك عموم رحمته اذ بتعذيبكم يعتبر أهل عصركم ومن بعدهم فيكون سببا
لاصلاح أمورهم الموجب لرحمته عليهم ولا يغترون فى ذلك بعموم رحمته حتى يرجى منعها عن
ذلك (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) اهم يمنعون عذابنا بأنفسهم (أم لهم آلهة تمنعهم) عذابنا
لانهم يجعلون (من دوننا) أى بمكان قريب منا لكنهم لو وقع على انفسهم (لا يستطيعون نصر
أنفسهم) كيف (ولاهم منا) أى معنا (يصحبون) فضلا من أن يكون لهم منا قرب وليس حقيقة
أمنهم من الاعداء على نصر آلهتهم وقربها من ربهم (بل) انما أمنوا لانا (متعنا هؤلاء وآباءهم)
بالامن والحفظ (حتى طال عليهم العمر) فلم يروا فيه فجأة عذاب فانكروه (أ) يظنون انا نتركهم

(قوله ضعف الحياة وضعف
الممات) أى عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة والضعف
من اسماء العذاب ومنه
قوله تعالى لكل ضعف
(قوله جل وعز ضيزى) أى
ناقصة ويقال جائزة ويقال
ضازه حقه اذا نقصه
وضاز فى الحكم اذا جار
فيه وضيزى وزنه فعلى
وكسرت الضاد للياء وليس
فى النعوت فعلى

على ذلك (فلا يرون انا نأتى الارض) ارضهم (ننقصها من أطرافها) بتغليب المسلمين مع ضعفهم عليها (أ) يعتقدون مع ذلك غلبتهم علينا (فهم الغالبون) علينا وقد غلبهم ضعفاء المؤمنين فان زعموا ان الله تعالى لم يزل حفيظا لنا ولا يأتينا فمن أين تخوفنا بفجأة عذابه الخالد (قل انما انذركم) بفجأة العذاب الخالد (بالوحى) المشتمل على بيان الحكمة فيه (ولا يسمع الصم الدعاء) أى دعوة المنذرين (اذا) أى وقت (ما ينذرون) لا وقت مسه (و) لكن والله (لئن مستهم نفحة) أى رائحة (من عذاب ربك) لا يمكنهم ترك الالتفات به بل (ليقولن يا ويلنا) تعال الينا لظلمنا (انا كنا ظالمين و) هم وان ظلموا مع ضعفهم لا نظلمهم مع قدرتنا بل (نضع الموازين) التى يعرف بها مقادير الاعمال (القسط) التى لا تتجاوز الى افراط ولا تفريط (ليوم القيامة) الموضوع للقسط وان لم نضعها بكمالها قبل ذلك (فلا تظلم نفس) بترك الوزن (شيا) بنقص ثواب او زيادة عقاب (و) لا نترك احضار العمل فانه (ان كان) العمل (مثقال حبة من خردل) أى مقدار وزنها (أتينا بها) أى احضرناها لنحاسب عليها صاحبها (و) لا يعسر علينا حساب الجمع الكثير ولا نحتاج فيه الى الغير ليتصور منه الظلم بل (كفى بنا حاسبين و) كما نأتى بخرادل الاعمال نأتى بخرادل نكاتها ولا بعد فى ذلك فانا (لقد آتينا موسى) اصالة (وهرون) تبعية (الفرقان) أى المبالغ فى الفرق بين الاشياء الذى لا يكون الا بتدقيق النظر (و) قد لا يدرك بالنظر فيحتاج الى الكشف فآتيناهما (ضياء) هى أنوار الكشف (و) انما آتيناهما ذلك ليذكرا الخلق (ذكرا) نافعة (للمتقين) وانما كانت نافعة لهم لانهم (الذين يخشون ربهم) الذى رباهم بدقائق الحكمة ان يؤاخذهم بدقائق نكت لا يطلعون عليها الا انه يؤاخذ (بالغيب و) لذلك (هم من الساعة) التى هى من الغيب (مشفقون و) اذا كان انهما هذا الانذار قبلى فليس انذاري ببدعة بل تكميل لانذارهما اذ (هذا ذكر مبارك) أى كثير الفوائد اذ (أنزلناه) من مقام عظمتنا (أ) لا ترون فيه ذلك (فانتم له منكرون) بحيث لا تجعلون ادنى مناسبة معه توجب الايمان به ويمكن ان يقال من كونه ضياء صار منيرا لقلوب المتقين حتى ذكرها ما كمن فيها فكوشف لها عن ذلك من ابقائها باطب الظلمانية فازداد معرفتها حتى ازداد خشيتها من الله لانه كوشف لهم من مكاشفة غيبية فكوشف لهم عن الساعة مكاشفة شهودية فازدادوا اشفاقا منها وهذا كتاب افاد كشفا اتم من ذلك لكونه منزلا من مقام عظمتنا اتنكرون مزيد كشفه بل مساواته له بل مقاربته فانتم له منكرون (و) لا يبعد ان يكون ما اوتى بعض الانبياء أكمل مما اوتى البعض الآخر فانا (لقد آتينا ابراهيم رشده) المخصوص به (من قبل) أى من قبل موسى وهرون فلم يكن ارشادهما بدعة حتى يكون ارشادى بدعة بعد أخرى (وكنا به) أى بمقدار كمال استعداد ابراهيم (عالمين) بحيث لا يحيط به علم غيرنا فلا بد ان يكون رشده اكمل فى اقامة الادلة ورفع الشبه وبيان الحقائق ورعاية الدقائق والاتيان بالكشف (اذ قال لابيه) تربية له بالرشد (وقومه) صلة لهم فى الانقاذ من الضلال (ما هذه التماثيل) أى الصور الحقيرة الخالية فى انفسها عن الارواح المؤثرة وان تعلق ببعضها الشياطين فليس فى تأثيرها فائدة بل هى عين

(باب الطاء المفتوحة)

(طاغوت) أصنام والطاغوت من الانس والجن شياطينهم يكون واحدا و يكون جمعا (قوله طوعا) أى انقيادا بسهولة (قوله عز وجل طولا) أى سعة وفضلا (طبع) ختم (قوله عز وجل فطوعت له نفسه) أى شجعته وتابعته ويقال طوعت فعلت من الطوع يقال طاع له كذا أى اتاه طوعا ولسانى لا يطوع

المضرة (التى انتم لها) اى لعبادتها (عاكفون) مقيمون كأنه يستمر لكم منها الفوائد (قالوا) انه وان لم يظهر لنا فوائدها لكن لها فوائد فى الواقع لانا (وجدنا آباءنا لها عابدين) وقد علمنا من كمال عقولهم انهم لا يتذللون غاية التذلل الا لمن كثر منه الفوائد (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم) متوهمين انها تفيد فوائد من هى صوره من الملائكة والصالحين وان تأثيرات الشياطين المتعلقة بها فوائد لها فكانوا (فى ضلال مبين) فان الصورة المنقوشة على الجدران لا تفيد فوائد ما هى صوره وان تأثيرات العدو ابعد من الفوائد (قالوا أجئتنا) رسولا (بالحق) بين اناضلال العقلاء (أم أنت) فى دعوى الرسالة ونسبتهم الى الضلال (من اللاعبين قال) لا ألعب فى اعتقاد الربوبية (بل) اعتقادكم الهية هذه التماثيل يشبه فعل اللاعب اذ (ربكم) الذى جمع فيكم اسرار العالم لا يكون شيأ من اجزائه بل انما هو (رب السموات والارض) لا من يحركها من أرواح الكواكب بل (الذى فطرهن و) لست أقول ذلك بالظن والتخمين أو بدلائل يمكن معارضتها أو نقضها أو مناقضتها بل (انا على ذلكم من الشاهدين) أى العالمين به بطريق الكشف الذى لا احتمال فيه لشئ من ذلك (و) لا احتاج فى ذلك الى اقامة دليل بل يكفى اظهار غاية عجزها دليلا على عدم الهيتها لكن اظهارها صعب (تالله لأكيدن) أى لأحتالن فى ان افضح (أصنامكم) باظهار غاية عجزها الكلى عاجز عن هذا الاظهار لحضوركم فافعله (بعد أن تولوا) وجوهكم الى مكان العيد (مدبرين) عنها الاينأتى لكم الالتفات الى ما يفعل بها قاله لضعفاء قومه لينفروا الباقين (فجعلهم جذاذا) أى قطعا ليعلموا انها لا تصل الى هذا الحد فهو عجزهم فى الدفع عن أنفسهم فتوقع عابدهم الدفع عن نفسه غاية السفه (الا كبيرا) يزعمون انه انفع (لهم) استثناه ليوهمهم انه ربما رجوعهم اليه (لعلهم اليه يرجعون) فيسألونه لم فعل بآلهتهم فاذا اظهر عجزه عن النطق فمن دونه اعجز منه فى ذلك فضلا عن الدفع الذى أظهر عجزهم فيه فرجعوا فاتوا بيت الاصنام فوجدوها جذاذا (قالوا من فعل هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) وهو معهم اشد منه معنا (انه لمن الظالمين) المستحقين لان يفعل به اشنع مما فعل (قالوا) أى الذين سمعوا مقالته لم يذكروها أولا لقلة مبالاتهم به (سمعنا فتى) لم يستكمل العقل (يذكرهم) لم يذكروا صريح مقالته تنزها عنها اورعاية لجانب أصنامهم لاستزاءه به اذ أظهروا اسمه العلم بقولهم (يقال له ابراهيم) فبلغ ذلك نمرود واشراف قومه (قالوا فأتوا به) انتقش صورته (على اعين الناس لعلهم يشهدون) على عينه فلما اتوا به (قالوا أأنت) بنفسك (فعلت هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) فنفعل بك اشنع منه (يا ابراهيم قال) مقتضى عبادتكم لها ان لا تعتقدوا اقدرتى عليها (بل) مقتضى اعتقادكم فيها أن تعتقدوا انه (فعله كبيرهم) من غضبه ان يعبد معه الصغار (هذا) فان ترددتم انه فعلى أو فعله (فاسألوهم) يجيبوكم (ان كانوا ينطقون) والاظهر عجزهم عن النطق الدال على العجز الكلى المانع من القول بالهيتها (فرجعوا الى) تظر (أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون) باذلال الاعلى للادنى واعتقاد قدرة العاجز على القادر ولا ظلم من ابراهيم فى اظهار عجزها فاستقاموا اباء على مقام النظر (ثم نكسوا)

بكذا وكذا أى لا ينقاد (قوله عز وجل طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى جعلا يلصقان ورق التين وهو يتهافت عنهما يقال طفق يفعل كذا واقبل يفعل كذا وجعل يفعل كذا بمعنى واحد ويخصفان أى يلصقان الورق بعضه على بعض ومنه خصفت نعلى اذا طبقت عليها رقعة وأطبقت طاقا على طاق

أى قلبوا نظرهم كانهم جعلوا اسافلهم (على رؤسهم) قائلين له والله (لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون) فأمر تنا بسؤال من لا ينطق وهو ظلم منك وقد ظلمت بكسر آلهتنا فانت الظالم
أولا وآخرا (قال أ) تعلمون عجزها عن النطق الدال على عجزها عن كل نفع وضر بالفعل والقول
(فتعبدون) بعد علمكم بكونهم (من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) من النفع الفعلى أو القولى
(ولا يضركم) لان ذلك فرع القدرة على القول أو الفعل (اف) أى اتضجر قبحا (لكم) فى اذلال
الاعلى للادنى لا لشئ (ولما تعبدون) من عادم أثر مع كونهم (من دون الله) والدون لا يستحق
العبادة مع الاعلى (أ) ترون عبادة الاعلى المؤثر للادنى المتأثر (فلا تعقلون) فلما عجزوا عن
مناظرته اخذوا فى مضاربته وكانهم جعلوا قدرتهم قدرة الاصنام حتى (قالوا احرقوه) بالنار
التى يعدنا الاحراق بها على عبادتها (وانصروا آلهتكم) بجعل آثار أعدائهم أكمل فى تفريق
الاجزاء من أفعالهم بهم (ان كنتم فاعلين) به شيأ من السياسة فلا يليق به غيرها (قلنا)
تعجيزا لهم ولاصنامهم وعناية لمن ارسلناه وتصديقا له فى انجاء من آمن به (يا نار كونى بردا)
أى باردة على ابراهيم مع كونك محرقة للحطب (و) لا تنتهى فى البرد الى حيث يهلكه بل كونى
(سلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا) بانه لو كان نبيا لم يحترق (فجعلناهم الاخسرين) بابطال
كيدهم وجعله معجزة له واهلاكهم بادنى الاشياء وهو البعوض دخلت رؤسهم واكلت لحومهم
وشربت دماءهم ودخلت دماغ نمرود فاهلكته وهو المشار اليه بقوله (ونجيناه) أى من
العذاب المبعوث عليهم (ولوطا) اذ هاجر معه من العراق (الى الارض التى باركنا فيها) وهى
أرض الشام (للعالمين) لاهل الدين بكثرة الانبياء ولاهل الدنيا بكثرة الثمار نزل ابراهيم
بفلسطين ولوط بسدوم وبينهما مسيرة يوم وليلة (و) كثرت بركة تلك الارض بابراهيم واولاده
اذ (وهبنا له اسحق) بدعوته رب هب لى من الصالحين (ويعقوب نافلة) أى زيادة على دعائه
ليحصل فى دعائه البركة (و) منشأ البركة فيهما الصلاح اذ (كلا جعلنا صالحين) كيف (و) كان
صلاحهم متعديا اذ (جعلناهم ائمة) أى قدوة لا لاهل الضلال وان انتسبوا اليهم بل لاهل
الهداية اذ كانوا (يهدون) لا بمجرد عقولهم بل (بأمرنا و) قد جمعنا فيهم وجوه الهداية على
أكمل الوجوه اذ (أوحينا اليهم فعل الخيرات) مما يختص بالقلوب أو الجوارح (و) مما يعمهما
اعنى (اقام الصلوة و) مما يخرج عنهما اعنى (ايتاء الزكوة وكانوا) فى جميع أفعالهم حتى
الطبيعية كالاكل والنوم (لنا عابدين) اذ استعانوا باكلهم ونومهم على عبادتنا فكانوا من
أعظم اسباب البركة بارض الشام (و) لا يبعد جعل أولاد ابراهيم أئمة ولا وحى فعل الخيرات
اليهم وقد جعل لوطا ابن اخيه هاران كذلك فان (لوطا آتيناه حكما) أى معرفة الاحكام
الفقهية (وعلما) معرفة العقائد (و) جعلنا له كرامة من بركة تلك المعارف اذ (نجيناه من
عذاب اهل (القرية التى كانت) أى أهلها (تعمل الخبائث) التعرى بين الناس واللواط
والضراط ولم تؤثر فيهم بركته لاحاطة الاسواء بهم (انهم كانوا قوم سوء) لا ينسبون الى سواه
لكونهم (فاسقين) أى خارجين عن الخيرات (و) هو انما تأثر ببركة ابراهيم لانا (أدخلناه

(قوله عز وجل طيف من
الشيطان) أى لمم من
الشيطان وطائف فاعل
منه يقال طاف يطيف طيفا
فهو طائف و مثله
ألم بك الخيال يطيف
(قوله عز وجل طرفى النهار)
يعنى اوله وآخره (قوله عز
وجل طائره فى عنقه) قيل
طائره ما عمل من خير وشر
وقيل طائره حظه الذى
قضاه الله من الخير والشر

فى رحمتنا) لابطريق التحكم بل لصلاحه (انه من الصالحين و) لا يبعد ان يتأثر لوط عن عمه فانه اقرب من الجد الاعلى وقد تأثر منه ابراهيم فان (نوحا) كان ذا بركة اذ كان مستجاب الدعوة (اذ نادى) بقوله رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات (من قبل) أى من قبل ابراهيم فتبرك به (فاستجبنا له) بطريق المعجزة لاستحالة النجاة عن مثله عادة لغرقنا اها (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو الطوفان العام (و) كان له معجزة أخرى اذ (نصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا) وانما كان يضرهم الطوفان لكونهم غرقى طوفان السوء (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين و) لا يبعد ان يتأثر الابعد الا يتأثر به الاقرب وان كانا متناسبين فاذكر (داود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) أى حرث قوم أكلته غنم قوم آخر (اذ نفشت) أى دخلت ليلا (فيه غنم القوم) الاخر فتحا كما اليه فاعطى داود صاحب الحرث رقاب الغنم لان الدواب تضبط بالليل فاذا أتلفت ليلا ضمن صاحبها التقصيره فى ضبطها (وكنا لحكمهم) أى لحكم داود والمتحا كمين اليه (شاهدين) بالصحة وان خلا عن الرفق لكن رعايته أولى (ففهمناها) أى رعاية الرفق (سليمان) فانه مامر اعليه سألهما فاخبراه فقال غير هذا ارفق تدفع الغنم الى صاحب الحرث لينتفع بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان وهذا وان كان صلحا فلا يخالف الحكم الشرعى لذلك قال تعالى (وكلا آتيناه حكما وعلما) وان كان حكم احدهما يخالف حكم الآخر وكذلك العلم تأثر بهما من بركة ابراهيم (و) قد اختص داود من بركته بان (سخرنا مع داود الجبال) اذ جعلت تابعة له (يسبحن) ليكون له ثواب تسبيحهن (والطير) فتصرف فى الجمادات والحيوانات (و) لم يكن ذلك منه بنفسه بل (كنا فاعلين) فهذه هى البركة اللازمة (و) قد كانت له بركة متعدية اذ (علمناه صنعة لبوس لكم) أى دروع ملبوسة فكانت قبله صفائح فخلقها وسردها (لتحصنكم من بأسكم) أى لتحفظكم من جراحات قتالكم وكانت نعمة تفيد بقاء حياتكم مع تحقق سبب فنائها (فهل أنتم شاكرون) لهذه النعمة العظيمة من بركته (و) اختص سليمان من بركة ابراهيم بان سخرنا (لسليمان الريح) تحمل كرسيه (عاصفة) تفيد سرعة التسيير وان كانت لينة فى الاصابة وانما كانت مسخرة له لانها كانت (تجرى بامره) من غير افتقار الى جمع همة (الى الارض التى باركنا فيها) بقدومه (وكنا بكل شئ عالمين) فنعلم من الاولى بتحصيل البركة منه فهذه بركة متعدية (و) له بركة أخرى أيضا متعدية هى ان (من الشياطين من يغوصون له) فى البحر لاستخراج نفائسها تكميلا لخزائنه وتزيينا لقومه وهذا اصعب الاعمال عليهم لانهم أجسام نارية (ويعملون عملا دون ذلك) كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع (وكنا لهم حافظين) من ان يفسدوا بمقتضى طبائعهم فقد تصرف فى الريح والبحر والشياطين النارية فهو تصرف فى أركان العالم (و) لا يبعد ان يتأثر سليمان بوسايط كثير التأثر لكونه من أولاد يعقوب وقد تأثر أيوب مع كونه من أولاد من ضعف تأثره وهو عيص بن اسحق فاذكر (أيوب) اذ صبر على الضر صبر ابراهيم على النار فلم يشكه الى غيره (اذ نادى) أى دعا

فهو لازم عنقه يقال لكل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهذا لك فى عنقى حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى لفلان الطائر بكذا وكذا من الخير والشر فهو طريق الفأل والطيرة فخاطبهم الله عز وجل بما يستعملون واعلمهم أن ذلك الامر الذى يجعلونه بالطائر هو يلزم اعناقهم ومثله

(ربه

(ربه انى مسنى الضر) فانا محل الرحمة (وأنت أرحم الراحمين) وكان رجلا رومياً نباه الله وكثر
أهله وماله ثم ابتلاه باهلاك أهله بهدم بيته عليهم واذهاب أمواله وامراض بدنه ثمانى عشرة سنة
أو ثلاث عشرة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات فكان من بركاته استجابة الدعاء (فاستجبنا
له) بطريق المعجزة (فكشفنا ما به من ضر) لا يمكن كشفه بدواء (وآتيناه أهله) باحيائهم
(ومثلهم معهم) بايلادهم أعطيناه هذه البركات من أثر بركة ابراهيم مع ضعف الوسايط
(رحمة من عندنا) عليه (وذكرى للعابدين) بانهم يستجلبون بركة عبادتهم وعبادة آبائهم
وأولادهم وكان ايتاء الاهل وتضعيفهم وراء دعوته رحمة عندية يتذكر بها العابدون رحمة
الله عليهم وراء مقتضى عبادتهم (و) لا يبعد أن يحصل هذا لايوب مع ضعف الوسايط لتقويها
بالحواشى فاذكر (اسمعيل) العم الاعلى بل بأعلى الاصول (و) اذكر (ادريس و) بالفرع
اذكر (ذا الكفل) بشر بن أيوب أو بأقرب الحواشى ان قلنا انه ابن عمه كيف وقد تأثر
بعين بركتهم اذ (كل من الصابرين) اسمعيل على الذبح وادريس على ترك الطعام والشراب
ست عشرة سنة حتى لحق بالملائكة وذو الكفل على الصوم وترك الغضب تكفل بذلك ليوشع
حين شرط فى استخلافه ذلك فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقيلولة
وكان لا ينام من الليل والنهار سواها فدق الباب فقال من أنت فقال شيخ ضعيف مظلوم
فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول
حتى ذهبت القيلولة فقال اذا قعدت فأتنى فآخذ حقك فانطلق فلما قعد انتظره فلم يره فقام
يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد أخذ يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القيلولة
وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا
قعدت فأتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت
جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القيلولة فلما جلس انتظره فلم يره وشق عليه
النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام
فانه قد شق على فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت
فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال اما من
قبلى فلم يأت فانظر من أين أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه فى البيت فقال أتنام
والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال عدو الله قال نعم أعييتنى ففعلت ما فعلت لاغضبك
فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل ذو النصيب العظيم كان له ضعف
ثواب أنبياء زمانه (و) رحمة أيوب أيضا من بركة رحمتهم اذ (أدخلناهم فى رحمتنا) اذ جعلنا
اسمعيل حاملا للسر المحمدى ورفعنا ادريس الى السماء وجعلنا الذى الكفل ذلك الاجر (انهم
من الصالحين) بالولاية النبوية التى هى فوق النبوة وان كانت نبوته فوق ولاية من كان وليا
مجردا (و) لا يبعد ادخال المستمر على الصلاح فى الرحمة الخاصة وقد أدخل فيها من عمل خلاف
ما يقتضيه ثم وقع فيما يشبه المؤاخذة فيرجع الى صلاحه فاعبد فى الرحمة فاذكر (ذا النون)

الا انما طائرهم عند الله
(طغى) أى ترفع وعلا حتى
جاوز أو كاد (قوله عز وجل
بطريقتكم المثلى) أى
بسنتكم ودينكم وما أنتم
عليه والمثلى تأنيث الامثل
(قوله عز وجل طهورا)
أى ماء نظيفا يطهر من
توضأ به واغتسل من جنابة
(الطود) الجبل (قوله عز
وجل طلعها هضيم) أى
منظم قبل أن ينشق عنه

أى صاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) على كشف العذاب عن قومه بعد ما أوعدهم فكره أن يكون بينهم بعد ما وقع له الخلف (فظن ان لن نقدر) أى ان لن نضيق الامر (عليه) فركب سفينة فسكنت الريح فقال التجارون ان ههنا عبدا آبقا فاقترعوا فخرجت القرعة باسمه فالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت (فنادى) أى دعا (فى الظلمات) بطن الحوت والبحر والليل (أن) أى انه (لا اله الا أنت) فلا يقدر غيرك على تخليصى من بطن الحوت وقد تنزهت (سبحانك) من أن تظلم بادامة الحبس أو بالاتلاف بلا ذنب أو ما فى معناه بل (انى كنت من الظالمين) بالخروج بغير اذنك اذ كان فى معنى الذنب فى حقه (فاستجبنا له) دعاءه ضمنا اعادة له فى الرحمة (و) ذلك انا (نجيناه من الغم) أى غم الحبس فى بطن الحوت وتلفه فيه فامرنا الحوت أن يقذفه بالساحل (وكذلك ننجى المؤمنين) من الخلود فى جهنم بايمانهم (و) لا عجب فى دفع الغموم العظيمة من أهل الصلاح وقد دفع عن زكريا أدنى الغموم فاذكر (زكريا اذ نادى ربه) ليزيده تربية فقال (رب) ربنى بمن يؤانسنى (لا تذرنى فردا) أى لا تتركنى وحيدا عمن يرثنى نبوتى (و) ان لم يبق فى ذريتى أبدا اذ (أنت خير الوارثين) تستردها فتعطيها من هو خير من ذريتى (فاستجبنا له) دفعا الغمه مع الياس من دفعه للكبر (ووهبنا له يحيى) انحيى به ذكره ونبوته وعلمه وصلاحه (و) كان فيه معجزة أخرى اذ (أصلحنا له زوجه) لئلا يحصل له عند امرأة لم تطل صحبتها معه فيسرى نقصها اليه ثم أشار الى ان هذا التبرك انما حصل لهم بواسطة صلاحهم (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون فى كل باب من الخير (و) انما تمت لهم تلك المبادرة لانهم كانوا (يدعوننا رغبا ورهبا) اى راجين فضلنا خائفين عدلنا (و) لم يكونوا بذلك معجبين بل (كانوا لنا خاشعين) أى متواضعين يرون القصور فى أعمالهم وكيف لا نعطى المبادرين فى الخيرات الداعين رغبا ورهبا الخاشعين هذه الفضائل من بركة أصولهم أو حواشيهم أو فروعهم (و) قد أعطينا (التى أحصنت فرجها) أى مريم الصابرة العزوبة تجزيناها على صبرها (فنفخنا فيها) شيأ عجيبا (من روحنا) أى المنسوب الى عظمتنا لكونه بلا واسطة الاب (و) كان ابنها خيرا مما يكون للمتزوجة اذ (جعلناها وابنها آية للعالمين) اذ جعلنا لها كرامات كالنطق فى الصغر واتيان الرزق فى غير أوانه مع سد الابواب وجعلنا له ارهاصات ومعجزات كتثمير النخل اليابس واجراء العين والنطق فى المهد والاحياء وابراء الاكمه والابرص والآية لكونها دليل الكمال تنفى نقيصة الزنا وولديته فان قيل كيف كانوا يسارعون فى الخيرات راغبين راهبين خاشعين مع اختلافهم فى الاعتقادات والاعمال قيل (ان هذه) الطوائف (أمتكم) أى أهل اعتقادكم فى الاصل اذ كانوا (أمة واحدة) فى الاصل كيف (وأنا ربكم) الذى رباكم بالامر بالاعتقادات (فاعبدون) بامتثال ذلك الامر ولا تعبدوا آراءكم الفاسدة فيها (و) لكن (تقطعوا) أى اقتسموا (أمرهم) فى الاعتقادات لوقوع التنازع (بينهم) لكنه مرتفع لو رجعوا الى الدلائل النقلية والعقلية ولا بد من الرجوع اليها اذ (كل الينا راجعون ف) نسألهم عما أعطيناهم من تلك الدلائل وأما باب العمل فانه وان كان

قوله طلع نضيد القشر وكذلك طلع نضيد أى منضود أى نضد بعضه على بعض وانما يقال نضيد مادام فى كفراه فاذا انفتح فليس بنضيد ويقال له نضيد أى منضود بعضه الى جنب بعض (قوله طمسنا) أى محونا والمطموس الذى لا يكون بين جفنيه شق (قوله عز وجل طرف خفى) يقول لا يرفع عينيه انما ينظر ببعضها أى يغضون أبصارهم استكانة وذلا

فيه ناسخ ومنسوخ فلا ضرر فيه فانه (من يعمل من الصالحات) فى عصره وان كان ناسخا لما قبله
أو منسوخا بما بعده (وهو مؤمن) يعترف بكل ما أمر به فى عصره وان خالف أمر عصر آخر
(فلا كفران) أى لارد (لسعيه) الذى سعى به الى ربه وان كان مخالفا لما قبله أو بعده كيف
(وانا له كاتبون) على أهل كل عصر فلا يمكنهم مخالفة ما كتبنا عليهم فى العمل (وحرام على قرية
أهلكناها) بان أوقعنا فى قلوبهم تغيير الشرائع أورد الناسخ أو العمل بالمنسوخ بعد نسخه
(انهم لا يرجعون) للجزاء لو فرض عدم رجوع غيرهم اذ لم يرجعوا الى الحق (حتى اذا) ظهرت
اشراط الساعة وهو ما اذا (فتحت يأجوج ومأجوج) أى سدهما (وهم) أى الناس (من كل
حدب) أى أرض مرتفعة فضلا عن المستوية (ينسلون) أى يسرعون الفرار تشخصت
أبصارهم ودعوا الويل واعترفوا بالظلم (و) اذا (اقترب الوعد الحق) أى وعد الجزاء (فاذا هى)
أى القصة (شاخصة) أى ذليلة بعد تفتحها استكبارا (أبصار الذين كفروا) يقولون (ياويلنا)
تعال الينا من غفلتنا عن الدين الحق اعتقادا وعملا (قد كنا فى غفلة من هذا) الامر المرتب على
فساد الاعتقاد والعمل (بل) نبهنا عليه ولكن (كنا ظالمين) بالتغافل والعناد واذا شخصت
أبصار هؤلاء ودعوا الويل فكيف حال عبدة الاصنام وقد كان الواجب أن يفعلوا ذلك فى
الدنيا اذ قيل لهم (انكم وما تعبدون من دون الله حصب) أى وقود (جهنم) ورودها الا انهم
بل لينا ألموا برؤيتهم اذ (انتم لها واردون) وليعلموا قطعا انها ليست آلهة اذ (لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها) لان الالهية تقتضى غاية العزة وهى مكان غاية المذلة (و) لاسيما (كل فيها خالدون)
فلا تتبدل ذلتهم بعزة أبدا لكن ذلة عابدى الاصنام اشد اذ (لهم فيها زفير) أى تنفس شديد
كنباح الكلب أو كنهيق الحمار (و) ليس على القلة بحيث لا يعبأ به بل من الكثرة بحيث (هم
فيها لا يسمعون) كلاما يفهمونه غالبا ولما تلا عليه السلام هذه الآية نقضه عبد الله بن
الزبعرى بعزير والمسيح والملائكة فقال تعالى انهم وان تحقق فيهم هذا السبب ولكن فيهم
مانع هو سبق العناية الحسنى فى حقهم (ان الذين سبقت لهم منا) العناية (الحسنى) والمنة
الكمل فى درجات القرب والعزة (عنها مبعدون) أى عن النار التى هى دار البعد والمذلة
ويكون بعدهم بحيث (لا يسمعون حسيسها) أى صوتها المدرك بحاسة السمع (وهم)
لو لم يبعدوا لم يحسوا به أيضا اذ هم (فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم والكرامة (خالدون) لا يخلو
لهم وقت يشتغلون فيه بسماع حسيسها وكيف يبالون لمع انهم (لا يحزنهم الفزع الاكبر)
نقر الناقور أو ذبح الموت كيف (وتتلقاهم) أى تستقبلهم (الملائكة) مبشرين لهم (هذا
يومكم) المساعد لكم (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا بقطع نعيمها طمعا فى نعيمه وانما تعين
هذا اليوم لهذا الوعد لانه يوم انقطاع الاعمال لذلك كان (يوم نطوى السماء) التى تصعد اليها
الاعمال فيكتب فيها فاذا انقطعت فيها طويت (كطى السجل) الذى هو تمام الكتابة (للكتب)
فان السجل سبب هذا الطى فهو انقطاع الامر الدنيوى للانتقال الى الاخروى ويكون على
حسبه لذلك (كما بدأنا أول خلق نعيده) فيعاد كل على هيئة الفطرة لو لم يغيروه وان لم يجب علينا

(قوله عز وجل طلح) أى موز والطلح أيضا شجر عظام كثير الشوك (طاغية) طغيان مصدر كالعاقبة والداهية وأشباههما من المصادر (قوله عز وجل طرائق قددا) يقول فرقا مختلفة الاهواء واحدها طريقة وواحد الطرائق طريقة وأصله فى الاديم القدد قدة يقال لكل ما قطع منه قدة

فهو فى معنى الواجب اذ كان (وعدا علينا) وهو وان لم يجب على الله أيضا لكن لما امتنع الخلاف فيه تعين فيه جانب الوفاء (انا كنا فاعلين و) قد ظهر من اشراط ذلك الوعد نبي آخر الزمان فانا (لقد كتبنا فى الزبور) كتابة (من بعد) الكتابة فى (الذكر) أى التوراة التى هى اشرف كتب السابقين (ان الارض يرثها) من الكفار (عبادى الصالحون) ليكون النهاية كالبداية اذ عمرت الارض أولا بآدم واولاده فيكون دليل كما بدأنا أول خلق نعيده وليس الصالحون الا أصحاب محمد (ان فى هذا) أى فى تحقق هذا الوعد (لبلاغا) أى كفاية فى البعث الى العبادة (لقوم عابدين) لانه دليل صدق الوعد وقرب القيامة وكيف لا يكون أصحابك هم العباد الصالحون المنتشر دينهم فى الارض (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) تنشر دينه فى أكثر الارض فان انكروا كونه صلاحا (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) ليس فيه ما يوهم الشرك بالولدية فاذا اسلمتم للكلام الموهم (فهل أنتم مسلمون) لما لا ايهام فيه (فان تولوا) أى أعرضوا عن التوحيد الصرف لميلهم الى القول بولدية عزير وعيسى (فقل آذنتكم) أى اعلمتكم مستعليا (على) طريق (سواء) لا يحتاج فيه الى تأويل (و) ان زعمتم ان استواءه انما يعلم بما وعد عليه (ان أدرى) أى لا أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) لكنه محقق الوقوع لاحاطة علم الله بكل ما يقتضى الجزاء من الامور الظاهرة التى أظهرها الاقوال الظاهرة والباطنة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) فلا يعسر عليه المجازاة على كل واحد منها (و) ان زعمتم انه لو علم وقصد المجازاة لجازى فى الحال فقل (ان أدرى لعله) أى تأخير الجزاء (فتنة) أى اختبار (لكم) هل تؤمنون به أم لا (و) لعله (متاع الى حين) لتزدادوا معصية بازدياد النعم فيزيدكم عذابا واذا لم يؤمنوا بهذا البيان (قل رب احكم بالحق) باظهار نتيجة الايمان والكفر فى الدنيا من نصر المسلمين واظهار دينهم (و) لا تدع باهلاك الكفار وانجاء المؤمنين بل قل (ربنا الرحمن) الذى عمت رحمته المؤمن والكافر فى الدنيا لكنه (المستعان على) رد (ما تصفون) من الشبه الباطلة فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحج)

سميت به لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه وهو الطواف اذ الاحرام نية والوقوف بعرفات من استعداده والسعى من تتمته والحلق خروج عنه وذكر فيه منافعه وتعظيم شعائر الله وغير ذلك مما يشير الى فوائده واسراره (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى الانسان (الرحمن) بالامر بتقواه اذ أمر به الكل (الرحيم) بالتخويف من الساعة لانه انما افاد به الخاصة (يا أيها الناس) ناداهم طلبا لاقبالهم على اصغاء ما خوطبوا به واتى بالمبهم ليشير الى انهم ابهم عليهم ما تجلى فيهم من أسرار ربهم حتى نسوه ونبههم ليرفع نسيانهم مشعرا بما تجلى فيهم (اتقوا ربكم) أى احفظوا تربيته عليكم بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله لئلا تقعوا فى الكفران الموجب لانقلاب التربية عليكم بالانتقام منكم (ان زلزلة الساعة) أى شدة حركة العالم فى أقل الازمنة

وجههما فقد (قوله عز وجل الطامة الكبرى) يعنى يوم القيامة والطامة الداهية لانها تطم على كل شئ أى تعلوه وتغطيه (طبقا عن طبق) يعنى حالا بعد حال (قوله عز ذكره الطارق) يعنى النجم سمى بذلك لانه يطرق أى يطلع ليلا (قوله عز وجل طحاها) أى بسطها ووسعها (قوله عز وجل طغواها) أى طغيانها

بالنسبة

بالنسبة الى الابد من ظهور شدة غضبه على من لم يحفظ تربيته بكفران نعمه (شئ عظيم) لا يعرف كنه عظمته على العالم كله حتى على من لم يذنب (يوم ترونها) أى تلك الزلزلة (تذهل) أى تدهش (كل) امرأة (مرضعة) وان فرض انها ليست من العالم المتزلزل (عما أرضعت) أى عن ولدها الذى القمته ثديها (وتضع كل ذات حمل) أى وان لم تلحقها تلك الزلزلة قبل مدة الوضع (حملها) أى جنينها (وترى الناس) حتى من لم يذنب (سكارى) زائلى العقول من رؤيتها قبل ان يلحقهم شئ من أهوالها (وما هم بسكارى) بل كاملو العقول لو لم يروا ذلك (ولكن) عقولهم زالت من خوف شدة العذاب على أنفسهم أو غيرهم لان (عذاب الله شديد) فى نفسه وان كان على البعض أشد منه على البعض الآخر وكيف لا يكون لله هذا الغضب والعذاب (ومن الناس) أى الذين نسوا الله وصفاته (من يجادل) الداعى الى الله بكمال العلم من الدلائل العقلية والكشفية (فى الله) وجوده وذاته وصفاته (بغير علم) من دليل عقلى أو كشفى أو نقلى (و) لو وجد شيأ من ذلك أو من أهله لم يتبعه بل (يتبع كل شيطان) يعاديه ويعادى ربه (مريد) أى غال فى الشر يريده لاحبابه لانه (كتب) أى قضى (عليه أنه من تولاه) أى أحبه فاثر اتباعه (فانه يضله) عن كل خير (ويهديه) الى أعظم وجوه الشر كانه هداه (الى عذاب السعير) ليشاركه فيه ولا ينفرد بنعيم الجنة وقرب رب العالمين ورضوانه فكيف لا يغضب الله على مثله غضبا يزلزل العالم ويذهل المرضعات ويوضع الحوامل وكيف لا يشتد عذابه بحيث يسكر الناس فان زعموا ان الزلزلة والعذاب انما يتحققان لو تحقق البعث لكنه مشكوك فيه قيل (يا أيها الناس) اى الذين نسوا حكمة الله وعموم قدرته ودلائل بعثه (ان كنتم فى ريب من البعث فانا) قد أرينا كم ما يدل على عظيم حكمتنا وعموم قدرتنا ودلائل بعثنا اذ (خلقناكم) أى خلقنا أول آبائكم أو أول موادكم وهو المنى (من تراب) اذ خلق من أغذية متولدة منه وغاية أمر البعث انه خلق من التراب (ثم من نطفة) تولدت من الاغذية الترابية ويستنزل ماء ثخين من تحت العرش (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة ويمكنه جعل ذلك الماء دما جامدا (ثم من مضغة) قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ويمكنه جعل ذلك الدم فى القبر لحما (مخلقة) أى مسواة لا نقص فيها ولا عيب (وغير مخلقة لنبين لكم) ان الانسان قد يكون سوى الفطرة قابلا للاوصاف الحسنة وقد لا يكون كذلك (و) لا ينافى ذلك بقاؤه فى القبر من غير ان يحصل فيه شئ من الانقلابات لانا (نقر) الولد (فى الارحام) بعد كماله (ما نشاء) فكيف يبعد تقرير التراب فى القبر (الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا) وهو يشبه بعث الناس سكارى (ثم) نميكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمال قوتكم وعقلكم وهذا حال الخلق فى الحساب والميزان (ومنكم من يتوفى) وهو كمن يوفى الثواب أو العقاب بلا حساب وميزان (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) وهو حال من يناقش فى الحساب فيتحير (و) اذ زعموا ان هذه الانقلابات انما تكون فى بطن المرأة دون القبر قيل لهم (ترى الارض هامدة)

●(باب الطاء المضمومة)●
(قوله عز وجل طغيانهم يعمهون) يقول فى غيهم وكفرهم يحارون ويترددون ويعمهون فى اللغة يركبون رؤسهم متحيرين حائرين عن الطريق يقال منه رجل عمه وعامه أى متحير وحائر عن الطريق (طود) أى جبل (قوله جل وعز) (ختم على قلوبهم) طبع على قلوبهم (قوله جل وعز

أى يابسة كالرماد وهو دليل بقاء الميت مدة (فاذا أنزلنا عليها الماء) وهو يشبه وقت القيامة (اهتزت) أى تحركت بالنبات وهو دليل الاحياء (وربت) أى انتفخت كالحامل وهو دليل جعل الجماد حيوانا (وأنبتت من كل زوج) أى صنف (بهيج) أى رائق كما ان المرأة تلد من كل جميل وهو دليل البعث وليس ذلك على سبيل العبث بل (ذلك) للاستدلال (بان الله هو الحق) أى المراعى للحكمة وقد راعى الحكمة فى هذه الامور كلها (وأنه يحيي الموتى) لان الاحياء نوع من التقليب وقد فعل هذه التقليبات كلها (وأنه على كل شئ قدير) لانه يقدر على كل ما ذكر من الاشياء المختلفة (وان الساعة آتية) اذ جعل لكل شئ وقتا معينا وهى أهم الاشياء فهى (لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) كما أخرج المذكورات بعضها من بعض فهذه جهة عامة بينها للعوام وما ذكرنا جهة خاصة اطلع عليها الخاصة والسر فى هذا الترتيب هو ان كمال الافعال برعاية الحكمة فيها وأجلها فى حق الله الظهور بالكمالات ولا يتم الا بايجاد الاحياء المطلعين على كمال قدرة الله وهى انما تظهر بالساعة فلا بد منها والساعة وان أمكن كونها بالحشر الروحانى فلا يتم الا بالجسمانى (ومن الناس) بعد اقامة الدلائل المذكورة (من يجادل فى الله) حكمته وقدرته وبعثه وجزائه أيضا الا بطريق من طرق الجدل من معارضة أو نقض أو مناقضة أو غيرها بل (بغير علم) عقلى (ولا هدى) كشفى (ولا) دليل نقلى من (كتاب منير) للروح والقلب وسائر الاعضاء والعالم بل لسكونه (ثانى عطفه) أى مولى جنبه وعنقه تكبرا ولم يرد بذلك استزادة الدليل أو طلب دليل أوضح بل (ليضل عن سبيل الله) غيره كما ضل بنفسه فهو كقاطع الطريق (له فى الدنيا خزى) باللعن والقتل والاسر (ونذيقه يوم القيامة) يوم ظهور كمال غضبنا (عذاب الحريق) أى النار ويقال له ضما للعذاب العقلى فى حقه الى الحسى (ذلك بما قدمت يداك) أى بسبب ما اقترفته كاشتباك الباطنة من الكفر والمعاصى القلبية والظاهرة من المعاصى القالبية (و) لم يمحها بتوبة ولا حسنة بل قدمته الى الآخرة بمقدار ما قدمته لما تقرر من (ان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من) لا يجادل ظاهرا ولكنه ينكر اليوم الآخر ويرى الجزاء هو الدنيوى أو يجعل الاخروى تبعا للدنيوى فهو (يعبد الله على حرف) أى طرف كالذى على طرف من الجيش ان رأى ظفرا قر والا فر (فان أصابه خير) أى صحة فى جسمه وسعة فى ماله (اطمأن) أى سكن اليه ورضى (به وان أصابته فتنة) أى بلاء فى الجسم أو المال (انقلب على وجهه) أى رجع الى ما كان عليه من الكفر وهو بهذا الرجوع (خسر الدنيا) بذهاب عصمته وكرامته (والآخرة) بفوات نجاته عن الخلود فى النار وهو وان ظن انه أخذ ما هو خير له وربح لكنه (ذلك هو الخسران المبين) الذى لا يخفى على ذى بصيرة كيف وهو (يدعوا من دون الله ما لا يضره) لو عصاه (وما لا ينفعه) اذا عبده (ذلك) أى الرجوع اليه عند الابتلاء المفيد للاجر الاخروى (هو الضلال البعيد) عن الرشد فهو خسران أمر العقل الموجب خسران الدارين فان زعم ان فى عبادته نفعا أخرويا قيل له (يدعوا لمن

ضره

طوفان) أى سيل عظيم والطوفان الموت الذريع أى الكثير وطوفان الليل شدة سواده (طوبى لهم) طوبى عند النحويين فعلى من الطيب ومعنى طوبى لهم أى طيب العيش لهم وقيل طوبى الخير وأقصى الامنية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى شجرة فى الجنة (طمست) أى ذهب ضوءها كما يطمس الاثر حتى يذهب

ضره) في المستقبل (أقرب) في العقل (من نفعه) لان الاقرب انه يعاتب أو يعاقب على اتخاذه شريكا ويبعد أن يكون المتخذ شريكا لله شفيعا عنده (لبئس المولى) أي الناصر له عند الله مع عداوته (ولبئس العشير) أي الصاحب له فان صحبة العدو تضره عند عدوه فضلا عن اتخاذه معبودا بل أجل الوسائل الى الله الايمان به والاعمال الصالحة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جزاء على أعمالهم (تجري من تحتها الانهار) جزاء على معارفهم ولا يمكن الاصنام ان يمنعوه من ذلك (ان الله يفعل ما يريد) ومما أراد الله نصر رسوله الموجب للمرتدين خسران الدارين والضلال البعيد للكافرين ووسيلة الايمان والاعمال الصالحة للمؤمنين (من كان يظن أن) أي انه لو حصلت عوائق عن نصر الرسول (لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) فما ثمت عائق ارضي يغلب الامر السماوي ما لم يصل الى السماء (فليمدد بسبب) أي بحبل من الارض (الى السماء ثم ليقطع) متمسكه مسافة ما بينهما حتى يبلغ عنانه (فلينظر) أي فليجتهد في نظره حتى يتحقق (هل يذهبن كيده) أي هل يدفعن حيلته (ما يغيظ) من نصر الله اياه (و) كما أنزلنا نصره في الدنيا حتى ألجأ المرتد الى الايمان به أولا (كذلك أنزلناه) أي نصره في الآخرة حال كونه (آيات بينات و) لا يخل بكونها آيات بينات انكار المنكر لما تقرر من انها لا تهدي بانفسها بل (ان الله يهدي من يريد) فان زعموا بان الهداية ربما تكون في غير من يقر بانها آيات بينات اذ كل فرقة تدعى اختصاصها بالهداية قيل لهم (ان الذين آمنوا) فزعموا انهم أهدى الفرق لذلك اختصوا بمعرفة كونها آيات بينات (والذين هادوا) فزعموا انهم اتفق على كونهم أهل الهداية أولا ثم ان من الناس من زعم انها نسخت هدايتهم ولكن لا نسخ (والصابئين) الزاعمين انهم المطلعون على الارواح المؤثرة في العالم (والنصارى) الزاعمين انهم التابعون من لحق من البشر بالارواح المؤثرة في الاحياء والابراء (والمجوس) الزاعمين انهم المميزون بين فاعل الخير والشر (والذين أشركوا) فزعموا انهم المختصون بالاطلاع على فعل كل شئ (ان الله يفصل بينهم) تمييزا للمحق من المبطل سيما عند كثرته (يوم القيامة) الكاشف عن السرائر فيكشف عن الشبهات ولا يحتاج الله سبحانه وتعالى الى كشفها (ان الله على كل شئ شهيد) فلا يبعد ان يظهرها في كتابه ويشهد عليها بعض خواصه المطلعين على اعجازه وهو نصرة في الآخرة ونوع من النصر في الدنيا بجر سائر وجوهه فان زعموا ان الكل متفقون على عبادته فلا حاجة الى هذا الفصل قيل لهم العبادات مختلفة في استيجاب الثواب والعقاب والخلو عنهما (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) أي عقلا وهما فمن وافق عبادته أمر الله من كل وجه استحق الثواب والا استحق العقاب أو العتاب (و) في السماء من لا يستحق على عبادته شيأ وهو (الشمس والقمر والنجوم) فان لها سجودا هو الغروب (و) ان سلم ان لها أجرا وهو الاستفاضة من الملا الاعلى بمناسبة استخراج ما بالقوة الى الفعل من أوضاعها في الارض ما ليس له ذلك فانه يسجد له (الجبال) فان لها وجوها راسخة

(باب الطاء المكسورة)

(طوى وطوى) بقرآن جميعا ومن جعله اسم أرض لم يصرفه ومن جعله اسم الوادي صرفه لانه مذكر ومن جعله مصدرا كقولك ناديته طوى وثنى أي مرتين صرفه أيضا (طبتم فادخلوها خالدين) أي طبتم للجنة لان الذنوب والمعاصي مخابث في الناس فاذا أراد الله ان يدخلهم الجنة غفر لهم تلك الذنوب ففارقتهم

فى الارض بها تحفظهامن ان تميد (والشجر) فان وجوهها فى الارض منها تشرب (والدواب) فانها راكعة والراكع فى معنى الساجد (و) يسجد له من فى الارض (كثير من الناس و) لكن لا يستحق جميعهم الثواب اذ (كثير حق عليه العذاب) لتقصيرهم فى امتثال الاوامر أو لاحباط أعمالهم فان السجود وان كان مفيد القرب من الله وهو كرامة (و) لكن (من يهن الله) بارادة تعذيبه (فماله من مكرم) كيف والعبادة لا توجب على الله شيأ بل (ان الله يفعل مايشاء) وكيف يترك الفصل بين هؤلاء الفرق وهم خصوم فكل فريق من الكفار مع فريق المؤمنين يقال فيهما (هذان خصمان) وليسا ممايجوز الاعراض عنهما اذ هؤلاء الفرق (اختصموا فى ربهم) ذاته أو صفاته لا فى أمر خارج عن الحاكم فان لم يفصل بين كل فريقين فلا بدوان يفصل بين الكافرين والمؤمنين (فالذين كفروا) لا يكتفى فى فصلهم العتاب لانهم لما قالوا فى ذاته وصفاته مالا يليق به (قطعت) أى قدرت (لهم ثياب من نار) تحيط بهم لتعرضهم لذات من أحاط بهم أو صفاته (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار جزاء على صبهم الشبهات (يصهر به) أى يذاب به كما أذابوا العقائد الصحيحة (مافى بطونهم) من الشحوم والاحشاء فيؤثر فى باطنهم من افراط حرارته (و) يذاب (الجلود) لان شبهاتهم أثرت فى المساعى الباطنة والاعمال الظاهرة (و) لا يكتفى بذلك فى حقهم بل (لهم مقامع) أى سياط يضربون بها لا من الجلد بل (من حديد) لشدة ضربهم الادلة القطعية عنادا ولا يكون حال الخفة عليهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) من شدة النار بحيث تكاد ترميهم الى الخارج (أعيدوا فيها) بتلك المقامع كما كانت عادتهم انه كلما ذكرلهم دليل أوردوا عليه شبهة توقع الضعفاء فى الغم (و) قيل لهم (ذوقوا) بضربها (عذاب الحريق) فوق ذوقه بدون الضرب فان زعموا ان الله تعالى انما ردهؤلاء الفرق مع اعترافهم به وعبادتهم له لقصور معارفهم وعبادتهم والمؤمنون كذلك يقال لهم (ان الله) بفضله (يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم تخل معارفهم وأعمالهم عن قصور (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يدخلها اياهم لو كملت ومن مزيد فضله بهم انهم (يحلون فيها من أساور) ويزاد فى كمالها بجعلها (من ذهب و) لا يقتصر عليه بل بجعلها مرصعة باعلى الجواهر (لؤلؤا و) كما يتفضل عليهم بهذا الحلى يتفضل عليهم باللباس بل يكون ذلك التفضل أتم اذ (لباسهم) دائما (فيها حرير و) يكمل لهم معارفهم بطريق النظر والكشف اذ (هدوا الى الطيب من القول) وهو المقدمات اليقينية (وهدوا الى) طريق الكشف الموصل الى (صراط الحميد) فيكمل معارفهم فيزاد فى التفضل عليهم فان زعموا ان الله تعالى ان قبل المعارف والاعمال القاصرة من المؤمنين فماله لا يقبلهما من الكافرين قيل لهم (ان الذين كفروا) بالذى يقبل المعارف والاعمال ويتفضل بالجزاء عليهما (و) لا يقتصرون على الضلال اللازم بل يتعدى منهم اذ (يصدون عن سبيل الله) فى باب المعارف والاعمال (و) عن أجل أماكن تحصيلها (المسجد الحرام الذى) يجتمع فيه

اهل

الخبائث والارجاس من الاعمال فطابوا للجنة ومن هذا قول العرب طاب لى هذا أى فارقته المكاره وطاب له العيش أى فارقته المكاره

(باب الظاء المفتوحة)

(قوله عز وجل ظلت عليه عاكفا) يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا (قوله جل وعز ظلت أعناقهم) جماعاتهم

أهل العلم وأهل العمل يتعلم فيه بعضهم من بعض اذ (جعلناه للناس) يذكرهم مانسوا مما في فطرتهم أهل بلادهم وغيرهم لانه (سواء العاكف فيه) أى المقيم (والباد) والاجتماع فيه انما هو لاستفادة العلم والعمل أو افادتهما فالصد عنه أعظم وجوه الظلم الموجب أشد العذاب كيف (ومن يرد) وان لم يعمل به (فيه بالحاد) أى بميل لا لخطأ بل (بظلم نذقه) شيأ (من عذاب أليم) فكيف لا نذيقه الصاد عنه (و) من الظلم العظيم فيه الشرك اذ كر (اذ بوأنا) أى عينا (لابراهيم مكان البيت) الذى بناه آدم فانطمس فى عهد نوح فارسل الله ريحا كنست ما حوله شارطين (أن لا تشرك بى شيأ) فمن أشرك فقد خالف الشرط الذى وضع عليه البيت فكأنه هدم البيت وأى ظلم أعظم من ذلك (و) كيف لا يشترط ذلك والشرك نجاسة معنوية وهى أشد من الحسية وقد أمره الله بتطهيره عنها اذ قال (طهر بيتى) لانه لما أضيف الى فلا بد وان يناسبنى (للطائفين) فانه لما اشترط الطهارة فى أبدانهم ليناسبوا ربهم اشترطت فى محل طوافهم (و) المصلين (القائمين) بين يدى الله تعالى فى الصلاة فلابد من مناسبتهم له (والركع السجود) له بالتذلل ولا يتم الا بالتطهر عما سواه والطهارة الظاهرة معينة فى ذلك كيف (و) يجتمع فيه الطائفون والمصلون من أطراف العالم لذلك سوى فيه بين العاكف والباد اذ قيل (أذن) أى أعلم اعلاما عاما (فى الناس بالحج) أى بوجوبه عليهم بعدت مسافتهم أو قربت (يأتوك رجالا) أى مشاة ان قربت المسافة (و) ان بعدت يأتوك ركبانا (على كل ضامر) أى مهزول لانهن (يأتين من كل فج عميق) أى طريق بعيد فيستوى فيه العاكف والباد (ليشهدوا منافع لهم) أى مواضع انتفاعهم بالعلوم والعبادة افادة واستفادة (و) من أعظم المنافع ان (يذكروا اسم الله فى أيام معلومات) أيام النحر (على) ذبح (ما رزقهم) أى ملكهم (من بهيمة الانعام) ليجعلوها هدايا أو ضحايا فيفدوا بها نفوسهم فاذا ذبحتموه لله فانتم وغيركم فيه سواء ان كان تطوعا (فكلوا منها وأطعموا البائس) الذى أصابته شدة (الفقير) ليعلم من ذلك ان من ذبحت نفسه فاستنارت بنور ربها انتفع بها هو وسائر المحتاجين الى الهداية (ثم) أى بعد الذبح (ليقضوا تفثهم) أى وسخهم من الاحرام بالحلق والقص والنتف والاستحداد وهكذا بعد فناء النفس تنفى أخلاقها الرديئة (وليوفوا نذورهم) أى وليتموا مواجب الحج وهكذا لابد من تحصيل الاخلاق الحميدة (و) ذلك بالتطواف حول الجناب الالهى لذلك قيل (ليطوفوا) طواف الركن (بالبيت العتيق) الذى أعتقه الله من تسليط الجبابرة ليعتقه من جبابرة الاخلاق الرديئة (ذلك) المذكور وان كان لكل محرم (و) لكن (من يعظم حرمات الله) أى ما حرمه الله فى الاحرام او بالبلد الحرام (فهو خير له) من أن يهتك حرمة منها فيعطى جزاءها فينال ثواب ذلك الجزاء والانتهاك وان كان خيرا عند نفسه فالتعظيم خير (عند ربه و) أشد وجوه الانتهاك تحريم ما أحل الله (أحلت لكم الانعام) حال الاحرام وفى البلد الحرام (الا ما يتلى عليكم) تحريمها بدون الاحرام فيستمر مع الاحرام ولكن تحريم

ورؤساؤهم كما تقول أتانى عنق من الناس أى جماعة ويقال ظلت أعناقهم أضاف الاعناق اليهم يريد الرقاب ثم جعل الخبر عنهم لان خضوعهم بخضوع الاعناق (قوله ظهيرا) أى عونا (قوله عز وجل ظنين) أى متهم

(باب الظاء المضمومة)

(قوله عز وجل ظلم) أى وضع الشىء فى غير موضعه ومنه قولهم من أشبه أباه

ماأحل الله كفر (فاجتنبوا) فى حلال الاحرام والبلد الحرام وغيرهما اتخاذ بحيرة وسائبة
فانه يشبه (الرجس من) عبادة (الاوثان) لان فيه اعتقاد تشريك المحرم (و) لولم يعتقد
فيه التشريك فلا أقل من قول الزور على الله (اجتنبوا قول الزور) على الآحاد فضلا على
الله تعالى لتصيروا (حنفاء لله) أى مائلين عما سواه اليه (غير مشركين به) من سواه بتحريم
ماأحل (و) ليس هذا من الشرك الخفى بل من الشرك الجلى الذى يقال فيه (من يشرك
بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) لان التوحيد أعلى من السماء والشرك أسفل
من الارض (فتخطفه الطير) فههنا طير الشيطان تخاطفه ليتلفه بالكلية (أو تهوى به
الريح) وههنا تهوى به ريح الاهوية فتلقيه (فى مكان سحيق) أى بعيد عن مكانه الذى
يريده (ذلك) أى تعظيم حرمات الله من حق الاحرام (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا التى
ينزل ذبحها لكونها من مكارم أموالهم منزلة ذبح النفس فهو أعظم من تعظيم الحرمات فان
تعظيمها من تعظيم الاحرام الذى يشبه الاعمال الظاهرة وأما تعظيم الشعائر (فانها من
تقوى القلوب) فهو وان كان من ظواهر الاعمال يشبه البواطن وليس من تعظيمها ترك
الانتفاع بها بل (لكم فيها منافع) درها ونسلها وصوفها وظهرها (الى أجل مسمى) وقت
نحرها (ثم محلها) أى حلول أجلها ووصولها (الى) جوار (البيت العتيق) وذلك ليدل
على ان صاحب النفس قبل فنائها ينتفع بها فى العبادات وبعد الفناء لا ينتفع بها بل بربها
فلا يفعل بنفسه شيأ مالم يعد الى حال البقاء لكنه حينئذ يعتق عن رقها (و) ليس تعيين مكان
الذبح من بدع هذه الامة اذ (لكل أمة جعلنا منسكا) أى مكان ذبح (ليذكروا) مجتمعين
فيه (اسم الله) المفيد للتزكية (على ما رزقهم) أى ملكهم فتعلق به قلوبهم تعلقها
بنفوسهم مع كونها (من بهيمة الانعام) فهى تشبه النفس الامارة فذبحها يتنزل منزلة فناء
النفس الامارة وذكر اسم الله عليها منزلة بقاء النفس بربها فاذا وصلتم الى مكان البقاء (فالهكم
اله واحد) ليس كل منها الها مستقلا بل عباد قائمون به (فله أسلموا) وبهذا الاسلام يحصل
طمأنينة النفس لذلك قال (وبشر المخبتين) أى المطمئنين بالله ومع ذلك لا يبلغون درجة
الامن بل هم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لتأثرهم عنه مزيد تأثر (و) يؤثر فيهم كل
شئ لكن لا يبالون به لكونهم (الصابرين على ما أصابهم و) لكمال صبرهم على العبادة لكمال
عبوديتهم كانوا (المقيمى الصلوة و) لكمال صبرهم على المشتهيات مع خروجهم عن عبودية
ماسواه قطعوا محبة المال حتى انهم (مما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الله (و) أولى وجوهه
فى هذه الايام ذبح الاضحية سيما البدن اذ (البدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى اعلام
دينه اقيامها مقام ذبح النفس سيما العظم قيمتها (لكم فيها) أى فى ذبحها أضحية (خير)
من المنافع الدينيوية لانها تقوية للامارة وهذه للمطمئنة بذكر اسم الله (فاذكروا اسم الله عليها)
أى فقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك تطعنون فى لباتها
(صواف) أى قائمات صففن أيديهن وأرجلهن للاستشعار بان هذا الفناء انما يعتبر

لو

فالظلم أى فوضع الشئ
فى غير موضعه (قوله عز
وجل ظلال من الغمام)
جمع ظلة وهو ما غطى وستر
(قوله جل وعز فاخذهم
عذاب يوم الظلة) قيل انهم
لما كذبوا شعيبا أصابهم
غم وحر شديد ورفعت لهم
سحابة فخرجوا يستظلون
بها فسالت عليهم فاهلكتهم
(وقوله تعالى ظلمات ثلاث)
قيل ظلمة المشيمة وظلمة
الرحم وظلمة البطن (وقوله

لو كان مع الاستقامة لا مع الاخلال بالشرائع (فاذا وجبت) أى سقطت (جنوبها) على الارض (فكلوا منها واطعموا القانع) أى الراضى بما عنده (والمعتر) أى المعترض بالسؤال وذلك للاشعار بان النفس اذا سقطت اماريتها انتفع بها صاحبها والمهتدون وغيرهم لانتشار نورها فى العالم وذلك لانها اذا تسخرت فى الفناء تسخرت للارواح والقلوب فى سائر الامور وكان البدن تسخرت للذبح (كذلك سخرناها لكم) لسائر الاعمال (لعلكم تشكرون) نعمة تسخيرها وتسخير أنفسكم لكم بعد اماريتها ثم أشار الى ان هذه الفوائد لا تحصل من الذبح ولا من التصدق بل من التقوى فقال (لن ينال الله) أى قربه والبقاء به (لحومها) المصدقة (ولا دماؤها) المهراقة (ولكن يناله التقوى منكم) فانها تؤدى الى ان ينفى دعوى الوجود لانفسها أو محبة ما سواه وذلك بتسخير أنفسكم لله بالقياس على تسخيرها لكم اذ (كذلك سخرها لكم) لتسخروا لله تسخرها لكم وانما طلب منكم هذا التسخير (لتكبروا الله على ما هداكم) من رؤية كل شئ مسخرا له (وبشر المحسنين) الذين يرون تسخر كل شئ لله بل لا يرون ماسواه فى كل ما يرونه وانما جعل الله ذبح الاضاحى منزلة ذبح النفس للدفع عنها (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) لذلك لا ينبغى لمن يسافر للحج أو الغزو او لطلب العلم أو الرشد ان يبالى بمن يخونون فى أهله أو ماله بل ينبغى ان يتوكل على الله فى دفعه لانه محبوب الله وحق المحب ان يدفع عن محبوبه عدوه والخائن عدوه (ان الله لا يحب كل خوان) يبالغ فى الخيانة حتى انه يخون أحباء الله كيف وهو متصف بوصف (كفور) لانه يصرف نعم الله فى ايذاء أحبابه فان زعموا ان الله تعالى لو دفع عن المؤمنين لدفع عن المقاتلين قيل (اذن) أى أعلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين يقاتلون بانهم) أولى بالدفع عنهم لانهم تحقق كونهم (ظلموا) الاولون ربما لم يتحقق الظلم عليهم (ان الله على نصرهم لقدير) لحقه ان لا يترك مقدوره سيما وقد ظلموا من أجله لانهم (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) أى بغير سبب موجب حقية (الا أن يقولوا ربنا الله) فانه لو صح موجبا لكان اخراجهم بحق (و) كيف لا ينصرهم وقد اقتضت الحكمة نصرهم فانه (لولا دفع الله الناس بعضهم) أى الكافرين (ببعض) أى المؤمنين (لهدمت) أى خربت باستيلاء الكافرين (صوامع) للرهبان (وبيع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين وكيف لا يدفع عنها وهى مبنية لاجله اذ (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فاقتضت الحكمة ان تكون محل عنايته (و) كيف لا ينصرهم وقد أقسم (ولينصرن الله) من المؤمنين (من ينصره) أى دينه بالغيب أى مع غيب جزائه فلو لم ينصرهم بما لم يبالوا بالجزاء كيف ولا مانع له (ان الله لقوى) على نصره لانه (عزيز) لا يمانعه شئ ولذلك سلط المؤمنين على صناديد العرب والاكاسرة والقياصرة وكيف لا ينصرهم مع انهم (الذين ان مكناهم) التصرف (فى الارض أقاموا الصلوة) الشاغلة للقلوب والالسن والجوارح بذكر الله والتذلل له (وآتوا الزكوة) المطهرة عن محبة الغير (وأمروا بالمعروف) الذى

تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) فالظلل التى من فوقهم لهم والتى من تحتهم لغيرهم لان الظلل انما تكون من فوق

(باب الظاء المكسورة)

(قوله عز وجل ظلالهم بالغدو والآصال) جمع ظل وجاء فى التفسير ان الكافر يسجد لغير الله تبارك اسمه وظله يسجد لله

برضاء الله لانه المرغب فيه (ونهوا عن المنكر) الذى يكرهه الله لانه الحاجب عنه (و) لولم يفعل هذا أولا فلا بد وان يكون هذا هو المنتهى اذ (لله عاقبة الامور) فلا بد وان يرجح آخرا من رجح جانبه اولا (وان يكذبوك) فى ان الله ينصر المؤمنين البتة ولو آخر الامر فهذه سنته فى مكذبى الامم الماضية والمقاتلة أولى (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) فنصر عليهم باغراقهم (وعاد) نصر عليهم هودا باهلاكهم بالريح العقيم (وثمود) نصر عليهم صالحا باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم هود وقوم صالح لان العلم الخاص أتم احضارا فى الذهن (وقوم ابراهيم) نصر عليهم باهلاكهم بالبعوض وبابطال كيدهم بجعل نارهم بردا وسلاما عليه (وقوم لوط) نصر عليهم بجعل قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم (وأصحاب مدين) نصر عليهم شعيبا باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم شعيب لان له قوما آخرين هم أصحاب الايكة لكن هؤلاء أشهر فذكروا فى محل النزاع (وكذب موسى) كذبه فرعون وقومه فاغرقوا وقارون وقومه فخسف بهم ولم يقل قوم موسى لانهم بنو اسرائيل ولم يكذبه أكثرهم (فامليت) أى أمهلت (للكافرين) ليتفكروا فى أمرهم ويزدادوا عذابا لو أصروا على كفرهم لكن هذا الاملاء يشبه النصر لهم أولا (ثم) اذا تحققت الحجة عليهم وطال اصرارهم على الكفر والمعاصى (أخذتهم) أخذا شديدا (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم فهل كان نصرا لانبيائهم أم لا وان زعموا ان ذلك لا يدل على منتهى أمر المؤمنين النصر البتة لجواز ان يعود الامر للمنصور عليهم من الكفرة قيل لهم (فكأين) أى وكم (من قرية أهلكناها وهى ظالمة) أى أهلها (فهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى سقوفها سقطت أولا ثم سقط عليها الجدران وبقى كذلك الى يومنا هذا فلو انتصروا بعده لم يبق كذلك (و) ان زعموا انه يكفى من نصرهم انه بقى لهم ذرية بعدهم قيل لهم كاين من (بئر معطلة) أى متروكة لا يستقى منها لهلاك أهلها بالكلية (وقصر مشيد) أى مجصص خلا عن الساكن قيل من جملة ذلك بئر بسفح جبل حضرموت وقصر بقلته لبعض من قوم حنظلة بن صفوان عليه السلام لما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما (أ) ينكرون ذلك لعدم رؤيتهم لها (فلم يسيروا فى الارض) ليروا تلك القرى والآبار والقصور (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) انها انما أهلكت لظلم أهلها (أو آذان يسمعون بها) ان اهلاكهم كان لظلمهم فانهم اذا لم يؤمنوا بما تواتر من أخبارهم يتحقق لهم ذلك بالابصار (فانها) أى القصة (لا تعمى الابصار ولكن) ربما لا يعترفون بان ذلك لظلمهم لانها (تعمى القلوب) لا كلها بل (التى فى الصدور) أى الجهات التى تلى النفوس اذ لا تتوجه الى الارواح فتستنير بانوارها فتبصر الامور الغيبية والحقائق الالهية والاخروية (و) من عمى قلوبهم لا يقتصرون على ترك اعتبار سنة الله فى نصر الانبياء والمؤمنين باهلاك أعدائهم بل (يستعجلونك) يا أكمل الرسل (بالعذاب) الذى وعدهم الله على لسانك (ولن يخلف الله وعده) لئلا يلزم نقيصة الكذب فى صفة كلامه ولا يعجله ههنا لان أيام الدنيا قصيرة متناهية (و) أيام الآخرة طوال غير متناهية (ان يوما عند

ربك

على كرمنه (قوله عز وجل ظلال على الارائك) جمع ظلة مثل قلة وقلال (قوله عز وجل وظل ممدود) أى دائم لا تنسخه الشمس كظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (قوله وظل من يحموم) قيل انه دخان اسود واليحموم الشديد السواد (قوله ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم أعاذنا الله منها

ربك) فى الآخرة (كألف سنة) لا باعتبار شدة العذاب تجوزا بل (مما تعدون و) امهاله الى تلك المدة ليس دليل الاهمال فانه (كأين) أى كم (من قرية أمليت) أى أمهلت (لها وهى ظالمة) لتزداد ظلما (ثم أخذتها و) لا يفوتنى بالامهال شئ اذ (الى المصير) فان زعموا انه تخويف محض (قل يا أيها الناس) أى الذين نسوا مقصود البعثة وهو الانذار لتخليص الخائف واهلاك الآمن (انما أنا لكم نذير مبين) باقامة الدلائل ورفع الشبه فذلك الانذار لابد وأن يكون محققا كيف والانذار انما يتم بالايفاء بما يترتب عليه (فالذين آمنوا) أى صدقوا بهذا الانذار (و) اعتقدوا ايفاءه لذلك (عملوا الصالحات لهم مغفرة) لما خافوا من كفرهم ومعاصيهم (ورزق كريم) جزاء على ايمانهم وأعمالهم (والذين) لم يصدقوا بهذا الانذار بل (سعوا) فى ابطال (آياتنا) الدالة على وقوعه (معاجزين) أى قاصدين تعجيز الله عن اقامة الآيات على ذلك (أولئك) البعداء عن مقصود البعث (أصحاب الجحيم) أى ملازموها لا مغفرة لهم ولا رزق كريم أبدا كيف والسعى فى آيات الله ليس دون فعل الشيطان بالتخليط فى الوحى الالهى مثل ما روى انه عليه السلام لما رأى اصرار قومه تمنى أن يأتيه من الله ما يقاربهم فأنزل الله تعالى سورة النجم فقرأها عليه السلام على قريش حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان فى أسماع الحاضرين وأوهمهم أنه جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ولم يعلم عليه السلام بذلك لاستغراقه فى أمنيته ففرح بذلك قريش وسجد الكل فى آخر السورة فأتاه جبريل عليه السلام وقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت ما لم آتك به من الله فحزن عليه السلام حزنا شديدا وخاف خوفا عظيما فأنزل الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول) صاحب شرع خاص (ولا نبى) بعث للدعوة الى شرعه أو شرع غيره (الا اذا تمنى) أن ينزل الله ما يقارب المصرين على الضلال (ألقى الشيطان) فى أسماع الحاضرين كلاما يوهم انه كلام الرسول أو النبى ولا يعلم بذلك لكونه (فى أمنيته) ولا يبطل هذا الثقة بكلامه لان الله تعالى يظهره (فينسخ) أى يذهب (الله ما يلقى الشيطان ثم) لا يترك احتمال ذلك فى بقية كلامه سيما فى الكلام المعجز اذ (يحكم الله آياته) باظهار الفرق بين كلامه وكلام الشيطان وكيف لا ينسخ ولا يحكم (والله عليم) بما فى ترك النسخ والاحكام من الاخلال بمقصود البعثة (حكيم) لا يترك الخلل ولا يخل بعلمه وحكمته تمكين الشيطان من الالقاء فانه مكنه (ليجعل ما يلقى الشيطان) من كلامه على اسماع الحاضرين موهما انه كلام الرسول أو النبى (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) فلا يقدرون على التمييز بين كلام الشيطان وبين كلام الرسول أو النبى (و) لو أمكن معالجتهم فلا يمكن معالجة (القاسية قلوبهم) لان مرضهم مزمن (وان الظالمين) القائلين بأنه رجع الى الحق الذى هم عليه ثم ندم (لفى شقاق) أى خلاف للحق (بعيد) عن موافقته جدا لانهم جعلوا الشر خيرا والخير شرا وجعلوا اشركاء الحق شفعاء عنده (وليعلم الذين أوتوا العلم) فعلوا ما هو الرشد وما هو الغى فى نفسه (أنه) أى ما أحكم منه هو (الحق من ربك)

(قال أبو عمر الزاهد حدثنى الشيبانى قال ان قبل لم قيل ثلاث شعب قيل لان النار اذا خرج من محبسه أخذ يمنة أو يسرة أو فوق ولا رابع له)

* (باب العين المفتوحة) *

(قوله عز وجل العالمين) أصناف الخلق كل صنف منهم عالم (قوله عز وجل عاكفين) أى مقيمين ومنه الاعتكاف وهو الاقامة فى المسجد على الصلاة والذكر لله عز وجل (قوله عز وجل عدل) أى فدية كقوله ولا يؤخذ منها عدل وقوله وان تعدل كل عدل

دون ما نسخه من كلام الشيطان (فيؤمنوا به) لتميزه عن كلام الشيطان تميزا تاما (فتخبت) أى تطمئن (له قلوبهم و) المؤمنون وان لم يكن لهم هذا التمييز قبل ذلك لكن يحصل لهم بعد النسخ والاحكام (ان الله لهادى الذين آمنوا) باطلاعهم على الاوساط الفاضلة والاطراف الرديئة على ألسن الرسل (الى صراط مستقيم) فيتم تمييزهم بنور الايمان به (ولا يزال الذين كفروا) بالرسل وان لم يزالوا مبالغين فى بيان الصراط المستقيم (فى مرية منه) بان كلامهم ملتبس بكلام الشيطان (حتى تأتيهم الساعة) الكاشفة عن الخير والشر (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) لا يعقبه خير وهو يوم الموت فانهم وان لم يكاشف لهم فيه عن ذلك يضطرون الى معرفة انهم كانوا على محض الشر وهم وان تميز لهم الشر والخير فلا يقدرون على تحصيل الخير ودفع الشر الآن اذ لا يملكون لانفسهم شيأ اذ (الملك يومئذ لله) وهو وان كان له دائما لكنه (يحكم بينهم) بمقتضى ما توهموا ملكه قبل ذلك (فالذين آمنوا) باحكام آيات الله ونسخ ما ألقاه الشيطان (وعملوا الصالحات) بمقتضى الآيات المحكمة (فى جنات النعيم) لتنعمهم بفوائد كلام الله وهيآت الاعمال الصالحة (والذين كفروا) فاعتقدوا الشر خيرا والخير شرا (وكذبوا بآياتنا) باختلاطها بكلام الشيطان بعد احكامها (فأولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم آيات الله وخروجهم عن الانسانية الى البهيمية (و) من العذاب المهين لهم اعزاز أعدائهم بضد ما أهانوهم فان (الذين هاجروا فى سبيل الله) اذ أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم (ثم قتلوا) اذ جاهدوهم (أو ماتوا) بلا جهاد (ليرزقنهم الله) بدل أموالهم (رزقا حسنا) يستحسنه أهل النعم لفضله على أرزاقهم (وان الله لهو خير الرازقين) فهو أولى بأن يجعل خير رزقه لمن ترك رزقه لايثار سبيله وعما تفضل به رزقهم أنه (ليدخلنهم) لا محالة (مدخلا) من النعيم (يرضونه) لفضله على مداخلهم فيجعله بدل ديارهم (و) لا يبعد من الله ذلك (ان الله لعليم) بما تحملوا فيه ومقتضاه تعجيل ما وعدهم به وتعجيل عقوبة من عاداهم لكنه لحلمه أخر ذلك لانه (حليم) ليكمل صبر هؤلاء واصرار أعدائهم (ذلك) الرزق وادخال المدخل الكريم لمن لم يعاقب الظالم ومن عاقبه بمثل معاقبته ولم يبغ عليه الظالم مرة أخرى تقاص حقاهما (ومن عاقب) ظالمه (بمثل ما عوقب به) أى بمقدار ظلمه (ثم بغى عليه) أى تعدى عليه الظالم ثانيا (لينصرنه الله) من غير أن ينظر الى معاقبته (ان الله لعفو) مجاوز عنه التقاص الحقين الاولين وان كان الظالم أعز منه فالهتك فيه أشد لكنه مغفور عنه بالنسبة الى المظلوم اذ الله (غفور) لشدته (ذلك) الغفران (بان الله) يولج ظلمة الشدة من المظلوم فى ضوء اقتصاصه وضوء الشدة على الظالم فى ظلمة بغيه كما انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع) لما قصده المظلوم من الاقتصاص دون الشدة (بصير) ببغى الظالم عليه فانه يمحو الشدة عليه بالكلية سيما اذا كان ظلمه لتوحيد المظلوم واشراك الظالم (ذلك) الايلاج لكمال مظلومية المظلوم لتوحيده وظالمية الظالم لاشراكه (بأن الله هو الحق) فالظلم على المظلوم فيه أشد

لا يؤخذ منها وعدل مثل أيضا كقوله أو عدل ذلك صياما أى مثل ذلك (قال أبو عمرو لا يقال عدل بمعنى عدل الاعند أبى عبيدة قال العدل بالفتح القيمة والعدل أيضا الفدية والعدل أيضا الرجل الصالح والعدل أيضا الحق والعدل بالكسر المثل) (قوله عز وجل عفونا عنكم) محونا عنكم ذنوبكم ومنه قوله عفا الله عنك أى محا الله عنك ذنوبك (قوله عز وجل عوان) أى نصف بين الصغيرة المسنة (وقوله عز وجل

حقيقة (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) فالشدة على من ظلم من أجله ليست بشدة بالحقيقة
(و) لو لم يكن الله هو الحق وما يدعون من دونه الباطل فلا شك (أن الله هو العلى الكبير)
فالظلم على من ظلم من أجله أعلى والشدة على الظالم لاجل الباطل حقيرة وكيف لا ينصر المظلوم
من اجله مع أن حق من كان معه ان يعلو على غيره ويعظم قدره على قدره فان زعموا ان الله لا يبالى
بالمظلوم لحقارته فكيف يعتنى بنصره أجيبوا بان غاية حقارة المظلوم أن يكون كالارض الميتة
والله يعتنى بها (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اعتناء بالارض الميتة (فتصبح الارض مخضرة)
فلا يبعد أن يعتنى بنصر المظلوم من أجله فيجعله مخضرا بعد ما أماته بالحقارة وليست حقارته
استعدادا مانعا من النصر لان الاستعداد أمر خفى لا يطلع عليه الا الله (ان الله لطيف)
يدرك الخفيات لانه (خبير) يطلع على البواطن ولا يحتاج فى نصره الى تحقق سببه عنده
اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يستعمل أى سبب شاء من السماء أو الارض فى
نصره بل لا حاجة له الى السبب (وان الله لهو الغنى) ولا يتوقف حمده على استعمال السبب
لانه (الحميد) بكل حال ولا مانع له من نصره اذ كل ما فرض مانعا فهو مسخر له بل يجوز أن يجعله
مسخرا لمن يريد نصره (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض و) سخر لكم البحر حتى ان
(الفلك تجرى فى البحر بأمره) لمنافعكم (و) كيف يمنعه مانع ولم يمنعه ثقل السماء من
امساكها اذ (يمسك السماء) كراهة (أن تقع على الارض) بل لا فعل لثقلها بدونه فلو خليت
بحالها لم تقع (الا باذنه) لكنه لا يأذن لرأفته (ان الله بالناس لرؤف) فحقه أن يتوكل عليه
لا على الاسباب ليرحمه بمزيد رحمته لانه (رحيم و) لا يخل برأفته ورحمته اماتته بل (هو الذى)
باعتبار رأفته ورحمته (أحياكم) ليفيدكم بالمحسوسات التى تستنبط منها المعقولات
(ثم يميتكم) ليكمل لكم فوائد المعقولات بكمال التجرد (ثم يحييكم) ليجمع لكم بين كمال
فوائد المحسوسات والمعقولات فالاحياء الثانى المترتب على الموت من كمال الرأفة والرحمة
يوجب أتم وجوه الشكر لكن الانسان يكفر به فكأنه يكفر بالجميع (ان الانسان لكفور)
ولترتب أكمل الحياة على الموت (لكل أمة جعلنا منسكا) يشبه موت أنفسهم ويفيدهم
ما يشبه فوائد الحياة الاخروية من المكاشفات (هم) لعلهم بتلك الفوائد (ناسكوه) وان
كرهوا الموت واذا كوشف لهم بهذه النسك فوائد تلك الحياة (فلا ينازعنك فى الامر)
أى أمر مكاشفة الامور الاخروية (وادع) لتحصيل تلك الفوائد اياهم (الى ربك) المفيد لهم
اياها بكمال اهدائك (انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك) فزعموا ان هذا النسك يخالف هدى
من تقدمك (فقل الله أعلم بما تعملون) أى بمصالح أعمالكم فى كل وقت فيأمركم فيه بما
هو أصلح لكم فان أصررتم على ان المصالح كما هى فى أعمالكم (الله يحكم بينكم) اذ يعذبكم على
خطاياكم (يوم القيامة) فانه الفاصل (فيما كنتم فيه تختلفون) وقد خالفتم من تقدمكم
من الامم فان زعموا أن الاحكام أزلية لا تقبل التغيير كالتغير فى العلم بالحوادث اليومية
قيل (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) من اختلاف الاوضاع والاكوان وقد

عهدنا الى ابراهيم) أى
وصيناه وأمرناه (وقوله عز
وجل عابدون) موحدون
كذا جاء فى التفسير وقال
أصحاب اللغة عابدون أى
خاضعون أذلاء من قولهم
طريق معبد أى مذلل قد
أثر الناس فيه (قوله عز
وجل العفو) أى الطاقة
والميسور يقال خذ ما عفا
لك أى ما أتاك سهلا بغير
مشقة ويقال العفو فضل
المال يقال عفا الشئ اذا
كثر (قوله ويسئلونك ماذا

اقتضت اختلاف الاحكام أيضا وليس ذلك بطريق البداء بل (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ الآخذ عن القلم الاعلى عن العلم الالهى فيجوز أن يحكم فى الازل بوجوب شئ فى عهد موسى وحرمته فى عهد محمد ويكتب كذلك (ان ذلك على الله يسير) اذ لا تغير لحكمه ولا لعلمه بل المتغير النسب والاضافات ثم انهم انما يمنعون النسخ والتبديل من الله ويجوزونه من أحبارهم (و) هم فى ذلك (يعبدون من دون الله) اذ يقبلون منهم (ما لم ينزل به سلطانا) أى نصا جليا (وما ليس لهم به علم) بطريق الاستدلال بل انما بدلوه ظلما (وما للظالمين من نصير) من شبهة مصلحة أو ضرورة (واذا تتلى عليهم آياتنا) الناسخة لبعض أحكامهم (بينات) لا يشك فى كونها آياتنا ولا فى موافقتها المصالح الزمان (تعرف فى وجوه الذين كفروا) الوصف (المنكر) لغاية انكارهم لها بحيث (يكادون) أى يقربون (يسطون) أى يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أ) ترون تلاوتها غاية الشر (فأنبئكم بشر من ذلكم) هو (النار) على انكارها اذ هو كفر وقد (وعدها الله الذين كفروا) ولو بالآيات الناسخة (وبئس المصير) فى حق الكل حتى منكر الناسخة وكيف لا يعدها من أهان الله غاية الاهانة وكيف لا يجعلها بئس المصير لمن صيره مصير الاحجار (يا أيها الناس) أى الذين نسوا عظمة الالهية فنسبوها الاهون الاشياء استهانة (ضرب) لبيان هوان أحجاركم (مثل) أى نوع منه غريب (فاستمعوا له) بجد ليستقر بقلوبكم (ان الذين تدعون من دون الله) ليخلقوا لكم أولادا وأرزاقا ويفيدوكم أنواع الفوائد (لن يخلقوا) من غاية عجزهم أحقر الاشياء (ذبابا ولو اجتمعوا) يعين بعضهم بعضا (له و) قد بلغ عجزهم الى حيث (ان يسلبهم الذباب شيأ) وضع بين أيديهم أو لطخ به وجوههم (لا يستنقذوه منه) لعجزهم عنه فظهر من هذا المثل أنه (ضعف الطالب) منهم عقلا (والمطلوب) حصولا كأنه ضعف طالب هذا السلب والمطلوب الذى هو السلب وتبين من هذا ان الذين جعلوهم شركاء الحق (ما قدروا الله) أى ما عرفوا مقداره (حق قدره ان الله لقوى) اذ الالهية بدون القوة الكاملة كيف والعجز مهانة والله تعالى (عزيز) فاذا أهانوه هذه الاهانة غضب عليهم غضبا أوقد عليهم النار التى هى بئس المصير ثم انكم لو طلبتم من الله شيأ واسطة قصرتم أنفسكم فتوسلوا بملائكته اذ (الله يصطفى من الملائكة) المكرمين (رسلا) فيزيدكم اكراما (و) ان فقدتم مناسبتكم فتوسلوا برسل الناس أو أوليائهم اذ الله يصطفى (من الناس) رسلا وأولياء فاذا توسلتم بهم (ان الله سميع) لدعائكم الذى توسلتم فيه بأهل اصطفائه لكنه (بصير) لا يستجيب ما يرى فيه اثما أو ضررا للداعى فان زعموا انهم انما يعبدون الاصنام لانهم الملائكة أو الرسل أو الاولياء قيل لهم فمن أين جعلتموهم آلهة مع أنه لا الهية لمن هى صورهم اذ يحيط بجهاتهم من حيث (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم و) الافعال الشاقة التى تظهر عليهم لا تدل على الهيتهم اذ ليست لهم بل (الى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا) بوسيلة الرسل والاولياء انما يتم توسلكم لو فعلتم ما جاءكم به الرسل بما يقربكم الى الله (اركعوا) اجلالا لعظمة الله (واسجدوا)

(ينفقون قل العفو) أى ماذا يتصدقون ويعطون قل العفو أى تعطون عفو أموالكم فتتصدقون بما فضل من أقواتكم وأقوات عيالكم (قوله عز وجل عرضتم به من خطبة النساء) التعريض الايماء والتلويح من غير كشف (قوله عز وجل ولا يبيع) (عاقر وعقيم) بمعنى واحد وهى التى لا تلد والذى لا يولد له (قوله عز وجل عرضها السموات والارض)

مبالغة فى التذلل له (واعبدوا) فى ذلك (ربكم) فلا تجعلوه وسيلة لما سواه (وافعلوا الخير) وراء العبادة (لعلكم تفلحون) بمطالبكم التى تتوسلون فيها بالملائكة والرسل والاولياء (و) لو طمعتم فى اصطفائكم بحيث يتوسل بكم غيركم (جاهدوا) أنفسكم (فى) معرفة (الله) وعبادته وأخلاقه ومقامات قربه وأحواله (حق جهاده) الذى أمر به على ألسن رسله وأوليائه ولا يبعد أن يصطفيكم بذلك اذ (هو اجتباكم) للاسلام وكيف لا يصطفيكم بالجهاد وفيه من الحرج ما فيه وقد اجتباكم بدين الاسلام (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وانما اجتباكم فيه بدون الحرج لكونه (ملة أبيكم ابراهيم) وهى وان لم تسم اليوم اسلاما (هو سماكم المسلمين من قبل) اذ قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاتبعوه فى أصل الدين (وفى هذا) الجهاد لتبلغوا غاية الكمال الذى به الاصطفاء الموجب مناسبة الرسل (ليكون الرسول شهيدا عليكم) اذ يختص بمكاشفة أحوالكم دون غيره (وتكونوا شهداء على الناس) اذ يكاشف لكم عن أحوالهم وهذا الجهاد انما يتم بالافعال الظاهرة مع الاعتصام بالله (فأقيموا الصلوة) مع كمال الحضور والخشوع (وآتوا الزكوة) للتطهر عن حب المال (واعتصموا بالله) فلا تفعلوا اشيأ من الاعمال الظاهرة والباطنة بدون الاستمداد منه (هو مولاكم) الذى يتولى أموركم عند ذلك ومن كان الله مولاه (فنعم المولى) مولاه كيف (و) هو ينصره فى كل مقام فهو (نعم النصير) فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المؤمنون)

سميت بهم لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها فى أوائلها وفى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله سابقون (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى المؤمنين (الرحمن) بافاضة وصف الايمان عليهم (الرحيم) بافاضة سائر أوصافهم ونتائجها (قد أفلح) أى فاز بغاية الكمال (المؤمنون) اذا استكملوا الايمان بالصلاة والصلاة بالخشوع فصاروا هم (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) والخشوع التذلل مع الخوف والزام الابصار المساجد (و) انما تم لهم الخشوع لانهم (الذين هم عن اللغو) ما لا يعنيهم (معرضون) لاستغراقهم فى الجد من عبادة الله تعالى وذكره (و) انما تيسر لهم الاعراض لانهم (الذين هم للزكوة) أى تطهير النفس عن رذيلة حب المال (فاعلون و) من آثار تلك الطهارة هم (الذين هم لفروجهم حافظون) فلا يطلقونها على امرأة (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) لكونهم أصحاب العفة المتوسطة بين افراط الزنا واللواطة واتيان البهيمة وتفريط العفة (غير ملومين) وان بالغوا فى الاطلاق عليهن واذا انقطعت ضرورة النفس بالازواج والاماء (فمن ابتغى وراء ذلك) أى طلب الزيادة عليها بالزنا وأخويه (فأولئك هم العادون) وان لم يكن أهل العفة أهل العدوان وان دخل فى اللوم كيف (و) قد خانوا أمانة النطفة وخالفوا عهد جعلها بذرا مع أن المؤمنين هم (الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) اذ بدون رعايتهما يكون مضيع الصلاة

أى سعتها ولم يرد العرض الذى هو خلاف الطول (قوله عزائمه عزمت) أى صحت رأيك فى امضاء الامر (قوله عز وجل عاشروهن) أى صاحبوهن (قوله تعالى العنت) أى الهلاك وأصله المشقة والصعوبة من قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسلك حدثنى أبو عبد الله قال حدثنى أبو عمر عن الهدهد عن المبرد أنه قال العنت عند العرب

بجعلها للمظلومين (و) المؤمنون هم (الذين هم على صلواتهم يحافظون) وانما أفلح (أولئك)
الجامعون لهذه الاوصاف اذ (هم الوارثون) عن الكفار أماكنهم فى الجنان و بقرض أعلى
الاماكن بقرض علوهم فى الصلاح فهم (الذين يرثون الفردوس) ولا يورث منهم اذ (هم فيها
خالدون و) لا يبعد أن يحصل الانسان بهذه الاطوار المعنوية رتبة وراثة الفردوس وقد حصل له
بالاطوار الحسية رتبة الانسانية فانا (لقد خلقنا الانسان) أى ابتدأنا خلقه (من سلالة)
أى خلاصة (من طين) تراب خلط بماء فصار نباتا فأكله انسان فصار دما (ثم جعلناه)
بالتصفية (نطفة) فنقلناه الى رحم المرأة فتركناه (فى قرار) أى مستقر (مكين) تمكن فيه
النفس من التصرف فيها (ثم) بعد انضمام دم الطمث اليها (خلقنا النطفة علقة) بالاستحالة
من بياض الى حمرة (فخلقنا العلقة) بتصليبها (مضغة) قطعة لحم بقدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة
عظاما) بمزيد التصليب (فكسونا) بالحاق دم الطمث (العظام لحما) يسترها (ثم) بعد كمال
الصورة والمزاج (أنشأناه خلقا آخر) هو خلق الانسانية بنفخ الروح فالايمان سلالة عنصر
القرب والصلاة بذر المقامات والاحوال والاعراض عن اللغو يحصل صفات البشرية بما
يناسب صفات الحق كالعلقة وفعل الزكاة يفيد تقوية كالمضغة ومحافظة الفروج يزيد
تقوية كالعظام ورعاية الامانة والعهد يمنع وصول أذية بكسر هذه القوة كاللحم ومحافظة
الصلاة كالروح فلا يبعد أن تورث مراتب الفردوس (فتبارك الله) أى تعاظم قدرة وحكمة
وتصرفا (أحسن الخالقين) لو قدر غيره خالقا (ثم انكم بعد ذلك) أى بعد تحصيل هذه
الكمالات المعنوية والحسية (لميتون) والحكيم لا يتلف ما استكمله بأنواع التكميل
لذلك (ثم انكم يوم القيامة) لتقوموا لرب العالمين (تبعثون) فلا يبعد أن يبعثكم الى تلك
المراتب العالية التى ورثتموها من أعدائكم لو رجعوا اليه بأعمالكم (و) انما جعلنا الاعمال
المفيدة للفلاح سببا كالاطوار المفيدة للارواح لانا (لقد خلقنا فوقكم) للفيض عليكم
(سبع) سموات (طرائق) لصعود الاعمال ونزول الفيض كيف (و) ليس ذلك ليحصل
لنا العلم بالاعمال والفيوض لانا (ما كنا عن الخلق غافلين و) يدل على كونه للفيض انا
(أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض) ليدوم الانتفاع به ليتموا شكرنا (و) ان تركوه
(انا على ذهاب به) باغواره أو اصعاده (لقادرون) ولكن مع ترك الشكر بما نزيدهم انعاما
ليزدادوا كفرانا فنزيدهم انتقاما على انه لا تخلو الارض من شاكر (فأنشأنا لكم) أيها
الشاكرون (به جنات من نخيل وأعناب) لتعلموا انه يحصل لكم من فيض الاعمال مقامات
وأحوال (لكم فيها) أى فى تلك الجنات (فواكه كثيرة) من الرطب والتمر والبسر والعنب
والزبيب لتعلموا انه يحصل من المقامات والاحوال علوم واخلاق ثم ان منها ما يفيد مجرد
التلذذ (ومنها) ما يفيد معه الحفظ وهو ما (تأكلون) لتعلموا أن من الاعمال ما يفيد التلذذ
بالالطاف الالهية وما يفيد الحفظ (و) لا يبعد أن يحصل من عمل واحد فوائد كثيرة اذا
كان رفيع القدر طيب المنبت فانا قد أنشأنا لكم (شجرة) هى الزيتون (تخرج) فى الاصل

تكليف غير الطاقة (وقوله
عز وجل ولو شاء الله
لأعنتكم) اى لاهلككم
ويجوز أن يكون المعنى
اشدد عليكم وتعبدكم بما
يصعب عليكم اداؤه كما فعل
بمن كان قبلكم (وقوله عز
وجل عزيز عليه ما عنتم)
أى ما هلكتم أى هلاككم
وقوله عزيز عليه ما عنتم
أى شديد يغلب صبره يقال
عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه
قولهم من عزيز أى من
غلب سلب (عززتموهم)

(من

(من طور سيناء) أى من جبل رفيع من السناء وهو الرفعة أو منير من السنا بالقصر وهو النور (تنبت بالدهن) المشعل للسراج (وصبغ) أى وباد ام يغمس فيه الخبز (للآكلين) وكذلك يحصل من عمل واحد تسريح الباطن وتقوية الظاهر (و) لا يبعد انقلاب العمل الشاق لذة وانقلاب التذلل فيه اكراما فانه كانقلاب العلف فى بطن الحيوان لبنا (ان لكم فى الانعام لعبرة) تعبرون بها الى الاعمال (نسقيكم مما فى بطونها) كذلك نعطيكم اللذة الباطنة من الاعمال الشاقة فى الظاهر (ولكم فيها منافع كثيرة) من نتاجها وشعورها (و) لحومها اذ (منها تأكلون) كذلك يحصل لكم من الاعمال ما ينتج عليكم الاحوال ويصونكم من البلايا ويقويكم على تحمل الشدائد (و) الاعمال الظاهرة كالانعام اذ (عليها) تحملون فى بر الشريعة الظاهرة الى الله تعالى (و) الاعمال الباطنة كالفلك اذ (على الفلك تحملون) اذ الاعتقادات وسائر المساعى الباطنة تحمل الانسان فى بحر الحقيقة الباطنة (ولقد أرسلنا نوحا) للحمل على فلك الاعتقادات الصحيحة (الى قومه) غرقى فى بحر الضلال (فقال يا قوم) الذين يجب على حملهم على فلك النجاة (اعبدوا الله) بالاعتقاد الصحيح فيه سيما اعتقاد التوحيد لانه (ما لكم من اله غيره أ) تتخذون غيره الها أو تعتقدون فيه ما ليس عليه (فلا تتقون) أن يغرقكم فى بحر العذاب (فقال الملأ) أى الاشراف لا بالدين بل بالدنيا الحاجبة عن الله فهم (الذين كفروا) الرسالة منه وان كانوا (من قومه) حقهم أن يحرقوا حجاب الكفر لغرقه (ما هذا) الداعى الى الله بدعوى الرسالة منه (الا بشر) وكل بشر فهو (مثلكم) ولا يفضل أحد المثلين الآخر بمزيد علم بالله أو غيره بل غايته انه (يريد أن يتفضل عليكم) بدعوى الرسالة ومزيد العلم بالله والقرب من الله وان كان فاضلا فليس برسول اذ لم ينزل من مكان الرسل وهو السماء (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل) من سمائه (ملائكة) ولو أرسل من أهل الارض اليهم لكان ذلك له سنة مستمرة لكن (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) وهو فى زعمه انه يأتيه الملك من الله (ان هو) أى ما هو (الا رجل به جنة) أى خيال فاسد (فتربصوا به) أى فانتظروا بزوال جنونه (حتى حين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم حججى وآياتى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) لتنجو من اهلاكهم بالغرق اذ لم يركبوا سفن النجاة التى كانت بأمرنا على لسانك لهم (ووحينا) اليك (فاذا جاء أمرنا) باغراقهم (وفار) أى نبع (التنور) الذى يشبه مجمع نيران أهويتهم (فاسلك) أى أدخل (فيها من كل زوجين) أى حيوانين مختلفين بالذكورة والانوثة (اثنين) لا أزيد لئلا تضيق السفينة عن بعض الاصناف ولا أنقص لئلا يتلف بعض الاصناف بالكلية (وأهلك) و يلحقهم من آمن وفيه اشارة الى انه لا بد من حمل الروح والقلب والسر والخفاء على سفينة النجاة فى بحر الحقيقة بمراعاة الشريعة (الا من سبق عليه القول منهم) من الله باهلاكه كامرأتك وولدك كنعان وفيه اشارة الى ان النفس وأولادها من الصفات الذميمة غير محمولة (ولا تخاطبنى فى) شفاعة (الذين ظلموا) وان غلبتك الشفقة عليهم عند رؤية هلاكهم

أى عظمتموهم ويقال نصرتموهم وأعنتموهم (عدوا) أى اعتداء ومنه قوله عز وجل فيسبوا الله عدوا بغير علم (قوله تبارك اسمه عتوا) أى تكبروا وتجبروا والعاتى الشديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل موعظة (قوله عز وجل عفوا) أى كثروا يقال عفا الشئ اذا زاد وكثر وعفا الشئ اذا درس وذهب وهو من الاضداد (قوله عز وجل عرض

(انهم مغرقون) فى بحر الهلاك كما غرقوا فى بحر الضلال (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك) اى فلك النجاة وفلك الاعتقادات الصحيحة (فقل) نفيا للعجب بصنعك وعملك (الحمد لله الذى نجانا من) هلاك (القوم الظالمين) وشبهاتهم (و) ليس لك أن تدوم على السفينة الظاهرة بعد ذهاب الطوفان بل استدم ركوب الباطنة بربك وفى الظاهرة (قل رب أنزلنى) من السفينة الظاهرة (منزلا مباركا) يكثر فيه الخير فيكون سفينة باطنة (و) أولى المنازل المباركة منزل قربك (أنت خير المنزلين) لمن أنزلته منزل قربك (ان فى ذلك لآيات) أى ان فيما عمل بنوح وقومه وأهله دلائل على ان الاعتقادات الصحيحة فلك النجاة عن بحر العذاب والاعراض عنها مغرق وان متابعة أهل النجاة تفيد النجاة دون قربه (و) يدل على اعتبار هذه الدلالات اختبارنا بعده بما اختبرنا به قومه (ان كنا) أى انا كنا (لمبتلين ثم أنشأنا) للابتلاء (من بعدهم) ليعلموا ان ابتلاءهم مثل ابتلائهم (قرنا آخرين) هم ثمود لنحملهم على دواب الاعمال حمل الاولين على فلك الاعتقادات (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو صالح صاحب الناقة فلما لم يذكرها لعدم كونها مركوبة لاحد لم يسم صاحبها (أن اعبدوا الله) بالاعمال الظاهرة لتصلوا اليه على أحسن الوجوه مع انه لابد من الوصول اليه لانه (ما لكم من اله غيره) تصلون اليه بدله (أ) تعتقدون انكم لا تردون اليه (فلا تتقون) انكم اذا وصلتم اليه مدبرين عنه كان رده اليه رد العبد الآبق قهرا الى مولاه فكفروا به (وقال الملأ) أى الاشراف الذين تبعهم من دونهم (من قومه الذين كفروا) استكبارا عليه فاذا استكبر التابعون فالمتبوعون أشد (وكذبوا بلقاء الآخرة) الذى يعمل له تلك الاعمال لا لدليل على امتناعه (و) لكن لعدم نظرهم فيه اذ (أترفناهم) أى نعمناهم بما يغرقهم (فى) اشتغال (الحيوة الدنيا ما هذا) الذى يزعم انه يسير بكم الى الله (الا بشر مثلكم) لا يفارقكم فى شئ من خواص البشرية حتى يلحق الملائكة لانه (يأكل مما تأكلون منه) لا من عالم الملكوت (ويشرب مما تشربون) فلا يخالف عادة الآكلين (ولئن أطعتم) فى ركوب ظهر الاعمال (بشرا مثلكم) يأمركم به (انكم اذا لخاسرون) عزة أنفسكم بالتذلل لامثالكم ولذا تذهبوا تكم ولا يجبر بما يعدكم فى الآخرة لانه أمر مستبعد (أيعدكم أنكم اذا متم و) بعدتم عن قبول الحياة اذ (كنتم ترابا و) لو لم يصر كلكم ترابا فلا أقل من ان يبقى بعضكم (عظاما) وهى أصلب من التراب فهى أبعد من قبول الحياة (أنكم مخرجون) من قبوركم مع أن الحى لو قبر لا يمكنه الخروج عنه واذا كان هذه الامور مانع الحياة (هيهات هيهات) أى البعد كل البعد (لما توعدون) من العذاب والثواب بعدها ولو حصلت حياة (ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا) بطريق التناسخ (و) هو وان كان جائزا فبعث القيامة محال (ما نحن بمبعوثين) بالخروج من القبر لانه خلاف الامر المستمر فان أخبر بذلك عن الله (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا و) ان أتى بدلائل صدقه (ما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) فى آياتى (قال) انهم وان لم يهلكوا الآن لكن (عما) أى عن زمن (قليل ليصبحن) أى ليصيرن

(نادمين)

الدنيا) أى طمع الدنيا وما يعرض منها (قوله عزوجل عيلة) أى فقرا (قوله عزوجل عن يد) أى عن قهر وذل وقيل عن يد أى عن مقدرة منكم عليهم وسلطان من قولهم يدك على مبسوطة أى قدرتك وسلطانك وقيل عن يد أى عن انعام عليهم بذلك لان أخذ الجزية منهم وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم ويد من المعروف جزيلة (قوله عزوجل عرضا قريبا وسفرا قاصدا)

(نادمين) على تكذيبهم ندما دائما بدوام العذاب عليهم (فأخذتهم الصيحة) أى أحاطت بهم (بالحق فجعلناهم) بتلك الصيحة لتفريقها عناصرهم (غثاء) أى نباتا يابسا لبعدهم عن رطب فيض اللطف الالهى (فبعدا للقوم الظالمين) برد ذلك الفيض عنهم (ثم) لم نترك الابتلاء بل (أنشأنا من بعدهم) للابتلاء بركوب أفلاك الاعتقادات وظهور دواب الاعمال (قرونا آخرين) لم يذكر الرسل ههنا اذ لم يكن فيهم صاحب سفينة ولا دابة وأجلنا لكل امة أجلا ليتعلم دلائل الاعتقادات وكيفياتها وهم وان أهملوا ذلك لم يستعجل بعقابهم (ما تسبق من أمة أجلها) اتماما للحجة عليها (وما يستأخرون) لانه يشبه الاهمال ولكن تخللت المدة بين كل قومين من هؤلاء (ثم أرسلنا) الى أمم بعدهم (رسلنا تترى) كل واحد عقيب الآخر بلا تخلل مدة لئلا ينسى عهد السابق فلم يبال المتأخرون قرب هلاك المتقدمين بل (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) ولم نترك مقتضى ابتلائنا (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (و) لم نجعلهم منسيين بل (جعلناهم أحاديث) لكنهم بعدوا عن اعتبارها فاهلكوا بالابعاد عن اللطف (فبعدا للقوم لا يؤمنون) بتلك الاحاديث المتواترة المتكاثرة (ثم) بعد ارسال الرسل المتعاقبين بلا تخلل مدة (أرسلنا) على سبيل المعية (موسى وأخاه) لتأييده (هرون) سماهما وان لم يكن لهما فى الظاهر سفينة ولا دابة لكن كثر لهما السفن المعنوية اذ كان ارسالهما (بآياتنا) أى معجزاتنا القاهرة (وسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (الى فرعون وملئه) ليركبوا سفن الاعتقادات الصحيحة (فاستكبروا) على المعتقد فيه فلم ينالوا تصحيح الاعتقادات فيه وفاسده (و) اغتروا فى ذلك بأنهم (كانوا قوما عالين) فرأوا اعتقاد الهية الله تعالى نزولا سيما بقول رسله (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) فى البشرية (و) دوننا فى الرتبة اذ (قومهما لنا عابدون) فكان ايماننا بهم انقياد المعبود للعابد فكان هذا داعيا لهم الى تكذيبهما (فكذبوهما) مع ظهور صدقهما (فكانوا) باستهانة الله واستهانة من عظمه بآياته وحججه واستعبادهم (من المهلكين) فى بحر القلزم أو النيل لعدم ركوبهم سفينة النجاة المعنوية وانقطاع طريق البر عليهم لوقوعهم فى بحر فساد الاعتقاد المانع من صحة الاعمال (و) كان لموسى أيضا دواب الاعمال لانا (لقد آتينا موسى الكتاب) الجامع للاعمال (لعلهم يهتدون) بعمل من تلك الاعمال أو باعتقاد من تلك الاعتقادات التى دل عليها بسلطانه المبين (و) لما كان الاهتداء بذلك اهتداء بما هو خارج عن موسى (جعلنا ابن مريم وأمه) التى هى أصله (آية) فى أنفسهما اذ ظهرت عليهما الكرامات فى الصبا فلم يهتدوا بهما أيضا بل اخرجوهما من البلاد ومنعوهما الطعام والماء (وآويناهما الى ربوة) أى مكان مرتفع لا يخاف فيه من ايذائهم (ذات قرار) لكثرة المطاعم فيه (ومعين) أى جار من الماء قيل هى الرملة وقيل فلسطين وقيل بيت المقدس ولم يكن تنفرهم عنه لمنعه اياهم من المشتهيات فانه وان كثرت الرهبانية فى أمته لم يأمرهم بذلك اذ لم يأمر به الرسل بل قلنا لهم (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) لئلا يمتنع عنها أتباعكم فينفر الناس عنكم (و) لكن لا تفرطوا فيه بحيث يمنعكم

أى طمعا فى رياء وسفرا غير شاق (قوله عز وجل عدن) أى اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (قوله تعالى عاصم) أى مانع من قوله لا عاصم اليوم من أمر الله أى لا مانع (قوله عنيد) وعنود وعاند ومعاند ومعناه معارض لك بالخلاف عليك والعاند الجائر العادل عن الحق يقال عرق عنود وطعنة عنود اذا اخرج الدم منها على جانب (قوله عز وجل عصيب) شديد يقال يوم

من العبادات بل اجعلوها قوة على العبادات (اعملوا صالحا) شكرا عليها لتزدادوا من النعم (انى بما تعملون عليم) فاعلم بما يقتضى أعمالكم من مزيد الانعام عليكم (و) لا يتفرع عن متابعتكم اختلاف أديانكم بل (ان هذه أمتكم) فى كل عصر (أمة واحدة) يكفى اتفاقها على دين وان خالفت الامم السابقة (و) لا بأس بذلك الاختلاف اذ (أنا ربكم) الذى ربيت أهل كل عصر بدين (فاتقون) ان تخالفوا أمرى الذى يفيدكم امتثاله فوائد التربية (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) أى جعلوا أمر دينهم قطعا مختلفة من عند أنفسهم فاخذ كل فرقة بملة لا بدليل بل بميلهم اليه (كل حزب بما لديهم فرحون) اعجابا بما عندهم من الرأى (فذرهم فى غمرتهم) أى فاتركهم فى عمايتهم (حتى حين) أى الى حين يكشف عنهم الحجب بالموت ومما زاد فرحهم امدادهم الله تعالى باموال وبنين على ما هم عليه (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع) أى نبالغ به (لهم فى) افاضة (الخيرات) ليس كما يحسبون (بل لا يشعرون) ان امداد المصر على المعاصى بالنعم استدراج له لازدياد النقم على ان الفرح ضد سبب المسارعة فى الخيرات وهو الخشية (ان الذين هم من) غلبة (خشية ربهم) الذى رباهم بالنعم ان يسلبها عنهم ويذيقهم بدلها النقم (مشفقون) متضرعون (و) انما تم لهم هذا الاشفاق لانهم (الذين هم بآيات ربهم) الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته (يؤمنون و) انما تم لهم الايمان بالآيات لانهم (الذين هم بربهم لا يشركون) فلا يجعلون لغيره قدرة على ايجاد آية والمكذب يجعل للغير تلك القدرة المخصوصة بالله (و) من غاية اشفاقهم انهم (الذين يؤتون ما آتوا) من العبادات حقوقها (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان تنسى شيأ من الحقوق فلا يظهر الا اذا رجعوا الى الله تعالى فهم يخافون (أنهم الى ربهم راجعون أولئك) المبالغون فى الاشفاق (يسارعون فى الخيرات) أى يبالغون فى تحصيلها (و) اذا أمدهم الله مع ذلك بمال وبنين (هم لها سابقون) أى يسبق تحصيلهم لها على تحصيل المشتهيات (ولا نكلف نفسا) فى ايفاء الحقوق للمسارعة فى الخيرات (الا وسعها) لا الرهبانية (و) لا بأس بزيادة ما لا يخالف الشرع اذ (لدينا كتاب ينطق بالحق وهم) وان عملوا به من عند أنفسهم لا يفوتهم ثوابه اذ (لا يظلمون) وهؤلاء الممدودون بالاموال والبنين لا يسارعون فى الخيرات اذ أصروا على المعاصى اذ لا يبالون بالجزاء (بل قلوبهم فى غمرة) أى عماية (من هذا) الجزاء (و) لو التفتوا اليه (لهم أعمال من دون ذلك) أى مجاوزة لما فى الكتاب اختاروها اذ (هم لها عاملون) قبل نزوله وبعده الى وقت المؤاخذة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى متنعميهم بصرف الاموال والاولاد فى المشتهيات المحرمة (بالعذاب اذا هم يجأرون) أى يستغيثون فيقال لهم (لا تجأروا) فانه وان كان يفيدكم يوما قبل هذا لا يفيدكم (اليوم انكم) لا تخلصون (منا) اذ (لا تنصرون) اذ لم يبق للشفاعة دخل فانه (قد كانت آياتى) الدالة على هذه المؤاخذة المؤبدة (تتلى عليكم) واحدة بعد أخرى لتدبروا فيها (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون قهقرى عن سماعها فضلا عن تدبرها ولم يكن رجوعكم لظهور نقص فيها

عصيب وعصبصب أى شديد (قوله تعالى عرش) أى سرير الملك ومنه ورفع أبويه على العرش وقوله أهكذا عرشك (عمرو عمر) واحد ولا يقال فى القسم الا المفتوح ومعناهما الحياة (قوله تعالى عضدا) أى أعوانا ومنه قولهم قد عاضده على أمره اذا أعانه عليه (قوله عز وجل عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أظهرناها حتى رآها الكفار يقال عرضت الشئ أظهرته

بل

بل لكونكم (مستكبرين به) أى بذلك الرجوع وربما لم يكن ذلك لاظهار عظمتكم عند
الخلق بل من أتاكم بها ليلا (سامرا) بها (تهجرون) أى تتركونه كراهة اتيانه بها
(أ) هجروا السامر بها (فلم يدبروا القول) الذى قاله ليلا بحيث لم ينقص من جاههم شيأ اهجروه
وتركوا التدبر فيه للاستكبار (أم) لانه (جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم) لانهم يشكون
فى صدق من جاء به مع انه لا ينبغى لهم ان يشكوا فيه لولا ظهور المعجزات على يديه فكأنهم (لم
يعرفوا رسولهم) بالصدق قبل المعجزات (فهم له) بعد ظهور المعجزات على يديه (منكرون)
بناء على ان المعجزات انما تدل على صدق من ظهرت على يديه اذا كان خيرا (أم يقولون) انه
وان لم يتعمد الكذب (به جنة) اى جنون يتخيل به انه يوحى اليه ولم يأتهم بشئ من خيالات
المجانين (بل جاءهم بالحق) الذى يشهد بصدقه العقل (و) لكن كرهوه اذ (أكثرهم للحق
كارهون) بل يريدون ان يقول ما يوافق أهواءهم (و) لا يعلمون انه حينئذ لا يكون قول
الحق اذ (لو اتبع الحق أهواءهم) قولا أو فعلا (لفسدت السموات والارض ومن فيهن)
اذ تصير الطاعات المتضمنة للمصالح معاصى متضمنة للمفاسد والمعاصى طاعات فما آتيناهم
ما يفسدهم (بل أتيناهم بذكرهم) أى بشرفهم الذى هو غاية الصلاح لكنهم لا يرونه شرفا
بل نقصا (فهم عن ذكرهم معرضون) الى متابعته نقص شرف (أم) نقص مال اذ (تسئلهم)
على أداء الرسالة (خرجا) يفوت به ثواب الآخرة (فخراج ربك خير) لانه بحسب المعطى
(و) لا يفوتك بترك طلب الخرج منهم الرزق اذ ربك (هو خير الرازقين وانك) مع عدم طلبك
منهم الرزق ترزقهم الهداية (لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولكن انما يعرف استقامته
من ينظر اليه وهو المؤمن بالآخرة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون)
أى عادلون فلا ينظرون اليه ليعرفوا استقامته واعوجاجه (و) عدولهم عن صراط
الدنيا أوجب لهم العدول عن صراط الآخرة فأوقعهم فى النار بحيث لا يرجون أبدا اذ (لو
رحمناهم و) لو بأن (كشفنا ما بهم من ضر) أى عذاب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم)
أى افراطهم المخرج لهم عن صراط الدنيا (يعمهون) يترددون فيه ولا ينتزعون عنه
كيف (و) قد جرب عليهم ذلك فانا (لقد أخذناهم بالعذاب) أى القحط (فما استكانوا)
أى تذللوا عند وجوده (لربهم وما يتضرعون) بعده عن خوف عوده فلم نزل نبتليهم
بأنواع البلايا كالقتل والاسر وهم كذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم
فيه مبلسون) أى آيسون عن كل خير فلو رحمناهم بعد الاياس لم يبالوا بشدة العذاب
بعده اذ يرجون العود الى الخير (و) لا يبعد ان يفتح عليكم هذا الباب لانه جمع لكم
أصول النعم المستتبعة ما لا ينحصر من فروعها اذ (هو الذى أنشأ لكم السمع) أفرده لان سمع
القلب لما كان تابعا للظاهر جعلا كأمر واحد (والابصار) بصر العين وبصر القلب
وبصر الكشف (والافئدة) الفؤاد الظاهر والباطن لتشكروه غاية ما يمكنكم لكنكم
(قليلا) من الشكر (ما تشكرون) فكيف لا يغضب عليكم غضبا يفتح عليكم بابا ذا عذاب

واعرض لك الشئ ظهر
ومنه قول عمرو بن كلثوم
وأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدى مصلتينا
(قوله عز وجل عنت
الوجوه للحى القيوم) أى
استأسرت وذلت وخضعت
(قوله جل وعز عزما) يعنى
رأيا معزوما عليه (قوله عز
وجل عشير) أى خليط
معاشر (قوله جل وعز
عذاب يوم عقيم) يعنى
عقم أن يكون فيه خير
للكافرين (قوله عز وجل
علقة) دم جامد وجمعها علق

شديد (و) لامانع من غضبه من عدم وصولكم اليه اذ (هو الذى) جعل لكم الوصول الى
مطالبكم اذ (ذرأكم) أى بثكم (فى الارض) التى تفرقت المطالب فيها (واليه
تحشرون) أى تجمعون للسؤال عن الشكر عن حصول تلك المطالب (و) كيف تستبعدون
منه الاثابة والمعاقبة اذ (هو الذى يحيي ويميت) فى الدنيا فلا يبعد عليه ان يحيي بالثواب
ويميت بالعقاب (و) كيف ينكر العذاب وهو اما بالحر واما بالبرد فله أن يعذب بايهما شاء اذ
(له اختلاف الليل والنهار) بالبرودة والحرارة (أ) تنكرون البعث بعد هذه الوجوه (فلا
تعقلون) أى فلا تنظرون بالعقل فيها لكنهم ما عقلوا (بل قالوا مثل ما قال) الحقى
(الاولون) اعتبارا الاوليتهم مع انه الا ترفع الحماقة (قالوا ءاذا متنا و) بعد نامن قبول الحياة اذ
(كنا ترابا وعظاما) أبعد من التراب فى قبول الحياة لان التراب قبلها مدة ثم تركها والعظام لم
تقبلها أصلا فى زعمهم (ءانا لمبعوثون) ايتحقق بعثنا جزما ولا دليل عليه سوى الوعد الكاذب
(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) فلم يظهر لنا ولا بآئنا صدقه (ان هذا) أى ليس القول
بالبعث والجزاء (الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (قل) لمنكرى البعث
استبعادا لقلب التراب انسانا (لمن الارض ومن فيها) ايجادا (ان كنتم تعلمون) انها حادث
مسبوق بالعدم (سيقولون لله قل أ) تنكرون قلبها ممن أوجدها وأوجد ما فيها (فلا
تذكرون) أن القلب أيسر من الايجاد عن عدم فان زعموا ان الروح الانسانى اذا صار الى
العالم الاعلى بعد النزول لا ينزل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل أ) تنكرون قدرته على انزال الروح من أحدها الى ما دونه (فلا تتقون) عقابه بالقول
بعجزه فان زعموا ان الروح من عالم الملكوت اذا التجأت اليه فمن يردها عنه (قل من بيده
ملكوت كل شئ وهو يجير) من يشاء منه (ولا يجار عليه) فلا يمكن للملكوت ان يمنع مراد
الله (ان كنتم تعلمون) ان الله لا يغالب أصلا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) اى تخدعون
عن الرشد ما خدعناهم (بل أتيناهم بالحق و) ان خالف قول آبائهم (انهم لكاذبون)
ككذبهم فى نسبة الولد والشريك فانه (ما اتخذ الله من ولد) لان الولد لا بد وان يناسب الوالد
فى أخص أوصافه وهو وجوب الوجود فلا يتصور فى الولد لوجوب تأخيره عن الوالد (وما كان
معه) فى وجوب الوجود (من اله) لانه يجب أن يتخالفا بالذات والا لتشاركا فى ذاتى واختلفا
فى آخر فيلزم افتقارهما الى أجزائهما والمتخالفان فى الذات يجب أن يتخالفا فى الافعال فاقل
ما فيه انه يجب ان لا يرتبط كل ما فى العالم بالآخر (اذا لذهب كل اله بما خلق) لكنه خلاف
ما تقرر عند أهل التحقيق من ارتباط الكل بالكل (و) أيضا لو كان معه اله (لعلا بعضهم)
علوا كاملا (على بعض) علا على الاول بما علا به الاول عليه من كل وجه اذ علو الالهية
بالعلو الكامل لكنه محال (سبحان الله عما يصفون) من نسبة الولد والشريك اليه ومن
علو الاله أنه يجب ان يكون محيطا بالكل لذلك هو (عالم الغيب والشهادة) فيلزم ان يكون
كل واحد منهما محيطا ومحاطا من وجه واحد وهو محال (فتعالى عما يشركون) وتعاليه

يقتضى

(قوله عز وجل العادين) يعنى الحساب (قوله عز وجل عبدت بنى اسرائيل) يقول اتخذتهم عبيدا لك (قوله عز وجل عورة) أى معورة للسراق يقال اعورت بيوت القوم اذا ذهبوا عنها فامكنت العدو ممن أرادها واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والطعن وعورة الثغر المكان الذى يخاف منه (قوله عز وجل عرم) جمع عرمة وهى سكر للارض مرتفعة

يقتضى غضبا على المشركين يقرب عقابه منهم بحيث يخاف أن يلحق من يصاحبهم فى الدنيا لذلك قال (قل رب اما تريني) أى ان تحقق اراءتك اياى (ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) فان مقتضى تربيتك اياى بوجوه التربية ان تميزنى عنهم مع تحقق المميز الذى هو ظلمهم (و) ليس ذلك بطريق المبالغة فى التخويف بل يجب ان يخاف ذلك على التحقيق (آنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا لا نريك بل نمنعك ان تدعو عليهم بذلك بل (ادفع بالتى هى أحسن) أى المناظرة المشتملة على المقدمات الواضحة (السيئة) من شبهاتهم فانا نعلم ما يزيل عن قلوبهم ما يصفون به ربهم (نحن أعلم بما يصفون) به ربهم ما يندفع بالمقدمات القطعية (وقل رب أعوذ بك من همزات) أى وساوس (الشياطين) فى قطعية تلك المقدمات فتزعم انه ما من مقدمة الا ويحتمل ان يعترض عليها بوجه من الوجوه (واعوذ بك رب أن يحضرون) فيمنعوا من الالتفات الى تلك المقدمات بالكلية بان يشتغل عنها بامر آخر (حتى اذا جاء أحدهم الموت) الكاشف عن مدلولها (قال رب ارجعون) اى ارجعنى قالوا لتعظيم المخاطب فانه قد ظهر لى المدلول الذى فاتنى العمل بمقتضاه (لعلى أعمل صالحا) من الاعمال الباطنة والظاهرة وهو وان لم يتأت بعد الموت اجعلوه من لطفكم محسوبا (فيما تركت) من العمر خاليا عنه فيقال له (كلا) ارتدع عن طلب الرجعة ولكنه لا يرتدع عن طلب الرجعة (انها كلمة هو قائلها) دائما (و) لا تفيدهم اذ (من ورائهم) الذى بينهم وبين ما يريدون الرجوع اليه (برزخ) أى حجاب لا ينخرق (الى يوم يبعثون) وهو يوم نفخ الصور (فاذا نفخ فى الصور) انخرق الحجاب فرجعت النفس الى البدن للجزاء الحقيقى بعد الخيالى فى البرزخ لكنه لما كان بلا واسطة الآباء (فلا أنساب بينهم يومئذ) حتى يحمل بعضهم من بعض العقل (ولا يتساءلون) ولا يسأل فيه بعضهم بعضا ليعطيه شيأ من ثوابه أو يحمل شيأ من عقاب صاحبه فلا ينافى هذا قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا القول بالشفاعة (فمن ثقلت موازينه) أى موزونات أعماله الظاهرة والباطنة بان كان لها مقدار (فأولئك هم المفلحون) بقدر ذلك ثوابا ودرجة (ومن خفت موازينه) بان لم يكن لاعماله مقدار (فأولئك الذين خسروا) أى غبنوا (أنفسهم) بتضييع كمالاتها ومن خفتها ثقل صاحبها فهم (فى جهنم خالدون) ولخسرانهم الكمال المانع من شدة العذاب سيما من الوجه (تلفح) أى تحرق حرقا شديدا (وجوههم) التى هى مجمع أكثر النعم من الحواس الظاهرة والباطنة وقد كفروا بها (النار وهم فيها كالحون) تقلصت شفاههم فبلغت العليا وسط الرأس والسفلى السرة لوصول المطاعم والمشارب المكفورة أو المحرمة اليها أولا ويقال لهم انكم وان استحققتموه من غير اعلام فقد أعلمنا كم بابلغ الوجوه (ألم تكن آياتى) القاهرة المكثرة (تتلى عليكم) مرة بعد أخرى (فكنتم بها) حال تلاوتها او بعدها (تكذبون قالوا ربنا) بالغت لنا فى اعلام أسباب الشقاوة لكن (غلبت علينا شقوتنا) التى فى استعدادنا (وكنا) مع وضوح تلك الآيات وكثرتها ودوام تلاوتها (قوما ضالين) لا نلتفت اليها (ربنا)

(قوله عز وجل العرم) المسناة وقيل العرم اسم الجرذ الذى نقب السكر (قوله عز وجل عززنا) وعززنا بمعنى واحد قوينا وشددنا (قوله عز وجل بالعراء) هو الفضاء الذى لا يتوارى فيه بشجر ولا غيره ويقال العراء وجه الارض (قوله عز وجل وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى وقيل عزنى أى صار أعز منى (قوله عز وجل عارض ممطرنا) أى مصاب ممطرنا (قوله عز وجل عزوها) أى

الذى مننت علينا باعلام تلك الاسباب (أخرجنا) بمنك (منها فان عدنا) فلاعذر لنا بعده
(فانا ظالمون) دائما (قال اخسؤا) أى ابعدوا عن مقام السؤال بالبقاء (فيها ولا تكلمون)
فى تخفيف عذابها وكيف أخرجكم واغفر لكم وأرحمكم مع انكم سخرتم ممن طلب منى ذلك

(انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا) أى مسخرة فى جميع أقوالهم وأفعالهم ولم تزالوا تسخرون بهم (حتى أنسوكم
ذكرى) فصرتم محل الضحك (و) لكنكم (كنتم منهم تضحكون) وهم لم يزالوا صابرين على
سخركم وضحككم فقتضى فعلكم هذا اباولياى ان أعذبكم بهذا العذاب لولم تكفروا ثم انى
أزيد فى تعذيبكم بالاحسان الى من سخرتم منهم (انى جزيتهم) بالثواب بلاحساب (اليوم)
الهائل (بما صبروا) فاستقروا على ايمانهم وأعمالهم (أنهم هم الفائزون) درجات الجنات
على عداوتكم وكفى به عذابالكم (قال) ضيعتم الفوز الابدى بسخركم على من ترك التنعم فى
الايام القلائل الدنيوية (كم لبثتم فى الارض) المشتملة على تلك النعم التى لا نسبة لها الى نعم
الجنة (عدد سنين) لا نسبة له الى الابد (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بالنسبة الى أيام
الآخرة ولا نحقق مقدار ذلك على التعيين لانا مشغولون بالعذاب عن احصائه (فاسئل
العادين) أى الملائكة الذين يعدون أعمار الناس وأعمالهم (قال ان) أى ما (لبثتم
الاقليلا) انتفعتم بمعرفة ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) مقدار هذه الايام فى الدنيا لكن ما كنتم
تعتقدون هذه الايام لانكاركم الجزاء (أ) أنكرتموه (فحسبتم) أى فظننتم (أنما خلقناكم
عبثا) لا لمعرفتنا ولا لعبادتنا (وأنكم الينا لا ترجعون) للجزاء على الاتيان بهما ولا على
تركهما (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن العبث وكيف لا يقصد بالخلق المعرفة والعبادة
وهو (الملك) وكيف يترك الجزاء وهو (الحق) وكيف لا يكون ملكا حقا وهو المفرد بالالهية
اذ (لا اله الا هو) وكيف لا يتفرد بالالهية وهو (رب العرش) المحيط بالكل فتحيط الهيته
بالكل مع اتصافه بوصف (الكريم) المقتضى عموم الفيض (ومن يدع مع الله) المحيط
الهيته بالكل مع عموم فيضه (الها آخر) مع كونه مخاطبه ومفاضا عليه فلا يتصور الهيته
فان تصورت (لا برهان له به) فان كان لم يحاسب عند شريكه للجزاء (فانما حسابه عند ربه)
ففى كل حال (انه لا يفلح الكافرون) كيف يفلح أهل الشرك الجلى مع انه يجب ان يخاف
أهل الشرك الخفى لذلك (قل رب اغفر) لاهل الشرك الخفى كمن يدعى لنفسه الوجود (وارحم)
برفع الشرك الخفى بالفناء فيك (وأنت خير الراحمين) بالابقاء بك فافهم تم * والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النور)

سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الالهى بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة
لنوع الانسان مع مقدماتها وهى أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باحاطته بالكمالات
فى السورة المحيطة بالتجليات ومقدماتها (الرحمن) بانزالها الدال على ظهوره فى كل مظهر

عرفهم منازلهم فيها وقيل
عرفها لهم أى طيبها لهم
يقال طعام معرّف أى
مطيب (قوله عز وجل عتيد)
أى حاضر (قوله عز وجل
ذو العصف والريحان)
العصف ورق الزرع يصير اذا
يبس وجف تبنا والريحان
الرزق وأنشد أبو محمد
سلام الاله وريحانه
ورحمته وسماء درره
(قوله عز وجل عبقرى)
هى طنافس ثخان وقال
أبو عبيدة تقول العرب
لكل شئ من البسط

بمقداره

بقدارە وجعل مقدماته بقدر ما يفيد الاعتدال (الرحيم) بالاطلاع على ذلك بالتذكر من الآيات البينات (سورة) عظيمة محيطة ببيان التجليات الالهية ومقدماتها كتطهير النفس عن الرذائل بالحدود (أنزلناها) لتدل على نزولنا فى التجليات بالمظاهر (وفرضناها) أى قدرنا لها ألفاظا محصورة مع ان معانيها لا تنحصر ليدل على أن التجليات بمقدار المظاهر وان التطهير بمقدار ما يفيد الاعتدال (و) لما لم يظهر هذا الكل واحد (أنزلنا فيها آيات بينات) يطلع على ذلك بالتذكر (لعلكم تذكرون) ثم بدأ بالتطهير عن أخبث الرذائل وهى الزنا اذ يشق التطهير عنه لميل النفس اليها طبعا فقال (الزانية) قدمها لكمالها فى ذلك اذ لا عقل لها كامل يمنعها الافراط فى الشهوات (والزانى) فانه وان كان دونها يستحق مثل ما يستحقها لكمال جنايته من عدم امتناعه من منع العقل الكامل اياه (فاجلدوا) أى فاضربوا بالجلد (كل واحد منهما مائة جلدة) لتكون الضربات المؤلمة بجزاء الضربات الملذة اعتبر عددا وسط الوسطى تقريبا على ان الاقصى تسمية وهو الالف يخاف معه الموت فاقتصر على الاوسط الذى هو غاية عدد العقود وزاد الشافعى فى غير المحصن تغريب عام لحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه فيكون ناسخا والمحصن مخصوص بالاجماع على ان حده الرجم وهو من أصاب فى نكاح صحيح لتحقق سبب النسب فى حقه فاقيم مقامه والزنا قاطع النسب فاقيم مقام القتل واعتبر فيه الحرية لان حد العبد نصف حد الحر ولا يتنصف الرجم واعتبر البلوغ والعقل اذ لا جناية بدونهما (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رقة تعطلون بها ما وجب عليهما (فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان الايمان به يمنع تعطيل الحدود المسقطة للعقوبة الاخروية (وليشهد) أى ليحضر (عذابهما) أى اقامة الحد عليهما (طائفة) أى جماعة أقلها ثلاثة زيادة فى التنكيل واسقاطا للفضيحة الاخروية (من المؤمنين) اذ لا يعتد بقول غيرهم ولا بالاشتهار بينهم ثم أشار الى التنفير عن مناكحتهما فقال (الزانى لا ينكح) مع كمال الميل (الا زانية) لان الجنس سبب الميل والالفة والمخالفة سبب النفرة (أو) أخبث منها (مشركة والزانية لا ينكحها) بكمال الرغبة (الا زان) لا يبالى بزنا امرأته (أو) أخبث منه (مشرك وحرم ذلك) النكاح أى نهى عنه تنزيها (على المؤمنين) لانه سبب الطعن فى النسب وتعرض للتهمة وتشبه بالفساق ولو حمل على الحقيقة فلا يفسد العقد لان الفساد لا يرجع الى نفسه ولا الى جزئه ثم أشار الى زجر من ينفر عن نكاح المحصنات أو يوقع التنافر بينهن وبين أزواجهن (والذين يرمون) أى يقذفون بالزنا (المحصنات) الحرائر البالغات العاقلات المسلمات العفيفات عن الزنا (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) على انهم رأوا مثل الميل فى المكحلة خص هذا العدد لان المجترئ على تحقق هذه الهيئة لا يكون الا قليل الحياء ضعيف المروءة فاكد بتضعيف العدد (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لانهم يقربون فى ايذائهم من ضربهن بحد الزنا فنقص من حدها أقل من الربع الذى يقوم مقام الكل

عبقرى ويقال عبقر أرض يعمل فيها الوشى فنسب اليها كل شئ جيد ويقال العبقرى الممدوح الموصوف من الرجال والفرش ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر رضى الله عنه فلم أر عبقريا يفرى فريه (قوله عز وجل عتت عن أمر ربها) يعنى عتا أهلها عن أمر ربهم أى تكبروا وتجبروا ويقال جبار عات (قوله عز وجل عبس

فى الجملة فنقص منه الخمس (ولاتقبلوا لهم) أى للقاذفين (شهادة أبدا) لظهور كذبهم
(وأولئك) وان حدوا فاسقط عنهم العقوبة الاخروية (هم الفاسقون) لخروجهم عما
وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات (الا الذين تابوا) من القذف بتكذيب أنفسهم
(من بعد ذلك وأصلحوا) بالاستحلال من المقذوف أو التمكين من الحد والاستمرار على ذلك
(فان الله غفور) لهم بالتوبة (رحيم) بقبول الشهادة ولما لم يتضرر القاذف الاجنبى
بزنا المقذوف ألزم الشهود أو الحد ولما تضرر الزوج بزنا زوجته أقيمت شهادته بالله مؤكدة
باللعنة مقام الشهود فقال (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اذلم
يحضرها (الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به
(و) لما كان الشاهد هو المدعى أكدت شهاداته باللعنة فيقول المرة (الخامسة أن لعنت الله
عليه ان كان من الكاذبين) فيسقط عنه حد القذف ويجب عليها الرجم وتقع فرقة الفسخ
بنفسه مؤبدة عندنا وفرقة الطلاق بالحاكم الى أن يكذب نفسه عند أبى حنيفة وينتفى الولد
ان تعرض له فى الشهادات واللعنة (ويدرأ عنها العذاب) أى يدفع عنها الرجم لا الفرقة
ولا يثبت الولد ولا حد القذف على الزوج (أن) تعارض شهاداته بشهاداتها ولعنته بغضبها
أن (تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به (و) لما كانت من المدعى
عليها أكدت بالغضب فتقول (الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) والغضب
زائد على اللعنة اذهى قطع الرحمة كيف وقد دفعت عن نفسها الرجم والزوج انما دفع ثمانين
جلدة عن نفسه (ولولا فضل الله عليكم) بالستر حتى على المتجرئ على الله بالشهادات الكاذبة
وباللعنة أو الغضب (ورحمته) بالابقاء لفضح الكاذب أو أهلكه فى الحال (و) لكنه مكن
من التوبة والمعارضة (أن الله تواب حكيم) اقتضت حكمته ان لا يتلف الانسان ما أمكن
ابقاؤه واصلاحه وليس هذا الفضل والرحمة والتوبة لاهل الافك على أهل بيت رسول الله بل
المكذوب عليه سيما من أهله عليه السلام بالفضل والرحمة أولى * روى انه عليه السلام استصحب
عائشة فى غزوة فاذن ليلة بالقفول فى الرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت فلمست صدرها فلم
تجد عقدا من جزع ظفار فرجعت تلتمسه وظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله
على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد أحدا فجلست تنتظر منشدا وكان صفوان بن المعطل
السلمى قد عرس وراء الجيش فأصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا
الجيش فقال عبد الله بن ابى ابن سلول ان امرأة نبيكم باتت برجل فتبعه زيد بن رفاعة وحسان
ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فقدمت المدينة واشتكت بها شهرا والناس
يفيضون فيها ولم تشعر بشئ من ذلك ولم تر من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كانت تراه
قبل انما يدخل فيسلم ويقول كيف تيكم ثم ينصرف ثم نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المبرز
فعثرت ام مسطح فقالت تعس مسطح فقالت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعى
ما قال فأخبرتها بالافك فازدادت مرضا فلم يرقأ لها دمع ولم تكتحل بنوم فدخل رسول الله صلى

وبسر) أى كلح وكره
وجهه (وقوله عز وجل
عبوسا قمطريرا) اليوم
العبوس الذى يعبس الوجوه
والقمطرير والقماطر
الشديد (قوله عز وجل
عطاء حسابا) أى كافيا
يقال أعطانى ما احسبنى
أى كفانى قيل أصل هذا
ان نعطيه حتى يقول حسبى
(عسعس الليل) أى أقبل
ظلامه ويقال أدبر ظلامه
وهو من الاضداد

الله عليه وسلم فجلس عندها ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ذلك وقد مكث شهرا لا يوحى اليه ثم قال اما بعد يا عائشة انه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت المت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت عائشة رضى الله عنها فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه قلص دمعى فقلت لئن قلت انى بريئة والله يعلم أنى بريئة لم تصدقونى وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى بريئة لتصدقونى فوالله ما اجد لى ولكم مثلا الا ما قال يعقوب فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فوالله ما رام مجلسه حتى أنزل الله على رسوله فأخذه من البرحاء ما يأخذه حتى يتحدر منه مثل الجمان من العرق فى يوم شات من ثقل ما نزل عليه فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ويقرأ (ان الذين جاؤا بالافك) اى الكذب الذى يصرف به من الحق لان ذم اهل بيته عليه السلام وتهمتهم مما يلحق به عليه السلام نقيصة (عصبة) اى جماعة حقهم ان يقوّوكم لانهم (منكم) لكنهم يقوون اعداءكم باختراع التهمة عليكم (لا تحسبوه شرا لكم) يثبت التهمة عليكم ويوقع النقيصة فيكم (بل هو خير لكم) اذ يتولى الله براءتكم فينزلها من سمائه وحيا معجزا يذكر فيه ثناؤكم وذم اعدائكم فهو شر لهم (لكل امرئ منهم) جزاء (ما اكتسب من الاثم) جلد كل واحد منهم ثمانون جلدة وذموا الى يوم القيامة وصار حسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (والذى تولى كبره منهم) اى تحمل عظمه وهو القيام باشاعته بعد ابتدائه بالخوض فيه وهو عبد الله بن ابى (له عذاب عظيم) يذم على نفاقه ويحرق بالنار فى الدرك الاسفل (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) فظنوا انهم لو كانوا مكان صفوان لم يجترؤا على هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهن لو كن مكان عائشة لم تخن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف هتك حرمته صفوان وكيف خانت عائشة (وقالوا هذا) الذى يقال فيها بهذه الامارة (افك مبين لولا جاؤا) اى لولم يأتوا (عليه بأربعة شهداء) فانه لا عبرة لهذه الامارة مع الشهود البالغين النصاب (فاذ لم يأتوا بالشهداء) صارت الامارة مع البراءة الاصلية وعدم تحققه فى الواقع دليلا قطعيا (فاولئك عند الله هم الكاذبون) اى الجامعون لوجوه الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا) بالامهال للتوبة والاستحلال (والآخرة) بالعفو بعدهما (لمسكم) عاجلا من اجل خوضكم (فيما) كثرتم اشاعته كأنكم (افضتم فيه عذاب عظيم) يستحقر عنده الجلد والذم وسائر ما وقع على اهل الافك (اذ تلقونه) اى وقت تلقى بعضكم من بعض (بألسنتكم وتقولون بأفواهكم) وراء التوهم بالباطن (ما ليس لكم به علم) فى حق الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله (و) كيف لا يعجل عقابكم وأنتم (تحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) لان الجراءة على رسول الله وعلى أوليائه تشبه الجرأة على الله (و) مع ظهور عظمته عند الله (لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فى حق الصديقة بنت الصديق

(قوله عز وجل عدلك) اى قوم خلقك وعدلك بالتخفيف صرفك الى ما شاء من الصور فى الحسن والقبح (قوله عز وجل عين آنية) يعنى قد انتهى حرها (قوله عز وجل والعصر) هو الدهر أقسم به (قوله عز وجل عصف مأكول) العصف والعصيفة ورق الزرع وما كول أخذ ما فيه من الحب فأكل وبقى هو لا حب فيه وفى الطبران الحجر كان يصيب أحدهم على رأسه فيجوفه حتى

حبيبة حبيب الله مع انه نهى عن غيبة آحاد المؤمنين وقذفهم (سبحانك) من ان تحبب الى حبيبك من يأتيه بالنقصة من جهته (هذا بهتان) اى كذب يتحير فيه (عظيم) ولكونه بهتانا عظيما فى حق من يجب تنزيه الله أن يوقع فيه النقيصة به (يعظكم) اى ينهاكم (الله أن تعودوا) وتذعنوا (لمثله أبدا) مادمتم مكلفين تسمعون فيه هذا الوعظ البتة (ان كنتم مؤمنين و) ليس النهى عنه على سبيل التعبد المحض بل (يبين الله لكم الآيات) الدالة على وجوه قبحه (والله عليم) بوجوه أخر من القبح فيه (حكيم) لا يبين منها الا ما يقبله الكل ويكفى من قبائحه ان فيه حب اشاعة الفاحشة فى اخص اهل بيت رسول الله وهو دون حب اشاعتها فى العامة (ان الذين يحبون أن تشيع) اى تنتشر (الفاحشة فى) عوام (الذين آمنوا) لينتقص عرضهم (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بالجلد ورد الشهادة (والآخرة) بالنار وكيف لا يعظكم الله (والله يعلم) ما فى اشاعتها من المفاسد كافساد ما بين الزوجين وقطع النسل والطعن فى النسب (وأنتم لا تعلمون) والجاهل لا بد وان يعظه العالم (ولولا فضل الله عليكم) ما وعظكم (و) لولا (رحمته) عليكم لعذبكم قبل ان يعظكم (و) لولا (ان الله رؤف) لما نهى عما يؤدى الى المفاسد ولولا انه (رحيم) لما نبه على تلك المفاسد وانما كان لمحبى اشاعة الفاحشة فى المؤمنين هذا العذاب لانه من اعلى مراتب متابعة خطوات الشيطان (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم معاداة الشيطان ومخالفته فى كل ما يرضاه (لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى آثاره (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) ربما ينتهى الى حيث (يأمر) الناس (بالفحشاء) اى القبائح الشنيعة (و) لو لم يأمر بها امر بشئ من (المنكر) الذى ينكره العقل والشرع (و) ان لم يأمر فلا اقل من ان يتأثر فى نفسه ولا يخلو منه سوى من خص بفضل الله وبرحمته فانه (لولا فضل الله عليكم) بافاضة الاخلاق الفاضلة (ورحمته) بتوفيق الاعمال الصالحة (ما زكى) اى ما طهر عن الرذائل او الافعال القبيحة وان كان (منكم من أحد أبدا) اى فى وقت من الاوقات لاستيلاء الشيطان عليكم أو باستيلاء الشهوات والغضب عليكم (ولكن الله) لكمال قدرته (يزكى من يشاء) مع وجودهما فيه (و) ليس ذلك على سبيل التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق لسماعه دعواتها وعلمه بمقتضياتها اذ (الله سميع عليم و) اقل آثار الشيطان المنع من الخير سيما اذا عظم وقد عرض فيه مانع من الغضب أو الشهوة (لا يأتل) اى لا يقصر (أولوا الفضل منكم والسعة) اى اصحاب الاخلاق الفاضلة والقلوب الواسعة للصبر (أن يؤتوا) أرزاق (اولى القربى و) مع ذلك كانوا (المساكين والمهاجرين فى سبيل الله) فان من اتصف باحدى هذه الاوصاف لا ينبغى ان يقصر فى حقه فكيف فى حق من جمعها (و) لو نظروا الى ما صدر عنهم (ليعفوا) اى ليتجاوزوا (و) لو نظروا الى ان العفو عنهم كاف فى الاحسان اليهم (ليصفحوا) اى ليعرضوا عن هذا النظر ولينظروا الى ما بينهم وبين الله من المعاصى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم و) لا يبعد أن يغفر للغافر حيث تخلق باخلاقه اذ (الله غفور)

ولا

يخرج من أسفله ويصير كقشر الحنطة وكقشر الارز الجوف

(باب العين المضمومة)

(قوله عز وجل عدوان) اى تعد وظلم (قوله عز وجل ولا عدوان الا على الظالمين) اى فلا جزاء ظلم الا على ظالم (قوله عز وجل عرضة لايمانكم) نصبا لها ويقال عدة لها يقال هذا عدة لك اى عدة مقبولة فيما تشاء (قوله عز وجل عروشها) اى سقوفها (قوله عز وجل خاوية على عروشها) اى تسقط السقوف ثم تسقط

ولا يبعد ان يرحم مع الغفران فانه (رحيم) نزلت فى مسطح كان ابن خالة ابى بكر مسكينا مهاجرا وكان ابو بكر قد حلف ان لا ينفق عليه ما كان ينفقه من قبل فلما قرأها عليه السلام على ابى بكر قال انا احب أن يغفر الله لى والله لا انزعها منه أبدا ثم أشار الى ان الله تعالى وان كان غفورا رحيما لا يغفر حق الغير من غير عفو منه سيما اذا عظم الحق كالقذف والمستحق (ان الذين يرمون المحصنات) اى المتعففات (الغافلات) عن الزنا ومقدماته سيما اذا نهاهن ايمانهن لكونهن (المؤمنات لعنوا فى الدنيا) بالذم والحد ورد الشهادة (والآخرة) بالنار (ولهم عذاب عظيم) فوق عذاب سائر وجوه السب ومن عظمته انه يكون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) بأن تضطر الى الاقرار بما كلمت من القذف (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) مما دعاهم الى القذف (يومئذ) لا يسامحهم الله فى التعذيب وان سامح اليوم فى الحدود بل (يوفيهم الله دينهم) اى جزاءهم (الحق) اى المستحق (ويعلمون) من توفيته بعد اشهاد هؤلاء (أن الله هو الحق المبين) بهذه الشهادات حقيته فيجازى من قذف من غير استبانة حال المقذوف بيانا تاما ومن حقيته رعاية المناسبات اذ لذلك كان من سنته (الخبيثات) من وجوه الجزاء ومن الصفات ومن النساء (للخبيثين) من أهل الجزاء ومن الموصوفين ومن الرجال فى المحبة (و) بالعكس (الخبيثون للخبيثات و) كذا فى جانب الطيب (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فكيف لا يلعن رامى زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وقد وصفها بالخبث مع جمعها وجوه الطيب وجعل حبيبة النبى ومحبته وهو اطيب الطيبين من الخبيثات لمخالف السنة الالهية من الوجهين طردا وعكسا بناء على الظن الفاسد الذى لا اصل له بعد معارضته بهاتين السنتين فى الجانبين (أولئك) بهذه الوجوه (مبرؤن مما يقولون) وانما سلطوا عليهم ليحمل عليهم معاصيهم اذ (لهم مغفرة و) يرزقوا اجورهم اذ لهم (رزق كريم) ففيه اشارة الى ان الجرم لغاية عظمته لا يفى باعمال القاذف فلا بد له مع انتقال اعماله الى حمل وزر المقذوف (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تنفروا بين الزوجين ولو بالدخول عليهم ما وقت غفلتهما فضلا عن التنفير الابدى سيما بين طيبين طاب ما بينهما (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) فانه لا يحتاج الى الاستئناس لان دخوله محصل له (حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا اذنا يوجب الانس (وتسلموا على أهلها) ليؤمنهم عما يوحشهم (ذلكم) الاستئناس والتسليم (خير لكم) من الدخول بغتة وقول الجاهلية حييتم صباحا وحييتم مساء (لعلكم تذكرون) بذلك التنفير الابدى بين الزوجين سيما اذا كانا طيبين (فان لم تجدوا فيها أحدا) يجيبكم فلعل هناك امرأة لا تكلمكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى حتى يأتى من الرجال من يأذن لكم لانه مظنة التهمة (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) من غير الحاح على صاحب البيت فلعله مشتغل بأمر يخفيه عنكم (هو أزكى لكم) اى انمى لمحبتكم (والله بما تعملون) من المكر على صاحب البيت والخيانة بأهله أو ماله (عليم) هذا كله فى البيوت المسكونة (ليس عليكم جناح أن

عليها السلطان (قوله عز وجل عقود) اى عهود (قوله عز وجل عرف) اى معروف (قوله عصبة) اى جماعة من العشرة الى الاربعين (عقبى) اى عاقبة (عتيا) وعسيا بمعنى (وقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يبسا وكل مبالغ فى كبر أو كفر فقد عتا وعسا عتيا وعتوا وعسيا وعسوا (قوله عز وجل عقدة من لسانى) يعنى رتة كانت فى لسانه اى حبسة قال ابو عمر يعنت

تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ولو لغيركم ان كان (فيها متاع لكم) فانه قرينة رضا
صاحبها (والله يعلم ما تبدون) من الدخول للمتاع (وما تكتمون) من قصد الاستيلاء عليه
او الذهاب باجنبية هنالك ثم أشار الى ان من اسباب التهمة مد البصر والالتفات الى المحرمات
(قل للمؤمنين) مقتضى ايمانكم التحرز عن التهمة (يغضوا من أبصارهم) اى بعض
نظر أبصارهم فيقصروا نظرهم الى الارض التى يمشون عليها (و) لو وقع نظرهم (يحفظوا
فروجهم) والحفظ وان كان هو المقصود لكن (ذلك) الغض (أزكى) اى اطهر
(لهم) والغض وان اظهر الزكاء فانما يتحقق بزكاء الباطن من الميل (ان الله خبير
بما يصنعون) من ستر الباطن بافعال الظاهر (وقل للمؤمنات) لا يكفيهن الاحتجاب من
الرجال مع نظرهن اليهم (يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما وراء الحجاب (و) ان وقع
نظرهن (يحفظن فروجهن) وان لم يخرجن من الحجاب فانه يسهل عليهن ادخال الرجال فى
الحجاب (و) لا يكفيهن الغض والحفظ مع اظهار الزينة (لا يبدين) اى لا يظهرن (زينتهن الا
ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثوب والخاتم فان فى اخفائه حرجا (وليضربن بخمرهن)
اى وليسترن بقناعهن شعورهن واعناقهن وقرطهن وصدورهن بالقائها (على) مواضع
(جيوبهن) النحر والصدر (ولا يبدين زينتهن) غير المستثنى (الا لبعولتهن) اى لازواجهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع البدن (أو) لمحارمهن الذين يؤمن
الفتنة من قبلهم مثل (آبائهن) لانهم أولياؤهن الذين يحفظونهن عما يسوءهن (أو آباء
بعولتهن) لانهم يحفظون على أبنائهم ما يسوءهم (أو أبنائهن) لان شأنهم خدمة الامهات
لاستخدامهن (أو أبناء بعولتهن) لان شأنهم خدمة الآباء وخدمة احبابهم (أو اخوانهن)
لانهم الاولياء بعد الآباء (أو بنى اخوانهن) لانهم اولياء بعد الاخوة (أو بنى أخواتهن)
لانهم كبنى الاخوة فى القرابة فيتعيرون بنسبة السوء الى الخالة تعيرهم بنسبته الى العمة
(أو نسائهن) وان خيف منهن السحاقة فالايمان مانع منها وهو نادر (أو ما ملكت أيمانهن)
لاحتياجهن اليهم فلو منع دخولهم عليهن اضطررن (أو التابعين) اى الخدام لانهم فى معنى
العبيد (غير اولى الاربة) اى الحاجة (من الرجال) كالخصى والشيخ الهرم والابله
(أو الطفل الذين) لم يبلغوا حدة الشهوة اذ (لم يظهروا على عورات النساء) اخرهم عن
التابعين المذكورين لانهم يرجى لهم الاربة دونهم (و) كما يجب الاخفاء عن البصر يجب
عن السمع (لا يضربن بأرجلهن) الارض (ليعلم ما يخفين) عن الابصار (من زينتهن)
كالخلخال فانه يورث ميلا فى الرجال (وتوبوا الى الله) وان لم تستحلوا من الازواج (جميعا)
اذ لا يخلو أحد عن مباشرة منهى عما ذكر (ايه المؤمنون) لئلا تستحلوا ما حرم من ذلك
فتكفروا (لعلكم تفلحون) بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات ثم اشار الى ما يتمكن به
من ترك الزنا والتحرز من تهمته والتحفظ على التوبة فقال (وأنكحوا) ولاية أو اشارة
(الايامى) جمع ايم من لا زوجة له أو لا زوج لها (منكم) ايها الاحرار ولم يقيد بصلاح اذ

المبرد يقول طول السكوت
حبسة (قوله عز وجل العلى)
جمع علياء (قوله عز وجل
المرجون) عود الكباسة
(قوله عز وجل عجاب)
وعجيب بمعنى (عربا أترابا)
جمع عروب وترب والعروب
المتحببة الى زوجها ويقال
العاشقة لزوجها ويقال
الحسنة التبعل (قوله جل
ذكره عتل بعد ذلك زنيم)
العتل الفظ الغليظ الكافر
ههنا والعتل الشديد من
كل شئ قال ابو عمر عن ثعلب
عن ابن الاعرابى قال العتل
الجافى عن الموعظة

لايتصور

لايتصور نكاح من لاصلاح له من الاحرار بل يكون داعياله الى الصلاح (والصالحين من عبادكم وامائكم) قيدبهم اذغيرالصالح يقصر بالنكاح فى خدمة مولاه أو عبادة الله لاشتغاله بأمر أهله فلا يندب تزويجه ثم أشار بأن عدم الصلاح وان كان كالمانع عن ندب النكاح فالفقر غير مانع منه فقال (ان يكونوا فقراء) عن المهر والنفقة (يغنهم الله) بعطاء (من فضله) بأن يعطيهم مالا أو صبرا (و) لايمنعهم من ذلك ان لايروا انفسهم اهلا للفضل اذ (الله واسع) فان ضيق فلعله بأن الغنى يطغيهم لانه (عليم و) هو وان توسع على هؤلاء لايتوسع على اهل الزنا الذلك (ليستعفف) اى ليجتهد فى العفة (الذين لايجدون نكاحا) اذ لايرغب فيهم لفقرهم (حتى يغنيهم الله) بعطاء (من فضله) مالا للزوج أو صبرا للزوجة ثم اشار الى انه يمكن للسيد ان يغنى العبد من فضله وان كان لايملك بتمليكه شيأ بأن يكاتبه فقال (والذين يبتغون الكتاب) اى الكتابة (مما ملكت أيمانكم) قنا أو مدبرا أو مستولدة (فكاتبوهم) وهو ان يقول السيد كاتبتك اى جعلت عتقك مكتوبا على نفسى بمال كذا تؤديه فى نجوم كذا ويقبل العبد ذلك فيصير مالك المكاسبه وما يوهب له وانما وجب معه الامهال لان الكسب لايتصور بدونه واشترط النجوم لئلا تخلو تلك المدة عن الخدمة وعوضها جميعا (ان علمتم فيهم خيرا) كالامانة لئلا يؤدوا النجوم من المال المسروق والقدرة على الكسب فلا يندب عند عدم ذلك وكذا لو امكن تحصيله بالصدقة لانها من اوساخ الناس (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) خطاب للسادات بالحط وللاجانب باعطاء الزكاة وان كان السيد غنيا لانه كالدائن والمشترى من الذى اخذها صدقة ثم اشار الى انه وان حل اخذ مال الصدقة فلا يحل اخذ اجرة البغية وان كانت مكرهة لا اثم لها فقال (ولا تكرهوا فتياتكم) شواب جواريكم على توهم ان لهن نوع رغبة (على البغاء) اى الزنا كيف وانما يتصور الاكراه (ان اردن تحصنا) فانتم لحريتكم أولى بارادته لكنكم تريدون البغاء وتكرهون عليه (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) اى عرضا زائلا يقوم حياة دنية زائلة (ومن يكرههن) آخذه الله بأثم الاكراه واثم الزنا لسقوطه عن المكرهة (فان الله) لزناهن الواقع (من بعد اكراههن) لايعذبهن الله فى اثمه (غفور) لانه (رحيم) بالمكرهة وكيف تبتغون عرض الحياة الدنيا باحتمال هذه الآثام الحاجبة عما جعل الله فيكم من قابلية التجلى الالهى على اتم الوجوه واجمعها بانزال اشراق نوره فى قلوبكم (ولقد انزلنا) من مقام الجمع (اليكم) لتستعدوا لتجليه المذكور فيكم بالتنزه الموجب مناسبتكم معه (آيات مبينات) لاحكامه المفيدة للتنزه (ومثلا) يبين تجليه الكامل (من) تجليات الكمل (الذين خلوا من قبلكم) لتقتدوا بهم فى تحصيلها الكمال الكم (وموعظة) زاجرة عما يحجبكم عنها (للمتقين) الذين يتقون تلك الحجب (الله) باعتبار اشراق نور وجوده (نور) وجود (السموات والارض مثل) اشراق (نوره) فيهما كاشراق نور الروح الانسانى ببدنه الذى هو (كمشكاة) الروح (فيها مصباح) ثم الروح لغاية تجرده لايتعلق بالبدن الا بواسطة القلب كأنه يكون

(باب العين المكسورة)

(قوله عز وجل عبرة لاولى الالباب) اى اعتبارا وموعظة لذوى العقول (عيد) كل يوم مجمع قيل يوم العيد معناه اليوم الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الذى يعود فيه الفرح والحزن (قوله عز وجل عوجا) اى اعوجاجا فى الدين ونحوه وعوج مثل فى الحائط والقناة ونحوهما (قوله عز وجل العدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) العدوة

(المصباح) فى المشكاة بواسطة كونه (فى زجاجة) هى القنديل فى المشكاة لا يتم صفاء المصباح بدون تلك الزجاجة اذ الزجاجة وان كانت من الاجسام الكثيفة تناسب المصباح فى الصفاء اذ (الزجاجة) فى الصفاء (كانها كوكب درى) كذلك فى القلب صفاء يناسب صفاء الروح فيتعلق الروح بواسطة القلب بالبدن لان مصباح الروح بواسطة القلب (يوقد) فى البدن (من) لطافة النفس فهى وان كانت من عالم الاجسام فلطافتها بمنزلة الزيت يوقد المصباح من زيت (شجرة مباركة) بكثرة الثمرات كذلك كثرة ثمرات النفس من القوى المدركة والمحركة (زيتونة) جامعة للمنافع اذ تصلح للتسريج والادام والدواء كذلك كثرة منافع النفس من ادراك المحسوسات التى اكتسبت منها المعقولات وليست متعلق الروح بالذات لاتصافها بوصف (لا شرقية) من المجردات (و) مع ذلك صارت واسطة الروح بعيدة لاتصافها بوصف (لا غربية) من الاجسام المظلمة فهى كزيتون الشام وانما فارقت نفوس سائر الحيوانات لانه (يكاد زيتها) اى لطافتها (يضىء) اضاءة الروح (ولو لم تمسسه) من الروح (نار) كذلك تعلق نور الحق بالعالم بواسطة العقول المتعلقة بالاجسام بواسطة النفوس الكلية المباركة بكثرة الملائكة واذا كان الروح نور البدن والعقول نور العالم والله تعالى نور فوق نور الروح ونور العقول فهو (نور على نور) محجوب بالانوار الروحانية والعقلية احتجابه ايدن الانسان والعالم (يهدى الله لنوره) بكشف الحجب الظلمانية والنورانية (من يشاء) فيحصل له التجلى الشهودى (ويضرب الله الامثال للناس) اى الذين نسوا مافيهم من قابلية ذلك التجلى ليتشوقوا اليه (والله بكل شئ عليم) فلا يضرب المثل الا لمن يفهمه فيتشوق اليه ولا يتجلى بالتجلى الا بقدر استعداد المتجلى له وهو بقدر طهارة النفس فيكون هذا داعيا للمبالغة فيها والذى يشاهد اينبه ذا النور القلوب المرفوعة بالاعمال الصالحة من الجوارح وبذكر الله باللسان وتسبيح الخواطر وقت ظهور النور وخفائه ولا تشتغل تلك الخواطر باعمالها اعجابا بها ولا بطلب اجرها ولا يمنعها ذلك الاستغراق عن الاعمال الظاهرة ولا عن المساعى الباطنة فيخاف تقلب القلوب الى الآخرة والابصار الى الدنيا فيكثر فيها نور التجلى الالهى كما يكثر النور المصباحى (فى بيوت) هى المساجد (أذن الله أن ترفع) اى تعظم فكانت واجبة التعظيم ومن تعظيمها تكثير السرج فيها (و) انما أذن برفعها لانه أذن ان (يذكر فيها اسمه) وهو معظم مفيد النور للذاكر يسرى منه الى مكانه وكيف لا يكون فى ذلك المكان نور معنوى مع انه (يسبح له) اى لله لا لطلب اجر منه (فيها بالغدو) طمعا فى استزادة النور (والآصال) طمعا فى استرداد ما نقص منه (رجال) كمل يواظبون على الذكر فى كل حال اذ (لا تلهيهم تجارة) جلب متاع (ولا بيع عن ذكر الله) بل يستمرون على ذكره بكل حال اذ لا يحجبهم الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق (و) لا عن (اقام الصلوة) وان احتاجوا الى اعمال التجارة والبيع فيتركونها ويشتغلون باعمال الصلاة (و) لا عن (ايتاء الزكوة) وان كان منافيا للتجارة والبيع فى الظاهر فيجتمع فى حقهم انوار العبادات الظاهرة أيضا وكذا انوار المساعى الباطنة اذ (يخافون) مع ملازمة

والعدوة بكسر العين وضمها شاطئ الوادى والدنيا تأنيث الادنى والقصوى والاقصى (العير) الابل التى تحمل الميرة (عجاف) هى التى قد بلغت فى الهزل النهاية (قوله عز وجل عضين) عضوه اعضاء اى فرقوه فرقا يقال عضدت الشاة والجزور اذا جعلتها أعضاء وقيل فرقوا القول فيه فقالوا شعر وقالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا اساطير الاولين وقال عكرمة العضه السحر بلغة قريش ويقال للساحرة

الذكر والاعمال الظاهرة أيضا (يوما تتقلب فيه القلوب) من الايمان الى الكفر أو من الصلاح الى الفسق (والابصار) من الله الى الآخرة أو منها الى الدنيا أو من الدلائل الى الشبهات وانما كان ذلك النور لتلك البيوت لان الله تعالى انما جعلهم كذلك (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) ولا يناسب احسن الاعمال سوى التجلي الشهودي المناسب لتلك الاعمال وقد تأثر فيه ذلك المكان المبني له فلا بد وان يسري اليه من نوره كيف (ويزيدهم) تجليات فوق ما يناسب اعمالهم (من فضله) فلا يبعد ان يتفضل على اماكنهم وان لم يكن لها اعمال (و) لا يبعد من الله تعالى التفضل اذ (الله يرزق من يشاء بغير حساب) فلا يبعد ان يرزق من تجليه مراتب لا نهاية لها الى الابد فاذا كان للمساجد النور من قلوب اهلها فكيف يكون حالة تلك القلوب في التجلي الشهودي وهذا اثر اعمال المؤمنين (والذين كفروا أعمالهم) اذا تخيلوا فيها احسنا أو من اثرها تجليا جماليا فهي (كسراب) ما يتوهم ماء جاريا من لمعان الشمس (بقيعة) اي بارض مستوية من استواء ظاهرهم عند لمعان شمس التجلي الغيبي عليهم وهو وان كان جلاليا فانه عند الظهور جمال فيتوهمون اعمالهم تفيدهم الحياة الطيبة والتقرب من الله ومحبته ووصولهم اليه كان السراب (يحسبه الظمآن ماء) لحبه اياه وان علم بمجرى العادة انه خيال لكنه لا يزال يحسبه كذلك (حتى اذا جاءه لم يجده شيأ) كذلك اذا كشف عن أحدهم الحجب لم يجد من الحس المتوهم شيأ ولا من التجلي الجمالي (و) لكن (وجد الله عنده) متجليا بالتجلي الجلالي القهري فحاسبه بقبائح بواطنه وقبائح الاعتقادات الفاسدة الحاصلة من خيالهم في التجلي من الحلول والاتحاد وغيرهما (فوفاه الله حسابه) ولا يحسب عليه الاعمال التي هي كسراب لا حقيقة لها (و) قبائحه وان كانت خفية على صاحبها فلا يتوقف توفية الحساب على ابرازها واحدة بعد اخرى اذ (الله) المطلع عليها في الازل (سريع الحساب) فيسرع بهم الى النار (أو) اعمالهم التي يتوهمون انما تكشف الحجب أو تنورهم بالنور الالهي (كظلمات) لكونهم (في بحر) من الاعتقادات الفاسدة (لجي) عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه موج) من الحيرة (من فوقه موج) من الشبهة (من فوقه سحاب) يحجب عن رؤية الدلائل والكشوف الصحيحة فهذه (ظلمات) لا تنكشف عنهم لكثافتها عليهم اذ (بعضها فوق بعض) فهو بحيث (اذا أخرج يده) لاكتساب نور أو كمال (لم يكد يراها) اي لم يقرب من رؤيتها أو لم يجعل الله لهم نور الايمان الذي هو واصل انوار الاعمال لعدم استعدادهم له (ومن لم يجعل الله له نورا) في استعداده (فما له من نور) من كسبه النور وان كان منيرا لغيره فان استبعدت ان يكون للكفار اعمال يبتغون بها رضوان الله تعالى ولا يفيدهم شيأ قيل لك (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض) من العقلاء ولا يفيدهم التسبيح مثل ما يفيد الانسان الكامل على ان الكفار في باب المعرفة والعبادة لا يعدون من العقلاء فعبادتهم كعبادة الحيوانات العجم وان تميزوا عنهم فهم كالطير تميزت عن الدواب (و) ترى (الطير) تعبد

العاضهة ويقال عضوه آمنوا بما احبوا منه وكفروا بالباقي فأحبط كفرهم ايمانهم (قوله عز وجل عجلا جسدا) اي صورة لا روح فيه انما هي جسد فقط (خوار) قال ابو عمر أصحاب الحديث يقولون ان الله عز وجل جعل الخوار فيه كانت الريح تدخل فيه فيسمع لها صوت (عفريت من الجن) العفريت من الجن والانس والشياطين الفائق المبالغ الرئيس (قوله عز وجل عين) اي واسعات الاعين الواحدة عيناء (قوله

ربها (صافات) ولا تفيدها عباداتهم امثل ما تفيد العقلاء فضلا عن الانسان الكامل وليس
ذلك لجهلها بعباداتها أو معبودها بل (كل قد علم صلاته) اى دعاءه لله (وتسبيحه) له
(و) لا لعدم اطلاع الله عليها لخفائها اذ (الله عليم بما يفعلون) وان كان خفيا عليهم وعلى
غيرهم (و) انما عبده الكل لانه الملك اذ (لله ملك السموات والارض) والملك معبود بالطبع
(و) لا يرد ان من لا يحضر الملك لا يعبده اذ (الى الله المصير) فهم فى حكم الحاضرين بل
حاضرون له دائما وان لم يحضر لهم حينا وان استبعد ان يكون لبعض العبادات فائدة دون
البعض قيل لا يبعد على المختار (ألم تر أن الله يزجى سحابا) اى يسوق بخارا هو مادة السحاب
من البحار والجبال الى الطبقة الباردة من الهواء مفرقا (ثم يؤلف بينه) اى بين اجزائه (ثم
يجعله ركاما) اى متراكبا بعضه فوق بعض ليبرد الاوسط بعون برودة المكان مع عدم وصول
حرارة الشمس اليه ثم يجعل لمتفرقا (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى فتوقه
(وينزل) بردا (من السماء) اى من من جهة العلو (من جبال فيها) اى من قطع عظام
من السحاب كالجبال حصات (من) افراط (برد) اى برودة (فيصيب به) اى بالمطر والبرد
(من يشاء ويصرفه عمن يشاء) بمحض الاختيار ثم انه يكون بين اطباق السحاب ادخنة
تحترق باصطكاك بعضها ببعض بحيث يحصل منها فى تلك البرودة نار لها فى تلك الظلمة ضوء
(يكاد سنا) اى ضوء (برقه) من افراطه (يذهب بالابصار) فاين هذه الحرارة من تلك
البرودة المقتضية مطرا أو برودة وأين هذا النور من هذه الظلمات فكأنه يقلب الحار باردا
والبارد حارا والمنير مظلما والمظلم منيرا كما انه (يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك) المذكور
الدال على محض الاختيار فى اثناء استعمال الاسباب (لعبرة لاولى الابصار) فانه وان جعل
العبادة سببا للثواب فانما تؤثر باختياره فالعبادة بمنزلة البخار واركانها بمنزلة الاجزاء وانضمام
بعض انواعها الى بعض بمنزلة الركام والثواب بمنزلة المطر واليقين بمنزلة البرد والشوق بمنزلة
البرق يكاد يذهب بابصار صاحبه بالافناء ويحصل منه تقلب الصفات وقد تنقلب الطاعة
معصية وبالعكس لكن الكل انما يحصل باختيار الله تعالى اذ يصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء (و) لا يبعد ان يجعل عبادة الكفار سببا لمعاقبتهم ويجعل عبادة المسلمين سببا لثوابهم
فقد جعل الواحد سببا لامور مختلفة اذ (الله خلق كل دابة) مع اختلاف انواعها (من ماء)
اى من نوع واحد منه وهو النطفة ثم جعل لمشيها اسبابا مختلفة بل لم يجعل لمشى البعض
سببا (فمنهم من يمشى على بطنه) بلا آلة (ومنهم من يمشى على رجلين) فله آلتان (ومنهم
من يمشى على أربع) فله اربع الآت فعلم انه (يخلق الله ما يشاء) من الاسباب والمسببات وما
لا سبب له والاسباب انما صارت اسبابا بجعله اياها اسبابا فلا حاجة له اليها اصلا اذ (ان الله على
كل شئ قدير) بالاسباب وبدونها بل لا اثر لها وان جرت السنة الالهية بالتأثير عندها وكذلك
الاختلاف فى باب العبادة اصلها امر واحد هو الاعتقادات ثم منهم من له عبادتان الصلاة

والصوم

عزوجل) عزة وشقاق العزة المبالغة والممانعة يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه (قوله عزوجل عصم) اى حبال واحدتها عصمة وكل ما امسك شيأ فقد عصمه وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر اى يقول لا ترغبوا فيهن واسئلوا ما أنفقتم اى اسئلوا اهل مكة ان يردوا عليكم مهور النساء اللاتى يخرجن اليهم مرتدات وليسئلوا ما أنفقوا اى وليسئلوكم مهور من خرج اليكم من نسائهم

والصوم ومنهم من له اربع عبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج ومنهم من يصل الى الله بلا عبادة وهو المؤمن الذى لم يدرك وجوب شئ من الفروع بأن جن أومات قبل ذلك وكيف ينكر تأثير الاسباب فى البعض دون البعض وقد تحقق فى آياتنا فانا (لقد أنزلنا آيات) اى دلائل (مبينات) بالتمثيل (و) مع ذلك لم تفد هداية الكل بل (الله يهدى من يشاء) لان الطباع تميل الى افراط أو تفريط فتعارض دلالة الدلائل مالم يهدها الله (الى صراط مستقيم) مثل ان لا يعطل الاسباب ولا يجعلها واجبة التاثير (و) قد يظهر تأثيرها على وجه كلى ثم يظهر خلافه كالذين (يقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا) فحصل انما الهداية فى بابى الاعتقاد والعمل (ثم) يظهر خلافه اذ (يتولى) اى يرتد (فريق منهم من بعد ذلك و) ليس هذا تأثيرا الى مدة ثم انقطاعاله بل (ما أولئك بالمؤمنين) فى الباطن من أول ما أظهروه (و) يدل على عدم ايمانهم فى الباطن أنهم (اذا دعوا الى) كتاب (الله و) سنة (رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ الاعراض من فريق منهم ولو كان ارتدادا بعد الايمان لم يحصل المفاجأة فيه (و) أيضا لو كان ارتدادا لاستمر حالة كون الحق لهم أو لغيرهم ولكنهم (ان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى هذا الحكم (مذعنين) أى منقادين فلو قيل انهم انما اعرضوا لذهاب أموالهم لا للارتداد عن الايمان يقال (أفى قلوبهم مرض) يميلون له الى الاموال دون الله ورسوله وترجيح حب المال على حب الله ورسوله كفر وهو مستمر فيهم (أم ارتابوا) اى شكوا فى ان الراجح جانب الله ورسوله أو جانب المال وهو أيضا كفر مستمر فيهم (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) لتجويزهم الظلم عليهما وليسا بظالمين (بل أولئك هم الظالمون) باعتقاد جواز الظلم عليهما وهو أيضا كفر مستمر فيهم فهذه الاحتمالات دلائل استمرار الكفر فى حق المرتدين ووجود اضدادها دلائل استمرار الايمان فى الباطن لذلك (انما كان قول المؤمنين) الدال على استمرار ايمانهم فى الباطن (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا) من ميل طبعهم الى الله وتيقنهم برجحان جانب الله واعتقادهم امتناع الظلم على الله (سمعنا) أمرهما (وأطعنا) حكمهما (و) لا يذهب عليهم بذلك شئ من اهويتهم المطلوبة بقبا موالهم بل (أولئك هم المفلحون) بانتظام أمر الدارين لهم (و) لو لم يكن فيهما دلالة على الايمان الباطن كان الواجب على العاقل ان يختارهما فان (من يطع الله ورسوله) فيما يكان من اعطاء ماعنده من حق غيره (ويخش الله) ان يوقع عليه بسبب عدم اطاعتهما آفة أعظم مما يترقبها بذلك المال (ويتقه) أى يجعله وقاية للآفات (فأولئك هم الفائزون) بجميع المقاصد التى تقصد بالمال وبالايمان والعبادة (وأقسموا بالله) ليستدل على ايمانهم الباطن (جهد أيمانهم) أى آكدها التى بلغوا فيها الجهد (لئن أمرتهم) بالخروج من ديارهم وأموالهم وأهليهم (ليخرجن قل لاتقسموا) لانكم اذا عصيتم بعد اليمين كنتم جامعين بين الاثمين اثم المخالفة واثم اليمين ولا يحتاج اليها فى الدلالة على الايمان الباطن بل يكفى فيها (طاعة معروفة) لا تنكرها النفس اذ لا حرج فيها ولا حاجة الى

(قوله جل وعز عزين) أى جماعات فى تفرقة واحدتها عزة (عشار) هو امل من الابل واحدتها عشراء وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ماتضع وهى من أنفس الابل عندهم يقول عطلها أطلها من الشغل بأنفسهم (قوله تعالى العهن) هو الصوف المصبوغ (قوله عز وجل عيشة راضية)

العين لاعلام ما فى الباطن (ان الله خبير بما تعملون) من طاعته أو مخالفته فى المستقبل بلا
يمين منكم (قل) لا تخترعوا عليه أمرا لاظهار طاعتكم بل (أطيعوا الله) فيما يأمركم به من
غير اختراع منكم (وأطيعوا الرسول) فيما يبلغكم عن الله (فان تولوا) أى اعرضوا عن
ترك الاختراع لئلا ينسبوا الى النفاق قل لا وجه لاختراعكم (فانما عليه) أى على الرسول
تبليغ (ما حمل) أى ما كلف من تبليغ الرسالة (وعليكم) اتيان (ما حملتم) لا ما سكت عنه
فى حقكم (و) لا ضلال عليكم فى فعل المسكوت عنه ولا تركه لانكم (ان تطيعوه) أوامره
ونواهيه من غير اختراع عليه (تهتدوا وما على الرسول) اجابتكم فى كل ما تسئلونه لانه ما عليه
(الا البلاغ) لما أمر بتبليغه (المبين) لما فيه من الابهام الباطل ولا حاجة الى سؤاله عليه
السلام فى الامور التى تتعارض فيها الادلة أو يخفى وجه الدلالة فيها أو تتوقف على القياس لانه
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) لازاحة الاشكال فى عقائدهم وأعمالهم
(ليستخلفنهم) أى ليجعلن بعضهم خليفة فى بيان الاشكالات بطريق الاجتهاد لاصلاح أمور
الخلق (فى الارض) ولا يبعد فانه (كما استخلف الذين من قبلهم) وهذه الامة أفضل منهم
فالاستخلاف فيهم أولى (وليمكنن لهم دينهم) باظهار اسراره لهم لانه (الذى ارتضى لهم) لاجل
تلك الاسرار (و) لا يعسر عليهم فهمها لانه يزيل عنهم المانع (ليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنا) وهم فى ذلك الاجتهاد (يعبدوننى) فلا يبتدعون فى دينى شيأ كيف وهو شرك
(لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك) فزعم ان هذا الدين قاصر أو خال عن المعانى المعقولة
(فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن أهل الكمال (و) الفهم انما يتم بالتصفية
لذلك (أقيموا الصلوة) تطهيرا للاعضاء عن التعطيل (وآتوا الزكوة) تطهيرا للقلوب عن
الرذائل (و) لا تقتصروا فى الاجتهاد على تتبع كتاب الله بل (اطيعوا الرسول) بتتبع سنته
(لعلكم ترحمون) باعطاء الصواب فى الاجتهاد و (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض)
باثبات القصور فى هذا الدين (و) ان قصر رأيهم ولم يزيلوه (مأواهم النار) لتقصيرهم
فى ازالته (ولبئس المصير) مصيرهم لرؤيتهم القصور فيما ظهر لهم فيه الصدق بالمعجزات
ثم اشار الى أنه اذا كانت النصوص موهمة خلاف مقتضى الاجتهاد باستنباط المعانى لم يكن بد
من التصريح مثلا جواز اظهار الزينة للعبيد والتابعين غير أولى الاربة والاطفال يوهم
جواز دخولهم فى كل وقت بلا استئذان فوجب التنصيص على استثناء أوقات يكثر فيها
كشف العورة لذلك قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا يطلع على عوراتكم
غير أزواجكم (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) ويلحق بهم التابعون غير أولى الاربة
بطريق الاولى (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) وان جرت العادة بقلة المبالاة بهم
(ثلاث مرات) من مرات الدخول وهو الدخول (من قبل صلوة الفجر و) الدخول (حين
تضعون ثيابكم) ثياب اليقظة للقيلولة (من الظهيرة) أى الظهر (و) الدخول (من بعد
صلوة العشاء) وانما منع لهم الدخول فى هذه الاوقات لانها (ثلاث عورات لكم) أى أوقات

ثلاث

يعنى مرضية
* (باب الغين المفتوحة) *
(قوله عز وجل غمام) سحاب
أبيض سمى بذلك لانه يغم
السماء أى يسترها (قوله
جل وعز غفورا) أى ساترا
على عباده ذنوبهم ومنه
المغفر لانه يغطى الرأس
وغفرت المتاع فى الوعاء اذا
جعلته فيه لانه يغطيه
ويستره (قوله جل وعز
بما فضل) أى بما نال (قوله
جل اسمه الغائط) المطمئن

ثلاث مرات كشف العورة فقبل الصبح يطرح ثياب النوم ويلبس ثياب اليقظة ووقت القيلولة يوضع ثياب اليقظة ووقت العشاء وقت التجرد عن الثياب والالتحاف باللحاف وجواز اظهار الزينة لا يستلزم جواز اظهار العورة (ليس عليكم) جناح في ترك نهيهم عن الدخول بلا اذن (ولا عليهم جناح) من الدخول بدونه (بعدهن) أي بعد هذه الاوقات وان احتمل فيها كشف العورة على الندور لانهم (طوافون عليكم) يعسر عليهم الاستئذان في كل مرة لانه يطوف (بعضكم على بعض) للقيام بحوائجه فلو منعوا وعسر عليهم الاستئذان تعطلت الحوائج وكيف يعجزكم الكفار بالقصور في بيانكم مع أنه (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم) بما يحتاج الى البيان وما لا يحتاج اليه لكونه محل الاجتهاد (حكيم) في جعل البعض محل الاجتهاد وان أدى الى الاختلاف لما فيه من التوسع على الامة (واذا بلغ الاطفال) الذين رخص لهم في ترك الاستئذان في غير الاوقات المذكورة (منكم) أيها الاحرار بخلاف العبيد فانهم باقون على الرخصة (الحلم) أي حد البلوغ بالاحتلام أو بالسن الذي هو مظنة الاحتلام (فليستأذنوا) في سائر الاوقات أيضا (كما استأذن الذين) بلغوا (من قبلهم) ممن لم يرخص لهم في ترك الاستئذان لاشتراك علة الاستئذان وزوال سبب الرخصة وهو تكرار الدخول بعد البلوغ بخلاف العبيد (كذلك) أي مثل هذا البيان الرافع للاوهام (يبين الله لكم آياته والله عليم) يحيط علمه بالتفاصيل الدقيقة (حكيم) في مراعاة الدقائق (والقواعد) بين يدي الرجال الاجانب وهو سبب طول الاختلاط (من النساء اللاتي) لكبرهن (لا يرجون) من يرغب فيهن فيردن (نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) مما لا يكشف العورة كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) أي مظهرات تحليتهن (بزينة) كانت تحتها (وأن يستعففن) من وضع تلك الثياب (خير لهن) وان ثقلت عليهن لانه ابلغ في الحياء وابعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن مع الاجانب (عليم) بمقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ولما كانت المخالطة من أسباب المؤاكلة وكانوا يتحرجون عنها تكبرا سيما مع أهل العاهة رفع الحرج عن ذلك فقال (ليس على الاعمى حرج) أن يؤاكل مع البصراء وان استقذروه أو زعموا انه يأكل اكثر (ولا على الاعرج حرج) وان أخذ مكان اثنين (ولا على المريض حرج) وان استقذروه وخافوا سريان مرضه (ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أزواجكم وأولادكم وان وجب عليكم ان تنفقوا عليهم (أو بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم) وان وجبت اعانتهم عليكم (أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم) وان لم يكن بينكم بعصبة (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) وان كانوا أبعد من الاخوة والاخوات لكنهم بمنزلة الاب (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لانهم بمنزلة الام (أو ما ملكتم مفاتحه) أي التصرف فيه بتفويض صاحبه الغائب وكانوا يتحرجون من أكل ماله لاحتمال موته أو رجوعه عن الاذن (أو) بيت (صديقكم) وان لم يكن بينكم وبينه قرابة ولا تفويض تصرف لرضاه بالتبسط واتخاذ كر البيوت ثانيا التسلا

من الارض وكانوا اذا أرادوا قضاء الحاجة اتوا غائطا فكنى عن الحدث بالغائط (قوله غمرات الموت) شدائده التي تغمره وتركبه كما يغمر الماء الشيء اذا علاه وغطاه (قوله جل اسمه الغابرين) أي الباقين والماضين أيضا وهو من الاضداد (وقوله جل وعز الا عجوزا في الغابرين) أي الباقين في العذاب أي بقيت فيه ولم تسر مع لوط

يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار وذكر البواقى اجراء لها مجرى الواحد الا انه لما
كانت ماعبارة عنها لم يذكر هناك ولما كان كالمتروك أتبعه مابعده (ليس عليكم جناح ان
تأكلوا جميعا) وان وصل سؤر بعضكم الى بعض فهو موجب للائتلاف (أو أشتاتا) وان
توهم منه تفرقة القلوب فيكفى لازالتها السلام كيف وقد كفى فى دفع مالا تخلو عنه المجالس
من الكلمات التى هى مظنة المخاصمة ودخول البيوت من التهمة (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على أهلها طلبا للسلامة (على أنفسكم) ولا يبعد افادته لها لكونه (تحية) منزلة (من عند
الله) فتكون (مباركة) كثيرة الخير لنزولها من معدن الخيرات وأقل مافيها أن تكون (طيبة)
تطيب نفوس السامعين (كذلك) أى مثل هذا البيان المشتمل على الفوائد والاحتراز عن
المضار (يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) مايعتنى بكم من رعاية المصالح ودفع المفاسد
من غير وجوب عليه ثم أشار الى ان الاختلاط الذى لا يتوهم فيه شئ من المضار هو الاختلاط
مع الله ورسوله فى ايثار جنابهما ومع المؤمنين فى الامر الجامع سيما مع الرسول فقال (انما
المؤمنون) الكاملون (الذين آمنوا بالله ورسوله) ايمانا يوجب مزيد محبتهما على ماسواهما
(و) يوجب محبة المؤمنين والاختلاط بهم فى الامر الجامع سيما مع الرسول بحيث (اذا كانوا
معه على أمر جامع) كالصلاة جماعة والجمعة والعيد والحرب والمشاورة (لم يذهبوا) لمهماتهم
(حتى يستأذنوه) ترجيحا لجانبه على جانب مهماتهم (ان الذين يستأذنونك) وان كانوا دون
الصابرين معك (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) اذا راعوا جانبهما بالاستئذان (فاذا
استأذنوك لبعض شأنهم) فانه وان كان دون الامر الجامع (فأذن لمن شئت منهم) ممن علمت انه
لا يطيق الصبر عن شأنه لا من علمت كمال صبره عند عدم اذنك له (واستغفر لهم الله) لانهم وان
راعوا جانبك لم يراعوا جانب الامر الجامع (ان الله غفور) لهم ايثارهم بعض شؤنهم على
الامر الجامع لانه (رحيم) لعلمه بضعفهم ثم انه وان غفر ترك الامر الجامع ورحمهم فلا تخالفوا
أمر الرسول اعتمادا على ذلك (لا تجعلوا دعاء الرسول) أمره (بينكم كدعاء بعضكم بعضا)
يجاب تارة دون أخرى لانه واجب الطاعة لا يسقط بالانسلال عن جملة المدعو (قد يعلم الله
الذين يتسللون) أى يتسللون قليلا قليلا عن الجماعة يلوذ بعضهم ببعض فى الاستتار (منكم
لواذا) مخافة أن يلزموا المأمور به (فليحذر الذين يخالفون) دعاء ليخرجوا (عن أمره
أن تصيبهم) فى الدنيا (فتنة) أى بلية (أو يصيبهم) فى الآخرة (عذاب أليم) ولا يبعد ذلك
من الله اذله ان يسلط على المخالف ماشاء من السموات والارض (ألا ان لله مافى السموات
والارض) ولا يسلط الا ما يناسب حال المخالف لانه (قد يعلم ما أنتم عليه و) هو وان لم يعلمكم
بمناسبة ما يسلطه عليكم فى الدنيا ينبئه (يوم يرجعون اليه) لانه يطلعهم على علمه الغيبى
(فينبئهم بما عملوا) فينبئهم بما يناسب أعمالهم أن يسلط عليهم (والله بكل شئ عليم) فيعلم
مايخفى ومايظهر ووقت ذلك فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

عليه السلام و يقال فى
الغابرين أى الباقين فى
طول العمر (غيابة الجب)
كل شئ غيب عنك شيأ
فهو غيابة (قوله جل وعز
غاشية من عذاب الله) أى
مجللة من عذاب الله (وقوله
عز وجل لهم من جهنم
مهاد) أى فرش ومن
فوقهم غواش أى مايغشاهم
فيغطيهم من أنواع العذاب
(وقوله عز وجل هل
أتاك حديث الغاشية)

*(سورة

(سورة الفرقان)

سميت به لاشتمالها على أنه ظهر كثرة خيرات الحق بالفرقان الذى هو التمييز بين الحق والباطل (بسم الله) المتجلى بتفاصيل ذاته وأسمائه فى الفرقان (الرحمن) بتنزيله على عبده المبعوث رحمة للعالمين (الرحيم) بجعله نذير العالمين اذ افاد به الرحمة الاخروية الخاصة للمؤمنين (تبارك) أى كثر الخيرات (الذى نزل الفرقان) اى الذى كثر تنزيله الكلام البالغ فى التمييز بين الحقائق وذكر التكثير ين يوهم الجمع بين المثلين وذكر التنزيل مع الخير يوهم الجمع بين الضدين وجعل التنزيل نفس الخير يوهم قلب الحقائق المحال (على عبده) الكامل المنسوب الى هويته ليزداد ظهور كماله ببيانه (ليكون للعالمين) الجن والانس النازلين منزلة الكل لكونهما المقصود من خلقه (نذيرا) بان شأنه التفريق فيخاف منه التفريق فى الجزاء وانذار العالمين خير كثير لهم يصلح لهم أمر الدارين مضموم الى خير الفرقان ولو لم يكن شأنه التفريق لكان مخوفا اذ هو (الذى له ملك السموات والارض و) كيف لا يختص بملكهما مع أنه (لم يتخذ ولدا) يرث منه الملك (ولم يكن له شريك فى الملك) من غير اتخاذ منه (و) كيف يشاركه مع أنه (خلق كل شئ) فدخل تحت قدرته وكيف يشارك من لا نهاية له من هو مخصوص بمقدار خاص لانه خلقه (فقدره تقديرا) أى خصه بمقدار خاص والذين جعلوهم أولاده كانوا مخلوقين له مقدرين بمقدار أيضا فلا يناسبون والدهم والخالق لكونه قاهرا ينبغى أن يخاف والمقدر لكونه مفرقا ينبغى أن يخاف أن يفرق بين المحسن والمسئ فى الجزاء (و) كيف لا ينزل الفرقان أن يفرق وقد عجزوا عن الفرق بين المعبود الحق وغيره لانهم (اتخذوا من دونه آلهة) مع أن الدون لا يصلح للالهية لانها بغاية الكمال ولو جعلت بالخالقية فهم (لا يخلقون شيأ و) لو جعلت بعدم المخلوقية (هم يخلقون و) لو جعلت بالمالكية (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن غيرهم (ضرا ولا نفعا و) ان تصور من بعضهم (لا يملكون موتا ولا حيوة و) لو ملكهما بعضهم بالقتل والمن (لا) يملكون (نشورا) والاله انما يعبد للثواب أو العقاب المرتب على النشور (و) لم يعرفوا أيضا الفرق بين كلام الله وغيره لانه (قال الذين كفروا) بما هو صدق فى نفسه رافع للالتباس وقد صدقه المعجزات (ان هذا الا افك) أى كذب صارف عن الحق ملبس له بالباطل وهذا شئ (افتراه و) جعلوه مع اعجازه أعجز العاجزين عنه معينين عليه اذ قالوا (اعانه عليه قوم آخرون) أى غير العرب العاجزين عنه وهم أعجز (فقد جاؤا) بهذه الكلمات ليظلموه (ظلما) بجعل الصدق كذبا ورافع اللبس ملبسا (و) يزوروا عليه (زورا) بجعل المعجز مفترى وأعجز العاجزين عنه معينين (وقالوا) انما عجز من عجز لعدم اطلاعه على أساطير الاولين اذ هو (أساطير الاولين) وانما عجزوا عنها بعد تلاوته اياها عليهم لانهم لم يكتبوها وهو قد (اكتتبها) وهو وان كان أميا لا يعرف قراءة ما كتب (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل) كما عجز عنه العرب عجز عنه سائر الاقوام لاشتماله على أسرار لا يطلع عليها الا علام الغيوب فعلم من ذلك أنه (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) ليعلم الكل صدقه

يعنى القيامة لانها تغشاهم (غسق الليل) ظلامه (قوله تعالى غورا) أى غائرا وصف بالمصدر (قوله جل وعز غراما) أى هلاكا ويقال ملحا ويقال عذابا لازما ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان يحبهن ويلازمهن ومنه الغريم الذى له عليه الدين لان الدين لازم والغريم أيضا الذى له الدين لانه يلزم الذى له عليه الدين به وقال الحسن فى قوله عز وجل

فيعتقدوا مافيه و يعملوا بما فيه فيغفر لهم ويرحمهم (انه كان غفورا رحيما وقالوا) لو كان
صدقا الفارق المنزل عليه سائر الناس (مال هذا الرسول يأكل الطعام) فلا يشبه الملائكة
لم يمكن أن يقال انه صعد السماء بقوة ملكية (و) لو لم يصعد فلا أقل من أن يمشى فى الهواء وهو
(يمشى فى الاسواق) فان لم يكن فيه هذه القوة (لولا أنزل اليه ملك) نراه كما يراه (فيكون معه
نذيرا) كانه شاهد على صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيعطى منه أتباعه ليعلم ان الله جعله متبوعا
(أو تكون له) من الله (جنة يأكل منها) فلا يفتقر الى مخلوق فأقل ما يجب فى الرسول أن
يستغنى بما يعطيه المرسل (و) لو قيل يكفى فى الفرق اعطاء المعجزات سيما القولية (قال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا) يتكلم بكلام المجانين فلا يقدر العقلاء ان يأتوا بمثله (انظر
كيف ضربوا لك الامثال) برسل الملوك وبالمسحور والمجنون والامثال انما تضرب لمزيد
الوضوح المفيد مزيد الهداية وهم ازدادوا بها ظلمة (فضلوا) ضلالا لا يمكن تداركه (فلا
يستطيعون سبيلا) لانهم لا يمكنهم التدبر فيه (تبارك) أى كثر الخير عليك (الذى) أعطاك
الفضائل الزاهرة والمعجزات القاهرة لكنهم لا يبالون بالمعقولات لاقتصار نظرهم على
المحسوسات (ان شاء جعل لك) من المحسوسات (خيرا من ذلك) الذى قالوا من القاء الكنز
واعطاء الجنة للأكل وهو أن يجعل لك فى الدنيا (جنات) أخروية (تجرى من تحتها الانهار)
من ماء ولبن وعسل وخمر (ويجعل لك قصورا) مثل قصور أهل الجنة لكنها لما كانت ملجئة
الى الايمان لكونها من الامور الاخروية أخرها لك الى الآخرة ثم أشار الى أنهم لو آمنوا
بالساعة لنظروا فى أمر المنذر عنها فكأنهم لم يكذبوه (بل كذبوا بالساعة) التى عنها الانذار
(و) لابد منه لانا (اعتدنا لمن كذب بالساعة) التى تكذيبها تكذيب لدوام ربوبية الله (سعيرا)
من شدتها قبل دخولها أنها (اذا رأتهم) بعد خلق الحياة والابصار فيها لتبصر أعداء الله
فتزداد عليهم غيظا وغليانا (من مكان بعيد) مسيرة مائة عام من حدة نظرها (سمعوا لها تغيظا)
صوت المغتاظ من شدة غضب الله على نفى دوام ربوبيته (وزفيرا) صوت الغليان من شدة قهر
الله على نفى قدرته (و) بعد الدخول (اذا ألقوا منها مكانا ضيقا) لتضييقهم القدرة الواسعة
والجود الواسع وتوسيعهم فى الشهوات المانعة من النظر يضيق عليهم الامر باحاطة وجوه
العذاب من الجوانب مع عجزهم عن دفع شئ منها لكونهم (مقرنين) قرنت أيديهم الى
أعناقهم بالسلاسل اذ لم يستعملوها فى طاعته بل فى معاصيه (دعوا) أى تمنوا (هنالك)
ليأسهم عن الخروج عنه (ثبورا) أى هلاكا فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا)
تتخلصون به (وادعوا ثبورا كثيرا) أى واحدا بعد آخر لعدم تخلصكم بعذاب هو سبب موت
(قل) للذين كذبوا بالساعة لا شبهة لهم على نفيها بل لان الايمان بها يعوقهم عن مشتهياتهم
المحرمة مع أن تناولها وتكذيب الساعة يوجب السعير ودعوة أنواع الثبور والتقوى
توجب بدلها جنة الخلد (أذلك) السعير ودعوة الثبور الموعودة على تكذيب الساعة
وتناول المحرمات (خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) تكذيب الساعة وتناول المحرمات

التى

ان عذابها كان غراما
كل غريم مفارق غريمه الا
النار (قوله عز وجل
الغرور) وهو الشيطان
وكل من غرك فهو غرور
والغرور بضم الغين
الباطل مصدر غررت (قوله
عز وجل غرابيب سود) هذا
مقدم ومؤخر معناه سود
غرابيب يقال أسود غربيب
للشديد السواد (قوله
عز وجل غول) هو ذهاب
الشئ يقال الغضب غول
الحلم والحرب غول النفوس

التى لابقاء لها (كانت) مع غاية عظمتها وشرفها (لهم جزاء) على أمرهين هو الايمان بالساعة وترك المحرمات العاجلة (ومصيرا) للصبر عنها ولا يفوتهم المشتهيات اذ (لهم فيها ما يشاؤن) من غير امتناع عليهم ولا تحريم اذ لا يعقبها أمر آخر لكونهم (خالدين) فلا يتألمون بفواتها وليس هذا من ترك الموجود اعتمادا على الموهوم اذ (كان) كالواجب (على ربك) لكونه (وعدا) منه فكان (مسؤلا) عنه لو تركه فيقال هذا لا يليق بجلالك (و) ان زعموا أنه انما يكون انا السعير ودعوة الثبور وتمنا جنة الخلد لو لم يشفع لنا آلهتنا اذكرلهم (يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) ليشفعوا لهم عند الله (فيقول أأنتم أضللتم عبادى) بدعوتهم الى عبادتكم ووعدهم الشفاعة المنجية من السعير ودعوة الثبور ودخول جنة الخلد (هؤلاء) الذين أرسلت اليهم الرسل ليعبدونى لا غيرى فمنعتموهم عن عبادتى وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم) بأنفسهم (ضلوا السبيل) الذى هداهم الرسل (قالوا سبحانك) أى ننزهك من أن يستحق العبادة غيرك فضلا عن اختصاصه بها (ما كان ينبغى) أى يصح (لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يتولى شيأ من أمورنا فضلا عن أن نتخذه عابدا لنا واسنا سبب ضلالهم (ولكن) سبب ضلالهم ما كان حقه أن يكون سبب الهداية وهو انك (متعتهم وآباءهم) بانواع النعم ليشكروك فيعبدوك فاشتغلوا بها (حتى نسوا) المنعم فتركوا (الذكر) الداعى الى العبادة ولم يذكرهم آباؤهم لانهم متعوا بمثله (و) انما انقلب عليهم سبب الهداية سبب الضلال لانهم (كانوا) فى استعدادهم (قوما بورا) أى هالكين واذا كان هذا قول معبوديكم (فقد كذبوكم بما تقولون) انهم أمروكم بعبادتهم اذ لا عبادة بدون أمر المعبود وانهم وعدوكم الشفاعة عليها بل شهدوا عليكم باستحقاق العذاب بجعلكم أسباب الهداية أسباب الضلال (فما تستطيعون صرفا) للعذاب عنكم (ولا نصرا) أى اعانة على دفعه بل أثبتوا ظلمكم بعبادتكم اهم وترككم عبادة الله (و) ان أعانوكم لم ينفذ كم لان (من يظلم منكم) أيها المبعوث اليهم الرسل (نذقه عذابا كبيرا) لا يظهر معه اثر اعانة الغير بالتخفيف (و) ان زعموا ان العبادة لو كانت بامر المعبود ولا نعرف أمر الله الا على لسان رسوله لكنك لا تصلح لرسالته لانك تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق لطلبه فلا تناسب الله يقال لهم هذا لا ينافى الرسالة ولا يبطل المناسبة التى بها استحقوا الرسالة فانا (ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق و) الحكمة تقتضى ذلك لانا (جعلنا بعضكم) رسلا ليكونوا (لبعض فتنة) أى ابتلاء لننظر (أتصبرون) للنظر فى معجزاتهم فتصدقوهم أم تستعجلون بتكذيبهم بمجرد أكلهم الطعام ومشيهم فى الاسواق (وكان ربك) فى ارسال أكلة الطعام ومشاة الاسواق (بصيرا) اذ ارسال غيرهم يكون ملجئا الى الايمان فلا يبقى الابتلاء الذى هو شرط التكليف (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) فيجترؤن بالتحكم علينا لو كانت الرسالة لا تنافى أكل الطعام والمشى فى الاسواق فالكل سواء فى جوازها به الرسالة من انزال الملائكة ورؤية الرب (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) مثل نزولهم على الرسل ورؤية الرسل لربهم (لقد استكبروا) فعظموا

ومنه لانها غول اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها (قوله عز وجل غساقا) أى ما يغسق من صديد أهل النار أى يسيل ويقال غساق بارد يحرق كما يحرق الحار (قوله عز وجل غدقا) كثيرا (قوله عز وجل غاسق اذا وقب) يعنى اذا دخل فى كل شئ والغسق الظلمة ويقال الغاسق القمر اذا كسف فاسود وقوله اذا وقب اذا دخل فى الكسوف

أنفسهم تعظيم الرسل من غير أن يكون لهم ذلك فى الواقع بل اعتقدوا ذلك (فى أنفسهم و) قد خلوا عن شرط الرسالة وهو الكمال فى الصلاح اذ قد (عتوا) أى أفسدوا بالشرك وعدم رجاء لقاء الله (عتوا كبيرا) يمنعهم من الرسالة لو حصل لهم استعدادها ثم رؤية الملك لو كانت باليقظة قبل الموت لاهل الصلاح تفيدهم نبوة أو ولاية وأما المجرمون فلا يرونهم الا عند الموت وهم (يوم يرون الملائكة لابشرى) بخير فضلا عن أن تفيدهم نبوة أو ولاية لو تصورتا بعد الموت (يومئذ للمجرمين) وان بشروا المؤمنين (و يقولون حجرا) أى منعا عن الايمان والتوبة (محجورا) ممنوعا أن يزال الى الابد كيف (و) قد (قدمنا) أى عمدنا (الى) ابطال (ما عملوا من عمل) كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف مما لو آمنوا النالوا عليه أجرا كاملا لكنهم لما كفروا أحبطناه (فجعلناه هباء) أى مثل الغبار فى الحقارة وعدم النفع (منثورا) أى مفرقا لا يمكن نظمه (أصحاب الجنة) أى المؤمنون الذين لا عذاب لهم ولا عتاب فانهم وان لم يروا الملائكة فى اليقظة قبل الموت لعدم نبوتهم وولايتهم لكنهم (يومئذ) أى يوم يرونهم يوم الموت (خير مستقرا) اذ يفيدهم توسعة فى القبور وتنويرا فيها (وأحسن مقيلا) اذ يفيدهم ترويحا ويقولون لهم ناموا نومة العروس بخلاف المؤمنين المعذبين أو المعاتبين فانهم وان لم يخلوا عن خير وحسن بالنسبة الى الكافرين لكن لا يبلغون مبلغ هؤلاء (و) لا يبعد ان يكون لهم هذا فى القبور مع أنه يكون لهم مثل هذا فى اهوال القيامة (يوم تشقق السماء بالغمام) الناشئ من ادخنة النار المتراكمة حتى يخرق (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) من واحدة بعد اخرى بحسب وصول الادخنة اليها وانما كانوا خيرا مستقرا واحسن مقيلا فى ذلك اذ (الملك يومئذ) هو الملك (الحق) فلا يظلم فيه هؤلاء بتلك الاهوال مع عدم استحقاقهم شيأ من الشدة مع انه (للرحمن) الذى يرحمهم فى ذلك اليوم بمائة رحمة فيكون منها صرف تلك الشدائد عنهم (و) لكن لا تفيد رحمانيته للكافرين شيأ من التخفيف اذ (كان يوما على الكافرين عسيرا) من جميع الجهات فى غاية الشدة (و) أيضا أصحاب الجنة خير مستقرا وأحسن مقيلا (يوم يعض الظالم) عقبة بن ابى معيط تحسرا على رؤية اصحاب الجنة فى خير مستقر وأحسن مقيل ونفسه فى السعير ودعوة الثبور (على يديه) فيأكلهما حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان فيأكلهما وهكذا ابدا (يقول يا) أيها المتمنى تعال (ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) الى رضوان الله وجنته (ياويلتى) تعالى (ليتنى لم أتخذ فلانا) أبى بن خلف (خليلا) يعالل قوله فى باطنى بالاضلال والله (لقد اضلنى عن الذكر) كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعامه فقال لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله ففعل فأكل صلى الله عليه وسلم طعامه فقال له ابى بن خلف لا أرضى عنك ابدا حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل فعاد بزاقه اليه فاحرق خديه وقال له عليه السلام لا القاك خارج مكة الاعلوت رأسك بالسيف فقتله وأبى بن خلف يوم بدر (و) انما أثر فيه قوله دون قول الرسول اذ (كان الشيطان للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك فيتبرأ

(باب الغين المضمومة)

(قوله عز وجل غلف) جمع أغلف وهو كل شئ جعلته فى غلاف أى قلوبنا محجوبة عما تقول كأنها فى غلف ومن قرأ غلف بضم اللام أراد جمع غلاف وتسكين اللام فيها جائز أيضا مثل كتب وكتب أى قلوبنا أوعية للعلم فكيف تجيئنا بما ليس عندنا (قوله عز وجل غرفة) أى مقدار مل اليدين من المغروف وغرفة بفتح الغين يعنى مرة واحدة باليد مصدر غرفت

منه (وقال الرسول) حين رأى تأثير قول الشيطان مع أن الرسول انما أرسل لدفعه (يا رب) انك وان أرسلتني لدفع كيد الشيطان فانما أدفعه بهذا القرآن وانما يؤثر فيمن يتدبر فيه (ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) تركوا تلاوته فضلا عن التدبر فيه لا لرؤيتهم القصور فيه بل لشدة عداوتهم لمن أنزل عليه فقال تعالى هذه سنتنا في الانبياء (و) كيف لا تكون اذ (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) لئلا يقال انه رجل تواطأ الكبراء على تعظيمه لتحصيل بعض مهماتهم (و) لا ينافي ذلك مقصود الرسالة من افادة الهداية اذ (كفى بربك هاديا و) للدلائل في مقابلة الشبهات (نصيرا و) من تلك الشبهات أنه (قال الذين كفروا) انما نعجزه لانه أنزل مفرقا كالشعر الذي ينشأ شيأ فشيأ (لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) كسائر الكتب السماوية فقال تعالى (كذلك) نزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك) بالتأمل في كل آية آية والتفريق أشد في الاعجاز وليس كالشعر الذي لا اعجاز فيه (و) لقصد التثبيت (رتلناه) أي أمرنا بترتيل قراءته ليقرأ (ترتيلا) يمكن فيه التأمل الوافر (و) في التفريق حكمة أخرى هي انهم (لا يأتونك بمثل) اى بشبهة عظيمة عجيبة يضرب بها المثل (الا جئناك) لدفعها (بالحق) اى الدليل الثابت ان كان من قبيل التصديقات (و) ان كان من قبيل التصورات جئناك بما كان (أحسن تفسيرا) اى بيانا للحقيقة فلو قيل مقتضى هذا ان يؤمن به الكل قيل (الذين) قدر الله سبحانه وتعالى انهم (يحشرون على وجوههم) لجعلهم الحق العالي شبهة سافلة والشبهة السافلة حقا عاليا (الى جهنم) لا يستقرون لمكان الحق ولا يهتدون لاحسن التفسير اذ (أولئك شر مكانا) من العناد (وأضل سبيلا) عن الامور الصادقة الجلية (و) لا يبعد كونهم شر امكانا وأضل سبيلا مع كونهم خيرا مكانا وأصوب رأيا في أمور الدنيا اذ هم كقارون وقومه فانا (لقد آتينا موسى) بعد اهلاك فرعون وقومه (الكتاب) الجامع للدلائل ورفع الشبه (وجعلنا معه أخاه) الذي شأنه الاعانة (هرون وزيرا) حاملا اثقال نبوته بتحرير أدلته ورفع اللبس عنها (فقلنا اذهبا الى) قارون وقومه (القوم الذين كذبوا بآياتنا) التي بعثتما بها الى فرعون وقومه وبدلائل الكتاب فكانوا شرا مكانا اذ عاندوا بعد اهلاكهم وأضل سبيلا لضلالهم بعد رؤية دلائل الكتاب أيضا (فدمرناهم) اى أهلكناهم من غير تأخير (تدميرا) كليا اذ خسفنا بهم وبدارهم الارض وترك ديار قوم فرعون لبني اسرائيل (و) لا يبعد حشرهم الى جهنم اذ غايته اغراق في الشر (قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم و) ليس من خواصهم حتى لا يقاس عليهم غيرهم اذ (جعلناهم للناس آية) اى علامة على اهلاكهم لو كذبوا الرسل (و) من القياس على العذاب الدنيوي يقاس العذاب الاخروي فقد (اعتدنا للظالمين) من قوم نوح وغيرهم (عذابا أليما) هو الاغراق في النار (و) يدل على انه ليس من خواص قوم نوح انا أهلكنا (عادا) فاغرقناهم في التراب (وثمود) ألصقنا وجوهها بالتراب فصاروا كالمحشورين على وجوههم (وأصحاب الرس) البئر الغير المطوية بعث الله اليهم شعيبا

(قوله عز وجل تغفر المذنبا) اى مغفرتك (غزى) جمع غاز (غمة) اى ظلمة (قوله عز وجل غمة) اى غم واحد كما يقال كربة وكرب (قوله جل ذكره غثاء) اى هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقماش لانه يذهب ويتفرق اى جعلناهم لا بقية فيهم (قوله عز وجل غرفات) اى منازل رفيعة واحدها غرفة (غرف من فوقها غرف) منازل رفيعة

فكذبوه فبينما هم حول البئر انهارت بهم فاغرقوا فى التراب أيضا (وقرونا بين ذلك كثيرا)
فكان سنة الهية (و) لم يكن اهلاكهم من البليات العامة اذ (كلا ضربنا له الامثال) اى
بينا له الدلائل العجيبة فالواقع عقيب تكذيبها يظهر نسبته اليه كيف لا (وكلا تبرنا تتبيرا)
اى أهلكناه اهلاكا لم يعقبه خير والابتلاء العام كثيرا ما يستعقب الخير (و) هؤلاء ان لم يأتوا
تلك القرى (لقد أتوا على القرية التى) ظهر فيها الحشر على الوجوه اذ جعل عاليها سافلها وهى
قرية قوم لوط وهم وان لم يروا ذلك رأوا احجارتها اذ (امطرت مطر السوء) ينكرون اهلاك
تلك القرى أيضا العدم رؤيتهم اهلاكها (فلم يكونوا يرونها) اى تلك الحجارة التى عليها أسامى
أهلها وليس عدم اعتبارهم لعدم رؤيتها (بل) لانهم (كانوا لا يرجون نشورا) فلا يرجون
ما يترتب عليه من العذاب والحشر على الوجوه (و) ان ساووا اولئك لتكذيب أولئك لا يساوونه
لتكذيبك لانهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) حقيرا يهزأ به (هزوا) لا بالقلب أو على الغيب
بل باللسان على الحضور اذ يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا) كيف والرسول انما يبعث
للاهداء وهذا مضل (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) بشبهاته (لولا أن صبرنا عليها) مع عجزنا عن دفع
شبهاته لقوتها جعلوا اهداءه بالآيات اضلالا بالشبهات (وسوف يعلمون) ما هو الآية والهداية
وما هو الشبهة والضلال (حين يرون العذاب) على ما صبروا عليه فيعلمون (من أضل سبيلا) هل
هو الصابر على خلاف الدليل ام التابع له والمقرر (أرأيت) أى أخبرنى كيف لا يكون أضل
سبيلا (من اتخذ الهه هواه) اذ رجحها على الله وحججه وصبر لها (أ) تقرر له الحجج (فأنت
تكون عليه وكيلا) اى حفيظا عن الغلط اتحسب ان أكثرهم يعتقدون الامور على ما هى
عليه (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) الدلائل من المقرر لها (أو يعقلون) بأنفسهم فذلك من
خواص الانسان الذى يشبه الملك وهؤلاء (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) اذ
لا يمكن للانعام سلوك طريق الاستدلال وهؤلاء مع امكانه لهم تركوه لمتابعة اهوائهم
الحيوانية فان قلت انما لم يتركوا الاهوية لاجل الدلائل لانها لا تخلو عن اعتراض
قيل لك من الدلائل ما يفيد الكشف الصريح (الم تر الى ربك كيف) دل على وجوده
الذى هو كالشمس بالوجود المنبسط على حقائق الاشياء الذى هو كالظل حيث (مد) بعد
الفجر قبل طلوع الشمس (الظل) من اشراق نور الشمس عند كونها تحت الافق على الهواء
الذى فوقها ايظهر به الاشياء بعد كونها فى ظلمة الليل كذلك تظهر بالوجود المنبسط على
الحقائق بعد كونها فى ظلمة العدم (ولو شاء) أن لا يدل به على الشمس (لجعله ساكنا) لا يزداد
صفاء بترك الشمس تحت الافق بحيث لا يظهر لها شعاع لكن حركناها ظهار شعاع الشمس
للدلالة عليها عند احتجابها بالافق وكذلك حرك لوجود المنبسط على الحقائق بتغيير ليدل
على الوجود القديم الذى هو شمس الذات الالهية (ثم) اى بعد الاستدلال بالاثر على المؤثر
(جعلنا الشمس) عند طلوعها الذى لا يحتاج معه الى دليل (عليه دليلا) ليستدل بالمؤثر على
الاثر ليعلم ان نورية الظل من نورية الشمس كذلك عند حصول التجلى الشهودى يستدل على

من فوقها منازل أرفع منها
(قوله جل اسمه طعاما ذا
غصة) اى تغص به الحلوق
فلا يسوغ (قوله جل
وعز غلبا) غلاظ الاعناق
يعنى النخل قال أبو محمد
يقال رجل أغلب وامرأة
غلباء اذا كانا غليظى العنق
والجميع غلب مثل أحمر
وحمر اوحمر فى الجميع (قوله
عزوجل غثاء أحوى) فيه
قولان أحدهما والذى
أخرج المرعى أحوى اى

ان الوجود المنبسط على الاشياء من اشراق وجود الحق وشعاعه (ثم) لاتزال الشمس ترتفع
والشعاع يزداد حتى (قبضناه) كما تقبض الوجود المنبسط على الاشياء عند التجلى الشهودى
لها بتوجهه (الينا) حتى يفنى فينا أو يبقى بنا (قبضا يسيرا) اى قليلا قليلا حتى لايبقى ظل بعض
البلاد فى بعض الايام (و) هذا التجلى لما كان بالتصفية وكانت بالاعمال وهى ببيان الرسل دل
عزوجل على كل ذلك بمثال اذ (هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا وهو الذى أرسل) الرسل بشرا للهداية بين يدى افاضة أسباب السعادة كما انه أرسل
(الرياح بشرا) للسحاب (بين يدى رحمته) بافاضة الامطار (وانزلنا) على الرسل من اللوح
المحفوظ والقلم الاعلى والعلم الالهى كلاما يتضمن أعمال التصفية كما أنزلنا (من السماء ماء
طهورا) يفيد طهارة الظاهر والتصفية تفيد الحياة بالتجلى كالماء اذا أنزلناه (لنحيى به)
بالنبات (بلدة ميتا) ذكره لاستواء المذكر والمؤنث فى فعيل (و) يستفيد من أهل التصفية
من دونهم علوما ينتظم بها معاشهم وأخر ينتظم بها معادهم كما ان من فوائد الماء أن (نسقيه
مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا) والقليل يشربون مما ينفجر من الارض (و) انما كان
ماذكرنا مفيدا للدلالة بطريق التمثيل لانا (لقد صرفناه) هذه الامور (بينهم ليذكروا) بها
ماذكرنا ليكونوا شاكرين بها (فأبى) اى امتنع (أكثر الناس) ان يفعلوا (الا كفورا)
كقولهم مطرنا بنوء كذا (و) انتشار هذا الكفر اياهم فى البلاد يقتضى ارسال رسول فى كل بلد
(لو شئنا لبعثنا فى كل قرية) رسولا ليكون عن الكفر اياهم (نذيرا) لكن لم نشأ لانه يقتضى
تفرق الامم وتكثر الاختلافات فجعلنا الواحد نذير الكل ليطيعوه أو يقاتلهم والكفار
يريدون أن يطيعهم الرسل أو يتركوهم على ماهم عليه (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به) أى
بما ذكرنا (جهادا) يؤثر فى بواطنهم فيكون (كبيرا) يفوق مايؤثر فى الظواهر (و) ان زعموا
انه كيف يجاهد بالدلائل من يورد شبهات تجاورها قيل غاية أمرهما أن يكونا كالبحرين
المختلفين المتجاورين وقد رفع الله الالتباس بينهما بعدما جاور بينهما وهما محسوسان فكيف
لايرفع الالتباس بين البحرين المعقولين اذ (هو الذى مرج) اى جاور (البحرين) اللذين
بينهما غاية الخلاف اذ (هذا عذب فرات) اى قاطع للعطش وهو مثل بحر الدلائل المفيدة
للذوق القاطعة عطش الطلب (وهذا ملح اجاج) اى مبالغ فى الملوحة وهو مثل بحر الشبهات
الموجبة للنفرة جدا لاهل الذوق (و) أما أهل النظر فقد (جعل بينهما برزخا) اى مانعا من الخلط
وهو النظر فى مواد المقدمات وصورها ليعلم بذلك صحة الدلائل (و) اما فساد الشبهات فيعلم
بالاعتراضات التى لاجواب عنها كما انه جعل بينهما (حجرا) اى منعا من وصول أثر أحدهما
الى الآخر (محجورا) اى ممنوعا ان يمنع (و) ان زعموا ان كل فرقة ترى متمسكاته تفيده الذوق
وتقطع عنه الطلب ويتنفر عن متمسكات صاحبه أشد من التنفر عن الملح الاجاج قيل ليس
هذا بالنظر الى نفس الدلائل بل بواسطة التعصب من جهة الآباء والمشايخ والاصحاب وقد
أوجد الله لازالة العذر عنه مثالا اذ (هو الذى خلق من الماء بشرا) كما أخرج من المقدمات

اخضر غضا يضرب الى
السواد من شدة الخضرة
والرى فجعله من بعد
خضرته غثاء اى يابسا
والغثاء مايبس من النبت
فحملته الاودية والمياه
والقول الآخر فجعله غثاء
اى يابسا اى اسود من
قدمه واحتراقه فكذلك
يميتكم بعد الحياة

(باب الغين المكسورة)

(قوله عزوجل غشاوة) اى
غطاء (قوله جل اسمه غل)

نتائج العلوم (فجعله) اى البشر (نسبا) اى اصلا أو فرعا أو حاشية لقوم (وصهرا) لآخرين يتعصب من أجل نسبه وصهره فيعتقد باطلهم حقا كذلك أهل الاستدلال يتعصبون لآبائهم ومشايخهم (و) هو وان صعب ازالته (كان ربك) الذى أمرك بالجهاد الكبير (قديرا) على ازالته كما قدر فى النسب والصهر فلا يبالى المؤمنون لهما (و) هذا حيث يكون شبهة ولا شبهة لاهل الشرك اذ (يعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق ما يختص بالاعلى على ان العبادة انما هى لجر نفع أو دفع ضر وهم يعبدون (مالا ينفعهم ولا يضرهم و) يتعصبون لها على عكس ما تقدم لكن تعصب بعدوه على أبيه اذ (كان الكافر) للشيطان (على ربه ظهيرا) اى معينا (و) لو قيل ان تعصبهم انما هو لعداوتهم معك يقال لا وجه لها الا انا (ما أرسلناك الا مبشرا) لهم بالثواب الدائم (ونذيرا) عن العقاب الدائم وكلاهما من أعظم الفوائد الموجبة أعظم وجوه المحبة وهم يعادونك عدا وة من يزاحمهم فى دنياهم (قل ما أسئلكم عليه من أجر الا) أجر هداية (من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) فينال منه قربا و يكون للهادى مثل قربه (و) ان عادوك على تبشيرك وانذارك فقاتلوك (توكل على الحى) ليبقى حياتك بحياته الكاملة اذ هو (الذى لا يموت) اذ لا يعرض لها ما يزيل عنه الحياة فلا يمكن أعداءك ان يعرضوا فيك ما يزيلها عنك (وسبح بحمده) اى ونزهه من أن لا ينصرك عليهم مع اتصافه بكمال القدرة والحكمة كيف (و) قد استحقوا الهلاك الكلى على معاصيهم فضلا عن الكفر فانها وان كانت دون هذا القدر عندا كثر الخلائق (كفى به بذنوب) اى بمقدار ما يقتضى كل ذنب من ذنوب (عباده) من المعاقبة (خبيرا) وقد أعطى كل مستحق بحسب خبرته اذ هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما) من فلك وملك ونجم ومعدن ونبات وحيوان (فى ستة أيام) ليوفى كل يوم حقه من تكميل ما يحدث فيه نوعا (ثم استوى) ليفيض على كل شئ منها ما يستحقه (على العرش) الذى هو منبع الحياة والفيوض اسمه (الرحمن) فان لم تدركه بدليل ولا كشف (فاسئل به خبيرا) فانه أولى بالتقليد من الجهال (و) هم الذين (اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) الذى عمت رحمته بالموجودات لتستفيضوا منه الكمالات (قالوا) من افراط جهلهم (وما الرحمن) فانا لا نعرف من يعم رحمته الكل بل نعتقد ان كل معبود يرحم عابده على ان عموم الرحمة يقتضى ترك التكليف فلا يكون آمرا بالسجود (انسجد لما تأمرنا) اى لامرك لا لامره (وزادهم) أمرك بسجودهم له ليتقربوا اليه (نفورا) عنه وكيف خفى عليهم الرحمن مع انه (تبارك) اى كثر الخير (الذى جعل فى السماء بروجا) ينسب اليها أعمال الكواكب (وجعل) أعظم العوامل (فيها سراجا) كسراج البيت لا يكون رب البيت (وقمرا) يستنير منه ثم يصير للارض (منيرا) فكيف يعتقد ان راحمين من دون الله (و) ليس من رحمتهما الليل والنهار بل (هو الذى جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل واحد منهما الآخر بدلا عنه رحمة (لمن أراد ان يذكر) من تبدلهما تبدل نور الايمان بظلمة الكفر وبالعكس (أو أراد شكورا) اى شكر الحق على ما افاد بالليل من العبادة بالخلوة أو السكون و بالنهار من العلوم والعبادات المنوطة

بالاجتماع

اى عداوة وشحناء ويقال الغل الحسد (قوله جل وعز غلظة) اى شدة عليهم وقلة رحمة لهم (قوله عز وجل غيض الماء) اى نقص وغاض الماء (قوله عز وجل غسلين) غسالة أجواف أهل النار وكل جرح أو دبر غسلته فخرج منه شئ فهو غسلين اى فعلين من غسل الجراح والدبر

(باب الفاء المفتوحة)

(قوله جل ذكره فاسقين) اى خارجين عن أمر الله

بالاجتماع كالجمعة والعيد أو على تحصل المعاش ثم أشار الى وجوه الشكر التى يستحق بها عموم الرحمة فقال (وعباد الرحمن الذين) يتذللون و يظهر تذللهم فى مشيهم اذ (يمشون على الارض هونا) اى سكينة وتواضعا احترازا عن الكبر الظاهر ويحترزون عن باطنه بترك المجادلة فلا يبتدؤن بمخاطبة مجادل (واذا خاطبهم الجاهلون) بحالهم بكلمة تدعو الى المجادلة (قالوا) كلاما يقتضى بأنفسهم عنهم (سلاما) فلا يريدون الغلبة عليهم هذا مع الخلق (و) لهم مع التذلل الباطن للحق تذلل ظاهر له اذهم (الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فقيامهم أيضا تذلل (و) منشأ تذللهم خوفهم اذهم (الذين يقولون ربنا اصرف عنا) الى اعدائك (عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى غرامة ترك الشكر بترك التذلل لك بالعبادة ولا بد منها فان ادخلتنا فيها التقصيرنا فلا تجعلها مستقرنا مدة (انها ساءت مستقرا و) ان اقررتنا فيها مدة فلا تجعلها لنا مقاما انها ساءت (مقاما و) كما شكروا بانعم الله فى وجودهم شكروا نعمة المال فهم (الذين اذا انفقوا لم يسرفوا) طلبا للجاه الموجب للتكبر (ولم يقتروا) تذللا للمال وايثارا لحبه على حب الله (وكان) انفاقهم متوسطا (بين ذلك) فكان (قواما) اى معتدلا مستقيما لخلوه عن التكبر على الخلق والتذلل لهم (و) اعدم التذلل للخلق هم (الذين لا يدعون مع الله الها آخر) فيعتدلون فى القوة الحكمية اذ الشرك افراط والتعطيل تفريط (و) لاعتدالهم فى القوة الغضبية (لا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) فقتل النفس المحرمة افراط وترك قتلها بالحق تفريط (و) لاعتدالهم فى الشهوية (لا يزنون) فان الزنا من افراط الشهوة ولم يتعرض للعنة لانه لا ذنب فيها لعدم كونها اختيارية لكن الاختصاء معصية ثم أشار الى ان الافراط فى هذه الامور يوجب افراط العذاب فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) اى صورا قبيحة للآثام (يضاعف له) بتلك الصور (العذاب يوم القيامة) الذى تكون فيه الصور تابعة للمعانى (و) لا يزول زوال العوارض بل (يخلد فيه) اى فى عذابها (مهانا) وان كانت مفيدة للعز فى الدنيا (الا من تاب و) صحت توبته لانه (آمن و) تقوت توبته وايمانه بان (عمل) ولو (عملا) واحدا (صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) فيجعل بدل صور السيئات صور الحسنات (و) صور السيئات وان كانت سابقة فلا تدفع صور الحسنات اللاحقة اذ (كان الله غفورا) اى ساترا لها لكونه (رحيما) بمن صحت توبته وتقوت (و) كيف لا يبدل الله سيئاتهم حسنات مع ان (من تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) فيستفيد منه جمالا يسترقبح تلك الصور (و) قد تنزهوا عن الرذيلة التى لا يمكن التوبة عنها وهى شهادة الزور فهم (الذين لا يشهدون الزور) لاخلالها بالمروءة (و) هم من المروءة بحيث (اذا مروا باللغو مروا كراما) مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه (و) اذا اتصفوا بهذه الفضائل حصلت لهم التصفية فهم (الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) اى لم يسقطوا عن الانسانية (عليها) اى على البهيمية بل على ادنى منها لانها تسمع وتبصر وهم يبصرون (صما وعميانا و) اذا حصلت لهم الكمالات طلبوا التكميل فهم (الذين

عزوجل ومنه قوله عز
وجل ففسق عن أمر ربه
اى خرج عنه وكل خارج
عن أمر الله فهو فاسق
فاقطم الفسوق الشرك
بالله ثم أدنى معاصيه ويحكى
عن العرب فسقت الرطبة
اذا خرجت من قشرها
(قوله عزوجل فضلتكم
على العالمين) اى على عالمى
دهرهم كذلك لا على سائر
العالمين قوله تعالى
واصطفاك على نساء العالمين

يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) برؤية الكمالات فيهم من تحملهم اسرارنا بالمجاورة أو الجزئية (واجعلنا للمتقين) من سائر الناس (اماما) اى قدوة ولما كان تحصيل الفضائل بالصبر عن الرذائل والصبر يوجب الاجر بلا حساب كان (أولئك يجزون الغرفة) اى أعلى مواضع الجنة (بما صبروا ويلقون فيها) من الله وملائكته (تحية) من الاكرام (وسلاما) من الملام وهى وان كانت عوارض يبقون (خالدين فيها) والاستقرار فيها وان عسر على النفس (حسنت مستقرا و) لاسيما اذا صار (مقاما) ابديا فان زعموا ان هؤلاء لايعبأ بهم الناس فكيف يعبأ الله بهم حتى يجزيهم الغرفة ويلقيهم السلام والتحية (قل مايعبؤا بكم ربى) حتى يعبأ بمن تعبدون ولا يعبأ بمن لاتعبدون (لولا دعاؤكم) اى بدون عبادتكم له فان زعمتم انكم تعبدونه (فقد كذبتم) ربكم فيما أمركم به من عبادته حيث كذبتم معجزاته وهو محبط للاعمال ملزم للعذاب فان لم يلزم الآن (فسوف يكون لزاما) ومن لازمه العذاب متى يعبأ به فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الشعراء) *

سميت بها لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء لان الشاعر ان كان كاذبا فهو رئيس الغواة لايتصور منه الهداية وان كان صادقا لايتصور منه الافتراء على الله تعالى وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالات ذاته وأسمائه وأفعاله فى آيات كتابه حتى اتصفت بما يذكر (الرحمن) بانزالها على من يكاد يبخع نفسه لعدم عموم الايمان (الرحيم) بابقاء فائدة التكليف عليهم بجعلها غير ملجئة الى الايمان (طسم) اى الطوالع الساطعة للانوار الماحية للظلمات أو طوافح الدلائل الساعدة للتحقيق المذهبة للترددات أو طيبات البراهين السالمة عن القوادح المؤيدة بالكشف أو طامسات الجهل سريعة الازالة للعوارض المزيلة للشبهة (تلك آيات الكتاب) الجامع لهذه الكمالات (المبين) لكل مايحتاج اليه فى كل باب من أبواب الدين بحيث لم يترك عذرا لتارك الايمان فلم يبق للداعى مع المعاند الا ان يقتل نفسه حزنا عليه (لعلك باخع) اى قاتل (نفسك) من حزن (الا يكونوا مؤمنين) أو يأتى بآية تلجئهم الى الايمان لكن الآيات ليست من مقدورات البشر والملجئة لايفيد الايمان معها النجاة (ان نشأ) املاكهم (ننزل عليهم من السماء) أى من الجهة العالية التى لايتوهم معارضتها السفلى (آية) ملجئة (فظلت) أى صارت قبل نزولها (اعناقهم) التى بها ارتفاع ابصارهم (لها خاضعين) أى ذليلة أورد صيغة العقلاء لانه من أفعالهم (و) اما سائر الآيات فاعظمها المعجزة القولية لكن (ما يأتيهم من ذكر) اى كلام مشتمل على شرف مناسب لجلال الله مشتمل على أنواع الرحمة لكونه (من الرحمن محدث) نزوله اذ لم يعهد فيما سبق مثله فى الكمال (الا كانوا عنه معرضين) اى الاسبق اعراضهم عنه قبل اتيانه وليس ذلك لشبهة تبقى عندهم بل لانهم تجردوا التكذيب ماورد عليهم (فقد كذبوا) والاعراض والتكذيب لايناسب الجلال

اى على عالم دهرها وكما فضلت
فاطمة وخديجة عليهما
السلام على نساء أمة محمد
صلى الله عليه وسلم (قوله
تعالى فرقنا بكم البحر) اى
فلقنا لكم (قوله عز وجل
فارض) اى مسنة (قوله جل
اسمه فاقع لونها) اى ناصع
لونها (قوله تعالى ذكره
فريق منهم) اى طائفة منهم
(قوله فاؤا) اى رجعوا
(قوله جل اسمه فورهم) اى

الالهى بل هو استخفاف به (فسيأتيهم انبؤا ما كانوا به يستهزؤن) كيف والاستهزاء بمنزلة البذر
وهم بمنزلة الارض فلا يبعد ان يخرج من بذور استهزائهم اطائف الانباء (أ) ينكرون ذلك فى
أفعالهم مع ان له نظيرا فى المحسوسات (و) كانهم (لم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها) من بذورها
نباتا (من كل زوج) اى صنف يقابل الصنف الآخر من نوعه (كريم) اى محمود كذلك انباء
الافعال من كل خير وشر محمود لوقوعه بمقتضى الحكمة الالهية فان زعموا ان انبات الارض
لفوائد دنيوية يقال لهم (ان فى ذلك لآية) على الامور الاخروية لانها أهم من الامور الدنيوية
فكيف يعتنى بالفوائد الدنيوية ويهمل الفوائد الاخروية (و) لا يخفى هذا على من يؤمن
بالآخرة ولكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) بالامور الاخروية (و) لكن لابد منها بمقتضى
عزة الله ورحمته (ان ربك لهو العزيز الرحيم) فيعذب بمقتضى عزته اعداءه ويثيب بمقتضى
رحمته أولياءه (و) اذكر لمن أنكر اتيان المستهزئين أنباء استهزائهم ما أتى المستهزئين من قوم
فرعون حين أرسل الله تعالى اليهم (اذ نادى ربك موسى) ليقبل اليه فيكمل بكمالاته ليقاوم
فرعون (ان ائت القوم الظالمين) بجعل الالهية لفرعون وغصب خواص عبيد الله
واستعبادهم وقتل أولادهم (قوم فرعون) فهم فى حكمه فى كل ما ينسب اليه من الظلم فان
فعلوا ذلك خوفا منه فأنا أولى بالخوف منه (الا يتقون قال رب) انما يتقونك لو صدقونى
فاعترفوا بربوبيتك ورسالتى والا كان الامر بالعكس (انى أخاف أن يكذبون و) من خوف
التكذيب (يضيق صدرى) عن اداء الرسالة (و) من ضيق الصدر (لا ينطلق لسانى) مع
ما فيه من اللكنة الاولى (فأرسل الى هرون) لاجل ان يصدقنى فينشرح صدرى ويفهمهم
ما لا يفهمون عنى من لكنة لسانى (و) مع ذلك لا أتقوى على الذهاب اليهم اذ (لهم) بحسب
اعتقادهم (على ذنب) هو قتل القبطى (فأخاف ان يقتلون) واذا قتلت فمن يؤدى رسالتك
(قال كلا) اى ارتدع عن توهم القتل وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان مع ارسال هرون
(فاذهبا بآياتنا) فانها تمنعهم من قتلكما وان اجترؤا معها على تكذيبكما ومتى قصدوا ذلك
منعتهم ولا يفوتنى الاطلاع على قصدهم (انا معكم) يا موسى وهرون والقوم (مستمعون)
بالقصد لما يقول ويقصد كل واحد منكم واذا ارتفع عنكما كل خوف سوى التكذيب
(فأتيا) أعظم من يخاف منه (فرعون فقولا) مخوفين له (انا رسول رب العالمين) جمع فى كل
واحد منا من رسالته ما يكفى الكل ثم يعاضدنا حتى اتخذنا وكيف لا نرسل اليك وقد غصبت
خواص عباده فأمرك (ان ارسل معنا) الى أرض الشام (بنى اسرائيل قال) لو أرسلك
يا موسى لم يكن لك قبول رسالته لانك جئتنى لرد ربوبيتى بعد ما ربيتك (ألم نربك فينا) اى
داخلا فى أهلنا (وليدا) اى صغيرا (و) لم تزل فى تربيتنا اذ (لبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين
سنة ثم كان فى أهل مدين عشر سنين ثم فى دعوتهم ثلاثين ثم بعد غرقهم خمسين (و) كيف ارسلك
والرسول يجب أن يكون معصوما وأنت قد (فعلت فعلتك التى فعلت) من قتل القبطى
(و) هذا وان لم تره ذنبا فالكفر ذنب فى زعمك وحين كنت عندنا (أنت من الكافرين) فأجاب

من وجههم ويقال من
غضبهم يقال فارفهو فائر
اذا غضب (قوله عز وجل
فشلتم) اى جبنتم (قوله جل
وعز فتبا لكم) اى
اماتكم (قوله عز وجل فتور)
اى سكون وانقطاع وقوله
على فترة من الرسل على
انقطاع من الرسل لان
النبى صلى الله عليه وسلم
بعث بعد انقطاع الرسل
لان الرسل كانت الى

أولا عن الاهم وهو القتل (قال فعلتها اذا) اى قبل النبوة والانبياء انما يجب عصمتهم بعد النبوة عن العمد (و) كانت خطأ اذ (انا من الضالين) اى الجاهلين بكون الوكزة مفضية الى القتل والخطأ وان كان معفوا عنه شرعا بالدية لكن لم أركم تعفون عنه (ففررت منكم لما خفتكم) ان تقتلونى على القتل الخطأ ظلما فنجانى الله منكم فشكرت نعمة انجائه فزادنى انعاما (فوهب لى ربى حكما) عليكم بطلب بنى اسرائيل (و) لا أخاف ان تحكموا على بالقتل اذ (جعلنى من المرسلين) لرد دعوى الربوبية ولم يجب عن الكفر لانه ان تكلم بكلمة فعن تقية ولعله لم يتكلم بها أصلا ولكن كان يظن فرعون به ذلك (وتلك) التربية التى تزعم انها (نعمة) لم تبق نعمة اذ (تمنها على) وهى بالحقيقة انما كانت من أجل (ان عبدت بنى اسرائيل) اى استعبدتهم فحكمت عليهم بذبح أولادهم فخافوا على فالقونى فى البحر فوقعت بيدك فكأنه هذه التربية عين ذلك الاستعباد ولما رأى اصرار موسى على دعوى النبوة بعد هذه الكلمات الرادعة (قال فرعون) طاعنا على رسالته بقصور معرفته (وما رب العالمين) اى ما حقيقته ولم يمكن بيانها بالجنس والفصل لعدم تركبه ولا بالفصل وحده اذ ليس منه فى المخلوقات شئ فيميزه عن جميعها به ولا ضد له فلا يمكن تعريفه به فلا يعرفه الا من شاهده أو خلق فيه علم ضرورى به أو أوحى اليه واما غيره فغايته الاطلاع على خواصه لذلك (قال رب السموات والارض وما بينهما) اى الذى اكتسبت هذه الاشياء الوجود من اشراق نوره فهذا اتم تعريف لكم (ان كنتم موقنين) أهل كشف وشهود (قال لمن حوله الا تستمعون) بجعل وجود السموات والارض مكتسبا لهما من الغير مع انه قديم (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) من الحوادث اليومية فانه لما لم يمكن فيها دعوى القدم لم يكن بد من اسنادها الى الواجب (قال ان رسولكم) اى الذى هو منكم لا من الملائكة (الذى أرسل اليكم) من مكانكم (لمجنون) يسند الحوادث اليومية الى الواجب على تقدير قدم السموات والارض مع انها على ذلك التقدير مستندة الى الحركات الفلكية التى لا بداية لها (قال) الحركة الكلية لا توجد بدون الجزئيات وجزئياتها حادثة ولا يستند الى الفلك لانه يطلب بها كمالا فهو قاصر فلا بد من اسنادها الى الواجب فهو (رب المشرق والمغرب) اللذين هما المبدأ والمنتهى للحركة (وما بينهما) مما يستند الى تلك الحركة لان المستند الى المستند الى الشئ مستند الى ذلك الشئ فهذا التعريف تام لكم (ان كنتم تعقلون) تستدلون بالحركة على مبدئها الذى لا يطلب بها كمالا على ان الحركة تغير والمتغير لا بد وأن يكون حادثا ولما أيس عن مجاوبته (قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) فى هوة عميقة حتى تموت (قال أ) تسجننى (ولو جئتك بشئ) من المعجزات (مبين) لصدق دعواى فينسبك الناس الى العجز والظلم المنافيين للالهية (قال فأت به ان كنت من الصادقين) بان لك ذلك الشئ (فالقى عصاه فاذا هى) من غير توقف واستتار (ثعبان) حية أكبر من العصا (مبين) اى ظاهر غير مخيل (ونزع يده) من ابطه بعد ما أدخلها فيه لطلب فرعون آية أخرى (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع محير (للناظرين) مثل

وقد دفع عيسى متواترة (قوله فتيلا) يعنى القشرة التى فى بطن النواة (قوله تعالى فرطنا فيها) اى قصرنا العجز فيها وقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ اى ما تركناه ولا أغفلناه ولا ضيعناه (وقوله جل ذكره فرطتم فى يوسف) اى قصرتم فى أمره ومعنى التفريط فى اللغة تقدمة العجز

تحير شعاع الشمس أو أكثر وفي قلب العصا الجمادية حية حيوانية اشارة الى امكان قلب الحيوانية روحانية وفي جعل اليد بيضاء اشارة الى امكان تصفية القلب ولما رأى فرعون انه وقع من الآيتين القاهرتين صدق موسى في قلوب الناس خاف أن ينقلبوا لذلك (قال للملا) اى الاشراف الذين من شأنهم دفع شرف من أراد التشريف عليهم سيما الذين (حوله) وكلامهم يؤثر في العامة (ان هذا) وان بلغ ما بلغ (الساحر) غايته انه (عليم) بأبواب السحر ولذلك لا يرضى برتبة العوام السحرة بل (يريد ان يخرجكم من أرضكم) ليستولى عليها فيذهب بشرفكم بالكلية لا بقوة العسكر والمال بل (بسحره) واذا كانت عداوته لا تقابل بالعسكر (فماذا تأمرون) انحط عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم واظهر الخوف من ظهوره واستيلائه على ملكه مما رأى من المعجزة (قالوا) الساحر وان بلغ ما بلغ قابل للمعارضة فان لم يقدر على معارضته الواحد والاثنان فلا بد وان يقدر عليه الجمع الكثير سيما المشتمل على الماهرين فلا تقتله لئلا تنسب الى العجز والظلم المنافيين للالهية بل (أرجه) اى أخر قتله (وأخاه) وان كان مقويا له (وابعث في المدائن) اى البلاد المتفرقة شرطا (حاشرين) اى جامعين (يأتوك بكل سحار) اى كثير العمل للسحر (عليم) اى محيط بأبواب السحر فلم يزالوا يجمعونهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) اى لما وقت من ساعة ضحى يوم الزينة (وقيل) بالنداء في السكك والطرق (للناس) الذين وصلهم خبر المعجزتين فوقع في قلوبهم صدقه (هل أنتم مجتمعون) لرؤية معارضتهم ليزول ما في قلوبكم (لعلنا نتبع السحرة) في عبادة الكواكب والشياطين اذ لا ترد دعوى ربوبيتنا (ان كانوا هم الغالبين) لظهور الغلبة لآلهتهم ولا نتبع موسى وان غلب الساني من رد دعوانا فأمر فرعون السحرة بحضور مكان الزينة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون) الذي طلبهم لحفظ ملكه (أئن لنا لأجرا) فوق أجر العسكر اذ نحفظ عليك انقلاب الناس ولا يقدر عليه العسكر (ان كنا نحن الغالبين) من كل وجه (قال نعم) لكم ذلك الاجر (و) نزيدكم التقريب (انكم اذا لمن المقربين) يحصل لكم ما يحصل لهم بالجاه مما لا نسبة له الى أجر العسكر (قال لهم موسى) اظهارا لعدم مبالاته لما هم فاعلونه لا محالة (ألقوا ما أنتم ملقون) مما يعظم عندكم في المعارضة (فألقوا حبالهم وعصيهم) الكثيرة الغير المنحصرة فصارت حيات (وقالوا) اعتمادا على مبالغتهم في اتيان أقصى ما يمكن قبل ظهور المعارض (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى) وحده (عصاه) الواحدة في مقابلة ما لا ينحصر (فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي فاجأت بابتلاع ما قلبوه عن وجهه تزويرا فبهرهم الامر المعجز (فألقى) أي أسقط (السحرة ساجدين) على وجوههم منقادين له بالايمان (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون أرب تعنونى قالوا (رب موسى وهرون) فلما رأى فرعون وقوع صدق موسى في قلوب العامة بفعل السحرة وخاف انقلابهم عنه أخذ يلبس على الناس بأنهم لم يؤمنوا عن بصيرة اذ لو وقع بقلوبهم صدقه لوقع بقلبي فآمنت به وأمرتهم أن يؤمنوا به (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) تواطأتم أن يكون لكم الملك فقدمتموه (انه لكبيركم)

(قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى) أي شاقهما بالنبات وفالق الاصباح أي شاقه حتى يتبين من الليل (الفحشاء) كل شئ مستقبح مستفحش من فعل أو قول (قوله جل وعز فتيان) أي مملوكان والعرب تسمى المملوك شابا كان أو شيخا فتى ومنه قوله تعالى تراود فتاها عن نفسه أي عبدها

فى باب السحر كأنه الاستاذ (الذى علمكم السحر) فان رأيتم ذلك سبب غلبتكم (فلسوف تعلمون) من الغالب أنا أو أنتم لافعلن بكم ما يفعل بمن قصد الملك (لأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف) أى جانبين متخالفين (ولاصلبنكم أجمعين) بعد القطع (قالوا لاضير) أى لاضرر علينا فى ذلك (انا) بفعلك هذا (الى) ثواب (ربنا) والقرب منه (منقلبون) فهو أعظم نفع فان لم يحصل لنا ذلك فأقل ما فيه رجاء لغفران العام (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا) الذى ربانا بهذا الصبر جميع (خطايانا) من اتباع فرعون والقسم بعزته ومعارضة نبى الله وما فى السحر من عبادة الكواكب والشياطين (أن كنا أول المؤمنين) أى لأن كنا أول من آمن من أتباع فرعون وتحمل فيه هذا الوعيد الشديد منه (و) لما فعل فرعون بالسحرة ما فعل من الظلم العظيم لئلا يذهب ملكه بانقلاب الناس عنه أراد الله سبحانه وتعالى اذهاب ملكه باخراج اعدائه ليتبعوهم فيهلكوا فى الطريق فيرجع الاعداء الى ملكه فيرثوه (أوحينا الى موسى) الذى تركه مع انه أصل المخاوف (أن أسر) أى سر ليلا (بعبادى) بنى اسرائيل (انكم) اذا وصل خبر سيركم الى فرعون (متبعون) فيتبعكم عسكره فلو سرتم نهارا وصل خبر سيركم بسرعة فتدركون قبل الوصول الى البحر واذا سرتم ليلا لم يصل خبر سيركم الا بعد الفجر فساروا ليلا فوصل الخبر بعد الفجر (فارسل فرعون) ليتفرق عسكره (فى المدائن) التى حول مصر اثنى عشر الف قرية شرطا (حاشرين) أى جامعين لعسكره قائلين ما يقال به الاعداء فى أعين العسكر (ان هؤلاء) الخارجين (لشرذمة) أى قطعة من الناس (قليلون وانهم) وان قلوا لدى واحد من لا يبالى بهم انهم (لنا لغائظون) ففعلوا ما يستمر به غيظنا عليهم (و) لولم يغيظونا كان الواجب مؤاخذتهم (انا لجميع) وان كثر جمعنا (حاذرون) من مكرهم وسعيهم بالفساد فى الارض بقطع الطريق والاستمداد من عسكر آخر (فاخرجناهم) بهذه الدواعى من مكان أمنهم وتنعمهم (من جنات وعيون وكنوز) أى أموال لم يؤد حقوقها (ومقام كريم) وكما كانت حال استقامة ملكهم بقيت (كذلك) بعد تغيره (و) لكن تغير ملاكها اذ (أورثناها بنى اسرائيل) وكأنهم قصدوا ذلك التوريث (فأتبعوهم مشرقين) أى وقت اشراق الشمس اجتمعوا من المدائن المتفرقة فى هذا المقدار من الوقت (فلما) تقارب العسكران بحيث (تراءا الجمعان) أى رأى كل واحد منهما صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى ملحقون (قال كلا) أى ارتدعوا عن اعتقاد اللحوق بعدما وعدكم الحق الانجاء (ان معى ربى) فيقتضى وعده (سيهدين) طريق الخلاص عنهم (فأوحينا الى موسى) الذى اعتمد على هدايتنا اياه (أن اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل ليتفرق ماؤه (فانفلق) أى انشق مع غاية عمقه (فكان كل فرق) أى قطعة من الماء (كالطود) أى الجبل (العظيم) دخل فى كل شعب منها سبط من بنى اسرائيل للدلالة على عظم عناية البارى لعباده وعظم قهره على أعدائه (وأزلفنا ثم الآخرين) أى قربنا من البحر قوم فرعون بعد دخولهم فدخلوا خلفهم مع علمهم انه لا ينبغى لهم أن يدخلوه (و) لم يضر دخولهم قوم موسى اذ (أنجينا موسى ومن معه أجمعين)

(قوله عز اسمه فرث ودم) الفرث ما كان فى الكرش (قوله عز من السرجين) (قوله عز وجل فجوة) أى متسع ويقال مفياة أى موضع لاتصيبه الشمس (قوله عز وجل فريا) أى عجبا ويقال عظيما (الفزع الاكبر) قال على عليه السلام هو اطباق باب النار حين تغلق على أهلها (قوله جل وعز فلك) هو القطب الذى تدور به النجوم

بحفظ البحر على هيئته الى تمام عبورهم مع بعدهم عن قوم فرعون (ثم) أى بعد انجائهم
(أغرقنا) باطباق البحر (الآخرين) قوم فرعون (ان فى ذلك) أى فى انجاء موسى وقومه
واهلاك فرعون وقومه (لآية) أى دلالة على انجاء الله المؤمنين من أهوال يوم القيامة
واهلاك الكفار فيه (و) هى وان كانت سبب الايمان لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لان عزة
الحق الحاكمة بكفرهم منعت من تأثيره فيهم (و) انما أثر حيث أثر برحمته (ان ربك لهو العزيز
الرحيم) وقد اجتمعت عزته ورحمته فى فلق البحر وهكذا بحر معرفة الله اذا ضرب بعصا
المقدمات فنهم من يكون سبب نجاته وقربه من الله برحمته ومنهم من يكون سبب هلاكه بعزته
(و) ان زعموا ان تسفيه الآباء وجماعة العقلاء ليس أقل من الاستهزاء بالانبياء (اتل عليهم نبأ
ابراهيم) الذى يفتخرون به مع كونه مستهزئا بأبيه وبعقلاء قومه (اذ قال لابيه وقومه)
تسفيها لهم (ما تعبدون قالوا نعبد أصناما) عبادة طويلة (فنظل لها) أى ندوم لعبادتها طول
النهار (عاكفين) أى مقيمين أطالوا الجواب تبجحا وافتخارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم
فى ساعة من ساعات النهار (اذ تدعون أو ينفعونكم) فى وقت من الاوقات لو عبدتموها هذه
العبادة الطويلة (أو يضرونكم) فى وقت من الاوقات لو تركتم هذه العبادة (قالوا) لم نجد شيأ
من ذلك (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ولم نجدهم فعلا يخلو عن فائدة فنحن وان لم نطلع
عليها فلا بد منها (قال أ) تعتقدون الفائدة فى عبادتها من غير تعيينها (فرأيتم) عبادة
(ما كنتم تعبدون أنتم) فلم تجدوا تلك الفائدة بعينها مدة أعماركم (وآباؤكم الاقدمون) أيضا
لم يجدوها مدة أعمارهم والا لبينوها لكم وقد ظهر لى فيها الضرر اذ فيها عداوة رب العالمين
فعكست الامر (فانهم عدو لى الا رب العالمين) فان عبادته لو لم تكن نافعة فهى واجبة على شكر
الخالقية اذ هو (الذى خلقنى) على أن شكره مستوجب للمزيد ولا زيادة من جنس الخلقة
لما فيه من تحصيل الحاصل فهو مما يتعلق بالخالق (فهو يهدين و) لم يقتصر على الانعام بالخلق
بل أنعم باسباب البقاء اذ هو (الذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت) بأحدهما فانقلب سبب
البقاء سبب الفناء (فهو يشفين) فينقلب الفناء بقاء (و) لا يعدمنه اذ هو (الذى يميتنى
ثم يحيين) فان لم يفدنى الشكر فى الدنيا مزيدا يفدنى فى الآخرة (و) أقل فوائده فى الآخرة
غفران الخطيئة فهو (الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) وهى كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله
كبيرهم ولسارة اختى وكونها معاريض لا ينافى ذنب فعله حاله لما فيها من التلبيس فيقتضى
أن يجازى به (يوم الدين) ولما آثر محبة الحق وعداوة الاصنام قال (رب هب لى حكما) ينفذ فى
أكثر العالمين بصحة عبادتك وبطلان عبادة ما سواك (وألحقنى) فى استكمال عبادتك
ومعارفك (بالصالحين) بحيث أصير قدوة للمتأخرين لما يرون فى من الكمالات (واجعل لى
لسان صدق) أى ثناء مطابقا للواقع واقعا (فى) قلوب (الآخرين) حتى يقتدوا بى بما يسمعون
من معارفى وأعمالى (و) لا تجعلنى بذلك ممن ذهب بطيباته فى الدنيا بل (اجعلنى من ورثة
جنة النعيم) ممن ذهب طيباتهم فى حياتهم الدنيا ممن خلقتهم لعبادتك ايجازا واعلاما بالجنة

(قوله عز وجل فج عميق) أى مسلك بعيد غامض (قوله جل وعلا) فار التنور) يقال لكل شئ هاج وعلا قد فار ومنه فارت القدر اذا ارتفع ما فيها وعلا (قوله عز وجل فرضناها) فرضنا ما فيها وفرضناها أى أنزلنا فيها فرائض مختلفة (قوله عز وجل البغاء) أى فتياتكم على البغاء أى اماءكم على الزنا (قوله جل وعز فرهين) وفارهين وفرهين أشرين وفارهين أيضا حاذقين

(و) لا تنقص نعمى بتعذيب أبى (اغفر لابى) وان كان مشركا (انه كان من الضالين) باعتقاد
أن عبادة الاصنام هى عبادتك فى الواقع ولم يعلم ان الشرك يحبط العبادة الخالصة له فكيف
غير الخالصة المقصود بها الغير (و) هذا وان لم تغفر لغيره اغفرله من أجلى لئلا أخزى به
(لا تخزنى يوم يبعثون) لان الخزى فيه يفتضح بين الاولين والآخرين وكان هذا قبل النهى
عن الاستغفار للمشركين ومن عظمة ذلك الخزى انه لا يندفع بما يدفعه فى الدنيا وقوعه
(يوم لا ينفع مال ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) عن محبتهما وصرفهما الى غير
مصارفهما بل صرفهما فى الخيرات التى هى محابه فكانت مؤكدات لمحبته فزادته نفعا (و) لنفع
كل شئ لذى القلب السليم (أزلفت) أى قربت (الجنة) التى هى خزانة المنافع (للمتقين) الذين
وقوا سلامة قلوبهم بالتحفظ عن مضاره (و) لا ينفع الغواة شئ اذ (برزت) أى أظهرت (الجحيم)
التى هى مجمع الاحزان والشدائد (للغاوين و) قد حصل لهم من الخزى ما لا يدركون معه المنافع
لو حصلت لهم اذ (قيل لهم أين) أى فى أى مكان من القرب الالهى أو القوة (ما كنتم تعبدون)
مع علمكم بأنها (من دون الله) فى الدنيا (هل) زال دنوهم بحيث (ينصرونكم أو ينتصرون)
بدفع العذاب عنكم أو عن أنفسهم (فكبكبوا) أى القوا (فيها) على وجوههم ينكبون
مرة بعد أخرى من غاية ضعفهم وذلتهم (هم) أى المعبودون (والغاوون) من عبدتهم (وجنود
ابليس) المغوون لهم (أجمعون) من الجن والانس وان كان فيهم من تاب عن الاغواء من بعد
لكنه مؤاخذ بحق الخلق (قالوا) من تعذبهم بالعذاب العقلى مع الحسى (وهم فيها يختصمون)
بدل الاستشفاع (تالله ان) أى انه (كنا لفى ضلال مبين) فى عبادتكم (اذ نسويكم برب العالمين)
فيها مع انكم لا تربون شيأ (و) لم نتبع فيه من يشفع لنا لانه (ما أضلنا) فاتبعناهم (الا المجرمون)
لا المجتهدون المخطؤن الذين يثابون على خطئهم وصوابهم وقد بلغوا من كمال العلم والعمل ما يرجى
به شفاعتهم ومتابعة المجرمين قد قطعت شفاعة الشافعين (فما لنا من) شافع مع كثرة (شافعين)
من الانبياء والاولياء والعلماء (ولا) لنا من (صديق حميم) يحم من افراط الشفقة علينا الاختصاص
ذلك بالمؤمنين ولا يحصل الا فى الدنيا (فلو أن لنا كرة) أى ليت لنا رجعة الى الدنيا (فنكون
من المؤمنين) فلو رجعنا منها الى الآخرة ثانيا كان لنا شفعاء وأصدقاء (ان فى ذلك لآية) أى
عظة تدعو الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لكونهم محجوبين بحجاب العزة
(و) انما آمن من آمن لارتفاعه عنه بالرحمة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن آثار قهر العزة
للمحجوبين بحجابها اغراق قوم نوح ومن آثار الرحمة فى ذلك القهر برفعها الحجاب انجاء نوح
ومن معه من المؤمنين فانه (كذبت قوم نوح) المحجوبون بحجاب العزة (المرسلين) لرفعه بالرحمة
(اذ قال لهم أخوهم) فى النسب والشفقة (نوح) الذى تكذيبه تكذيب الرسل (ألا تتقون)
سطوة العزة التى أنتم بها محجوبون وقد أرسلت لرفع ذلك الحجاب بالتخويف (انى لكم رسول)
وخصنى بذلك لما عرفتم صدقى من انى (أمين) فاذ أرسلنى لهذا المعنى (فاتقوا الله) أى فاجعلوه
وقايتكم من سطوة عزته التى حجبكم بها (و) انما يتم تقواه بامتثال أوامره ونواهيه التى جئت

(قوله عز وجل فرض
عليك القرآن) أى أوجب
عليك العمل به ويقال
أصل الفرض الحز يقال
لكل حز فرض فمعناه ان
الله ألزمهم ذلك فثبت
عليهم كما تثبت الحز فى العود
اذا حز تبقى علاماته (قوله
عز وجل فكهون) الذين
يتفكهون بالطعام أو
بالفاكهة أو بأعراض
الناس ان فلانا لفكه بكذا
ويقال أيضا رجل فكه

بها من عنده لكشف حجب العزة وقاية عن سطوتها (أطيعون) لتصيروا متقين فتحصل لكم
فوائد الآخرة (و) لا ينقص عليكم شئ من دنياكم لأنى (ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ
الرسالة المفيدة فوائد نافعة الى الابد (من أجر) دنيوى ولا أخروى لقصور ما عندكم (ان أجرى
الا على رب العالمين) المعطى بغير حساب واذا لم أطلب منكم أجرا تأكد أمانتى وصدقى وازداد
بطلب الاجر من الله لانه لا يعطى الكاذب فى دعوى الرسالة عليها أجرا ويتأكدها بتأكد
الحجة عليكم (فاتقوا الله) ان يكون له عليكم حجة (وأطيعون) لتصير الحجة عليكم حجة لكم
(قالوا أنؤمن) بك مطيعين (لك واتبعك الارذلون) أى الاقلون مالا وجاها طمعا فى طعام لك
فنشاركهم فيه (قال وما علمى) محيطا (بما كانوا يعملون) من الايمان لطمع الطعام أو لاجر
الآخرة (ان حسابهم) على بواطنهم (الا على ربى) المخصوص بالاطلاع عليها فلا يتعدى الى
نظرى (لو تشعرون) أى لو كان لكم أدنى شعور لعلمتم بهذا الاختصاص قالوا لو أردت الاطلاع
على ذلك فاطردهم فان داموا على الايمان فهم مخلصون والا فايمانهم للطعام فقال (وما أنا
بطارد المؤمنين) لان طردهم مانع من ايمان غيرهم وأنا طالب لايمان الكل بالانذار عن ضده
(ان أنا الا نذير) عن الكفر (مبين) لضرره فلا أبطل مقتضاه بمقتضى الطرد (قالوا لئن لم تنته
يا نوح) عن هذا الانذار (لتكونن من المرجومين) أى المضروبين بالحجارة ليحصل لك المنذر به
قبلنا (قال) اعتذارا الى الله تعالى وشكاية عن قومه (رب ان قومى كذبون) تكذيبا لا يمكن
رفعه بانذار ولا باقامة دليل فصار النزاع متعلقا (فافتح) ما يرفع النزاع (بينى وبينهم فتحا)
كاينا بالكشف عن المنذر به من سطوة العزة (ونجنى ومن معى من المؤمنين) عن تلك السطوة
لنتميز عنهم فيرتفع النزاع فى الباقين ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لايصال
سطوتنا اليهم وميزناه ومن معه (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى المملوء منهم ومن
سائر الدواب مع عسر انجاء الفلك الخالى عنهم لكونه فى موج كالجبال (ثم) بعد انجائهم
(أغرقنا بعد الباقين) على الكفر بعد ظهور الطوفان بتم اذ لا تمييز للاولين بدونه (ان فى ذلك لآية)
على ان من ركب سفينة الايمان والاعمال الصالحة نجا من طوفان يوم القيامة والاغراق فى
طوفانه فهو أجل داع الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) كيف (و) لم يرتفع بذلك
عنهم حجاب العزة الا من المرحومين فيمن بقى (ان ربك لهو العزيز الرحيم) بعد اغراقهم كما كان
قبل ذلك وممن أغرق فى طوفان سطوة العزة عاد اذ (كذبت عاد المرسلين) العاملين سفن النجاة
عن هذا الطوفان (اذ قال لهم أخوهم) المريد نجاتهم عن هذه السطوة (هود) المبعوث
للانذار عنها (ألا تتقون) الغرق فى طوفان سطوة العزة (انى لكم رسول) آت باسباب النجاة
عنه (أمين) لم أخن عليكم شيأ من أسبابها وأعظم أسبابها التقوى (فاتقوا الله) العزيز
ان تشاركوه فى عزته أو تجعلوا البشر بكل (وأطيعون) فيما أشير لكم من أسبابها (و) لا أمكر عليكم
فى ذلك اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) وكيف يمكر من يطلب الاجر من الله (ان أجرى الا على
رب العالمين) وهو يربى الماكر بمقتضى مكره (أتبنون) لتشاركوا الله فى عزته (بكل ريع)

اذا كان طيب النفس ضاحكا وفاكهون الذين عندهم فاكهة كثيرة كما يقال رجل لابن وتامر أى ذو لبن وتمر كثير ويقال فكهون وفاكهون واحد أى معجبون كما يقال حذر وحاذر وفى التفسير فاكهون ناعمون وفكهون معجبون (قوله تعالى فصل الخطاب) يقال اما بعد ويقال البينة على الطالب واليمين على المطلوب (قوله تعالى فواق)

أى مرتفع من الارض (آية) لتذكروا بها فتتكبروا على الخلق وأنتم باتلاف المال من أجله (تعبثون) اذ التكبر بالاحسان على الخلق أتم من ذلك ولا يفيد الاهتداء بها اذ بالنجم كانوا يهتدون (وتتخذون مصانع) أى قصورا مشيدة وحصونا لتأمنوا عن أعدائكم (لعلكم تخلدون) فى الدنيا وكأنكم تريدون مغالبة الله فيما قدر من افنائكم فهذا انفراد بالعزة المخصوصة بالله (و) كبركم يؤدى الى التجبر لذلك (اذا بطشتم) أى تسلطتم على أحد (بطشتم جبارين فاتقوا الله) من هذه الخصلة الذميمة المؤدية الى الظلم الذى لا أقبح منه (وأطيعون) فيما أشير لكم من معالجة هذا المرض (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من انعاماته أن يسلبكموها ان فعلتم هذه الخصلة وقد كان امداده بذلك مما يفيدكم العزة لانه (أمدكم بانعام) ابل وبقر وغنم (وبنين وجنات وعيون) فيكون طلب العزة سالبا للحاصلة منها ومع ذلك (انى أخاف عليكم) من كفران هذه النعم والكفر بالمنعم وبرسوله وما أرسل من أجله (عذاب يوم عظيم) يعظم يومه فوق يوم السلب (قالوا سواء علينا) وعظك وعدمه بحيث يشك فيه (أوعظت) أى أخوفتنا بذلك (أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى به عما نحن عليه (ان هذا) الوعظ (الا خلق) أى افتراء (الاولين) اذ لو كان الله معذبا على الذنب لعذب حال مباشرته أو عقيب فراغه منه (و) لكن لم نره يعذب أحدا فعلمنا انه (ما نحن بمعذبين) أصلا فى وقت من الاوقات (فكذبوه) فى تخويفه العذاب (فأهلكناهم) بالعذاب على تكذيب العذاب (ان فى ذلك لآية) على ان من كذب عذاب الآخرة عذب به (و) هى توجب الايمان به لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لا يدل عدم التعذيب فى الحال أو عقيب الفراغ على عجز الله عنه وان رحم بتركه مدة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) وممن عذب على تكذيب العذاب ثمود اذ وعدوا العذاب على عقر الناقة فكذبوه فعقروها فانه (كذبت ثمود المرسلين) المخوفين من العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (اذ قال لهم أخوهم) القاصد دفع العذاب عنهم (صالح) المبعوث للاصلاح الدافع له (ألا تتقون) أى ألا تأخذون الوقاية عن العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (انى لكم رسول) من المعذب آت باسباب الوقاية (أمين) على تبليغها لا اغير منها شيأ وأجل أسبابها الالتجاء بالله والاستعانة به (فاتقوا الله) أى اجعلوه الوقاية عن العذاب (و) لا يتم الا بامتثال أوامره ونواهيه التى جئت بها (أطيعون و) ليست اطاعتى اطاعة الرعية للملوك باداء المال اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) اذ لا ابالى لما أفدتكم من هذه الفائدة وانما ابالى لاجر الله (ان أجرى الا على رب العالمين) الذى بعثنى فاستحق عليه الاجر المناسب لعظمته (أ) تتوهمون انكم (تتركون) غير مكلفين (فيما ههنا) من معارفه وعبادته (آمنين) من عذابه مع كثرة ما أنعم به عليكم اذ جعلكم (فى جنات) مشتملة على أنواع الفواكه (وعيون) لتثميرها وانمائها (وزروع) لتحصيل الاقوات (ونخل) مشتمل على ما هو قوت وفاكهة (طلعها هضيم) أى متدلل متكسر من كثرة الحمل فيعظم شكرها فاذا اغفلتم عظم الانتقام عليها (و) كأنكم متأمنون بها (تنحتون من الجبال بيوتا) لتسكنوا فيها (فارهين) أى ناشطين

بضم الفاء مقدار ما بين الحلبتين ويقال فواق وفواق بمعنى واحد وقوله عز وجل ما لها من فواق أى ليس لها بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وما لها من فواق أى ما لها انتظار (قوله عز وجل فرطت فى جنب الله) وفى ذات الله واحد ويقال ما فعلت فى جنب حاجتى أى فى حاجتى قال كثير

ألا تتقين الله فى جنب عاشق
له كبد حرى عليك تقطع

لا

لايعجزنكم شئ من المخوفات والامن من الله مفض الى التغيير (فاتقوا الله) ان يغير عليكم أمنكم (و) انما يؤمن من تغييره عند امتثال أوامره ونواهيه التى جاء بها الرسل (أطيعون ولا تطيعوا) لتحصيل الامن من تغيير الله (أمر المسرفين) وان زعموا انهم انما يأمرون بامر الله فانه يكذبهم أفعالهم اذهم (الذين يفسدون فى الارض) فلا يتركون على الناس أمنا ولا نشاطا فيخاف من اطاعتهم ان لا يبقى على مطيعهم أمنه ولا نشاطه كيف (و) هو انما يتوقع من أمر المصلحين وهم (لا يصلحون قالوا) كيف نطيع أمرك الصادر عن اختلال العقل (انما أنت من المسحرين) أى الذين غلب السحر على عقولهم فيتوهم انك أرسلت مع ان ارسال البشر محال (ما أنت الا بشر مثلنا) وارسال أحد المثلين دون الآخر تحكم فلو كنت رسولا لكان كل بشر رسولا فان فارقتهم بآية (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى المفارقة (قال) الآية (هذه) الناقة الخارجة عن الصخرة بدعائى على حسب اقتراحكم فهى (ناقة) يجب رعايتها بان يجعل (لها شرب) أى نصيب من الماء لا يشارك فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تتعدونه الى يوم شربها وانما منعتم مشاركتها فى نصيب الماء لانه يسوءها أدنى اساءة (ولا تمسوها بسوء) من ضرب أو قتل (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) لعظمة ما تعاطيتم فيه من تغيير آية الله (فعقروها) أى اتفقوا على عقرها فظهرت علامات العذاب (فأصبحوا نادمين) من أجلها فتمت تلك العلامات (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك لآية) على أن من غير من أمر الله شيأ عذبه يوم القيامة يعتبرها من آمن (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لم يعلموا ان الله غالب على تغيير حال من غير شيأ من أمره وان كان قد رحمه بتلك الحال (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين بتغيير أمر الله قوم لوط فانه (كذبت قوم لوط المرسلين) المخوفين عن تغيير أمر الله كاتيان الرجال المخل بحكمة الجماع وهى طلب النسل (اذ قال لهم أخوهم) فى الشفقة عليهم (لوط) المخوف من التغيير (ألا تتقون) تغيير الوضع الالهى بعدما أرسلت مخوفا عنه (انى لكم رسول) ولا أريد بذلك ان اختص به دونكم لانى (أمين فاتقوا الله) أن يبدل راحتكم ألما (و) انما تحفظون عن تغييره لو لم تغيروا شيأ من أوامره ونواهيه التى أمرنى بتبليغها اليكم (أطيعون) وكيف أكذب لكم (وما أسئلكم عليه من أجر) والكذب بلا طمع ليس من شأن العقلاء وكيف أكذب على الله مع انى طامع للاجر منه (ان أجرى الا على رب العالمين) وهو لا يعطى المفترى عليه أجرا (أتأتون الذكران) أى أتجامعون الرجال فى أدبارهم (من العالمين) اذ لا يفعله سائر الحيوانات (و) تبالغون فيه اذ (تذرون) أى تتركون محل الحرث بالكلية وهو (ما خلق لكم ربكم) ليربيكم بالنسل (من أزواجكم) المحافظة لنسلكم وليس ذلك لنفس الاستمتاع فانه يحصل من قبل النساء (بل أنتم قوم عادون) أى مجاوزون حد الشهوة الحيوانية الى الشيطانية (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن نهينا عن اللواط (لتكونن من المخرجين) من قريتنا عنفا اذ لا تجانسنا (قال) هذا الوعيد لا يردعنى عن ردعكم (انى لعملكم من القالين) أى المبغضين غاية البغض فاكرهما كنتكم

(قوله تعالى تجار) هو طين قد مسته النار (قوله عز وجل فوج) جماعة (قوله جل اسمه فصيلته) أى عشيرته الادنون (قوله جل وعز فاجرا) أى مائلا عن الحق وأصل الفجور الميل فقيل للكاذب فاجر لانه مال عن الصدق والفاسق فاجر لانه مال عن الحق وقال بعض العرب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

كيف وأخاف عنه مشاركتكم في العذاب (رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم وان لم يعملوه كما هو شأن العذاب الدنيوي (فنجيناه وأهله أجمعين) عن أن يصيبهم عذابهم اذ أخرجناهم قبل وصوله (الا عجوزا) فانها وان خرجت عن قريتهم كانت (في) حكم (الغابرين) أي الباقين في القرية (ثم) أي بعد انجائهم (دمرنا) أي أهلكنا (الآخرين) بذلك العذاب وهو جعل قريتهم عاليها سافلها (و) هو وان لم يلحق امرأته لحقها مطرهم اذ (أمطرنا عليهم مطرا) غير متعارف وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ لم يكن كامطارها على غيرهم لو أمطرت اذ كان الحجر الواحد قاتلا لمن وقع عليه (ان في ذلك) الامطار (لآية) على ان من غير أمر الله استحق مطر السوء (و) لكن لم يعتبرها أكثرهم اذ (ما كان أكثرهم مؤمنين) اذ لم ينظروا الى عزته بل اغتروا برحمته (وان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين على تغيير أمر الله في الكيل والوزن اللذين هما من أسباب البقاء التي هي دون أسباب الوجود بمطر السوء أصحاب الايكة فانه (كذب أصحاب الايكة) غيضة شجر بقرب مدين (المرسلين) لتقويم أمور الناس (اذ قال لهم شعيب) المبعوث للتكميل ولم يقل أخوهم اذ لم يكن نسيبا لهم وأمره بالتكميل يشعر بارادة تكميله اياهم المشار اليه بالاخ (ألا تتقون) أن يمطر عليكم مطر السوء من تغيير الكيل والوزن بعد امطار الخير على الزرع وقد أرسلني لأكون واسطة الفيض (اني لكم رسول) ولا أغير فيضه لاني (أمين فاتقوا الله) ان يسيء فيضه عليكم (و) انما يحسن فيضه لو أحسنتم امتثال أوامره ونواهيه التي جئت بها (أطيعون و) لكوني واسطة الفيض (ما أسألكم عليه من أجر) لانه استفاضة والمفيض على شخص لا يكون مستفيضا منه (ان أجري الا على رب العالمين) المفيض على الكل ولكونه مفيضا بحسب استعداد المفاض عليه من أعماله (أوفوا الكيل) الذي تعطونه (ولا تكونوا من المخسرين) بالزيادة في الكيل المأخوذ لو في الفيض عليكم ولا ينقص شيأ (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي الميزان السوي عطاء وأخذا (ولا تبخسوا) أي لا تنقصوا (الناس أشياءهم) بنقص الكيل في العطاء وزيادته في الاخذ وبالجملة التغيير في الكيل والوزن يشبه قطع الطريق الذي هو افساد عام (ولا تعثوا) أي ولا تفسدوا افسادا عاما (في الارض) بقطع الطريق (مفسدين) أي قاصدين الافساد لا قتال أهل الحرب ولا اغارتهم وأسرهم (و) كيف تغيرون ما فيه قوام الخلق (اتقوا) المقوم الحقيقي (الذي خلقكم والجبلة الاولين) أي وذوي الخلقة الماضين أن يجعل المطر الذي هو مبدأ القوام منشأ اهلاككم (قالوا) انما نقبل كلامك لو سلم عقلك لكن (انما أنت من المسحرين) الذين جنوا من السحر عليهم فادعوا من جنونهم الرسالة (و) كيف تكون رسولا مع انك (ما أنت الا بشر مثلنا و) ان أرسل اليك فهلا أرسل الينا انه أرسل اليك ليذهب عنا ظن كذبك (ان) أي انا (نظنك لمن الكاذبين) فان أردت تصديقك من غير أن يرسل الينا انه أرسل اليك (فأسقط علينا كسفا) أي قطعة (من السماء) انشقها من غضب الله علينا على تكذيب رسوله فانه يغضب علينا هذا الغضب (ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون)

وكان أتاه فشكا اليه نقب ابله ودبرها واستحمله فلم يحمله فانشأ يقول أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر اغفر له اللهم ان كان فجر أي ان كان فجر عن الصدق (قوله عز وجل فاقرة) أي داهية ويقال انها من فقار الظهر كأنها تكسره يقال فقرت الرجل اذا كسرت فقاره كما تقول رأسته اذا ضربته على الرأس

اي

أى بما يقتضيه عملكم من الكسف أو غيره (فكذبوه) أى العذاب بحسب مقتضى العمل وخلاف مقتضاه فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام فاظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) بغرق يوم الكسف لو وجد (ان فى ذلك لآية) على ان الله يعذب كل أحد بمقتضى عمله اذ أمطر عليهم مطر السوء عند كفرانهم نعمة الامطار (و) هذا يوجب الايمان بعدل الله لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) ليس ذلك بطريق الوجوب بل (ان ربك لهو العزيز) أى الغالب على تعذيب من شاء بما شاء (الرحيم) بعدله بل بعفوه أيضا (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) بمقتضى عزته ورحمته فهو كالمطر العام لكنه فى حق قوم ماء يفيدهم برد اليقين لكونهم من أهل الرحمة وحجارة أو نار فى حق المحجوبين بحجاب العزة يفيدهم شدة وحرارة شك ثم المطر ينفعه تارة وضره أخرى والقرآن يجمعهما معا لانه (نزل به الروح الامين) الذى هو جبرئيل النازل منك منزلة روحك فمن كان من أهل الخير أدى اليه امانة النفع ومن كان من أهل الشر أدى اليه أمانة الضر وكما ان المطر نزل على الارض فينبت الاقوات والفواكه والسموم كذلك نزل هذا (على قلبك) نزل عليه المعانى النازلة على الروح ثم يصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المخيلة فيصور الملقى بصورة انسان أو ملك والملقى بصور الحروف ويعرف صدقه بنزول المعنى من الروح (لتكون من المنذرين) والانذار مصلح للمؤمنين ومفسد للكافرين سيما (بلسان عربى مبين) فمن اعترف باعجازه لكونه مبينا جميع المقاصد الدينية فى ألفاظ يسيرة واضحة انتفع به ومن نظر الى ظاهر ألفاظه فانكر اعجازه تضرر به (و) من دلائل صدقه لمن عجز عن فهم اعجازه موافقته لما فى الكتب السالفة من الاعتقادات والاخبار (انه لفى زبر الاولين) مع انه عليه السلام لم يتعلمها ولم يصحب أهلها (أ) ينكرون صدقه ولو لم يطلعوا عليها ولا على اعجازه (ولم يكن لهم آية) على صدقه (أن يعلمه) أى الرسول او القرآن (علماء بنى اسرائيل و) لا يخل بصدقه ولا باعجازه عدم ايمان بعضهم لانهم فى العناد بحيث (لو نزلناه) أى القرآن العربى المعجز (على بعض الاعجمين فقرأه عليهم) من غير تعلم العربية وبين لهم أسراره (ما كانوا به مؤمنين) ولا يبعد ذلك فانه كما سلكنا اعجازه فى قلوبهم (كذلك سلكناه) أى أدخلنا العناد (فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وان وقع صدقه فى قلوبهم من جهات كثيرة (حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ لهم الى الايمان حين لا ينفعهم ولا يعلمهم الله بوقت مجيئه ليؤمنوا به قبله فينتفعوا بايمانهم بل يخفى وقته عليهم (فيأتيهم بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) بوقته قبل مجيئه فاذا فاجأهم وعلموا انه لا ينفعهم الايمان معه لكونه ملجئا (فيقولوا هل نحن منظرون) بتأخيره عنا حينا لنؤمن اختيارا (أ) يتمنون الانتظار بعد تحققه ويستعجلون قبل تحققه (فبعذابنا يستعجلون) فان زعموا ان لو أراد الله تعذيبنا لم يمتعنا هذه المدة الطويلة فان المغضوب عليه اذا متع فانما يمتع قليلا يقال (أ) رأيت منافاة التمتع سنين للعذاب (فرأيت) لذة التمتع السابق يبطل ألم العذاب اللاحق بل (ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون)

(قوله جل وعز فك رقبة) أى اعتقها وفكها من الرق (قوله جل اسمه كالفراش) هو شبه البعوض يتهافت فى النار (قوله جل وعز الفلق) هو الصبح ويقال الفلق هو واد فى جهنم

(باب الفاء المضمومة)

قوله عز وجل فرقان) ما فرق به بين الحق والباطل (قوله عز وجل فومها وعدسها) الفوم الحنطة والخبز أيضا يقال فوموا

من العـذاب (ما أغنى) أى ما دفع ألمه (عنهـم) لذة (ما كانوا يمتعون) اذ لم يبق تلك
اللذة عند هذا الالم (و) ان زعموا انه تعالى لو أراد للمؤاخـذة فجأة لم يرسل رسولا قيل لهـم
هذا منقوض مخالف للواقع فانا (ما أهلكنا من قرية) فجأة (الا لها منذرون) عن ذلك
الاهلاك قبـل اتيانه لا يعينون وقته ليبطلوا فجأته ولكن تذكرونه (ذكرى و) لا بد منها
فى الحكمة لانا (ما كنا ظالمين) والفجأة قبـل التذكير تشبه الظلم (و) ان قالوا الانسلم
ان النازل على قلبك هو الروح الامين بل الشيطان اللعين يقال (ما تنزلت به الشياطين) فانه
لو نزل به شيطان على واحد لنزل بمثله آخر على مثله تكثيرا للاختلاف الذى هو مطلوب الشيطان
(و) لو قيـل انما لم يفعلوا لظهور الضلال حينئذ وقد أرادوا الاخفاء فخصوا الواحـد بانزاله
عليـه يقال (ما ينبغى لهـم) أن ينزلوا به لانه هـدى صرف وهم انما ينزلون بالهدى بقصـد
التوسـل به الى وجوه من الضـلال لا يفى به ذلك الهدى على انهـم (و) ان أتوا بما يشـبه
الخوارق من السحر (ما يستطيعون) أن يأتوا بالمعجز الصرف ولو قيل لعلهم سمعوا المعجز من
الملائكة يقال (انهم عن السمع) أى سمع المعجز من الملائكة العالية (لمعزولون) لانهم
منعوا من سماع الاخبار من أهل السماء الدنيا بالشهب فكيف لا يمنعون من سماع المعجز من
أهـل السموات العلى على انه لو كان من الشـيطان لكان داعيا الى الشرك لكن القرآن
ناه عنه (فلا تدع مع الله الها آخر) والشـيطان ان نهى عنه حينا لم يعد عليه العذاب فان
وعد به البعض لم يعم بوعده والقرآن وعد العـذاب به الكل وان كان فيهم من عظم قدره
(فتكون من المعذبين و) الشيطان يعـد على عبادة الاوثان شفاعتها ولا يعد القرآن شفاعة
شافع على عبادتها وان كانوا من أقارب أعلى الشفعاء بل يقول (أنذر عشيرتك الاقربين
و) أيضا لو كان النازل به شيطانا لافاد المنزل عليه كبرا على اتباعه والقرآن يأمرك بالتواضع
لهم (واخفض جناحك) تواضعا (لمن اتبعك من المؤمنين) وليس المقصود منه تكثير الاتباع
لانه يوجب عـدم المبالاة بأفعالهـم وهو انما أمر بالتواضع لمن دام على المتابعـة فى الاصول
والفروع (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون و) ان عادوك على هذه البراءة (توكل على
العزيز) الغالب عليهم (الرحيم) عليك لرؤيته اخلاصك فى العبادة لانه (الذى يراك) دون
غيره ليتصور هناك رياء (حين تقوم) من النوم للتهجد (و) يرى (تقلبك) أى ترددك فى
مقامات العبودية حين تكون (فى الساجدين) فلا ترائى لهم عند اجتماعهم كما لا ترائى عند
الخلوة فاذا توكلت عليه بعد هـذا الاخلاص سمع دعاءك عليهم وقام بمصالحك (انه هو السميع
العليم) ثم أشار الى أن المنزل على الرسول عليه السلام كيف يكون من تنزيل الشـيطان وهم
لا ينزلون على النفوس الخيرة الداعية الى الخير المحض فى العموم لمباينتهم لها فقال (هل انبئكم
على من تنزل الشياطين) ممن يناسبهم (تنزل على كل أفاك) أى كذاب يصرف الكلام من
وجـه الى آخر ولا يبالى بذلك لانه متصف بوصف (اثيم) أى مبالغ فى الاثم وليس ذلك من
اطلاع الشياطين على الغيب حتى يصيروا كالملائكة بل غايتهـم أنهم (يلقون السمع) لما

لنا أى اختبرنا الناو يقال
القوم المحبوب ويقال
القوم النوم أبدلت الناء
بالفاء كما قالوا اجدث وجدف
القبر (قوله عزوجل للفقراء
الذين أحصروا) هم أهل
الصفة (فلك) سفينة
تكون واحـدا وتكون
جما (وقوله انما الصدقات
للفقراء) الفقراء الذين لهم
بلغة والمساكين الذين
لا شئ لهم والعاملين عليها
العمال على الصـدقة
والمؤلفة قلوبهم الذين كان

تقوله

لقوله الملائكة (و) مع ذلك يلبس اخبارهم كاخبار الملائكة اذ (أكثرهم كاذبون و) ان
زعموا انه لم ينزل عليك شيطان ولا ملك بل هو من أشعارك يقال (الشعراء) كاملوا الغواية
بحيث (يتبعهم الغاوون) فلا يتأتى منهم هذا الارشاد الكامل المنتشر في أصحابه (ألم تر أنهم
في كل واد) من المقدمات الخيالية والوهمية وأنواع التشبيه وتمزيق الاعراض والقدح في
الانساب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه وغير ذلك (يهيمون) أي يترددون هذا
في باب الاخبار (وانهم يقولون) في الوعد والوعيد (مالا يفعلون) والقرآن ليس في
شئ من هذه الطرق (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لم يهيموا في كل واد ولم يقولوا
مالا يفعلون فلا يتصور منهم الافتراء على الله تعالى كيف (و) هؤلاء (ذكروا الله كثيرا)
وكثرة ذكره مانعة من الافتراء عليه ومن سائر القبائح (و) ان تعرضوا الهجو لم يقصدوه
لذاته بل (انتصروا) به انتصارا جائزا لكونه (من بعد ما ظلموا و) كان هجوهم دون
ما استحقوه من الظلم عليهم فانه (سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وان كان فيهم من
يظهر الايمان بالله والاعمال الصالحة ويذكر الله كثيرا ومع ذلك يفتري على الله فهو أظلم من
هؤلاء فيهلكون عن قريب ولا يكون لدينهم ظهور على الدين كله ولا يظهر منهم ارشاد عام
فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد
المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النمل)

سميت بها لاشتمالها على مقالتها الدالة على علم الحيوانات بنزاهة الانبياء واتباعهم عن ارتكاب
المكاره عمدا وهو مما يوجب الثقة بهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي
بجمعيته في كلامه الازلي وبتفصيل ذاته وأسمائه وأفعاله في الالفاظ الدالة عليه (الرحمن)
بجعلها هدى (الرحيم) بجعلها بشرى للمؤمنين (طس) أي الطرائق السنية أو الطرق
السعيدة او الطبقات السابقة أو الطيبات الشافية الادوية (تلك آيات القرآن) أي معاني
الكلام الازلي فانها في الاعجاز المعنوي طرائق سنية وللسائرين طرق سعيدة وللواصلين
طبقات سابقة وللعلل الروحانية طيبات شافية أدويتها (وكتاب مبين) أي ألفاظ تبين تلك
المعاني فانها أيضا طرائق سنية في الاعجاز اللفظي لخروجه عن نظمهم ونثرهم مع كونه أجلى
منهما وطرق سعيدة لاستخراج الحقائق والعقائد والاحكام وطبقات سابقة للمفكرين في تقرير
الادلة وطيبات شافية لامراض الشبهات وداخلها اذ كانت تلك المعاني والالفاظ (هدى)
في جميع المقاصد الدينية (وبشرى) بحصول مراتب القرب والكمالات (للمؤمنين) بان
للقرآن هذه المكارم اذ كوشفوا بها في صلاتهم لانهم (الذين يقيمون الصلوة) المفيدة
للمشاهدة (و) انما تفيد لهم ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) تطهيرا عن حب المال فيؤدي
الى الطهارة عن سائر الرذائل (و) يبلغ كشفهم الى حيث (هم بالآخرة هم يوقنون) بعد
الايمان بها الداعي لهم الى هذه الصلاة والزكاة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) التي تدعو

النبي صلى الله عليه وسلم
بيناتهم على الاسلام وفي
الرقاب أي فك الرقاب بعتق
المكاتبين والغارمين الذين
عليهم الدين ولا يجدون
القضاء وفي سبيل الله أي
فيما لله فيه طاعة وابن
السبيل الضيف والمنقطع
به وأشباه ذلك (قوله
تعالى فسوق) أي خروج
عن الطاعة الى المعصية
وخروج من الايمان الى
الكفر أيضا (قوله جل
ذكره فرادى) جمع فرد

اليها القرآن اعمالا يكاشف لهم عن فضائله هذه لانهم لا ينظرون فيها وان كانوا ممن يكاشف
لهم عن العلوم الرياضية والطبيعية اذ (زينا لهم أعمالهم) التى يكتسبون بها تلك العلوم
فاذا حصلت لهم (فهم يعمهون) أى يترددون فيها لايخرجون عنها الى مافوقها (أولئك
الذين لهم) من تركيبهم (سوء العذاب) فى الدنيا بترك الملاذ فان حصلت لهم فيها لذة
المكاشفة يعذبوا بها فى الآخرة اذ يخطؤن فيها او يتشوقون الى صوابها ولايجدون اليها
سبيلا (و) لايجدون شيأ من تلك العلوم ولاأجرها هنالك بل (هم فى الآخرة هم الاخسرون
و) لايبعد أن يكون للقرآن هذه الفضائل مع انها تخفى على من لايؤمن بالآخرة وان كوشف
ببعض خواص الاشياء والعلوم الطبيعية والرياضية (انك لتلقى القرآن من لدن حكيم)
لايكشف حقائقه الاعلى من علم استعداده لها (عليم) بالاستعدادات ومقاديرها ولذلك
أعطاك الكشف بلا واسطة وأعطى موسى بواسطة النار اذ كانت مطلوبة له (اذ قال
موسى لاهله) أى لامرأته وقد أخذها الطلق فى ليلة مظلمة شاتية بطريق رجوعه من مدين
ولايعرف الطريق (انى آنست) أى رأيت (نارا سآتيكم منها بخبر) من علامات الطريق
أو وجدان عارف لها عندها (أو آتيكم بشهاب قبس) أى مقتبس من تلك النار لاصطلائكم
(لعلكم تصطلون) لدفع البرد وظلمة الطريق (فلما جاءها نودى ان بورك) اى انه كثر خير
(من) ظهر (فى النار) افاضة (و) خير (من حولها) استفاضة فحصل له التجلى فى مطلوبه
فلذلك بقى فى تجليه حجاب العزة وحصل فى تنزيلك كمال العلم والحكمة (وسبحان الله) أى
نزهه عن الصورة والمكان وان ظهر بكل صورة ومكان لاتصافه بوصف (رب العالمين ياموسى
انه) أى المنادى الظاهر فى النار بهذه البقعة (انا الله) الجامع بجميع الصفات من
الظهور والبطون فالبطون من العزة والظهور من الحكمة لانى (العزيز الحكيم) واذا
بقى فيه حجاب العزة فى هذه المرتبة فكيف فى حق من لايؤمن بالآخرة (و) لبقاء حجاب
العزة فى حقه احتيج الى معجزات قاهرة فقيل له (الق عصاك) اشارة الى القاء كل مايعتمد
عليه مماسوى الله فانه معصية حالك (فلما رآها تهتز) أى تتحرك بسرعة (كأنها جان)
أى حية صغيرة وان تصورت بصورة الكبيرة اشارة الى سرعة تأثير المعصية كالسم مع عظم
قدرها وان توهم صغرها (ولى) وجهه عنها حتى صار (مدبرا) أى كالمدبر العاصى عن
معصيته يوم يرى أثرها (ولم يعقب) أى لم يلتفت الى عقبه لينظر هل تقصده الحية أم لا جدا
فى الفرار قلنا (ياموسى لاتخف) من غيرنا وأنت عندنا (انى لايخاف) من كان (لدى)
من غير سيما (المرسلون) لانهم لا يتمكنون من أداء الرسالة مالم يزل خوفهم من المرسل
اليهم فاذا خافوا وهم عند المرسل فكيف يمكنهم أداء الرسالة (الا من ظلم) بفعل مالايناسب
حاله فانه لايزال يخاف منى وان كان (ثم بدل حسنا) وعلم انى امحو السيئة بالحسنة ولكن
لايبالى له لكونه (بعد سوء) ولاأبالى بسيآته (فانى غفور رحيم) باعطاء جزاء الحسنة
وراء محو السيئة وبعد الامر بما يشير الى القاء المعصية أمره بما يشير الى ادخال أعمال

الجوارح

وفريد ومعنى جئتمونا
فرادى أى فردا فردا كل
واحد منفرد من شقيقه
(قوله عز وشر يكه فى الغى
وجل فرطا) أى سرفا
وتضييعا (قوله جل وعز
فرات) أى أعذب العذوبة
(قوله جل وعز فزع عن
قلوبهم) جلى عن قلوبهم
أى وفزع عن قلوبهم
فزعت قلوبهم من الفزع
(قوله جل اسمه فروج)
فتوق وشقوق ومنه اذا
السماء فرجت أى انشقت

الجوارح فى القلوب لتؤثر فى اثارتها بحيث تظهر أنوارها على الاعضاء فقال (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص أدخلهما (فى تسع آيات) نهاية عدد الافراد اشارة الى استكمال عدد الآيات التى كل واحدة منها فرد فى بابها وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وانما أوتيت هذه الآيات القاهرة لذهابك الى الاناس القاهرين (الى فرعون وقومه) لتدخلهم فى طاعتى (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن طاعتى فلم يؤثر فيهم تلك الآيات كالم يؤثر القرآن فى الذين لا يؤمنون بالآخرة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أنفسها انها آيات (قالوا هذا سحر مبين) نفسه انه سحر لا يلتبس بالآية أصلا (و) ليس ذلك عن قلوبهم بل (جحدوا بها) بألسنتهم (واستيقنتها أنفسهم) أى عرفت أنفسهم أنها آيات يقينا سيما عند القاء السحرة ساجدين فكان جحودهم اياها (ظلما) بوضع الآيات موضع السحر (وعلوا) أى تكبرا عن الانقياد لموسى الذى جاء لاصلاحهم لكونهم غرقى فى بحر الفساد فاغرقوا فى البحر الظاهر حسما لمادة فسادهم ليعتبر بهم من بعدهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) لتقيس عليه أحوال من أنكر اعجاز القرآن الذى فوق تلك المعجزات كلها (و) ليس هذا تكبرا من محمد صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام بأن معجزته الواحدة تفوق معجزاته التسع بل اظهار فضل الله تعالى شكرا له كفعل داود وسليمان فانا (لقد آتينا داود وسليمان علما) فأظهرا فضلهما (و) شكرا اذ (قالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) مع انه لا يجوز التكبر على المؤمنين (و) أظهر سليمان فضله على أبيه اذ (ورث سليمان داود) علمه وزيد له علم منطق الطير وحقائق الاشياء وخواصها فاظهر فضله (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وهو الاصوات المتفاوتة بتفاوت الاغراض بحيث يفهمها ماهو من جنسه (وأوتينا) علم الحقائق والخواص (من كل شئ) وأشار الى نفى التكبر بقوله (ان هذا لهو الفضل المبين و) لو كان قصده التكبر لتكبر بما يتكبر فيه الناس أكثر فانه (حشر) أى جمع (لسليمان جنوده من) الاجناس المختلفة مثل (الجن والانس والطير) ولتباعد طرفيها بالغ فى التلاحق (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا فلم يظهر الفضل بذلك لما فيه من التكبر (حتى اذا أتوا على وادى) الشام كثير (النمل قالت نملة) رأتهم متوجهين الى واديها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) اذلو كنتم خارجها حطمكم سليمان وجنوده فأنها كم عن الوقوف خارجها لانهاهم عن الحطم (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم) وان طبعوا على الخير فانما يحترزون عن الشر حيث شعروا به لكنهم (لا يشعرون) فبلغته الريح كلامها (فتبسم) تبسما أشبه به كونه (ضاحكا) تعجبا (من قولها) الدال على خيرية الانبياء وأتباعهم (وقال) عندذلك (رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن اشكر نعمتك التى أنعمت على) من الامور الدينية والدنيوية (وعلى والدى) اذ لحقنى فضلهم (و) ألهمنى (ان أعمل) بتلك النعم (صالحا) لا اصرفها فيما (ترضاه) هذا فى الامور الظاهرة

قوله وهى الخ أى مع العصا واليد كما يؤخذ من الخطيب

(قوله تبارك اسمه مطوع) أى صندوع

(باب الفاء المكسورة)

(قوله جل اسمه فراشا) أى مهادا وقوله جل اسمه جعل لكم الارض فراشا أى ذللها لكم ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها (قوله عز وجل فئة) أى جماعة (قوله عز وجل فصاله) أى فطامه (قوله فجاجا) أى مسالك واحدها فج وكل فتح بين شيئين فهو فج (قوله تعالى الفردوس)

(و) فى المساعى الباطنة (ادخلنى برحمتك) لا بأعمالى (فى عبادك الصالحين) أهل الولاية النبوية التى هى فوق نبوتهم وان كانت النبوة أعلى من ولاية سائر الاولياء (و) من الاعمال الصالحة للملوك التى يرجى بها لهم الدخول فى أهل الولاية البحث عن الاشياء والقيام بالسياسة المأمورة لذلك (تفقد) أى تعرف سليمان (الطير) ففقد الهدهد (فقال مالى) أى أى حال حصل لى فصرت (لا أرى الهدهد) أى اختفى عن نظرى (ام كان من الغائبين) فان غاب فوالله (لاعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه أو القائه فى الشمس أو حيث يأكله النمل أو حبسه فى قفص مع ضده (اولا اذبحنه) ليعتبر به غيره (أو ليأتينى بسلطان مبين) أى حجة واضحة على عذره (فمكث) فى الغيبة زمانا (غير بعيد) أى غير طويل (فقال) انما مكثت هذه المدة لاحيط بأمر عجيب علما فوقفت حتى (احطت) مع ضعفى (بما لم تحط به و) لم أقصد بذلك تحصيل العلم لنفسى دونك بل (جئتك من) قصة مأرب بلدة قبيلة (سبا) على ثلاث مراحل من صنعاء (بنبا) أى خبر (يقين) صادق فقال ما هو قال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل بن الريان من أولاد يعرب بن قحطان (تملكهم و) ليس ملكيتها لهم لضعفهم بحيث استولت عليهم امرأة ضعيفة بل لانها (اوتيت من كل شئ) يحتاج اليه فى المملكة (و) زادت على حوائجهم أيضا اذ (لها عرش) أى سرير مكلل بالجواهر (عظيم) أى عال كان ثلاثين ذراعا من كل جانب وليس غرضى ان أطمعك فى ملكها بل أن تدخلها وقومها فى دين الاسلام انى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) لا باتخاذها قبلة بل الها اذ يعبدونها (من دون الله) أى مجاوزين عبادة الله (و) هم مع كمال عقلهم فى أمر المملكة (زين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة كعبادة الشمس لما رأوها سببا الامور وكانت سببيتها للاستدلال على حكمة خالقها الداعية لسلوك سبيل الوصول اليه (فصدهم عن السبيل) حتى رأوا الشمس هى الفاعلة المستحقة للسجود (فهم لا يهتدون) الى فاعلية الله تعالى عند سببيتها فصد بذلك (الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء) أى ما خفى وكان بالقوة الى الفعل (فى) أسباب (السموات و) مواد (الارض و) لو كانت مؤثرة فتأثيرها بطريق الخاصية من غير شعور فلا تستحق السجود وانما يستحقه من (يعلم ما تخفون) من العبادة القلبية (وما تعلنون) من العبادة البدنية بل لا يستحقها الا المتصف بصفات الالهية وهو (الله) لا يتصف بها سواه اذ (لا اله الا هو) وكيف يتصف بها من هو تحت العرش وهو (رب العرش العظيم) المحيط بالشمس وسائر الكواكب المحرك لها قسرا والمحاط دون المحيط فهو أولى بالربوبية والمقسور مقهور للقاسر فاذا كان القاسر مربوبا لمقسوره أولى فان صحت الهية المحاط فكيف يجوز مجاوزة من هو رب المحيط (قال سننظر) فيما جئت به من النبا لنعلم (أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) ولم يقل أو كذبت اشارة الى عظم ما اخترعه من الكذب بحيث لا يتأتى ممن لا يعتاد الكذب وانما يتأتى ممن يعتاده بحيث يعده من الكاذبين كذلك ينبغى لكل سامع سيما الملوك ان يختبروا ما سمعوا من غير تصديق ولا تكذيب فكتب سليمان عليه السلام كتابا بسم الله الرحمن

الرحيم

أى البستان بلسان الروم (قوله جل وعز فطرت الله) أى التى فطر الناس عليها) أى خلقة الله التى خلق الناس عليها وهو أن يعلموا أن لهم ربا خلقهم (قوله جل وعز فيما ان مكناكم فيه) أى فى التى ما ان مكناكم فيه وان فى الجحد بمعنى ما (قوله جل ذكره فرعون ذى الاوتاد) كان يمد الرجل بين أربعة أوتاد حتى يموت

(باب القاف المفتوحة)

(قوله عز وجل قست

الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكتب عنوانه انه من
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا ثم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول)
أى تنح (عنهم فانظر ماذا يرجعون) اليه من الرأى فأخذ الهدهد هذا الكتاب بمنقاره وأتى به
الى بلقيس وهى نائمة على قفاها وقد أغلقت الابواب فألقاه على نحرها وقعد فى الكوة فتسقظت
فوجدت الكتاب على نحرها ثم نظرت الى أطراف البيت فوجدت الهدهد فى الكوة ففضت
وقرأت فقعدت على سريرها وجمعت ملأها (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف المطلعون
على لطائف الكتب (انى ألقى) أتت بصيغة المجهول لتوهمهم انها يأتيها من الاخبار
ما لا يعلمون طريقها اذ لو علموا لعظموا الرؤساء (الى كتاب كريم) يشتمل على نفائس (انه)
أى عنوانه (من سليمان وانه) أى مطلعه (بسم الله الرحمن الرحيم) ومقصوده (ألا تعلوا)
أى لا تتكبروا (على و) لا تعتقدوا المساواة أيضا ولا المقاومة مع قلتكم لصعوبة حصنكم
بل (ائتونى) منقادين لى (مسلمين) أى مؤمنين فذكر فى البسملة ذات الله وصفاته وأفعاله
ونهى عن التكبر الذى هو أصل الرذائل الذى هلك به ابليس وأمر بالاسلام الذى هو أم
الفضائل اذ لا يعتد بها بدونه وليس فيه الامر بالاسلام قبل ظهور المعجزة بل القاء الكتاب بهذه
الهيئة أعظم معجزة (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف الذين مقتضى شرفهم ان لا يدخروا
شيأ من النصح (افتونى) أى أجيبونى (فى أمرى) العظيم الذى لا يمكن لى القطع فيه وان
أمكن فبما دونه لكن (ما كنت قاطعة أمرا) حقيرا أو عظيما (حتى تشهدون) أى
تحضرونى فتشيروا بما عندكم من الرأى (قالوا) لو أشرنا بالانقياد بطل شرفنا بلا موجب
اذ (نحن أولوا قوة) أى قدرة وعدة وتدبير (وأولوا بأس شديد) شجاعة وهذا حق العسكر أن
يتحملوا الخطر بعد استكمال ما يحتاج اليه ومع ذلك لا ينبغى لهم ان يشيروا به جزما لئلا يلاموا
عند الاختلال بل يجب عليهم تفويض الامر الى رأى الملك كما قالوا (والامر) أى أمر
القتال والصلح مفوض (اليك) أى الى رأيك لان لك النظر فى أمر المملكة (فانظرى ماذا
تأمرين) به من القتال والصلح أيهما أبقى لشرفك وملكك (قالت) انما نختار القتال اذا لم
يغلب على الظن دخول العدو فى قرية العدو والا تعين الانقياد (ان الملوك اذا دخلوا قرية
أفسدوها) بتخريب بنيانها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وسبيهم وسبى
ذراريهم ونسائهم (وكذلك) اى مثل هذه الافعال الشنيعة (يفعلون) أفعالا أخر كثيرة
مثل القتل والاسترقاق والاستيثاق وتعرية النساء والرجال (وانى) لتحقيق حالهم (مرسلة
اليهم) أى الى سليمان وملئه رسلا (بهدية) توجب المحبة وتشبه الانقياد من غير اختلال
لشرفنا (فناظرة) أى منتظرة (بم) أى باى أمر (يرجع المرسلون) فبعثت منذر بن
عمرو بلبنات ذهب ولبنات فضة وتاج مكلل بالجواهر والعنبر والعود الانجوج وغلمان
وجوار بزى واحد فى اللباس والكلام وحقة فيها درة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة
الثقب وأمرته ان يقول ان كنت نبيا فميز بين الغلمان والجوارى وأخبر عما فى الحقة قبل فتحها

فلق بكم) أى يبست
وصلبت وقلب قاس وباس
وعاس وعات أى صلب
يابس جاف عن الذكر غير
قابل له (قوله جل وعز
قنتنا) أى اسمعنا وأصله
من القفا يقال قفوت
الرجل اذا سرت فى اثره
(قوله جل وعز قانتون)
أى مطيعون وقيل مقرون
بالعبودية والقنوت على
وجوه القنوت الطاعة
والقنوت القيام فى الصلاة
والقنوت الدعاء والقنوت

ثم تلتمس منه ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن وقالت ان نظر اليك بوجه طلق فهو نبي وان نظر اليك بغضب فهو ملك لا يهولنك منظره (فلما جاء) الرسول (سليمان) نظر اليه بوجه طلق فأعطاه كتاب بلقيس فطلب الحقة فسأله عما فيها فقال ان فيها درة غير منقوبة وخرزة بجزع معوجة الثقب فسأله ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الخرزة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذه بيدها وتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب وجهه ثم (قال أتمدونن بمال) لظنكم انه اذا حصل لي من غير قتال استغنيت به عن القتال فهذا نظر الملوك القاصدين الاملاك للاموال ولا نظر لي الى مال أحد ولا ماله (فما آتاني الله) من الملك والحكمة والنبوة (خير مما آتاكم) فلا أبالي بجميع ما عندكم فضلا عن الهدية (بل أنتم بهديتكم) اذا أهدى اليكم مثلها أو أهديتم مثلها (تفرحون) استكثارا أو افتخارا (ارجع اليهم) بهذه الهدية فان لم يأتوني مسلمين (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي لا يمكنهم ان يتوجهوا اليها او يقابلوها بوجوههم (ولنخرجنهم منها) أي من قريتهم وأملاكهم (أذلة) أي أسراء مع نسائهم وذراريهم (وهم صاغرون) بالرق ولن تمنعوا بعد فرجع الى بلقيس و بلغها ما قال فقالت لقد عرفت انه نبي وانه لا طاقة لنا به ثم ان سليمان عليه السلام ممع يوما وهو على كرسيه رهجا قريبا فسأل عنه فقيل بلقيس قد نزلت منا قدر فرسخ (قال يا أيها الملأ) أي أشراف أتباعي الذين لا يخلون عن ولي (أيكم يأتيني) بقوة ولايته (بعرشها) من مسيرة شهرين (قبل أن يأتوني مسلمين) ليكون كرامة مؤيدة لمعجزاتي (قال عفريت) أي خبيث مارد يقصد ابطال الكرامة (من الجن) ذكوان أو صخر (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس القضاء الى نصف النهار (واني عليه) أي على حمله الى مكانك (لقوي) ولا اختزل منه شيأ لاني (أمين) فلم يرض به لما فيه من ابطال الكرامة (قال الذي عنده علم) يقدر به على اعدام شيء واعادته وهو آصف بن برخيا (من الكتاب) أي القلم الاعلى أو اللوح المحفوظ (أنا آتيك به) بالاعادة في مكانك بعد اعدامه بمكانه ولعله مراد من قال غار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (قبل أن يرتد اليك طرفك) أي بصرك بانطباع المرئي بعد ارساله برى الشعاع اليه وهما في آن واحد كاعدام الاعراض واعادتها (فلما رآه مستقرا عنده) من غير حركة تفتقر الى آنين فصاعدا (قال هذا من فضل ربي) على بجعل هذه الكرامة لبعض أتباعي تأييد الصدقي بالمعجزات (ليبلوني) أي ليختبرني (أأشكر) برؤيتها فضلا علي (أم أكفر) برؤيتها اختصاص الفضل بصاحبها (ومن شكر) نعمة الله وان ظهرت على الغير (فانما يشكر) مفيدا (لنفسه ومن كفر) ولو ما أنعم بسببه على غيره لم يبال الله (فان ربي غني) وانما أنعم عليه مع غناه وعدم مبالاته لانه (كريم) ثم ان الشياطين خافت ان يتزوجها فتفشي اليه أسرارهم اذ كانت امها ريحانة بنت السكن جنية وجد أبوها

الصمت وقال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمسكنا عن الكلام (قوله القواعد من البيت) أي أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء العجائز اللواتي قعدن عن الازواج من كبر وقيل قعدن من المحيض والحبل واحدتهن قاعد بغير هاء (قوله عز وجل القيوم) هو القائم الدائم الذي لا يزول وليس من قيام على رجل (القيم) القائم المستقيم

حيتين تقتتلان وتطهر السوداء على البيضاء فقتلها وصب الماء على البيضاء فافاقت فلما رجع الى داره فاذا شاب جميل فقال انا الحية البيضاء التى أحسنت اليها والسوداء عبد لنا تمرد فعرض عليه المال فلم يقبل وقال ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس فقالت الشياطين ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاختبر سليمان عقلها اذ (قال نكروا لها) أى غيروا الامتحان عقلها (عرشها ننظر أتهتدى) لكرامة احضاره والجواب الصواب فيه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل) أول كل شئ لان أمر العقل أهم (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) لم تقل هو هو خوفا من التكذيب مع نوع من التغيير ولا لا خوفا من التجهيل (و) قالت لا حاجة لى الى هذه الكرامة لتحصيل العلم بنبوة سليمان اذ (أوتينا العلم) بنبوته (من قبلها) أى قبل اتيان العرش من معجزاته (و) لا للاقرار بها اذ (كنا مسلمين) أى مقرين (و) لم يقصد سليمان عليه السلام بهذه الكرامة افادة العلم أو طلب الاقرار بل صحة الاسلام اذ (صدها) بهذه الكرامة المخصوصة بمتابعته ولم توجد فى معبودها من دون الله (ما كانت تعبد من دون الله) لعلمها انها فاقتهم بها وهى وان علمت نبوة سليمان وأقرت بها لم يصح اسلامها (انها كانت من قوم كافرين) بعبادتها واعتقادها ان خوارق سليمان عليه السلام كخوارق الرهابين ثم أراد سليمان أن ينظر قدميها وساقيها فامر الشياطين ان يعملوا صرحا صحنه من زجاج أبيض تحته ماء جار فيه حيتان ثم وضع سريره فيه فجلس (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر (فلما رأته) أى صحنه (حسبته لجة) أى ماء عظيما (وكشفت) للخوض فيه الى سليمان (عن ساقيها) فنظر اليهما فاذا هى أحسن قدما وساقا لكنها شعراء فصرف عنها و(قال انه صرح ممرد) أى أملس والماء يرى من تحته لانه (من قوارير) أى زجاجات فتسترت وتنبهت انه ليس للشئ حكم ما ظهر فيه فليس للشمس حكم الاله لظهور نوره فيها الذلك (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة المظهر على ان له حكم الظاهر كيف (و) فيه تقييد والاله لا يتقيد لذلك (أسلمت مع سليمان) لا نال رتبته المعية فى المراتب والمقامات لا للمظهر بل (لله) باعتبار ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره فى الكل باعتبار اتصافه بوصف (رب العالمين) ثم أشار الى عظم تنبهها بمقدار المنبه اللطيف على رفع هذا الالتباس العظيم الذى لا يرتفع ببيان ولا بمعجزات المبين ولا بتأييد تلك المعجزات بالعذاب الدنيوى بل يقع الالتباس فيه هل هو لعبادة المظاهر أو للامر بترك عبادتها فقال (ولقد أرسلنا الى ثمود) المتصفين باحكام الابنية (أخاهم) الذين علوا اشفقته عليهم ونصحه لهم (صالحا) لاصلاح حالهم برفع الالتباس بين المظاهر وما ظهر فيها (أن اعبدوا الله) دون المظاهر فوقع القحط بينهم لاصرارهم على عبادتهم المظاهر (فاذا هم فريقان) فى سبب القحط (يختصمون) خصومة غير منقطعة فقال الكافرون سببه ترك عبادة الاصنام اذ لم يكن مع عبادتهم اهذه المدة فكانت مانعة منه وقال المؤمنون سببه ترك التوحيد لانه تعالى انذر عن تركه فاذا لم يبال لانذاره غضب فقال الكافرون لو كان كذلك لعذبنا عذاب الآخرة (قال يا قوم) الذين أريد دفع العذاب

(قوله جل وعز القناطير) جمع قنطار وقد اختلف فى تفسير القنطار فقال بعضهم ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقيل ألف ألف مثقال وقيل غير ذلك وجملته انه كثير من المال والمقنطرة المكملة كما تقول بدرة مبدرة وألف مؤلفة أى تامة وقال الفراء المقنطرة المضعفة كأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (قوله جل وعز قرح وقرح) أى جراح وقيل القرح

عنهم (لم تستعجلون بالسيئة) أي العقوبة القبيحة (قبل) التوبة (الحسنة) وهو موجب لدوامها وقد أخر عنكم العذاب بعد الزامكم الحجة امكنكم الاستغفار وقد دعا اليه بالقحط المنبه على العذاب الاخروى (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) ليقطع سبب القحط من معاصيه بل (لعلكم ترحمون) فاذا زال بالاستغفار القحط ظهر انه انما كان بسبب الشرك (قالوا) كيف وقد تطيرنا بالمستغفرين فانا (اطيرنا بك وبمن معك) من المستغفرين وقد وقع بعد استغفاركم فهو سببه (قال طائركم) أي سبب قحطكم انما هو (عند الله) فهو من غضبه على عدم مبالاتكم بما أنذر عنه لا عند الاصنام حتى يكون من غضبهم على ترك عبادتهم ثم انه ليس مما يتطير به (بل أنتم قوم تفتنون) أي تختبرون به هل تحملونه على ترك التوحيد أو ترك الشرك فان أصررتم على الثاني عذبتم اشد العذاب فظهرت علاماته من تغير الوان الوجوه (وكان في المدينة تسعة رهط) يؤثر رأيهم في أهلها وهم (يفسدون) فسادا ساريا (في الارض) من غير مبالاة لظهور علامات العذاب (ولا يصلحون) بوجه من الوجوه عند رؤيتها وهم عاقرو الناقة رئيسهم قدار بن سالف (قالوا) بعد ظهور علامات العذاب الداعية الى الايمان والتضرع الى الله والتوسل بصالح انه وقع بسبب صالح (تقاسموا) أي ليحلف كل واحد منكم على موافقة الآخرين (بالله) الذي هو أعظم المعبودين (لنبيتنه) أي لنقتلنه ليلا ليهلك قبل هلاكنا (وأهله) من آمن معه (ثم لنقولن لوليه) الطالب ثاره علينا (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما حضرنا مكان هلاك الاهل مع تفرقهم في الاماكن الكثيرة فضلا عن مكانه فضلا عن مباشرته (و) لنقولن والله (انا لصادقون ومكروا) باحضار دار صالح (مكرا) بحيث لا شعور له بهم (ومكرنا) بارسال الملائكة لرجومهم بالحجارة (مكرا) أعظم من مكرهم اذ تصيبهم الحجارة (وهم لا يشعرون) بالرماة فلو تم مكرهم (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) الهلاك الكلي (أنا دمرناهم) أي أهلكناهم (وقومهم أجمعين) بالصيحة فان شك هؤلاء في ذلك (فتلك بيوتهم خاوية) أي ساقطة لا تعمر بعدهم لانهم استؤصلوا وليس ذلك بطريق الابتلاء العام بل (بما ظلموا) بعبادة المظاهر الغير المستحقة لها (ان في ذلك لآية) على ان عبادة المظاهر ظلم واضح (لقوم يعلمون) أنهم أخذوا لذلك الظلم (و) يدل عليه انا (أنجينا الذين آمنوا) بالله فعلموا انه لا يظهر في شئ بالالهية التي هي بوجوب الوجود (وكانوا يتقون) من انه ظهر بكماله الكلي في هذه المظاهر ثم أشار الى أنه ليس المقصود من العبادة نفس التذلل حتى لا يكون ظلما البتة بل التذلل لاكتساب الكمالات الانسانية التي بها استحقاقه لعمارة الدارين كما انه ليس المقصود من الجماع التذلل للشهوية حتى لا يكون فاحشة البتة بل يكون من جملة العبادات بل لاكتساب النسل الذي هو سبب العمارة الكلية (و) لبيان ذلك ارسلنا (لوطا) الى قومه فبلغهم (اذ قال لقومه) الذين حقهم ان يكونوا على طبيعته (أتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة غاية القبح من التذلل للشهوية بحيث لا يعقبه فائدة (وأنتم تبصرون) أن الله تعالى انما خلق فيكم الشهوة لابقاء النسل (أئنكم لتأتون الرجال) لتطيعوا (شهوة) مجاوزين

بفتح القاف الجراح والقرح بالضم ألم الجراح (قوله تبارك اسمه قائلون) أي نائمون نصف النهار (قوله عز وجل قاسمهما) أي حلف لهما (قوله جل وعز قبيله) أي جيله وأمته (قوله جل وعز قدم صدق عند ربهم) يعني عملا صالحا قدموه وقيل قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم (قوله عز وجل قترة) أي غبار (قوله عز وجل قارعة) داهية

محل الحرث لكونها (من دون النساء) ولا تستكملون اللذة (بل أنتم قوم تجهلون) ان في أرحام النساء ما يجذب المني فيكمل اللذة وفي الادبار ما ينقص اللذة من عدم الجاذب مع موجب الكره من النجاسة (فما كان جواب قومه الا أن قالوا) ان لوطا وأهله لا يطلبون بكل جماع نسلا ولا يتركون الآلة في المحل حتى يتم جذب الرحم للمني فانه أمر بعيد لكنهم يكرهون النجاسة (أخرجوا آل لوط من قريتكم) لتخبثهم بكم فلا تليق بهم ما كنتم (انهم اناس) كاملون في باب العقل (يتطهرون) عن النجاسات التي يأمر العقل باجتنابها وهذا بطريق الاستهزاء منهم فأخرجنا لوطا وأهله عن قريتهم حين أردنا تطهيرها عنهم بامطار الحجارة عليهم (فأنجيناه وأهله) عما طهرت به قريتهم عنهم لطهارتهم لا لكونهم أهله لذلك استثنيت امرأته اذ قلنا (الا امرأته) فانها وان خرجت عن قريتهم (قدرناها من الغابرين) أي الباقين في اصابة ما أصابهم (و) لغاية خبثهم بانزال الماء بغير محله (امطرنا عليهم مطرا) فاحشا وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ كان مهلكا لاهلاكهم للمني بخلاف مطر المرجومين اذ كان منبتا انباتهم للنطفة فلو قيل ان انزال الفاحش فاحش مكروه (قل) انزاله على أهل الفاحشة ليس بفاحش بل موجب حمد (الحمد لله و) انما يكون فاحشا لو لم يسلم منه احد لكن (سلام على عباده) وكيف لا يكون محمودا وبه ميز (الذين اصطفى) وانما اصطفيناهم لانهم اصطفوا خير المعبودين فان شك في اصطفائهم فهو شك في خيرية الله (آلله خير أما يشركون) فارتفع بذلك الالتباس بين التوحيد وعبادة الكل وان زعموا انهم أكمل في العبودية ولو شك في خيرية الله قيل أمن لم يخلق شيأ ولم ينعم بشيء خير (أمن خلق السموات والارض و) جعلهما منشأ كل انعام اذ (أنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا) لم يقل فأنبت لئلا يتوهم عود الضمير الى الماء قبل ان يذكر لفظه (به حدائق) أي بساتين لا تتغير بتغير سير الكواكب (ذات بهجة) أي حسن لا تتغير بتغير سيرها أيضا وكيف ينسب ذلك الى الكواكب ولا ينسب الى غارس الاشجار لانه (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) فاذا لم يقابله الانسان مع انه أكمل من الكواكب فكيف يقابله الكواكب (ءاله مع الله) فاذا لم يكن للغير رتبة المعية كيف يكون عابد الغير خيرا من عابده وحده فليسوا في تفضيل الشرك على نهج العقل (بل هم قوم يعدلون) عن نهج العقل ولو نسب انزال المطر وانبات الشجر الى الكواكب قيل أمن أنزل المطر وانبت الشجر خير (أمن جعل الارض قرارا) ليمكن الانتفاع بالمطر والشجر (و) لعدم كفاية ماء السماء في كل وقت (جعل خلالها) أي وسطها (أنهارا) ليدوم الانتفاع به (و) لا ينسبان الى الكواكب اذ (جعل لها رواسي) أي جبالا لتستقر الارض ويتفجر منها الانهار (و) لما امكن تفجر الانهار من البحرين ولا يمكن الانتفاع الا بالعذب من ماء الانهار منع الاختلاط فيهما كأنه (جعل بين البحرين حاجزا) أي برزخا يمنع الاختلاط ولا ينسب الى كواكب وانما ينسب الى كوكب العذب والى آخر المالح (ءاله مع الله) ينزل المطر وينبت الشجر ويختص بواقي الامور بالله مع تأخرها والله أولى بالتقدم

(قوله جل وعز قطران) هو الذي تطلى به الابل ومعنى سرابيلهم من قطران أي جعل لهم القطران لباسا ليزيد في حر النار عليهم فيكون ما يتوقى به العذاب عذابا ويقرأ من قطر آن أي من نحاس قد بلغ منتهى حر (قوله جل وعز القانطين) أي اليائسين (قوله جل وعز قاصفا من الريح) يعني ريحا شديدة تقصف الشجر أي تكسره

ويدعون كمال العلم بهذا التفصيل وليس كذلك (بل أكثرهم لايعلمون) مايلزمهم من تقديم غير الله على الله فعلا ولو قيل انما اختير الغير للتوسل به الى الحوائج يقال هل من يتوسل به الى الحوائج التى لايضطر فيها ولا يجيب داعيه ولا ينيلها خير (أمن يجيب المضطر) لا بلسان حاله فقط بل (اذا دعاه) بقلبه ولسانه وحاله بجميعه الدفع ما اضطر فيه (ويكشف السوء) أى كل مايسوءه مما يضطر فيه وغيره (و) لو أمكن كشفه بالكواكب أو الاصنام لامكن بالانسان اذ (يجعلكم خلفاء الارض) تتصرفون فيها نيابة عن الله واذا كان الله كاشفا مايضطر فيه (ءاله مع الله) يكشف مالا يمكن للانسان كشفه (قليلا) من التذكر (ماتذكرون) ولو قيل انما يختار الغير لتحصيل أسباب المعاش اكتسابية أو سماوية يقال اجل الاكتسابية الاسفار المفتقرة الى الهداية واجل السماوية الامطار ومباديهما من الله فهل من يكون منه فروعهما خير (أمن) يكون منه اصولهما اذ يخلق نجوما بها (يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ءاله مع الله) يحصل الفروع بعد تحصيل الله الاصول فيشاركه فى الانعام بحيث لايتم بدونها (تعالى الله عما يشركون) فلو نسبت جميع هذه الامور الى آلهتهم يقال هل من يحصل أسباب المعاش خير (أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده و) اذا كان منه الابداء والاعادة يقال (من يرزقكم من السماء والارض) لافادة البقاء (ءاله مع الله) يفيد البقاء مع ان الظاهر انه انما يستفاد ممن يكون منه الابداء والاعادة فان ادعوا خلاف الظاهر (قل هاتوا برهانكم) على خلاف الظاهر (ان كنتم صادقين) ولو قيل انما تختار آلهتنا لانها تطلعنا على الغيب (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) فلا يكشفه على من يكشف له سواه (و) لو صح اطلاعها لم تطلع على أهم الامور وهو وقت البعث لانهم (مايشعرون أيان) فى أى آن (يبعثون بل) هل (ادارك) أى بلغ (علمهم) مايجرى عليهم (فى الآخرة بل) لاعلم لهم بها وانما (هم فى شك منها) لا لعدم وصول اخبارها ودلائلها اليهم (بل هم منها عمون و) قد بلغ عماهم الى حيث (قال الذين كفروا) بوعد الله وآياته وعلمه وقدرته وحكمته انما يتصور العمى من الامور الاخروية لو أمكن البعث لكنه محال (ائذا كنا ترابا وآباؤنا) أى انخرج بعد الموت اذا كنا ترابا وكان آباؤنا أيضا ترابا (ائنا لمخرجون) أى يتحقق اخراجنا احياء بعد ذلك وغاية مايدل عليه وعد هذا الرسول ومن قبله به (لقد وعدنا هذا) البعث (نحن) الآن (وآباؤنا من قبل) فلم يظهر لنا ولا لهم أثر من ذلك (ان) أى ليس (هذا) الوعد (الا أساطير الاولين) أى جمع أكاذيبهم التى سطروها بعبارة مموهة (قل) للقائلين انه اساطير الاولين (سيروا فى الارض) لتبصروا آثار القائلين هذا القول قبلكم (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب هذا القول (ولا تحزن عليهم) أى على قولهم وتكذيبهم فانه سيكون لك من المصدقين من لايبالى معهم بهؤلاء (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) أى من مكرهم بالقاء الشبه فانها لاتؤثر فى الناظرين الى الادلة (و) من جملة مكرهم أنهم (يقولون متى هذا الوعد) أى فى اى وقت يوجد أثر هذا الوعد بينوه (ان كنتم صادقين) فى انكم عرفتموه

من

(قوله عزوجل أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) أى ضمينا ويقال مقابلة أى معاينة (قوله تعالى قتورا) أى ضيقا بخيلا (قوله عزوجل قصيا) أى بعيدا (قوله عزوجل قبس) أى شعلة من النار (قوله عزوجل قبضت قبضة من أثر الرسول) يقول أخذت ملء كفى من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام وتقرأ فقبصت قبصة

من عالم الغيب (قل عسى) أى قرب رجاء (ان يكون ردف لكم) أى لحقكم وحصل لكم (بعض الذى تستعجلون) من العذاب وهو عذاب يوم بدر (وان ربك لذو فضل على الناس) باخفائه ليخافوا قربه فيستغفروه ويرجوا تأخيره فلا ييأسوا وانتهزوا الفرصة بالاعمال الصالحة (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذا الفضل فلا يستغفرون ولا ينتهزون الفرصة (و) لا يغتر منه بهذا الفضل مع ترك الشكر (ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) من عداوتك (وما يعلنون) من تكذيبك فلا يترك تعذيبهم وكيف يخفى عليه شئ (وما من غائبة) أى حقيقة خفية (فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) أى اللوح المحفوظ الذى هو مبدأ الحوادث ولم يكتب فيه الا عن علم الله واذنه وكيف لا يكون فى اللوح المحفوظ وقد ظهر فيما هو نسخة بعضه (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) علماء الاولين (أكثر الذى هم فيه يختلفون) من الحقائق الخفية التى لا يكاد يرتفع عنها الاختلاف وكيف يغتر بفضله مع انه نبههم بهذا القرآن عما اشتبه عليهم من أمور الآخرة (و) كيف يضيق صدرك بمكرهم مع انه اقام به الدلائل ورفع الشبه (انه لهدى) باقامة الدلائل (ورحمة) برفع الشبه (للمؤمنين) أى المنصفين المصدقين للحق ولا يترك المعاندين بحالهم (ان ربك يقضى) بما يرفع النزاع (بينهم بحكمه) بتعذيب المعاندين (و) لا يمتنع عليه عن عجز أو جهل اذ (هو العزيز العليم) وان خفت أن يؤذوك قبل ان يقضى عليهم بحكمه (فتوكل على الله) فانه ينصرك عليهم بالحجة والسيف (انك على الحق المبين) أى الواضح وقد وعده عليه ولا يخل بحقيتك عدم سماعهم لها اذهم أموات (انك لا تسمع الموتى) وان لم يكونوا امواتا فلا أقل من الصم (ولا تسمع الصم الدعاء) أى النداء فان أمكن تفهيمهم بالاشارة فذلك عند اقبالهم لا (اذا ولوا) وجوههم عنك (مدبرين) جاعلين ظهورهم اليك فان لم يولوا فلا يمكن تفهيمهم أيضا اذهم عماة (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لانهم يعتقدون فى الدلائل انها شبهات فلا بد من استماعهم حلها ولكن (ان تسمع) حلها (الا من يؤمن بآياتنا) فيعتقدها دلائل (فهم مسلمون) أى منقادون لوجوه الدلالة وحل الشبهة ولا يزالون عماة الى أن يقع القول عليهم بظهور اشراط الساعة (واذا وقع القول عليهم) بحيث لا يقبل ايمانهم (أخرجنا لهم) أى لابصارهم فضائحهم (دابة) عجيبة لم يعهد مثلها طولها ستون ذراعا لها أربع قوائم وجناحان وريش لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب معها عصا موسى تنكت بها مسجد المؤمن فيبيض وجهه وخاتم سليمان تنكت به أنف الكافر فيسود وجهه ليعلم انهم انما ينتبهون لما تنبه له الدواب (من الارض) ليعلم انهم لاقتصار نظرهم الى عالم السفل لا ينظرون الى عالم العلوى أصلا ولا يسمعون العلوى (تكلمهم) انما خرجت لافضاح الناس قبل ظهور القيامة (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون و) يزيدهم فضيحة بسؤاله فى الجمع العظيم بعد اظهار قصد الجمع لذلك (يوم نحشر من كل أمة) أى فرقة (فوجا) أى طائفة (ممن يكذب بآياتنا) ولا يستعجل عليهم السؤال ما لم يتم اجتماعهم بحشر سائر الافواج (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا جاؤا) المحشر (قال) ليفضحهم بين الاولين والآخرين فوق تفضيح

أى أخذت بأطراف أصابعى (قوله عز وجل قاعا صفصفا) مستوى من الارض أملس (قوله تعالى قصمنا) أى أهلكنا والقصم الكسر (قوله عز وجل القانع) السائل يقال قنع قنوعا اذا سأل وقنع قناعة اذا رضى (قوله عز وجل قالين) أى مبغضين يقال قليته أقليه قلى اذ أبغضته ومنه ما ودعك ربك وما قلى (قوله قاصرات الطرف)

الدابة بين أهل ذلك العصر بقول اشنع من قول الدابة (أكذبتم بآياتي ولم) تعلموا انها جديرة
بالتصديق أو التكذيب اذلم (تحيطوا بها) أي باسرارها التي بها صارت آيات (علما أماذا كنتم
تعملون) بها من حملها على تأويلات فاسدة تبطل فضلها فضلا عن اعجازها (و) التعيين أحد
الامرين الشديدين عليهم (وقع القول عليهم) وقوعا فوق وقوعه عند خروج الدابة (بما
ظلموا) بآيات الله باحد الامرين فوق الظلم بترك التيقن بها (فهم لا ينطقون) بانها لم تكن
مفيدة لليقين وان زعموا ان تكذيب الآيات لو كان لهذا الاثر لظهر في الدنيا قال (ألم يروا
انا جعلنا الليل) مثالا للحجاب الدنيا (ليسكنوا فيه) فلا يظهر لهم أثر (والنهار) الكشفه
في الآخرة لكونه (مبصرا) يظهر فيه آثارهم (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بالآخرة فمنها
ان الدنيا ليل يسكن فيه معاني الاعمال والآخرة نهار يبصر بها ومنها ان الدنيا لا يرى فيها آثار
الشهوات العاجلة والآخرة مبصرة لها ومنها ان الدنيا لا تظهر فيها الأمور الالهية فتسكن
النفس عن طلبها والآخرة مبصرة لها فتحركها لطلبها لكنها انما تظهر لمن اكتسب لها نورا
يناسبها في الدنيا (و) لو قيل الدنيا والآخرة لو كانت كالليل والنهار لكانتا متبدلتين دائما لكن
انما يكون تبدلهما مرة واحدة يقال التشبيه ليس من جميع الوجوه فالتبدل انما يكون
(يوم ينفخ في الصور) لانه اذا نفخ فيه هال الامر (ففزع) أي مات (من في السموات ومن
في الارض) من العقلاء الذين خلق ما سواهم من اجلهم فلا يبقى عند موتهم في الدنيا (الا من
شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل مع الحور والجنة والنار
وخزنتهما وحملة العرش وهؤلاء لا يفتقرون الى امور الدنيا (و) هؤلاء وان لم يؤثر فيهم النفخ
بالموت أثر فيهم بالاستصغار اذ (كل اتوه داخرين) أي صاغرين (و) لا يختص أثر النفخة
بالاجسام الضعيفة بل يؤثر في الصلبة أيضا حتى انك (ترى الجبال تحسبها جامدة) لا تتأثر بشئ
(وهي) تصير بالنفخة رخوة حتى انها (تمر مر السحاب) ولا يبعد ذلك لان صلابتها من اتقان الله
اياها وقد اراد اتقان الجزاء باظهار جاه المؤمنين وخزي الكافرين للكل فكان (صنع الله الذي
أتقن كل شئ) ولا يبعد عليه اظهار اسرار الكل للكل (انه خبير بما تفعلون) ثم أشار الى
كيفية اتقان الجزاء بقوله (من جاء بالحسنة فله) جاه (خير منها) أي من مقتضى حسناته
(و) من جملته (هم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة) يظهر من خزيهم انهم كانوا في
استعدادهم مدبرين عن الحق (فكبت وجوههم في النار) لانه منبع القوى المدركة والمحركة
ويقال لهم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) ليؤثر في قلوبهم فيزداد ألمهم فان زعموا ان
السيئات المكبة في النار هي أعمالك شتم الآباء وتسفيه دينهم وقتل الناس وسبيهم ونهب
أموالهم واستباحة نسائهم والتفريق بين الوالد وولده والمرء وزوجته يقال (انما أمرت أن
أعبد) الله وأولى عبادته حفظ حرمته فلا تهتك بالشرك وكيف يجوز هتك حرمة من كان (رب
هذه البلدة الذي حرمها) ليشير الى ان هتك حرمته اشد وكيف يكون ماذكرتم سبب كب
الوجوه في النار مع انه انما كان بامر الله ولا يبعد ان يكون له أمر (وله كل شئ و) كيف لا أومر

أي قصرن أبصارهن على
أزواجهن أي حبسن
أبصارهن عليهن ولم يطمحن
الى غيرهن (قوله قانت
آناء الليل) أي مصل ساعات
الليل وأصل القنوت
الطاعة (قوله جل وعز على
رجل من القريتين عظيم)
القريتان مكة والطائف
(قوله جل وعز قيضنا لهم)
أي سببنا لهم من حيث
لا يعلمون ولا يحتسبونه
وقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا

بما ذكر وقد (أمرت أن أكون من المسلمين) والاسلام مع تلك الامور (و) كيف لا أؤمر بذلك وقد أمرت (أن أتلو القرآن) الجامع لبيان المنافع والمضار والامر بالاوائل والنهي عن الاواخر حفظا لحرمات الله ليحفظ حرمة أنفسهم اذ هتكها يوجب هتك حرمتهم (فمن اهتدى) فهو وان حفظ حرمة الله لم ينفعه (فانما يهتدي) نافعا (لنفسه) بحفظ حرمتها (ومن ضل) فهو وان هتك حرمة ربه لم يضره بل انما اضر نفسه فان زعموا انه يمكن رفعه بشفاعة مثلك من قبلك (فقل انما أنا من المنذرين) لمن هتك حرمة الله بالشرك (و) ان زعموا انه نقص في حقك (قل الحمد لله) على ان جعلني عدو الاعداء فان أنكروا عداوته في الشرك يقال (سيريكم آياته) على هذه العداوة وهذه الآيات وان كانت كامنة فليست ملجئة فاذا رأيتم الملجئة (فتعرفونها) حين لا تنفعكم المعرفة وقد عرفتموها بهذه الآيات وان لم تكن ملجئة ولذلك تغافلتم عنها (وما ربك بغافل عما تعملون) من عداوتهم الشرك وتكذيب الآيات والرسل وانكار الاوامر والنواهي فانهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة القصص)

سميت به لاشتمالها على قوله فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الدالة على أن من هرب من مكان الاعداء الى مكان الانبياء اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين وهلاك الباقين بمكان الاعداء أمن من الهلاك وهذا من أعظم مقاصد القرآن مع اشتمالها على ما لا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى (بسم الله) المتجلي بجلاله برجاله في آيات كتابه (الرحمن) بما تلا فيه من أنباء انبيائه واعدائه (الرحيم) بما افاد المؤمنين من خصوص اسرار ذلك (طسم) أي طوالع الاخبار الساطعة الانوار المستعدة للابرار أو طلائع الغيوب السليمة من المطاعن والعيوب المكثرة راحات القلوب أو طيبات الاخبار السنية الآثار المزيلة للاعذار والاكدار أو طبقات الانبياء السابقة الآلاء المفيدة للشفاء أو نحو ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لهذه الخصال (المبين) لما ذكر في كتب الاولين بالاجمال (نتلوا) من مقام عظيم لطفنا (عليك) يا أكمل المطلعين على الاسرار (من نبا) أي حقيقة ما جرى بين (موسى وفرعون) ملتبسا (بالحق) من غير تلبيس ولا مبالغة كاذبة بحيث يفيد هذه الخصال (لقوم يؤمنون) بان في القرآن هذه الخصال بما هو من قصص الانبياء والاعداء فسبب بعثة موسى ازالة باطل علو فرعون (ان فرعون علا) حتى قال أنا ربكم الاعلى ففضل نفسه على رب العرش العظيم والسموات العلا مع كونه (في الارض) لا يمكنه الصعود في الهواء (و) لعلوه بالقهر (جعل أهلها شيعا) يشايعونه على ما يريد طوعا او كرها ولارادته ابقاء علوه (يستضعف طائفة منهم) وهم الذين كانوا يشايعونه كرها اذ يخاف منهم ان يبطلوا علوه بالكلية فيعلو ورأى في المنام انه خرجت نار من دور بني اسرائيل فاحرقت دار فرعون وديار قومه ولم تحرق شيئا من دور بني اسرائيل فقال له كاهن يولد فيهم مولود يذهب ملكك على يده فكان (يذبح أبناءهم)

أي نسبب له شيطانا يجعل الله ذلك جزاءه (قوله جل وعز) بجراها مجرى ساير حروف الهجاء في أوائل السور ويقال ق جبل من زبرجد أخضر محيط بالارض (قوله قاب قوسين) أي قدر قوسين عربيتين (قوله عز وجل القاضية) أي المنية يعني الموت (قوله عز وجل القاسطون) أي الجائرون (قوله تعالى قسورة) هو الاسد ويقال رماة وقسورة على فعولة من القسر وهو القهر

ليضعفوا بنقص العدد من قطع النسل وعدم انجبار من مات منهم (ويستحيي نساءهم) ليزوجوهن القبط فيضعفوا عن مقاتلة اختانهم واحفادهم ولم يستفد بذلك ابقاء علوه وملكه لانه انما يبقى بالاصلاح وهذا قد أراده بطريق الافساد (انه كان من المفسدين) اذ يؤدى ذلك الى افساده دين الاسلام بالكلية وقد قصده أيضا (ونريد) لاصلاح أمور الدين الذى به اصلاح الدارين (ان نمن) بالتخليص من المفسدين (على الذين استضعفوا فى الارض) لتقوى ويتم أمر الدين لو قدروا عليه (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم فى الدين اقوتهم فيه (و) هو انما يتيسر بان (نجعلهم الوارثين) عنهم الملك لان الامامة فى الدين انما تتم بالتمكن فى الارض (و) لذلك اردنا بهذا التوريث أن (نمكن لهم فى الارض و) لما لم يمكن مع تمكن فرعون وآله أردنا ان (نرى فرعون وهامان وجنودهما) أى جنود فرعون الذين تحت ضبط هامان (منهم) أى من الذين استضعفوا (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وعلوهم لو بقيت قوتهم فحملت أم موسى به عام الذبح لا يتغير لها لون ولا ينتأ لها بطن ولا يظهر لها لبن فلا يتعرض لها قوابل فرعون فولدت ليلة بلا قابلة سوى اخته فوضعته وبين عينيه نور (واوحينا) أى الهمنا فالقينا (الى أم موسى أن أرضعيه) ليتقوى به فلا يؤثر فيه هواء البحر ما لم تخافى عليه (فاذا خفت عليه) عيون فرعون فاجعليه فى التابوت (فألقيه فى اليم) أى البحر لانه لو نقل الى البر لزمك الانتقال معه وهو مخطر ان يظفر بك فى الطريق أو بعد الاجتماع (و) من صدق توكلك فى القائه فى البحر (لا تخافى) عليه الغرق (ولا تحزنى) طول الفراق (انا رادوه اليك) لحسن ظنك بربك (وجاعلوه من المرسلين) بدليل ظهور النور بين عينيه مع ارهاصات أخر فارضعته ثلاثة أشهر لا يسمع له بكاء فالح فرعون فى طلب المواليد فاجتهد العيون فى تفحصها فجاؤا الى بابها فرأتهم أخته فاخبرت أمه فلفته بخرقة والقته فى التنور المسجور من طيران عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبى قالت لا أدرى فسمعت بكاء من التنور فانطلقت وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاتخذت تابوتا فانبذته فى اليم فسار حتى تعلق بشجرة توازى مجلس فرعون (فالتقطه آل فرعون) ليربوه مع ظهور ان القاءه فى البحر انما هو من خوف القتل عليه فكأنهم التقطوه (ليكون لهم عدوا) حين يهلكهم (وحزنا) قبل ذلك (ان فرعون وهامان وجنودهما) مع كثرتهم ووفور عقلهم فى أمر المملكة (كانوا خاطئين) اذا اخذوه ليربوه فيكبر فيفعل بهم ما يحذرونه وقد قتلوا من أجله ألوفا (و) تابعوا رأى امرأة فرعون اذ (قالت امرأت فرعون) آسيه بنت مزاحم قدس الله روحها وكرم وجهها (قرت عين) أى مستقر نظرها (لى ولك لا تقتلوه) فانه أتانا من أرض أخرى ولا تتوهموا فيه الضرر بل (عسى أن ينفعنا) كما نفع بنتنا البرصاء بالبراءة (أو) عسى أن نحتاج اليه حاجة كلية حتى (نتخذه ولدا) يقوم مقامنا (وهم) بعد همهم بقتله (لا يشعرون) بخطئهم فى هذا الطمع (و) فى هذه الحالة (أصبح) أى صار (فؤاد أم موسى) وان كانت من اهل الالهام (فارغا) أى خاليا عن ذكر الوعد اذ قال لها الشيطان كرهت أن يقتل فرعون ولدك

فكان

(قوله عز وجل قمطريرا) وقماطر وعصيب وعصبصب أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء (قوله عز وجل قوارير من فضة) يعنى قد اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة واحدها (قوله القصر) كالقصر القصور ومن قرأ ... أراد اعناق النخل ويقال أصول النخل المقطوعة (قوله عز وجل قضبا) القضب القت يسمى بذلك لانه يقضب مرة

٣ قوله بالهامش ومن قرأ كالقصر يعنى بتحريك الصاد كما يفيده الصحاح

فكان لك الاجر فتوليت أنت قتله اذ ألقيته فى البحر ولما أتاها خبر وقوعه بيد فرعون قالت وقع فيما فررت منه (ان كادت) أى انها قربت من فراغها (لتبدى به) أى لتظهر بكونه ولدها (لولا أن ربطنا) بالصبر والتثبيت (على قلبها) اعتناء بها بعد الاعتناء بولدها (لتكون من المؤمنين) بصدق وعده فى الآخرة لان من صدق هذا الوعد بالوحى الخفى فبالجلى أولى ولو لم تصدق يمكن ان تشك فى ذلك الوعد أيضا (و) عند ابتداء الخلق (قالت لاخته) مريم (قصيه) أى تتبعى أثره لتنالى خبره فقصت (فبصرت به عن جنب) أى بعد لينافى ابها دعوى عدم التفاتها اليه لو توهموا عليها ذلك (و) لكن (هم لا يشعرون) انها ترقبه فرأته (و) قد (حرمنا) أى منعنا (عليه) ان يمص (المراضع) أى ثدى امرأة (من قبل) أى من قبل ان تبصر به عن جنب اذ لو كان بعده ربما لم تقف فلم تسمع هذا الخبر لكنها سمعت فدنت منهم (فقالت هل أدلكم) أيها الجبارى فى أمر رضاعه (على) امرأة من (أهل بيت يكفلونه) أى يضمنون جميع تربيته (لكم وهم له) أى لامر فرعون (ناصحون) فلو علم أحدهم منه ما يخل بشئ من أمره لاعلمه به فأتت بامه فلما وجد ريحها التقم ثديها فقيل لها من أنت فقد أبى كل ثدى سوى ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح واللبن لا أوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها واجرى عليها (فرددناه الى) بيت (أمه كى تقر عينها) برؤيته (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم) بمشاهدة صدق وعدها (أن وعد الله) بالامور الاخروية بالوحى الجلى (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولم يزل فى تربيته غير مبال باحكامه حتى بلغ اشده (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الواجب فى الحاكم لئلا يتقوى عليه الشهوة والغضب (واستوى) اى اعتدل مزاجه فلا يميل الى التعصب الباطل (آتيناه) بطريق المكاشفة (حكما) أى شرائع من تقدم (وعلما) بالحقائق (و) لا يبعد فى حقه اذ (كذلك نجزى المحسنين) الذين يعبدون الله كانهم يرونه فانهم يكاشفون بعلوم عند قوة الحال واعتدال المزاج (و) من احكامه لبنى اسرائيل على القبط لدفع ظلمهم مما يدل على بلوغه أشده وكزه القبطى اذ (دخل المدينة) أى مصر آتيا من قصر فرعون أو منف أو حابين أو عين الشمس ولخلوها عن الملك وظنه مزيد الظلم سيما اذا كان (على حين غفلة من أهلها) المانعين من الظلم غالبا والمراد وقت القيلولة أو ما بين العشائين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتنازعان وشأن الحاكم قطع النزاع سيما (هذا) الواحد (من شيعته) أى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والواجب نصرهم بكل حال (وهذا) الآخر (من عدوه) أى ممن خالفه فى دينه وهم القبط الواجب قهرهم بكل حال (فاستغاثه) أى سأله الاغاثة (الذى من شيعته) لكونه مظلوما (على الذى من عدوه) لكونه ظالما واغاثة المظلوم واجبة فوجبت اغاثته من جهتين (فوكزه) أى ضربه بجمع الكف (موسى) الذى أعطى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فقضى) أى فانهى حياته فابطلها (عليه) هذا من جهة بلوغه اشده ومن جهة استوائه (قال هذا) وان كان قتل حربى ظالم (من عمل الشيطان) لانه سبب تسلط القبط على نفسى فكان فى معنى القائها الى التهلكة (انه عدو) يريد اهلاكنا (مضل) يصير دفع الظلم فى وكزه ثم يجعله قتلا يفضى الى قتل بدله (مبين) اى مظهر عداوته

بعدا خرى أى يقطع (قوله عزوجل القارعة) يعنى القيامة والقارعة الداهية أيضا

●(باب القاف المضمومة)●

قوله عزوجل قرآن هو اسم كتاب الله عزوجل خاصة لا يسمى به غيره وانما سمى قرآنا لانه يجمع السور فيضمها ومنه قول الشاعر لم تقرأ جنينا ● أى لم تضم فى رحمها ولدا قط ويكون

فعرف من جهة استوائه جهة هذا الظلم ثم اراد رفعه ليتحقق بمقتضى استوائه لذلك (قال
رب) مقتضى تربيتك بهذا الاستواء رفع ما ينافى مقتضاه (انى ظلمت نفسى) بالقائها فى التهلكة
(فاغفرلى) حتى لا أؤاخذ بالالقاء فى التهلكة (فغفرله انه هو الغفور) لما كان ظلما على النفس اذ
يعقبه الاستغفار (الرحيم) بحفظ نفوس المستغفرين عن التهلكة فهذا التحقق بمقتضى الاستواء
من حيث رفع اثم التهلكة الظاهرة ثم أراد التحقق بمقتضاه من حيث رفع اثم التهلكة الباطنة اذ
(قال رب) مقتضى تربيتك (بما أنعمت على) من اغاثة أوليائك مع العفو عن القاء النفس فى
التهلكة ان لا اهلكها بعون اعدائك (فلن أكون ظهيرا) أى معينا (للمجرمين) فانه تهلكة باطنة
وهو وان غفر له عن الالقاء فى التهلكة لم يأمن الوقوع فيها (فاصبح) أى صار لكونه (فى المدينة)
التى قتل فيها القبطى (خائفا) على نفسه من التهلكة لانه وان لم يعلم به أحد من القبط (يترقب)
أى ينتظر وصول خبره من جهة الاسرائيلى فلم يثق برحمة ربه بالمستغفرين (فاذا) أى ففاجأ
الاسرائيلى (الذى استنصره) أى استعانه فقتل من اجله قبطيا (بالامس يستصرخه) أى
يستغيثه من قبطى آخر (قال له موسى انك لغوى) فى نفسك (مبين) غوايتك لمخاصمتك بخاصمة
الناس مع عجزك وعلم انه انما ابتلى به عن عدم وثوقه برحمة ربه للمستغفرين فوثق بغفرانه قتل
القبطى فاراد قتل آخر مثله (فلما) جمع كفه ورفعها الاجل (أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو
لهما) اذ لا يقصد به المشايع سيما بحضرة العدو الموصل للخبر الى من يخاف منه (قال) ظنه من
غوايته أنه يقصده به ليسبق عقابه (يا موسى أتريد أن تقتلنى) مع انى منك دون العدو (كما قتلت)
من أجلى (نفسا بالامس ان تريد) أى ماتريد فى دفع الخصومات (الا أن تكون جبارا) أى قهارا
بتشمر قهرك (فى الارض) بقتل كل منازع (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين أهل النزاع
فسمعه العدو فاتى به فرعون فامر بقتله (و) هو ان وقع فى خوف التهلكة نجاه الله منها اذ (جاء
رجل) كامل مؤمن هو من آل فرعون حزقيل أو شمعون أو سمعان (من أقصى المدينة) من أبعد
مكان منهم الافراط محبته (يسعى) لئلا يسبقه الطالبون (قال يا موسى ان الملأ) أى أشراف قوم
فرعون (يأتمرون) أى يطلبون به أمره ليتعلقوا (بك ليقتلوك) ولا يرضون باخذ الدية منك
(فاخرج) من حدودهم ولا تعتمد محبة فرعون وامرأته عليك (انى لك من الناصحين) كانى
من بنى اسرائيل (فخرج منها) أى من مدينتهم (خائفا) من التهلكة (يترقب) لحوق الطالبة قبل
الخروج من ولايتهم (قال رب) كما نجيتنى عن اثم الالقاء فى التهلكة (نجنى) من التهلكة وان
كانت مفيدة للشهادة لكونها (من القوم الظالمين) القاتلين للمسلم بالحربى الظالم فالهمه الله
سبب النجاة الظاهرة والباطنة وهو التوجه الى مدين (ولما توجه) أى جعل وجهه (تلقاء) أى
نحو قرية أولاد (مدين) بن ابراهيم لقربهم مع ما فيها من صحبة شعيب عليه السلام وخروجها
عن ولاية فرعون وكان لا يعرف الطريق (قال عسى ربى) أى قارب ربى (أن يهدينى) بالالهام
(سواء السبيل) الذى لا يلحقنى فيه الطالبون اذ يظنون انه يأخذ غير الطريق المشهور فعن له
ثلاث طرق فسلك أوسطها والطالبون الآخرين ثم جعل الله عليه ما هو سبب الحياة الباطنة

القرآن مصدرا كالقراءة
ويقال فلان يقرأ قرآنا
حسنا أى قراءة حسنة
وقوله عز وجل وقرآن الفجر
أى ما يقرأ به فى صلاة
الفجر (قوله عز وجل قلنا
للملائكة) مذهب العرب
اذا أخبر الرئيس منها عن
نفسه قال فعلنا وصنعنا
لعلمه ان أتباعه يفعلون
بامره كفعله ويجرون على

كما هو سبب الحياة الظاهرة (و) هو انه (لما ورد ماء مدين) أى نزل قريبا من بئرها (وجد عليه) أى على شفير بئرها (أمة من الناس يسقون) مواشيهم سقى أكثرهم قواهم الحيوانية مياه اللذات الحسية سابقين اليها مستعظمين بها (ووجد من دونهم) أى فى مكان أسفل منهم (امرأتين) ابنتى شعيب عليه السلام (تذودان) أى تمنعان مواشيهما الماء منع اللوامة والمطمئنة للقوى الحيوانية من تلك اللذات اولا لتذللها ولا يشتغل بها عن الله (قال ما خطبكما) اى شأنكما فى الذود (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء كراهة ازدحام الرجال وكان حقنا ان لا نأتى مكانهم لكن اضطررنا اليه اذ ليس عندنا رجل سوى ابينا (وابونا شيخ كبير) بلغ غاية الكبر فيعجز عن الخروج والسقى وهذا فعل اللوامة والمطمئنة فى اعطاء اللذات الحسية بعد رعاية الاعمال وصرف القوادح وترك الاعتماد على صرف العقل لها (فسقى) مواشيهما من بئر أخرى كان عليها صخرة لا يطيق حملها الا جمع فاقتلعها مع ما به من الجوع والوصب وجراحة القدم (لهما) من غير أجر (ثم تولى) أى عدل (الى الظل) أى ظل شجرة من شدة الحر (فقال رب) أى يا من ربانى بهذه القوة (انى لما أنزلت الى من خير) طعام أو قوة (فقير) وهذا فعل القلب يسقى القوى الحيوانية مياه الاعمال ثم الميل الى الظل الالهى للتخلق باخلاقه ثم استنزال فيض الاحوال والمقامات بالافتقار اليه ولما استفاض من الله الخير بعث اليه من يدعوه الى اخذ الاجر (فجاءته احداهما) الكبرى صفورا أو صفيرا أو الصغرى ليا أو صفرا مجىء المطمئنة أو اللوامة الى القلب (تمشى على استحياء) وضعت كم درعها على وجهها فعل اللوامة أو المطمئنة استحياء من الله (قالت ان أبى يدعوك) أى يطلبك (ليجزيك) ليعطيك (أجر ما سقيت لنا) دعوة المطمئنة واللوامة الى طلب الاجر من التلذذ بالعالم العقلى فاجابها ليتبرك بالشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر وكره موسى النظر الى عجزها فقال لها امشى خلف ظهرى ودلينى على الطريق برمى الحجارة اذا أخطأت (فلما جاءه) أتاه بالعشاء وقال له تعش فقال موسى نعوذ بالله انا من أهل بيت لا نبيع الدين بالدنيا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من نزل بنا فان من فعل معروفا فاهدى اليه لم يحرم عليه (وقص عليه القصص) أى أخبره بجميع ما جرى عليه من ولادته الى أمر فرعون بقتله (قال لا تخف) من قتل فرعون لانك (نجوت من القوم الظالمين) بالخروج عن حدولايتهم وهكذا القلب اذا خرج من حد صفات النفس ينجو من غوائلها ولما امتنع من أخذ الاجر على العمل لله عرض عليه أخذ الاجر على كسبه اذ (قالت احداهما) وهى التى استدعته (يا أبت استأجره) أى اجعله اجيرك ليرعى غنمك فانه حقيق بذلك (ان خير من استأجرت) أى من أردت جعله أجيرا (القوى) على العمل الذى صار فيه اجيرا وقد قوى على اقلال صخرة لا يقدر عليه الا جماعة (الامين) لا يخون فى محل العمل وقد أمرنى بالمشى خلفه وهذا كأمر اللوامة والمطمئنة بالكسب عند القوة عليه مع الامانة فيه باستعمال قوة الصبر والامانة فى رعاية الاركان والشرائط والسنن والآداب فى العمل ولما رآه مستنكفا عن أن يصير أجيرا لما فيه من الاستهانة ضم اليه تعظيم تزويج الابنة حيث (قال انى أريد) لقوتك

مثل أمره ثم كثر الاستعمال لذلك حتى صار الرجل من السوق يقول فعلنا وصنعنا والاصل ما ذكرت (قوله عز وجل ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء عند أهل الحجاز الطهر وعند أهل العراق الحيض وكل قد أصاب لان القرء خروج من شىء الى شىء غيره فخرجت من الحيض الى الطهر ومن الطهر الى الحيض هذا قول ابى عبيدة

وأماتنك مايقوى المودة ويجذب القلوب (أن أنكحك) من شئت من (احدى ابنتى هاتين)
المرأتين لك (على أن تاجرنى) على ان تصير اجيرى لرعى المواشى باجرة على ابنتى هى مهرها عليك
(ثمانى حجج) أى سنين (فان أتممت عشرا فمن عندك) أى فالزيادة تفضل من عندك وهذا فعل
العقل ان يزوج القلب والنفس اللوامة أو النفس المطمئنة لرعاية الاعضاء ويصحبه فى صعوده
الافلاك المكوكبة ومافوقها الى اللوح المحفوظ الذى هو قلب العالم الكبير (وما اريد أن أشق
عليك) بتحصيل نفقة لك أولزوجتك ولا بتزويج امرأة سيئة الخلق أو مائلة الى الفسق (ستجدنى
ان شاء الله من الصالحين) والصالح يسرى اثره الى أولاده وهذا فعل العقل دفع مشقة الاعمال
برؤية العواقب الجيدة لها وهو مائل الى الاصلاح ماخلى وطبعه (قال ذلك) الشرط قاطع للنزاع
(بينى وبينك) فلا نزاع فى شئ آخر بعد ذلك حتى انه لانزاع فى الاجل بل (أيما الاجلين قضيت)
أى اتممت (فلا عدوان على) بطلب الزيادة على ثمان أو الخروج بالاهل قبل عشر وهذا مطلوب
القلب من العقل قطع النزاع وجلب المنافع ودفع المضار (و) ليس الوفاء بالوعد مقدورا لنا بل
(الله على) وفاء وعد (مانقول وكيل) أى قائم وهذا ماعليه القلب الكامل من اعتقاد توحيد
الافعال وانما ذكرنا هذه الامور لقول موسى عليه السلام عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل
وليكون مقدمة لتجليه الآتى من بعد ثم أمر شعيب عليه السلام بعصا يدفع بها السباع عن
مواشيه فجاءت بعصا من آس الجنة حملها آدم عليه السلام فتوارثها الانبياء عليهم السلام
فاعطاها موسى عليه السلام ولما جعل الله تعالى وكيلا على مايقوله وفقه الله لاتمامه ورقاه اعلى
المقامات (فلما قضى) أى تم (موسى الاجل) الاقصى (و) لم يترك امرأته عند أبيها كما كان عنده
بعد الاجل بل (سار باهله) وفيه اشارة الى أن القلب اذا سار مع النفس الى الجانب العلوى
كوشف بالانوار (آنس) أى أبصر (من جانب الطور) أى من الجهة التى تلى الطور (نارا قال
لاهله) أى لامرأته التى احتاجت اليها للطلق فى ليلة شاتية مظلمة وضلال الطريق وللخدام
(امكثوا) لئلا تبعدوا عنى عند ذهابى الى النار (انى آنست نارا) فأذهب اليها (لعلى آتيكم منها
بخبر) من الطريق من ضوئها أو ممن عندها (أوجذوة) أى عود غليظ فيها شئ (من النار لعلكم
بجمع الحطب معها (تصطلون) أى تستدفئون (فلما أتاها) أى قرب منها (نودى من شاطئ) أى
جانب (الوادى) أى الذى منه الفيض (الايمن) أى الذى عن يمين موسى المشيرة الى قوة حاله (فى
البقعة المباركة) أى التى كثر خيرها بالتجلى الالهى الجامع (من الشجرة) الجامعة للثمرات (أن
ياموسى انى) وان كنت متجليا بهذه النار من هذه الشجرة بهذه البقعة غير مقيد بها بل (أنا الله)
الجامع للذات والاسماء باعتبار بطونها وظهورها فى الكل من حيث انى (رب العالمين) وان
كانت الغلبة للاسم الذى هو رب موسى أو العزيز الحكيم على مامر (و) لشمول تجليك على
الاسماء القهرية أمرت (ان الق عصاك) المشيرة الى المعاصى التى تضرب بها من أجلها والى
أنها حيات سريعة التأثير فى الباطن (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) أى حية صغيرة
فى سرعة الحركة (ولى) وجهه عنها (مدبرا) أى جاعلا ظهره اليها (ولم يعقب) أى لم يرجع اليها

بالالتفات

وقال غيره القرء الوقت يقال
رجع فلان لقرئه ولقارئه
أيضا أى لوقته الذى كان
يرجع فيه فالحيض يأتى لوقت
والطهر يأتى لوقت وروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى المستحاضة تقعد عن
الصلاة ايام اقرائها وقال
الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا
يعنى من اطهارهن وقال

بالالتفات كما يفعله التائب من الذنب (ياموسى أقبل) اليها اقبال التائب الينا (ولا تخف) من امساكها كما لا يخاف التائب من عقاب الذنب (انك من الآمنين) من أن يؤذيك شيء اذا كنت عندنا كما يأمن العامل من ضرر المعاصي التي تاب عنها ثم قال له (اسلك) أي ادخل (يدك في جيبك) أي ابطك (تخرج بيضاء) أي منيرة (من غير سوء) أي عيب كما يدخل العامل نور الاعمال في القلب ليخرج الى الظاهر (واضمم اليك جناحك) أي يدك (من الرهب) أي من خوف شعاعها ضم المعجب عمله الى توفيق الله تعالى خوف الاعجاب فالعصا واليد البيضاء وان كانتا اشارتين الى المعاصي والطاعات (فذانك برهانان) على رسالتك الآمرة بالقاء المعاصي واكتساب الطاعات لكونهما (من ربك) اذ لا يقدر عليهما غيره ولا يبعد ذلك لانه استحق الارسال (الى فرعون وملائه) لانهم المنغمسون في المعاصي التاركون للطاعات (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن أمر الله ونهيه (قال رب اني) وان أمنت الحية والشعاع صريحا والمعاصي والعجب اشارة لا آمن القتل والتكذيب من هؤلاء المبالغين في الفسق اني (قتلت منهم نفسا) وهم وان عفوا عن المقتول الاجنبي فلا يعفون عن المقتول منهم (فأخاف ان يقتلون) اذ لا يمنعهم من ذلك كوني رسولا منك لفسقهم واذا قتلت فمن يؤدي رسالتك (و) لو لم يقتلوني لا يتم اداؤها مني مع لكنة لساني فلا بد من تكميلها بفصيح وأولى من يكمل به اخي اذ (اخي) المعين لي طبعا (هرون) القائم مقام أبي لكبره (هو أفصح مني لسانا) فيكون أحسن بيانا ولا يتحمل ذلك ما لم يكلف بمثل ما كلفت به (فارسله معي) لا بطريق الاستقلال بل (ردأ) أي معينا وأقل اعانته انك ان أرسلته (يصدقني) تصديقا يفيد نشاط القلب (اني أخاف) ضيق صدري من (أن يكذبون) أي يتفقوا على تكذيبي المؤدي الى انواع الاذيات (قال سنشد) أي سنقوي (عضدك) الذي تقوم به باطشة بيانك (باخيك) اي باعانة اخيك (و) اذا قوي بيانك (نجعل لكما سلطانا) أي مهابة في قلوبهم (فلا يصلون اليكما) بايذاء فضلا عن القتل بل (بآياتنا) المصدقة لبيانكما المكثرة أتباعكما (أنتما ومن اتبعكما) وان لم تكن له آية ولا سلطان (الغالبون) عليهم وان غلبوكم وغلبوا العالمين قبل ذلك اذ يخافون انهم لو ظلموكم ان يغضب عليهم من آتاكم بتلك الآيات فيهلكهم بالكلية (فلما جاءهم موسى) الذي عرفوا تنزهه عن الكذب وسائر الخبائث (بآياتنا) التي لا تلتبس بالسحر لكونها (بينات) بل يغلب بها السحرة وغيرهم (قالوا) اخفاء لمغلوبيتهم عن قوة فسقهم (ما هذا) الذي أتى موسى به عبر عنه بالاشارة القريبة للمفرد استهانة بها (الا سحر) وانما عجز عنه السحرة لانه (مفترى) أي مبتدع لم يسبق له نظير (و) يدل على كونه سحرا انا (ما سمعنا بهذا) أي بان للعالم الها يرسل الرسل بالآيات (في آبائنا الاولين) وكذبوا فانهم قد جاءهم يوسف ومن قبله من الرسل جاؤا آباءهم أو معاصريهم (وقال موسى) كفى دليلا على كونها آيات أنها خوارق لم يسبق لها نظير مع ان ما جئت به هدى والساحر لا يدعو في العموم الى هدى فان لم تعترفوا بكونه هدى (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) وان لم يكن من عند آبائهم (و) يعلم ذلك بالعاقبة فان الله يحسن عاقبة أهل الهدى لا محالة

ابن السكيت القرء الحيض والطهر وهو من الاضداد (قوله عز وجل قربان) ما تقرب به الى الله جل وعز من ذبح وغيره وهو فعلان من القربة (قوله تعالى ذكره قبلا) أصنافا جمع قبيل قبيل أي صنف صنف وقبلا أيضا جمع قبيل أي كفيل وقبلا وقبلا أيضا مقابلة وقيل معاينة وقبلا أي استئنافا وأما قوله جل وعز

لانه يعلم (من تكون له عاقبة الدار) أى مايعقب دار الدنيا وليست للساحر اذا ادعى النبوة لانه ظالم فلا يفلح بالعاقبة الحميدة (انه لايفلح الظالمون) بها وان وجدوا بعض مقاصدهم أولا استدراجا (وقال فرعون) انما يكون آيات الله أو هدى أو عاقبة حميدة لو كان فى الواقع اله غيرى ولكن (يا أيها الملأ) أى الاشراف لو كان اله اعلى منى لكنتم عابديه دونى فان لم تعلموه كنت اعلم به لانى تقدمتكم بالعلم بالاشياء فقدمتمونى فى أمر المملكة لكن (ما علمت لكم من اله غيرى) وان زعم ان لغيرى ملك السموات (فأوقد لى ياهامان على الطين) نارا فاتخذ منه آجرا (فاجعل لى) من الآجر (صرحا) أى قصرا رفيعا الى السماء (لعلى أطلع الى اله موسى) لو كان هنالك (و) ان كان فلا اظنه مرسلا لموسى (انى لأظنه من الكاذبين) لانه يبعد ان يرسل اله السماء الى اله الارض من هو داخل تحت ولايته دون ولاية السماء (واستكبر هو) بدعوى الالهية لنفسه ونفيها عن الله وقصد الاطلاع الى الله وادعاء العلم الكلى لنفسه مع جهله بربه (وجنوده) بدعوى الالهية لمعبودهم ونفيها عن الله مع كونهم (فى الارض) وليسوا كالصوفية القائلين انا الحق حال سكرهم بغلبة نور الحق على قلوبهم بظهوره فيها كنور الشمس فى المرآة فيفنى فى نظرهم ماسوى الله فيستكبرون بالحق على ماسواه اذ لا يرون له وجودا وقول فرعون وجنوده استكبارا (بغير الحق) كيف والصوفية يرون رجوع كل موجود الى الله (و) هؤلاء (ظنوا أنهم الينا لا يرجعون) فلم يبالوا بنا أصلا (فأخذناه وجنوده) بان ألقينا فى قلوبهم دخول اليم (فنبذناهم فى اليم) نبذ الصوفية فى بحر الحقيقة لكن هؤلاء ظالمون برؤية الوجود لمن لا وجود له من ذاته ونفيه عمن له وجود من ذاته (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) كما جعلنا الصوفية ائمة يدعون الى الله تعالى (جعلناهم ائمة يدعون الى النار) بكلماتهم التى يتبعهم فيها أهل عصرهم ومن بعدهم (و) هم وان كثر اتباعهم الناصرون لهم فى الدنيا (يوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا) التى كثر فيها اتباعهم (لعنة) يلعنهم كل مؤمن يسمعهم (و) لاتزول منهم تلك اللعنة اذ (يوم القيامة هم من المقبوحين) فيجتمع على لعنهم الكل ولو كانوا كالصوفية لكانوا مكتسبين من النور الالهى حسن الأرواحهم وقلوبهم وسائر أجزائهم (و) جعلنا موسى منبوذا فى بحر الرحمة اماما يدعو الى الجنة مثنى عليه الى يوم القيامة ومن المحسنين فيه بما آتيناه من الكتاب فانا (لقد آتينا موسى الكتاب) الجامع أنواع العلوم سيما علوم الوعظ والتزكية لانا آتيناه (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) فيتضمن (بصائر للناس) من المواعظ والتزكية (وهدى) الى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها (ورحمة) بالاحكام الحكمية (لعلهم يتذكرون) فيقيسون أحوالهم على أحوال الامم الهالكة واعتقاداتهم على اعتقادات الخلائق وأحكامهم على أحكامهم (و) أكدنا أمره بتصديقك اياه بالوحى المعجز المخبر عن الغيب لانك (ما كنت بجانب) الوادى (الغربى) الذى كوشف فيه موسى عن عالم الغيب (اذ قضينا) أى قدرنا وانهينا (الى موسى الامر) أى أمر التوراة من عالم الغيب (وما كنت من الشاهدين) للتوراة اذ خرجت الى عالم الشهادة (و) هى وان كانت موجودة الآن بحيث يمكن شهودها (لكنا أنشأنا قرونا فتطاول

عليهم

لاقبل لهم بها فعناه لاطاقة لهم بها (قوله عزوجل قسطاس) وقسطاس ميزان بلغة الروم (قوله عزوجل قرة عين لى ولك) وهو مشتق من القرور وهو الماء البارد ومعنى قولهم أقر الله عينك أى ابرد الله دمعتك لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة (قوله تعالى قصيه) أى اتبعى أثره حتى تنظرى من يأخذه (قوله جل

عليهم العمر) فهانت عليهم حتى اجترؤا على تغييرها (و) لم يمكنك الاطلاع على تلك التغييرات اذ (ما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) الذين لم يغيروا التوراة (تتلوا عليهم آياتنا) تعلما (ولكنا كنا مرسلين) اليك ما غيروا بعدهم (و) ليس اطلاعك على تغييراتهم باطلاعك على ابتداء حال موسى لانك (ما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى فى ابتداء نبوته (ولكن) أطلعناك على ابتداء أمره وانتهائه (رحمة من ربك) عليك وعلى اهل التوراة المغيرة اذ بعثت (لتنذر قوما) عن التوراة المغيرة (ما أتاهم من نذير من قبلك) على هذا التغيير لوقوعه فى أيام الفترة (لعلهم يتذكرون) ان المناسب لكلام الله ما تذكره أو ما غيروه (ولولا) كراهة (ان تصيبهم مصيبة) عظيمة (بما قدمت ايديهم) من العمل بالتوراة المغيرة من علمهم بتغييرات آبائهم (فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) يبين لنا تلك التغييرات ويقيم عليها الآيات (فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) بالتوراة على ما انزلتها وبكتاب هذا الرسول لولم ترسل رسولا ولكن كرهنا فارسلنا رسولا واظهرنا عليه ما هو الحق من التوراة وآتيناه المعجزة القولية التى هى أقوى من الفعلية (فلما جاءهم الحق) من التوراة على ما نزلت (من عندنا) مؤيدة بالمعجزة القولية (قالوا لولا أوتى) هذا الرسول من المعجزات (مثل ما اوتى موسى) فنصدقه على تلك التغييرات كما صدقنا موسى فى اصل التوراة (أ) آمن الكل بتلك المعجزات (ولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) أى من قبل ان يؤتى بمثلها فاذا اوتى بالمثل بطل التحدى بها فحينئذ (قالوا سحران تظاهرا) أى عاون أحدهما الآخر بالكشف الروحانى (وقالوا) انه وان كان كشفا روحانيا يستفيد روح أحدهما من روح الآخر (انا بكل كافرون) لحصول المعارضة المبطلة للتحدى فكان كما يكاشف الرهبان أو البراهمة والزنادقة (قل) الفارق بين السحر والمعجزات الهداية (فأتوا بكتاب) معلوم كونه (من عند الله) بمعجزات أقوى من معجزاتهما ومع ذلك يكون راجحا على كتابيهما اذ (هو اهدى منهما) فان اتيتم (اتبعه) ولا اعاندكم مثل ما تعاندوننى (ان كنتم صادقين) فى انه يمكن الاتيان بما هو اهدى منهما (فان لم يستجيبوا لك) فلم يأتوا بذلك الكتاب ولم يتابعوا الكتابين (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) وان فرض انهم ساعدهم العقل فغايتهم انه كنور البصر لا يبصر به ما لم يستعن بنور الشرع الذى هو كنور الشمس كما قال (ومن أضل ممن اتبع هواه) وان فرض انه وافق عقله ولكن كان (بغير هدى من الله) يكون كنور الشمس وكيف يحصل له هدى وهو ظالم بتقديم هواه على هدى الله (ان الله لا يهدى القوم الظالمين و) ان زعموا ان مقابلة المعجزة الواحدة الخفية بالمعجزات الكثيرة الجلية ظلم يقال لهم هذه المعجزة الواحدة فى قوة المعجزات الكثيرة فانا (لقد وصلنا لهم القول) أى ضممنا بعض القول المعجز الى بعض فصار كمعجزات كثيرة وانما جعلناه خفيا لتكثر فائدته بالتذكر (لعلهم يتذكرون) فيظهر لهم من كثرة فوائده ما يجعل اعجازه جليا على ان اعجازه جلى لاصحاب العلوم الكثيرة الا ترى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون و) لا يحتاجون الى التذكر بل (اذا يتلى عليهم قالوا) بمجرد سماعه (آمنا به) لظهور اعجازه عندنا مع هدايته (انه الحق) الموافق لسائر ما نزل (من ربنا) وقد كان فيه وعد انزاله لذلك (انا كنا)

وعز قدور راسيات) أى ثابتات فى أماكنها لا تنزل لعظمها ويقال اثافيها منها (قوله جل وعز قسورة) أى الخراصون) أى الكذابون (قوله جل وعز قطوفها دانية) أى ثمرتها قريبة المتناول على كل حال من قيام وقعود ونيام واحدها قطف

* (باب القاف المكسورة) *

(قوله جل وعز قبله) جهة يقال

بالايمان بتلك الكتب (من قبله) أي من قبل انزاله (مسلمين) أي منقادين له (اولئك) وان اتحد
ايمانهم بالكتابين (يؤتون أجرهم مرتين) مرة لايمانهم بما في كتابهم ومرة لمعرفتهم ان هذا الكتاب
هو الموعود فيها (بما صبروا) على تأمل وجوه اعجازه حتى صارت لهم ملكة يعرفونه بمجرد
القراءة (و) اذا وردت عليهم شبهة قادحة (يدرؤن) أي يدفعون (بالحسنة) أي بالحكمة الجلية
الشبهة (السيئة) وهذا وجه آخر للتضعيف (و) ثم وجه ثالث له هو أنه (مما رزقناهم) من العلوم
(ينفقون) ثم انهم انما يدفعون شبهة المنصفين وينفقون عليهم العلوم (واذا سمعوا اللغو) من
مناظر او متعلم (اعرضوا عنه) اذ لا يفيد مناظرته ولا تعليمه (وقالوا) سقط عنا حل شبهاتكم
وتعليمكم (لنا أعمالنا) المبنية على دلائلنا (ولكم أعمالكم) المبنية على لغوكم (سلام عليكم)
أي سلمكم الله من لغوكم (لا نبتغي) أي لا نطلب هداية (الجاهلين) الجهل المركب وكيف يتأتى منا
ولا يتأتى من أكمل الخلائق اذ قيل له (انك) يا أكمل الخلائق في الكشف عن الحقائق والحجج
والشبه والتأثير بالهمة (لا تهدي) بتنوير القلب (من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو)
وان قدر على هداية الكل فلا يهدي الا من علم من استعداده الاهتداء لانه (اعلم بالمهتدين) أي
باستعداداتهم وانما تجب هداية غيرهم لعدم الاطلاع على استعداده نزلت في أبي طالب جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتضر فقال يا عمي قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله
فقال يا ابن اخي علمت صدقك ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت (و) كيف تهدي المعاندين
وهم اذا لم يجدوا شبهة تمسكوا بعذر فاسد كأن (قالوا ان نتبع الهدى) لنصير (معك نتخطف)
أي نخرج (من أرضنا أ) هذا عذرهم (و) انما هو عذر من (لم نمكن لهم) أي لم نجعل مكانهم
(حرما آمنا) أي مفيدا للامان عند تشاجر الناس من حوله ولا يكون منع حمل الثمرات اليهم
مخرجا لهم منه اذ (يجبى اليه ثمرات كل شئ) من الجوانب اذ جعلنا حملها اليكم (رزقا) للعاملين
لكثرة ربحهم فيجعل ذلك داعية لهم (من لدنا) وهذا ظاهر (ولكن أكثرهم لا يعلمون و) كيف
يخافون في اتباع الهدى التخطف ولا يخافون في تركها الهلاك الكلي وقد وقع فيما دونه فانه
(كم أهلكنا من قرية بطرت) أي طغت فكفرت (معيشتها) فان أنكرت اهلاكهم (فتلك)
البيوت المشار اليها (مساكنهم) هلكوا بالكلية حتى (لم تسكن من بعدهم الا) زمانا (قليلا)
مقدار سكون المسافرين يوما أو بعض يوم (و) ليسوا بهذا السكون وارثيهم يقومون مقامهم
حتى كأنهم لم يهلكوا بل (كنا نحن الوارثين و) ان زعموا ان الله تعالى لو أخذهم ببطرهم لاخذنا
بالكفر يقال (ما كان ربك) الذي بعثك رحمة للعالمين (مهلك القرى حتى يبعث في أمها) التي
ينسب اليها ما حولها نسبة الولد الى أمه (رسولا) يزيل عذرهم اذ (يتلوا عليهم آياتنا) الدالة
على ظلمهم اذ الظلم المجهول لصاحبه كالمعدوم في زعمه (وما كنا) بمقتضى عظمتنا المقتضية عظيم
جودنا (مهلكي القرى الا واهلها ظالمون) اذ بدون ذلك يخل بجودنا (و) كيف يخافون على
متابعة الهدى التخطف وغاية ما فيه سلب ما أوتوا (ما أوتيتم من شئ) فانه وان جل (فمتاع الحيوة
الدنيا) الخسيسة الفانية (و) ان زاد على المتاع فهو (زينتها) المناسبة لها الها والله تعالى يعوضكم

بذلك

أين قبلتك أي الى أين
تتوجه وسميت القبلة قبلة
لان المصلي يقابلها وتقابله
(قوله جل وعز قيام) على ثلاثة
معان جمع قائم ومصدر قمت
قياما وقيام الامر وقوامه
ما يقوم به الامر ومنه قوله
جل وعز اموالكم التي جعل
الله لكم قياما أي قواما
(قوله جل وعز قبيلا)
(قوله جل وعز)
وقولا واحدا
قسيسين رؤساء النصارى
واحدهم قسيس وقال بعض

بذلك ماعنده (وماعند الله خير) متاعا وزينة لانه بحسب عظمته (و) لو لم يكن فيه سوى انه
(ابقى) لكفى (أ) تؤثرون الخسيس الفانى على الشريف الباقى (فلا تعقلون) فلو قيل العقل
لا يأمر بترك الحاضر المتيقن للغائب المشكوك يقال ما كان موعودا من عند عظيم قادر فليس
بمشكوك والحاضر اذا كان يعقبه ضرر يترك بلا عوض (أ) يستوى الموعود المحقق الشريف
الباقى الذى لا يعقبه ضرر والحاضر الخسيس الفانى الذى يعقبه أعظم وجوه الضرر (فمن
وعدناه) بمقتضى عظمتنا المقتضية شرف الموعود (وعدا حسنا) لا يعقبه ضرر ووعدنا لا يحتمل
الكذب (فهو لاقيه) لا محالة (كمن متعناه) متاعا ولو طالت مدته كان (متاع) مدة (الحيوة الدنيا)
التى جميع مدتها أقل من ساعة من نهار (ثم) لا يقتصر فى حقه على سلب المتاع بل (هو يوم
القيامة) يكون صاحبه (من المحضرين) فى النار فلو لم يكن له فيها عذاب كفى به زاجرا (و) انما
كان متاعهم سبب احضارهم لنسبتهم اياه الى الشركاء ابتداء واستدامة وتوقعهم منهم دفع
مايعقبه من الضرر ولا يفيدونهم شيأ من ذلك بل يسفهونهم (يوم يناديهم فيقول أين شركائى
الذين كنتم تزعمون) ان لهم هذه الفوائد فيشيرون الى من عبدوهم من الملائكة والصالحين
والشياطين (قال الذين حق عليهم القول) منهم وهم الشياطين اذ منهم الاغواء (ربنا هؤلاء الذين
اغوينا) بايهام هذه الفوائد منا فلا تشكلنا تحصيلها لهم ولا تزدنا عذابا باغوائهم فانا
(أغويناهم) ليعبدونا (كما غوينا) بمحبة الشرك فكان من قلة عقلهم اتباع الغواة فلم يكن لنا
فى ذلك مزيد تأثير ثم انا لم نبق على تلك الدعوى ليستمر علينا عذابها اذ (تبرأنا) اليوم من شركهم
متوجهين (اليك) الى توحيدك ولم يكن شركهم تاما لانهم (ما كانوا ايانا يعبدون) أى لم
يخصصونا بالعبادة بل عبدوا أهوية أنفسهم أيضا فان عذبتنا على شركهم فبقدر شركهم لنا (وقيل)
هذا على زعمهم أن تبرأهم من الشرك يفيدهم بجعلنا من العذاب منه للمشركين بعد ما تبرؤا
عنهم وسفهوهم (ادعوا شركاءكم) ليفصلوا عنكم العذاب الذى كان بمقدار شركهم (فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم) فضلا عن التحمل (ورأوا العذاب) على شركهم الذى لاجله نسبوا متاعهم
اليه لا يندفع الا بالهدى السابق فتمنوا (لو انهم كانوا يهتدون) بدل ذلك المتاع الذى دعاهم الى
الشرك فاى عقل يأمر بايثار هذا المتاع على ذلك المتمنى (و) لا يجدونه امامهم فانه (يوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الداعين الى الهداية (فعميت عليهم الانباء يومئذ) لتعاميهم فى
الدنيا (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عما جرى فضلا عن أن يجيب فاين لهم هذا
المتمنى وهذا وان كان شأن من لم يجب الرسل فى الدنيا فانما هو فى حق المصر (فامامن تاب) عن
ترك الاجابة (و) أجاب ولو بعد مدة بان (آمن و) اكمل اجابته بان (عمل صالحا فعسى أن يكون
من المفلحين) الذين أجابوا من أول الامر فنالوا درجة الصديقية وأمكنهم الجواب الحسن
فى مقام المكالمة الالهية والقرب ومقام الشفاعة لانهم اذا استناروا بهذه الانوار حصل لهم
الاستبصار لشأن الرسل فاستناروا ببعض انوارهم المفيدة لهم ماذكرنا (و) لا يلزم عموم الفلاح
كل مجيب أولا وآخرا كما لا يلزم عموم الاجابة اذ (ربك) الجامع للكل (يخلق ما يشاء و) لا يلزم من

العلما هو فعيل من قسست الشئ وقصصته اذا تتبعته فالقسيس سمى بذلك لتتبعه كتابه وآثار معانيه (قوله جل وعز قرطاس) صحيفة والجمع قراطيس (قوله جل وعز قنوان) أى عذوق واحدها قنو (قوله جل وعز قطعا من الليل) جمع قطعة ومن قرأ قطعا بتسكين الطاء أراد اسم ماقطع تقول قطعت الشئ

ذلك أن يخلق الفلاح فى الفاسق والكافر لانه (يختار) أمر الفرقة وضده الاخرى والفلاح
وضده وان ترتبا على فعل المكلفين باختيارهم (ما كان لهم الخيرة) التى بها الاستقلال من غير
خلق الداعية وتحريك الاعضاء فيهم وكيف يكون الخلق والخيرة لغيره وهو مشاركة (سبحان
الله) أى قد تنزه تنزهه باعتبار ذاته وصفاته وأفعاله عن المشاركة اذ المشاركة توجب المساواة
(و) قد (تعالى عما يشركون و) هو انما يؤاخذهم على هذه الافعال بحسب بواطنهم القبيحة وما
يظهر منهم من القبائح اذ (ربك يعلم ما تكن) اى تخفى (صدورهم) من الاعتقادات والاخلاق
والضمائر (وما يعلنون) من الاقوال والافعال (و) الكل وان كان من الله اذ (هو الله) خالق
الكل لا خالق سواه اذ (لا اله الا هو) لكنه يفعل الاحسان بمن خلقه محسنا والاساءة بمن خلقه
مسيئا وخلقه محسنا ومسيئا بحسب استعداده اذ (له الحمد فى الاولى) فى غاية الاستعدادات
(والآخرة) فى رعاية البواطن والظواهر (و) لا حكم للاستعدادات والبواطن والظواهر
عليه بل (له الحكم) على الكل (و) لو فرض لها الحكم فليس ذلك حكم الغير عليه اذ (اليه
ترجعون) اذ الكل مظاهر باطنه أو ظاهره أو صور علمه فان زعموا ان هذا انما يتم فى الحيوانات
لو كان الفاعل فيما لا ينسب اليها واحدا لكن بعض ما لا ينسب اليها منسوب الى الحركات
السماوية (قل) انما يكون لها الهية لو كان لها منع الله عن فعله وارادته (أرأيتم) أى أخبرونى
هل للكواكب منع الله من ارادته تسكينها بحيث (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى
متصلا (الى يوم القيامة) ليس للكواكب ذلك بل (من اله) مستجمع لصفات الالهية
(غير الله يأتيكم بضياء) من الشمس أو غيرها (أ) تنكرون هذا الدليل عنادا (فلا تسمعون)
فان زعموا ان ذلك لضعف الكواكب عن معارضته (قل أرأيتم) هل للشمس لعظمتها منع
الله عن ارادة تسكينها بحيث (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) ليس للشمس
ذلك بل (من اله غير الله يأتيكم بليل) وان تضمن حكمة مقوية للآتى وهى أنكم (تسكنون
فيه أ) تنكرون هذا مع انه أظهر من الاول (فلا تبصرون و) كيف جعلتم الشمس
والكواكب شركاءه مع انها اسباب رحمته فانه (من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه) فينقطع تعبكم (ولتبتغوا من فضله) فى الليل بالتهجد وفى النهار بالعبادة وطلب العلم
والرزق على النشاط (و) لا يرحم ليشرك به بل (لعلكم تشكرون) فابدلتم الشكر بالشرك
(و) يسأل عن هذا الابدال (يوم يناديهم فيقول أين شركائى) الذين جعلتم شركهم بدلا عن
شكرى لانهم (الذين كنتم تزعمون) انهم المنعمون بالنعم التى تطالبون بشكرها فيحيل
المقلدون منهم على من كان يأتيهم بشواهد من الشبه (ونزعنا) أى أخرجنا (من كل أمة)
من المشركين القائلين بفاعليتها استقلالا والفلاسفة القائلين بتأثير الاسباب السماوية
والارضية والمعتزلة القائلين بفاعلية الحيوانات (شهيدا) كان يأتيهم بشواهد من الشبه
(فقلنا هاتوا) بشبهتكم التى جعلتموها (برهانكم) فيظهر بطلانه (فعلموا ان) التأثير
(الحق لله) لا للاصنام والكواكب والحيوانات (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الادلة

قطعا بفتح القاف فى المصدر
واسم ما قطع فسقط قطع
والجمع اقطاع (قوله جل
وعز قطع متجاورات) أى
قرى متقاربات (قوله
جل وعز قيعة) وقاع بمعنى
واحد وهو المستوى من
الارض ويقال قيعة جمع
قاع (قوله جل وعز وقرن
فى بيوتكن) هو من
الوقار يقال وقر فى منزله
يقر وقرن من القرار فيمن

النقلية عن الانبياء الماضين والاولياء الكاملين وكيف يجعل للاسباب تأثيرمع انه كثيراما ينعكس الامر فيها (ان قارون كان من قوم موسى) وهو سبب الايمان لكنه لم يؤثر (فبغى عليهم) فانعكس الامر (و) أيضا كان سبب الشكر فى حقه سبب كفره اذ (آتيناه من الكنوز) أى من الاموال التى لم يؤد حقها (ما ان مفاتحه) أى مفاتح صناديقه (لتنوء) أى تثقل حتى تميل (بالعصبة) أى الجماعة الكثيرة من الرجال والبغال أربعين أو أكثر (اولى القوة) وكان كفره حين نصحه قومه (اذ قال له قومه لا تفرح) بزخارف الدنيا فرحا يشغلك عن الله والدار الآخرة (ان الله لا يحب الفرحين) هذا الفرح فيبدلك حزنا لا غاية له (وابتغ) أى اطلب لدفع ذلك الحزن وتحصيل الفرح الابدى بالتصرف (فيما آتاك الله) ما يحصل لك (الدار الآخرة) من صرفه فى الخيرات (ولا تنس) بالانهماك فى الدنيا (نصيبك) الذى هو زاد الآخرة المقصود (من الدنيا) وهو العبادة البدنية والمالية (واحسن) عبادة ربك مالية أو بدنية بان تعبده كانك تراه فزد فى تحسينها (كما أحسن الله اليك) فزادك تحسينا دنيويا فهذا شكره الموجب احسانه فى كل مرة (ولا تبغ الفساد فى الارض) بهذا المال الذى جعله سبب صلاحها وأقل ضرره عداوة الله (ان الله لا يحب المفسدين) الذين يصرفون نعمه الى خلاف ما أنعم عليهم من أجله (قال) انما يصح قولكم كما أحسن الله اليك لو كان معطى هذا المال هو الله لكن (انما أوتيته) باستعلائى (على علم عندى) من التجارة والدهقنة أو الكيمياء (أ) كفر اعتمادا على قوته وجمعه (ولم يعلم) مما سمع بالتواتر (أن الله قد أهلك) على انكار عطائه (من قبله من القرون) الكثيرة بحيث صارت سنة له (من هو أشد منه قوة) بالاموال والاتباع (وأكثر جمعا) لهما (و) لا يتوقف اهلاكه على شئ لانه (لا يسئل) فى الدنيا (عن ذنوبهم المجرمون) عند اهلاكهم ليعتذروا عنها فلم يعتبر بهم قارون ولا بنصيحة قومه (فخرج) باغيا (على قومه) مغترا بالنظر (فى زينته) وقد كانت بحيث يغتر بها من رآها ممن ليست له (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) ان يعيشوا الى يوم القيامة بأموال لا تنقطع (يا) أيها المتمنى تعال (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) من الكنوز فانه غاية السعادة (انه لذو حظ عظيم) من السعادة (وقال الذين أوتوا العلم) بالحقائق (ويلكم) من هذا المتمنى فانه تمنى سبب الشقاوة الابدية انما سبب السعادة الحقيقية عبادة الله اذ (ثواب الله) عليها (خير) فى افادة السعادة (لمن آمن وعمل صالحا و) لكن هذه الكلمة (لا يلقاها) بالقبول (الا الصابرون) على ترك زينة الدنيا وعلى عبادة الله تعالى ولم يقدر قارون أن يصبر على ترك مقدار الزكاة القليلة وهو درهم من ألف درهم من زينة الحياة الدنيا ولا على ما ليس له من دعوى الرسالة والحبورة فكان يقول لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى اصبر وموسى يداريه حتى نزلت الزكاة فصالحه على ماذكرنا فاستكثره فبرطل بغية لترميه بنفسها فيفتضح بين بنى اسرائيل ليرفضوه فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى بكرا جلدناه ومحصنا رجمناه فقال قارون ولو

يقول قريقر اراد اقررن فحذف الراء الاولى وحول فتحها الى القاف فلما تحركت القاف سقطت ألف الوصل فبقى قرن (قوله جل وعز قطمير) هو لفافة النواة (قوله جل وعز قطنا) واحد القطوط وهى الكتب بالجوائز

(باب الكاف المفتوحة)

(قوله جل وعز كرة) أى رجعة الى الدنيا (قوله

أنت قال ولو أنا فقال ان فلانة تزعم انك فجرت بها فناشدها موسى عليه السلام بالله الذى فلق البحر وأنزل التوراة الا صدقت فقالت جعل لى قارون جعلا نخر موسى ساجدا فأوحى الله اليه ان مر الارض فقال لها خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم الى عنقه ثم خسف به فقيل انما فعله ليرثه (فخسفنا به وبداره) المشتملة على أمواله (الارض فما كان) مما اعتمد عليه من سببية المال والاتباع سببا لنجاته اذ لم يكن (له من فئة) أى فرقة من اتباعه (ينصرونه من دون الله) أى مجاوزين به من قهره وان كانوا مجاوزين لقهرهم من دونه (وما كان من المنتصرين) بقوة نفسه وماله فلم يكن لهذين السببين من أثر (و) عند بطلان تأثيرهما (اصبح الذين تمنوا) لظن بلوغ تأثيرهما الغاية (مكانه) أى رتبته (بالامس) مع ان هذا الظن يستمر على العقلاء سنين (يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) مركب من ويك بمعنى ويلك وأن بتقدير اعلم ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) من شقى وسعيد (ويقدر) أى يقبض فلا دلالة فى البسط على السعادة ولا فى القبض على الشقاوة بل انما يتوهم ذلك مع ان الامر منعكس (لولا ان من الله علينا) بمنع متمنانا (لخسف بنا) لانا تمنينا ما كان سبب خسفه وليس اعطاء المال الكثير سبب الخسف بل هو مع الكفر (ويكأنه) أى ويلك من الكفر مع كثرة المال اعلم انه (لا يفلح الكافرون) وان اعطوا أعظم اسباب الفلاح وكيف يفلحون باعطاء اسبابه اذا صرفوها فى غير مصرفها طلبا للجاه الدنيوى وان لزمه الفساد العام (تلك الدار الآخرة) لاختصاصها باهل الجاه عند الله المصلحين للعالم (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بطلب الجاه المؤدى بهم الى التكبر على الخلق (ولا فسادا) كيف والدنيا مزرعة الآخرة (والعاقبة) أى عاقبة المزرعة انما تكون (للمتقين) فساد البذر والنبات والارض وانما كانت مزرعة لان (من جاء بالحسنة) فاحسن البذر والنبات والارض (فله خير منها) أى من تلك الحسنة التى زرعها (ومن جاء بالسيئة) المفسدة للزرع (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) التى هى كافساد البذر والنبات او الارض (الا ما كانوا يعملون) من الافساد الاخروى فلو قيل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتقين لحصلت له عاقبة حميدة لكنه لا يزال مذموما بتكذيب الخلائق يقال (ان) هذا الوصف فادام فى بلده لكن (الذى فرض عليك القرآن) أى قدر حين انزل عليك ايها الجامع الكتاب الجامع لما لا يتناهى بقدر ارخاص ليدل على جمعيتك مع اختصاصك بقدارك (لرادك) أى باعثك (الى معاد) أى مكان يعود فيه ما أجمل فيك وفى كتابك الى التفصيل فان أنكروا أن يكون فيك أو فى كتابك ذلك (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) الى مكان قربه فيفيض عليه تلك التفاصيل (ومن هو فى ضلال مبين) فلم يمكنه الاتيان الى مكان قربه فلا يفيض عليه شيأ من تلك التفاصيل (و) عدم رجاء المهتدين الوصول الى ذلك المكان من القرب كعدم رجائك فانك (ما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) الجامع لهذه الامور حتى عند جهدك بالعبادة

(الا)

كافة) أى عامة كقوله ادخلوا فى السلم كافة أى كلكم وقوله جل ذكره وما أرسلناك الا كافة للناس أى تكفهم وتردعهم (قوله جل وعز كدأب آل فرعون) أى كعادتهم ويقال مازال ذلك دأبه ودينه وديدنه أى عادته (قوله جل وعز كفلها زكريا) أى ضمها اليه وحضنها (قوله جل وعز

(الا) أن يكون (رحمة من ربك) فينبغى لاهل الهداية ان لا ينقطع رجاؤهم من الوقوف على بعض تفاصيل الكتاب واذا كان فى دعوتك هذه الفائدة للمهتدين (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) بترك الدعوة فى صدهم عن هذه السبيل (ولا يصدنك) ايهامهم لك عدم الرد الى ذلك المعاد (عن) مقتضى (آيات الله) من الدعوة المفضية الى كشف تلك التفاصيل (بعد اذ أنزلت اليك) فعدم رجائهم الى الرد الى المعاد كعدم رجائك للانزال (و) لا توقف دعوتك على الرد الى المعاد بل (ادع الى ربك) بكل حال كيف (و) ترك الدعوة عن قول المشركين يجعلك كاحدهم (لا تكونن من المشركين) بل اذا أخذت بامرهم مع أمر الله كنت كمن يدعو الها آخر (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه (لا اله الا هو) فلا تمتثل أمر من خالفه مع أمره كيف ولا وجود لشئ من ذاته اذ (كل شئ هالك) أى معدوم فى حد ذاته لا ترى فيه شيأ (الا وجهه) أى الا ما أشرق عليه من نور وجهه من وجوه أسمائه التى توجهت الى حقيقته وظهرت فيه وهو وان ظهر فيه فلا حكم له بل (له الحكم) فكيف يمتثل أمره (و) لو كان له حكم لم يعتد به معه اذ (اليه ترجعون) فافهم والله الموفق والملهم * تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

(سورة العنكبوت)

سميت بها لاشتمالها على قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت الآية المشير الى أن من اعتمد على قوة الآلهة وحفظها عن العذاب كالعنكبوت اعتمدت على قوة بيتها التى لا تحتمل مس ادنى الحشرات والرياح وحفظها عن الحر والبرد وهذا أتم فى الدعوة الى التوحيد الذى هو أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باللطف والقهر (الرحمن) بالتوفيق للايمان (الرحيم) بالتمييز بين الصادقين فيه والكاذبين (الم) أى الابتلاء اللازم المدعى أو الاستكشاف لطف مطلوب أو الاسرار لائحة من المحبة أو الآيات لوامع المكنونات أو غير ذلك مما يناسب المقام (احسب الناس) أى الذين نسوا الأمر الالهى وحكمته وسنته (أن يتركوا) أى أنفسهم متروكة (ان يقولوا) أى لقولهم (آمنا) فلا يؤاخذون بالسيآت (وهم لا يفتنون) باستكشاف ما فى بواطنهم كيف (و) قد جرت السنة الالهية بذلك فانا (لقد فتنا الذين من قبلهم) كيف وقد ظهرت الحكمة فيه (فليعلمن الله) أى ليظهر علمه عند خلقه بصدق ايمان (الذين صدقوا) فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب (وليعلمن) أى وليظهر علمه بكذب دعوى (الكاذبين) لئلا يشهدوا عنده بايمان الكاذبين فينسب فى تعذيبهم الى الظلم وليثق المؤمنون بمحبة الصادقين ويستظهروا بهم او يحذروا عن مكر الكاذبين احسب الكاذبون ان يغلبوا المؤمنين بمكرهم (ام حسب الذين يعملون السيئات) ويرونها حسنات باظهار الايمان (ان يسبقونا) أى

كاظمين الغيظ) أى حابسين الغيظ (قوله جل وعز كأين) وكائن وكئن على وزن كعين وكاع وكع ثلاث لغات بمعنى كم (قوله كلالة) هو ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وقيل هى مصدر من تكلله النسب أى أحاط به ومنه سمى الاكليل لاحاطته بالرأس والاب والابن طرفان للرجل فاذا مات

يغلبونا باشهاد المؤمنين على ايمانهم واعمالهم الصالحة (ساء ما يحكمون) من غلبتهم علينا بالحجة فغاية ما يشهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم لو لم أظهر لهم فاذا أظهرت لهم انتفت تلك الشهادة منهم وان كانوا لاحقين فى الدنيا بايمانهم ويجرون عليهم احكامهم ولو قيل الابتلاء اضرار فلا يليق بالمؤمنين بل ينبغى أن يقتصر على المنافقين لاظهار نفاقهم يقال لا اضرار على المؤمنين فى الحال لانهم يرجون الثواب يوم لقاء ربهم ولا فى الاستقبال لان (من كان يرجو لقاء الله) فانه ينال ثوابه يوم لقائه وان تأخر الى أجله لكن لابد من حلوله (فان أجل الله لآت) وكيف لا يكون له ثواب وقد دعا الله وتضرع اليه (وهو السميع) لدعائه وتضرعه فيثيبه على ذلك وان لم يفعل ذلك كان صابرا وهو (العليم) بصبره الموجب لاجره (و) لو سلم أن الابتلاء بالمصائب اضرار فلا ضرر فى الجهاد الذى يتم الابتلاء به للمؤمنين والمنافقين فان (من جاهد فانما يجاهد) نافعا (لنفسه) بحفظ دينه وأهله وماله وتحصيل غنيمة أو درجة شهيد وكيف يكون اضرارا والحكيم انما يضر بالغير لو انتفع به والله تعالى منزه عن الانتفاع (ان الله لغنى عن العالمين) فيقدر على الدفع عن دينه من غير جهاد (و) من فوائد الجهاد تيسر الايمان والاعمال الصالحة ففوائدهما فوائد الجهاد بل يكمل تلك الفوائد بالجهاد اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مع الجهاد (لنكفرن عنهم سيئاتهم) التى لا تكفر بدونه (ولنجزينهم) فيما قصروا فيه من الاعمال (أحسن الذى كانوا يعملون) أى جزاء أحسن أعماله لانهم ضموا الى الجهاد الاصغر الجهاد الاكبر (و) كيف يترك الجهاد مع الكفار وهم يأمرون بالكفر ولا يجوز امتثال الامر به من الابوين فضلا عن الاجانب مع انا (وصينا) أى أمرنا (الانسان) أمرا مؤكدا أن يحسن (بوالديه حسنا) عظيما يقتضى امتثال أمرهما ولو مشركين ما لم يأمرا بالاثم اذ امتثال أمرهما فى مقابلة أمر الله يشبه الشرك (وان جاهداك لتشرك بى) فانك وان لم تطلع على برهان بطلانه يكفيك انه شرك (ما ليس لك به) أى بشركه (علم فلا تطعهما) وان جاز التكلم بكلمة الكفر اكراها فلا اكراه مع امكان المجاهدة فلو قيل حق الوالدين معلوم الثبوت وبطلان الشرك غير معلوم يقال انه اخطر اذ (الى مرجعكم) لا الى الابوين وليس رجوعا الى من يلتبس عليه بعض الامور (فانبئكم بما كنتم تعملون) من ترجيح حقى أو حق الوالدين (و) لو قيل خطر العقوق كخطر الشرك يقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) وان كان فيهم عقوق الوالدين بمخالفة أمرهما بالاثم (و) كيف لا نأمر بالجهاد واهماله يؤدى الى الارتداد فان (من الناس من يقول آمنا بالله) خوفا من عذاب الله (فاذا أوذى) لدخوله (فى) دين (الله جعل فتنة الناس) أى اذاهم (كعذاب الله) بحيث لا يرجح الخوف منه على الخوف من الفتنة عندهم بل قد رجحوا الثانى فاظهروا الكفر (و) لكن لا يستمرون على ترجيحه بل (لئن جاء) المؤمنين (نصر من ربك ليقولن) انما أظهرنا الكفر خوفا وفى الواقع (انا كنا معكم) كما يقولون للكافرين عند

غلبتهم

ولم يخلفهما تقدمات عن ذهاب طرفيه فهى ذهاب الطرفين كلالة وكأنها اسم للمصيبة فى تكلل النسب مأخوذ منه بجرى مجرى الشجاعة والسماحة واختصاره ان الكلالة من تكلله النسب أى أطاف به والولد والوالد خارجان من ذلك لانهما طرفان للرجل (قوله جل اسمه كاد تزيغ قلوب فريق منهم)

غلبتم انما أظهرنا الاسلام خوفا من المسلمين انا كنا معكم ولا يقصدون بذلك التلبيس على الخلق فقط بل على الله أيضا (أ) يقصدون التلبيس على الله (و) يعتقدون أن (ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين و) هذا القصد منهم يقتضي الامر بالجهاد ليظهر أنه (وليعلمن الله الذين آمنوا) فثبتوا على الايمان عند انكسار المؤمنين (وليعلمن المنافقين) بالتغيير عند ذلك (وقال الذين كفروا) بانكار عذاب الله (للذين آمنوا) لم تحملون أذى الناس (اتبعوا سبيلنا و) ان خفتم عذاب الله (لنحمل خطاياكم) بطريق الالتزام (و) انما قالوا ذلك من انكار كونها خطايا والا (ماهم بحاملين من خطاياهم من شئ) أدنى فضلا عن خطيئة الكفر ولو تحقق ذلك عندهم (انهم لكاذبون) فلا يوفون به (و) لكن يحملون كالموفين (ليحملن أثقالهم) أي أثقال معاصيهم التي يعجزون عن حملها (وأثقالا) من اضلالهم وتحملهم (مع أثقالهم) لا بطريق التعاقب لعدم انقطاعها (و) لا يسقط بذلك أثقال المحمول عنهم بل (ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) على الله من نسبة الشريك والولد وكفى بالسؤال عن ذلك ثقلا (و) لو منع التحمل من مؤاخذة المحمول عنه لم يؤاخذ المتأخرون من قوم نوح مع تحمل أوائلهم وتعذيبهم مدة مديدة يمكن جعل بعضها من جهة التحمل فانا (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فلم يمنع تعذيب من مات من المتحملين منهم حين مؤاخذة المحمول عنهم (فأخذهم الطوفان و) لم يكن من البليات العامة اذ (هم ظالمون) ولذلك تميز عنهم من لم يكن ظالما (فأنجيناه وأصحاب السفينة) لا لركوبهم السفينة المحسوسة فقط بل لركوبهم سفن النجاة من الايمان والاعمال الصالحة (و) لكن (جعلناها آية) على السفينة العقلية المنجية (للعالمين و) السفينة المعنوية تنجي بذاتها والحسية بالارواح الملكية والا فهي مجرد صورة لا تؤثر كصور الاصنام فاذكر اذ لك انا أرسلنا (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله) لتكون عبادتكم اياه سفينة معنوية (واتقوه) ليصير وقاية عن غرقها (ذلكم خير لكم) من سائر السفن والوقايات علمتم ذلك (ان كنتم تعلمون) الحقائق لكن لا تعلمونها ولذلك (انما تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستقل بالاثر بدون الاعلى (أوثانا) أي صورا لا تصلح للسببية فضلا عن الفاعلية (وتخلقون افكا) أي تخترعون كذبا انها تستقل بالتأثير حتى انها هي التي ترزق (ان الذين تعبدون من دون الله) لابتغاء الرزق منهم مع ان ابتغاءه لو صح من الدون لم يستحق العبادة (لا يملكون لكم رزقا) لانكم اعلى منهم (فابتغوا عند الله) الجامع للكمالات التي ظهر بعضها فيكم (الرزق) الذي به بقاء تلك الكمالات فيكم (و) لو طلبتم من دونه الرزق فلا تعبدوه بل (اعبدوه و) لا تعتقدوا استقلالها باعطاء الرزق بل (اشكروا له) على ان جعل لكم من طلبتم منهم الرزق سبب ذلك (و) كيف تتركون شكره مع انكم في الانتفاع بذلك الرزق (اليه ترجعون وان تكذبوا) بالرجوع اليه في تمام الانتفاع بالرزق وأحالوا ذلك على القوى الباطنة والطبائع الخارجة (فقد

يقال كاد يفعل ولا يقال كاد أن يفعل ومعنى كاد اي هم ولم يفعل وتزويج تحمل (قوله جل وعز كيل بعير) أي حمل جمل (قوله كظيم) حابس حزنه فلا يشكوه (قوله كل على مولاه) أي ثقيل على وليه وقرابته (قوله كأس) هو اناء بما فيه من الشراب (قوله كهف) هو غار في الجبل (قوله جل وعز كمثله شئ)

كذب أمم من قبلكم) فاهلكوا فهذا سبب هلاككم (و) لكن ليس على الرسول اهلاككم اذ (ماعلى الرسول الا البلاغ) تبليغ الدلائل (المبين) الكاشف للشبه (أ) يشكرون الرجوع اليه فى تمام الانتفاع بالرزق (ولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) أى خلق اجزاء الانسان قابلة للتحلل فتحلل منها ماتحلل (ثم يعيده) بالغذاء ولا يتسبب هذا الى القوى الضعيفة بل الى الله (ان ذلك على الله يسير) فان انكروا ذلك فى اجزاء البدن (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) قابلا للفناء فيفنيه (ثم الله) دون قوى العالم (ينشئ النشأة الآخرة) لتلك الاشياء فهكذا أمر الغذاء الباطن (ان الله على كل شئ قدير) وكيف يترك شكر الله فى الانتفاع بالرزق مع انه (يعذب من يشاء) بالغذاء بافضائه الى الامراض (ويرحم من يشاء) فيجعله سببا لتقويته وشفائه (واليه تقلبون) فيرجى رحمته ويخاف عذابه اذ لامانع منه كيف وأعظم الموانع تصرف الانسان الكامل المتصرف فى العالم الحسى والعقلى (و) لكن (ما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) لابانفسكم (و) لابمعبوديكم اذ (مالكم من دون الله من ولى) يلى أمركم استقلالا (ولا نصير) يدفع عنكم مزاحمته (و) العذاب والرحمة وان كانا بالمشيئة فلا تخالف الحكمة المقتضية نزع الرحمة من الكافرين اذ (الذين كفروا بآيات الله) الدالة على ان الرزق منه ابتداء وانتهاء (ولقائه) الذى فيه الجزاء على الشكر والكفران (أولئك يئسوا من رحمتى) فكيف أشاء رحمتهم (و) لا اقتصر عليهم بمنع الرحمة بل (أولئك لهم عذاب اليم) فقصد قوم ابراهيم لياسهم عن رحمة الله وعدم مبالاتهم بعذابه تعجيز الله بافناء رسله ليعجز عن ارسال أوامره ونواهيه وزواجره التى يترتب عليها تعذيبه فيعجز عن التعذيب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا) بعضهم لبعض (اقتلوه أو حرقوه) ليعذب قبل أن نعذب (فانجاه الله من النار) دفعا لتعجيزهم واقامة للدلائل على امره (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) على ان المعذب بالنار هو الله بطريق الاختيار وعلى ابطال اليأس من رحمة الله وعلى انجاء المؤمنين من نار جهنم وتبريدها عليهم وعلى انه لو كان للاصنام قرب من الله لاحرقه من أجلها وعلى انهم لو كانوا آلهة لمنعوا الله من تبريد النار وعلى صدق ابراهيم (وقال) كيف تعجزون الله وغاية ماتتقوون به آلهتكم وليست بآلهة (انما اتخذتم) لتقويتكم (من دون الله) لتعجيزه (اوثانا) أى صور الأرواح الها وانما تعلق بها الشياطين وهى وان افادتكم قوة فمادامت بينكم المودة لكن (مودة بينكم) أى المحبة الواصلة بينكم بحيث يتقوى بها بعضكم ببعض منحصرة (فى الحيوة الدنيا ثم) تنقطع وتنقلب عداوة (يوم القيامة) الذى ترجون فيها نصرهم وشفاعتهم اذ (يكفر بعضكم ببعض) دفعا لنسبة الشرك الى نفسه فهذا هو الانقطاع (و يلعن بعضكم بعضا) وهذا هو الانقلاب كيف (ومأواكم) بتلك المودة (النار) التى لاضرر أشد منها (و) لاشئ يدفعها أو يخففها لانه (مالكم من ناصرين) فكفروا به وتركوا نصره مع مبالغته فى اتيان

مايستحق

أى كهو والعرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلى لا يقال له هذا أى أنا لا يقال لى هذا (قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يفعلون عند ذلك والعرب يكتفى بكيف من ذكر الفعل معها لكثرة دورها (قوله (كبر مقتا) عظم بغضا (قوله جل وعز كثيبا مهيلا) أى رملا سائلا لا يقال لكل

مايستحق الايمان به والنصر من الدلائل (فآمن) ناصرا (له لوط) ابن أخيه هاران
(وقال) لا اتحمل سماع لعنهم واذيتهم واخاف الرجوع الى مودتهم المفضية الى النار
(انى مهاجر الى) مكان يتيسر فيه عبادة (ربى) ولا أخاف فيه اذية نفسى لانى مهاجر
منها الى الغالب عليها (انه هو العزيز) أى الغالب على الكل لكن قد لا يظهر الغلبة على
بعض الناس بمقتضى الحكمة لانه (الحكيم) فخرج من كوثى من سواد الكوفة مع امرأته
سارة بنت عمه ومع لوط الى حران ثم الى فلسطين ونزل لوط بسدوم (ووهبنا له) أى لنصره
(اسحق ويعقوب و) ادمنا نصره فى ذريته اذ (جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) التوراة
والانجيل والزبور والفرقان (و) من نصرنا اياه على نفسه انه (آتيناه أجره فى الدنيا)
وهو التلذذ بعبادة الله (و) يبقى له فى الآخرة (انه فى الآخرة) بعد انقطاع النبوة التشريعية
بانقطاع التكليف (لمن الصالحين) بولاية الانبياء التى هى افضل من نبوتهم وان كانت
نبوتهم أفضل من ولاية الاولياء فهذا نصر له من الله على قومه فى الدارين (و) قد نصرنا من
نصره (لوطا اذ قال لقومه أئنكم) بتأكيد الاستفهام الانكارى (لتأتون الفاحشة) أى
الفعلة البالغة فى القبح اقدمتم عليها من غاية خبثكم (ماسبقكم بها من أحد من العالمين)
لتحاشى الطباع عنها ثم فصلها بعد الاجمال ليكون أوقع فى النفس بقوله (أئنكم لتأتون
الرجال) المخلوقين للفاعلية فتغيرون خلق الله (وتقطعون السبيل) أى سبيل النسل الذى
وضع له الجماع (و) لا تبالون بقبحها أصلا اذ (تأتون فى ناديكم) أى مجلسكم الجماع
(المنكر) والناس يستحيون من الجماع المعروف فيه فبالغوا فى انكار قبح شئ من ذلك
(فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى انها فواحش
قبيحة (قال رب انصرنى) باظهار فحشها بالعذاب (على القوم المفسدين) الذين يفسدون
كل برهان عقلى ونقلى وكل حكمة الهية (و) لما كان نصره لنصره ابراهيم بشر به ابراهيم
فى ضمن ما بشر بانصاره من أولاده فانه (لما جاءت رسلنا) الذين بعثناهم لنصر لوط بمقتضى
دعوته (ابراهيم بالبشرى) بولده الناصر له (قالوا) تبشيرا له بنصر من نصره باهلاك
اعدائه (انا مهلكوا أهل هذه القرية) سدوم واهلاكهم مما يبشر به (ان أهلها كانوا
ظالمين) بتنزيلهم الرجال منزلة النساء وقطع النسل (قال) انما تتم البشرى لو استثنى لوط
(ان فيها لوطا) والعذاب الدنيوى يعم البر والفاجر (قالوا نحن اعلم بمن فيها) من المنصور
والمنصور عليه ونصر المنصور انما يتم بانجائه وانجاء من يتعلق به (لننجينه وأهله) تحقيقا
لنصره المقصود من اهلاكهم (الا امرأته) اذ (كانت من الغابرين) أى الباقين فى طلب
النصر عليهم (ولما) تصورت الرسل بصور رجال امارد أولى جمال لما (أن جاءت رسلنا
لوطا) بما يغضب به على قومه ليكون اهلاكهم اسرله فيكون اتم فى النصر (سئ بهم) أى
جاءته المساءة بسببهم مخافة ان يقصدوهم (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بسببهم طاقة كقصير
الذراع لا ينال ما يناله طويل الذراع اذ لا يجد حيلة فى دفع قومه عن ضيفه (وقالوا لا تخف)

ما أرسلته من يديك من
رمل أو تراب أو نحو ذلك
قد هلته/ يعنى ان الجبال
فتتت من زلزلتها حتى
صارت كالرمل المدرى
(قوله جل وعز كواعب)
أى نساء قد كعب ثديهن
(قوله جل وعز كالوهم)
أى كالوالهم (قوله جل
وعز كادح) أى عامل (قوله
جل وعز كبد) أى شدة

لحوقهم بنا وبك ولا حزبك (ولا تحزن) أى لا تغتم من لحوق عذابهم بك أو بأهلك (انا منجوك وأهلك) من عذابهم (الا امرأتك) فانك وان أخرجتها من القرية مع أهلك (كانت) فى الحكم (من الغابرين) أى الباقين فيها او بعدما أمنوه من عذابهم فصلوا له عذابهم فقالوا (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا لا يوجد جنسه فى الارض وهو (من السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن مقتضى حكمة خالقها (و) لكونه لا نظير له (لقد تركنا منها) أى من حجارتها (آية بينة) اسامى من أهلكت بها مكتوبة عليها ليكون نافعا (لقوم يعقلون) فيقيسون احوالهم على احوال أولئك فيحترزوا عن الفواحش التى تردها العقول (و) جعلنا الزجرهم نظيرا مؤثرا هو رجفة أهل مدين على فسقهم الذى دون فسق قوم لوط فانا ارسلنا (الى) أهل (مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله) بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه (وارجوا) اى اعتقدوا اعتقادا راجحا (اليوم الآخر) ليكون داعيا الى العبادة لرجاء ثوابه وخوف عقابه (و) انما يتقوى هذا الرجا بترك الافساد فى الامر الدنيوى (لا تعثوا) أى لا تفسدوا أمور الناس المجتمعين (فى الارض مفسدين) أمر التمدن وهو المعاونة من بنى النوع لاستكمال أمر المعاش والمعاد (فكذبوه) ليفسقوا عن أوامره ونواهيه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التى هى منشأ الزلزلة الشديدة من جبريل عليه السلام فى مقابلة زجر قوم لوط (فأصبحوا فى دارهم) التى بنوها لمعاشهم (جاثمين) أى ميتين خارجين عن اعتدالهم كما خرجوا عن أوامره ونواهيه وأخرج عنهم أرواحهم كما اخرجوا أرواح الانسانية عنهم (و) لو قيل انما اثرت الرجفة فيهم لعدم تحصنهم ببناء متين يقال قد أهلكنا أيضا (عادا وثمود وقد تبين لكم) تحصنهم (من مساكنهم و) لكن لم يتحصنوا فى الامور الاخروية باحكام أعمالهم اذ (زين لهم الشيطان أعمالهم) فخيل لهم انهم متحصنون بها فى الامور الاخروية (فصدهم عن السبيل) الموصلة اليها (و) لكن لم يصر هذا الصد مانعا من الاستبصار بل (كانوا) مع هذا الصد (مستبصرين) يمكنهم طلب البصيرة اذ لم يصيروا مجانين (و) لو قيل انما أخذوا لضعفهم الذى تحصنوا من أجله بمساكنهم يقال قد أخذنا (قارون) مع كمال قوته بالاموال (وفرعون) مع كمال قوته بالعسكر (وهامان) مع كمال قوته فى التدبير الدنيوى (و) لم يكن مؤاخذتهم لكن لهم تلك القوة بل (لقد جاءهم موسى) المتقوى (بالبينات) فقابلوا قوته بقوة مالهم وعسكرهم وتدبيرهم (فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) على الآيات البينات حتى أرادوا السبق عليها (و) لكن (ما كانوا سابقين) بل أدركناهم (فكلا أخذنا) بعذاب يليق (بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفا فيه حصباء كعاد لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم مع تجبرهم فى البطش (ومنهم من أخذته الصيحة) كثمود فى مقابلة صياح الناقة عند عقرها (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون لانه لما منع حق الاموال كان كالدافن لها (ومنهم من أغرقنا) كفرعون وهامان اغرقهما فى الكفر بسلب الربوبية عن الله تعالى

واثباتها

ومكابدة لامور الدنيا والآخرة (قوله كنود) أى كفور يقال كند النعمة اذا كفرها وجحدها (قوله جل وعز كلا) أى ليس الامر كما ظننت وهو ردع وزجر (قوله كيدهم) أى مكرهم وحيلتهم (قوله جل وعز الكوثر) هو نهر فى الجنة وكوثر فوعل من الكثرة

واتباعه الفرعون (و) انما أخذ كلا بذنبه لانه (ما كان الله ليظلمهم) بالمؤاخذة بما لا يناسب ذنوبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتعذيبها بالذنوب التي تستلزم ذلك العذاب ولو قيل انما أخذ الاولون لاعتمادهم على قوة مساكنهم أو أموالهم أو عسكرهم أو تدبيرهم ونحن نعتمد على قوة آلهتنا يقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله) المحيط بالكل (أولياء) ولا نسبة للدون اليه وان بلغ ما بلغ الانسبة لاشئ الى مالا يتناهى فظنوا ان قوة أوليائهم محيطة بالكل (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) تعتمد على قوته وتظنه محيطا بها دافعا عنها الحر والبرد (وان أوهن البيوت) أى أضعفها (لبيت العنكبوت) لا يحتمل مس أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ولا يدفع شيأ من الحر والبرد وهذا مثلهم (لو كانوا يعلمون) حال أوليائهم وكيف يكون أولياؤهم محيطين بالله مع ان الله محيط بهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه) فيحيط بهم لكونهم دونه وكيف لا يعلمه وهو (من شئ) وكل شئ معلوم له وكيف يبلغون قوته (وهو العزيز) أى الغالب بقوته على الكل فوق غلبة أحدنا على بيت العنكبوت وله من غلبة التدبير ماليس لغيره لانه (الحكيم و) ليست هذه الامثال لبيان نسبة قوتهم الى قوة الله تعالى بل (تلك الامثال نضربها للناس) أى لتفهيم من نسى الامور المعقولة نذكرهم اياها بتشبيهها بالمحسوسة (و) مع هذه المبالغة فى التفهيم (ما يعقلها) أى لا يفهمها (الا العالمون) بمناسبة المحسوس بالمعقول وكيف يكون لقوة أوليائهم نسبة الى قوة الله مع انه (خلق الله) بقوته (السموات والارض) فالقوة التى فيهما مقصورة قوته الازلية لانه خالقهما (بالحق) أى بظهور نور وجوده وصفاته فيهما ليستدل بما فيهما عليه (ان فى ذلك) الظهور (لآية) تدل على الظاهر وصفاته مفيدة (للمؤمنين) بانهما من خلقه لا للقائلين بقدمهما والآيات وان كثرت فى السموات والارض فلا تعرف بكمالها الا بالبيان الالهى فلا يفهمه الا العلماء ولا يتم لهم فهمه الا تفهيم أكمل الرسل ومع ذلك يحتاجون الى مزيد التزكية لذلك قيل (اتل) يا أكمل الرسل (ما أوحى اليك) بحسب كمالك (من الكتاب) الجامع لآيات السموات والارض والامثال والاعتقادات والاحكام (وأقم الصلوة) لتزكية النفس المفيدة للمكاشفة عنها (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أى القبائح الحاجبة عن الحقائق (والمنكر) الحاجب عن الله وأسرار كتابه لانها مقام مناجاة الله الجاذبة اليه المغلبة محبته المانعة عن عصيانه عليه (ولذكر الله) فيها (اكبر) تأثيرا فى التزكية والنهى لانه يذكر الصفات اللطفية فيوجب الحياء من العصيان أو القهرية فيوجب الخوف عنها (و) لو تخلف ذلك فيصنعكم الذى تسيؤن به أدب الحضرة (الله يعلم ما تصنعون و) لو أنكر أهل الكتاب كون كتابكم وحيا أو كونه جامعا للماذكر (لا تجادلوا) فى بيان جمعيته ووحيه (اهل الكتاب) المطلعين على البراهين (الا بالتى هى أحسن) أى بطريق البراهين القطعية (الا الذين ظلموا منهم) فاختاروا طريقة الجدل فردوهم بتلك الطريقة

* (باب الكاف المضمومة) * (قوله جل وعز كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد (قوله تعالى كره) وكره لغتان ويقال الكره بالضم المشقة والكره هو الاكراه وفى ان الكره ما حل الانسان نفسه عليه والكره ما اكره عليه (قوله عز اسمه كفران) هو جحود النعمة (قوله

(و) لو اعترضوا باختلاف حكمى الكتابين (قولوا) لا تناقض بينهما اذ ذلك (آمنا بالذى أنزل
الينا) فجعلناه مخصوصا بزماننا (وانزل اليكم) فجعلناه مخصوصا بذلك الزمان (و) هما
فى رعاية مصالح الزمانين واحد كما انه (الهنا والهكم واحد ونحن) بالايمان بهما (له)
لا لأهويتنا (مسلمون) أى منقادون وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من
دون الله (و) كيف يترك الايمان بهذا الكتاب مع انه كما وعدناهم انزال كتاب ناسخ لكتابهم
(كذلك أنزلنا) يا نبى الرحمة (اليك الكتاب) ناسخا الاحكام كانت عليهم لظلمهم (فالذين
آتيناهم الكتاب) فعرفوا هذا الوعد وهذا السر فى النسخ (يؤمنون به) لموافقته ما وعدوا
فيه وكونه على وفق الحكمة (ومن هؤلاء) أى من العرب (من يؤمن به) وان لم يطلع
على ذلك الوعد والحكمة لاطلاعه على اعجازه من كثرة علومه فى ألفاظ يسيرة متناهية فى
البلاغة ووجوه المحاسن غايتها بل مجاوزة نهايتها مع مخالفتها الاساليب نظمهم ونثرهم وغير ذلك
مما مر (و) اعجازه كاف فى ايجاب الايمان وان لم يجر به وعد ولم يوافق تلك الحكمة لكن
(ما يجحد بآياتنا الا الكافرون) بالله المختص بكمال القدرة على ايجاد المعجزات (و) ليس
اعجازه من احاطتك بكتب الاولين وهم لم يحيطوا بها لانك (ما كنت تتلوا من قبله من كتاب)
فضلا عن الجميع كيف (و) هو ملازم للخط عادة وكنت (لا تخطه بيمينك) التى الخط بها
أيسر من الخط بالشمال ولو كنت تاليا لكتبهم أو خاطا بيمينك لم يكن للريب مع الاعجاز وجه
لكنه (اذا لارتاب المبطلون) المنكرون لدلالة الاعجاز على الصدق مع علمهم أن من أحاط
بكتب الاولين لا يتصور منه الاتيان بالكتاب المعجز كيف وليس اعجازه باعتبار جمعه لما فى
كتبهم (بل هو آيات بينات) ظهر اعجازها (فى صدور الذين أوتوا العلم) اذ رأوه جامعا لما
فى كتب الاولين مع زيادات غير متناهية فى ألفاظ يسيرة فعجزوا عن مثلها (و) ليس
انكارهم لاعجاز مع عجزهم عنه بما فى صدورهم منه الا من افراط ظلمهم (وما يجحد بآياتنا الا
الظالمون) بدعوى القدرة فى مكان العجز التام (و) من افراط ظلمهم انهم (قالوا) مع
كثرة آياته وكونها أجل من آيات الاولين فبراقه الذى دل عليه أخباره من أحوال بيت المقدس
من غير أن يسافر اليه أجل من ناقة صالح وانطاقه الحصا بالتسبيح أجل من عصا موسى واحياء
عيسى وابرائه وتكثيره الطعام أجل من مائدة عيسى (لولا أنزل عليه آيات) من آيات
الاولين المتفق على كونها (من ربه قل انما الآيات عند الله) يقسمها بين أنبيائه قسمة
الارزاق فيخص كل نبى بآية لا يعطيها غيره لئلا يقال انها سحر متوارث (و) ليس لى ان آخذ
شيأ منها بقوة نبوتى بل (انما أنا نذير مبين) أبين بتلك القوة ما لا يبينه غيرى (أ) يطلبون
الآية على صدق انذارك مع وضوحه بنفسه (ولم يكفهم) فى باب الآية على انذارك (انا
انزلنا) من مقام عظمتنا الباطنة والظاهرة (عليك) أيها الجامع لاسرار الحق والخلق
(الكتاب) الجامع لاسرارهما (يتلى عليهم) فيحصل لهم فى كل مرة علم جديد الى ما لا يتناهى
وليس ذلك من باب التلبيس (ان فى ذلك لرحمة) بافادة علوم ليست فى طوق البشر الاسيما لاهل

(كبوا) أصله كببوا
تعالى كبكبوا أصله كببوا
أى ألقوا على رؤسهم
فى جهنم من قولك كببت
الاناء اذا قلبته (كفار)
جمع كافر (قوله جل وعز
يعنى
أعجب الكفار نباته)
الزراع وانما قيل للزراع
كفار لانه اذا ألقى البذر
فى الارض كفره أى غطاه
(قوله جل وعز كبتوا) أى
أهلكوا (قوله عز وجل

بها

بها (وذكرى) لعلوم مركوزة فى قلب الانسان نافعة (لقوم يؤمنون) فيعتقدون كماله
فيتأملون فيه فيجدونه فان أنكروا رسالتك مع هذا المعجز لقصد ما اقترحوه من الآيات (قل)
لاوجه لاقتراحهما بعد قطع النزاع من جهة الله من حيث شهادته فى كلامه المعجز فانه (كفى
بالله) قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) بكونه (شهيدا) بطريق التصريح فى هذا الكتاب
الذى اعجازه فى شهادة صدقى وقد أقام على نبوتى فيه دلائل يعلم انها من الذى (يعلم ما فى
السموات والارض) من الدلائل ورفع الشبه (و) لكن يحجب عنها من كان مشركا اذ
(الذين آمنوا بالباطل) فاعتقدوا أنه شريك الحق (وكفروا بالله) باعتقاد الشرك فى الهيته
(اولئك) وان كوشفوا بامور من جهة الشياطين (هم الخاسرون) الكشف الالهى الذى
ظهر به فى كتابه (و) لخسرهم الكشف الالهى المطلع على الامور الاخروية (يستعجلونك
بالعذاب) استهزاء به والمطلع عليه لا يتصور منه الاستهزاء به (ولولا أجل مسمى) أى مقدر
لتكثير معاصيهم المقتضى شدته (لجاءهم العذاب) لان الاستهزاء به يقتضى مزيد الغضب
الالهى المقتضى لسرعته (و) هو وان كان بأجل مسمى (ليأتينهم بغتة) أى فجأة لعدم
اطلاعهم على ذلك الاجل (و) لا يتقدم لهم علاماته ليتوبوا قبل اتيانه بل يأتيهم و (هم
لا يشعرون) به أصلا (و) لا يبالون بفجأته وعدم شعورهم به بل (يستعجلونك بالعذاب)
كأنهم كوشفوا بعدمه وهم وان لم يتقدم لهم علاماته اجتمعت فيهم أسبابه بحيث يصح أن
يقال فيهم مجازا (وان جهنم لمحيطة) الآن (بالكافرين) احاطتها (يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ومن جميع الجوانب التى أتاهم ابليس منها بطريق الاولى
(ويقول) تكميلا للاحاطة بالظاهر والباطن (ذوقوا ما كنتم تعملون) عند تصوره
صورا مؤلمة لا تفارق المعذب أصلا (يا عبادى) الذين اختصوا بى لانهم (الذين آمنوا) لا وجه
لمساكنتكم لأعدائى الذين أحاطت بهم جهنم (ان أرضى واسعة) وكيف تساكنونهم
وهم يمنعونكم من تخصيصكم اياى بالعبادة (فاياى فاعبدون) بالخروج الى أرض تتسع
لتخصيصى بالعبادة ولا تخافوا الموت فى الخروج اليها اذ (كل نفس ذائقة الموت) وهو داع
الى تخصيص الله بالعبادة لانكم تموتون (ثم الينا ترجعون) لا الى الشركاء (و) لا ينبغى
أن تلتفتوا الى فوات مساكنكم بالخروج اذ تيسر به الجمع بين الايمان والاعمال الصالحة اذ
(الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) عالية بدل تلك
المساكن ولا يفوتهم بذلك الانتفاع بأنهارها اذ (تجرى من تحتها الانهار) وكيف لا يصلح هذا
عوضا عما فاتهم من المساكن الفانية مع انهم يبقون (خالدين فيها) واذا كان هذا أجر
الخروج من مساكنهم فأين أجر أعمالهم الميسرة بالخروج (نعم أجر العاملين) وانما كان لهم
فى الخروج هذا الاجر لانهم (الذين صبروا) عن المساكن والاهل والاموال فاستحقوا
الاجر بغير حساب (وعلى ربهم يتوكلون) فى أمر الرزق عند الخروج من أموالهم (و) من
عسر عليه التوكل فليعلم انه دابة من جهة الاكل (وكأين) أى كم (من دابة لا تحمل رزقها)

كارا) أى كبيرا (قوله جل
وعز الكبر) جمع كبرى
(قوله جل وعز كورت)
أى ذهب ضوءها ويقال
كورت أى لفت كما تلف
العمامة (قوله كشطت) أى
نزعت فطويت كما يكشط
الغطاء عن الشىء كما يقال
قشطت تقول كشط الجلد
وقشطه بمعنى واحد اذا

لضعفها ولاتدخرشيألغد (الله يرزقها) لاأربابهالوكان لهاأرباب (واياكم) لاماتسببتم
(و) كيف لايرزقكم اذاتوكلتم عليه مع انه (هو السميع) لمافى قلوبكم من التوكل عليه ولو
لم تتوكلوا فلا يترك رزقكم أيضا لانه (العليم) بفضلكم على سائرمايرزق من الدواب (و) كيف
لايختص بالرزق من هوخالقه وخالق جميع أسبابه وأصوله بلاخلاف لانك (لئن سألتهم من
خلق السموات) التى منها الامطار (والارض) التى منها النبات (وسخرالشمس) التى
منها النضج (والقمر) الذى منه الانماء (ليقولن الله) ومع اعترافهم بذلك يطلبون الرزق
من غيره (فانى يؤفكون) أى يصرفون منه الى الغير ولوقيل ان تكثيره وتقليله بيد غيره
يقال (الله يبسط الرزق لمن يشاء) من مباشرى الاسباب وغيرهم فلا ينظر اليها بل الى كونه (من
عباده ويقدرله) ليعلم انه محض فعله لاأثر فيه لغيره ومع ذلك لا يفعل على سبيل التحكم بل
بمقتضى الحكمة (ان الله بكل شئ عليم و) كيف ينسبون بسط الرزق الى غيره وهو من كثرة
الزراعة وهى من انزال الماء واحياء الارض مع انك (لئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا
به الارض) باخراج النبات (من بعد موتها) باليبس (ليقولن الله قل الحمد لله) أى جميع
المحامد لله اذ بيده أصل الرزق وبسطه (بل أكثرهم لايعقلون) أى لايعرفون استعمال
الدلائل النقلية فينسبون بسط الرزق الى غيره على ان الغير انما بسط عليك اذا شرح الله
صدره لبسطه عليك فهو الباسط عليك بالحقيقة (و) لومنع الله طالب الرزق منه لاعطاه بدل
ماليس بشئ ماهو أجل الاشياء فانه (ماهذه الحيوة الدنيا الالهو) أى اشتغال بغيرالله
وكفى به خسة (و) مايشغل عنه فهو لدناءته بمنزلة ماهو (لعب) أى شئ يلعب به الصبيان (وان
الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة الحقيقية التى لايطرأ عليها الموت ولامايشبهه من
الاحزان والآلام فيرضون بهذا البدل (لو كانوا يعلمون) الحقائق ثم انهم انما يطلبون الرزق
من غيرالله اذا كانوا فى البر (فاذا ركبوا) لطلبه (فى الفلك) المخطر (دعوا الله مخلصين له
الدين) لعلمهم انه لاينجيهم من الغرق سواه (فلما نجاهم) عن ذلك الخطر بان جاءبهم (الى البر
اذاهم يشركون) أى فاجؤا المعاودة الى الشرك لالفائدة تحصل لهم فيه بل (ليكفروا بما
آتيناهم) من نعمة النجاة وربح التجارة (وليتمتعوا) باهواء النفس عن ترك عبادة الله
ومنع حقوقه (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وتمتعهم (أ) يطلبون النجاة فى البحر منادون
البر (ولم يروا أنا) المنجون فى البر ايضا (جعلنا حرما آمنا) ينجى من التخطف (ويتخطف) أى
يختلس (الناس من حولهم أ) يتوهمون ان رزقهم من آلهتهم وان كان الامن من الله
(فبالباطل يؤمنون وبنعمة الله) أى بسط الرزق (يكفرون و) ان زعموا ان الله فوض
الرزق الى الآلهة يقال (من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو) قالوا ان الله لايستقل بهذه
الاشياء بدون استعانة الآلهة يقال من أظلم ممن (كذب بالحق لما جاءه) وان لم يكونا أظلم فلا
أقل من الكفر المخلد فى النار (أليس فى جهنم مثوى) أى موضع اقامة (للكافرين و) ان
زعموا انهم كوشفوا لهم ذلك عن المجاهدة يقال انما وقعوا فى ذلك لانهم لم يجاهدوا فينا اذ (الذين

جاهدوا

نزعته (قوله كفؤا أحد)
مثلا.
(باب الكاف المكسورة)
(قوله عزوجل كفل منها)
أى نصيب منها وكفلين
أى نصيبين من رحمته
(قوله جل وعز كيدون)
أى احتالوا فى امرى (قوله
جل وعز كدنا ليوسف)
أى ضمنا كدناله اخوته

جاهدوا فينا) أى فى طلب معارفنا (لنهدينهم سبلنا) الموصلة الى معارفنا (و) لايخطؤن فى الكشف لاحسانهم (ان الله لمع المحسنين) أى الناظرين اليه فانه لايفارقهم حتى يكون لهم ظلمة بخلاف من نظر الى غيره فانه يكون حجاباله عنا فيقع فى ظلمة الخيال فافهم والله الموفق والملهم * تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الروم)

سميت بها لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما بعد ترح يسير فتبطل شماتة أعدائهم وتدل على ان عاقبة الامر لهم وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) الجامع بين اللطف والقهر (الرحمن) بتعميم اللطف فى الجملة (الرحيم) بتعظيم اللطف للمؤمنين (الم) أى انا الله المحيط علما أو والله لطفه محيط أو اختلط اللطف بالمحن أو الاعتبار فى اللطف بالمنتهى أو غير ذلك مما يناسب المقام (غلبت الروم) أى غلبت فارس عبدة النيران الروم أهل الكتاب فقال المشركون لنظهرن عليكم ظهور اخواننا على اخوانكم مع انه لاعبرة بهذه الغلبة لكونها (فى أدنى الارض) أى فى أرض أقرب من الفرس من غير استئصال ولا غلبة على الاكثر ولا على النصف أو الثلث أو الربع كيف (و) لابقاء لتلك المغلوبية بل (هم من بعد غلبهم) أى الروم من بعد ماغلبهم الفرس (سيغلبون) وغلبة المغلوب أشد حزنا على الغالب سيما اذا كانت (فى) مدة قريبة (بضع سنين) من ثلاث الى تسع ولا يبعد من الله الايفاء بهذا الوعد اذ لم يكن غلبتهم بانفسهم ولا بأمر شركائهم بل بأمر الله اذ (لله الامر من قبل ومن بعد) فكما نصر فارس بأمره من قبل ينصر الروم بأمره من بعد فان أمره وان كان واحدا يتعدد تعلقه سيما عند اختلاف الازمنة وكيف لايتعلق أمره بنصرة الروم من بعد (و يومئذ) ينقلب مشامتة الكفار باعظم منها اذ (يفرح المؤمنون) فوق فرح الكافرين (بنصر الله) أهل الكتاب على عبدة الاوثان أكمل من نصرهم على الاولين اذ يرجون أكمل نصرا لهم على المشركين و يظهر صدق وعد الله لهم و يزول حزنهم بنصر فارس اذ يظهر لهم انه (ينصر من يشاء) أولا (و) لكن يجعل آخر النصر لاهله اذ (هو العزيز الرحيم) فيعز أهله بنصرهم و يرحمهم بقهر أعدائهم سيما فى مكان الوعد لكونه (وعد الله) المضاف اليه لكماله وهو وان لم يجب عليه شئ (لايخلف الله وعده) لانه يلحقه نقيصة الكذب فيما هو من صفاته (ولكن أكثر الناس) لنسيانهم مبدأهم ومعادهم (لايعلمون) الله ولا وعده ولا صدق وعده وهم وان تميزوا عن سائر الحيوانات بالعلم فغايتهم انهم (يعلمون ظاهرا) لا المعانى الباطنة من الاشياء التى يكون العاقبة بحسبها (من) أسباب (الحيوة الدنيا) لاهتمامهم بها لدنوها منهم (وهم) وان خلقوا للآخرة واعطوا العقل من أجلها وجعلت الدنيا لهم مزرعتها (عن الآخرة) ظاهرها و باطنها (هم غافلون أ) يدعون العلم بالظواهر والبواطن (ولم يتفكروا فى أنفسهم) انهم ماخصوا بالعقل ليتفكروا فى أمر الدنيا فيزدادوا حزنا بنغص عليهم العيش دون سائر الحيوانات بل ليتفكروا فى عواقب الامور فيعلموا انه (ما خلق الله)

حتى ضممنا أخاه اليه والكيد من المخلوقين احتيال ومن الله مشيئته بالذى يقع به الكيد (قوله تعالى كسفا) أى قطعا الواحدة كسفة وكسفا بتسكين السين يجوز أن يكون واحدا ويجوز أن يكون جمع كسفة مثل سدرة وسدر (قوله تعالى كبره

الحكيم العليم (السموات والارض ومابينهما الا) ليكمل علمهم (بالحق وأجل مسمى)
وليس ذلك اتعابا لنظرهم من غير عاقبة بل ليلقوا ربهم (وان كثيرا من الناس) المدعين
العلم بالظواهر والبواطن (بلقاء ربهم) من ظواهر المعقولات الاخروية (لكافرون
أ) يشكرون تلك العاقبة الاخروية وقد عوقب منكروها في الدنيا (ولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هل كانت لضعفهم في التصرف الدنيوي أو لعدم
اثارتهم الارض أو تعميرها بل (كانوا أشد منهم قوة) في التصرف الدنيوي (وأثاروا
الارض) أي قلبوها لاستخراج المياه والمعادن وزرع البزور وأكثر مما أثارها هؤلاء
(وعمروها) بالبناء والغراس (أكثر مما عمروها و) لم تكن عاقبتهم من البليات العامة اذ
(جاءتهم رسلهم بالبينات ف) لو آخذهم على تكذيبهم مع حقيتهم في التكذيب لكان الله ظالما
ولكن (ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا) بتكذيبهم الرسل (أنفسهم يظلمون) باسباب
التعذيب فلم يزالوا على ذلك ولم يزل الله يحلم عنهم (ثم) لما حصل اليأس الكلي عن رجوعهم
(كان عاقبة الذين أساؤا) فاستقروا عليها الخصلة (السوأى) وهل كانت اساءتهم غير (أن
كذبوا بآيات الله و) لم يكن ذلك لهوانها في أنفسها بل (كانوا بها يستهزؤن) ولم يتم
أمرهم بهذه العاقبة السوأى بل تبدأ وتعاد اذ (الله) بمقتضى احاطته بالاشياء (يبدؤا الخلق
ثم يعيده) فيعيد العاقبة السوأى في البرزخ (ثم اليه ترجعون) فيكون هنالك عاقبة سوء
المعاد أيضا (و) هذه لا تنقطع لمصادفتها يوما لذلك (يوم تقوم الساعة يبلس) أي ييأس
(المجرمون) عن انقطاع سوآهم (و) لا سيما اذ ظهر لهم انه (لم يكن لهم من شركائهم شفعؤا)
بل صاروا أعداءهم (و) لذلك (كانوا بشركائهم كافرين و) هؤلاء وان رجعوا بترك
الشرك الى مكان التوحيد لكنهم (يوم تقوم الساعة) الموضوعة للتفرقة بين المحقين
والمبطلين (يومئذ) وان جمعهم الحشر (يتفرقون) فيصير كل فرقة الى مكان يناسبه (فأما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) أي
يسرون سرورا يملأ وجوههم (وأما الذين كفروا) بالله (و) يكفي فيه ان (كذبوا
بآياتنا) ففيه تكذيب الله (ولقاء الآخرة) ففيه انكار دوام ربوبيته عليهم (فأولئك
في) مكان (العذاب محضرون) وانما وقعت هذه التفرقة في مقام التوحيد من اكتساب
النور وعدمه فان مقام التوحيد وان كان نورانيا كالشمس فلا بد لادراكه من نور ينزل منزلة
نور البصر وأولى ما يكتسب به النور بعد الايمان الصلاة ذات التسبيح المضاف اليه (فسبحان
الله) أي فصلوا لله صلاة تتضمن التسبيح المضاف اليه (حين تمسون) وقت المغرب والعشاء
اللذين يبتدئ فيهما الحجاب الظلماني ويكمل لئلا تحجبوا بالحجب الظلمانية (وحين تصبحون)
وقت الصبح الذي يبتدئ فيه النور الحسي لئلا تحجبوا بالحجب النورانية (و) لكونهما وقت
الحجب الظلمانية والنورانية يقع (له الحمد في) أهل (السموات والارض) طلبا لكشفهما
(وعشيا) وقت العصر وقت انتقاص النور لئلا ينقص النور الكامل (و) هو الحاصل

وكبره) لغتان أي معظمه يقال كبر مصدر الكبير من الاشياء والامور وكبر مصدر الكبير السن (قوله جل وعز كبرها هم بالغيه) أي تكبر (قوله كبرياء) أي عظمة وملك ومنه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض أي الملك ومنه يبقى الملك

من الصلاة ذات التسبيح (حين تظهرون) وقت الظهر وقت كمال النور الحسى الدال على كمال النور الالهى ليكون داعيا الى تحصيل ما يناسبه وكيف لا يتذللون بهذه العبادة فان (يخرج الحى من الميت) الانسان من النطفة (ويخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يبسها (وكذلك تخرجون) بالصلاة عن موت القلب الى حياته ومن حياة النفس الى موتها ويحيى أرضها بنبات الهيئات الفاضلة بعد موتها بالهيئات الرديئة وبالعكس بتركها (ومن آياته) الدالة على احياء القلب بالصلاة انكم وان كنتم مائلين الى الارضيات تصيرون بها وبالمرور على أركانها وهيئاتها وسننها بملاحظة أنوارها اناسا كاملين تنتشرون فى مقامات التروب مثل (أن خلقكم من تراب) هى أبعد من البشرية (ثم) بعد مرور اطوار (اذا أنتم بشر) أى فاجأ وقت استقرار بشريتكم (تنتشرون) فى مقامات العقل وتصرفاته العجيبة (ومن آياته) الدالة على انه تعالى يخلق من الاعمال أنوارا تزاوج أنوار الارواح تخالطها عند مباشرة الاعمال ولا تنقطع عنها بالكلية عند عدم الاعمال لبقاء علاقة المحبة ويحصل من اختلاطها أنواع الرحمة من الكشوف والاخلاق والاحوال والمقامات والكرامات (أن خلق) تكميلا (لكم) من نطفكم التى هى (من) أجزاء (أنفسكم أزواجا لتسكنوا) أى لتميلوا (اليها) بالمجانسة فتجامعوها (وجعل) لاستدامة علاقة الاجتماع القلبى (بينكم مودة) أى محبة هى الميل من الجانبين (ورحمة) هى النسل واصلاح المنزل وليس هذا دليلا على امر خاص بل (ان فى ذلك لآيات) واضحة (لقوم يتفكرون) مثل ان يخلق من نياتكم أعمالا لتسكنوا الى تلك الاعمال عند مباشرتها وجعل عند عدم مباشرتها بينكم مودة تنتظرون بها أوقاتها ورحمة من الاخلاق والاحوال والمقامات والكشوف والكرامات ومثل ان الله تعالى خالقكم بما يناسب صفاته بكم ليميل اليكم فيخالطكم بالتجليات الشهودية وجعل عند عدم الاختلاط بها بينكم مودة ورحمة من افاضة العلوم والاخلاق والكرامات والاحوال والمقامات ومثل ان يخلق من أعمالكم ملائكة تميل اليها أرواحكم فتخالطها وعند عدم المخالطة يكون بينها مودة موجبة لاستغفارها ورحمة فى افاضة الاخلاق والاحوال والمقامات والعلوم والكرامات (ومن آياته) الدالة على اختلاف أعمال القلب فضيلة ودناءة بحسب ميله الى العالم العلوى والسفلى وعلى اختلاف مراتب الاقوال فى تحصيل المعانى الجليلة والذليلة وعلى اختلاف أعمال الجوارح فى التحسين والتقبيح (خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ولا يقتصر فيهما على ما ذكر (ان فى ذلك لآيات) واضحة (للعالمين) منها دلالة الاول على اختلاف الاشخاص بالذات فيكون السماوى مجذوبا دائرا فى المقامات والارضى ساكنا لا يصير الى حال ولا مقام ودلالة الثانى على اختلاف تأثير الاقوال ودلالة الثالث على اختلاف أعمال الجوارح بالعوارض من الاخلاق وغيرها ومنها دلالة الاول على علو همة البعض ودناءة همة الآخرين والثانى على

كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (قوله جل وعز كفاتا) أوعية واحدها كفت ثم قال أحياء وأمواتا أى منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت ويقال كفاتا مضمّ ومجمع وحرز وحفظ وستر وهو مأخوذ من كفته الشئ وكفته وهو وعاؤه تكفت أهلها تضمهم أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها

كتب بطرة أصل الهامش فى نسخة زيادة كفاتا أوعية الى قوله مضم اه مصحح

اختلاف مايفهم من القول الواحد عند اختلاف الاشخاص والثالث على اختلاف هيئات الاعمال ومنها دلالة الاول على الاخلاق الفاضلة والرديئة والثانى على جمع الكلم وعدمه والثالث على نورية الاعمال وظلمتها (ومن آياته) الدالة على خلق البعض من نيل الاجر سواء كان فى ضوء العمل أو ظلمة التعطيل ونيل البعض للاجر عمل أو لم يعمل (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) كطلب العلم والتجارة ولا يقتصر فيه على ماذكر أيضا بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) المواعظ منها ان الغفلة وان كان فيها راحة النفس ظاهرا فكفى بها حزنا ان فوتت فضائلها سواء كان صاحبها فى ظلمة الجهل أو فى ضوء العلم وان مبتغى الفضل وان كان متعبا فكفى به راحة ان يحصل له كمال النفس سواء كان فى ظلمة الجهل اذا لم يفسد عليه فضله أو فى ضوء العلم وهو أتم ومنها ان الشخص الواحد يختلف حاله بالغفلة تارة حال العمل أو الخلوة وتارة باكتساب الفضل فى الحالتين ومنها ان العمل الواحد قد يقع فى حال الغفلة واليقظة معا وكذلك الخلوة الواحدة فتارة يكثر الضرر وتارة يقل والفائدة بالعكس (ومن آياته) الدالة على ان ظهور النور فى العمل لا يزيل عنه الخوف والرجاء انه (يريكم البرق خوفا وطمعا) أى مخوفا من الصاعقة ومطمعا فى المطر فيخاف عليه الرياء والعجب (و) اذا وقع أحدهما يرجى نزول التوبة وتبديل الرياء بالاخلاص وتبديل العجب بذكر المنة فانه كما (ينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) ولا يقتصر فيها على ماذكر بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) منها ان الاعمال اذا ظهر فيها النور يخاف فيه آفات كثيرة كالاحباط بالكفر والاعطاء فى المظالم واذا ظهر فيها الظلمة يرجى فيها القبول بالتوبة المبدلة للسيآت حسنات ومنها ان الاعمال تصلح باعمال أخر تكون لها كالمطر ومنها ان الامر الالهى دائم الخطر فلا يؤمن مكره وبعد ظهور الخطر لا ييأس من روحه (ومن آياته) الدالة على ان أمر الله مخطور وان لم يظهر فيه سببه (أن تقوم السماء والارض) بحيث يتوهم أن لا تزولا أبدا لكن لما كان قيامهما (بأمره) فاذا أمرهما بالزوال زالتا (ثم) بعد زوالهما (اذا دعاكم دعوة) واحدة لتخرجوا (من الارض) بعد تزلزلها (اذا أنتم تخرجون) أى ففاجأ خروجكم فالعمل يرى قائما بتوفيق الله وعصمته فاذا جاء ماقدر له من الكفر اخرجه من أرض العامل التى بذره فيها (و) كيف لا تجيبون دعوته وهو مالك أمركم اذ (له من فى السموات والارض) ممن يفهم كلامه وكيف لا ينفذ تقديره وهو يتصرف فى عقول الكل فيصرفها الى ماقدر بل (كل) من العقلاء وغيرهم (له قانتون) أى مطيعون (و) كيف لا يطيعه الكل مع انه (هو الذى يبدؤ الخلق) فيطيعه حال العدم المطلق (ثم) بعد افنائه (يعيده) فلا يخرج عن اطاعته باعدامه ثانيا (و) لا يبعد بل (هو أهون عليه) لانه ان كان جمع المتفرق فظاهر وان كان اعادة المعدوم فليس الآن بمعدوم مطلق اذ لا يخلو عن شائبة من الوجود (و) الهوان انما هو بالنظر الى المعدوم لا الى الله تعالى اذ (له المثل الاعلى) أى الوصف العجيب من كمال القدرة الظاهرة (فى السموات والارض و) لو صعب فى ذاته لم يصعب

يقال كفت الشئ فى الوعاء اذا ضممته فيه وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانها مقبرة تضم الموتى (قوله كذابا) أى كذبا

(باب اللام المتوحدة)

(قوله عز وجل لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم (قوله جل وعز لدى ولدن) بمعنى عند (قوله جل وعز لمستم) ولامستم النساء كناية عن الجماع (قوله جل وعز

عليه اذ (هو العزيز) ولا ينافى عزته عدم اعادته فى كل مرة لان ذلك بمقتضى الحكمة لانه (الحكيم) وقد اقتضت الحكمة أن يترك عليه نوع خفائه ليتأتى التكليف وهذا السر لا ينافى التعذيب بطريق العدل حتى ينافى التكليف لانه أظهر الدلائل الملزمة للحكمة سيما بطريق التمثيل اذ (ضرب لكم) فى باب التوحيد (مثلا من) أحوال (أنفسكم) التى هى أقرب الاشياء اليكم فقال (هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء) يشاركونكم (فيما رزقناكم) من الاموال (فأنتم فيه سواء تخافونهم) أن تتصرفوا فيه بدونهم (كخيفتكم أنفسكم) أى كما يخاف أحد الشريكين ان يستبد بدون صاحبه والا كان ناقصا وكما فصلنا لكم هذه الآية (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم لكن لا يستعملها الظالمون (بل اتبع الذين ظلموا) بالشرك (أهواءهم) لانهم أشركوا (بغير علم) بتحقق شرك من أشركوا بل لو حصل لهم العلم بامتناع الشرك لاحتالوا فى دفعه لان الله قدر اضلالهم (فمن يهدى) أى فمن يكون سببا للهداية (من أضل الله) أى قدر الله اضلاله كيف (و) ليس ذلك بالنسبة الى دليل أو مرشد مخصوص بل (ما لهم) شئ من الدلائل والمرشدين (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال واذا ظهرت حجج التوحيد سيما بالمثال المذكور فانه وان بقى معه خفاء فى أمر الجزاء لعدم خروجه الى الحس لا يترك متابعة الدلائل من أجله (فأقم وجهك) أى فاجعله مستقيما طالبا (للدين) أى الدين التوحيد لا كتوحيد عبدة الاصنام يميلون اليها ويزعمون انهم راجعون فى عبادتها الى التوحيد بل (حنيفا) أى مائلا عن كل ما سواه اليه ولا يعسر الرجوع اليه لكونه (فطرت الله) لا على الخصوص بل (التى فطر الناس) كلهم (عليها) لان عقل كل واحد يدل على انه حادث يفتقر الى محدث ولا دلالة على الافتقار الى متعدد أبدا فالقول بتعدده تغيير الفطرة لكن (لا تبديل لخلق الله) أى لا تغيير لامر العقل الذى خلقه الله للاستدلال (ذلك) أى القول بعدم تعدد المحدث عند عدم الدليل عليه هو (الدين القيم) المستقيم وان لم يقم عند المبتدئين دليل على استحالة التعدد فهذا هو مقتضى الفطرة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه مقتضى الفطرة وان كانوا (منيبين) أى راجعين (اليه) عند الشدائد لكن يرجعون عنه عند ارتفاعها (واتقوه) أن يعيد عليكم الشدائد اذا عدتم الى الشرك (و) للثبات على تقواه (أقيموا الصلوة) التى تنهى عن الفحشاء والمنكر (ولا تكونوا) فى الصلاة (من) اليهود والنصارى (المشركين) علماءهم حين ابتدع كل رئيس منهم دينا فلا تكونوا (من الذين فرقوا دينهم) لا بطريق الاجتهاد الذى يمكن فيه الرجوع الى الحق بل بطريق العناد (وكانوا شيعا) بحيث لا يمكن ردهم الى الامر الواحد بدليل اذ (كل حزب بما لديهم) مما افتراه رئيسهم (فرحون) من غير دليل يوجب فرحهم ثم ان هؤلاء وان اتخذوا رؤساءهم شركاء فى الاحكام الالهية لا يرجعون اليهم فى الشدائد (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم) لا رؤساءهم بل (منيبين) أى راجعين عن الرؤساء (اليه ثم اذا أذاقهم منه) بانابتهم اليه (رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون)

(أيمانكم) باللغو فى أيمانكم) بمعنى ما لم تعتقدوه وتدينا ولم توجبوه على أنفسكم نحو لا والله وبلى والله واللغو أيضا الباطل من الكلام كقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واللغو واللغا أيضا الفحش من الكلام قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم واللغو أيضا الشئ المسقط الملقى يقال ألغيت الشئ

أى فاجأ الشرك فريق منهم اذ ينسبونها الى متابعتهم (ليكفروا بما آتيناهم) أى بالسبب الذى آتيناهم الرحمة من أجله وهو الانابة لكنهم بهذا الكفر لا يستردّه (فتمتعوا) به أياما لتزدادوا اثما فتستحقون به انتقاما مع انتقام الكفر فان لم تعلموا الآن (فسوف تعلمون) اعلموا صحة متابعة رؤسائهم بدليل العقل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى حجة نقلية (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) بأنه شريك الله يحكم فى مقابلة حكمه (و) كما ان اعتقاد كون الرؤساء حكاما من دون الله شرك كذلك نسبة الرزق اليهم أو الى كسب النفس من ذلك (اذا أذقنا الناس رحمة) سعة رزق (فرحوا بها) فزعموا انها من سلاطينهم أو أكسابهم (وان تصبهم سيئة) ضيق رزق (بما قدمت أيديهم) أى بسبب معصية سابقة (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من روح الله (أ) يفرحون أو يقنطون (ولم يروا) أى لم يعلموا علما يشبه الرؤية (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) بالخصب فى مزرعته أو بالاطلاع على الكنز أو الربح فى تجارته أو بشرح قلب السلطان عليه (ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فمنها ان الرزق لو كان بالكسب لاستوى صاحب الخصب والقحط والمسافرون للتجارة وخدام السلاطين ومنها ان الله يبسط التوفيق على البعض ويقبضه على البعض لانه رزق أخروى ومنها انه يبسط المعارف لمن يشاء ويقبضها على البعض وانما بسط الرزق على البعض لينظر هل يصل الرحم أو يقوم بالحوائج أو يوصل الى المقاصد (فآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم (والمسكين) حقه فى القيام ببعض حوائجه (وابن السبيل) حقه فى ايصاله الى المقاصد (ذلك) الايتاء (خير) من ادخار المال (للذين يريدون) بأموالهم (وجه الله) أى رضوانه (وأولئك هم المفلحون) بفوائد المال الحقيقية (و) ارادة وجه الله انما تكون بالايتاء على الوجه المرضى له لذلك (ما آتيتم من ربا) فانكم وان قصدتم به الصلة والقيام بالحوائج والايصال الى المقاصد بل ما فوق ذلك (ليربوا) أى ليزيد (فى أموال الناس فلا يربوا) أى فلا يزيد نفعه ما يعتد به (عند الله) بل هو مضر عنده للمعطى والآخذ (وما آتيتم من زكوة) فانه وان كان كأداء الدين لا يستحق عليه العوض لكنكم (تريدون وجه الله) أى رضاه (فأولئك هم المضعفون) فوائد أموالهم اذ يحفظ به الباقى ويعوض المعطى بسبعمائة ضعف فصاعدا وكيف يراد به وجه الغير ولا يجب شكره بوجه وانما يجب شكر الله من جميع الوجوه اذ (الله الذى خلقكم) فيقتضى شكرا بالاحسان الى خلقه (ثم رزقكم) فيقتضى شكرا بأن ترزقوا عباده (ثم يميتكم) وهو يقتضى اماتة محبة الغير (ثم يحييكم) وهو يقتضى احياء أوامره ونواهيه (هل من شركائكم) الذين تريدون وجوههم فى الزكاة أو سائر الاعمال (من يفعل من ذلكم من شئ) فيستحقون ارادة وجوههم باعتبار ذلك الشئ تنزه عن الشرك (سبحانه) أى تنزهه الكامل (وتعالى) رتبته (عما يشركون) ولما كان هذا افسادا فى الاعتقاد والاعمال (ظهر الفساد فى البر) بالجدب والكساد (والبحر) بالغرق ومحو ما فيه من الاطعمة والجواهر (بما كسبت أيدى الناس) من المعاصى وان كانت

(قوله اذا طرحته وأسقطته (قوله جل وعز لولا ولوما) اذا لم يحتاجا الى جواب فمعناهما هلا كقوله عز وجل لولا ينهاهم الربانيون أى هلا ينهاهم الربانيون ولوما تأتينا بالملائكة أى هلا تأتينا بالملائكة (قوله جل وعز لولا أنزل علينا) أى خاطبنا عليهم (قوله جل وعز لواقح) بمعنى ملاقح جمع ملقحة أى تلقح السحاب

صور طاعات أريد بها غير وجه الله (ليذيقهم) في الدنيا (بعض) جزاء (الذى عملوا) ويترك البعض ابقاء للتكليف (لعلهم يرجعون) فان انكروا هذه الاذاقة (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين) هلكوا (من قبل) فانه وان كان بطريق الابتلاء فى البعض (كان أكثرهم مشركين) بالشرك الجلى أو الخفى وهو الرياء واذا كان الشرك الجلى والخفى موجبا لفساد المعاش جزئيا كما ذكر ولفساد المعاد كليا (فأقم وجهك للدين القيم) ليستقيم به أمر المعاش والمعاد جميعا (من قبل أن يأتى يوم) لا يمكن فيه اقامة الدين لانها لو كانت فيه اقتضت للجزاء يوما آخر لكن (لا مرد له من الله) لانه المتعين للجزاء عنده وهو وان كان جامعا لكلهم (يومئذ يصدعون) أى يفترقون للجزاء افتراقا لازما بحيث (من كفر) أى ثبت على كفره قبله (فعليه كفره) لا يمكنه دفعه بايمان ولا عمل وان أمكن قبل ذلك اليوم (ومن عمل صالحا) قبله وان قل (فلانفسهم يمهدون) أى يسوون منزلا عظيما عند الله لانه وضع ذلك (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لا بمقدار تلك الكلمة والاعمال فى المشقة بل (من فضله) الذى نالوه من تمهيدهم المنزلة عند الله من محبته ولذلك لا ينال فضله الكافر (انه لا يحب الكافرين و) لو قيل كيف يتوقف فضله على شئ كالايمان والاعمال الصالحة قيل (من آياته) الدالة على توقف فضله على أمر آخر (أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر فالمطر فضل متوقف على الريح (و) ينزل المطر (ليذيقكم من رحمته) الماء البارد والحبوب والثمار فاذاقة الرحمة فضل متوقف على المطر والريح (و) أيضا يرسل الرياح (لتجرى الفلك بأمره) فاجراء الفلك للايصال الى المقاصد فضل متوقف على الريح (و) يجريها (لتبتغوا) أى تطلبوا (من فضله) كالعلم والربح فالفضل متوقف على اجراء السفينة والريح (و) أيضا فعل بكم هذه الامور (لعلكم تشكرون) فيزيدكم فالمزيد فضل متوقف على الشكر (و) لا يختص هذا بالفضل الدنيوى الذى لا اعتداد به بل الامر الاخروى أيضا بدليل جريان مثله فيما هو نظير ما يفعل فى الآخرة فانا (لقد أرسلنا من قبلك) فكانت سنة قديمة (رسلا الى قومهم) الذين عرفوا صدقهم وقد صدقناهم باعطاء المعجزات (فجاؤهم بالبينات) الملزمة للحجة فأجرموا بعد ذلك (فانتقمنا من الذين أجرموا و) دللنا على كونه انتقاما بنصر المؤمنين لذلك (كان حقا علينا نصر المؤمنين) فكان نصر المؤمنين فضلا متوقفا على الانتقام من الكافرين المتوقف على ارسال الرسل ومجيئهم بالبينات ونصر المؤمنين نظير ما يفعل بهم فى الآخرة ولو قيل كيف يكون ارسال الرسل سبب انتقام المجرمين وقد أرسلوا رحمة للعالمين ثم كيف يكون انتقامهم سبب نصر المؤمنين يقال ان الله يرسل الرسل فيعلى المرسل اليهم بالنعم فيبسط عليهم الكمالات التى ترفعهم ليستكبر المجرمون على الرسل فيفرق أحوالهم ويخرج عنهم أموالهم وينقلها الى بعض المؤمنين ولا يبعد ذلك على الله اذ (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى) جو (السماء كيف يشاء) سائرا أو واقفا مطبقا أو غير مطبق الى غير ذلك (ويجعله كسفا) أى قطعا (فترى الودق) أى المطر

والشجر كأنها تلقحه وبقال اللواقح جمع لاقح لانها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه ثم تحمله فينزل ومما يوضح هذا قوله جل وعز يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أى حملت (قوله تعالى لقيفا) أى جميعا (قوله جل وعز لبوس) دروع تكون واحدا وجمعا (قوله جل وعز اهو

(يخرج من خلاله) أى فتوقعه فهذا امثال اعلاء الرحمة اياهم وبسط النعمة عليهم ثم تفريق أحوالهم واخراج أموالهم عند استعلائهم على الرسل (فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) بالخصب فهذا امثال استبشار المؤمنين بالظفر من أموالهم بعد انتقامهم وهو النصر الكامل (و) لايمنع يأس الكفار من هذا الانتقام والنصر لاعدائهم كما لايمنع يأس المرحومين بالمطر عن الامطار (ان) أى انهم (كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر مستبعدين بل انهم كانوا (من قبله لمبلسين) أى آيسين فان لم ينقطع يأسك بهذا المثال لاستبعادك الاحياء (فانظر الى أثر رحمت الله) أى أثر الغيث من النبات والاشجار والحبوب والثمار تعرف (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك) الذى أحيا الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) احياء الارض بعد موتها كيف (و) لاتقصر قدرته عن احياء غير الارض اذ (هو على كل شئ قدير و) يأسهم عن احياء الموتى كيأسهم عن الزرع فانا (لئن أرسلنا ريحا) على الزرع (فرأوه) من تأثيرها فيه (مصفرا لظلوا) أى صاروا (من بعده) أى من بعد الاصفرار قبل الموت آيسين من حياته حتى انهم (يكفرون) بقدرة الله على احيائه فمن أنكر قدرته على احياء الزرع بعد اصفراره وقد رأى قدرته على احياء الارض بعد موتها فهو ميت لايمكن اسماعه خبر احياء الموتى (فانك لاتسمع الموتى) وان ادعوا حياتهم فهم صم (ولا تسمع الصم الدعاء) فان أمكن تفهيمهم بحركة الشفة واللسان واليد فلا يمكن (اذا ولوا) ظهورهم الى الداعى (مدبرين) لايلتفتون اليه أصلا وكيف يمكن اسماعهم ولا يمكن فى حقهم ما هو أتم وهو اراءتهم الدلائل لانهم عماة (وما أنت بهادى العمى) تنقذهم (عن ضلالتهم) وان كان العماة يريدون الانقاذ عن الآفات لانهم لايؤمنون بأن ههنا آفات (ان) أى ما (تسمع) من العماة آفة (الا من يؤمن بآياتنا) ولا تكفى المعرفة القلبية بل يشترط الاذعان بحيث (فهم مسلمون) أى منقادون لما علموه ثم انه لاوجه لليأس عن احياء الزرع بعد الاصفرار فان غايته أنه ضعف بل لاوجه لليأس عن احياء الموتى فان غاية الموت انه كمال الضعف ولا يعسر على الله قلب الضعف بالقوة ولا القوة بالضعف اذ (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) فى الاطوار الى أيام البلوغ (قوة) فى أيام الشباب (ثم جعل من بعد قوة) أى أيام الكهولة (ضعفا) فى أيام الشيخوخة (وشيبة) فى أيام الهرم ولا يمتنع عليه التقوية بالاحياء بعد ذلك فى البرزخ ثم تضعيف تلك الحياة بنفخ الصور ثم تقويتها بالبعث لانه (يخلق ما يشاء و) لكن لايجاوز حد العلم اذ (هو العليم) ولا يوجد علمه العجز على خلاف المعلوم لانه (القدير) لكنه لايخالف علمه (و) كيف يقرون بالبعث من الموت اليوم برؤية احياء الارض أو تقوية الضعف ولا يقرون به يوم البعث فانه (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) انه ليس بعثا عن الموت بل عن النوم لانهم (ما لبثوا غير ساعة) وانما صرفوا عن حقيقة البعث بعد رؤيته لانهم (كذلك كانوا يؤفكون) أى يصرفون (و) لايتركون على هذا الصرف بل يبين لهم ليعلموا

الحديث) أى باطله وما يشغل عن الخير وقيل لهو الحديث هو الغناء (قوله جل وعز فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر (وقوله عز اسمه لحن القول) أى نحو القول ومعناه (قوله عز وجل لذة للشاربين) أى لذيذة (قوله عز وجل اللمم) أى صغار الذنوب ويقال اللمم أن يلم بالذنب ثم لا يعود اليه

انهم مؤاخذون بكل ماصرفوا فيه عن الحق فى الدنيا حيث (قال الذين أوتوا العلم) بالحقائق من الملائكة والانبياء والعلماء (والايمان) بالبعث عن الموت (لقد لبثتم) فى القبر أكثر مما حلفتم عليه فان لم تصدقونا فانظروا (فى كتاب الله) الذى كتبناه بأمره لتكذيبكم فى هذه اليمين (الى يوم البعث) فان لم يزل بذلك شككم (فهذا يوم البعث) وكان حقكم أن لاتشكوا فيه بعد رؤيته (ولكنكم كنتم لاتعلمون) فاستمر عليكم الجهل به بعد رؤيته واذا كانوا مؤاخذين بهذه الكلمات عن جهل (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) بالشرك أو انكار الربوبية أو الرسالة أو شئ مما يجب الايمان به (معذرتهم) بأنهم كفروا عن جهل لانه انما كان عن تقصيرهم فى ازالته أو عن عناد (ولاهم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم الاعتاب أى ازالة العتب بالتوبة والطاعة لانهما وان كانتا ماحيتين للكفر والمعاصى فانما كان لهما ذلك فى مدة الحياة الدنيا لاغير (و) كيف ينفع معذرتهم أو يستعتبون بعد ازالة العذر وتمكين الاعتاب بكل ماأمكن فانا (لقد ضربنا) بيانا (للناس) كلهم (فى هذا القرآن) الجامع المعجز (من كل) دليل على الامور الاخروية يجرى مجرى (مثل) فى الظهور (و) ليس عدم ايمانهم لبقاء عذر لهم بل لافراط عنادهم فانهم بحيث (لئن جئتهم بآية) تكاد تلجئهم الى الايمان (ليقولن الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم (ان أنتم) أيها المتمسكون بها (الامبطلون) مغالطون وهذا مما طبع الله على قلوبهم لانه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) أى لايتبعون العلم بل يصرون على خرافاتهم المألوفة لهم واذا لم يتأثروا بالامثال ولا بالآيات القريبة من الالجاء (فاصبر) عن ايمانهم الى وقت مؤاخذتهم (ان وعد الله حق) كيف (و) تركك الصبر من خفة العقل (لايستخفنك) أى لايحملنك على الخفة (الذين لايوقنون) أى لايأخذون باليقين فانهم أخف الناس عقلا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة لقمان)

سميت به لاشتمالها على قصته التى تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة ذات الله وصفاته وذم الشرك والامر بالاخلاق والافعال الحميدة والنهى عن الذميمة وهذه معظمات مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى آيات كتابه المشتمل على أنواع الحكمة (الرحمن) بجعله هدى للكل (الرحيم) بجعله رحمة للمحسنين (الم) اى اسرار اللب المحض أو أطوار اللطف المتين أو ادوار اللوائح المتزايدة أو أنوار اللوامع المتوالية أو غير ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لما ذكر من اتصافه بوصف (الحكيم) لاشتماله على كل حكمة نظرية هى كونه (هدى و) عملية هى كونه (رحمة للمحسنين) الذين يعبدون ربهم كأنهم يرونه فهم (الذين يقيمون الصلوة) حق اقامتها (و) انما تم لهم ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) فيطهرون أنفسهم عن حب المال ثم يسرى

(وقوله جل ذكره لظى) اسم من أسماء جهنم (قوله لواحة للبشر) أى جلود مغيرة لهم يقال لاحته الشمس ولوحته اذا غيرته (قوله تعالى اللوامة) ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها يوم القيامة ان كانت عملت خيرا هلا ازدادت منه وان كانت عملت سوأ لم عملته (قوله

الى الطهارة الكاملة (و) لكمال طهارتهم (هم بالآخرة هم يوقنون) ولكمال يقينهم
وأعمالهم (أولئك على هدى) عظيم (من ربهم) من المكاشفة والسير فيه وعنه
(و) لكمال ذلك الهدى فيهم (أولئك هم المفلحون) بالكمالات الممكنة للانسان واذا كان
هذا الكتاب مفيدا لهؤلاء هدى ورحمة كانت آياته متصفة بما ذكر (ومن الناس) الذين
نسوا الكمالات الانسانية (من يشترى) أى يستبدل بهذا الكتاب المفيد لاهل الكمالات
الهدى والرحمة (لهو الحديث) أى ما يلهى من الحديث عن ذلك الكتاب (ليضل)
أى ليثبت على الضلال ان قرئ بالفتح وان قرئ بالضم فمعناه ليضل غيره (عن سبيل الله)
الموصلة للنفس الى الكمالات التى لها عند الله اذ يبقى الضال أو المضل (بغير علم) بما هو كمالات
ومنافعها والنقائص ومضارها (و) اذا علم ذلك السبيل (يتخذها هزوا) أى سخرية من
قلة مبالاته بتلك الكمالات وفوائدها ولا بنقائص أضدادها ومضارها (أولئك) المستهينون
بما عند الله (لهم عذاب) من حصول تلك النقائص ومضارها وفوات تلك الكمالات
ومنافعها (مهين) من استهانتهم بالنقائص ومضارها وبالكمالات ومنافعها كيف (و) ليس
استهانتهم من غفلتهم عنها بل مع تلاوة آيات عظام تدل عليها فانه (اذا تتلى عليه آياتنا) الدالة
على عظمة ما عندنا (ولى) ظهره عنها (مستكبرا) عليها لا يتأمل فيها حتى يصير (كأن لم
يسمعها) لا للغفلة بل لافراط العناد بحيث يصير مانعا من السماع (كأن فى أذنيه وقرا)
أى ثقلا فهذه عداوة تامة مع آيات الله بل مع الله (فبشره بعذاب أليم) كما يبشر به عدو
الملك اذا ظفر به وتمكن منه ويزيد فى شدة هذا العذاب كونه بدلا من جنات النعيم (ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) بما يحصل لهم من تلك الكمالات ومنافعها ويندفع
عنهم النقائص ومضارها ويزداد تنعمهم لكونهم (خالدين فيها) والخلود وان لم يكن أمرا
محصلا فهو فى معنى الثابت لكونه (وعد الله) فلا بد وأن يكون (حقا) اذ الكذب نقص لا يتكلم
به الحكيم الا عند العجز عن الصدق لضرر يلحقه (وهو العزيز) وكيف ينسب الكذب الى هذا
الوعد مع كونه بمقتضى الحكمة فلا بد أن يفى به (الحكيم) ويدل على عزته أنه (خلق السموات)
مرفوعة (بغير عمد) اذ لو كانت لكنتم (ترونها و) يدل على حكمته انه (ألقى فى الارض رواسى)
جبالا كراهة (أن تميد بكم) أى تتحرك بكم فتتلفكم (وبث) لحفظكم والرفق بكم (فيها من كل
دابة وأنزلنا) لحفظكم وحفظ دوابكم وللرفق بكم وبدوابكم (من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل
زوج) أى صنف من الاغذية والادوية (كريم) أى كثير المنافع ثم أشار الى أن من كمال عزته
ان له الكل اذ لو كان لغيره شئ لتميز عن خلقه فقال (هذا خلق الله) فان كان لغيره خلق (فأرونى
ماذا خلق الذين من دونه) فاذا عجزوا عن التمييز لم يكونوا فى نسبة البعض الى الغير هداة
(بل الظالمون) بنسبة البعض الى الله والبعض الى الغير من غير تمييز (فى ضلال مبين
و) لا يرتفع هذا الضلال بكونه قول القدماء مالم يقل به حكيم لكنه لا يقوله لمنافاته مقتضى
الحكمة من الشكر لله فانا (لقد آتينا) من مقام عظيم جود نا رأس الحكماء (لقمان) بن
باعورا

عزوجل ليال عشر) عشر
الاضحى والشفع يوم
الاضحى والوتر يوم عرفة
(قوله جل وعز لما) أكلا
شديدا يقال لممت الشئ
اجمع أى أتيت على آخره

(باب اللام المضمومة)

(قوله عز وجل لدا) جمع
ألد وهو الشديد الخصومة
(قوله عز وجل لجى)

باء ورا بن ناخور بن آزر أو كان ابن أخت أيوب أو خالته وعاش الى ان أدرك داود عليه السلام
فأخذ منه العلم (الحكمة) استكمال النفس بالعلوم النظرية وملكة الافعال الفاضلة
بقدر الطاقة البشرية آمرين له على لسان نبي أو بطريق الالهام على قول الجمهور انه حكيم
أو الوحي على قول عكرمة انه نبي (أن أشكر لله) على ما أعطاك من نعمه من أوتيها فقد أوتي
خيرا كثيرا (و) ليس هذا طلبا للعوض لتنزه المشكور عن الانتفاع بل (من يشكر فانما يشكر)
نافعا (لنفسه) باستدامة النعم واستزادتها فشكر الحكيم استزادة من الخير الكثير
(و) لو انتفع المشكور به لتضرر بعدمه لكن (من كفر) فلا يتضرر الله بكفره انه لا بفوات ما يفتقر
اليه ولا بلحوق الذم (فان الله غني حميد) كيف يقول به حكيم وهو يعلم انه ظلم عظيم فاذكر
(اذ قال لقمان لابنه) انعم أو شكم أو ماثان والاب انما يعلم الخيرات سيما (وهو
يعظه) لا يلاعبه (يابني) صغره اشعارا بأنه انما وعظ بمقتضى الشفقة العظيمة اللازمة لصغار
الاولاد (لا تشرك بالله) باعتقاد الهية الغير أو اتصافه بالصفات الازلية أو استحقاق للعبادة
ولم يقل شيأ لئلا يتوهم تجويز شرك ما لا يسمى شيأ (ان الشرك) بأي وجه كان (لظلم عظيم)
فان اعتقاد الهية ما ليس بواجب الوجود بالذات واتصافه بالصفات الازلية أو استحقاقه
للعبادة وضع للادنى موضع الاعلى واعتقاد استحقاقه للعبادة تسوية بين من لم ينعم بشيء وبين
المنعم بكل شيء بل هو أيضا وضع للعابد موضع المعبود (و) لكونه ظلما عظيما لا يطاع فيه من
حمله الله يتلوه في الشكر الذي فوق الاطاعة فانا (وصينا الانسان) أي أمرناه أمرا مؤكدا
(بوالديه) أي باطاعتهما سيما الوالدة لانه (حملته أمه) تحتمل (وهنا على وهن) أي ضعفا
فوق ضعف الى الوضع (و) لا تزال بعد ذلك تتعب بالسهر ليلا ونهارا مدة رضاعه الى أوان
فطامه اذ (فصاله) أي فطامه (في) آخر (عامين) فأمرناه (أن اشكر لي) نعمة الايجاد وغيرها
(ولوالديك) نعمة التربية وليس ذلك من الشرك في الشكر اذ (الي المصير) بشكرهما
اذ كان بأمري (و) مع أمرك باطاعتهما وشكرهما على سبيل التأكد (ان جاهداك) أي
قاتلاك (على) الزامك (أن تشرك بي) فانه وان لم يظهر لك كونه ظلما عظيما فكفى فيه انه اشراك
(ما ليس لك به) أي بشركه (علم) فان الحكم بالجهل سيما في مثل هذه الامور كاف في الظلم فهما
وان أمرت باطاعتهما في كل شيء (فلا تطعهما) فيه وان لم يسقط اطاعتهما في سائر الامور
(و) لذلك (صاحبهما في) أمور (الدنيا) صحابا (معروفا) يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم
(واتبع) في أمور الدين (سبيل من أناب الي) أي رجع الي عن كل ما سواي فأخذ مني العلوم
والمعارف فغاية ذلك انكم تتعبون في ذلك أياما (ثم) يذهب تعبكم اذ (الي مرجعكم)
فان لم تتعبوا في الدنيا فاذا رجعتم الي (فأنبئكم بما كنتم تعملون يابني) كيف تحمل الظلم العظيم
في حق من يجازي على الذرات كلها (انها) أي الخصلة التي يأتيها الانسان من اساءة
أو احسان (ان تك) صغيرة بحيث لو كانت جسما كانت (مثقال) أي وزن (حبة) واحدة
(من خردل فتكن في) أخفى مكان وأحرزه بجوف (صخرة أو في) أعلى الاماكن كمحدب

منسوب الى اللجة وهو
معظم البحر (قوله جل وعز
انعوب) أي اعياء (قوله
تبارك اسمه لبدا) كثيرا
من التلبد كان بعضه على
بعض (قوله جل وعز لمزة)
عياب

• (باب اللام المكسورة) •

(قوله جل وعز ليواطئوا
عدة ما حرم الله) أي
ليوافقوا عدة ما حرم الله
يقول اذا حرموا من الشهور
عدد الشهور المحرمة لم
يبالوا ان يحلوا الحرام

(السموات أو فى) أسفلها كمركز (الارض يأت بها الله) أى يحضرها ليحاسب عليها (ان الله
لطيف) ينفذ علمه وقدرته فى كل شئ (خبير) يعلم كنه الاشياء فلا يعسر عليه (يا بنى) اذا كان
الله مجازيا على الذرات (أقم الصلوة) الشاغلة بجميع أعضائك به ظاهرا وباطنا فهى جامعة
لكمالاتك (و) لتكميل الخلق (أمر بالمعروف وانه عن المنكر) هذا فى باب الافعال (و) فى باب
الاخلاق (اصبر على ما أصابك) وراء الصبر فى الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ان)
جميع (ذلك من عزم الامور) التى لا رخصة فى الاخلال بشئ منها فهذه حقوق الله (و) فى
حقوق الخلق (لا تصعر) أى لا تمل (خدك للناس) بتوليته صفحة وجهك عنهم فخرا عليهم
(ولا تمش فى الارض مرحا) أى خيلاء فهاتان وان كانتا من حقوق الخلق فالله تعالى يكرههما
(ان الله لا يحب كل مختال) ولو بالمشى مرحا فكيف يحب كل (فخور) حتى بتصعير الخد للناس
ثم أشار الى تسوية أفعال العادة بقوله (واقصد) أى توسط بين الاسراع والدبيب (فى مشيك
واغضض) أى أنقص (من) رفع (صوتك) فانه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس انكارهم على
صوت الحمير (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) وكيف يرضى الانسان برتبة الحمار وقد جعل
فوق المخلوقات كلها (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات) من الملائكة والكواكب
(وما فى الارض) من المعدن والنبات والحيوان (و) جعلكم جامعين لاسرار ذاته وصفاته
وأفعاله وأسرار العالم اذ (أسبغ) أى أكمل (عليكم نعمه ظاهرة) من الحواس الظاهرة
ومحالها ومحسوساتها (وباطنة) من الحواس الباطنة ومحسوساتها والعقل والمعقولات
والروح والقلب والسر والخفاء وانما فعل ذلك لتعرفوه حق معرفته وتتقربوا اليه وتزدادوا
كمالات (و) لكن (من الناس) الذين نسوا مرتبتهم وانعامات الحق عليهم (من) يتنزل الى
أدنى من رتبة الحمار اذ (يجادل فى الله) ذاته أو أسمائه أو صفاته أو افعاله (بغير علم) أى دليل
عقلى (ولا هدى) أى دليل كشفى (ولا كتاب منير) للعقل والكشف (و) ليس ذلك لفقدهم
الكتاب أو معلمه بل مع وجدانهما بحيث (اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) فى معارفه وأحكامه
فانه أعلم بذلك كله وقد أنزلها فى كتابه المعجز الجامع بين العقل والكشف (قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا) فرجحوا تقليدهم على الدلائل العقلية والكشفية وعلى ما هو للبصر
بمنزلة نور الشمس من غير اطلاع على حال من يقلدونهم (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان)
الذى هو عدوهم (يدعوهم الى) اعتقادات وأعمال هى أسباب العذاب كأنه يدعوهم الى عين
(عذاب السعير) وان زعموا ان الذى يأتيك بالوحى هو الشيطان يدعوك الى عذاب السعير
يقال ليس فى دعوته ما يفضى الى العذاب اذ حاصلها اسلام الوجه لله والاحسان (ومن يسلم
وجهه) أى يخلص بوجهه فى العبادة (الى الله و) لا يمنع منه توجهه فى الظاهر الى القبلة
اذ (هو محسن) ناظر الى الله لا الى القبلة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى الحبل الوثيق
الموصل الى الله المانع من السقوط فى النار وهو خلاف دعوة الشيطان (و) لا يمنع منه
عدم التفاته الى الشركاء لانهم لو كانوا مؤثرين فانما يؤثرون بالله اذ (الى الله عاقبة الامور)

ويحرموا الحلال (قوله جل وعز لواذا) مصدر لاوذته ملاوذة ولواذا أى يلوذ بعضهم ببعض أى يستتر به ٣ (قوله جل وعز لسان صدق) يعنى ثناء حسنا (قوله جل ذكره لينة) أى نخلة وجمعها لين

٣ كتب بهامش أصل الهامش فى نسخة زيادة (لزاما) أى فيصلا وهو من الاضداد قال
لازلت محتملا على ضغينة
حتى الممات تكون منك لزاما

فلا

فلا يمكنهم من التأثير فمن أسلم وجهه اليه وهو محسن (ومن كفر) فزعم ان لا رجوع الى الله
وانه مستقل بالتأثير فله أن يمنع من التمسك بالعروة الوثقى لمن تمسك بدونه (فلا يحزنك كفره)
اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة فيكفره بالرجوع لا يمنع من الرجوع بل (الينا مرجعهم)
وكيف لا نرجعهم الينا وقد كفروا بنا وقصدوا اضلال عبيدنا عنا وفعلوا معاصى فيما بيننا
وبينهم وفيما بينهم وبين اخوانهم (فننبئهم بما عملوا) من الاعمال الظاهرة والباطنة (ان
الله عليم بذات الصدور) وليس تمتيعنا اياهم من جهلنا بحالهم بل لعدم التفاتنا اليها
اذ (نمتعهم قليلا) بمقتضى عموم رحمتنا (ثم) لما زادهم طغيانا وكفرا يصير عليهم مكرا لذلك
(نضطرهم) ابطالا لدعوتهم الاستقلال (الى عذاب غليظ) لا تحتمله قوتهم (و) كيف
لا نضطرهم الى عذاب غليظ على دعواهم مقاومة خالق السموات والارض بعد اعترافهم
بعجزهم عن خلقهما فانك (لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اذ لا يمكنهم
القول باستقلال الغير ولا مشاركته فى خلقهما (قل الحمد لله) على اعترافكم بعجز ما سواه
عن مقاومته فهذا يستلزم الاعتراف بالتوحيد ولكن لا يلزمه (بل أكثرهم لا يعلمون) لزومه
وان زعموا ان الشركاء انما يقاومونه فيما هو ملكه واما ما يملكونه فهم يقاومونه يقال (لله)
لا لغيره (ما فى السموات والارض) لانه كما هو خالقهما خالق ما فيهما ولا يتصور الانتقال عن
ملكه لانه اما بالبيع وهو بالحاجة ولكن لا حاجة لله (ان الله هو الغنى) أو بالهبة
الناقلة وهى انما تكون لطلب الحمد لكنه (الحميد) بدون الهبة الناقلة للملك بل يكفى له
تسخيره للعبد وتسليطه عليه وبذلك يسمى وهابا (و) ان زعموا انه وان لم يحتج الى نقل الملك
فهو يحتاج فى ايجاد الاشياء الكثيرة الى الشركاء لانه وان أوجدها بكلماته فكلماته محصورة
والاشياء لا تنحصر يقال ان كلماته أيضا لا تنحصر بحيث (لو) فرض (أن ما فى الارض من
شجرة أقلام والبحر) مداد (يمده من بعده) أى يشعه من بعد نفاد مائه المفروض مدادا
(سبعة أبحر) واحد بعد واحد فيكتب بها كلمات الله حتى نفدت وانكسرت الاقلام
(ما نفدت كلمات الله) التى بها أوجد الاشياء اذ لو نفدت لبطلت غلبته على بعض الاشياء
وصارت للغير لكنها لا تبطل (ان الله عزيز) فكيف يبطل عزته وهو (حكيم) والحكيم
لا يرضى ببطلان عزته ولو فرض ان كلمة الله واحدة فلا حاجة الى الغير أيضا لانه (ما خلقكم
ولا بعثكم) بالنسبة الى كلمته الواحدة (الا كنفس واحدة) أوجدها بالكلمة الواحدة
فكذا أوجد الكل بها وان تأخر وجودها الى أوقات وجودها وتخصصت بأوصاف مخصوصة
بحسب ما سمع من دعاء حقائقها وأبصر من استعداداتها (ان الله سميع بصير) والايجاد
فى الازل لما يتأخر وجوده ليس بابعد من ادخال الابد فى الازل وبالعكس وقد وجد نظيره
(ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل و) قد وجد أيضا ما يشبه تكوينه
فى الازل ويتأخر وجوده الى ما يشبه الابد فانه (سخر الشمس والقمر) يوم خلق السموات
واستمر تسخيرهما الى يوم القيامة اذ (كل يجرى الى أجل مسمى و) لا يبعد أن يقول فى الازل

وهو ألوان النخل ما لم تكن العجوة والبرنى (قوله جل اسمه لبدا) أى جماعات واحدها لبدة ومعنى لبدا أى يركب بعضهم بعضا ومن هذا اشتقاق اللبود التى تفرش (قوله جل وعز كادوا يكونون عليه لبدا) أى كادوا يركبون النبى صلى الله عليه وسلم رغبة فى القرآن وشهوة لاستماعه

لشئ كن فى وقت كذا ثم يوجد بتلك الايجاد فى ذلك الوقت وغايته انه يتوقف على العلم بالشئ
وبوقته وقد علمت (أن الله) عليم بكل شئ حتى الجزئيات الزمانية المنسوبة الى الخلق فانه
(بما تعملون خبير ذلك) أى علم الحق بالجزئيات الزمانية من غير تغير فى علمه (بأن الله هو الحق)
فيكون علمه حقا بان الشئ الفلانى موجود فى الوقت الفلانى وان ذلك الوقت موجود بقبل
الوقت الفلانى و بعد الوقت الفلانى فلا يختلف باختلاف الازمنة (و) انما يختلف فى حق
الغير لتغيره بحسب الازمنة من بطلانه فى نفسه حتى (أن ما يدعون من دونه الباطل و) كيف
يكون زمانيا مع (أن الله هو العلى) فلا يكون فوقه ما يحيط به بل لا يحاط بجانب من جوانبه
لو فرضت له جوانب لانه (الكبير) ثم غاية أمر الزمان انه يشتمل على فيوض الحق يوصلها الى
أهلها فى كل وقت مثل النعم التى يشتمل عليها الفلك (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر) الذى
يناسب بحر الجود الالهى (بنعمة الله) المناسبة لفيضه الازلى (ليريكم من آياته ان فى ذلك
لآيات) تدل على ان الدنيا كمبدأ السفر وان الآخرة كمنتهاه وان الناس على سفن الاعمال
وانها الامتعة وان أفعال الله يترتب بعضها على بعض (لكل صبار) ينتظر لكل فيض وقته
(شكور) بان كل فيض ممكن فى كل وقت قد حصل بكماله فيه (و) من آيات الفلك الدالة على
التوحيد انه (اذا غشيهم) أى غطاهم (موج كالظلل) أى الجبال او السحاب (دعوا الله
مخلصين له الدين) لعلمهم انه لا قدرة للغير على الانجاء من الغرق (فلما نجاهم) من الغرق
وأوصلهم (الى البر فمنهم مقتصد) أى آخذ بالصراط المستقيم لانزجاره (وما يجحد بآياتنا)
التى من جملتها الانجاء من الغرق بدعوة الله على اخلاص التوحيد (الا كل ختار) ناقض
للعهد (كفور) بكل نعمة حتى نعمة النجاة (يا أيها الناس) الذين نسوا العهود والنعم
والآيات (اتقوا ربكم) الذى نجاكم مما خوفكم من غشيان الموج فى البحر (واخشوا
يوما) أشد من يوم غشيان الموج لانه (لا يجزى) فيه (والد عن ولده) مع افراط شفقته عليه
شيأ بحمل شئ من معاصيه او اعطاء شئ من طاعاته (ولا مولود هو جاز) فيه (عن والده شيأ)
وان وجب عليه شكره وهذا اليوم وان لم يكن معهودا فلا يمنع الخوف منه لانه موعود من
الله (ان وعد الله حق) لكن يمنع من النظر فيه الاشتغال بالحياة الدنيا أو شبهات الشيطان
الملقى اياها فى الله وما يتعلق به (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان
ومن غروره انه يلقى الشبهة فى القيامة بانها مجهولة الوقت فلو وجدت لعلم وقتها فيقال يكفى
فى وجودها علم موجدها (ان الله عنده علم الساعة و) له نظير اذ (ينزل الغيث) فى وقته بعلمه
من غير أن يعلم بوقته (و) كيف يشترط العلم بوقت الشئ مع ان غايته انه من صفات الشئ
وكثيرا ما لا يعلم صفات الشئ مع العلم بتحققه فلا يعلمها الا من أوجدها لذلك (يعلم ما فى الارحام)
وكيف يعلم الساعة وهو من الافعال المستقبلة لله (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) وان
وجب ان يعلم الفاعل ما يفعله اختيارا فيكفى فيه سبقه بزمان لطيف (و) قد لا تعرف النفس
حال صفاته كالمزاج متى يتغير فلا تعرف متى تموت بل (ما تدرى نفس بأى أرض تموت) وكل ذلك

لان

(باب الميم المفتوحة)
(المغضوب عليهم) اليهود
ولا الضالين النصارى (قوله
جل وعز مرض) أى فى
قلوبهم شك ونفاق ويقال
اصل المرض الفتور ويقال
المرض فى القلب الفتور
عن الحق والمرض فى
الابدان فتور الاعضاء
والمرض فى العين فتور
النظر (قوله جل وعز المن)

لان المخلوق لايجب أن يحيط علما بالاشياء فهو انما يجب ذلك فى حق الله تعالى (ان الله عليم) بظواهر الاشياء (خبير) ببواطنها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرا

(سورة السجدة)

سميت بها لان آية السجدة منها تدل على ان آيات القرآن من العظمة بحيث تخر وجوه الكمل بسماع مواعظها وتنزه منزلها عن أن يعارض فى كلامه وبشكره على كمال هدايته وهذا أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بربوبيته الكلية فى كتابه (الرحمن) بتنزيله (الرحيم) بازالة الريب منه (الم) أى افاضة لطف محيط او اضاءة لامع مقيم أو انعام لب مكين أو اعظام لوائح المنن (تنزيل الكتاب) الذى هو اللطف واللامع واللب والجامع للوائح وانما اتصف بها لانه (لاريب فيه) فلا يمازج لطفه خذلان ولا لامعه ظلمة ولا لبه قشر ولا لوائحه خفاء وانما كان محيطا مقيما مكينا جامعا للمنن لكونه (من رب العالمين) المحيط ربوبيته بالكل المقيم ربوبيته من الازل الى الابد المتمكن من التصرف فى الكل اللائح نور أسمائه فى الكل وحمل التنزيل على الافاضة ظاهر واما على الاضاءة فلان الكتاب انما اضاء القلوب حين نزل من عالم الغيب الى عالم الشهادة وبه صار انعاما للكل ولوائح المنن وان كانت قبله فانما عظمت بانزاله أ يترددون فى كونه منه (أم يقولون افتراه) لا وجه لذلك مع اتصافه بما ذكر (بل هو الحق) الثابت كونه منه بحيث لايتزلزل بشبهة لانه لما كملت فيه تلك الصفات علم كونه (من ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية أنزله على أكمل مظاهره لحقه التكميل وهو فى حق المكلفين بالانذار عن النقائص فكان انزاله عليك (لتنذر قوما) عن نقائص لايعرفونها لانهم (ما أتاهم من نذير من قبلك) اذ لم يحتج اليه لغاية كمالك فانه يرجى منك وحدك التأثير بالتكميل (لعلهم) يكملون اذ (يهتدون) وكيف يترك تكميل الانسان القابل لجميع الكمالات ولم يترك تكميل سائر الموجودات اذ (الله) بمقتضى أسمائه هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) على عدد الاصناف الكلية الملك والفلك والكواكب والمعدن والنبات والحيوان (ثم استوى) باسمه الرحمن (على العرش) ليرحم الموجودات بتكميلها بما يفيض منه وكان خلقها فى مدة قريبة وتكميلها فى مدة مديدة وأكمل ما أفاض منه هذا الكتاب ليرحم به أكمل الموجودات وهو الانسان وانما به كمالكم (مالكم من دونه من ولى) لو واليتم من دونه نزلتم عن رتبتكم نزولا لايمكن التدارك بعده اذ (لا) يكون لكم حينئذ من (شفيع) يفيدكم من النور ما يجعلكم فى مرتبة الانسان (أ) نسيتم رتبتكم نسيانا كليا (فلا تتذكرون) وانما احتاجت الاشياء النازلة منه الى الاستكمال لانه (يدبر الامر) أى أمر الموجودات بتنزيلها (من السماء الى الارض) لاظهار نقائصها فى ذاتها (ثم يعرج) بالذى تم فيه التدبير (اليه) بظهور كمالاته فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) لانه لايزال يعرج من كمال الى آخر حتى ينتهى فى هذه المدة الى غايته

موثق حلو كان يسقط فى البحر على شجرهم فيجنونه ويأكلونه ويقال المن الترنجبين (قوله تعالى السكينة) مصدر السكين وقيل السكينة قرار النفس لايوجد يهودى موسر ولا تقشر غنى النفس وان تحصل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز متاع الى حين) أى سعة الى أجل

اسرعة ذهابه اليه اذ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وأما التى لم يتم فيها التدبير
فمنها ما يكون عروجه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وللاحتراز عن سنى هذا اليوم قال
(مما تعدون) ثم هذا الانزال والعروج يتم أمر الغيب والشهادة فلا يتركه الله اذ (ذلك عالم
الغيب والشهادة) على ان عزته تقتضى التنزيل ورحمته العروج وهو (العزيز الرحيم)
ثم إن عزته قد تقتضى الاعزاز لذلك هو (الذى أحسن كل شئ خلقه و) رحمته قد تقتضى
اعزاز الاشياء الذليلة لذلك (بدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم) لم يزل هذا الاعزاز بعد
الاذلال فى نسله اذ (جعل نسله من سلالة) أى مما ينسل وينفصل منه فيكون فصله وهو من
الذلة على انه (من ماء مهين ثم) ابتدأ أعزته اذ (سواه) أى عدل مزاجه فصوره صورة انسان
(و) كمل اعزازه اذ (نفخ فيه من روحه) الانسب له فى التجرد (و) زاد تكميله اذ (جعل
لكم السمع) أفرده لان المسموع شئ واحد هو الصوت (والابصار) المدركة للمحسوسات
(والافئدة) المدركة للمعقولات فهذا التكميل بعد النقص اعزاز بعد الاذلال يقتضى
الرحمة الموجبة للشكر لكن (قليلا) من الشكر (ما تشكرون وقالوا) عدل الى الغيبة
لعدم بقاء أهلية خطاب الحق عند اختيار البهيمية اذ كان بعد رؤية هذا التكميل للطين والماء
المهين (ءاذا ضللنا فى الارض) فالتبس اجزاؤنا باجزائها بعد ما صرنا ترابا (أءنا لفى خلق جديد)
فاى حاجة لنا الى شكر من لا رجوع لنا اليه فليس هذا كفرا بالحشر الجسمانى وحده (بل هم
بلقاء ربهم) بالطريق الروحانى أيضا (كافرون قل) لا وجه لانكار اللقاء الروحانى اذ (يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم) ليقبض أرواحكم فيرجع بها الى ربكم ففى كل حال انتم تموتون
(ثم الى ربكم ترجعون) فلو تركتم شكره أو أنكرتم لقاءه نكستم رؤسكم عنده (ولو ترى)
أيها الرائى المجرمين (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) لشق عليك أمرهم فكيف
عليهم لذلك يقولون (ربنا أبصرنا) لقاءك وجزاءك (وسمعنا) تصديقك الرسل وتوبيخك
على الكفر وترك الشكر فقد حصل لنا الايمان ولكن بقى علينا الشكر لكن ليس هذا
مكانه (فارجعنا) الى مكانه (نعمل صالحا) بصرف نعمك الى ما خلقت له ليكون شكرا ولا
يذهب بذلك الرجوع ايماننا (انا موقنون) مستمرون عليه فيقال لا عمل بعد هذا ولا عبرة
بالايمان بعد رؤيته (ولو شئنا) ردكم الى مكان العمل أو قبول الايمان بعد ما لم نقسمكم الى
مؤمن صالح وكافر طالح بل (لآتينا) من أول الامر (كل نفس هداها) ايمانها وأعمالها
(ولكن) لم نؤته أكثر النفوس لانه (حق) أى ثبت (القول منى) بمقتضى جلالى من اظهار
القهر الدال على غاية عظمتى (لأملأن جهنم من الجنة والناس) المضلين والضالين (اجمعين)
أى مجتمعين ليزداد كل عذابا بعذاب صاحبه أو رؤيته أو مشاتمته او معانقته وليس ذلك منى
ابتداء بل من نسيانكم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم) الذى يظهر فيه معانى أعمالكم
(هذا) الكاشف عن السرائر ولا نجيب دعوتكم (انا نسيناكم) أى تركناكم ترك المنسى
جزاء على نسيانكم (و) لا يقتصر على عذاب اليوم المنسى بل (ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم

(قوله عزوجل مثوبة) أى
ثواب (قوله تعالى مثابة
للناس) أى مرجعا لهم
يثوبون اليه أى يرجعون
فى حجهم وعمرتهم كل عام
و يقال ثاب جسم فلان
اذا رجع بعد النحول (قوله
تعالى مناسكنا) متعبداتنا
واحدها منسك ومنسك
وأصل النسك من الذبح

تعملون) من المعاصي الفرعية التي استجمعتموها فصارت كفرا مع الكفر المستأصل وكيف لا تخلدون مع انكم لو أخرجتم لكان غايته هذا انه آية وأنتم لا تؤمنون بآياتنا الاستكباركم سيما اذ ذكرتم بها (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا) وعظوا (بها خروا) أي سقطوا (سجدا) ملصقين وجوههم بالارض تذللا لربهم (و) لآياته اذ (سبحوا) أي نزهوا ربهم من ان يعارض فيها فدل ذلك على تنزهه عن الكذب فيما ذكر فيها (بحمد ربهم) على تذكرهم بها وكيف يستكبرون على الله وآياته (وهم لا يستكبرون) على شيء وكيف يستكبرون مع اصرارهم على التذلل اذ (تتجافى) اى تتباعد (جنوبهم) الملتذة بالفرش والنسوان (عن المضاجع) لإخلالها بتذللهم الذي يصرون عليه اذ (يدعون) أي يعبدون (ربهم) وهو تذلل وقد تأكد من وقوعه (خوفا وطمعا) اذ هما مذللان (و) لكراهتهم اللذات المنافية لتذللهم (مما رزقناهم ينفقون) قطعا لمادة الشهوات وخروجا عن محبة ماسوى الله واذ آثروا جناب الحق لم يفتهم شيء من اللذات بل زادت لذاتهم على لذات الشهوات (فلا تعلم نفس) من أهل الشهوات ولا من أهل المكاشفات (ما أخفي لهم من قرة أعين) من رؤية وجهه ووجوه انعامه واحسانه (جزاء بما كانوا يعملون) من هذا التذلل المؤثر على الشهوات كلها وكفى بفوات ذلك عذابا للكفار لو أخرجوا من النار لكن لا يفعل ذلك لمخالفة الحكمة (أ) يخرجهم من النار ويجعل عذاب ثوابهما اذ كرمع أنه يفوت عوام المؤمنين (فمن كان مؤمنا) لم يؤثر جناب الحق على كل ماسواه وان عمل الصالحات (كمن كان) كافرا أخرج من النار اخراج من كان (فاسقا) مع ان الحكمة تقتضي التفرقة بينهما كما تقتضي التفرقة بين المؤمن الصالح والمؤمن الفاسق فكيف لا تقتضي التفرقة بين المؤمن الصالح والفاسق المطلق في كل حال (لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لكن لم يبلغوا مبلغ أهل الكمالات (فلهم جنات المأوى) التي يأوي اليها عامة المؤمنين لكونها (نزلا) لهم (بما كانوا يعملون) من المساعي الظاهرة دون الاحوال والمقامات (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) لكونها نزلا لهم فان كانوا فاسقين على الاطلاق فلا خروج لهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) كيف تخرجون خروج الفاسق المؤمن بل (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) على الابد فوق ماذاق الفاسق المؤمن مدة معدودة (و) كيف تخلصون بعد العذاب الاخروي وهو أكبر مطلقا ولا تخلصون بعد العذاب الاكبر الدنيوي ولكنهم لما لم يؤمنوا بدون رؤية العذاب (لنذيقنهم) في الدنيا شيأ (من العذاب الادنى) كالقتل والاسر والقحط سنين (دون العذاب الاكبر) أي مجاوزين عنه اذ لا يقبل الرجوع بعده وقد طلبنا منهم الرجوع (لعلهم يرجعون و) ان لم يبالوا بهذا العذاب الادنى لان غايته انه آية مذكرة لعذاب الآخرة قيل لهم (من أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فهو يستحق العذاب الاكبر الذي لا تخلص بعده (انا من المجرمين) وان لم يبلغوا حد الاظلم (منتقمون) بالعذاب الاكبر فكيف تترك انتقام الاظلم (و) كيف تترك هذا الانتقام مع انا (لقد آتينا موسى

يقال نسكت اى ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله عزوجل ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة ومنه قيل للعابد ناسك (قوله تعالى المشعر الحرام) معلم المتعبد من متعبداتهم وجمعه مشاعر والمشعر الحرام هي مزدلفة وهي

الكتاب) متضمنا لهذا الانتقام ثم صدقنا بهذا الكتاب المعجز (فلا تكن فى مرية من لقائه) أى لقاء هذا الانتقام وكيف يكذب ما فى ذلك الكتاب (و) قد (جعلناه هدى لبنى اسرائيل) الذين هم خواص عباد الله (و) الذين هديناهم به هم أخص اذ (جعلنا منهم أئمة يهدون) الخلائق يعرفونهم (بأمرنا) أى بشأن ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وأحكامنا ويدل على اخصيتهم بذلك انهم انما نالوا تلك الرتبة (لما صبروا) على استخراج دقائقه والعمل به (و) انما تيسر لهم ذلك لانهم (كانوا بآياتنا يوقنون) ولكن ليس جميعهم موقنين حتى الذين يختلفون فيه فان لم تفصل بينهم (ان ربك هو يفصل بينهم) سيما (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أ) ينكرون ذلك الفصل فى اليوم الموضوع له (ولم يهد لهم) نظيره الدنيوى وهو أنا (كم) أى كثيرا (أهلكنا من قبلهم) فصار لهم مقيسا عليه لا من الاحاد بل (من القرون) لا فى الطريق ولا فى البحر بل حين الغفلة الكلية حين (يمشون فى مساكنهم) فلا يبعد عليه المؤاخذة الاخروية بالغفلة (ان فى ذلك لآيات) على صدق الرسل والغضب الالهى عليهم والانتقام الاخروى (أ) ينكرون وقوعه لعدم رؤيتهم اياه (فلا يسمعون) ما تواتر من أخبارهم (أ) ينكرون الهلاك الاخروى لانكارهم البعث اذ لا قابل للروح فيهم بعد يبسهم (ولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى المقطوع نباتها فلا يبعد علينا ترطيب أبدانهم بسوق الماء المنزل من العرش عليها (فنخرج به) أبدانهم من القبور كما نخرج بالماء (زرعا) كيف وغاية ما فى اخراج الزرع انه (تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) والحكمة فى اخراج البدن اقامة العدل والظهور بالجلال والجمال على نهج أكمل (أ) ينكرون هذه الحكمة (فلا يبصرون و يقولون متى هذا الفتح) أى فتح الارض عن نبات أبدانهم بينوا لنا (ان كنتم صادقين) فانكم لو اطلعتم على وقوعه بالغيب لعلمتم وقت وقوعه أيضا (قل) من الغيب ما يخفيه الله على أهل الكشف وربما يمنعهم من افشائه الى العامة وأنتم لو علمتم وقته أخرتم الايمان اليه او الى ظهور علاماته لكن (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا) قبله (ايمانهم) فيه (ولا هم ينظرون) للايمان عند ظهور علاماته واذا وقفوا ايمانهم على مجيء ذلك الوقت بعد هذا البيان (فاعرض عنهم وانتظر) مجيئه (انهم منتظرون) مجيئه وان أتاهم من الدلائل ما لا يحصى * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحزاب)

سميت بها لان قصتها معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله المؤمنين القتال وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى نبيه (الرحمن) بالامر بالتقوى والنهى عن مطاوعة الاعداء (الرحيم) بتخصيصه بالوحى (يا أيها النبى) ناداه ليقبل الى فهم ما خوطب به والعزم على تحقيقه وعبر عنه بالمبهم تعظيما لشأنه ثم فسره بما يشعر بالتعظيم ايوهم الجمع بين المتنافيين

جمع نسى بجمع وحش دافة (قوله عز وجل ميسر) هو القمار (قوله تعالى محله) أى منحره يعنى الموضع الذى يحل نحره فيه (قوله تعالى المحيض) والحيض واحد (قوله الملأ من بنى اسرائيل) يعنى اشرافهم ووجوههم ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم

مع استقرار تعظيمه فى النفوس أى من يانبئ بالحقائق فارتفع شأنه (اتق الله) أى اجعل الله وقاية عظمتك ومقتضى ما نبئت (و) انما يتم تقوالله بترك محبة أعدائه فضلا عن اطاعتهم (لاتطع الكافرين والمنافقين) وان خفت عداوتهم وكيف لايتقى من أحاط علما بالاشياء وراعى مقتضى حقائقها (ان الله كان عليما حكيما) ومقتضى حقيقة المحب عداوة عدو المحبوب ومقتضى حقيقة المحبوب ابتلاء المحب بما يميز صدقه عن كذبه روى انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه و يتجاوز عن قبحهم فنزلت (و) لكونه عليما حكيما (اتبع) حتى فى تقواه وعداوة أعدائه لئلا تقع فى الافراط والتفريط (مايوحى اليك) سيما وهو (من ربك) الذى رباك باوامره ونواهيه بحسب تأثير الاعمال بالخير والشر (ان الله كان بما تعملون خبيرا) مطلعا على بواطن تأثيره (و) لاتترك متابعة الوحى مخافة أحد بل (توكل على الله و) اكتف به اذ (كفى) لمن توكل عليه (بالله وكيلا) يدفع عنه ما يخافه وكيف تترك متابعة الوحى لقول الكفار مع انهم ربما يتفقون على صريح المحال كالشرك ومن ذلك قولهم ان اللبيب الاريب له قلبان وادعى ذلك لنفسه أبو معمر او جميل بن أسد الفهرى فانهزم يوم بدر واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فكلمه أبو سفيان فى ذلك فقال ماظننت الا انهما فى رجلى فكذبهم الله تعالى بقوله (ما جعل الله لرجل) وان بلغ ما بلغ من الكمالات (من قلبين) تتصرفان (فى جوفه) وان جعل فى ظاهره عينين واذنين ويدين ورجلين اذ لو تعدد لزم تعدد ما هو الاصل فى الانسان فان اتفقا كان احدهما زائدا فلا يفتقر اليه والاصل لابد ان يفتقر اليه فيكون مفتقرا اليه وغير مفتقر اليه معا وان اختلفا لزم ان يكون باحدهما عالما بالشئ ومريدا الشئ وجاهلا بذلك الشئ وكارها لذلك الشئ وبجعلكم الزوجة فى الظهار أما فقال تعالى (وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون لاحداهن أنت على كظهر أمى والاصل البطن الا انهم لم يذكروه لمقاربة الفرج وكانوا يكرهون اتيان المرأة من قبل الظهر لزعمهم انه يوجب كون الولد أحول فشبه بالظهر ثم أضيف الى الام تغليظا (أمهاتكم) لاحقيقة لاستحالة كون المرأة الواحدة والدة وغير والدة لشخص واحد ولا مجازا لان الام مخدومة يخفض لها جناح الذل من الرحمة والزوجة مستخدمة كالمملوكة يتصرف فيها بالفراش وغيره فتكون مخدومة شخص غير مخدومته معا وبجعلهم الداعى وهو المتبنى ابنا فقال تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) حقيقة لاستحالة أن يكون الواحد مخلوقا من نطفة شخص غير مخلوق منها واما المجاز فهو كونه محل الشفقة والرحمة فلا يلحقه أحكام المعنى الحقيقى من تحريم تزوج امرأته أو ابنته أو توريثه وكيف يلحق أحكام المعانى الحقيقية بالمجازية مع ان (ذلكم قولكم) لاعن الواقع فى القلب من صورة ذلك المعنى الحقيقى الذى فى الواقع بل (بافواهكم و) الحكم انما يتعلق بالشئ باعتبار ماله فى الواقع اذ (الله يقول الحق) وكيف يوقع الالتباس بين المعانى الحقيقية والمجازية (وهو يهدى السبيل) وللاحتراز عن ترتب احكام البنوة من التوريث وغيره (ادعوهم) منسوبين (لآبائهم هو

وسلم أولئك الملأ من قريش واشتقاقه من ملأت الشئ وفلان ملئ اذا كان مكثرا فمعنى الملأ الذين يملؤن العين والقلب وما أشبه هذا (قوله جل وعز المس) المجنون يقال رجل ممسوس أى مجنون (قوله جل وعز موعظة) أى تخويف سوء العاقبة (قوله جل وعز مولانا) أى ولينا والمولى على ثمانية

اقسط) اذ لا ظلم فيه بجعل شئ من نصيب واحد لآخر فهو مرضى ٣ (عند الله فان لم تعلموا آباءهم
فاخوانكم فى الدين ومواليكم) أى أولياؤكم فيه فقولوا لهم يا أخى و يا مولاى فانه اظهر وهذا
التأويل فيه لا يمكنهم أخذ الارث بالاخوة والولاء ولا تنسبوهم الى من تبنوهم فانه خفاء هذا
التأويل فيه قد يفضى الى اللبس فربما يشتهر هذا فيدعى الارث (وليس عليكم جناح فيما
أخطأتم به) بنسيان أو سبق لسان وان افضى الى الدعوة الفاسدة فذلك نادر (ولكن) محل
المؤاخذة (ماتعمدت قلوبكم) فامرت الالسن بالنطق به (وكان الله غفورا) لما لم ينطق به
لكونه (رحيما) ومن المجاز ما يلحقه حكم الحقيقة لوجود ما يقتضيه فيها فى المجاز كأبوة النبى صلى
الله عليه وسلم تقتضى حكم الابوة الحقيقية فى الحرمة اذ (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم)
اذ أنفسهم تأمرهم بكل شر وفساد وتنهاهم عن كل خير وصلاح والنبى صلى الله عليه وسلم ينهاهم
عن كل شر و يأمرهم بكل خير كالاب للطفل فيلحقه حكم الاب فى الحرمة (و) لذلك (ازواجه
أمهاتهم) اذ امرأة الاب انما حرمت لحرمته والنبى صلى الله عليه وسلم اتم فيها ولكن ليس
له حكم الاب فى التوارث اذ ليس باعتبار الحرمة بل باعتبار القرابة (و) لذلك (أولوا الارحام
بعضهم أولى ببعض) أى بأخذ ميراثه (فى) حكم (كتاب الله) بخلاف ميراث الداعى (من
المؤمنين) الوارثين بحق الدين (و) من (المهاجرين) الوارثين بحق الهجرة وانما يرثون عند عدم
ذوى الارحام وهذا فى كل وقت (الا) وقت (ان تفعلوا الى أوليائكم) من المؤمنين (معروفا)
وهو التوصية التى لا تزيد على الثلث أو يجيز الورثة فانه وان خالف ما ذكر من الحكم (كان ذلك)
أيضا (فى الكتاب مسطورا و) اذكر ان أنكر كون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (اذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم) ان يأمروا اممهم بكل خير و ينهوهم عن كل شر بمقتضى الشريعة العامة
(ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بمقتضى شرائعهم الخاصة (وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا) أى مؤكدا ليؤكدوا على الامم أوامرهم ونواهيهم ولم يكن هذا الميثاق
والتغليظ بلا عاقبة بل (ليسأل الصادقين) من الانبياء والمؤمنين (عن صدقهم) أى صدق
تبليغهم واعتقادهم واعمالهم فيجازيهم بحسب ما يظهر منهم (وأعد للكافرين عذابا أليما)
فمنهم من يدخله النار بلا سؤال اذ لم يكن له شبهة ومنهم من يسأل لمكان الشبهة لكنها لما كانت
فى مقابلة الحجة القاطعة لم تكن مانعة من التعذيب (يا أيها الذين آمنوا) بامور الآخرة كرفع
درجات الصادقين بعد انجائهم من الاهوال واهلاك الكافرين (اذكروا نعمة الله عليكم)
المشابهة نعمة الآخرة المرتبة على الصدق فى وفاء الميثاق (اذ جاءتكم جنود) هى احزاب
قريش وغطفان وقريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فارسلنا عليهم ريحا) تقلع
أوتادهم وتقطع خيامهم وتطفئ نيرانهم وتلقى قدورهم وتجيل خيولهم وكانت ريح الصبا
باردة فى ليلة شاتية (وجنودا) من الملائكة (لم تروها) وانما رآها الاعداء حين كبروا وكبروا
فى جوانب عسكرهم حتى قال سادتهم النجاء النجاء فقد بدا محمد بالسحر فانهزموا من غير قتال
(وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وسائر أسباب الحرب (بصيرا) فعلم أنه لا كفاية فيه

(اذ

---

١ أوجه المعتق والمعتق والولى والاولى بالشئ وابن العم والصهر والجار والحليف ٢

(قوله عز وجل مفازة) أى منجاة مفعلة من الفوز يقال فاز فلان أى نجا والفوز الظفر وقوله تعالى ان للمتقين مفازا أى ظفرا بما يريدون يقال فاز فلان بالامر اذا ظفر به (قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع) مثنى مثنى وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا

٣ وجد بهامش الاصل قال أبو محمد المولى الصاحب ومنه قول النابغة الذبيانى
قالت له النفس انى لا أرى طمعا وان مولاك لم يسلم ولم يصد اهـ أى صاحبك
ووجد أيضا بالهامش (مآب) مرجع

(اذجاؤكم من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم غطفان (ومن اسفل منكم) من قبل المغرب وهم قريش وليس معكم ما يكفى الجانبين (و) التحصن بالخندق لا يفيد (اذزاغت الابصار) أى مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) منتهى الحلقوم لان بالفزع تنتفخ الرئة فترتفع وبارتفاعها ترتفع القلوب (وتظنون بالله الظنونا) أى أنواعا من الظنون فمنكم من يظن ان الله ينجز وعده فى اعلاء دينه ومنهم من يخاف الامتحان فيخاف الزلل وضعف الاحتمال اذ (هنالك ابتلى) اى اختبر (المؤمنون) ليتميز الثابت من المتزلزل والمؤمن من المنافق (وزلزلوا) من الفزع (زلزالا شديدا و) ازداد زلزالهم (اذ يقول المنافقون) معتب بن قشير (والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ماوعدنا) محمد فارس والروم وزعم انه وعدنا (الله ورسوله الا) وعدا اغترنا به (غرورا) اذلا يقدر أحد ان يتبرز لهؤلاء فرقا (و) ازداد فوق ازدياد (اذ قالت طائفة منهم) أوس بن قيظى واتباعه (يا أهل يثرب) أى يا أهل المدينة (لامقام لكم) للقتال (فارجعوا) الى بيوتكم (ويستأذن) للرجوع (فريق منهم) بنو حارثة وبنو سلمة (النبى) الذى يقبلهم بانه ابتلاء وعاقبته النصر (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة (و) كذبوا اذ كانت حصينة (ماهى بعورة ان يريدون) أى ما يريدون بهذا العذر الكاذب (الا فرارا) عن القتال لا التقوى بالبيوت (ولو دخلت) أى جعلت بيوتهم محصنة (عليهم) فى مكان القتال (من اقطارها) أى جوانبها فأمنوا العدو من كل جانب (ثم سئلوا الفتنة) أى الردة وقتال المسلمين (لآتوها) أى لاعطوها من طيب قلوبهم (وما تلبثوا بها) أى ما توقفوا باعطائهم (الا يسيرا) مقدار السؤال والجواب (و) يدل على اتيانهم الفتنة بلا تلبث نقضهم العهد فانهم (لقد كانوا) أى بنو حارثة وبنو سلمة (عاهدوا الله من قبل) حين هموا ان يفشلوا يوم أحد فانزل الله فيهم ما أنزل (لا يولون) من بعده (الادبار وكان عهد الله مسؤلا) ايجازى عليه فكفى بنقضه ضررا فان زعموا انه يحتمل هذا الضرر لاجل الحياة العاجلة من الفرار (قل لن ينفعكم الفرار) بنجاة ولا حياة (ان فررتم من الموت) حتف الانف لو قدر فى ذلك الوقت (أو القتل) فى البلد لو قدر فى ذلك الوقت (و) ان نفع (اذا لا تمتعون) بالحياة الدنيا (الا) نفعا (قليلا) لانسبة لقلته الى نفع الشهادة على الابد فان زعموا ان بيوتهم عاصمة عن الموت أو القتل (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يمنعكم (من) ارادة (الله ان اراد بكم) على الفرار (سوأ) أى معاقبة (أو أراد بكم) على القتال (رحمة) ظفرا وغنيمة وثوابا اخرويا (و) لو ارادوا من دون الله دفع سوء أو تحصيل رحمة (لا يجدون لهم من دون الله وليا) يحصل لهم رحمة (ولا نصيرا) يدفع عنهم سوأ والمعوقون والقائلون لاخوانهم داخلون فى الدون لانه (قد يعلم الله) والمعلوم لكونه مخاطبا به دون (المعوقين) أى المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (منكم والقائلين لاخوانهم) من غير تصريح بالتثبيط (هلم) أى قربوا أنفسكم (الينا و) لا يقصدون الاجتماع على القتال اذ (لا يأتون البأس) أى القتال (الا) زمنا (قليلا) فهم فى حكم المثبطين فان اتوا القتال كانوا (أشحة) أى بخلاء (عليكم)

(قوله جل وعز مقتا) (قوله عز اسمه انه كان فاحشة ومقتا) أى كان فاحشة عند الله ومقتا فى تسميتكم كانت العرب اذا تزوج الرجل امرأة ابيه فأولدها يقولون للولد مقتى (قوله جل اسمه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) أى ما اصابك من

فى المعاونة والنفقة وهذا قبل الخوف (فاذا جاء الخوف) أى خوف القتال (رأيتهم) فى حكم
العدم اذ (ينظرون اليك) ولا يستفيدون من النظر الى شجاعتك شجاعة بل (تدور اعينهم) من
الجبن فهم فيه (كالذى يغشى عليه من) معالجة (الموت فاذا ذهب الخوف) أى فرغ من القتال
(سلقوكم) أى قهروكم فى طلب الغنائم (بألسنة حداد) ذربة كانها من الحديد لكونهم (اشحة)
أى بخلاء يريدون الاستيلاء (على الخير) أى المال الذى رأوه كل خير (أولئك) الشجعان
عليكم فى طلب الغنيمة الجبناء على قتال اعدائكم (لم يؤمنوا) بالآخرة فلم يعتقدوا خيرات
القتال (فاحبط الله أعمالهم) بحيث لو قاتلوا لم ينالوا ثواب الجهاد ولو قتلوا لم ينالوا ثواب
الشهادة (وكان ذلك) أى احباط اعمالهم (على الله) مع قتالهم فى سبيله (يسيرا) وان عسر
عليكم منع الغنائم منهم ثم ان خوفهم انما زال بالنظر الى طلب الغنيمة لا القتال فانهم (يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا) وان تواتر لهم خبر ذهابهم (وان يأت الاحزاب) مرة اخرى لم يذهبوا الى
قتالهم ولم يستقروا فى المدينة بل (يودوا لو انهم بادون) أى خارجون الى البدو وان لحقهم عار
دخولهم (فى الاعراب) فلا يبالون بعار جبنهم اذ (يسئلون) القادمين (عن أنبائكم) أى
اخباركم (و) لا يضركم خروجهم اذ (لو كانوا فيكم ما قاتلوا) أعداءكم (الا) قتالا (قليلا) دفعا
لشناعة الجبن عنهم عند كونهم مع الشجعان ولا ينافى هذا الجبن ان صح اقتداؤه برسول الله
صلى الله عليه وسلم لغاية قبحه (لقد كان لكم فى) اخلاق (رسول الله) وأفعاله (أسوة حسنة) سيما
(لمن كان يرجوا الله) رضوانه وقربه ورؤيته (واليوم الآخر) ثوابه ونجاته فيؤثرهما على
الحياة الدنيا فيختار الشجاعة (و) يحصل له بدل لذات الدنيا لذة محبة الله اذ (ذكر الله كثيرا)
بحيث يستقر محبته بقلبه (و) كيف يجبن المؤمن مع وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاحزاب والنصر عليها الذلك (لما رأى المؤمنون) الكاملون (الاحزاب قالوا) فى مقابلة قول
المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا (هذا ما وعدنا الله) بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية (ورسوله) بقوله عليه السلام سيشتد الامر
باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم
بعد تسع أو عشر (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدقهما فى مجيئهم فسيظهر بالنصر عليهم
(وما زادهم) عند تزلزل عوامهم وعند سماع قول المنافقين (الا ايمانا) بالله ورسوله
ومواعيدهما (وتسليما) لاوامر الله ومقاديره ثم (من المؤمنين رجال) زادوا على الاولين بان
(صدقوا) فى عهوده فوفوا (ما عاهدوا الله عليه) وهو نذرهم ان لا نزال نقاتل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نستشهد (فمنهم من قضى نحبه) أى وفى نذره كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (و) هؤلاء المنتظرون (ما بدلوا)
العهد (تبديلا) بتأخر الاستشهاد بل لم يتفق لهم ذلك بخلاف بنى حارثة وبنى سلمة وهذا العهد
كان من اسباب الابتلاء (ليجزى الله الصادقين) فى عهودهم (بصدقهم) فى وفائها (ويعذب
المنافقين) بتعيير الناس فى الدنيا والنار فى الآخرة (ان شاء) ان يميتهم بلا توبة بعد التزامهم

نعمة من الله فضلا منه
عليك ورحمة وما اصابك
من سيئة أى من امر يسوءك
فمن نفسك أى من ذنب
أذنبته فعوقبت عليه
(موقوتا) أى موقتا
(مغانم) جمع مغنم والمغنم
والغنيمة ما أصيب من
أموال المحاربين (قوله
جل وعز مريدا) ماردا أى
عاتيا ومعناه أنه قد عرى

بفعل المؤمنين ان قالوا لم يكن لنا بهم طاقة (أو) يغفر لهم بان يوفقهم للتوبة ثم (يتوب عليهم) وان عظمت جريمتهم من قصد اتلاف الدين من اصله (ان الله كان غفورا رحيما و) من مجازاة الله الصادقين بصدقهم وتعذيب أعدائهم انه (رد الله) قهرا (الذين كفروا) عنهم من غير ان يكون لهم جبن بل (بغيظهم) أى مع كمال غضبهم الذى هو منشأ الشجاعة وكان ردا كاملا اذ (لم ينالوا خيرا) نصرا ولا غنيمة (و) كانت هزيمتهم شر هزيمة اذ (كفى الله المؤمنين القتال) بارسال الريح والملائكة (و) لو لم يرسلهما كفاهم بمجرد قوته اذ (كان الله قويا) بحيث لا يعارض قوته قوة شئ لكونه (عزيزا) غالبا بالاطلاق (و) من تلك الغلبة فعله تعالى بالمظاهرين أشد من فعله بهم من ردهم بغيظهم اذ (أنزل الذين ظاهروهم) أى احزاب المشركين (من أهل الكتاب) اذ ذهب جماعة منهم الى مكة فدعت قريشا الى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ثم أتت غطفان فقالت لهم مثل ذلك فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا (من صياصيهم) أى حصونهم روى انه عليه السلام لما انصرف من الاحزاب ووضع المؤمنون السلاح فاتى جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة فأمر عليه السلام مناديا ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم عليه السلام خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار (وقذف فى قلوبهم الرعب) مع كونهم فى الحصون فقال لهم عليه السلام تنزلون على حكمى فابوا فقال عليه السلام على حكم سعد ابن معاذ فرضوا فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم فكبر صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة فوقع ما خافوا اذ (فريقا تقتلون) وهم الرجال المقاتلون على الخصوص (وتأسرون فريقا) وهم الذرارى والنسوان وغير المقاتلين من الرجال قيل قتل ستمائة أو أكثر واسر سبعمائة ولعدم الخصوص قدم الفعل ههنا (و) كما سلطكم على دمائهم وأموالهم (أورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم وقراهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم (و) اورثكم (أرضا لم تطؤها) الى الآن وستفتح لكم كفارس والروم وسائر ما سير اليه الاسلام ولا يبعد ذلك اذ ليس بحسب قدرتكم بل بحسب قدرة الله (وكان الله على كل شئ قديرا) ولا يبعد فتح تلك الاراضى بقدرة الله تعالى وقد فتح بها حصون بنى قريظة والنضير لا بقوة العسكر لانها بالمال ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما يوسع على أزواجه بل لما سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة انزل الله تعالى عليه (يا أيها النبى) الذى شأنه النصح ودفع المضار والانباء عن الحقائق (قل لازواجك) ما يخيرهن بين دفع الضرر الدنيوى وبين الصبر عليه للنفع الاخروى لكن قد لا يحتمله البعض فوجب تخييره بعد انبائه بمقدار الضرر وثواب الصبر (ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) الاتساع فى التنعم بلذاتها (وزينتها) زخارف ثيابها وحليها فليس عندى من المال ما يفى بذلك ولا ألزمكن الصبر على ترك ذلك (فتعالين) لبيان ما فى قلوبكن من عدم احتمال ذلك (أمتعكن) أعطكن

من الحسير وظهر شر من قولهم شجرة مرداء اذا سقط ورقها فظهرت عيدانها ومنه غلام أمرد اذا لم يكن فى وجهه شعر (قوله جل وعز محيصا) أى معدلا (قوله تعالى المسيح) فيه ستة أقوال قيل سمى عيسى عليه السلام المسيح لسياحته فى الارض واصله مسيح مفعل فاسكنت الياء

المتعة أولا (وأسرحكن) أى أطلقكن (سراحا جميلا) لاضرار فيه ولا بدعة وهذا قبل تحريم
ازواجه على المؤمنين اذ ليس لهن بعد هذه السعة والزينة (وان كنتن تردن الله) رضوانه
وقربه (ورسوله) محبته وصحبته (والدار الآخرة) نجاتها وسعادتها فانتن محسنات لاقتصار
نظركن على الله فلا يبالى بما فاتكن (فان الله اعد للمحسنات) سيما (منكن أجرا عظيما)
فوق أجر سائر المحسنين الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها او يحتمل لاجله كل ضيق ولما اخترن
صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله لهن من الاجر الدنيوى أن شرفهن بخطابه
واضافهن الى نبيه فقال (يانساء النبى) مقتضى شرفكن تعظيم جزائكن (من يأت منكن
بفاحشة) أى بخصلة بليغة فى القبح (مبينة) أى بين الشرع والعقل قبحها ان قرئ بالفتح
أو مبينة قبحها بنفسها من غير تأمل ان قرئ بالكسر (يضاعف لها العذاب) أى يجعل
عذابها مثل عذاب غيرها كحد الحر (ضعفين) لا اضعافا كثيرة لانه يشبه الظلم (و) لكن (كان
ذلك) التضعيف الاول (على الله يسيرا) وان لم يتيسر عليه الظلم لان هذا التضعيف فى حقهن
عدل محض (ومن يقنت) ومن تدم مطيعة (منكن لله ورسوله) فى اتيان الواجبات وترك
المحرمات والمكروهات (وتعمل صالحا) من النوافل والمباحات (نؤتها أجرها مرتين) مرة
لعملها ومرة لرعايتها اشرف العمل (و) عندنا لها زيادة (اعتدنا لها) زيادة على المرتين (رزقا
كريما) من الاطلاع على أسرار العلوم والعبادات ببركة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونظره (يانساء النبى) كيف لا يكون لكن هذا التضعيف مع انكن (لستن كاحد من النساء)
لكن (ان اتقيتن) فالتقوى وان اقتضت الخضوع (فلا تخضعن بالقول) أى بتليينه فانه من
مقدمات الزنا فهى وان لم يطمع فجار المؤمنين لاعتقادهم انكن أمهاتهم (فيطمع الذى فى قلبه
مرض) أى نفاق (وقلن قولا معروفا) أى بعيدا عن الريبة فان القول المريب أقوى تأثيرا من
التليين (وقرن) أى اسكن من الوقار (فى بيوتكن) لان التبرز اشد اطماعا من القول المريب
(ولا تبرجن) أى لا تبخترن فى المشى (تبرج) النساء ايام (الجاهلية الاولى) جاهلية الكفر فانها
قبل جاهلية الفسق فهو أشد اطماعا من التبرز (واقمن الصلوة) الناهية عن الفحشاء (وآتين
الزكوة) المضعفة للشهوات الباعثة على الزنا (واطعن الله ورسوله) بموافقة امرهما ونهيهما
فان مخالفتهما رجس لا يناسب فضل أهل البيت (انما يريد الله) ان تناسبوه (ليذهب عنكم
الرجس) الذى هو ضد النزاهة التى بها مناسبة الحق (أهل البيت ويطهركم) عن النقائص
(تطهيرا) كاملا ليحصل لكم الكمالات الممكنة لكم كلها (و) مما يعد لتحصيلها ذكر القرآن
(اذكرن) أى تأملن (ما يتلى) عليكن من غير تعب فى طلبه لكونه (فى بيوتكن من آيات الله)
أى معجزاته المنسوبة الى الاسم الجامع (و) ما فيه من (الحكمة) أى العلوم المتقنة والاسرار
ولا يبعد أن يوجد ذلك فى كلام الله (ان الله كان لطيفا) بعباده يفيدهم بالالفاظ اللطيفة
المعانى العجيبة التى يحار فيها النظار ولا يبعد عليه جمعها فى هذه الالفاظ اللطيفة لكونه
(خبيرا) ولا يبعد أن يكون لنساء النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكمالات وقد حصلت كمالات

الرجال

وحولت بكسرتها الى السين وقيل مسيح فعيل من مسح الارض لانه كان يمسحها أى يقطعها وقيل سمى مسيحا لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل سمى مسيحا لانه كان امسح الرجل ليس لرجله اخمص والاخمص ما يتجافى عن الارض من باطن الرجل

الرجال لمن دونهن فشاركتهم (ان المسلمين) أى المنقادين فى الظاهر لكلمة الشهادة (والمسلمات والمؤمنين) أى المصدقين لها فى القلب (والمؤمنات والقانتين) بادامة شغل الجوارح فى الطاعة (والقانتات والصادقين) أى المخلصين فلا يكون فى طاعتهم رياء (والصادقات والصابرين) على مشاق العبادة بدون قصد الرياء (والصابرات والخاشعين) برؤية القصور فيها دفعا للعجب (والخاشعات والمتصدقين) بالخروج عن محبة المال اتماما للخشوع (والمتصدقات والصائمين) لقطع الشهوات الذى هو اتم فى الخشوع (والصائمات و) لكون قطع شهوة الطعام قاطعا لشهوات الفروج صار واهم (الحافظين فروجهم والحافظات و) لحصول التزكية بهذه الامور صار واهم (الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) فسترت قبائحهم واظهرت كمالاتهم اذ (أعد الله لهم مغفرة) تستر قبائحهم (واجرا عظيما) ليظهر كمالاتهم (و) كيف تختلف هذه الكمالات بالرجال والنساء لعار الانوثة مع انها بموافقة أمر الله الذى لا يعتد معه بعار أصلا لذلك (ما كان لمؤمن) اتصف بشرف الايمان (ولا مؤمنة) وان كان العار عليها اشد (اذا قضى الله ورسوله أمرا) فيه عار عرفى (ان يكون لهم الخيرة) أى الاختيار (من أمرهم) أى مما أمروا به بحيث يجوز لهم تركه للعار كيف وتركه معصية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل) عن تحصيل الكمالات (ضلالا مبينا) ظاهرا وهو أشد عارا من العار المتعارف قيل نزلت فى زينب بنت جحش وكانت أمها عمته صلى الله عليه وسلم أمية بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ابن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله لكون زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الخطبة كانت بطريق الوجوب ويحتمل ان تكون لا بطريق الوجوب لكن اعتبار العار فى مقابلة خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لما فيه من ترجيح قول أهل العرف على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قول الله بالحقيقة (و) كيف يعتبر العار فى حق المؤمنين على مقابلة أمر الله ولم يعتبر فى حق أشرف الخلائق ما اتفق عليه الناس حتى خشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه الله عليه فقال (اذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام وهو زيد بن حارثة فلا يعتد معه بما يليه من نحو التفريق بينه وبين زوجته (وانعمت عليه) بالعتق والارشاد فلا يعتد بايذائه بنكاح مطلقته بعد أن يطلقها بنفسه من غير اشارة منه صلى الله عليه وسلم بل أشار بالعكس فقال (امسك عليك زوجك) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ذات يوم لحاجة الى زيد بعد ما زوجه زينب فابصرها فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت وذكرته لزيد ففطن لذلك القول ووقع فى نفسه كراهيتها فى الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد ان افارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله يا رسول الله ما رأيت فيها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال امسك عليك زوجك (واتق الله) فى تطليقها معللا بتكبرها (وتخفى) أى تضمر (فى نفسك) من محبة تطليقها لتنكحها (ما الله مبديه) أى مظهره عليك لئلا تخالف ما تظهر لما تضمر (وتخشى الناس) عارهم فى مقابلة أمر الله (والله أحق ان تخشاه)

وقيل سمى مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ وقيل المسيح الصديق (قوله الموقوذة) المضروبة حتى توقذ أى تشرف على الموت ثم تترك حتى تموت وتؤكل بغير ذكاة (قوله عز وجل مخمصة) مجاعة (قوله تعالى مكناهم فى الارض) ثبتناهم وأسكناهم فيها وملكناهم يقال مكنتك ومكنت لك

فى ترجيح عار الناس على أمره فالزمنا ترجيح أمرنا على عارهم (فلما قضى) أى قطع بطلاقها زيد (منها وطرا) أى كل حاجة (زوجناكها) بلا واسطة ولهذا لذلك كانت تقول لسائر نسائه ان الله تولى نكاحى وانتن زوجكن أولياؤكن (لكى لا يكون على المؤمنين حرج) أى ضيق من العار اذ لم يكن عارا لأشرف الخلائق (فى) مناكحة (أزواج أدعيائهم) لا حال بقائهن فى نكاحهم بل (اذا قضوا منهن وطرا) بموت أو طلاق أو فسخ نكاح (وكان أمر الله) وان كان أمر اباحة (مفعولا) ترجيحا له على عار الخلق ولو رجح عار الخلق فى أمر الاباحة لخيف اعتبار العار فى أمر الوجوب لذلك (ما كان على النبى) وان كان أشرف الخلائق (من حرج) أى ضيق بسبب العار (فيما فرض الله له) أى فى أمر أوجبه الله تكميلا له بل لا يبقى عار لكونه (سنة الله فى الرسل (الذين خلوا) أى مضوا (من قبل) فمن عرف تلك السنة لا يعيره ولا عبرة بتعيير غيره (و) لو اعتبر ذلك العار لم يكن لهم بد من احتماله اذ (كان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء حتما فكما يجب احتمال قضائه عز وجل بالصبر يجب احتمال العار فى مقابلة أمره لئلا يتعطل أمره وكيف يعتبر الرسل عار الخلق فى مقابلة أمر الله وبعضهم يعيرونه فى دعوى الرسالة أولا وفيما أرسلوا به مما يخالفه مألوفاتهم ثانيا فهو يمنع من التبليغ لكنهم (الذين يبلغون رسالات الله و) لو اعتبروا العار فى مقابلة أمر الله لخافوا الناس مثل ما يخافون الله لكنهم انما (يخشونه ولا يخشون احدا) لا ذما ولا قتلا ولا ضربا ولا غيرها (الا الله و) لا يضرهم ترك خوفهم اذ (كفى بالله) فى دفع الخصومات لكونه (حسيبا) أى كافيا فى الامور كلها وقد كفى فى دفع هذا العار لانهم عيروه بانه تزوج بزوجة ابنه فدفعه بانه انما يتصور لو كان محمد أبا لزيد لكن (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وان كان أبا لبعض النساء والصبيان (ولكن) كان فيه معنى الابوة اذ كان (رسول الله) فكان ناصح الامة نصح الوالد لاولاده (و) كان فى هذا المعنى اتم من سائر الرسل لكونه (خاتم النبيين) ومع ذلك لم يكن فى حكم الاب الحقيقى فى تحريم نكاح بناتهم ونساء من مات منهم لانه يسد عليه باب النكاح اذ يصرن بناته وبنات أولاده وانما كان فى حكم الاب فى تحريم ازواجه لما فى تزويجهن من هتك حرمته فحرم ما اقتضت الحكمة تحريمه واباح ما اقتضت اباحته (و) من هذا ظهر انه (كان الله بكل شئ عليما يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بما سوى الله فى مقابلته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) حتى تنسوا ما سواه فلا تبالوا بعاره (و) ان خطر ببالكم عار ما سواه (سبحوه) أى نزهوه من ان يأمركم بما فيه عار حقيقى (بكرة وأصيلا) ليسرى اثر التسبيح فيما بقية النهار والليل لان ذكره وتسبيحه يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الاشتغال اذ (هو الذى يصلى) أى يترحم (عليكم) سيما عند ذكركم اياه وتسبيحكم له (و) يصلى أى يستغفر لكم (ملائكته) أيضا (ليخرجكم من الظلمات) ظلمة الكفر وظلمة البدعة وظلمة المعاصى وظلمة الشبهات وظلمة العادات وظلمة الحجب (الى النور) نور الايمان والسنة والطاعة والحل والعزم والكشف (و) لا يبعد منه ذلك اذ (كان بالمؤمنين رحيما) ولا يخل برحمته رخصة اذ ليست نقائص بل فضائل الهية لذلك (تحيتهم يوم

(قوله جل وعز ملكوت) ملك والواو والتاء زائدتان مثل الرحموت والرهبوت وهو من الرحمة والرهبة تقول العرب رهبوت خير من رحموت أى ان ترهب خير من ان ترحم (قوله معروشات) واحد يقال معرشات وعرشت الكرم وعرشته اذا جعلت تحته قصبا واشباهه ليمتد

ياقوته سلام) عن النقائص سيما من رؤيتها فضائله فيلقاهم بفضائل انعاماته وألطافه (و) لا تكاليفه الشاقة اذ (أعدلهم أجرا كريما) وكذا على الرخص عند الشكر على تفضل الله تعالى عليهم بها (يا أيها النبى) بانبائك يخرج الله من الظلمات الى النور (انا ارسلناك شاهدا) على الحقائق المنبئ عن ظلمات القبائح وانوار المحاسن (ومبشرا) بان فعل المحاسن موصل الى الانوار (ونذيرا) بان فعل القبائح مانع عن الوصول اليها (وداعيا الى الله) نور الانوار لئلا يتوقف السالك دونه حتى يصل اليه (باذنه وسراجا) يبصر طريق الوصول (منيرا) لمن تعوقه ظلمات نفسه عن الوصول اليه (وبشر المؤمنين) بهذه الاسرار (بأن لهم من الله) على هذا الايمان (فضلا كبيرا) وان لم يتصفوا بهذه الانوار (ولا تطع الكافرين) بهذه الاسرار فى الانكار عليها (والمنافقين) الذى يدعون الايمان بك مع انكاران يكون لك هذه الفضائل أولا تباعك (ودع أذاهم) اى اترك الالتفات الى اذيتهم بالقاء الشبهات على هذه الامور (وتوكل) فى دفع اذياتهم (على الله و) اكتف بالتوكل عليه اذ (كفى بالله وكيلا) يدفعها عن قلوب السالكين وكيف تلتفت الى اذاهم فى هذه الامور وهى من قصور نظرهم فى الحقائق واقتصار نظرهم على الالفاظ فهو كاذاهم فى التزوج بامرأة الدعى لاطلاق لفظ الابن عليه مع انه قد يطلق اللفظ على الشئ بالحقيقة من غير ان يثبت له جميع أحكامه كالزوجة على المطلقة قبل الوطء (يا أيها الذين آمنوا) بمقتضى الحقائق (اذا نكحتم المؤمنات) اللاتى نكاحهن أتم من نكاح الكتابيات (ثم طلقتموهن) ولو بعد مدة (من قبل أن تمسوهن) فهو وان اثبت النسب فماله جميع أحكام النكاح التام كالعدة بالطلاق (فما لكم عليهن من عدة) لا بقدر الاستبراء ولا ما فوقها (تعتدونها) اى تحسبونها عليهن لتمنعوهن من نكاح الغير لكنه نكاح حقيقى (فمتعوهن) وان لم يكن لهن فرض وان كان فنصف الفرض من غير مقابلة عوض فى معنى المتعة (و) لعدم وجوب العدة عليهن لا ترجعوهن بل (سرحوهن سراحا جميلا) ليس فيه بدعة ولا حبس بمنزلة الفراق ثم انه قد يمتنع اطلاق اللفظ على شئ مع تحقق أحكام حقيقية فيه كأزواج النبى صلى الله عليه وسلم يمتنع اطلاق لفظ المملوكة عليهن مع انهن فى حكمها لذلك قال (يا أيها النبى) اى الذى رفع شأنه فكان فى معنى السيد (انا أحللنا لك أزواجك) من غير تقييد تعدد لانهن فى معنى المملوكة وقد تأكد ذلك المعنى فى (اللاتى آتيت أجورهن و) احللنا لك (ما ملكت يمينك) وان زادت على مالك من الغنيمة لكونها (مما أفاء الله عليك) فملكك أولا ثم نقل عنك الى غيره ما نقل منه فلذلك كان له صفى المغنم على انك سيد الكل والعبد وما فى يده لمولاه (و) احللنا لك (بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) وان كان فيهن من معنى السيادة لمكان قرابتك ما يعارض معنى المملوكية لكن لا عبرة بهذه السيادة فى (اللاتى هاجرن معك) فصرن معك مصير الاماء وأفرد العم والخال لان المرأة مع الرجل ضعيفة فى الخصومة فهو كالمنفرد معها بخلافه مع المرأة فانها كثيرة بما فى الخصومة وكأنهن جماعة معها فهؤلاء وان غلب فيهن معنى الحرية فى الخصومة فهن

علبه وغيره مروشات من سائر الشجر الذى لا يعرش (قوله تعالى مكانتكم) ومكانكم بمعنى واحد (قوله تعالى مذموما) اى معيبوبا (قوله تعالى معايش) لا تهمز لانها مفاعل من العيش واحدها معيشة والاصل معيشة على مفعلة وهى ما يعاش به من النبات والحيوان وغير ذلك (قوله جل اسمه مذؤما) مذموما بابلغ الذم (قوله جل وعز

كالمملوكة بالنسبة اليك (و) لاعتبار معنى المملوكية فى نسائك أحللنا لك (امرأة مؤمنة) دون الكافرة وان كانت أولى بالمملوكية اذ لا تحل لك (ان وهبت نفسها للنبى) فتأكد فيها معنى المملوكية (ان أراد النبى ان يستنكحها) فكان ذلك بمنزلة قبول الهبة جعلنا هذه الامور (خالصة لك) لما فيك من معنى السيادة (من دون المؤمنين) فانهم لا يحل لهم الزيادة على أربع ولا ما زاد على قسمتهم فى الغنيمة من الاماء الا ان يتملكوها بوجه آخر ولا الموهوبة (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى على المؤمنين (فى) حل (أزواجهم) من الولى والشهود وعقد النكاح (و) فى حل (ما ملكت أيمانهم) من الدخول فى القسمة أو التملك بوجه آخر لكن اسقطناه عنك (لكيلا يكون عليك) أيها المنجذب البالغ انه لا بد لك فى أداء الرسالة من الانجذاب الى عالم السفل (حرج) اى ضيق فى باب النكاح الجاذب الى عالم السفل فلو وقع الحرج اضعف الجاذب فلا يقاوم الجواذب العلوية (وكان الله غفورا) لك ما حرم من ذلك على الغير لكونه (رحيما) بك ولغلبة معنى المملوكية فى حق أزواجه عليه السلام لم يجب لهن القسم بل (ترجى) اى تؤخر مضاجعة (من تشاء منهن وتؤوى) اى تضم (اليك من تشاء و) لهذا أيضا (من ابتغيت) اى طلبت نكاحها (ممن عزلت) عن نكاحك بطلاقها ثلاثا أو أقل (فلا جناح عليك) ان تعيدها الى نكاحك من غير تحليل لامتناع ان تزوج بآخر فلو شرط التحليل انسد عليها باب النكاح وليس ذلك ظلما عليهن بل (ذلك أدنى) اى أقرب الى افادة (ان تقر أعينهن) لو سويت بينهن (و) لو تركت (لا يحزن) بالترك (و) لكن (يرضين بما آتيتهن) من الحقوق (كلهن) اما التى زيد فى حقها فظاهر واما التى نقص فهى ناظرة الى انه حكم الله فتطمئن به نفسها (والله يعلم ما فى قلوبكم) من انه عليه السلام متبع لامر الله أو لهوى نفسه (وكان الله عليما) برضاهن (حليما) عمن يعتقد فى رسوله اتباع الهوى ولرضاهن بحكم الله ارضاهن فقال لرسوله من أجلهن (لا يحل لك النساء) اللاتى تنكحهن (من بعد) اى بعد كونهن فى نكاحك (ولا ان تبدل بهن من أزواج) فتطلق أحداهن وتنكح مكانها أخرى (ولو أعجبك حسنهن) فانهن يحرمن عليك (الا ما ملكت يمينك) فانه يجوز لك التسرى عليهن (و) انما جوز له التسرى لرضاهن به لانه أهون من التزوج اذ (كان الله على كل شئ رقيبا) اى ناظرا فنظر الى رضاهن بالتسرى دون التزوج وقد رضين بحكمه فراعاهن على رسوله ثم طلب من المؤمنين مراعاة حقوقه عليه السلام فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله رعاية حقوق رسوله (لا تدخلوا بيوت النبى) ولو لأعظم المهمات فى وقت من الاوقات (الا) وقت (أن يؤذن لكم) بعد استئذان أو غيره بان تدعوا (الى طعام) فادخلوا ان كنتم (غير ناظرين) اى منتظرين (اناه) اى وقته فان المنتظر فى معنى المتطفل فلا ينبغى أن تدخلوا (ولكن اذا دعيتم) من غير انتظار (فادخلوا) على سبيل الندب وامكثوا الى ان تفرغوا (فاذا طعمتم) اى فرغتم من الاكل (فانتشروا) اى تفرقوا فلا تمكثوا بعده مستدعين لحاجة (ولا مستأنسين) بالرسول صلى الله عليه وسلم (لحديث) تسمعونه منه فان ما تستضرون بالمكث لسماعه أجل مما

تنتفعون

مدحورا) اى مبعدا يقال
أدحر عنك الشيطان اى
ابعده (قوله عز وجل
مدين) اسم أرض (قوله
تعالى مهما تأتنا به من
آية) اى ما تأتنا به وحروف
الجزاء توصل بما كقولك
ان تأتنا واما تأتنا ومتى
تأتنا ومتى ما تأتنا فوصلت
بما فصارت ما ما فاستثقل
اللفظ به فابدلت ألف
ما الاولى هاء فقيل مهما
(قوله منين) اى شديد

تنتفعون به (ان ذلكم كان يؤذى النبى) وايذاء الآحاد بما لا يفى به فائدة الاسماع فكيف ايذاء
أفضل الخلائق وكانه يهم ان يهتك حرمتكم لاخراجكم (فيستحيى منكم) لكن اخراجكم
حق (والله لا يستحيى من الحق) اى لا يترك الامر بالحق ترك المستحيى (و) اذا دخلتم بيوت
النبى صلى الله عليه وسلم فلا تنظروا الى نسائه ولو وقت سؤال المتاع منهن بل (اذا سألتموهن
متاعا) اى شيأ ينتفع به (فاسئلوهن) ان يلقينه عليكم (من وراء حجاب) اى ستر (ذلكم) اى
الستر (اطهر) اى أشد تطهيرا (لقلوبكم وقلوبهن) من الميل اليهن واليكم ويجب التطهير
عنه لما فيه من ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن)
تهتكوا حرمته وان لم يتأذ به مثل ان (تنكحوا أزواجه من بعده) اى من بعد مفارقته بطلاق
أو وفاة لا الى انقضاء العدة بل (أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) لما فيه من هتك حرمة حبيبه
صلى الله عليه وسلم (ان تبدوا شيأ) من نكاحهن (أو تخفوه) اى تضمروه فى صدوركم (فان الله)
يؤاخذكم به وان عفا عن الخواطر فى المعاصى الفعلية لكن هذا يشبه الكفر ويكفى فى
المؤاخذة على الكفر علمه به وقد (كان بكل شئ عليما) للعذاب والمؤاخذة ولما أمرهن بالحجاب
شق عليهن أمر المحارم فقال (لا جناح) اى لا اثم (عليهن فى) عدم احتجابهن عن (آبائهن ولا
أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) ولم يذكر العم والخال لانهما
كالاب والام (ولا نسائهن) اى المؤمنات فلا يجوز للكتابيات الدخول على نسائه عليه السلام
(ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء (واتقين الله) ان تفجرن بأحد المذكورين بزنا
أو سحاقة (ان الله كان على كل شئ شهيدا) فيجازيكم بما يشهده منكم وربما يفضحكم وانما
عظم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله لعظم شأنه عنده (ان الله) باعتبار جميع
أسمائه يصلى اى يرحم على النبى مرة بعد أخرى الى ما لا يتناهى (وملائكته) الذين هم
خواصه (يصلون) اى يطلبون الرحمة طلبا بعد آخر دائما (على النبى يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم موافقة الله وخواصه (صلوا عليه) اى اطلبوا الرحمة عليه فوق ما رحمه
بدون طلبكم ليصير اكمل مما هو عليه فيكمل الفيض بواسطته عليكم (وسلموا) اى اطلبوا له
سلامة الاستعداد لقبول ما لا يتناهى من وجوه الرحمة (تسليما) غير منقطع (ان الذين يؤذون
الله) بايذاء حبيبه ومضادته فى فعله به (ورسوله) بدل ما يجب عليهم من الصلاة والتسليم عليه
فعل بهم ضد ما يفعل به على الوجه الكلى وهو انهم (لعنهم الله فى الدنيا) فلم يجعل دنياهم
مزرعة لآخرتهم (والآخرة) اذ فاتهم نعيمها ونجاتها ولم يجعل لهم شفاعة ملك ولا نبى بل يتفق
الكل على لعنهم (و) لا يقتصر فى حقهم على اللعن كما فى الدنيا بل (أعد لهم) وهم فى الدنيا (عذابا
مهينا) يجتمع فيه الآلام الحسية مع العقلية لاهانتهم لله ولرسوله حيث اجترؤا على ايذائهما
(و) كيف لا يكون هذا فى ايذاء الله ورسوله وقد عظم أمر ايذاء عامة المؤمنين (الذين يؤذون)
بالفرية أو غيرها (المؤمنين والمؤمنات) وان كن ناقصات (بغير ما اكتسبوا) من زنا أو غيره
(فقد احتملوا بهتانا) فى صورة الفرية يبهت المفترى عليه (واثما مبينا) فى سائر الاذيات فلابد

(قوله عز وجل مناملك) اى نومك كقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ويقال منامك اى عينك لان العين موضع النوم (قوله جل وعز مرصد) طريق والجمع مراصد (قوله جل وعز مغارات) ما يغورون فيه واحدها مغارة ومغارة وهو الموضع الذى يغور فيه الانسان اى يغيب

ان يهم تهم العذاب و يظهر اثمهم فى النار فيجتمع عليهم مع العـذاب الحسى الفضيحة الدائمة (يا أيها النبى) الذى شأنه قلع الخبائث من أصلها (قل) دفعا الاذى المؤمنات (لازواجك) اللاتى ايذاء المنافقين لهن أشـد (و بناتك ونساء المؤمنين يدنين) اى يقربن تقريب تغطية (عليهن) اى على وجـوههن وأبدانهن شـيأ (من جلابيبهن) اى ملاحفهن عند الخروج من الحجاب للحاجة (ذلك أدنى) اى أقرب (أن يعرفن) بأنهن حرائر (فلا يؤذين) ايذاء الاماء لطلب الفجور فاذا فعلن ذلك غفر لهـن الخروج عن الحجاب رحمة بهن فى قضاء الحوائج (وكان الله غفورا رحيما) والله (لئن لم ينته) اى لم يكف بعـد هذا التحفظ (المنافقون) عن ايذاء رسول الله ونسـائه و بناته ونساء المؤمنين بالفرية عليهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى بفجور عن مطالبة نساء المؤمنين به (والمرجفون) الذين يزلزلون الخلائق بفريتهم المنتشرة (فى المدينة) من هذا الباب أو من باب التخويف من الاعداء (لنغرينك) اى لنسلطنك عليهم سلطانا لاصقا (بهم) باقامة الحدود والتعزيرات عليهم حتى يضطروا (ثم لا يجاورونك فيها) فى المدينة من رؤية شدتك عليهم (الا) زمانا (قليلا) يستعدون فيه للخروج ولا يشق على أحد خروجهم لكونهم (ملعونين) اى مبغضين لله وللخلق ولا يستريحون بالخروج لانهم (أينما ثقفوا) اى وجدوا (أخذوا) اى أسروا (و) ان لم يمكن أخـذهم (قتلوا) اى بولغ فى قتالهم (تقتيلا) غير منقطع الى الموت وليس ذلك ببديع لكونه (سنة الله فى) المفترين والمؤذين (الذين خلوا) اى مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله) اى لهذا الحكم (تبديلا) فى المستقبل ولكن لا يبالى الناس بهذه السنة ولا بالساعة بل (يسئلك الناس) الذين نسوا هذه السنة التى يقاس عليها أمر السـاعة (عن السـاعة) استبعادا لها (قل انما علمها عنـد الله) اختص بعلمها ليزداد الخلق خوفا منها (وما يدريك) اى شئ يدلك على بعدها ليقل خوفك منها (لعل الساعة تكون قريبا) فاحتمال قربها كاف فى التخويف البليغ وانما لا يخافها من كفر بها والكفر لا يبعدها بل يبعد الكافرين عن ربها (ان الله لعن الكافرين و) لا ينفى خوفها اذ (أعد لهم سعيرا) أمنوا منها وكما لم يؤمنهم عن أصلها لم يؤمنهم عن الخلود فيها بل جعلهم (خالدين فيها أبدا) كيف وكفرهم بها لم يكن عن شبهة فضـلا عن حجة بل مع تحقق الحجة عليهم لذلك (لا يجدون وليا) يشفع لهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم كيف واعراضهم عن مقتضى الحجة انما كان للتحرز عن طاعة الله وطاعة رسوله لينصرفوا الى أهويتهم لذلك (يوم تقلب) اى تصرف من جهة الى أخرى (وجوههم فى النار) كاللحم اذا شوى (يقولون) متمنين ما استحال بعـد امكانه (يا) أيها المتمنى تعال (ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا) معتذرين الى الله تعالى فى ترك طاعتـه وطاعة رسوله (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) بدل طاعتك وطاعة رسولك لكون أهويتنا عندهم وكانوا يتبعونها ويستكبرون على من يدعوهم اليك (فأضلونا السبيلا) الموصلة اليك (ربنا) لما عذبتنا باضلالهم (آتهم ضعفين من العذاب) على الضلال والاضلال (و) لا يقتصر على الضعفين بل (العنهم لعنا كبيرا) لكثرة اضلالهم وقرئ بالموحدة اى فى المقدار لعظم جرمهم ثم أشار الى أن العذاب

ويستقر (قوله جل وعز مردوا على النفاق) اى عتوا ومرنوا عليه وجرؤا (قوله جل وعز غرما) اى غرما والغرم ما يلزم الانسان نفسه ويلزمه غيره وليس بواجب عليه (قال أبو عمر والمغرم يكون واجبا وغير واجب قال الله عز وجل من مغرم مثقلون) (قوله مجيد) اى

اذا

اذا تضاعف بالاضلال فبايذاء الهادى أولى (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم كف
الاذى عن المؤمنين بسيما الهادين سيما الانبياء (لاتكونوا كالذين آذوا موسى) وهم قارون
وقومه اذ رموه بالزنا بامرأة مومسة استأجروها لتقذفه بنفسها (فبرأه الله مما قالوا) باقرارها
انهم استأجروها لهذا القذف فخسف الله بهم الارض وكيف لا يتضاعف عذابهم بايذائه
(وكان عند الله وجيها) وايذاء الوجيه عند الملك موجب لشدة غضبه وقهره (يا أيها الذين
آمنوا) مقتضى ايمانكم تقوى الله عن كل معصية فضلا عن ايذاء خلقه (اتقوا الله) أن
تعصوه فى معصية (و) ان لم تخافوا منها لضعف الشدة (قولوا) لاتمام التقوى (قولا سديدا)
لا ينكر بوجه لكمال صدقه فلا يكون فيه ايذاء أحد ولا فساد آخر فانه يفيد تنوير الباطن
والظاهر (يصلح لكم أعمالكم) بتنويرها (ويغفر لكم ذنوبكم) التى يخاف منها الآفات فى كل
شىء سيما الاعمال (و) اصلاح الاعمال يفيد السعادة الابدية والعلوم الشريفة والكرامات
العظيمة والاحوال الجليلة والمقامات الحميدة فان (من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)
وانما يحصل ذلك بحفظ الامانة وأدائها الى ربها على الوجه المطلوب (انا عرضنا الامانة) التى هى
العقل والقوى والاعضاء (على السموات والارض والجبال) ليستعملنها على وفق الحكمة
فيكتسبن الكمالات (فابين ان يحملنها) لثقلها (واشفقن منها) لما فى تضييعها من التنزل الى غاية
النقص والعذاب (وحملها الانسان) اى آدم (انه كان ظلوما) بحمل اثقالها على نفسه
(جهولا) لما فى تضييعها من الآفات ثم ان أداها ظلم نفسه بمنع لذاتها فان فى جهل نفسه
والاجهل هذه الحالة الشريفة وان لم يؤدها ظلم نفسه بمنع خروج كمالاتها الى الفعل فى الدنيا
والى البعد والعذاب فى الآخرة وان جهلها واعتقد ان الكمالات الحقيقية هى اللذات
العاجلة وظلم بتغليب الشهوية والغضبية على العقل وجهل التفصى عن ذلك فهو اعظم
جهلها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات) بتضييع العقلية فى الباطن (والمشركين
والمشركات) فى الظاهر مع تضييع القوى والاعضاء (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات)
اذا ضيعوا امانة القوى والجوارح لحفظهم امانة العقل (وكان الله غفورا) لما ضيعوه
(رحيما) بجعل ما ضيعوه فى حكم ما حفظوه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة سبا)

سميت به لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة فى السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة
وتبدلها بالنقم لمن كفر بالنعم وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى
مظاهر ما فى سمواته وأرضه (الرحمن) بجعلها مظاهر حمده الدنيوى (الرحيم) بجعلها وسائل
مظاهر حمده الاخروى (الحمد) الجامع للمحامد (لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض)
مظاهر حمده الدنيوى (و) قد قصد بها التوسل الى مظاهره الكاملة فى الآخرة اذ (له الحمد فى
الآخرة) كيف لا يكون كذلك (هو الحكيم) والحكيم لا يفنى مظاهر كماله الا ليتوسل به الى

شريف رفيع تزيد رفعته
على كل رفعة وشرفه على كل
شرف من قولك امجد الناقة
علفا اى أكثر وزد (قوله
عز وجل مجذوذ) مقطوع
يقال جذذت الشئ
وجددت اى قطعت (قوله
مثواه) اى مقامه (قوله
مكين) اى خاص المنزلة (قوله
عز وجل معاذ الله) ومعاذة
الله وعوذ الله وعياذ الله

ا كمل منه ووجه التوسل وان خفى علينا لايخفى عليه لانه (الخبير) وذلك لانه يعلم مايلج من آثار الموجودات فى الانسان ومايخرج منه من الاعمال والاخلاق وماينزل عليه من العلوم والكرامات ومايعرج منه من الاحوال والمقامات كما انه (يعلم مايلج فى الارض) من البذور والماء والريح وحرارة الشمس (ومايخرج منها) من النبات والحبوب والثمرات (وماينزل من السماء) من المطر والبرد والثلج (ومايعرج فيها) من الابخرة والادخنة ليكون البرق والصواعق والسحاب والشهب (و) لايبعد ان يرحم ببعض المظاهر التى يتوسل بها الى مظاهره الكاملة ويسترها الى مدة اذ (هو الرحيم الغفور) لرحمة الحق بهذه المظاهر وستره تلك المظاهر (قال الذين كفروا) اى ستروا كمال ظهوره اذ حصروه فى هذه المظاهر القاصرة (لاتأتينا الساعة) التى فيها ظهور الحق بالمظاهر الكاملة لحصول ذلك قبلها (قل) أيها المطلع على كمالاته (بلى وربى) الذى ظهوره فى أكمل من ظهوره فيكم ومع ذلك حجابه بافناءكم (لتأتينكم) ليخرج مافى هذه المظاهر من وجوه التوسل الى تلك المظاهر الكاملة لخفائها فلا يطلع عليها الا (عالم الغيب) فهذا بيان سببها ولايمنع منها جهل بافعال الخلق التى عليها الجزاء ولانسيان لامتناعهما على عالم الغيب (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض) اجسامها وأرواحها واعراضها ومعانيها (ولاأصغر من ذلك ولاأكبر) لانه لاشئ منها (الا فى كتاب مبين) هو لوح القدر لحصولها عن تقديره ولايمنع منه كونه انعاما على انعام فى حق المحسن أواضرارا بالمنعم عليه ولايليق بالكرم الالهى لان الاول انما كان (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاحتملوا فيها المشقة الناجزة بما يفيدهم الراحة العظيمة اذ (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) خال عن المشقة (و) الثانى انما كان لمبالغتهم فى الكفر بالمنعم لانهم (الذين سعوا فى) ابطال (آياتنا) الدالة علينا الداعية الى شكرنا (معاجزين) اى قاصدين اعجازنا عن اقامة الدليل على وجودنا أوانعامنا أو جزائنا (أولئك لهم عذاب من رجز) اى غضب عظيم منا على انكارنا وانكار نعمنا ورد آياتنا وقصد تعجيزنا (أليم) اى مؤلم بحسب ذلك الغضب وان زعموا انا انما نكون ساعين فى آيات الله لو كانت هذه آيات لكنها ليست بآيات يقال انما لاترونها آيات لخلوكم عن العلم (ويرى الذين أوتوا العلم) الكتاب المعجز (الذى أنزل اليك) أيها الكامل (من ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية (هو الحق) المطابق للعلوم والدلائل العقلية والكشفية (ويهدى) فى مواضع الاختلاف (الى صراط العزيز) اى الغالب بالحجة (الحميد) باستعمال المقدمات القطعية الواضحة (وقال الذين كفروا) الكامل لابد وأن يكون أشهر الخلق بالكمال وهذا بحيث يقال فيه (هل ندلكم على رجل) مجهول لايعرف ونكرة لايتعرف وكيف يكون المنزل عليه هو الحق وهو أشبه شئ بالمحال لانه (ينبئكم) عما ينبئ فى زعمه انكم تعادون (اذا مزقتم) اى فرقت أجزاؤكم فصارت (كل ممزق) اى فى كل جزء مطرح ولو صح ذلك فلا اعادة بل (انكم لفى خلق جديد) بخلق الامثال (أفترى) اى اخترع عن تعمد (على الله كذبا) بانه يوحى اليه مثل هذه الامور التى هى أشبه شئ بالمحال فلا يخاف عذابه الذى وعد به

بمعنى واحد اى استجير
بالله (قوله مد الارض) اى
بسطها (قوله المثلات) اى
العقوبات واحدها مثلة
ويقال المثلات الاشباه
والامثال مما يعتبر به
(وقوله متاب) اى توبة
(قوله جل وعز موزون)
اى مقدر كانه وزن (قوله
تعالى مسنون) اى مصبوب
يقال سننت الشئ سنا اذا

(أم) لم يفترو الكن (به جنة) يتخيل به أنه يوحى اليه بمثل هذه الامور فكانه تعالى يقول لايخاف عليه العذاب لانه بلغ من الله تعالى ما أنزل اليه مما يكاد العقل يوجبه ولاضلال فيه من الجنون (بل الذين لايؤمنون بالآخرة) التى يكاد العقل يوجبها (فى) خوف (العذاب) بل فى عينه من مرض الجهل (والضلال البعيد) الذى هو أبعد من ضلال الجنون (أ) ينكرون قدرة الله على جمع الاشياء المتفرقة وقد أحاطت قدرته بالاشياء اذ خلقها من عدم (فلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) وكيف لايخافون عذابه على انكار قدرته وأسبابه موجودة فى كل جهة (ان نشأ) تعذيبهم بسبب سفلى (نخسف بهم الارض أو) بسبب علوى (نسقط عليهم كسفا) اى قطعا (من السماء) فان لم نفعل ههنا فله أسباب تشبه ذلك فى الآخرة لذلك قال (ان فى ذلك) البيان (لآية) هادية (لكل عبد) عرف احاطة تصرف الله فى الآخرة به بحيث لايمكنه الخروج عنه فاتصف بوصف (منيب) اذ لامهرب منه الا اليه وكيف ينكرون قدرتنا على الاحياء (ولقد آتينا داود منا فضلا) قدرة على استنطاق الجمادات وهو أشد من الاحياء والحيوانات العجم وهو كقلبها انسانا وهو أشد من قلب الميت حيا وكان يفعل ذلك باذننا كانا ناديناهما (يا جبال أوبى) اى رجعى (معه) التسبيح (والطير) كيف وغاية الاحياء تليين الجماد الصلب (و) قد (ألنا له الحديد) الذى هو أصلب الجمادات ولايبعد علينا التوسعة على البعض والتضييق على البعض بالاحياء كما قلنا لداود عليه السلام عند تليين الحديد (أن اعمل) دروعا (سابغات) اى واسعة (وقدر فى السرد) اى ضيق فى النسج (و) لايبعد ان ندعو بذلك الى جهاد النفس كما دعونا بالدروع الى جهاد الكفار تيسيرا للاعمال الصالحة لذلك قلنا لهم (اعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) فابصر ماقدرتم فيه على أنفسكم ووسعتم عليها فى الطاعة (و) لايبعد علينا تيسير بعض الاجزاء الى بعض مع تباعد ما بينهما فانا قد سخرنا (لسليمان الريح) تسيير الكرسيه مع عسكره من مكان الى آخر ابعد منه فى مدة أقل اذ (غدوها) اى سيرها بالغدو من الصبح الى الطلوع (شهر) اى مسافة شهر (ورواحها) اى سيرها من العصر الى الغروب (شهر) وكذا يسهل علينا تسيير الارواح الى الصدر ومنه الى الابدان فى مدة يسيرة (و) لايبعد علينا ارسال فيض الحياة على الاموات بعد تسكينه مدة مديدة على خرق العادة فانا قد (أسلنا له عين القطر) اى النحاس من معدن باليمن ثلاثة أيام وهو اشارة الى تليين النفس بالعمل (و) لايبعد علينا استعمال الانس للاعمال المقربة الينا واستعمال الملائكة للجزاء على الاعمال فانا سخرنا له (من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و) كيف لايكون لمخالف الحق العذاب مع أن (من يزغ منهم) اى يعدل (عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) اذ وكلنا به ملكا يضرب به بسوط من نار السعير بحيث لايراه (يعملون له) عمل بنى آدم لانفسهم والملائكة من أجلهم فى الجنة (ما يشاء من محاريب) اى مساجد (وتماثيل) اى قصور منقوشة كقصور الجنة (وجفان) اى قصاع (كالجواب) اى كالحياض التى تجبى اى يجمع اليها الماء يقعد على جفنة ألف رجل (وقدور راسيات) اى مرتفعة ثابتة على الاثافى لبدله على

صبيته صبا منه لاوسن الماء على وجهك ويقال مسنون اى متغير الرائحة (قوله جمل وعزملوما محسورا) اى تلام على اتلاف مالك ويقال بلومك من لاتعطيه وتبقى محسورا اى منقطعا من النفقة والتصرف بمنزلة البعير المحسير الذى قد حسره السفر اى ذهب بلحمه وقوته فلا انبعاث به

مافى الجنة ولذلك قيل لهم (اعملوا آل داود شكرا) على ما أعطيتم مما يشبه نعيم الجنة لئلا يفوتكم نعيمها المخصوص بالقليلين (وقليل من عبادى الشكور) اى من يشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى أكثر أوقات عمره ولاستمرارهم على شكره لم يزالوا مسخرين له مدة حياته وأياما بعد وفاته ليدل على بقاء فضائل الشاكرين الى أبد الآبدين (فلما قضينا عليه الموت) دخل المحراب وكان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس سنة وسنتين معه طعامه وشرابه وقام يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه ومن خلفه فكانوا يتممون بناء بيت المقدس ويحسبون انه حى فمكثوا حولا كاملا حتى أكلت الارضة طرف عصاه (مادلهم على موته الادابة الارض) اى الارضة (تأكل منسأته) اى عصاه التى يطرد بها فخر ميتا (فلما خر) اى سقط (تبينت الجن) اى ظهر أحوالهم للانس فى الجهل بالغيب أو ظهر لهم (أن) اى انهم (لو كانوا يعلمون الغيب) لعلموا موت سليمان ولو علموه (مالبثوا فى العذاب المهين) من تعب الاعمال بالتسخير فاذا لم يعلموا الغيب لم يؤخذ بقول من يأخذ منهم من الكهنة فى نفى الجنة والنار مع ظهور آياتهما فى الدنيا (لقد كان لسبا) اى لاولاد سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (فى مسكنهم) اى مواضع سكناهم من قرية مأرب على مسيرة ثلاثة من صنعاء (آية) تدل على نعيم الجنة فى السعة وعدم الكلفة فى التناول اذ كانت المرأة تمر بالجنة حاملة المكتل فيمتلئ بأنواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ فأشبه تناول أهل الجنة للفواكه فى مساكنهم لكل مسكن (جنتان عن يمين وشمال) كما يكون لمن خاف مقام ربه جنتان هنالك ولم يكونا فى جانب الشرق والغرب لئلا تمنعا حرارة الشمس عليه فيغلب عليه البرد فجاءتهم الرسل فقالوا لهم (كلوا من رزق ربكم) الذى رزقكم فى هذه الجنات لكمال تربيته لكم (واشكروا له) بعبادته على ما أنتم عليه من هذه النعم الخالية عن الضرر اذ البلدة التى هى فيها (بلدة طيبة) لاعاهة فيها ولاهامة (و) معاصيكم وان اقتضت عاهات لكنه رب بكم (رب غفور) فيجب شكره على غفرانه كما يجب على نعمه فاغتروا بغفرانه (فاعرضوا) عن شكره بالكلية بل قالوا مانعرف لله علينا من نعمة فليحبس علينا ان استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) اى السيل من انكسار سد الحجارة المركومة بالقار وهو العرم جمع عرمة وهى الحجارة قيل كان لهم سد بنته بلقيس بين الجبلين وجعلت له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة فاذا جاء المطر اجتمع اليها مياه أوديتهم فحبس السيل من وراء السد فيفتح الباب الاعلى ثم الاوسط ثم الاسفل فلا ينفد الماء الى السنة القابلة فلما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقب فى أسفل السد فغرقت جناتهم ودفن بيوتهم الرمل فكان ذلك دليل الغضب عليهم كالغضب على أهل النار (وبدلناهم بجنتيهم) كما بدل اماكن النار باماكن الجنة للكفار (جنتين ذواتى أكل) اى ثمر (خمط) اى بشع كثمار أهل النار (و) ذواتى (أثل) اى طرفاء ولا ثمر لها كبعض أشجار أهل النار (و) ذواتى (شئ من) نبق (سدر قليل) مع قلة مايسمن أو يغنى من جوع فهذا تبديل النعم بالنقم لمن لم يشكر النعم بل (ذلك جزيناهم بما كفروا) بالمنعم (و) لا ينبغى ان يشك فى انه

ولا نمضة (قوله جل اسمه موبقا) اى موعدا ويقال مهلكا بينهم وبين آلهتهم ويقال موبق واد فى جهنم (قوله جل وعز) مصرفا (قوله موئلا) اى معدلا اى منجى ومنه قول على عليه السلام وكانت درعه صدرا بلاظهر فقيل له لو احرزت ظهرك فقال اذا وليت فلا والت اى اذا امكنت من

سببه لانه (هل نجازى) ذلك الجزاء الشنيع (الا الكفور) اى المبالغ فى الكفر (و) من مبالغتهم فى الكفر كراهتهم مبالغتنا فى الانعام عليهم اذ (جعلنا بينهم وبين) موضع تجارتهم من الشام وهى (القرى التى باركنا فيها) بتوسعة الارزاق الظاهرة والباطنة (قرى ظاهرة) اى متقاربة يظهر بعضها لبعض فلا يخاف فيهما من قاطع طريق (وقدرنا فيها السير) بمقدار لا يحتاج فيه الى حمل الزاد ولا الى شد الرواحل فهو يشبه سفر أهل الجنة من مكان الى مكان من غير تعب وقلنا لهم على لسان أنبيائهم (سيروا فيها ليالى وأياما) لكونكم (آمنين) من الاعداء والحشرات والجوع والعطش (فقالوا ربنا باعد بين) قرى (أسفارنا) لنحمل الزاد ونشد الرواحل منه فنتطاول على الفقراء (وظلموا أنفسهم) بحملها المتاعب وبمنعها الرفاهية (فجعلناهم أحاديث) يتحدث بهم الناس تعجبا ويقولون فى الامثال تفرقوا أيدى سبا (ومزقناهم) أى فرقناهم (كل ممزق) أى بكل مكان كتفرق أهل القيامة بعد اجتماعهم فلحق غسان بالشام وانمار بالمدينة وجذام بتهامة والازد بعمان وليس ذلك مجرد تحديث بل (ان فى ذلك لآيات) على تفريق من يجرى مجراهم وجعلهم أحاديث مثلهم لكنها انما تكون نافعة (لكل صبار) أى لا يطغى بالنعم (شكور) لها لوهم لم يصبروا عن الطغيان ولم يشكروا (و) لذلك (لقد صدق عليهم ابليس ظنه) الذى يتضمنه قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين وقوله ولاضلنهم فاضلهم بأن النعم ليست منه بل من الاسباب فان كانت منه فلا يتأتى منه النقم (فاتبعوه) فى اضلاله (الا فريقا من المؤمنين) عرفوا انه لا تأثير للاسباب بدونه وانه كما يقدر على الانعام يقدر على الانتقام (و) الذين اتبعوه لم يتبعوه عن اكراه ولا عن حجة حتى يعذروا بل عن وسوسة فلا يعذرون بها لانه (ما كان له عليهم من سلطان) بالوسوسة (الا لنعلم) أى لنظهر علمنا لكل (من يؤمن بالآخرة) فيهتم لرفع وسوسته ويتمسك بالحجج فينسب النعم الى الله ليشكرها طلبا لجزاء الآخرة فيتميز (ممن هو منها فى شك) فلا يهتم لرفع وسوسته (و) لا ينافى لصاحب الوسوسة التمسك بوسوسته فى مقابلة الحجة لعدم تحفظه مقتضى الحكمة لكن (ربك على كل شئ حفيظ) فيحافظ من حافظ نفسه بالحجج ولا يحافظ من لم يحافظها بل اتبع الوساوس فهذا حفظ لقاعدة الحكمة فى حقه فهو حفيظ لما هو حقه فان زعموا انهم يحافظون على الحجج ولا يبالون بالوساوس (قل) لا تحافظون على الحجج أنتم ولا من تدعونهم (ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دون الله) ليقيموا الحجج على الهيتهم فهل الهيتهم بالاستقلال مع انهم (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) اذ الحادث لا يستقل بدون القديم أو بالمشاركة (و) لكن (ما لهم فيهما من شرك) والا لم يستقل القديم بدون الحادث فلا يكون محدثا لهذا الحادث أو بطريق المعاونة (و) لكن (ما له منهم من ظهير) والا توقف ايجاده للحادث على عون الحادث فيكون معينا له قبل وجوده أو بطريق الشفاعة فان لم تكن نافعة فلا عبرة بها (و) ان كانت نافعة فلا شك انه (لا تنفع الشفاعة عنده) الا برضاه ولا يعرف رضاه (الا) باذنه

(قوله ظهرى فلا نجوت (قوله عز وجل مجمع البحرين) أى العذب والمالح (قوله تعالى المخاض) هو تمخض الولد فى بطن أمه أى تحركه للخروج (قوله تعالى مليا) أى حينا طويلا (قوله تعالى مأتيا) أى آتيا مفعول بمعنى فاعل (مكانا سوى وسوى) أى وسطا بين الموضعين (قوله عز

(لمن أذن له) ولا يعرف اذنه الا بالسماع منه ولا يطيقه الا الانبياء والملائكة وهم عند سماعهم تأخذهم الغشية فلا يفهمونه (حتى اذا فزع) أى كشف الفزع (عن قلوبهم قالوا) فى قلوبهم (ماذا قال ربكم) فيظهر فى قلوبهم نقش ما قاله فحينئذ (قالوا) للخلق ما هو (الحق) من قوله وكيف لا يكون خطابه كذلك (وهو العلى) عن حد المخلوقين فان قربوا منه فهو (الكبير) فلا يخلو خطابه من هيبة الكبرياء فاين لما تدعونه هذه الرتبة من السماع فضلا عما يترتب عليه من الشفاعة فان زعموا أن آلهتهم يملكون رزقهم كما يملك الملوك أرزاق العسكر (قل) انما يملك الملوك ما ينزل الله عليهم من السماء ويخرج لهم من الارض والاصنام لا يملكون شيأ من ذلك وأما الانزال والاخراج فمخصوص بالله (من يرزقكم من السموات والارض) بالانزال والاخراج (قل الله و) لو زعموا انهما بشفاعة شركائهم فلا دليل لهم فغايتهم ان يترددوا فى ذلك فيقولوا (انا) فى نسبتهما الى شفاعة الاصنام (أو اياكم) فى نفى هذه النسبة (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) يقال فاذا جزمتم بالهدى لانفسكم فى هذا المقام فهو عين الضلال ويجوز لنا القطع اضلالكم عند عدم الدليل على شفاعتهم اذ الاصل العدم سيما اذ ادل الدليل على امتناع شفاعتهم فان زعموا انه وان دل الدليل على امتناع شفاعتهم فلا ينبغى ان يقطعوا بضلالنا فلعل لدليلكم قادحا من نقض أو مناقضة أو معارضة فانتم مجرمون بقطعكم بضلالنا (قل) ليس لكم ان تنصحونا بترك متابعة الدليل على احتمال القادح الموجب لجرمنا اذ (لا تسئلون عما أجرمنا) باتباع الدليل على احتمال القادح الذى لم يظهر لنا ولا لكم (ولا نسئل عما تعملون) بعد بياننا لكم الدليل فان زعموا انه ليس لكم ايذاؤنا بنسبة الضلال على ترك متابعة دليل يحتمل القادح وان لم يظهر لنا ولا لكم (قل) لا عبرة باحتمال ما لم يظهر فان النزاع ينقطع باقامة الدليل مع سكوت الخصم الآخر وهذا موجود فيما نحن فيه وقت حكومتنا الى ربنا فانه (يجمع بيننا ربنا) ليسمع دليلنا واعتراض الخصم عليه (ثم يفتح) ما أغلق علينا وعليكم من الشبهة فى الدليل فينقطع النزاع (بيننا بالحق) بحيث لا يبقى احتمال قادح (وهو الفتاح) برد الدلائل الى المقدمات الاولية ورفع الشبهات (العليم) بما ينتهى اليه الدلائل ومالها وما عليها (قل) ان جعلتمونا بنسبة الضلال اليكم مجرمين على مجرد احتمال القادح فى دليلنا من غير ظهوره له فكيف لا تكونون مجرمين بترك متابعة الدليل على احتمال ان لا يكون له قادح البتة كدلائل التوحيد (أرونى الذين ألحقتم به شركاء) من غير دليل محتمل للقدح ولا غيره (كلا) أى انزجروا عما لا ينسب الى دليل أصلا (بل) الاله (هو) الذى دلت عليه الدلائل وهو (الله) الجامع للكمالات ولا جمع مع الشركة كيف وهو (العزيز) المطلق ولا عزة لاحد المتساويين على الآخر وان لم يكن مساويا لا يترك شركه لانه (الحكيم) فلا يترك مفسدة الشرك (و) ان قالوا اليس لك ان تنهانا عن آلهتنا لانك ان لم تكن رسولا فظاهر وان كنت رسولا فانما أرسلت الى الخواص الذين يمكنهم التقرب الى الله بلا واسطة الاصنام يقال الرسالة قد ثبتت بالمعجزات

وجل مآرب أخرى) أى
حوائج واحدها مأربة
ومأربة ومأربة (قوله
تعالى مشيد) أى مبنى
بالشيد وهو الجص
والجيار واللاط ويقال
مشيد ومشيد واحد أى
مطول مرتفع (قوله عز
وجل منسكا) أى عيدا
وقدمر تفسيره (قوله
تعالى مهجورا) أى متروكا

ولم تختص بالخواص لانا (ما أرسلناك الا) رسالة (كافة) أى مانعة (للناس) عن ان يخرج أحدهم عن دائرة دعوتك لكونه (بشيرا) لمن آمن بها فوحد الله (ونذيرا) لمن كفر بها فأشرك بالله وهذا مما لا يخفى على عاقل (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون) أنتم لا تعلمون وقت ما تبشرون به وتنذرون عنه (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) فى التبشير والانذار (قل) ان العلم بالشئ لا يستلزم العلم بوقته وان كان له وقت معين كالموت اذ (لكم) فيه (ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) ومع ذلك لا يطلعون عليه (وقال الذين كفروا) لا يظهر لنا صدقكم ما لم تبينوا لنا وقته اذ غاية ما تستدلون به عليه هذا القرآن لكن (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى) يصدقه ويبشر به (بين يديه) يقال عدم ايمانكم بالكتاب المعجز الذى تبشر به كتب الاولين ظلم منشؤه الاستكبار على أنفسكم وعلى اتباعكم ولذلك يقفون عند ربكم ويوقفون عنده من أجلهم (ولو ترى) أيها الداعى (اذ الظالمون) أنفسهم واتباعهم بمنع الايمان بما ظهر اعجازه بعد ما بشر به كتب الاولين وصدقته (موقوفون عند ربهم) ليجيبوا من يدعى عليهم بالاضلال الذى هو أشد من القتل (يرجع) بالرد والالزام (بعضهم الى بعض القول) دفعا للعذاب عن أنفسهم والزاما لاصحابهم لرأيت أمرا عجيبا فانه (يقول الذين استضعفوا) فظلوا (للذين استكبروا) فظلموا (لولا أنتم) مستضعفونا (لكنا مؤمنين) اذ وجدنا سبب الايمان وهو الكتاب المعجز الذى بشر به كتب الاولين وصدقته من غير مانع من الاستكبار (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) انا وان استضعفناكم لم نكرهكم على الكفر (أنحن صددناكم) بالاكراه (عن الهدى بعد اذ جاءكم) فقبلتموه (بل كنتم) قبل استضعافنا اياكم (مجرمين) فاستمررتم عليه بعد الاستضعاف (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ما كنا قبل استضعافكم ايانا مجرمين بانفسنا (بل) جعلنا مجرمين (مكر الليل والنهار) بذهابهما علينا بالامؤاخذة على كفرنا وبلا حشر لموتانا وانما تم مكرهما باضلالكم (اذ تأمروننا) ونحن نعتمد على عقولكم (أن نكفر بالله و) يكفى فيه أمركم ان (نجعل له أندادا) أمثالا وفيه اذلاله بجعله واحدا من أمثاله فاجرمنا أولا لاضلالكم ثم استضعفتمونا (و) لما لم يكن هذا عذرا يدفع عنهم العذاب لعدم استدلالهم وعدم الاكراه عليهم (أسروا الندامة) على انقيادهم للمستكبرين (لما رأوا العذاب) الذى هو أشد من اكراههم لو كان (و) لاتخاذهم اياهم أندادا (جعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) كما يجعل فى أعناق من خرج على الملك فاخذوا لذلك يقال لهم (هل يجزون) بهذه الوجوه من الشدة (الا ما كانوا يعملون) من الخروج على الله والاذلال له (و) يكفيهم فى استحقاق الاغلال موافقتهم لاعداء الله من المترفين المبالغين فى عداوته فانا (ما أرسلنا فى قرية) ولو أدنى (من نذير) ولو أعلى (الا قال مترفوها) أى متنعموها الذين يتبعهم المستضعفون ليكون لهم نصيب من نعمهم (انا بما أرسلتم به) من وجود الله وتوحيده وأسمائه وأحكامه (كافرون وقالوا) لو كنتم رسل الله

لا يسمعونه ويقال مهجورا أى جعله بمنزلة الهجر أى الهذيان (قوله تعالى مرج البحرين) أى خلى بينهما كما تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى ويقال مرج البحرين خلطهما (قوله تبارك وتعالى مد الظل) أى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا أى دائما لا يتغير

لكنتم أسعد الناس وكنا أشقاهم لكن الامر بالعكس اذ (نحن أكثر أموالا وأولادا) ومن
لم يكن له ذلك منا فليس بشقى أيضا اذ كل شقى معذب (وما نحن بمعذبين) بل لما سعدنا
بالاموال والاولاد لا نعذب أصلا اذ السعيد لا يعذب (قل) انما يتم هذا لو كان وجودهما
سعادة وعدمهما شقاوة لكن ليس كذلك لان غايتهما انهما رزق دنيوى (ان ربى يبسط
الرزق) الدنيوى (لمن يشاء) من سعيد وشقى (ويقدر) أى يقبض عمن يشاء منهما
فلا دلالة فى وجودهما على السعادة ولا فى عدمهما على الشقاوة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
فيستدلون بوجودهما على السعادة وبعدمهما على الشقاوة كيف والسعادة فى القرب من
الله والشقاوة فى البعد منه (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى) أى بالامور التى (تقربكم)
تفيدكم (عندنا) رتبة (زلفى) قريبة (الا من آمن) فشكر الله على ما آتاه من الاموال
والاولاد (وعمل صالحا) فصرف ماله فى الخيرات وأدب أولاده بها (فأولئك لهم جزاء
الضعف) أى جزاء هو ضعف ثواب الفقراء الخالين عن الاموال والاولاد (بما عملوا) من
أعمال أولئك الفقراء مع صرف المال فى الخيرات وتأديب الاولاد بها ولا ينافى تقويتهما
ما فيهما من قوة الجذب الى الجهة السفلية لانهم دفعوها بقوة اجتهادهم (و) لذلك (هم
فى الغرفات) التى ارتفعوا اليها بقوة اجتهادهم (آمنون) عن النزول منها (و) كيف يسعد
بهذا القرب أرباب الاموال والاولاد (الذين يسعون فى) ابطال (آياتنا معاجزين) أى
قاصدين اعجازنا عن اقامتها بقوة أموالهم وأولادهم (أولئك) بهذا القصد وان كان لهم من
الاموال والاولاد ما يعظم جاههم عند الناس (فى العذاب محضرون) لا يغيبون عنه بلذة
مال ولا ولد فان زعموا انه لا سعادة فى القرب من الله اذ لا فائدة فيه ولا شقاوة فى البعد منه اذ
لا ضرر فيه وانما الفائدة والضرر فى وجود الاموال والاولاد وعدمهما (قل) هذه الفائدة
وهذا الضرر انما يكونان من الله (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له و) سعادة
المال انما تبقى باخلافه لان (ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) على ان المال انما كان معدا
لافادته الرزق (وهو خير الرازقين) بما ينزله من السماء ويخرجه من الارض وقد ترزق
الملائكة التى تغنى عن الاكل والشرب فكيف ينكر سعادة القرب منه وفائدتها فان زعموا
أن الرزق السماوى والارضى انما هو من الملائكة وكذا القوة الملكية فلا معنى للتقرب الى
الله من أجل ذلك بل الواجب التقرب الى الملائكة بعبادة صورها على ان التقرب الى الله انما
يكون بواسطتهم يقال التقرب اليهم لا يكون بعبادة صورهم بل بعبادة ربهم فاذا عبدوا تبرؤا
منها ونسبوها الى من رضى بها من الجن (و) لذلك (يوم نحشرهم) أى الملائكة والانس
والجن (جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أى هل كانوا يخصونكم
بالعبادة عن أمركم ورضاكم (قالوا) انما نأمر ونرضى بما نستحقه لكن تنزهت عن
المشاركة فى استحقاق العبادة (سبحانك) أى تنزهك فى ذاتك وصفاتك ومع تنزهك انما
نرضى بعبادتهم لو كانوا اليهم لكن (أنت ولينا من دونهم) فاذا لم تكن عبادتهم بامرنا

ورضانا

(قوله يعنى لاشمس معه) أى
(قوله عز وجل المرجومين) أى المقتولين والرجم القتل
والرجم السب والرجم القذف (قوله عز وجل
المشحون) أى المملوء (قوله عز وجل مصانع) أبنية
واحدها مصنعة (قوله المراضع) جمع مرضع
(وقوله المقبوحين) أى
المشوهين بسواد الوجوه

ورضا انما كانت عبادتهم لنا (بل كانوا يعبدون الجن) الذين يرضون بهذه العبادة
ويأمرونهم بها بل (أكثرهم) يقصدون عبادتهم اذهم (بهم مؤمنون) لا بالملائكة واذا
تبرأت عنكم الملائكة وصارت عبادتكم للجن وهم أيضا مؤاخذون مثل مؤاخذتكم
(فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) بدفع العذاب عن صاحبه أو بحمله عنه (ولا ضرا)
بحمل عذابه ولو لم يتبرؤا بما يتوهم ذلك لان المعذبين هم الملائكة (ونقول للذين ظلموا)
لعبادة الغير أو الامر بها (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) على الظلم فى العبادة
وفى تكذيب النار (و) كيف يتوسلون بالملائكة ويتركون التوسل بالانبياء الذين هم
أقرب منهم وافضل من الملائكة بل يكذبونهم ويستهينون بهم وبآياتهم بحيث (اذا تتلى
عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (بينات) بحيث لا يشك فى كونها آيات (قالوا)
معارضين لدلالتها على نبوة صاحبها (ماهذا الا رجل) والرسول يجب أن يكون ملكا على
انه يجب أن يكون داعيا الى الحق وهذا (يريد أن يصدكم) عن الحق من عبادة من يستحقها
لصدّه (عما كان يعبد آباؤكم) وهى دليل استحقاقها العبادة (وقالوا ماهذا) الصد عن
عبادتهم دعوة الى عبادة الله بل ماهو (الا افك) أى صرف عن عبادته فليس من الله بل
(مفترى) على الله (و) اذا عورض قولهم بدلالة المعجزات (قال الذين كفروا) بنسبة
الاعجاز الى غير الله (للحق) الذى هو المعجزة القولية الداعية الى ما يطابق الواقع (لما
جاءهم) فعلموا حقيقته (ان هذا الا سحر مبين) لا يلتبس بالمعجزات أصلا فجعلوا الدليل القطعى
سحرا (و) اتبعوا ما لا دليل عليه أصلا من الكتاب لانا (ما آتيناهم من كتب) تأمرهم
بعبادة غير الله فهم (يدرسونها) ويعملون بمقتضاها وان خالف العقل (و) لا من السنة
لانا (ما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ينذر على ترك عبادتها بل ينذر على عبادتها (و) لكن
(كذب الذين من قبلهم) المنذرين على عبادتها (و) لم يكن تكذيبهم بقوة العلم لانهم
(ما بلغوا) فى العلم (معشار ما آتيناهم) من العلم ولكن عاندوهم (فكذبوا رسلى) بلا
حجة لهم عليهم بل كانت الحجة للرسل فأخذتهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم فان
أنكروا كون الانبياء عليهم السلام اعلم من غيرهم بحيث لا يكون للغير معشار ما أوتى الانبياء
بل هو جنون حتى ان ما أوتيه محمد صلى الله عليه وسلم عين الجنون (قل) لهم كلاما يدل على
وفور عقلك من غير نظر وفكر (انما أعظكم) أى آمركم (بواحدة) أى بخصلة واحدة
تفيدكم كمال الرشد هى (أن تقوموا) بالانصاف طالبين (لله) متفرقين اثلا يتشوش
الخاطر بتخليط الاقوال (مثنى) ليستخرج كل ما فى ضمير صاحبه (وفرادى) ليجتمع
بالخلوة فكره (ثم تتفكروا) فى أمر صاحبكم لتعلموا انه (ما بصاحبكم من جنة) أى
جنون بل جميع كلامه حجة أوتيها لينذركم بها (ان هو الا نذير لكم) يقدم اليكم (بين يدى
عذاب شديد) فان زعموا انه انما ينذرنا عن اللذات العاجلة ليستقل بها فيتسلط على أموالنا
(قل ما سألتكم) عليه (من أجر فهو لكم) مردود عليكم (ان أجرى الا على الله)

وزرقة العيون يقال قبح
الله وجهه وقبح بالتخفيف
والتشديد (قوله تعالى
معاد) مرجع وقوله تعالى
لرادك الى معاد قيل الى مكة
وقيل معاده الجنة (قوله عز
وجل من ماء مهين) أى
ضعيف ويقال حقير يعنى
النطفة (قوله مسطورا) أى
مكتوبا (قوله عز وجل
مكر الليل والنهار) أى

الذى أرسلنى بهذه الرسالة الشاقة فتحملت فيها المشاق كيف (وهو على كل شئ شهيد) فيشهد ما تحملت فلا يمنعنى أجرى عليه فان زعموا انهم كلما تفكروا فيه ظهرلهم جنونه (قل ان ربى يقذف) أى يلقى فى قلوب المفكرين رأيا متصفا (بالحق) ان كانوا طالبى الحق فانه (علام الغيوب) فان علم من قلب عبده طلب الحق قذفه فى قلبه والا قذف الباطل وان زعموا انه تارة يقذف الحق وتارة يقذف الباطل (قل) هذا فى الامور الظنية وأما الامور القطعية فانه (جاء) فيه (الحق وما يبدئ) أى وما يحدث (الباطل) الذى لم يكن أصلا (وما يعيد) الباطل الذى كان فاندفع بالدليل القطعى فان زعموا انه لا دليل قطعى على ما ذكرت بناء على عدم الدليل الملجئ لهم الى الايمان (قل ان ضللت) فيما دل الدليل القطعى لعدم الجائه فلا يضركم ضلالى لو اتبعتمونى فيه (فانما أضل) وضرره (على نفسى وان اهتديت) من غير دليل ملجئ (فبما يوحى الى ربى) فيفيدنى فيه برد اليقين ومخالفه مستضروان لم يبلغ الى حد الالجاء ولا يمكن فيه الضلال بالقاء الشيطان (انه سميع) لوحيه فيحفظه عن تخليط الشيطان ولا يبعد عليه حفظه لانه (قريب) وكيف يخافون ضرر الضلال فيما دل الدليل على هدايته ولا يخافون ضرر تكذيب ما دل الدليل على كونه هداية (ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث من تكذيبهم لما دل الدليل على كونه هداية (فلا فوت) أى فلا يفوتون من يضرهم على ذلك (و) لا يطول السعى عليهم اذ (أخذوا من مكان قريب) لقرب الجنة على المؤاخذة (وقالوا) بعد الاخذ (آمنا به) أى بذلك الهدى (وأنى لهم التناوش) أى ومن أين لهم تناول الايمان به بسهولة (من مكان بعيد) اذ بعدوا عن مكانه (و) لم يأخذوه حين كان قريبا منهم اذ (قد كفروا به من قبل و) لم يكن كفرهم من مكان قريب بل كانوا (يقذفون) الهدى بأوهام باطلة من غير دليل على تحققها بل على احتمالها (بالغيب) لا مع قرب الاحتمال بل (من مكان بعيد و) لم يزالوا يبعدوا حتى (حيل) أى حجب (بينهم وبين ما يشتهون) الآن من الايمان النافع فلم يوفقوا له قبل الموت (كما فعل بأشياعهم) أى أشباههم من كفرة الامم الماضية (من قبل انهم) حيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان النافع لهم وهم فى الحياة لانهم (كانوا) غرقى (فى) بحر (شك مريب) أى موقع لغير الشاك الاصلى فى الريب مع وضوح الدلائل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الملائكة)

سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم من جهة أخذهم الفيض عن الله وايصاله الى خلقه من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر ليشعر أن الرسالة العامة لهم اذا كانت كذلك فكيف الرسالة الخاصة مثل انزال القرآن فيجوز أن يكون له جهات كثيرة وقد روى انه كان لجبريل ستمائة جناح (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى سمواته وأرضه وملائكته (الرحمن) بجعله الملائكة رسلا لايصال فيضه الى خلقه (الرحيم) بتخصيص كل منهم بعدد من

الاجنحة

مكركم فى الليل والنهار (قوله عز وجل مواخر فيه) أى فواعل يقال مخرت السفينة اذا جرت فشقت الارض بصدرها ومنه مخر الارض انما هو شق الماء لها (مرقدنا) أى منامنا (قوله لمسخناهم) أى جعلناهم قردة وخنازير (قوله مكنون) أى مصون (قوله جل وعز مدينون)

الاجنحة (الحمد) الجامع للمحامد (لله) لكونه المنعم بجميع النعم حتى المنسوبة الى
الإوضاع الفلكية المختلفة بالقوابل الارضية لاختصاصه بوصف (فاطر السموات) أى
شاق عدم السموات لاخراجها أسبابا للفيض (والارض) التى فيها القوابل كيف والمنسوب
اليهما منسوب الى الملائكة التى فيهما وهو المخصوص بوصف (جاعل الملائكة رسلا) فى
ايصال فيضه الى خلقه بأخذها منه من جهة سيرها اليه و بوصلها من جهة فأ كثر لكونهم
(اولى أجنحة) تسيرهم ابسرعة للاخذ والايصال (مثنى وثلاث ورباع) فأكثروا دبر ذلك
لحاجته اليهم ولذلك (يزيد فى الخلق مايشاء) بلا واسطتهم ومنه خلقهم وخلق أجنحتهم
والزيادة فيها على أربع لعموم قدرته (ان الله على كل شئ قدير) ولعمومها قد يفعل بخلاف
مقتضى الاسباب لذلك (مايفتح الله للناس من) أبواب (رحمة) لاتعرف من وضع
فلكى ولا يعرفها ملك (فلا ممسك لها) منهم ولا من غيرهم وان كانت رحمته ممسكة لغضبه
(ومايمسك) من رحمة أو غضب (فلا مرسل له من بعده) أى من بعد امساكه بجزم الامر وقوفا
على معالجة أو دعاء او صدقة كيف (وهو العزيز) أى الغالب على الاسباب وانما يفعل
عندها رعاية للحكمة لانه (الحكيم) و يخالفها بمقتضى الحكمة أيضا (يا أيها الناس) الذين
نسوا كون المنسوب الى الاسباب منسوبا الى مسببها (اذكروا نعمت الله عليكم) فى كل شئ
حتى فيما تنسبونه الى فلك أو ملك كيف ولا تأثير للاسباب والا كانت خالقة لكنه ممتنع (هل
من خالق غير الله) ولو كان ثمت خالق غيره لاختص بافاضة الرزق من مكان دون غيره فلم يكن ثمت
من (يرزقكم من السماء والارض) معا على ذلك التقدير وانما يتصور على وحدة الخالق وهو
(لا اله الا هو) واذا كان الخالق والرازق واحدا ولا تأثير للاسباب (فأنى تؤفكون) أى
فمن أين تصرفون من المسبب الى الاسباب التى غايتها انها مسخرة تسخير الكاغد والمداد الذى
يكتب فيه وبه الملك صلته ولا منة لهما (وان يكذبوك) فى نسبة الكل الى الله تعالى ابتداء
مع ظهور الوسايط (فقد كذبت رسل من قبلك) فى القول بوجود الله وتوحيده فيضاف
عليه ماوقع على تكذيبهم (و) لو لم يقع فى الدنيا يقع فى الآخرة (الى الله ترجع الامور)
للانصاف فلا بد من وقوعه (يا أيها الناس) الذين نسوا وجوب رجوع الكل الى الله بمقتضى
مبدئيته لو لم يقتض مبدئيته ذلك اقتضاه وعده لامحالة (ان وعد الله حق) وان توهم
خلافه من ترك النظر بالاشتغال بالدنيا أو من تغليط الشيطان فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم) الشيطان الذى هو (بالله الغرور) بان رحمة الله واسعة وان التعذيب
مضرة محضة وانه يجوز الخلف فى الوعيد ونحو ذلك فكله من تلبيسات العدو (ان الشيطان
لكم عدو) فلا تصغوا الى كلامه ولا تصالحوه مع عداوته لله من أجلكم (فاتخذوه عدوا)
وكيف تطمعون فى مصالحته مع انه (انما يدعوا حزبه) الى الكفر والمعاصى (ليكونوا من
اصحاب السعير) ليصاحبوه فى النار أبدا فلو لم يدعهم الى ذلك فصاحبته كفرو (الذين كفروا
لهم عذاب شديد) كيف وهم فى مقابلة المؤمنين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة)

أى مجزيون (قوله جل وعز مقحم معكم) أى داخلون معكم بكرههم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة وصعوبة (قوله تبارك اسمه مقاليد) مفاتيح واحدها مقليد ومقلاد ومقلد ويقال هو جمع لا واحد له من لفظه وهى الاقاليد أيضا الواحد اقليد (قوله جل وعز

فلولم يكن للكافرين عذاب لكان لهم أيضا مغفرة فلم يكن بينهم مقابلة (وأجر كبير) فلابد أن يقابل كبر أجر المؤمنين شدة عذاب الكافرين (أ) يزعمون أن أعمالهم أيضا تقتضي الاجر الكبير (فمن زين له سوء عمله) من مقارنته للكفر بالله (فرآه) مع مقارنته له (حسنا) حسنه بدونها فسوى بين عمله وعمل المؤمنين فهو ضال وعمله ضلال بجعل الله اياه ضلالا (فان الله يضل) عمل (من يشاء ويهدي من يشاء) وان تساوى العملان في أنفسهما بسبب ما يقارنهما من الكفر أو الايمان واذا جعل الله حسناتهم سيآت (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) بذهاب أعمالهم التي تحسن بمقارنة الايمان لانك لم تضيعها عليهم وانما ضيعوها بكفرهم وكيف يكون لهم حسنات مع انهم لم يفعلوها لله (ان الله عليم بما يصنعون و) ان زعموا ان ما ذكرت انما يتم لو حصل البعث لكنه خلاف سنة الله يقال يكفي فيه جريان السنة بنظيره وقد جرت به اذ (الله) هو (الذي أرسل الرياح) من تحريك الهواء بالبخارات الصاعدة من الجبال والبحار (فتثير) أي فتجمع البخارات (سحابا فسقناه) بتلك الرياح (الى بلد ميت) لنسقيه بمائه (فأحيينا به الارض) بعض أجزائها بقلبها نباتا (بعد موتها) بكونها جمادات (كذلك النشور) يحصل بريح النفخ في الصور المحرك بصب الامطار من تحت العرش المنبت للاموات والسنة في احد النظيرين تجري مجرى السنة في الآخر فان قالوا سلمنا البعث لكن اذا بعث الله الخلق نزل كلا منزلته فيعز من كان عزته بالاموال والاولاد ويذل من كان ذليلا بهما فقال عز وجل (من كان يريد العزة) عند الله فليتقرب الى الله (فلله العزة جميعا) يفيدها من تقرب اليه بطاعته اذ (اليه يصعد الكلم الطيب) من الشهادة والاستغفار (و) يعينه في الصعود العمل اذ (العمل الصالح يرفعه) درجات (و) القول بان العزة عنده بالمال من مكر السيآت لا يفيد الماكر اذ (الذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد و) لا يضر الممكور اذ (مكر أولئك هو يبور) أي يهلك بخلاف من مكر بصاحبه ليجره الى حسنة فان مكره يفيد صاحبه تلك الحسنة وان لم يرض بها حين مكر به (و) لا يبعد على الله قلب ذلة العبادة له عزة اذ (الله خلقكم) يا أعز الخلائق من أصلين ذليلين (من تراب) صار نباتا فأكله انسان فصار دما (ثم) صار نطفة فخلقكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) يرغب بعضكم في بعض لكمال يرى فيه (و) سبب عزة العبادة وان كان خفيا وهو الاخلاص فلا يخفى على الله فغاية خفائه مثل خفاء ما في الارحام وأخفى ما فيه وقت الحمل والوضع لكن (ما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه و) لا يخفى عليه أيضا ما تزداد به العبادة حسنا وما تنقص من المساعي الباطنة فانه كزيادة العمر ونقصانه (ما يعمر من معمر) أي ما يمد في عمر من يصير الى الكبر (ولا ينقص من عمره) أي عمر المنقوص عمره (الا في كتاب) هو لوح القدر التابع للقلم الاعلى التابع لعلمه (ان ذلك) وان اقتضى الاطلاع على أمور في غاية الخفاء (على الله يسير و) لو قيل كيف يحسن عنده الافعال بالمساعي الباطنة وتقبح بها وهو متعال عن الانتفاع والتضرر فالنظر في الحسن والقبح انما هو في ذوات الافعال يقال هذا العمل الحسن

(قوله تعالى ومعارج عليها يظهرون) أي درج عليها يعلون واحدها معرج ومعراج (قوله تعالى مثوى لهم) أي منزل لهم (قوله عز وجل معرة) أي جناية كجناية العدو وهو الحرب ويقال معرة أي تصيبكم منهم معرة تلزمكم الديات (قوله عز وجل معكوفا) أي محبوسا (قوله تعالى مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل)

في

فى ذاته مثل الماء الذى لا يقبح لذاته أصلا ومع ذلك (ما يستوى البحران) عند الانسان وان استويا فى نفس الماء لكن (هذا) مرغوب له باعتبار ما قارنه من الصفات مثل انه (عذب فرات) يكسر العطش (سائغ شرابه) سهل انحداره (وهذا) مكروه له باعتبار ما قارنه من الصفات مثل انه (ملح اجاج) يحرق بملوحته (و) ليس بالنظر الى الفوائد اذ (من كل تأكلون لحما طريا) فى مقابلة الشرب (و) تستفيدون من المالح فائدة اجل من الاكل والشرب اذ (تستخرجون حلية) أى زينة (تلبسونها) افتخارا فهذه فائدة خاصة لا يضطر اليها (و) تستفيدون منه فائدة أخرى يضطر اليها اضطرار العطشان الى الماء وهو التجارة اذ (ترى الفلك فيه مواخر) أى شاقة للماء أسهل من شق البحر العذب لثقله وهى تحمل الامتعة التى يشق حملها على ظهور الانعام فى طريق البر (لتبتغوا من فضله) من الربح أو العلم الذى لا يحصل فى دار الاقامة (و) انما فعل بكم ذلك (لعلكم تشكرون) فالشكر محبوب له بذاته والعبادة انما تصير شكرا أو ضده باعتبار تلك المساعى التى يزيدها حسنا أو قبحا ولا يبعد على الله ان يولج ذلة العذاب فى عزة المال وعزة القرب من الله فى ذلة العبادة فانه (يولج الليل) ظلمته (فى) ضوء (النهار) فيزيده (ويولج النهار) ضوءه (فى) ظلمة (الليل) فيزيدها (وسخر الشمس والقمر) والتسخير ذلة جعلها عين عزتهما باظهار أنوارهما وآثارهما (كل يجرى لاجل مسمى) فاذا تم انقلبت العزة ذلة وكيف لا تكون عبادة الله عزة مع انه (ذلكم الله) العبودية تقرب بها اليه ويفيدكم التقرب اليه من حيث هو (ربكم) مع انه الذى (له الملك) وخدمة الملك عزة فى العرف فكيف خدمة ملك الملوك (و) انما الذلة المحضة عبادة (الذين تدعون من دونه) اذ (ما يملكون من قطمير) لفافة النوى كيف وهى تذلل لما هو فى غاية النقص لانهم بحيث (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) اذ لا سمع لهم (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الاجابة القولية والفعلية (و) ان لم تظهر ذلة عبادتهم الآن تظهر (يوم القيامة) اذ (يكفرون بشرككم) فيقولون ما رضينا به واى ذلة فوق ذلك وهذا وان لم يقع الآن فلا بد من وقوعه لان مخبرك به خبير (ولا ينبئك مثل خبير) بالبواطن التى هى المآل (يا أيها الناس) الذين ذ. واحتمال الذلة المعاجة ان لم يحصل لكم من عبادة الله عزة فلا بد لكم من فعلها اذ (أنتم الفقراء الى الله والله) تعالى وان استغنى عن عبادتكم من حيث (هو الغنى) أمركم بها من حيث هو (الحميد) اذ يصير بها مشكورا محمودا وهو لحبه الحمد يحب من يحمده ويشكره بالعبادة ويبغض من يترك حمده وعبادته فان تركتم ذلك (ان يشأ) بمقتضى غضبه مع غناه عنكم (يذهبكم) فيلحقكم بالعدم الذى هو غاية الذلة (ويأت بخلق جديد) يحمدونه ويعبدونه (و) لغناه عن مباشرة الاسباب والآلات والنظر والتأمل مع اقتضاء حمده ذلك (ما ذلك على الله بعزيز) صعب (و) لا يرتفع غضبه بتحمل سببه وهو الاثم عنكم اذ (لا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس آثمة اثم غيرها الا بدون دعوة (و) لا بدعوة لانه (ان تدع) نفس (مثقلة) أثقلها الاوزار (الى حملها)

أى صفتهم (قوله تعالى مريج) أى مختلط (قوله تبارك وتعالى محروم) أى محارف وهما واحد لان المحروم الذى قد حرم الرزق فلا يتأتى له والمحارف الذى حارفه الرزق أى انحرف عنه (المسجور) من قوله والبحر المسجور أى المملوء (قوله تعالى مركوم) أى بعضه على بعض (قوله مارج) من قوله من مارج

أى حمل أوزارها (لايحمل منه شئ) أى لايحمل المدعو شيأ من احماله المثقلة (ولو كان)
المدعو (ذاقربى) أى قرابة للداعى ممن كان يتحمل منه الاثقال الدنيوية وهذا وان كان
انذارا كاملا لكن (انما تنذر) مؤثرا فى (الذين يخشون ربهم) الذين فيهم من خشية شئ
يتزايد ذلك الشئ بانذارك تزايد النار بالنفخ مع كون ربهم (بالغيب و) ازدادوا تأثرا اذ (أقاموا
الصلوة) المفيدة للطهارة (ومن تزكى) فتزكيته وان كانت سبب ظهور الحق فيه فلا فائدة
فيها للحق (فانما يتزكى) مفيدا (لنفسه) كيف (و) يكون لها (الى الله المصير) أى مصيرها
بالفناء فيه أو البقاء به (و) هذه الفائدة وان لم يعرفها المحجوبون يعرفها المكاشفون اذ
(ما يستوى الاعمى والبصير ولا) يعرفها البصير فى كل وقت بل وقت استنارته اذ لا يستوى
(الظلمات ولا النور ولا) يمكنها اكتساب النور فى كل وقت بل وقت غلبة حرارة العشق عليها
اذ لا يستوى (الظل ولا الحرور) اذ به يحصل لها الفناء فى الله والبقاء به وهو الحياة بالله (وما
يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع) هذه الاسرار (من يشاء) من أهل الطفه (وما
أنت بمسمع) لها ولا لما دونها (من فى القبور) من موت الحجب الظلمانية (ان أنت) فى حقهم
(الا نذير) تخوفهم بالعذاب وان كنت أعلى فى نفسك من هذه الرتبة (انا) فضلناك على
الانبياء الماضين اذ (أرسلناك بالحق بشيرا) بالتجلى (ونذيرا) عن الحجب (وان من أمة
الا خلا فيها نذير) عن العذاب لقصورهم عن التجلى والحجب وان حصل لبعضهم ذلك
لا بطريق الرسالة اذ لم تكن أحوالهم ثمرات أعمالهم بل نتائج رهبانيتهم (وان يكذبوك) فى هذه
الفضيلة (فقد كذب الذين من قبلهم) من أنذرهم بالعذاب مع انهم (جاءتهم رسلهم بالبينات)
العقلية (وبالزبر) المتضمنة للدلائل النقلية من الانبياء الماضين (وبالكتاب) الجامع بين
العقل والنقل (المنير) بنور الكشف (ثم) بعد الزام الحجة من كل وجه (أخذت الذين
كفروا) أى مضوا على كفرهم بهذه الامور فشددت الامر عليهم (فكيف كان نكير) أى
انكارى على انكارهم ولو قيل كيف يكون بكلام واحد بشيرا بالتجلى ونذيرا عن الحجاب فى حق
قوم مع تجرد كونه نذيرا عن العذاب فى حق آخرين يقال ان القرآن النازل من المقام الجامع
للكمالات يكثر فوائده فى حق النتائج وفى حق الداعين وفى حق المستفيدين باعتبارات مختلفة
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) لم يقل فاخرج به لئلا يتوهم كون المخرج
هو الماء بسبب النزول (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها وأصنافها وهيآتها من الصفرة
والخضرة ونحوهما هذا باعتبار اختلاف توجيهات القرآن (و) يختلف ذلك باختلاف الدعاة
الذين هم كالجبال فى الرفعة (من الجبال جدد) أى قطع (بيض) وهو مثال الصوفى الداعى
بطريق المكاشفة والتزكية (و) قطع (حمر) وهو مثال المتكلم يدعو بطريق المناظرة
التى تشبه المقاتلة (مختلف ألوانها) مقدار أى مختلف مقادير بياضها وحمرتها (و) قطع
(غرابيب) متحدة الالوان (سود) وهو مثال الفقهاء المتفقين فى الاخذ بطريق ظنى لا يصير
الى بياض اليقين (و) يختلف باختلاف المستفيدين فمنهم المتصرفون كالناس ومنهم

من نار مارج ههنا لهب
النار من قولك مرج الشئ
اذا اضطرب ولم يستقر
ويقال من مارج من نار
أى من خلط من النار
من نوعين من النار خلطا
من قولك مرجت الشيئين
اذا خلطت أحدهما بالآخر
(قوله عز وجل والمرجان)
صغار اللؤلؤ واحدتها
مرجانة (قوله مقصورات)
أى مخدرات والجلة تسمى

الناقلون للروايات مع الدلائل كالدواب الحاملة للاثقال ومنهم الناقلون للروايات كالانعام
الحاملة للامتعة ولكل مراتب مختلفة اذ (من الناس والدواب) الخيل والبغال والحمير
(والانعام) الابل والبقر والغنم (مختلف ألوانه) وكما يختلفون فى استفادة العلم (كذلك)
يختلفون فى استفادة داعى العمل وهو الخشية فانها بحسب العلم لانه (انما يخشى الله من
عباده) وان كان حقهم ان يخشوه جميعا بمقتضى عبوديتهم وربوبيته (العلماء) لانهم عرفوا
عزته الموجبة للخشية منه وان لم يكن له قهر وعرفوا ان له قهرا يستره (ان الله عزيز غفور)
وهذه الفوائد انما تظهر واحدة بعد أخرى على من لازم تلاوة القرآن مع اعتقاد غاية
عظمته وطالبها فى حال المشاهدة وذاكرها لاهل العلم (ان الذين يتلون) أى يواظبون على
تلاوة القرآن على اعتقاد كونه (كتاب الله) فضله على كلام الخلق كفضل الله (واقاموا
الصلوة) ليشاهدوا فيها المتكلم ليظهر لهم فوائد كلامه (وأنفقوا مما رزقناهم) من
العلوم الباطنة (سرا) لاهلها (و) من العلوم الظاهرة (علانية) لاهلها أولئك تفاض
عليهم تلك الفوائد واحدة بعد واحدة لانهم (يرجون) من الله فى هذه الاعمال (تجارة)
تفيد أرباح علوم وأعمال (لن تبور) أى ان تهلك فتخسر فلا يزال يفيض عليهم علوما
وأعمالا (ليوفيهم أجورهم) من العلوم والاعمال وما يترتب عليهما (ويزيدهم) على
أجورهم (من فضله) وان كان فيهم قصور (انه غفور) أى ساتر لقصورهم (شكور)
لاعمالهم (و) هذه الفوائد وان وجدت فى كتب الاولين فالذى فى كتابك أكمل اذ (الذى
أوحينا) من مقام عظمتنا (اليك) يا أكمل الرسل (من الكتاب) الجامع كتب
الاولين (هو الحق) المطابق للصفة الازلية اتم مطابقة ولغاية كماله كان (مصدقا لما بين
يديه) فتلك الصفة وان كانت متحدة اختلف ظهورها بحسب اختلاف الامم (ان الله بعباده
لخبير) بما فى بواطنهم (بصير) بما فى ظواهرهم فافضنا عليك تلك الفوائد (ثم) بعد ذلك
(أورثنا الكتاب) لاستفاضة تلك الفوائد الاولياء من أمتك وهم (الذين اصطفينا)
للاطلاع على أسرارنا لكونهم (من عبادنا) المنسوبين الى عظمتنا نفيض على كل واحد
منهم بحسب اختلافهم (فمنهم ظالم لنفسه) أى مبالغ فى المجاهدة على نفسه بحيث يمنعها
حقوقها فضلا عن حظوظها ليوفيها فى الآخرة (ومنهم مقتصد) يعطيها حقوقها ويمنعها
حظوظها (ومنهم سابق بالخيرات) متبع فى اعطاء الحظوظ والحقوق المصلحة لا عن رأيه
بل (باذن الله) الذى يلهمه الله تعالى (ذلك) التوريث وان كان مختلفا بحسب
اختلافهم (هو الفضل الكبير) فى تحصيله فوائد الكتاب فيطلع الاول على الحقائق والثانى
على الاخلاق والثالث على الاعمال هذا هو الاصل لكن لا يقتصرون على ذلك بل يكون
كأنه حصل لكل واحد (جنات عدن يدخلونها) ليأخذوا من ثمراتها ما شاؤا (يحلون فيها
من أساور من ذهب) من تزينهم بعلم الحقائق (ولؤلؤا) من اتصافهم بالحقائق الملكوتية
ولباسهم فيها حرير) من تخلقهم بالاخلاق الالهية وتزيينهم بزى الاعمال الصالحة (وقالوا

المقصورة (قوله تبارك
وتعالى الميمنة والمشئمة) من
اليمين والشمال ويقال
أصحاب الميمنة الذين يعطون
كتبهم بأيمانهم وأصحاب
المشئمة الذين يعطون
كتبهم بشمائلهم والعرب
تسمى اليد اليسرى الشؤمى
والجانب الايسر الاشأم
ومنه اليمن والشوم واليمن
ماجاء عن اليمين والشوم

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) أى حزن الجهل بالادلة اليقينية ورفع الشبه (ان ربنا لغفور) ساتر للشبه (شكور) بافاضة الدلائل القطعية لمن استفاضها بمجاهدة نفسه (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) من غير وجوب شئ عليه بازالة الشك الذى به اضطراب القلوب (لا يمسنا فيها نصب) من تطويل المقدمات (ولا يمسنا فيها لغوب) من خفائها ويظهر لهم ذلك يوم القيامة فى الجنات المحسوسة أيضا (والذين كفروا لهم) بدل هذه الفوائد النازلة منزلة الجنات (نار جهنم) مع حرقهم بفوات تلك الفوائد وكما لا ينقطع تلك الفوائد فى حق المؤمنين المذكورين ولا ما نزل منزلتها من جنات عدن لا ينقطع بدلها فى حق الكافرين لذلك (لا يقضى) أى لا يحكم (عليهم) بالموت (فيموتوا) كما لم يخفف عليهم شبهاتهم بالدلائل القاطعة من الفوائد المذكورة (لا يخفف عنهم من عذابها) وكيف لا يكون للكافر بهذا الكتاب مع غلظ كفره هذا العذاب وقد عم الكفار اذ (كذلك نجزى كل كفور) برسول أو كتاب أو أمر مما يجب الايمان به (وهم يصطرخون فيها) بدل حمد الاولين باذهاب الحزن عنهم يقولون (ربنا أخرجنا) أى من هذه النار الجامعة للاحزان التى أوجبها أعمالنا القبيحة (نعمل صالحا) يوجب اذهابها (غير الذى كنا نعمل) على اعتقاد انه المذهب للاحزان كلها (أ) خفى عليكم كون اعمالكم موجبة للحزن (ولم نعمركم) مقدار (ما يتذكر فيه من تذكر) على تقدير الخفاء (و) لم نترككم على مجرد التذكر الذى ربما يقولون معه انه لم يفتح علينا شئ بل (جاءكم النذير) أيضا فلم تبالوا الظهوره ولم تشتغلوا بالتذكر ولم تسمعوا النذير فقد ظلمتم من هذه الوجوه (فذوقوا) لذات ما عملتم ذوقا دائما (فما للظالمين من نصير) يدفع عنهم العذاب حينا فان زعموا ان النذير لم يرفع لهم شبهة قيل لهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يرسل من لا يقدر على حل شبهاتكم أو لا يحلها وما كان المانع لكم الشبهة بل الاستكبار فى قلوبكم (انه عليم بذات الصدور) وكيف يتصور ان يكون لهؤلاء الظالمين نصير مع عظم جرمهم اذ كفروا بمن انعم عليهم باجل ما يتصور من النعم اذ (هو الذى جعلكم خلائف) تتصرفون نيابة عنه (فى الارض) فانكرتم وجوده تارة وتوحيده أخرى وكذبتم رسله وآياته ثم الكفر مضر فى نفسه فاذا لم يضر الحق لتعاليه عن تأثير شئ فيه فلا بد ان يضر الكافر (فمن كفر فعليه كفره) أى ضرر كفره (و) لا يفيد محبة الله بواسطة الاصنام فانه (لا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أى بغضا لانهم وسطوا أعداءه المبغوضين له (و) لا ربحا دنيويا ولا أخرويا فانه (لا يزيد الكافرين كفرهم) فى الدنيا والآخرة (الا خسارا) كمن وسط الى الملك عدوه فانه لا يستفيد ربحا بل يخسر ما كان عنده فان زعموا انهم مستقلون بأنفسهم لا بطريق الوساطة (قل) انما يتم هذا لو كانوا خالقين للمنافع (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى الذين جعلتم هم شركاء الحق مع كونهم دونه لمجرد دعوتكم لا بدليل آخر (أرونى ماذا خلقوا من) الاشياء التى فى (الارض) الهم شرك فى جملة الارض (أم لهم

شرك

تمامها جاء من الشمال ومنه الشام لانهما عن يمين الكعبة وشمالها ويقال اصحاب اليمن اصحاب الميمنة اى كانوا على انفسهم ميامين على انفسهم واصحاب المشئمة المشائيم على انفسهم (قوله تعالى موضونة) أى منسوجة بعضها على بعض كما توضن الدرع بعضها على بعض

شرك فى السموات) فان زعموا ان شركهم فى السموات قيل لهـم هل آتيناهم على ذلك دليلا عقليا (أم آتيناهم كتابا) ولا يعرف كونه منا الا بالاعجاز أو الاخبار أو الاعجاز صاحبه (فهم على بينة منه) لكن لم يكن من ذلك شئ (بل) غاية ما يتمسكون انه وعدهم آباؤهم على دعوتهـم مع انه (ان) أى لا (يعد الظالمون بعضهم) الآباء (بعضا) الابناء (الا) وعدا يكون (غرورا) وكيف لا يكون وعد الخير على الشرك غرورا مع ان الشرك سبب فساد العالم (ان الله يمسك السموات والارض) فيمنعهمـا من (أن تزولا) بقول المشركين الموجب للفساد (ولئن زالتا) عن قوامهم (ان) أى ما (امسكهمـا) بمنع تأثير هـذا السبب (من أحد من بعده) أى من بعد غضبه الذى به يؤثر هذا السبب لكن يعارض غضبه حلمه لا الموجب للعفو الكلى بل للستر الى يوم القيامة ابقاء التكليف (انه كان حليما غفورا) ربما كان مقتضى الاسمين العفو الكلى لكن غلب غضبه عليهم اذ ضموا الى كفرهـم نقض عهد الله ويمينه بالايمان وكمال الاستقامة فانهم (أقسموا بالله) فاجتهدوا فى تأكيده (جهد) أى اجتهاد تأكيد (أيمانهـم) حين سمعوا تكذيب بعض الامم رسلهـم والله (لئن جاءهـم نذير) ولو دون النذر الاولى (ليكونن أهدى من) أمة هى (احدى الامم) فى الهداية لا تساويهم أخرى تصير ثانية لها (فلما جاءهم نذير) هو اعلى النذر (ما زادهم) مجيئه (الا نفورا) أى تباعدا عن الهداية أكثر مما كانوا عليه قبله لا لمنقر فيه من قصور وغيره بل (استكبارا فى الارض) أى طلبا للتكبر عليه لاخلاله بجاههم (و) الا (مكر السيئ) أى تلبس الطريق السيئ فى هلاكه واهلاك اتباعه ودينه ابقاء لجاههم (ولا يحيق المكر السيئ) أى لا يحيط ضرره (الا بأهله) فان كان الممكور به أهله احاط به والا أحاط بالماكرومـ م يصرون على ذلك المكر بعـد سماع هـذا (فهل ينظرون) أى ينتظرون (الا سنت) الله فى اهلاك (الاولين) من أهل المكر السيئ وهو من تجريب المجربات الموقعة فى الندامة (فلن تجد لسنت الله تبديلا) بضدها (ولن تجد لسنت الله تحويلا) الى غير اهلها الذلك حاق بهم يوم بدر (أ) ينكرون كونه سنة الله (و) كانهم (لم يسيروا فى الارض) التى مضت فيها هذه السنة (فينظروا كيف كان عاقبة) الماكرين المكر السيئ (الذين من قبلهـم) ليقيسوا أنفسهم عليهـم (و) لا يفارقونهـم بالضعف بل (كانوا) مع كمال مكرهم (أشد منهم قوة و) لو فرض انهم أقوى منهم (ما كان الله ليعجزه من شئ) لدخوله (فى السموات ولا فى الارض) الداخلين تحت قهره ولو كانوا معجزيه لعلم كيف يزيل قوتهـم وقدر على ازالتها (انه كان عليما قديرا و) لكمال علمه وقدرته (لو يؤاخذ الله) الآن (الناس بما كسبوا) لاخذ جميعهم مع ما خلق من أجلهم بحيث (ما ترك على ظهرها) أى ظهر الارض (من دابة) لانه لو خص العصاة بالمؤاخذة لارتفع التكليف (ولكن) لكونه يشبه الظلم (يؤخرهـم الى أجل مسمى) فينقطع عنده التكليف (فاذا جاء أجلهم) أخذ من يستحق المؤاخذة دون غيره بمقتضى بصارته (فان

مضاعفة وفى التفسير أى منسوجة بالبواقيت والجوهر (قوله عز وجل مخضود) لا شوك فيه كانه خضد شوكه أى قطع أى خلقته خلقة المخضود (قوله جل وعز ماء مسكوب) أى مصبوب سائل (قوله جل وعز محرومون) أى ممنوعون معنى المحروم الممنوع من الرزق أى

الله كان بعباده بصيرا) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة يس)

سميت به لدلالته باعتبار محتملاته على غاية تعظيمه عليه السلام بما تقتضى الحكمة ارساله البتة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بارساله رحمة للعالمين (الرحيم) بجعله على صراط مستقيم لم يصل اليه من قبله فى الكمال (يس) أى اقسم بيدك المستولية على الكمالات الانسانية وسيادتك فيها بالطبع على سائر افراده أو بيمنك وسبقك بالفضائل أو باليقين والسير المرضية مما أنت عليه وتدعو اليه أو بالسير والسرعة التى لك فى الترقى الى مدارج الكمالات (والقرآن الحكيم) الذى به استيلاؤك على العلوم والاعمال وسيادتك على الموجودات لكونه نازلا عليك من مظاهر صفات مولاك وبه يمنك بما أوتيت من الخير الكثير وسبقك بما أفادك من القرب الى من هو صفته وبه يحصل اليقين من الحكمة النظرية والسير المرضية من الحكمة العملية وبه التيسر والسرعة فى مدارج الكمالات (انك لمن المرسلين) اذ بالرسالة يتم الاستيلاء على الكمالات الانسانية والسيادة على سائر الموجودات وبها كمال اليمن والسبق وهى المفيدة لليقين والسير المرضية على أكمل الوجوه ويتيسر لصاحبها بالسرعة ما لا يتيسر لغيره كيف وقد حصلت لك كل هذه المناقب مع كونك (على صراط مستقيم) فى باب الاعتقادات والاعمال والاخلاق بالاعتدال فيها بين طرفى الافراط والتفريط على وفق الدلائل العقلية والنقلية والكشفية ولو لا فيك هذه المناقب لكفى بكتابك دليلا على صحة رسالتك لانه معجز والاعجاز وان كان قهرا فلا ينافى الرحمة التى هى من لوازم الرسالة بل هو عين الرحمة على الكل ببيان كل ما يحتاج اليه فهو (تنزيل العزيز الرحيم) وأنت وان كان حقك من هذه المناقب ان تلازم قاب قوسين أو أدنى لكن نزلت الى مناسبة من أرسلت اليهم بمقتضى عزة الحق عليك ورحمته على الخلق فأنت أيضا تنزيل العزيز الرحيم وعزته وان اقتضت قهر من لم يؤمن به فرحمته تقتضى انذاره ان كان غافلا سيما اذا استمر عليها فانما نزلت ونزل كتابك (لتنذر قوما ما أنذر) أى لم ينذر (آباؤهم) الاقربون (فهم) وان أنذر اباؤهم الابعدون (غافلون) وتكليف الغافل باطل يمنع حقية قول العذاب عليه لكنه بمقتضى العزة الذاتية (لقد حق القول) الالهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لا على الكل اذ لا يبقى مقتضى الرحمة أصلا بل (على أكثرهم فهم) وان علموا القهر فى المخالفة والرحمة فى الموافقة (لا يؤمنون) وظهور هذه العزة فيهم لم يدفع عنهم القهر بل صار موجبا له اذ اورثهم الكبر (إنا جعلنا) عليهم من الكبر ما يمنعهم التذلل للحق كانا جعلنا (فى أعناقهم أغلالا) فى ملتقى طرفيها حلقة فيها رأس العمود الى الذقن (فهى) واصلة (الى الاذقان) لا تخليهم يطأطؤن رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون

محرومون من الرزق (قوله عز وجل بمواقع النجوم) يعنى نجوم القرآن اذا نزل ويقال يعنى مساقط النجوم فى المغرب (قوله مدينين) أى مجزيين ويقال مملوكين اذلاء من قولك دنت له بالطاعة (قوله مرصوص) أى لاصق بعضه ببعض (قوله لا يغادر شيئا منه شيأ (قوله أى تعالى فى مناكبها)

رؤسهم (و) هذا الرفع وان أوجب مزيد الابصار منعناهم الابصار اذ (جعلنا من بين أيديهم) بالنسبة الى النتائج (سدا) من الخيال (ومن خلفهم) بالنسبة الى المقدمات (سدا) من الوهم وهذان السدان وان كان يعارضهما نور العقل لكن غلبناهما على نوره (فأغشيناهم) أى فأحطناهم بغواشى الوهم والخيال لا بحيث يبقى لنور العقل أثر يمكن الابصار به بل بحيث طمسه عليهم (فهم لا يبصرون) بنور العقل طريق الوصول الى الله والقرب منه وان كانوا فى أبواب الدنيا أبصر (و) كما سد عليهم باب الابصار سد عليهم باب السمع فهم (سواء عليهم) انذارك وعدمه بحيث يشك فيهم بعد انذارك (ءأنذرتهم) باقامة الدلائل الواضحة ورفع الشبه (أم لم تنذرهم) اذ (لا يؤمنون) بشئ من الآيات أصلا ولما استوى الانذار وعدمه فى حق من حق القول عليهم فكأنك (انما تنذر من اتبع الذكر) أى ما تذكره من غوائل الوهم والخيال وفوائد العقل (و) انما يتبعه من لا يغتر برحمة الله بل (خشى الرحمن) وان بالغ فى اظهار رحمته وأخفى قهره فجعله (بالغيب) فمن اتبع الذكر (فبشره) بعد الانذار (بمغفرة) لمن خشى الرحمن من أجله (وأجر كريم) على اجتهاده فى تجريد العقل عن الوهم والخيال بجعله تابعا للقرآن الذى هو له كنور الشمس للبصر ومما يبشر به احياؤه من موت الجهل (انا نحن) بحياة القرآن والعقل (نحيي الموتى) بموت الجهل (ونكتب ما قدموا) من اجتهادهم فى اكتساب العلم والعمل به لنجازيهم بذلك فى الآخرة (وآثارهم) التى تركوها فيمن بعدهم من تعليم ذلك أو من سنة حسنة سنوها (و) لا يعسر كتابة شئ من ذلك علينا اذ (كل شئ أحصيناه) قبل ان نكتب ما ذكرنا (فى امام مبين) هو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا) فى عدم افادة الآيات القاهرة واستواء الانذار وعدمه معها (أصحاب القرية) المعروفة بمزيد الخباثة انطاكية (اذ جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام بآياته العظام فكفروا بمن كان لاتباعه تلك الآيات (اذ) أرسل عيسى بأمرنا كأنا (ارسلنا اليهم اثنين) حنا وبولس أوصادقا وصدوقا يؤيد كل منهما صاحبه ويبرئان الاكمه والابرص ويحييان الموتى فسمع بهما ملك اسمه انطيخس فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ألنا اله دون آلهتنا قالا الذى أوجدك وآلهتك فامر بحبسهما وضربهما الناس فى الطريق (فكذبوهما) تكذيبا مهينا لهما (فعززنا) أى فقوينا أمرهما تقوية متضمنة لعزتهما (بثالث) هو شمعون رأس الحواريين أو شلوم دخل البلد متنكرا فعاشر حاشية الملك حتى دعاه وأنس به واكرمه فقال للملك بلغنى انك حبست رجلين حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان دعاهما الملك حتى تطلع ما عندهما فدعاهما فقال لهما من أرسلكما فقالا الله الذى خلق كل شئ ليس له شريك فقال صفاه قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال ما آيتكما قالا ما يريد الملك فامر بغلام مطموس العينين فمازالا يدعوان الله حتى انشق موضع

جوانبها (قوله تعالى ماء معين) أى جار ظاهر وقوله تعالى وكاس من معين أى من خمر يجرى من العيون (قوله جل وعز ممنون) أى مقطوع (قوله جل وعز مفتون) يعنى من الفتنة كما تقول ليس له معقول أى عقل وقوله تعالى بأيكم المفتون أى بأيكم الفتنة ويقال معناه أيكم المفتون

البصر فاخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصار تامقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال
للملك ان سألت آلهتك ان تصنع مثل هذا كان لك ولآلهتك الشرف فقال ليس لى عنك
سر مكتوم ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال له قل للرسولين ان قدر الهكما على
احياء ميت آمنا بكما وأتوا بميت قدمات مذ سبعة أيام فجعلا يدعوان ربهما فقام الميت وقال
ادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فاجمعوا على قتل الرسل (فقالوا انا
اليكم مرسلون) والرسل لا تقتل (قالوا) انما لا يقتل من صحت رسالته لكن (ما أنتم
الا بشر) والرسول انما يكون ملكا وأنتم مع هذه الآيات (مثلنا) فى عدم الوصول الى
الله تعالى والتكلم معه (وما أنزل الرحمن من شئ) لانه انما ينزل ليكون حجة له على
التعذيب وهو ينافى رحمانيته فعلم انه (ان) أى ما (أنتم الا تكذبون) على الله فانتم أولى
بالقتل (قالوا) لو لم نكن رسلا لم يصدقنا الله بآياته اذ (ربنا يعلم) ان اظهار المعجزة تصديق
وتصديق الكاذب يتضمن تلبيسا عاما يفضى الى الاضلال العام فلا يتصور من الحكيم
بالضرورة (انا اليكم لمرسلون و) لا يلزمنا اسماع كلام الملائكة ولا اراءتهم اياكم (ما علينا
الا البلاغ المبين) باقامة الحجج ورفع الشبه (قالوا) عارض دلالة المعجزات التشاؤم الدال
على خبثكم المنافى للرسالة (انا تطيرنا) أى تشاءمنا (بكم) وذلك عندما حبس عنهم
المطر (لئن لم تنتهوا) عن دعوى الرسالة بعد ظهور خبثكم (لنرجمنكم) أى لنرمينكم
بالحجارة وهو أشد من القتل (وليمسنكم منا عذاب أليم) كالمثلة قبل ان يمسنا منكم
ما تعدونه (قالوا طائركم) ليس من خبثنا بل من التكذيب الذى (معكم أ) ترون
التشاؤم منا بل من المكروه الذى يصيبكم من تكذيبكم للمذكر (ان ذكرتم) لا شؤم منا
(بل) منكم اذ (أنتم قوم مسرفون) فى الكفر والمعاصى كيف ولم يكن من أهل قريتهم
من يدفع الشؤم عنهم بالدعوة الى الايمان ولا عن الرسل القتل والرجم والعذاب الاليم
(و) انما (جاء من أقصى) أى من أطراف (المدينة رجل) كامل هو حبيب النجار وكان
قد لقى الرسولين فسلما عليه فقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص فجاء
بابنه المريض منذ سنين فمسحاه فقام فى الوقت (يسعى) لدفع القتل والرجم والعذاب عن
الرسل والشؤم عن القوم بالدعوة الى الايمان (قال يا قوم) اقول لكم من شفقتى عليكم
(اتبعوا المرسلين) الذين بعثهم الله تعالى للاتباع فى طريق الوصول اليه (اتبعوا من
لا يسئلكم) فى ايصالكم الى ربكم (أجرا) ينقص شيأ من دنياكم (و) يرجونكم
الهداية اذ (هم مهتدون) فى طريق الوصول الى الله تعالى لكمال معرفتهم وأعمالهم
وأخلاقهم وأحوالهم ومقاماتهم (ومالى) أى وأى شبهة عرضت لى فى هدايتهم من أجلها
(لا أعبد) من يدعون الى عبادته مع أنه (الذى فطرنى) وهو يقتضى شكره بالعبادة وان
فرض ان لا رجوع اليه (و) لو لم تعبدوه شكرا على الفطرة فاعبدوه خوف النقمة اذ (اليه
ترجعون

والباء زائدة كقوله
نضرب بالسيف ونرجو
بالفرج
أى ونرجو الفرج (قوله
جل وعز المساجد لله فلا
تدعوا مع الله أحدا) قيل
هى المساجد المعروفة التى
يصلى فيها فلا تعبدوا فيها
صنما وقيل المساجد مواضع
السجود من الانسان الجبهة
والانف واليدان

ترجعون) . وأى شبهة لى فى ترك عبادة الاصنام الذين تدعون الى عبادتهم (أأتخذ من دونه) أى مع علمى بكونهم دون الفاطر المرجوع اليه (آلهة) ليس لهم رد مراده بشفاعة فانه (ان يردن الرحمن بضر) فلم يدخلنى فى عموم رحمته ففرض شفاعتهم عنده لدفعه (لاتغن) أى لاتدفع (عنى شفاعتهم شيأ) من ذلك الضرر (ولا ينقذون) أصلا من ضره بقوتهم من غير حاجة الى الشفاعة (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة مع علمى بأن الدون لايستحق الالهية ولايقبل شفاعته عند جزم الحق ارادة الضرر ولاقدرة له على الانقاذ (انى ضلال مبين) فانى يتصور فيه الهداية حتى يبقى بها هدايتهم ولا أنصحكم على خلاف ما أنا عليه (انى آمنت بربكم فاسمعون) فقتلوه فلم يتألم بقتلهم اذ (قيل) له قبل ان يموت (ادخل الجنة) لذلك لم تذهب شفقته على قاتليه حتى (قال يا) ايها المتمنى تعال (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) عما سلف من الكفر والمعاصى لايمانى به فيؤمنوا فيغفر لهم (و) هم وان تركوا ذلك خوف المهانة بين قومهم فلينظروا الى اكرام ربهم اياى اذ (جعلنى من المكرمين) اذ قربنى من حضرته (و) جعلنا له متمنا من علم القوم بما غفر له ربه وأكرمه لانا (ما أنزلنا على قومه من بعده) لئلا يدخل فيهم أولا (من جند) يهلك واحدا بعد واحد ولم نجعل سبب اهلاكهم (من السماء) اشعارا بقرب المهلك وانما توقف علمهم على اهلاكهم لامتناع كونه على السنة الرسل اذ لايؤمنون بهم (وما كنا منزلين) أى لم يكن عادتنا انزال الجند من السماء لاهلاك الاقوام وانما أنزلناه حيث أنزلنا للتشريف المنصور وابشاره واطمئنان قلبه (ان كانت) أى ما كانت الخصلة المؤثرة فى اهلاكهم (الا صيحة واحدة) يظهر بها كمال القدرة فى القهر (فاذا هم خامدون) بمرة من غير تطويل فى نزع الروح ثم ان حصول متمناه باعلامهم لم يحصل لهم ضرا وانما حصل لهم حسرة حتى قيل (يا حسرة) اذهبى فاستولى (على العباد) الذين تركوا العبودية التى خلقوا من أجلها واستهزؤا بكل عزيز دعاهم اليها لانهم (ما يأتيهم من رسول) فذل عندهم لاتيانه اليهم ولو رأوه فى مكانه لالتجؤا الى الايمان به (الا كانوا به يستهزؤن) فاتخذوه عادة فيتحسرون باستهزاء الله وملائكته بهم أبدا (ألم يروا) أى ألم يعلم المستهزؤن بالخبر المتواتر النازل منزلة الرؤية (كم) أى كثيرا (اهلكنا) بالقهر المنسوب الى عظمتنا لاستهزائهم بالرسل (قبلهم من القرون) حتى كانت سنة مستمرة لنا يعتبر بها أيرون (أنهم اليهم) الى حالهم (لايرجعون و) ان تركوا فلاشك انهم يجتمعون للحضور عنده (ان) أى ان الشأن (كل) من هؤلاء المتفرقين (لما) ما صلة اللام المؤكدة الداخلة على خبر الجملة الواقعة خبران ان قرئ بالتخفيف وان على هذا المخففة (جميع) أى مجموعون اذ (لدينا محضرون) وان قرئ لما بالتشديد فهو بمعنى الا وان نافية ولا يفعل فى حق مجرم عذابا يتركه فى حق غيره من غيران يعفو عنه لكن ليس أهل الاستهزاء باهل العفو الا ان يتوبوا قبل ان يتمكن منهم (وآية لهم) تدل على حضور الجميع عند الله وعلى جزاء الاعمال والاخلاق

والركبتان والرجلان واحدها مسجد (قوله جل وعز المشارق والمغارب) هى مشارق الصيف والشتاء ومغاربهما وانما جمع لاختلاف مشرق كل يوم ومغربه (قوله جل وعز معاذيره) أى ما اعتذر به ويقال المعاذير الستور واحدها معذار (الموؤدة سئلت) البنت تدفن حية

والاعتقادات (الارض الميتة أحييناها) لتدل على احياء الميت (وأخرجنا منها حبا) ليدل على خروج حبات ما زرع من الاعمال وهي وان لم تكن مأكولة (فمنه يأكلون) هنالك (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) لتدل على نخيل الاخلاق وأعنابها من تعديل القوة الحكمية والشهوية والغضبية (وفجرنا فيها من العيون) ليدل على تفجير عيون المعارف والاعتقادات (ليأكلوا من ثمره) أي ثمر الله الذي يوجده لهم (وما عملته أيديهم) من ذلك الثمر مثل العصير والدبس ليدل على ما يحصل لهم من ثمرات ذلك وما يعملون في تلك الثمرات من الاعمال المكملة لها فيجازون على جميع ذلك (أ) يبصرون في هذه النعم آيات الجزاء لمن شكر المنعم بعبادته (فلا يشكرون) واقل وجوه الشكر اعتقاد تنزيه الحق عن مشاركة المخلوقين بالاستدلال عليه بايقاع التباين بين جميعها (سبحان الذي خلق الازواج) أي الاصناف المتقابلة (كلها) لئلا يخلو شيء منها عن مباين ليدل على تباين ذاته للكل من كل وجه لعموم التباين الكلي (مما تنبت الارض) من الامور الكائنة الفاسدة (ومن أنفسهم) التي لا تقبل الفساد (ومما لا يعلمون) من الخواص الشريفة التي لا يبلغها علمهم فانها مخالفة بالنوع اذ لا مادة لها فيفرض لها الاعراض المميزة ولا تركيب فيكون فيها الاجناس والفصول (وآية لهم) على ان في الاعتقادات والاخلاق والاعمال هذه الفوائد تنكشف عليهم تارة بالبيان وتارة بوجه آخر ثم يستتر عليهم (الليل) الساتر للاشياء الظاهرة بالوجود (نسلخ) أي نخرج (منه النهار) اخراج الشاة من جلدها وهو مثال البيان المخرج عن جلد الحجاب الظلماني ثم يعود ستر الليل (فاذا هم مظلمون) فكذا اظلام الحجاب بعد كشفه بالبيان ولا يبعد ان تختلف الاشياء على الروح ظهورا وخفاء فانه كالشمس (والشمس تجري) في البروج (لمستقر) أي للوصول الى غاية (لها) فيكون لها في كل برج خاصية كذلك يكون للروح خاصية ينكشف بها بعض الاشياء في الدنيا وبعضها في البرزخ وبعضها في القيامة ويستقر فيما ينكشف له هنالك ولا اختيار له في ذلك اذ (ذلك تقدير العزيز) أي الغالب عليها (العليم) بما فيها بالقوة فيخرجها الى الفعل ولا يبعد أن يختلف أحوال الاعتقادات والاخلاق والاعمال في الاستنارة بنور الروح فانها كالقمر (والقمر قدرناه منازل) يستزيد في بعضها النور ثم ينقص (حتى عاد) أي صار (كالعرجون القديم) كالشمراخ المعوج كذلك تختلف أنوار هذه الاشياء زيادة ونقصا بحسب الاماكن من الدنيا والبرزخ والقيامة فيزيد البعض نورا وينقص البعض وليس للروح ادراك كمال هذه الاشياء بكل حال كما انه (لا الشمس ينبغي لها) لبطء سيرها (أن تدرك القمر) بكل حال مع سرعة سيره (ولا الليل) لستره ضوء النهار وتعقيبه اياه (سابق النهار) بحيث يفوته ولكن يعاقبه (و) ليس للعجب منع ادراكهما اذ الكل سائر الى الله كما انه (كل) من الشمس والقمر (في فلك يسبحون) أي يسيرون بتبعية حواملها التي في ثخن الافلاك الممثلة فلا بد من اجتماعها في وقت من الاوقات (وآية لهم) على تسييرنا اعتقاداتهم

واخلاقهم

(قوله جل وعز مرقوم) أي مكتوب (قوله عزوجل مبثوثة) أي مفرقة في كل مجالسهم (قوله مسغبة) أي مجاعة (قوله مقربة) أي قرابة (قوله جل وعز متربة) أي فقر كأنه قد لصق بالتراب من الفقر (قوله تعالى مرحمة) أي رحمة (قوله الماعون) في الجاهلية كل عطية ومنفعة والماعون

وأخلاقهم وأعمالهم معهم فى سفرهم الى الآخرة رضوا أو كرهوا (أنا حملنا ذريتهم) معهم
وان كرهوا احملهم (فى الفلك المشحون) أى المملوء والقبر لهم بمنزلة الفلك (و) من لا قبر له
ينزل مكانه منزلة القبر لذلك (خلقنا لهم من مثله) أى مثل الفلك (ما يركبون) عليه فى البر
مثل الفرس والجمل (و) لا يدل هذا التسيير على وصول المذكورات بالسلامة الى الآخرة بل
هو على وفق هذا المثال (ان نشأ نغرقهم) بالارتداد والرياء والعجب (فلا صريخ لهم)
وان كان قد يوجد عند غرق الفلك المحسوس (ولاهم ينقذون) بالخروج عن الغرق وان
كان قد ينقذ الغريق بالوصول الى الساحل أو الى سفينة أخرى (الا رحمة منا) بالتوفيق
للايمان بعد الارتداد فان صاحبه ينقذ فى الدارين ان كان من قلبه (و) الا كان انقاذه
(متاعا الى حين) وهو الموت (واذا قيل لهم) أى لمنكرى البعث ان لم تؤمنوا به من
هذه الدلائل فالواجب على العاقل ان يكون حذرا حذر راكب السفينة (اتقوا ما بين
أيديكم) من عذاب الآخرة اذ لا دليل على انتفائه (وما خلفكم) من غرور الدنيا فلا
تضيعوا لها الآخرة ولا تحملوا لها ما أمكن من عذاب الابد (لعلكم ترحمون) فى الدنيا
بجزم الاعتقاد وفى الآخرة بالنجاة وفوز الدرجات أعرضوا عن هذا القول اعراضهم عن
الآيات (و) ذلك لان من عادتهم انهم (ما تأتيهم من آية) علموا انها (من آيات ربهم) الذى
رباهم بالنعم ولا يبعد أن يربيهم بالآيات فان أعرضوا انتقم منهم حسبما أنعم عليهم (الا
كانوا عنها معرضين و) لا يخصون اعراضهم بما لا يوافق رأيهم بل يعرضون عما اتفقوا
عليه مع زيادة الكفر والاستهزاء فانهم (اذا قيل لهم انفقوا) فى سبيل الله على الفقراء
(مما رزقكم الله) أى ملككم فاضلا عن حاجتكم (قال الذين كفروا) بأمر الله
وقدرته وابتلائه وثواب الصدقة (للذين آمنوا) فاحالوا الامور على مشيئة الله وانه يأمر
بما يشاء ويثبت على ما يشاء ويبتلى كيف يشاء (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) فاذا
أعطيتموهم بعد ما حرمهم الله فقد خالفتم الله وعارضتم ارادته بارادتكم وادعيتم انكم أجود
من الله (ان أنتم الا فى ضلال مبين) وهذا من كفرهم بأمر الله وبأن أفعال الحيوانات تابعة
لاراداتهم التابعة لاهويتهم التى خلقها فيهم بحسب استعداداتهم وان العبد كيف يكون
أجود من الله مع انه طالب عوض من مدح أو ثواب ولا يعطى ما لم يلق فى قلبه الاعطاء فهو
المعطى بالحقيقة وهو مسخر له (و) اذا قيل لهم انما لم يطعمهم الله ابتداء لانه أفقرهم وأغناكم
ابتلاء لكم هل تطعمونهم فيثيبكم على احيائهم أو لا فيعاقبكم على اماتتهم (يقولون متى هذا
الوعد) الذى لاجله الاتقاء والانفاق بينوا لنا وقته (ان كنتم صادقين) واذا لم يصدقوهم
فى أصل الوعد بعد اقامة الدلائل لا يصدقونهم فى وقته ولا فى أصله من أجله ما لم يروه فهم
(ما ينظرون) أى ما ينتظرون الايمان به (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى لكونها
مقدمة قريبة لها لانها (تأخذهم) أى تأخذ من فى المشرق والمغرب (و) الايمان لا ينفع
مع المقدمات البعيدة كطلوع الشمس من المغرب فكيف مع المقدمة القريبة سيما ولا شعور

فى الاسلام الزكاة والطاعة
وقيل هو ما ينتفع به المسلم
من أخيه كالعارية والاغاثة
ونحو ذلك قال الفراء
وسمعت بعض العرب يقول
الماعون الماء وأنشد
يمج صبيره الماعون صبا
الصبير السحاب (قوله تعالى
مسد) قيل هو السلسلة التى
ذكرها الله فى الحاقة تدخل
فى فيه وتخرج من دبره

لهم بجيبنها اذ (هم) حينئذ (يخصمون) أي يتكلمون في المعاملات الدنيوية ولو نفع فلا يمكنهم اذ يسرع تأثيرها فيهم (فلا يستطيعون توصية) لو بقي لهم قريب أو صاحب كيف (ولا الى أهلهم يرجعون) بالمكالمة (و) كيف ينفع الايمان مع هذه المقدمة مع انها كنفس ما هي مقدمته وهو البعث لوقوعه حين (نفخ في الصور) فهو كما يقبض الارواح بمرة يردها الى الاجساد ايضا بمرة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) أي يسرعون فيكاشفون عنه كشفا تاما فكيف يقبل الايمان به حينئذ ولا يمكنهم الايمان قبل الوصول اليه ولا بين النفختين اذ يكونون بين النفختين في غاية التجرد فيكونون كالراقدين وبعد البعث لا يعرفونه حتى تبين لهم لذلك (قالوا يا ويلنا) تعال الينا فبين لنا (من بعثنا من مرقدنا) فكيف يتصور منهم الايمان حال الرقود أو حال اليقظة من غير ان يعلموا انه البعث حتى يقال (هذا ما وعد الرحمن) على السنة رسله بمقتضى عموم رحمته لايقاظ عباده ليستعدوا له فاذا أعرضوا عنه أخرجهم من عموم رحمته (وصدق المرسلون) في تبليغ وعده فلم يعلموا صدقهم الى الآن فكيف يتأتى منهم الايمان بهم حينئذ ولا بعد ما قيل لهم لانه وجب الحضور عند ربهم لانه (ان) أي ما (كانت) مدة البعث والنسل والحضور (الا) مدة تسع (صيحة واحدة فاذا هم جميع) أي وان كانوا متفرقين في اطراف الارض (لدينا) أي في مكان يسمعون فيه كلامنا (محضرون) فلم يقع بين النفخة والحضور زمان يعتد به حتى كأن ما وقع بينهما من قولهم يا ويلنا ومن النسل الى الله لم يكن ولا ينافي ذلك ما ورد من انشقاق الارض لبعضهم قبل بعض لانه لنبت الاجساد والنفخ لايصال الارواح الى الاجساد ولا ينافيه اتيانهم أفواجا لانه ليس معناه اتيان فوج عقيب آخر بل اتصاف كل فرقة بهيئة خاصة والاسراع بالصيحة الواحدة وان أشعر بغاية الغضب (فاليوم) لكونه يوم الحضور عند أعدل الحكام (لا تظلم نفس) وان اشتد غضب الله عليها (شيأ) والاحباط ليس بظلم لانه بسبب ما عمل من المحبط (و) أنتم وان عذبتم بتلك الشدائد (لا تجزون الا ما كنتم تعملون) ولو قيل رؤية أصحاب الجنة آلام أقاربهم وأحبابهم تؤلمهم ظلم يقال (ان أصحاب الجنة اليوم) الذي حضروا فيه عند محبوبهم (في شغل) عن أقاربهم وأحبابهم وكفى بهم شغلا أنهم (فاكهون) أي متلذذون بحضورهم عند محبوبهم وباكرامه اياهم حيث وقاهم حر الشمس في المحشر اذ (هم وأزواجهم) بتبعيتهم وان لم يبلغن بانفسهن حد كرامتهم (في ظلال) من العرش من غير نصب بالقيام بل مع كونهم في حضرته (على الارائك متكئون) ومن كرامتهم انهم قبل دخول الجنة (لهم فيها) أي في تلك الظلال (فاكهة) كمقربي الملوك في حضرتهم (و) لا يملون بخدمتهم اذ (لهم ما يدعون) أي يشتهون وبالجملة لا يؤذيهم شيء بعد ان يشرف عليهم ربهم فيقول (سلام) عليكم يا أهل الجنة فيسمعونه (قولا) أزليا (من رب) رباهم باسماع كلامه النفسي ليرحمهم بكل رحمة خاصة من اتصافه بوصف (رحيم و) لو لم يكن لهم عنهم شاغل لم يتألموا برؤية آلامهم أيضا اذ قيل لهم (امتازوا اليوم) الموضوع

لتميز

ويلوي سائرها على جسده وقيل المسد ليف المقل وقيل المسد حبال من ضروب من أوبار الابل وقيل المسد الحبل المحكم فتلا من أي شيء كان تقول مسدت الحبل اذا أحكمت فتله ويقال امرأة ممسودة اذا كانت ملتفة الخلق ليس في خلقها اضطراب

(باب الميم المضمومة)

لتميز المجرم من المؤمن (أيها المجرمون) فلا تخالطوا أهل الجنة لتتنعموا بجاورتهم أو يتأذوا بجاورتكم على ان مخالطة أهل الكرامة لاهل الذلة ذلة لاهل الكرامة وكرامة لاهل الذلة وقد امتاز معبودكم عن معبودهم وقد اخترتموه مع ظهور عداوته على من كان منه جميع النعم مع نهيه عنه على سبيل المبالغة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم) الذى عاداه الشيطان وعادى من أجله ربه (أن لا تعبدوا الشيطان انه) لم ينقطع عداوته بانقطاع آدم بل هو (لكم عدو مبين) عبدتموه أولم تعبدوه يأمركم بانكار الله وانكار معاده وجزائه وانكار النبوة واليوم الآخر وباقرار الهية الاصنام ويعدكم الثواب عليها (و) لم تضطروا الى عبادته بأن نهيتكم عن عبادته بل عهدت اليكم (أن اعبدونى) لما لم أزل عليكم منعما بأنواع النعم (هذا) أى ترك عبادة الشيطان واختيار عبادة الرحمن (صراط مستقيم) بين الافراط بعبادة الغير والتفريط بترك عبادة الحق ولا يخاف فى المستقيم الضلال (و) كيف خفيت عليكم عداوته مع انه (لقد أضل منكم جبلا) أى خلقا (كثيرا) لان كل فرقة تعتقد ان مذهبها هو الرشد وان ما عداه هو الضلال ولا سبب له سوى الشيطان (أ) عبدتموه بعد هذا العهد مع هذه العداوة والاضلال (فلم تكونوا تعقلون) كيف وقد اوعدناكم عليه جهنم فان لم تكونوا تعقلونها فى الدنيا فابصروها اليوم (هذه جهنم التى كنتم توعدون) على عبادة الشيطان وترك عبادة الرحمن واختيار الضلال (اصلوها) أى ادركوا آلامها (اليوم) قبل دخولها (بما كنتم تكفرون) بها وبعبادة الشيطان وانكار الرحمن وليس هذا دعوى بلا بينة أو بينة يتوهم فيها الكذب بل بشهادة بعض أجزاء المدعى عليه اذ (اليوم) الذى هو يوم العدل والحكم بمجرد الدعوى أو بينة يتوهم فيها الكذب ظلم (نختم على أفواههم) لئلا يعارض قول اللسان قول سائر الاعضاء (وتكلمنا أيديهم) فتقر بما عملت (وتشهد أرجلهم) على فعل الايدى (بما كانوا يكسبون ولو نشاء) ترك تعذيبهم على الاعتقادات والاعمال الباطنة (لطمسنا على أعينهم) أى أعين عقولهم (فاستبقوا الصراط) أى تركوه سابقا عليهم لا يمكنهم قطعه فان قطعوه (فأنى يبصرون) مقصدهم ليفوزوا بفوائده (ولو نشاء) ترك تعذيبهم على الافعال الظاهرة (لمسخناهم) أى لقلبنا أجسادهم جمادات مع بقائهم (على مكانتهم) أى مرتبتهم فى العقل لكن لا يبقى لجوارحهم حركة (فما استطاعوا مضيا) فى أوامرنا (ولا يرجعون) عن نواهينا (و) ربما يكتفى باقل من ذلك بان نعمره فان (من نعمره) أى من نطول عمره (ننكسه) أى نذلله (فى الخلق) بنقص عقله وضعف أفعاله (أ) يريدون ذلك التذلل لترك التعذيب (فلا يعقلون) وان زعموا ان هذه الدلائل من القياس الشعرى المركب من المقدمات التخييلية المؤثرة فى النفس تنفيرا وترغيبا على خلاف مقتضى الحقائق يقال (وما علمناه الشعر) أى القياس الشعرى (وما ينبغى له) أى وما يليق بحاله ورتبة كماله (ان هو) أى ليس ما نزل عليه (الا ذكر) أى كلام شريف يرفع ذكره ويعرف صدقه بادنى التذكر لكونه من

(قوله عز وجل المؤمن) هو المصدق والله جل وعز مؤمن أى مصدق ما وعد به ويكون من الامان اى لا يأمن الا من آمنه (قوله جل وعز المفلحون) الفلاح هو البقاء والظفر أيضا ثم قيل لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير قد أفلح (وقوله أولئك هم المفلحون) أى الظافرون بما طلبوا الباقون فى الجنة

المقدمات التى تشبه الاولية (وقرآن) جامع بين اقامة الدلائل ورفع الشبه (مبين) لكل مايحتاج اليه فى الدين بطريق معجز (لينذر من كان حيا) كاملا فى القوة النظرية والعملية (ويحق القول) أى ويلزم الحجة الموجبة للعذاب (على الكافرين أ) يريدون بالكفر بذلك القول ان يخرجوا عن التكليف الانسانى الى الشهوة الحيوانية وهو خروج عن المالكية الى المملوكية (و) كانهم (لم يروا انا خلقنا لهم) لا من كسب أيديهم بل (مما عملت أيدينا) أى قدرتنا وارادتنا وأمرنا ولادخل لهم فى تحصيله أصلا (أنعاما فهم لها مالكون) يتصرفون فيها بالبيع والشراء لاجل انسانيتهم فاذا صاروا الى شهواتهم وتركوا الها الانسانية صاروا مملوكين لشهواتهم وادنى من مملوكية الحيوان لان الشهوات عملت فيهم حيوانيتهم (و) انما كانت مملوكة لهم لانا (ذللناها لهم) وان كانت أقوى منهم فينبغى لهم أن يذللوا شهواتهم لعقولهم فبذلك يتم الانتفاع بها كما أن بتذليل الحيوانات يتم الانتفاع بها (فمنها ركوبهم) أى مركوبهم (ومنها يأكلون) كذلك يحصل من تسخير الشهوية للعقلية أمر المعاد والمعاش اذ بها تصير النفس مركوبة للناطقة فى العمل الذى به التزود للمعاد والسفر اليه (و) فى تذليل الشهوية للعقلية منافع من العلوم والاخلاق ومشارب من الاحوال والمعارف كما أن (لهم فيها منافع) كحمل الاثقال وقص الصوف والاوبار (ومشارب) من اللبن والسمن (أ) يكون الامر فى تسخير العقلية والشهوية (فلا يشكرون) بصرف نعمة العقلية والشهوية لما خلقناه (و) لتذليلهم العقلية صاروا فى الالهيات التى خلق للوصول اليها العقل من الحماقة الى حيث (اتخذوا من دون الله) مع ان العقل لو بقى بحاله لمنع من اتخاذ الادنى الها (آلهة) متعددة مع ان العقل لو صرف مصرفه منع من تعددهم (لعلهم ينصرون) بهم على أعدائهم مع دلالة صريح العقل على انهم (لا يستطيعون) أن يحصلوا (نصرهم) استقلالا ولا شفاعة (و) لو توقعوا منهم ذلك فى الآخرة (هم) فى العداوة يوم القيامة (لهم جند) يهلكونهم اهلاك الجند (محضرون) معهم فى النار يصيرون وقودها الهم وجند العدو قد يفارقون واذ بلغوا من الحماقة الى هذا الحد (فلا يحزنك قولهم) فيك من كونك مجنونا اذ تعدهم بالبعث بعد الموت (انا نعلم ما يسرون) من ايثار شهواتهم على أعمال الآخرة (وما يعلنون) من التفضيل عليك (أ) يتفضلون عليك بانكار البعث عن شبهة امتناع خلق حيوان من جماد (ولم ير الانسان) المدعى كمال العقل الموجب قياس المعاد على المبدا (انا خلقناه من نطفة) هى جماد (فاذا هو) حيوان بل انسان كامل اذ هو (خصيم) يتكلم بكل ما يجر نفعا او يدفع ضرا (مبين) للامور الخفية من كمال عقله (و) بعد تكميلنا اياه بهذا الفضل (ضرب لنا مثلا) بالناقصين العاجزين (ونسى خلقه) الاول الذى يقاس عليه المعاد (قال من يحيى العظام) أى يقدر على احيائها (وهى رميم) أى بالية (قل) لا تقاس قدرة الخالق على قدرة المخلوقين وانما تقاس اعادته على ابدائه (يحييها الذى أنشأها أول مرة و) لا يمتنع

(قوله جل وعز مستهزؤن) أى ساخرون الله يستهزئ بهم أى يجازيهم جزاء باستهزائهم (قوله جل وعز متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى الجودة والحسن ويقال يشبه بعضه بعضا فى الصورة ويختلف فى الطعم (وقوله تعالى كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف ولا يتناقض

عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها اذ لا مانع منه سوى الجهل (هو بكل خلق عليم) ولا يمتنع عليه اعادة المزاج الذى به تعلق الروح بعد انعدامه بالكلية اذ هو (الذى) يبدل مزاج الشجر بمزاج النار اذ (جعل لكم من الشجر الاخضر) البارد الرطب (نارا) حارة يابسة لا فى مجرد التأثير كالادوية بل فى الظاهر أيضا (فاذا أنتم منه توقدون) تنكرون قدرته على بعثهم (و) تعتقدون انه (ليس الذى خلق السموات والارض) فقدر على هذه الاجرام الكبار مع ما فيها من العجائب الفائتة الحصر (بقادر على أن يخلق مثلهم) ثانيا بعد ما خلقهم أولا (بلى) هو القادر (وهو الخلاق) مرة بعد أخرى بحسب مقتضى علمه الكامل اذ هو (العليم) فلا يبعد الاشياء مرارا كثيرة لئلا يلجئ الى الايمان وليس ذلك لصعوبة أمر الاعادة عليه وكيف يصعب عليه مع انه بمجرد أمره (انما أمره) أى شأنه (اذا أراد شيأ) أى اذا تعلقت ارادته بايجاد شئ (أن يقول له كن) أى ان يتعلق به كلامه الازلى من جهة تكوينه (فيكون) أى فيوجد عن أمره (فسبحان) أى تنزه عن العجز تنزها تاما (الذى بيده) أى فى سلطنته (ملكوت) أى حقيقة (كل شئ) لا يمكنها مخالفة أمره (و) لا يخرج عن يده شئ بايجاد ولا باعدام بل (اليه ترجعون) فى الايجاد الى اسمه الظاهر وفى الاعدام الى اسمه الباطن * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الصافات)

سميت بها الاشتمال الآية التى هى فيها على صفات للملائكة تنفى الهيبة الالهية من الجهات الموهمة لها فيهم فينتفى بذلك الهيبة مادونهم فيدل على توحيد الله وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بالتجلى الشهودى بكمالاته للملائكته حتى صفوا له بعبادته صفا (الرحمن) بجعله بعضها زاجرات للاجرام العلوية والسفلية تكميلا للمواد باخراج ما فيها بالقوة الى الفعل (الرحيم) بجعله بعضها تاليات لذكره تكميلا للانسان بما يفيد قربه من حضرته (والصافات) أى الملائكة الصافات فى عبادة الله (صفا) يراعون فيه آداب حضرته رعاية العبيد حضرة الملوك (فالزاجرات) أى الملائكة التى تزجر الاجرام العلوية والسفلية (زجرا) تحركها بالتدبير المأمور فيها (فالتاليات) أى الملائكة التى تنزل على الانبياء فتتلو عليهم من الله (ذكرا) انها ليست بآلهة لانها اما من جهة القرب وهى جهة الاصطفاف الدال على كمال العبودية أو من جهة التأثير وهى جهة الزجر الذى كثيرا ما يكون لمن لا يعظم أو من جهة الارشاد وهى جهة الرسالة فاقسم بالملائكة باعتبار هذه الصفات الدالة على عدم صلوحها للالهية وعلى توحيد الله تعالى (ان الهكم لواحد) فهو (رب السموات والارض) وان كانتا مساكن هؤلاء (وما بينهما) وان كان محل تصرف هؤلاء الملائكة لانه اذا لم يكن لهم محل التصرف الاول فمحل التصرف بالواسطة أولى أن لا يكون لهم (ورب المشارق) فلا يربها الكواكب لان أولى الاوقات بربوبيتها وقت لبثها وهو زمن لطيف والالهية تجب

(قوله جل اسمه مطهرة) يعنى مما فى نساء الآدميين من الحمل والحيض والغائط والبول ونحو ذلك ومطهرات خلقا وخلقا محببات محببات (قوله جل وعز بزحزحه) أى ببعده (قوله تعالى مخلصون) الاخلاص لله عز وجل أن يكون العبد بقصد بنيته وعمله الى خالقه

أن تكون دائمة ويكون فيها كواكب أخر والالهية يجب أن لا تنتقل ولم يذكر المغارب لانها أبعد من توهم الالهية فيها الدناءة مافيها وكيف تكون الكواكب آلهة السماء وهي زينتها (انا زينا السماء) ولا يقتضي ذلك ركوزها فيها بل يكفي اضاءتها لها ووصف السماء بقوله (الدنيا) ليدل على انها زينة شيء دنيء (بزينة الكواكب) وزينة الشيء لا تكون ربه بل كثيرا ما تكون مربوبه (و) حفظناها بها ولم يذكره للاشعار بأنه لا يحتاج اليها في الحفظ لكن جرت سنته بأن لا يفعل شيأ الا بسبب (حفظا) وحافظ دار الملك لا يكون ملكا (من) وصول (كل شيطان مارد) أي خارج عن الطاعة عن أخبارها لئلا يدعي من ماردية علم الغيب بها فيدعي الالهية لنفسه وكيف يكونون آلهة ولا يمكنهم الوصول الى خواص عباد الله اذ (لا يسمعون) بالاصغاء (الى الملا الاعلى) من ملائكة السماء أخبار تدبيرهم (و) اذا قصدوا ذلك (يقذفون) أي يرمون (من كل جانب) من السماء (دحورا) أي طردا وابعادا فهم مهانون في جميع أطراف السماء (ولهم) اذا ماتوا من اصابة الرمي أو غيرها (عذاب واصب) وهذه مهانة فوق مهانة ثم استثنى من قوله لا يسمعون قوله (الا من خطف الخطفة) أي اختلس الكلمة (فأتبعه) أي لحقه (شهاب) يقتبسه الملك من الكواكب في موضع مقابلته (ثاقب) أي مضيء ضوء الكواكب لو كان دخانا لم يضيء ذلك الضوء ولم ينزل الى الارض والمرجوم قد يصيبه فيحرقه وقد لا يصيبه ولا ينافيه كونه من النار اذ ليس صرفه على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها واذا لم يكن الملائكة والشياطين آلهة بأنفسهم ولا يجعل الله اياهم آلهة لامتناع كون الالهية أثرا لشيء مع ان غيرة الله مانعة عن التشريك فيها ولم يكن لهم قوة أن يجعلوا أنفسهم آلهة على تقدير امكان ذلك مع منع غيرة الله لضعفهم معه (فاستفتهم) أي فاسألهم كيف جعلتموهم آلهة (أهم أشد خلقا) أي تأثيرا حتى يؤثروا بالالهية (ام من خلقنا) بلا واسطة مادة وهم الملائكة فتكون قدرتهم أشد مناسبة لقدرتنا القربهم منا لكن كيف يكونون أشد منهم مع ان الضعف مقتضى حقيقتهم (انا خلقناهم من طين لازب) أي منتن ولم يكن استفتاؤك منهم طلبا للعلم منهم (بل عجبت) فسألت سؤال متعجب (ويسخرون) من تعجبك (واذا ذكروا) أي وعظوا على سخريتهم (لا يذكرون) أي لا يتعظون (واذا رأوا آية) تدل على صدق ما ذكروا به وعلموا انه لو سخر منها أحدهم لسخر به المؤمنون (يستسخرون) أي يستدعي بعضهم بعضا ليجتمعوا على السخر بها حتى يصير من يريد السخر بساخرهم مسخورا لهم (وقالوا) في السخر بالآية (ان هذا) الخارق (الا سحر مبين) بنفسه كونه سحرا لا يلتبس بالمعجزة أصلا وجعلوا المعجزة القولية أعني القرآن من السحر لدلالتها على البعث الباطل بالضرورة في زعمهم فيكون الاستدلال باطلا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) انبعث (ائنا لمبعوثون) فان أمكن بعث أولا من مات أولا (أ) نبعث نحن (وآباؤنا الاولون) معا (قل) ليس هذا من الضروريات لانكم مقهورون تحت القدرة الالهية

ولا يجعل ذلك امرض الدنيا ولا التحسين عند مخلوق (قوله جل اسمه مصيبة) ومصابة ومصوبة الامر المكروه يحل بالانسان (قوله جل وعز الموسع) أي المكثر أي الغني (قوله المقتر) أي المقل أي الفقير (قوله مبتليكم) أي مختبركم (قوله مسومة) تكون من سامت أي رعت فهي سائمة وأسمتها

فان أمكنكم دفع الآيات بالجدل الباطل فليس لكم دفع القدرة الالهية به (نعم) تبعثون (وانتم داخرون) أى ذليلون لاجدل معكم يدفعه ولا قدرة كيف وليس بقدرة مثل قدرتكم ولا بكلمة مثل كلماتكم (فانما هى) أى نفخة البعث (زجرة) أى صيحة (واحدة فاذا هم) احياء قيام أولو قوة مدركة بها (ينظرون و) محركة بها (قالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أى الجزاء فيقول بعضهم لبعض لاتدعوا فيه الويل مع ان (هذا يوم الفصل) أى الفرق بين المحسن والمسىء (الذى كنتم به تكذبون) فانتم أتم اساءة من غيركم فاولى بالفصل التام لذلك يقال (احشروا الذين ظلموا) سيما بانكار يوم الفصل (وأزواجهم) أى اتباعهم من الاهل وغيرهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الشياطين والاصنام الى مكان ليتميزوا عن غيرهم من كل جهة (فاهدوهم) فعرفوهم ما انفصلوا به عما سواهم حتى صاروا (الى صراط الجحيم و) لا تستعجلوا بهم حتى يتم الفصل بل (قفوهم) للسؤال عما انفصلوا به عمن سواهم (انهم مسؤلون) عن اعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم ليلزموا الحجة التى بها انفصالهم ولا يقتصرون فى الزام الحجة بل يقال لهم (مالكم لا تناصرون) أى لا تدفعون لزوم الحجة عليكم ولا يمكنكم الجدل بالباطل (بل هم اليوم) الذى يظهر فيه الحق والباطل (مستسلمون) لكل ما يلزمون من الحق وان كان أشق مما كانوا يدفعونه اذ يخافون من ذلك أن يقعوا فيما هو أشق منه (و) لما رأوا عجزهم عن سبب الدفع ورأوا انهم لا يخفف عنهم بالاستسلام (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن سبب الدفع ولما علم التابعون ان ليس عند المتبوعين وجه دفع أرادوا أن يلزموهم ذنوبهم لتندفع عنهم أو يخفف عليهم (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى عن القهر فتكرهوننا على الكفر أو عن شبه قوية (قالوا لم نكرهكم على الكفر (بل لم تكونوا) عن اختياركم (مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان) أى شبهة قوة تشبه الحجة (بل كنتم قوما طاغين) مجاوزين الحجج القطعية الى الشبهة الواهية ثم اتبعنا تلك الشبهة (فحق علينا قول ربنا) لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) ما حق علينا الاتباع تلك الشبهة ثم ألقيناها عليكم (فاغويناكم) لا لنفوز بالهداية بل (انا كنا غاوين) فكما اشتركوا فى اتباع تلك الشبهة فى الدنيا (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) لا فضل فيه للمتبوع على كل تابع اذ التابع أيضا متبوع لغيره غالبا بل (انا كذلك) أى مثل تعذيبهم (نفعل بالمجرمين) وان فرض انه لا تابع فيهم ولا متبوع لاشتراكهم فى أقبح القبائح وهو الاستكبار على من يأمرهم بالتوحيد (انهم كانوا اذا قيل لهم) قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) على قائله فلا يمتثلون أمره (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا) بهذا التوحيد (لشاعر مجنون) أى لقول من يقول بالمقدمات الخيالية عن الجنون فرد عليهم بأنه لم يأت بكلام مخيل (بل جاء بالحق و) لا عن جنون لانه وان خالف مألوفهم (صدق المرسلين) الذين هم أعقل الخلائق فيتفقون على قول مصدره الجنون وهذا القول منكم لو لم يكن مما يخل بالكلام موجب لاذاقتكم العذاب (انكم لذائقوا العذاب الاليم) لهذا القول سيما المتضمنه

اناوسومتها اوتكون مسومة معلمة من السماء وهى العلامة وقيل المسومة المطهمة والتطهيم التحسين (وقوله جل وعز منضود (وقوله جل وعز مسومة عند ربك) يعنى حجارة معلمة عليها امثال الخواتيم (قوله جل وعز محورا) اى عشاقه (قوله جل ذكره ممترين) اى شاكين (قوله عز اسمه مسومين) اى معلمين بعلامة

عما يخل بالكامن الشرك فعذابكم (و) ان بلغ ما بلغ من الشدة (ماتجزون الاما كنتم تعملون) وهذا التساؤل واقع بين العباد يوم القيامة اذا اجتمعوا (الاعباد الله المخلصين) فانهم اذا اجتمعوا لايجرى بينهم هذا التساؤل اذ سببه نقص حظ أحد المجتمعين بالآخر وههنا ليس كذلك اذ (اولئك لهم رزق معلوم) بحسب أعمالهم وأخلاقهم واعتقادهم فان كان فيه نقص فمن جهة تقصيره ولو فرض وقوعه من جهة صاحبه فليس مما يتضرر به وانه اذ هو (فواكه) يقصد بها التلذذ دون التغذي والتقوت فلا ينازع فيه ذو مروءة أصلا على ان التفاوت فى اللذة انما يعرف بالمشاركة فى فاكهة لكنها تشعر بالدناءة (وهم مكرمون) ولو وقعت المشاركة لم يظهر التفاوت لصاحب النقص لانهم جميعا (فى جنات النعيم) وهذا الظهور ينغص النعيم ولذلك لم يقع التفاوت فى مكارمهم المبصرة لذلك كانوا جميعا (على سرر متقابلين) ثم ان وقع التفاوت فى السرر لايطلع صاحب المفضول على فضيلة سرير صاحبه لاشتغاله عنه بلذة عظيمة اذ (يطاف عليهم بكأس) اى اناء خمر (من معين) اى خمر جارية فى العيون (بيضاء) من صفاء ما بينهم (لذة للشاربين) من كمال محبة ما بينهم ولا يقع بينهم نزاع يحصل بين اهل السكر اذ (لافيها غول) اى فساد من مفاسد خمر الدنيا (ولاهم عنها ينزفون) اى يسكرون (و) هى وان لم تسكرهم تزيدهم لذة بنسائهم اذ (عندهم) فوق سررهم نسوة (قاصرات الطرف) على أزواجهن فلا يقع بسببهن نزاع وليس لصغراعينهن لانهن (عين) كبار الاعين ولا القصور فى حسنهن اذهن فى غاية الحسن (كأنهن بيض) اى بيض النعام فى الصفاء (مكنون) اى مستور لم يركب عليه غبار فهن أيضا مما يشغلهم عن فضل اصحابهم ومع ذلك لايحصل لهم الاشتغال عن حقوق الصحبة (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) لاسؤال توبيخ بل عما جرى بينهم فى الدنيا أو نحوه من ذلك ما (قال قائل منهم) قيل هو يهوذا المؤمن (انى كان لى) فى الدنيا (قرين) اى صاحب هو قطروس الكافر وهما المذكوران فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (يقول) اذا تصدقت بمالى لثواب الآخرة (أئنك لمن المصدقين) بالجزاء مع ظهور استحالته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) نبعث (أئنا) اذا بعثنا (لمدينون) اى مجزيون على اعمالنا ثم (قال) لهم رعاية لحق صحبتهم فى عدم استبداده بشئ دونهم وليعلوا منزلتهم عن منزلة أهل النار ويجتمعوا على توبيخهم فيتلذذوا بذلك (هل انتم مطلعون) على أهل النار من كوى الجنة (فاطلع) هو ولا يبصرهم اذا اطلعوا (فرآه فى سواء) اى وسط (الجحيم قال تالله ان كدت لتردين) اى انك قاربت من اهلاكى بما قصدت به نصحى من منع الصدقة بناء على انكار الجزاء (ولولا نعمة ربى) عصمته وهدايته (لكنت من المحضرين) معك فى النار وكفانى ذلك لولم اعذب فيها (أ) صدقت فى نصحك انا لانعيش فى القبر ليحصل لنا نوع من الجزاء ثم نموت ثم نعيش لاتمام وجوه الجزاء (فما نحن بميتين الاموتتنا الاولى) بل متنا وعشنا (وما نحن بمعذبين) اى ونحن مخصوصون بعدم التعذيب فى القبر والقيامة (ان هذا) التخلص من عذاب القبر والقيامة وان كان عقيب آفات الدنيا من اذياتهم وغيرها (لهو الفوز العظيم)

(قوله يعرفونها فى الحروب) (قوله محصنات) ذوات الازواج والمحصنات والمحصنات جميعا الحرائر وان لم يكن متزوجات والمحصنات أيضا العفائف (قوله جل وعز مسافحات) اى زوان (قوله جل وعز مختال) اى ذى خيلاء (قوله جل وعز مقيتا) اى مقتدرا قال الشاعر
وذى ضغن كففت النفس عنه

لولا الجنة ومافيها فكيف اذا انضم اليه الفوز بذلك أيضا (لمثل هذا) الفوز (فليعمل العاملون) من الاولين والآخرين انواع الاعمال لو لم يفوزوا بالجنة ولا برؤية الله تعالى (أذلك) اى هل فوزا كجنات النعيم وسررها وكؤسها وحورها (خير نزلا) مايقدم للنازل أولا (أم شجرة الزقوم) ثمر شجرة صغيرة الورق ذفرة وليس كما يقول الجهال انه ازبد وتمر بلغة بربرة فليست لغة القرآن ولا يستحيل كون الشجرة فى النار فمن الاشجار ما ينسج من جلدها ثياب اذا توسخت جعلت فى النار فيحرق وسخها فتصير مغسولة (انا جعلناها فتنة) اى ابتلاء (للظالمين) فى الدنيا بانكار كون الشجرة الرطبة فى النار و بحملها على لغة اخرى وفى الآخرة بالاكل (انها شجرة) فى غاية الخبث اذ (تخرج فى) اسوا المنابت (أصل) اى قعر (الجحيم) كانه نواها وترتفع اغصانها فى دركاتها (طلعها) اى حملها فى تناهى القبح والهول (كأنه رؤس الشياطين) اى مثل ما يتخيل ويتوهم من قبح رؤس الشياطين فهى قبيحة الاصل والثمر والمنظر والملمس ومع شدة كراهتهم لها يضطرون اليها من شدة الجوع الذى يتعذبون به اضعاف عذاب النار (فانهم لآكلون منها) مع كونها اشد حرارة من النار سبعين ضعفا فى أيام سلطنتها وابرد من الزمهرير كذلك فى أيام سلطنته (فمالؤن منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا) اى مزجا (من حميم) يمازجها فى بطونهم فيقطع امعاءهم وذلك يكون خارج الجحيم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وانما كانت لهم هذه الشجرة لمتابعتهم آباءهم (انهم ألفوا) اى وجدوا (آباءهم) الذين هم اصولهم (ضالين) مناسبين للجحيم (فهم على آثارهم) المناسبة للثمرات (يهرعون) اى يسرعون من غير نظر فتختلط عليهم الامور وهو موجب للنظر كيف (ولقد ضل قبلهم) اى قبل آبائهم (أكثر الاولين) الذين هم بمنزلة الآباء لآبائهم فلما جاز الضلال على اكثرهم جاز مثله على آبائهم (و) لضلالهم (لقد أرسلنا فيهم منذرين) فكذبوهم فاهلكوا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) فهى اجل دليل على ضلالهم لانها لم تكن لجميعهم لانها اصابتهم (الا عباد الله المخلصين) فنجوا منها لهدايتهم فقابلوهم لابد وان يكونوا ضالين (و) مما يدل على ان اهلاك المنذرين كان لضلالهم ان قوم نوح انما اهلكوا الدعوته فانه (لقد نادانا نوح) بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا تزد الظالمين الا تبارا ونحو ذلك فان فرض انه لم يكن على الحق (فلنعم المجيبون) نحن اذ لا نجيب الا ما كان على الحق (و) للدلالة على كونه على الحق بأن (نجيناه واهله من الكرب العظيم) الاغراق واذية قومه (و) اكدنا دلالة كونه على الحق بأن (جعلنا ذريته هم الباقين) وكان له ثلاث بنين سام ابو العرب والفرس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك (و) كيف يتوهم كونه على الباطل مع انا (تركنا) أى ابقينا (عليه) بأن جعلنا له من الثناء فى حياته (فى الآخرين) اى فى طوائف المتأخرين من أهل الملل المختلفة بحيث اذا سمعوا اسمه قالوا (سلام على نوح) ولا تختص هذه التحية بنوع الانسان بل هى منتشرة (فى العالمين) انواع الموجودات لكونه ناظرا الى الله تعالى فى كل ما يراه فكان ذلك

وكنت على مساءته مقيتا اى مقتدرا وقيل مقيتا اى مقدرا لاقوات العباد والمقيت الشاهد الحافظ الشئ والمقيت الموقوف على الشئ قال الشاعر
ليت شعرى وأشعرن اذا ما
قربوها منشورة ودعيت
الى الفضل ام على اذا حو
سبت انى على الحساب مقيت
اى انى على الحساب موقوف
(قوله عز وجل مراغما)

بجزاء احسانه (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين الينا فى الاشياء بشرط الايمان وهو
ان لا يفتقد الهية مادونه او كان نوح كذلك (انه من عبادنا المؤمنين ثم) بعد ما انجيناه
وأهله بحملهم فى السفينة (أغرقنا الآخرين) بمقتضى دعوته اظهارا لضلالهم ودفعا
لاذيتهم للمؤمنين وباذية أولادهم لاولادهم وكيف يتوهم كون نوح على الباطل (وان من
شيعته) اى اتباعه (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) عن مبالاة غيره لاقتصار نظره عليه
ولذلك أنكر على ابيه وقومه عبادة غيره (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) اى ما الذى
تعبدونه من هذه الاشياء لذواتها أو لظهور الحق فيها اذ لا عبرة بأمر آخر لكن كلاهما باطل
اذ الالهية بوجوب الوجود وليس ذلك لذواتها ولا لظهور الحق فيها (أئفكا آلهة دون الله
تريدون) اى تريدون بطريق الكذب آلهة دون الله فان اعتقدتم صدق ذلك فقد فعلتم فعل
من اقام فى بلد الملك ايام حياته وقيامه بالملك ملكا آخر (فما ظنكم برب العالمين) هل يترك
شريكا أو قاتلا به مع اخلاله بربوبيته للعالمين ولما علم انهم انما يعبدونها لتجليه فيها القدرة
واراد اظهار عجزها لهم بكسرها ورأى عجزه عن ذلك بحضورهم تحيل فى ذلك يوم خروجهم
للعيد ليخلى معهم فى بعض الطريق (فنظر نظرة فى) مواقع (النجوم فقال انى) مشارف للسقم
كانى (سقيم) لا يمكننى الخروج معكم وكان قد غلب عليهم الطاعون فخافوا العدوى
(فتولوا عنه مدبرين) لا يلتفتون اليه (فراغ) اى فذهب فى خفية (الى آلهتهم فقال)
اظهار الفقد ما يتوهم فيها اعبدتها (ألا تأكلون) ما وضع بين أيديكم من الطعام ولما لم يأكلوه
ولم يجيبوه قال (ما لكم لا تنطقون) فغلبت عليه الغيرة الالهية اذ جعلوها شركاء مع غاية
قصورهم (فراغ) اى فذهب قاهرا (عليهم) ليضربهم (ضربا باليمين) التى هى اقوى
الباطشتين فرجعوا من معبدهم الى بيت اصنامهم فوجدوها مكسرة وعلموا أنه انما تخلف
عنهم ابراهيم لذلك (فاقبلوا اليه) اى الى ابراهيم (يزفون) اى يسرعون فى لومه وهتكه
فأخذ يلومهم بعبادتها (قال أتعبدون ما تنحتون) فتؤثرون فيه أقبح التأثيرات
(و) تتركون عبادة من له التأثيرات كلها فى الذوات والاعراض والافعال اذ (الله خلقكم
وما تعملون) فلم يلتفتوا للومه بل ازدادوا عنادا حتى (قالوا ابنوا له) اى لاحراقه (بنيانا)
عظيما تسعرون له فيه (فألقوه فى الجحيم) اى فى النار الشديدة بحيث لا يمكنه الخروج عنها
وقصدوا بذلك اظهار عجز الاله الذى يعبده وعلوهم على الهه (فأرادوا به كيدا) فجعلها الله له
برهانا يعلى شأنه اذ جعلها عليه بردا وسلاما (فجعلناهم الاسفلين) باظهار جعلهم عبدة
العاجزين ظاهرا وباطنا اذ لم يتمكنوا من تأثير النار فيه (و) ازداد ارتفاعا اذ (قال انى ذاهب
الى) مكان عبادة (ربى سيهدين) للوصول الى مقامات قربه والسير فيه وعنه بمقتضى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (رب هب لى) اذا امرت عنك ولدا (من الصالحين)
المتصفين بالولاية النبوية التى هى فوق النبوة الفائقة على ولاية الاولياء لينضم صلاحه الى
صلاحى ويعيننى فى الدعوة اليك ويبقى داعيا بعدى (فبشرناه بغلام) هو اسمعيل عليه

السلام

ای مهاجرا (قوله منافق)
ماخوذ من النفق وهو
السرب ای یستتر بالاسلام
کما یستتر الرجل فی السرب
ویقال هو من قولهم
نافق الیربوع ونفق اذا
دخل نافقاءه فاذا طلب
من النافقاء خرج من
القاصعاء واذا طلب
من القاصعاء خرج
من النافقاء والنافقاء
والقاصعاء والراهطاء

السلام فى الصحيح (حليم) يصبر على الطاعات والبليات وعن المعاصى والحلم رأس الصلاح (فلما) ولدو (بلغ) ان يسعى (معه السعى) سبع سنين او ثلاث عشرة (قال يا بنى) ناداه مصغرا طلبا لاقباله فى فهم مزيد شفقته من جهة بنوته مع صغره (انى ارى فى المنام) ورؤيا الانبياء حق (أنى أذبحك) والانبياء لايذبحون ولدا الا بامر الله وأمر الله مقدم على الشفقة (فانظر) وبين لى (ماذا ترى) هل تصبر لامر الله فتمضيه أو تسأله العفو لينسخه قبل الفعل (قال يا ابت) ان شفقتك وان دعتك الى طلب العفو بالنسخ فليس اليك (افعل ماتؤمر) ولاتخف على كراهة أمر الله (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على أوامره (فلما أسلما) اى انقادا لامر الله فاجرى ابراهيم السكين على حلقومه واحتمله اسمعيل (و) لما لم يره يجرى من جهة الوجه بعد تشحيذه مرتين أو ثلاثا (تله) اى صرعه على الارض ملصقا (للجبين) بها ليجريه من خلفه (و) منعنا السكين ان يقطع شيأ منه اذ (ناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) اى امتثلت ما أمرت فيها وكانها وقعت فاعطيناك اجر الامتثال والصبر وابقينا عليك الولد لاحسانك (انا كذلك نجزى المحسنين) اى الناظرين الينا اذا عجزوا عما أمروا به بعد قصدهم الامتثال وقد كمل احسانك فى هذا البلاء (ان هذا) الابتلاء بذبح الولد (لهو البلاء المبين) اصدق الاحسان (و) لاقتضاء الاحسان دفع البليات أو تعويض مافات فيها (فديناه) اى ولده ليكون جامعا بين الدفع والتعويض (بذبح) اى كبش (عظيم) لمناسبته له فى الانقياد (و) لمشايعته نوحا (تركنا عليه فى الآخرين) مثل ماتركنا على نوح وهو (سلام على ابراهيم) كيف وهو مقتضى الاحسان اذ (كذلك نجزى المحسنين) بابقاء جاههم فى الدنيا لكن لاعبرة بجاه الكافرين فانما اعتبرنا جاهه لايمانه (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه) لمزيد احسانه بما يزيد جاهه (باسحق) مقدرا كونه (نبيا من الصالحين) بولاية النبوة (وباركنا عليه) بضم فوائد نبوة ابنيه وولايتهما الى نبوته وولايته (وعلى اسحق) بضم فوائد نبوة أولاده وولايتهم الى نبوته وولايته (و) فوائد احسانهم واحسان غيرهم دون نقائص ظلم من ظلم منهم اذ (من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) لايخفى ظلمه بالانتساب اليهما اذ لاتزر وازرة وزر أخرى (و) لايعدم ما باركنا عليهما جميعا فانا (لقد مننا) بالنبوة العامة الباقى احكامها مدة مديدة والولاية الخاصة وتعظيم الآيات (على موسى وهرون) جميعا من أولادهما (و) مما مننا به عليهما من جهة الامر الدنيوى ان (نجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) أذية فرعون وقومه بذبح الاولاد وغيره (و) لم نقتصر على الانجاء بل (نصرناهم) فى المعارضات القولية والفعلية (فكانوا) مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه (هم الغالبين) حتى ورثوا ملكهم (و) مما مننا به عليهما من جهة الدين ان (آتيناهما الكتاب المستبين) للحقائق والاحكام واسرارها (وهديناهما الصراط المستقيم) فى باب الاعتقادات والاخلاق والاعمال بالتوسط بين طرفى الافراط والتفريط (و) قد كملناهما الى حيث (تركنا عليهما فى الآخرين) ان يقال عند سماع اسمهما (سلام على موسى وهرون)

والداماء أسم احجرة اليربوع (قوله جل وعز والمنخنقة) التى تختنق فتموت ولا تدرك ذكاتها والمتردية التى تردت اى سقطت من جبل أو حائط أو فى بئر فماتت (قوله جل اسمه متجانف لاثم) اى متمايل الى حرام (قوله مكلبين) اى أصحاب كلاب ويقال رجل مكلب وكلاب اى صاحب صيد

لانهما مع هذا الملك كانا ناظرين الى الله تعالى فكانا محسنين وهذا جزاء المحسنين (انا كذلك نجزى المحسنين) لا باعتبار احسانهما الى الاتباع احسان الملوك الى الرعية بل باعتبار احسانهما فى النظر الينا (انهما من عبادنا المؤمنين و) لا يقتضى هذا الاحسان رؤية الهية كل شئ حتى لا ينكر على عبدة الاصنام بل لابد للرسول من الانكار وان بلغ ما بلغ من الاحسان (ان الياس لمن المرسلين) وقد بلغ من قوة الاحسان الى حيث ركب فرسا من نار ومع ذلك انكر على قومه عبادة غير الله (اذ قال لقومه ألا تتقون) فى دعوى الاحسان برؤية الكل الها الغيرة الالهية فى عبادة غيره (أتدعون بعلا) هو اسم صنم كان للملك المسمى بك وبه سميت القرية بعلبك ولا شئ له من الخلق الذى به استحقاق العبادة لانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية الانعام (وتذرون) عبادة أكمل المنعمين لكونه (أحسن الخالقين) باظهار جماله فيما يخلقه لكن لا يجعله بذلك الها بل (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) مع ان ظهوره فيهم اتم من ظهوره فى بعل وامثاله (فكذبوه) بأن جماله الذى ظهر فيه لا يغايره فكان الها وكان هذا التكذيب منهم لمن هو أكمل المظاهر تكذيبا للاله صريحا (فانهم) بهذا التكذيب (لمحضرون) فى العذاب (الا عباد الله المخلصين) فانهم وان رأوا ظهوره فى الكل لا يعتقدون الهية الكل حتى يعبدوه (و) انما يعبدونه من حيث الاطلاق ولم يبطل بذلك احسانهم كما لم يبطل بهذا الانكار احسان الياس لذلك (تركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين) اى ابنه فانه الياس ابن ياسين وفيه اشارة الى ان الاحسان لا يبطل خصوصيات الاشياء كما لا يبطل انتسابه الى عبادة الله انتسابه الى ابيه (انا كذلك نجزى المحسنين) فكان محسنا وان غار على بعل بمقتضى ايمانه (انه من عبادنا المؤمنين و) كيف يمنع هذا الاحسان الانكار على عبادة الاصنام وقد اقتضى الانكار على ما دونه من الفواحش لذلك انكر لوط على قومه وان علم ان الفاعل فى الكل واحد (ان لوطا لمن المرسلين) للانذار عن الفواحش لذلك فاز بالنجاة (اذ نجيناه وأهله أجمعين) عن عذاب قومه المنذرين (الا عجوزا) هى امرأته فانها وان خرجت عن مكان عذابهم كانت (فى) حكم (الغابرين) اى الباقين فيه (ثم) بعد انجائهم (دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين) بجعل قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم وان كان الفاعل هو الله لكنه ظهور باسمه المضل الذى يعقبه ظهور باسمه القهار (وانكم) ايها الزاعمون ان الله لا يؤاخذنا بما فعل فينا (لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) فترون دائما علامات مؤاخذتهم (أ) تكذبون الرؤية الدائمة (فلا تعقلون) فان الرؤية ان كذبت حينا فلا تكذب الدائمة أصلا ولم يذكر السلام على لوط لانه لم يسلم احسانه اذ قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ثم ان فعل الله وان لم يسقط المؤاخذة فجعله محل الشفقة (و) لذلك عوتب يونس على تركها (ان يونس لمن المرسلين) للانذار عن القبائح ومع ذلك عوتب على ترك الشفقة على قومه اذ كذبوه بوعدهم العذاب فخرج الى مكان قريب فاظل عليهم العذاب فاستغفروا وتضرعوا وفرقوا بين الاطفال وأمهاتهم

فارتفع

بالكلاب (قوله الارض المقدسة) اى المطهرة (قوله مهيمنا عليه) اى شاهدا وقيل رقيبا وقيل مؤتمنا وقيل قفانا يقال فلان قفان على فلان اذا كان يتحفظ أموره وقيل القرآن قفان على الكتب لانه شاهد بصحة الصحيح منها وسقم السقيم والمهيمن فى أسماء الله القائم على خلقه

فارتفع عنهم العذاب فلما سمع به هرب فعوتب (اذابق) بغيراذن ربه عمن يريد التقرب اليه
بواسطته (الى الفلك المشحون) اى المملوء الذى لا يجرى الا عن قوة الريح فاحتبست عنهم
فقال الملاحون ان ههنا عبدا آبقا فاقترعوا الاقائه (فساهم) اى فقارع فخرجت القرعة
عليه مرارا (فكان من المدحضين) اى المغلوبين بالقرعة وأصله الزلق عن الظفر فقال انا
الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه) اى ابتلعه لقمة واحدة (الحوت وهو مليم) نفسه
بالخروج من غير اذن ربه فكان فى لومه نفسه مسبحا لربه (فلولا أنه كان من المسبحين)
اى القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث) حيا معذبا عذاب القبر
(فى بطنه الى يوم يبعثون) لكن رحمناه بهذا التسبيح وان وقع بعد المؤاخذة (فنبذناه)
بأن حملنا الحوت على لفظه (بالعراء) اى المكان الخالى (وهو سقيم) بلى لحمه ورق عظمه
قيل التقمه ضحى ولفظه عشية وقيل بعد ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرين وقيل أربعين
(وأنبتنا عليه) ليقيه عن الذباب والشمس (شجرة من يقطين) اى منبسط على الارض
والاكثر على انه الدباء ولما رحمناه بذلك صار راحما (وارسلناه الى مائة الف) لو اعتبر عدد
المهروب عنهم (أو يزيدون) لو اعتبر الداخل فيهم (فآمنوا) اى فجددوا الايمان به عند
حضوره (فمتعناهم) بالحياة والعبادات (الى حين) اى حين انقضاء الآجال ولم يذكر
السلام عليه لانه لم يتم احسانه حيث هرب بغير اذن ربه وان زعموا ان نجاة قوم يونس لم تكن
لايمانهم ولا هلاك من هلك لكفرهم والا اهلك آباؤنا فلم يادونا بل نحن المحسنون برؤيته
فى كل شئ (فاستفتهم) اى اسالهم هل احسانهم لتفضيلهم أنفسهم على الله (الربك
البنات ولهم البنون أم) لتفضيلهم أنفسهم على الملائكة اذ قالوا (خلقنا الملائكة اناثا)
وجعلناهم ذكورا (و) ليس هذا التفضيل مما يلزمهم من غير شعورا لهم بل (هم شاهدون)
لكن لا تقبل شهادتهم لظهور كذبهم فى حق الله (ألا انهم من افكهم) اى كذبهم الصارف
عن الحق (ليقولون ولد الله) مع ان الولادة من خواص الاجسام القابلة للفساد (و) لو صدقوا
فى ان لله ولدا (انهم لكاذبون) فى ان أولاده اناث لا غير (أصطفى) لنفسه (البنات)
الناقصة (على البنين) الكمل ليتفضلوا عليه (مالكم) اى اى شئ عرض لعقلكم (كيف
تحكمون) بتخصيص الله بكل نقص وتخصيصكم بالكمالات (أ) ترون أنفسكم أكمل من
ربكم من كل وجه (فلا تذكرون) ما فى أنفسكم من النقائص مع ظهورها لكم الكم
مشاهدة ذلك (ام لكم سلطان مبين) اى حجة ظاهرة ولا يجوز ان تكون عقلية بل غايتها
ان تكون نقلية (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى (و) لو فرض ايتاؤهم
بكتاب فانما يكون مما أنزلته الجنة عليهم وهم يقبلونهم اذ (جعلوا بينه وبين الجنة نسبا) اى
قربا منه مثل قرب أولاد أحدنا اليه (و) لكنهم لا يبالون بما يتكلمون به على الله فانه
(لقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فى النار يوم القيامة فأيسوا عن رحمته فاذا وصفوه بشئ يجب
ان ينزه عنه (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) من الجنة فانهم لا يصفونه بما

بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم
وقيل أصل مهيمن مؤيمن
اى مفيعل من امين كما قيل
بيطر ومبيطر من البيطار
فقلبت الهمزة هاء لقرب
مخرجيهما كما قالوا ارقت
الماء وهرقت وأيهات وهيهات
واياك وهياك وابرية وهبرية
للحزاز يكون فى الرأس
(قوله مبلسون) اى يائسون
ملقون بأيديهم ويقال

يجب تنزيهه عنه اذلم ييئسوا عن رحمته ولم يعلموا انهم لمحضرون وان كانوا معبودين لهم من غير استدعاء منهم ولا رضا (فانكم وما تعبدون) من الملائكة والجنة والصلحاء (ما أنتم عليه بفاتنين) اى مفسدين بالافتراء عليه (الا من هو) كافر (صال الجحيم) فانه المفسد للاعتقادات والاعمال (و) الملائكة وصالحو الجن والانس لا يدعون الالهية لانفسهم ولا النسب بل يقولون (ما منا) أحد (الا له مقام معلوم) والاله محيط بالكل (وانا) لو كان لنا جميع المقامات لم نخرج عن عبوديته ما انا (لنحن الصافون) فى عبادته (و) لو تركنا العبادة الظاهرة لعارض (انا لنحن المسبحون) عما لا يليق به من الشريك والولد وكيف يتأتى لهم الآن دعوى كونهم مع آبائهم على الحق وان لهم كتابا (وان) اى وانهم (كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا) اى كتابا يذكرنا (من) كتب (الاولين لكنا عباد الله المخلصين) واذا كان ذلك قولهم فقد أقروا على أنفسهم بالكفر (فكفروا به) فان لم يعلموا الآن (فسوف يعلمون) اذا ماتوا (و) ربما لا يتوقف على الموت بل يعلمون عند نصر الله الرسل اذ (لقد سبقت كلمتنا) وعدنا (لعبادنا المرسلين انهم) وان نصر عليهم أعداؤهم حينا (لهم المنصورون) آخرا كيف (و) هم من جنود الله (ان جندنا) وان قلوا وظهر ضعفهم (لهم الغالبون) آخرا فان لم يثقوا بهذا الوعد (فتول) اى اعرض (عنهم حتى حين) اى حين استقرار النصر لك (و) مع الاعراض (أبصرهم) الدلائل فان لم يبصروا الآن (فسوف يبصرون) عند استقرار النصر لك (أ) لا يبصرون عند استقرار النصر لك بل ينتظرون عذاب الآخرة (فبعذابنا يستعجلون) لكن لا يفيد الابصار بعده (فاذا نزل) نزول العسكر (بساحتهم) اى فناء دارهم (فساء) ابصارهم بعد انذارهم بأنه لا يقبل بعده فبئس الصباح (صباح المنذرين و) ان اصروا على استعجال العذاب بعد هذا البيان (تول عنهم حتى حين) اى حين نزول العذاب بهم (و) مع ذلك (ابصر) لهم الدلائل لتتأكد عليهم الحجة (فسوف يبصرون) عند رؤية العذاب كيف تأكدت الحجة عليهم وانما لا يبصرونه لو اخلف الله وعده لكن تنزه عن الاخلاف (سبحان ربك) الذى تنسب اليه كمالاتك من ان تنسب اليه نقيصة اخلاف الوعد أو غيرها مع اتصافه بوصف (رب العزة) التى منها فيض الكمالات على الموجودات فلا بد ان تنزهه (عما يصفون) من النقائص كالشريك والولد واخلاف الوعد وترك الانصاف وغير ذلك (و) لتنزهه عن النقائص تنزه عن ارسال ناقص حتى صح (سلام على المرسلين) من ان يصفوه بما لا يليق به أو يغيروا عليه رسالته (و) لكماله ظهر بكمالاته فى مظاهر المرسلين وبعثهم لاستكمال الخلائق حتى صح (الحمد لله رب العالمين) بارسال الرسل لاظهار معارفه واحكامه المفيدة لظهوره بالكمالات فيهم فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة ص)

سميت بها لتضمنها باعتبار محتملاتها فضائله عليه السلام التى تقتضى ارساله وهذا من اعظم

المبلس الحزين النادم ويقال المبلس المتحير الساكت المنقطع الحجة
(قوله مستقر) يعنى الولد فى صلب الاب ومستودع يعنى الولد فى رحم الام
(قوله مشتبها وغير متشابه) قيل مشتبه فى المنظر وغير متشابه فى الطعم منه حلو ومنه حامض وقيل مشتبه فى الجودة والطيب وغير متشابه فى الالوان والطعوم

مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله وكتابه (الرحمن) بارساله وانزاله (الرحيم) باظهار كمالاتهما لخواصه (ص) اقسم الله سبحانه وتعالى بصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذى اعترف به الكل فى غير دعوى النبوة حتى صدقه أهل الكتابين فى اخباره عن الغيوب الدال على الصدق فى دعوى النبوة أو بصفائه عن رذائل الاخلاق وقبائح الافعال الدال على صفائه عن نقيصه الكذب أو بصعوده فى مدارج الكمالات الدال على صعوده فى مدارج القرب من الله أو بصبره الكامل الذى هو من لوازم الرسالة على انه رسوله (والقرآن ذى الذكر) أى الشرف الدال على براءته عن نقيصة الكذب وصفائه عن الاختلاط وصعوده الى حد الاعجاز وعلى كثرة فوائده المفتقرة الى الصبر على انه منزل من عنده وانما يظهر ذلك لمن صدق نظره وصفا عن الحسد وصعد فى درك الامور وصبر على التأمل فيها فمن كفر بهما فانما كفر لاختلاله بهذه الامور فليس لاطلاعه على كذبه أو نقيصة فيه (بل الذين كفروا) انما كفروا لانهم (فى عزة) اى كبر (وشقاق) اى عداوة فلا يصدق نظرهم ولا يصفو ولا يصعدون الى مدارج الحق لان الله تعالى يغار عليهم لكبرهم بل يعاديهم لعداوتهم ولا يصبرون لان كفرهم وعداوتهم يمنعهم من ذلك والكبر والحسد من اسباب الهلاك الذى لا يقبل معه عذر فانه (كم) اى كثيرا (أهلكنا من قبلهم من قرن) لكبرهم أو عداوتهم (فنادوا) بالاعتراف بالذنب والندم والاستغفار رجاء النجاة (ولات) أى وليس حين الهلاك (حين مناص) أى نجاة فلا وجه لاهمال النظر قبله مع تكرر مشاهدة ذلك فى القرون الماضية (و) لا مانع لهم من النظر سوى انهم (عجبوا) مما هو الواجب فى الحكمة من مناسبة الرسول للمرسل اليه من (أن جاءهم منذر) عن امر سماوى مع كونه (منهم) لم يصعد السماء فى نظرهم مع انه لا حاجة اليه بل يكفى نزول الملك عليه وهو وان لم ير يستدل عليه بظهور المعجزات على يديه (وقال الكافرون) أى الساترون لاعجازها ودلالتها على الصدق مع صدقه فى ذاته (هذا ساحر) مع ان السحر يمكن معارضته بخلاف المعجزة (كذاب) فى دعوى صعوده الى السماء أو نزول الملك عليه واستدلوا على كذبه بمخالفته الآباء فى تعدد الآلهة فقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا) مع انه لا يكفى للخلق الكثير قياسا على الضعفاء الجهال وقالوا فى ابطال المحال (ان هذا لشئ عجاب و) رأوا الاصرار على المحال الباطل صبرا على الحق حين (انطلق الملأ منهم) أى الاشراف من قريش من مجلس ابى طالب أتوه حين أسلم عمر فشق عليهم فقالوا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هؤلاء قومك يسألونك فلا تمل عليهم كل الميل فقال ماذا يسألون فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشر أمثالها فقال قولوا لا اله الا الله فقالوا كيف يسع الخلق اله واحد قائلين (أن امشوا) فى طريق آبائكم (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الصبر (لشئ يراد) بابتلائنا بازدياد قوة محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله معجزين) اى فائتين (قوله منبر) مهلك (مجرمين) أى مذنبين (قوله مردفين) أى أردفهم الله بغيرهم ومردفين أى رادفين يقال ردفته وأردفته اذا جئت بعده (قوله متحيزا الى فئة) أى منضما الى جماعة يقال تحيز وتحوز وانحاز بمعنى واحد (قوله مكاء وتصدية) أى صفيرا وتصفيقا (قوله جل وعز مخزى الكافرين)

وكثرة اصحابه لان تعدد الآلهة استمر عليه الملل (ماسمعنا بهذا) التوحيد (فى) ملة النصارى (الملة الآخرة) التى نسخت لغاية كمالها ماسبقها من الملل فلو كان حقا لكان أحق الملل به أكملها فاذا لم يقل به علم انه (ان هذا الا اختلاق) أى ماهذا التوحيد الا فرية محضة اذ لا مستند له سوى هذا الذكر لكنه لو كان ذا شرف لاختص بالاشراف (ءانزل عليه الذكر من بيننا) مع ان فينا من هو أشرف منه نسبا وأعلى رياسة و يستحيل من الحكيم اعطاء منصب شريف للدون مع وجود الاعلى وليس هذا انكارا منهم لتعين المنزل عليه مع الاعتراف باصل الانزال (بل هم فى شك من) انزال (ذكرى) على أحد وليس هذا الشك لفقدان الدليل (بل) مع كثرة الدلائل أصروا على انكاره لانهم (لما يذوقوا عذاب) على الانكار أهم ينزلون على من يشاؤا من غير أن يكون عندهم شئ من الخزائن (ام) هم ينزلون على من شاؤا من تلك الخزائن اذ (عندهم خزائن رحمة ربك) يتغلبون على الله فى اعطاء من منع ومنع من اعطى مع اتصافه بوصف (العزيز) أى الغالب الذى لو جعل الخزائن بيد غيره لم يكن له ان يتصرف فيها بدون اذنه و بوصف (الوهاب) الذى وهب الشرف للشرفاء والرياسة لمن يشاء أينكرون كونه للعزيز الوهاب مع اعترافهم بان له الملك الكلى (أم لهم) فى زعمهم (ملك السموات والارض وما بينهما) فان ادعوا لانفسهم هذا الملك (فليرتقوا) أى فليصعدوا (فى الاسباب) التى هى معارج الوصول الى العرش ليستووا عليه فيدبروا العالم و ينزلوا الوحى على من شاؤا واين لهم ذلك بل غاية أمرهم انهم (جند ما) من الجنود الكائنة (هنالك) أى فى مكان البعد (مهزوم) من جند آخر مسلط عليهم (من الاحزاب) المهزومة فيما تقدم اذ (كذبت قبلهم قوم نوح) المهزوم بالطوفان (وعاد) بالريح (وفرعون) بالبحر مع انه (ذو الاوتاد) أى القوى لم يوصله بقوم نوح ليعلم ان البحر جند مستقل كالطوفان ووسط ذا الريح لانهما المعينة فى التلف بهما (وثمود) بالصيحة (وقوم لوط) بالحجارة (واصحاب الايكة أولئك الاحزاب) لم يكن لهلاكهم سبب سوى التكذيب (ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) فهو منسوب الى التكذيب الذى وقع عقيبه مع صلوحه للعلة فلا ينسب الى غيره (وما ينظر) أى ما ينتظر (هؤلاء) المكذبون للتمكن من تلك الجنود الهازمة لهم (الا صيحة واحدة) هى نفخة القيامة التى لا يتأتى لهم معها ايمان ولا استغفار لانها (مالها) أى لاهلاكها (من) توقف مقدار (فواق) ما بين الحلبتين (و) لا يخافون من تعجيلها بالاهلاك بل طلبوا أعجل منها اذ (قالوا ربنا) مقتضى تربيتك ايانا ان تعجل لنا كل ما نسألك فيه (عجل لنا قطنا) أى قسطنا من عذاب الآخرة (قبل يوم الحساب) السابق على دخول النار وذلك لمبالغتهم فى التكذيب والاستهزاء (اصبر على ما يقولون) فلا تؤمن لدعائهم (واذكر) لهم اذا اعتمدوا على قوتهم أو اتباعهم او اموالهم أو عقولهم (عبدنا) الكامل الذى اجتمعت فيه هذه الامور اكمل منهم (داود) خوفه لا لضعفه فى ذاته بل مع كونه (ذا الايد) أى القوة التى قهر بها جالوت (انه) مع انتهائه فى باب القوة (أواب) أى رجاع الى الله تعالى من شدة الخوف ولم يكن خوفه من قلة

اتباعه

(قوله مؤتفكات) مدائن قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم (قوله مرجون) اى مؤخرون (قوله جل اسمه مطوعين) متطوعين (قوله المعذرون) هم المقصرون الذين يعذرون أى يوهمون أن لهم عذرا ولا عذر لهم (ومعذرون) أيضا معتذرون ادغمت التاء فى الذال والاعتذار

أى مهلكهم

اتباعه اذ قد تبعه الانسان والحيوان والجماد (انا سخرنا الجبال) لتكون (معه يسبحن) تبعا لتسبيحه (بالعشي والاشراق و) سخرنا معه (الطير محشورة) من الجوانب يسبحن معه وانما تبعه الكل اذ (كل له أواب) أى رجاع الى الله مستفيض منه بواسطته (و) لم يكن خوفه من قلة امواله اذ (شددنا ملكه) بحيث لا يمكن لملك آخر ان يقصد (و) لا من قلة علمه اذ (آتيناه الحكمة) الاطلاع على الحقائق (وفصل الخطاب) فى اقامة الدلائل ورفع الشبه وكان يقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ولا يخالفه احد من اقاربه ولا من الاجانب (و) من كمال خوفه انه تنبه لذنبه فى محل غضبه مع خفائه بحيث لا يطلع على مثله الا كامل الحكمة بلا غضب (هل اتاك نبؤا الخصم) أى الملائكة المتصورين بصورة الخصماء (اذ تسوروا المحراب) أى صاروا على سور بيت العبادة وهو من اسباب الغضب (اذ دخلوا على داود) يوم خلوته للعبادة وهو أيضا من اسباب الغضب (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف) انما يخاف من اللصوص ولسنا منهم بل (خصمان) أى فوجان منا كان وانما تحاكمنا اليك فى يوم خلوتك لانه (بغى) أى تعدى فى ذلك اليوم (بعضنا على بعض) لاخر بى على حربى حتى لا يلزم الحكم بينهما (فاحكم) بقطع البغى الواقع (بيننا بالحق) أى بما يطابق امر الله (ولا تشطط) أى ولا تبعد عن الحق لو اشرت الى صلح (و) ان كانت الخصومة عن التباس (اهدنا الى سواء الصراط) بحيث لا تميل عن الحق أصلا (ان هذا اخى) فى الدين والصحبة (له تسع وتسعون نعجة) انثى من الضان وقد جعل كناية عن امرأة فى موضع التعريض (ولى نعجة واحدة) فلم ينظر الى غنائه عنها ولا الى افتقارى اليها بل أراد التغلب على (فقال أكفلنيها) أى اجعلنى كافلها او اجعلها نصيبى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى المكالمة (قال) داود ان كان الامر كما قلت فوالله (لقد ظلمك بسؤال) أى طلب (نعجتك) التى أنت اليها أحوج ليضمها (الى نعاجه) مع استغنائه عن هذا الضم ولا يبعد منه لانه خليط (وان كثيرا من الخلطاء) الذين خلطوا اموالهم باموال اصحابهم (ليبغى بعضهم على بعض) بغى الحربيين بعضهم على بعض فهذه عادة الخلطاء (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يعتادون ذلك (و) الذين لا يبغون منهم اصلا (قليل) قلة (ماهم) تحرجا من عنده (وظن داود) من مناسبة حكومتهم لخطبة امرأة خطبها أوريا فغلب عليه (انما فتناه) أى امتحناه بالحكومة هل يتنبه لشأنه أم لا فتنبه (فاستغفر ربه) لما كان منه من شبه الذنب (و) تذلل فى الاستغفار حتى (خر راكعا) أى سقط ساجدا (و) ازداد تضرعا حتى (اناب) أى رجع الى الله من كل وجه قيل مكث أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه فاتاه النداء انى قد غفرت لك (فغفرنا له ذلك) وان كان من حق الخلق (و) لا يبعد اقربه منا (ان له عندنا لزلفى) أى قربى تقتضى ارضاء خصومه (وحسن مآب) لكن لا ذنب له بل صارت توبته وبكاؤه حسنات أجل من سائر العبادات واقربه من الله وحسن رجوعه اليه مع حلمه على الخصوم عند اساءة الادب بتسور المحراب والدخول وقت الخلوة وكمال خوفه وحكمته استحق الخلافة

يكون بحق ويكون بباطل ومعذرون الذين أتوا بعذر صحيح (قوله جل وعز مجراها) أى اجراؤها أى اقرارها وقرئت مجراها بالفتح أى جريها ومرساها أى استقرارها (قوله منيب) أى راجع تائب (قوله متكأ) أى نمرقا يتكأ عليها وقيل متكأ مجلسا يتكأ فيه وقيل طعاما وقيل متكا وقيل

حتى قال له ربه (يا داود) ناداه ليقبل اليه فيتم له قابلية الخلافة (انا جعلناك) باعتبار مقام
عظمتنا (خليفة) أى نائبا عنا (فى الارض) التى هى عالم الكون والفساد فنفوض اليك
صلاح العالم ظاهرا كما فوض اليك بالرسالة باطنا فكانت خلافتك مكملة لرسالتك المكملة
لنبوتك فالنبوة تنبه القلوب بالعلوم الغيبية بطريق الكشف المأمون فيه من الغلط والرسالة
الامر بتبليغها والخلافة التصرف بها ولما كانت نيابة عن الله اعتبر فيها ما يناسب صفاته
لكونه حيا يحفظ المملكة حفظ الحياة للبدن عالما بوجوه التدبير قادرا على اقامة الاحكام
مريدا بتخصيص كل منصب باهله سميعا لاقوال الحكمة بصيرا بالامور متكلما بالحق والامر
ما أمر الله سبحانه وتعالى باطاعة أولى الامر ورفع لكل واحد منهم عبادة سبعين صديقا كيف
وعبادة الرعية انما حصلت بحفظهم الاموال والانفس (فاحكم بين الناس) الذين نسوا
حقوق الله وحقوق الخلق (بالحق) المطابق لامر الله لا بما يتعارفه الملوك (ولا تتبع الهوى)
الميل الى مال أو جاه أو رعاية قريب أو صاحب ولو متمسكا بأمر شرعى مقاب عن وجهه
(فيضلك عن سبيل الله) الموصلة الى الكمالات لحفظ المملكة والنصر على الاعداء والنجاة
فى الآخرة ورفع الدرجات فيها (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد) فى الدنيا
بكثرة الآفات وفى الآخرة بالعذاب على معاصيه أو على معاصى عماله ورعاياه يحاسبون بكل
ذلك (بما نسوا يوم الحساب و) لا بد منه اذ بدونه يكون خلق الانسان وتمكينه من المعاصى
والمظالم باطلا ولكنه خلاف سنة الله تعالى لانا (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا)
بل للدلالة عليه وليست تلك الدلالة باطلا بل يترتب عليها الرجوع اليه للجزاء اذ ليس محله
هذا العالم لكثرة الحجب فيه (ذلك) أى اعتقاد خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) بحكمة الله
ووجوده ودوام ربوبيته وذلك يدعوهم الى كفران نعمه والجراءة على معاصيه (فويل
للذين كفروا من النار) من هذه الوجوه وغيرها أنترك البعث بالكلية (أم) نبعث و(نجعل
الذين آمنوا) فشكروا نعمة العقل والكتاب (وعملوا الصالحات) فشكروا نعمة الاعضاء
(كالمفسدين) بصرف العقل والاعضاء الى غير ما خلقت له فسادا ساريا (فى الارض) أنترك
المجازاة بالكلية (أم) نجازى و(نجعل المتقين) مخالفة أمر الله رعاية لمحبته (كالفجار)
الذين يخالفون أمر الله ولا يبالون بعداوته فان لم يكفهم دلالة السموات والارض والدلائل
العقلية المقتضية للفرق المذكور فلينضم اليه الدلائل النقلية وهو الكتاب المعجز فانه
(كتاب) لا يعرف كنه عظمته لكونه مما (أنزلناه) من مقام عظمتنا منتهيا (اليك) يا أعظم
الخلائق (مبارك) كثير الخير (ليدبروا آياته) أى لينظروا فى الفاظه وترتيبها ولوازمها
فيستخرجوا منها علوما بطريق الاستدلال (وليتذكر أولوا الالباب) يستخرجوا من اشاراتها
علوما يعجز عنها أهل الاستدلال (و) اولوا الالباب وان بلغوا من الكمال ما بلغوا وهبوا ذلك
الكتاب زيادة فى تكميلهم كما (وهبنا لداود) بعد كمال نبوته ورسالته وخلافته (سليمان)
زيادة فى تكميله لكمال عبوديته التى هى أشرف مقامات الانسان حتى قيل فيه (نعم العبد)

وذلك

هو الازرج وقيل هو الزماورد (قوله مزجاة) أى يسيرة قليلة من قولك فلان يزجى العيش أى يدفع بالقليل يكتفى به المعنى جئنا ببضاعة انما تدافع بها وتتقوت ليست مما يتسع به (قوله جل وعز معقبات من بين يديه ومن خلفه) ملائكة يعقب بعضها بعضا وقوله لا معقب لحكمه أى اذا حكم حكما فامضاه

وذلك لرجوعه فى عبوديته الى الله (انه أواب) لا يلتفت الى عبادته ولا الى نفسه ويقطع محبة كل ماسواه (اذ عرض عليه بالعشى) مابعد الظهر والمراد وقت العصر الخيول (الصافنات) التى تقوم على سنبك يدا ورجل وهى من صفات العراب الخلص (الجياد) السريعة الجرى فغفل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس (فقال انى أحببت) الخيل (حب الخير) المطلق الذى يؤثر على كل ماسواه حتى شغلتنى (عن) صلاتى المشتملة على (ذكر ربى) الذى يجب ايثاره على كل ماعداه (حتى) خرج وقتها اذ (توارت) أى استترت الشمس (بالحجاب) أى حجاب الارض لكن انما يتحقق الخروج لو لم ترد (ردوها) أى الشمس أيها الملائكة (علىّ) ليعود وقت الصلاة فيذهب عنها اسم القضاء فصلاها وغار عليها (فطفق) أى أخذ يذبحها ويمسح السكين (مسحا بالسوق والاعناق) لئلا يتلوث بدمها شئ آخر من أملاكه ولم يكن ذلك اسرافا منه لانه تصدق بلحمها على الفقراء وقد قلت حاجته اليها اذ كان الله ينصره بدونها على انها لو كانت بحرية ذات اجنحة ربما لم تصلح للقتال عليها (و) لا ينافى كماله الابتلاء بالذنب سهوا فانا (لقد فتنا) أى ابتلينا (سليمان) بالذنب سهوا وهو غفلته عن عبادة امرأته صورة أبيها فى بيته وذلك انه غزا جزيرة صيدون فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها ولم تزل تجزع على أبيها فامر الشياطين بتمثيل صورته وكانت مع ولائدها تغدو وتروح اليها ويسجدن كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسرها وضرب المرأة وخرج باكيا الى الفلاة وكان اذا دخل الخلاء اعطى خاتمه الذى فيه ملكه جاريته المسماة امينة فاعطاها يوما فتمثل لها شيطان بصورته يسمى صخرا فأخذ الخاتم فجلس على كرسيه وهو المشار اليه بقوله (والقينا على كرسيه جسدا) كاجساد صور المرايا لكنها بلا اجسام والشياطين أجسام لطيفة نارية لكنها الا تظهر وانما تظهر باجساد مثالية ولذلك تراها متغيرة بسرعة والصورة الاصلية لا تتغير بسرعة وغيرت هيئة سليمان فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال أنا سليمان بن داود رموه بالتراب فعمد الى البحر فاخذ ينقل حيتان أهله الى السوق على سمكتين يبيع احداهما برغيفة ويشوى الاخرى حتى مضى أربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فقال آصف يابنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيت قالوا نعم قال امهلونى حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل انكرن منه شيأ فقلن مايدع امرأة فى دمها ولا يغتسل من جنابة فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فوجد الخاتم فى بطنها فخر ساجدا وعاد اليه الملك فذلك قوله (ثم اناب) اذ (قال رب اغفر لى) تغافلى عن عبادة صورة امرأة بتمثيله القوم اعتادوا عبادة الصور (و) لا تسلب عنى الخلافة بل (هب لى ملكا) يكون لى معجزة اذ (لا ينبغى) أى لا يتسهل (لاحد من بعدى) لئلا يتوهم من بعده لو ملك غيره مثل ملكه انه لم يكن معجزة وان من آمن بصاحبه انما آمن عن خوف ويعلم ذلك أهل عصره بالضرورة مع انه يمتنع عادة حصول مثله فى عصر من الاعصار الا بطريق خرق العادة ولعلك تعطى من يكون أفضل ممن ماهو اتم

لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقض يقال عقب الحاكم على حكم من قبله اذا حكم بعد حكمه بغيره (قوله جل وعلا بمصرخكم) أى مغيثكم (قوله جل وعز مهطعين) أى مسرعين فى خوف وقيل اسراع وفى التفسير مهطعين الى الداعى أى ناظرين قد رفعوا رؤسهم الى الداع أى (مقنعى رؤسهم)

قوله وغيرت هيئة سليمان الخ قال الخطيب قال الرازى واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه وذكر عنه وجوها أربعة فراجعه اه مصحح

من الملك (انك أنت الوهاب) أى المبالغ فى الهبات فهب لى ابلغ الهبات وهب من شئت ابلغ منها (فسخرنا) أى ذللنا (له) أى تكميلا لملكه (الريح) التى لا تطيع شيطانا لو قام مقامه (تجرى بأمره) من غير عقد همة منه (رخاء حيث أصاب) أى لينة فى مكان الاصابة لا تؤذى احدا وان كانت عاصفة فى السير بكرسيه وهذا اعجاز آخر كونها لينة مع افادتها فائدة العاصفة (و) سخرنا له (الشياطين) بحيث لا يمكن أحدا منهم ان يتسلط عليه ينتفع بهم فى الخيرات اذ سخرناه (كل بناء) يبنى له ابنية عظاما من المساجد والقناطر وغيرهما لتسكين عسكره (وغواص) يستخرج له جواهر البحر لينفق من اثمانها على العسكر (و) سخرنا له شياطين (آخرين) لا يتأتى منهم الخير ولكن دفع عنهم الشر اذ كانوا (مقرنين) أى قرن بعضهم ببعض (فى الاصفاد) أى القيود ولم يكلفه فى هذا الملك ما يشق عليه بل قلنا له (هذا عطاؤنا) الذى لا نطلب فى مقابلته عوضا ولا نكلف عليه شيئا (فامنن) أى أعط منه ما شئت لمن شئت (أو أمسك) أى امنع وكل ذلك لك (بغير حساب و) لم يبعده عنا تصرفه فى عطائنا على وجهه بل (ان له عندنا لزلفى) أى قربى (وحسن مآب) اذ لم يذهب بطيباته فى حياته الدنيا ولم يأت بما يجعله عندنا فى هذا الملك العظيم مع اجتماع الشياطين حوله (واذكر) فى باب شدة الابتلاء بالشيطان وحسن عاقبة من احتملها (عبدنا) الكامل فى التحقق بالعبودية (ايوب اذ نادى ربه) الذى رباه بالابتلاء بالشيطان شاكيا عنه (انى مسنى) أى اصابنى (الشيطان بنصب) أى تعب من جهة اذهاب المال والاهل (وعذاب) أى الم فى الجسد وذلك ان ابليس قال الهى نظرت فى عبدك أيوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك ولو ابتليته لحال عما هو عليه فقال عز وجل سلطتك على ماله فقال ابليس لعفاريته ماذا عندكم من القوة فتحول احدهم اعصارا من نار فاحرق ابله ورعاتها وصاح آخر على الغنم ورعاتها فماتوا وصار آخر ريحا عاصفة فهبت على حرثه فنسفت فتمثل ابليس بصورة راع وحارث واتاه وهو يصلى فقال اقبلت نار فغشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها وصاح على غنمك شيطان فماتت وهبت على حرثك ريح فنسفت فقال الحمد لله انها مال الله اعارنيها وهو أولى بها وقديما وطنت نفسى ومالى على الفناء فقال ابليس الهى ان أيوب يرى انك متعته بولده فانت تعطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فهى المصيبة التى لا يقوم لها أحد قال نعم فاتاهم وهم فى قصورهم فلم يزل يزلزلها حتى اسقطها عليهم ثم نكسهم فتمثل بمعلمهم وهو صريخ فاتاه وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا ونكسوا يسيل دمهم ودماغهم وشقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم فقال ياليت أمى لم تلدنى ثم افاق واستغفر سريعا فرجع خاسئا وقال الهى انما هون على أيوب المال والولد لانه يرى انك متعته فانت تعيدله المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده قال على غير لسانه وقلبه فاتاه فوجده ساجدا فنفخ من قبل وجهه فى منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وأنتن واخرجه أهل القرية ورفضه غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف فتمثل لها ابليس فى صورة رجل فقال لها اين

بعلك

رافعى رؤسهم يقال أقنع رأسه اذا نصبه لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرفه موازيا لما بين يديه وكذلك الاقناع فى الصلاة (قوله جل وعز متوسمين) أى متفرسين يقال توسمت فيه الخير اذا رأيت ميسم ذلك فيه والميسم والسمة العلامة (قوله عز وجل المقتسمين) أى المتحالفين على عضه رسول الله صلى

قوله نخرج من قرنه الى قدمه الخ رد المحققون ذلك فانه يخل بمنصب النبوة والذى وقع له مرض بالجسم انما هو مجرد علة جلدية غير مشوهة اه مصحح

بعلك فقالت هو ذلك يحك قروحه ويرد الديدان فى جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فذكرها ما كانت فيه من النعم ثم أتى بسخلة وقال ليذبح لى أيوب هذا فيبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب الى متى يعذبك ربك أين المال وأين الولد واين لونك الحسن اذبح هذه السخلة فاسترح فقال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قال سبع سنين واشهرا قال ويلك ما أنصفت انصبرن فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتنى ان اذبح لغير الله لا أذوق شيأ مما تأتينى به بعد هذا اعزبى عنى فذهبت فلما رأى أيوب ايس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك (اركض) أى اضرب (برجلك) الارض ساعيا فى قلب ترابها ماء فركض برجله فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد) يذهب بالحرارة المؤذية فاغتسل فلم يبق من دائه ودرنه شئ الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله كأحسن ما كان (و) ضرب مرة اخرى فنبعت عين أخرى فقيل هذا (شراب) فشرب فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا هذا اما يتعلق ببدنه وقدمه لانه اهم وانما قدم أولا ما يشير الى اهلاك المال والولد لتقدمه فى الواقع (ووهبنا له أهله) باحيائهم باعيانهم (ومثلهم معهم) بان رددنا على المرأة شبابها فولدت سبع بنين وسبع بنات وقيل ستة وعشرين ذكورا (رحمة منا) فوق أجر الصبر المؤخر الى يوم القيامة (و) انما اعطيناه ما اعطيناه ليكون (ذكرى لاولى الالباب) ليذكروا انه اذا أعطى فى دار المحنة هذا المبلغ فماذا يعطيه يوم الجزاء والئلا ييأسوا عن روح الله (وخذ) لحلفك على ضرب امرأتك (بيدك) لا بيد غيرك لما فيها من مزيد الاهانة (ضغثا) أى حزمة صغيرة (فاضرب به) امرأتك ضربة واحدة تكفك عن مائة ضربة اذا اشتمل على مائة عود وأصاب الجميع ولا تشدد لرعايتها حقك وصبرها معك (و) مع ذلك (لا تحنث) بترك الضرب الذى فيه رعاية حقنا وانما آتيناه ما ذكرنا وخففنا على امرأته من اجل صبره (انا وجدناه) فى كل ما ابتليناه به (صابرا) والصبر رأس العبادة لذلك صح فيه (نعم العبد) كيف وكمال العبودية فى الرجوع الى مولاه (انه أواب) وكذلك كل صبار (واذكر) فى تكميل العبودية بالصبر على اتمام الاعمال والمعارف (عبادنا) فى العبادات الظاهرة والباطنة (ابراهيم واسحق ويعقوب) لكونهم (أولى الايدى) العاملة للاعمال القلبية والقالبية (والابصار) الناظرة فى تحقيق الاعتقادات واتمامها وتكميل الاعمال عن كمال الصبر فيها بالاعراض عن الدنيا (انا أخلصناهم) عن الالتفات الى الدنيا (بخالصة) أى بهمة وعزيمة خالصة اطلبناها حتى التزموا (ذكرى الدار) الآخرة لا لما فيها من المأكولات والمشروبات والمنكوحات بل من منازل القرب والكرامات عند الله (و) ذلك لاصطفائنا اياهم (انهم عندنا لمن المصطفين) اقربنا بل من (الاخيار) من بين طوائف المقربين (واذكر) فى أن القرب بالصبر على اعمال التزكية (اسمعيل) المنقاد للذبح المفنى للنفس (واليسع) خليفة الياس بشرط ترك الشهوات

الله عليه وسلم وقيل المقتسمين قوم من أهل الشرك قالوا تفرقوا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد صلى الله عليه وسلم فليقل بعضكم هو كاهن وبعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر وبعضكم هو مجنون فمضوا فاهلكهم الله وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة (قوله

والغضب (وذا الكفل) خليفة اليسع بشرط قيام الليل وصيام النهار وترك الغضب (و) هؤلاء وان بالغوا في التزكية التي بها التجلي الشهودي للرب المفضي الى دعوى الربوبية في حق القاصرين فليسوا من أهل البعد بل (كل من الاخيار) اذ غاية (هذا) التجلي انه (ذكر) أي شرف لهم لا يخرجهم عن العبودية الى الربوبية فلا ينافي كونهم من الاخيار بل يؤكده (و) هذه المقامات وان كانت شريفة فلا يشتاق اليها العوام فلا بد لهم من مشوق آخر يشوقهم الى ما ألفوه فيقال (ان للمتقين) تناول المحرمات فانهم وان فاتهم ماذكر (لحسن مآب) يناسب طباعهم (جنات عدن) يقيمون فيها بدل الاثم مالك في الشهوات (مفتحة لهم الابواب) أي أبواب الشهوات التي لم تفتح لهم في الدنيا لو ارادوها منها باب الجاه لذلك يكونون (متكئين فيها) على سررهم اتكاء الملوك وباب الاطعمة والاشربة اذ (يدعون فيها) الى أماكنهم بدل سعيهم الى أقواتهم في الدنيا (بفاكهة كثيرة) تناسب الاطعمة المتروكة من الدنيا (وشراب) يناسب الشراب المتروك (و) باب الانكحة اذ (عندهم) بدل النسوة المتروكة من المحرمات نسوة (قاصرات الطرف) على ازواجهن مع حضور أصحابهم (اتراب) مستويات السن ليس فيهن عجوز ولا صغيرة (هذا ما توعدون) على ترك المحرمات (ليوم الحساب) فاذا تركتم اعطيتم بحساب ذلك ولو فعلتم عوقبتم بذلك الحساب لكن المتروك كان فانيا لا محالة وهذا غير فان (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) كالا نفاد لنا (هذا) وان دل على انه لا يفوت بالتقوى شيء من المشتهيات بل يحصل في مقابلتها ما هو أكمل منها مما لا يتناهى من المراتب لا يكفي داعيا الى التقوى لمن لا يرضى بترك اللذات العاجلة للذات آجلة فلا بد من تخويف عظيم بان يقال (وان للطاغين) أي المجاوزين حد الشهوة المباحة (لشر مآب) لا يقوم خيرها اليسير بازاء ذلك الشر الكثير وهو أن لهم (جهنم) بدل تلك الجنات (يصلونها) بدل لذات الفواكه بل على التلذذ بتلك الشهوة التي فنيت وبقي هذا ابد الآباد (فبئس المهاد) على انه يكون بدل اتكائهم على السرر ويقال لهم بدل شراب الجنة بل بدل ما شربوا في الدنيا من الاشربة المحرمة (هذا فليذوقوه) جزاء على ذوق الشراب المحرم (حميم وغساق) ما يسيل من الصديد (و) لهم مذوق (آخر من شكله) أي شبه ما مر هو (ازواج) أي أنواع من العذاب من جملتها التخاصم بينهم وبين اتباعهم بدل التلذذ بالنساء وذلك انه اذا ورد التابعون في النار قال خزنتها للمتبوعين الذين وردوها قبلهم (هذا فوج مقتحم) أي داخل النار ليكونوا (معكم) كما كانوا في الدنيا فيقول المتبوعون (لا مرحبا بهم) أي ما لقوا سعة (انهم) في ضيق من الشدائد اذ هم (صالوا النار قالوا بل انتم) احق بما قلتم (لا مرحبا بكم) بتخفيف العذاب لمشاركتنا اياكم (انتم قدمتموه) أي الصلي (لنا) بتلقين العقائد الرديئة والاعمال القبيحة فتقررت في قلوبنا هي تقررنا في النار (فبئس القرار) سيما وقد تقررت عداوتهم أيضا حتى (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا) حتى يكون (ضعفا) لعذابنا (في النار) وراء سائر وجوه العذاب (وقالوا) أي الاتباع انما اتبعناكم لانكم أوقعتم في اعتقادنا كون المؤمنين شرارا وأنكم خيار (ما لنا لا نرى)

أيّ
جل وعز مقرطون) أي
مقدمون معجلون الى النار
وقيل مفرطون أي متروكون
منسيون في النار ومفرطون
بكسر الراء مسرفون على
أنفسهم في الذنوب ومفرطون
مضيعون مقصرون (قوله
عز وجل مبصرة) أي
مبصرا بها (مترفوها) هم
الذين تنعموا فيها أي في
الدنيا في غير طاعة الله عز
وجل (قوله ملتحدا) أي
معتدلا ومميلا أي ملجأ يميل

فى النار (رجالا) من المؤمنين (كنا نعدهم) لفقرهم وتركهم دين آبائهم (من الاشرار) واذا ذكروا فضل ايمانهم واعمالهم (اتخذناهم سخريا) اهم خارجون من النار فليسوا من الاشرار (أم) هم مع سائر الاشرار فى النار لكن (زاغت عنهم الابصار ان ذلك) القول وان وقع حال الاشتغال بالعذاب (لحق) لانه (تخاصم أهل النار) يريد البعض دفع العذاب عن نفسه او تخفيفه عليها وتغليظه على صاحبه ولو بايهام شرية المتبوع الخيروخيرية المتبوع الشر فان زعموا أن غاية هذا انه مبالغة فى التخويف وهو مالم يظهر له أثر موجب السخرية (قل) انما يظهر اثره بالتعذيب لكنه ليس بيدى (انما أنا منذر و) لو كان بيدى لكنت الها لكن (ما من اله الا الله) لانه (الواحد) فى الالهية (القهار) لكل اله سواه لو كان وانما احتيج الى الواحد لانه (رب السموات والارض وما بينهما) من المحدثات المفتقرة الى المحدث وكثرتها لا توجب تعدده لانه مبطل لعزته لكنه (العزيز) على الاطلاق ولذلك لا يظهر بجميع كمالاته فى المظاهر فلابد أن يستر الهيته عنها الا انه (الغفار) فان زعموا ان غاية هذا انه استدلال على شرية مآب الطاغين وهو انما يكون حجة على من أصغى اليه لكنا عنه معرضون (قل) انما يعرض العاقل عما يراه سهلا والمستدل عليه فيما نحن فيه (هو نبؤ عظيم) بحسب مقتضى عزته القاهرة لالهية ما سواه فهى تقتضى قهر من أشرك به (أنتم) مع ادعائكم كمال العقل لانفسكم (عنه معرضون) لا عن جهلكم بصدقه بل مع علمكم بصدقه لمطابقته كتب الاولين من غير اطلاع لى عليها ولا سماع من أهلها ولا من الشياطين المستمعة من الملا الاعلى فانه (ما كان لى من علم بالملا الاعلى) أى بكلامهم (اذ يختصمون) أى يبحثون عن المعارف والاخبار وكيف يكون لى هذا من الشياطين مع انه (ان) أى ما (يوحى الى الا أنما أنا نذير) من اضلال الشياطين (مبين) يبدأ اضلاله وهو عدو نصع الله لاجل غضبه عليه من ترك السجود لآدم (اذ قال ربك للملائكة) الذين هم فوق ابليس (انى خالق بشرا) فلا ينبغى ان تزدريه اعينكم لكونه (من طين) يغلب عليه التراب والماء اذ أشرفه بتعديل المزاج (فاذا سويته) أى عدلت مزاجه بحيث يحصل له وحدة تقتضى فيضان الروح منى (و) ازيده تشريفا اذا (نفخت فيه من روحى) أى نورته بنور روح فاض منى (فقعوا) على الارض (له) نظرا الى جمعه بين العلويات والسفليات (ساجدين فسجد الملائكة) السماوية والارضية (كلهم أجمعون) لم يتأخر سجود بعضهم عن بعض (الا ابليس) فانه وان كان دونهم ثم لحقهم بالعبادة حتى دخل فى أمرهم لم يسجد لانه (استكبر و) دعاه استكباره الى جحود وجوب امتثال امر الله فكأنه (كان) قبل ذلك (من الكافرين) وان كان مبالغا حينئذ فى عبادته (قال يا ابليس) بعد ما غير اسمه اذ كان اسمه عزازيل (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى جمعت فى خلقه بين صفاتى المتقابلة التى بها افعل الاشياء فعل اليدين (أستكبرت) عليه مع كونك ادنى من الملائكة الساجدين (أم) لم تستكبر ولكن (كنت من العالين) أى الملائكة الذين فوق السموات لم يؤمروا بسجوده لكونهم ممن لا يعلمون انه خلق آدم ام لا لاستغراقهم فى مشاهدة جلال الله تعالى (قال) انى وان

اليه فيجعله حرزا (قوله عز وجل المهل) هو دردى الزيت ويقال ما أذيب من النحاس والرصاص وما اشبه ذلك (قوله تعالى مرتفقا) متكأ على المرفق والاتكاء الاعتماد على المرفق (قوله عز وجل المثلى) تانيث الامثل (قوله مشفقون) أى خائفون (قوله مضغة) هى لحمة صغيرة سميت بذلك لانها بقدر ما يمضغ (قوله عز وجل

لم اكن من العالين فيكفي في الامتناع كوني اعلى منه (أنا خير منه) عنصرا اذ (خلقتني من نار) أي من عناصر يغلبها النار (وخلقته من طين) ومركز النار اعلى وتاثيرها اشد (قال) اذ خرجت من أمري ومن العقل الكامل بترك النظر الى شرف روحانيته (فاخرج منها) أي من رتبة الملائكة (فانك رجيم) أي مطرود عن رتبة القرب اللازمة لرتبة الملائكة (و) لا اقتصر في حقك بمجرد الطرد بل العنك (ان عليك لعنتي) أي غضبي الذي لا ينقطع (الى يوم الدين) فلا ينقطع العذاب عنك بعده (قال رب) مقتضى تربيتك اياي فيما تقدم ان لا تعجل عقوبتي (فانظرني) اي امهلني (الى يوم) الجزاء العام اذ (يبعثون) فيه (قال) اذا استمهلتني بتربيتي السابقة (فانك من المنظرين) لا الى يوم البعث لتبقى بعد جميع بني آدم بل (الى يوم) النفخة الاولى الواقعة في (الوقت المعلوم) اى المعين لانتهاء أمر الدنيا فانه يغلب فيه القهر الكلي فلا نسل فيه (قال) اذ قهرتني بعزتك وحجبتني بها عنك اذ ظهرت بيديك في آدم (فبعزتك) أقسم (لاغوينهم) أي لاضلنهم (اجمعين) بمقتضى حجاب العزة (الا عبادك منهم المخلصين) لخروجهم عن تلك الحجب بنور اخلاصهم فهم فوقك وعبدوك (قال) انك وان صرت محبطا (فالحق) قاتك في الاغواء والاستثناء (والحق أقول) فيما يترتب عليه فاقسم (لأملأن جهنم) بمقتضى القهر اللازم للعزة (منك وممن تبعك منهم أجمعين) فهذا الوعيد هو مبدأ الانذار فان اعرضوا عن انذارك بعد بيان مبدئه لانه يشق عليهم الاصغاء اليه (قل) انما يشق الاصغاء الى ما فيه غرم لكن (ما اسئلكم عليه من اجر) أو امارة كذب كالتكلف لاصلاح الكلام (وما انا من المتكلفين) أو اختلال عرض ولا اختلال فيما ادعو اليه (ان هو الا ذكر للعالمين) أي شرف للكل اذا ظهرت علومه وعمل بها (و) انتم لو خفيت عليكم فوائده (لتعلمن نبأه) المتضمن لتلك الفوائد (بعد حين) اما في الدنيا عند كثرة العلماء أو في الآخرة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الزمر)

سميت بها لاشتمالها على الآية التي ذكرها المشيرة الى تفصيل الجزاء والزام الحجة وبطلان المعذرة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي في كتابه بتفاصيل اسمائه وصفاته واحكامه وافعاله واجمال ذاته (الرحمن) بتنزيله لبيان تلك التفاصيل (الرحيم) بانزاله لبيان ذاته اجمالا (تنزيل الكتاب) لبيان تلك التفاصيل (من الله) المشتمل عليها مع احتجابها باعتبار اسمه (العزيز) ليصير الى عالم الحكمة باعتبار اسمه (الحكيم) وبين ذاته في اثنائه بيان تلك التفاصيل اجمالا للكل (انا أنزلنا) من مقام الجمع (اليك) يا مظهر الجمع (الكتاب) الجامع للتفصيل مع الاجمال (بالحق) لتعبده باعتبار جمعه في ذاته وتفصيله في مظاهره (فاعبد الله) باعتبار جمعه بين الاجمال والتفصيل غير مشرك به المظاهر بل (مخلصا له الدين) والمظاهر وان عبدت ورجع عبادتهم الى الله فليس ذلك دينه بل (الا لله الدين الخالص) عن وجوه الشرك (و) عبادة المظاهر لا يخلو عنه اذ (الذين اتخذوا من دونه أولياء) يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله)

لانهم

مخلقة) مخلوقة تامة وغير مخلقة هي غير تامة يعني السقط (قوله عز وجل هو الذي يأتيك المسحر) (قوله لتعطيه ولا يسأل) أي متروكة على هيئتها (قوله عز وجل وعز معطلة) أي مسابقين ومعجزين أي فاتتين يقال مثبطين (قوله جل وعز معاجزين) (قوله جل وعز مذعنين) أي مقرين أي منقادين (قوله عز وجل المسفون)

لانهم مظاهره الكاملة فعبادتها تزيدنا معرفة به والزيادة فيها تفيدنا (زلفى) أى قربا فوق قربنا بلا واسطتهم لكنهم ليسوا مظاهره الكاملة بل اختلف ظهوره فيها اذ لذلك اختلفوا فى معرفة الله (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) من معرفته وظهر بذلك كذبهم انها تفيدهم مزيد معرفته بل انها تحجب عنه (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) فهى وان كانت للاستدلال بها على الصانع فانما يستدل الكامل دون هؤلاء سيما القائلين بظهوره بالالهية فيها فهو كاذب فى هذا الزعم كفار بنسبة هذه الرتبة الى من ليست له فلا يهتدى الى معرفة الالهية أصلا فان زعموا انه وان لم يظهر الحق فى أوليائهم بالالهية ظهر فى بعضهم بالسر الذى يظهر من الوالد فى ولده فيقال هذا التوسط انما يتم لو أمكن أن يكون له ولد لكنه انما يتصور بمباشرة المرأة وهى من خواص الحيوان ولو تصور بغيرها فبالاصطفاء فحينئذ (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) لاعطاء هذه الالهية (مما يخلق) مع ما فيه من النقيصة المنافية لهذه الرتبة الشريفة (ما يشاء) لا ما يشاؤن لكنها انما تتم بالمشاركة وقد تنزه (سبحانه) عن المشاركة لانه (هو الله) الجامع للكمالات كلها وهو انما يتم له لو انفرد بها فهو (الواحد) بحيث لو امكن شئ منها لغيره فهو (القهار) له وكيف يكون ظهوره فى أوليائهم ومعبوديهم أكمل من ظهوره فى كل ما عداهم مع انه (خلق السموات والارض) أكمل مظهر به منهم بظهور تفاصيل اسماء الحق وصفاته فيهما كأنهما متصفان (بالحق) ومع ذلك لا يخلوان عن نقص به صار كمالهما قابلا للقهر فمن كمالهما الليل والنهار وهو يقهرهما اذ (يكور الليل) أى يجعله لباسا (على النهار و) يقهر هذا القاهر بقهوره اذ (يكور النهار على الليل و) يقهر ما هو سلطانهما اذ (سخر الشمس) سلطان النهار (والقمر) سلطان الليل والتسخير قهر على ان منتهى أمرهما القهر عليهما اذ (كل يجرى لاجل مسمى) هو أجل القيامة القاهرة لكل ما سواه فيقهران فيه وكيف يظهر بكمالاته فى مظاهر النقص وهو ينافى عزته (الا هو العزيز) فهو وان ظهر بعزته فى قهره للاشياء يستر عزته وسائر كمالاته من حيث هو (الغفار) فلا يظهر بكمالها فى شئ بحيث يستحق العبادة فيه ولا يبعد عليه أن يظهر بكماله فى شئ ويستره عن الناظرين حال ظهوره اذ (خلقكم من نفس واحدة) وظهر فيها بالكمالات التى يظهر بها فيكم لكن لم يظهرها لكم الى حين اخراجكم (ثم) لا يبعد عليه الجمع بين الظهور والبطون كما لا يبعد عليه الجمع بين الذكورة والانوثة فى تلك النفس اذ (جعل منها زوجها و) كيف لا تكون تلك النفس الجامعة لكمالاتكم من أكمل المظاهر مع ان من كمالكم انه (أنزل لكم) أى جعل تحت قهركم (من الانعام ثمانية أزواج) ومما يدل على كمالكم أنه (يخلقكم فى بطون امهاتكم) لتأخذوا اسرارها الباطنة كما أخذتم أسرار آبائكم (خلقا من بعد خلق) فيجتمع فيكم حقائقها وتصير اسرارا بتبعية ظلمات الاماكن اذ خلقكم (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم) المدرج فيكم هذه الاسرار هو (الله) الجامع لها الاظهر من مظاهره اذ لا ربوبية لها وادراجه من حيث هو (ربكم) فان كان هو المظهر فلا يستحق العبادة لان المستحق لها هو الملك ولا ملك لهذه المظاهر بل (له الملك)

أى ذوو الاضعاف من الحسنات كما تقول رجل مقو أى صاحب قوة وموسر أى صاحب يسار (قوله جل وعز متبرجات) أى مظهرات محاسنهن بما لا ينبغى أن يظهرنه ويقال متبرجات متزينات (قال أبو عمر قيل متبرجات أى منكشفات الشعور) (قوله عز وجل مشرقين) أى مصادفين شروق الشمس

كيف والمظاهر والظهورات متعددة وهو (لا اله الا هو فأنى تصرفون) عن عبادته الى عبادة
مظاهره أو ظهوراته ولا يلومكم على صرفكم لانه يضره فانكم (ان تكفروا) لم يضره كفركم والا
كان محتاجا اليكم والى ايمانكم لكن لا حاجة له الى شئ (فان الله غنى عنكم) وان توقف ظهور
بعض أسمائه كالرزاق والمحيى والمميت والغفور والشكور عليكم فهو غنى عن ذلك الظهور
أيضا (و) لكن يحبه لذلك (لا يرضى لعباده الكفر) لانه ينقص مظهريتهم فينقص ظهوره فيهم
وهو يحب كمال ظهوره فيهم اذ هو كمال الظهوره (و) لحبه كمال ظهوره (ان تشكروا يرضه لكم) اذ
يكمل بذلك مظهريتكم فيكمل ظهوره فيكم (و) لو فرض كمال ظهوره بكافر لم يعتد به لان نقيصة
كفره تعارضه الا أن يتحملها متحمل لكن (لا تزر وازرة وزر أخرى ثم) هذا النقص وان لم يرجع
منكم الى الله تعالى لكن (الى ربكم مرجعكم) فكانت نقيصتكم أيضا راجعة اليه وقد رجعت
الى ظهوره بالحقيقة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الخيانة فى حقه والاعمال وان تعلقت
بالجوارح التى ليست مظاهره الكاملة فلها تأثير فى مظهرية الصدور فينبئكم بها (انه عليم
بذات الصدور و) لحبه كمال مظهرية القلب وبما يضر الجوارح لتكميله فانه (اذا مس
الانسان ضر دعا ربه) فيكمل بذلك مظهرية قلبه اذ يصير (منيبا) أى راجعا (اليه ثم) بعد ازالته
بدعائه (اذا خوله) أى ملكه (نعمة) عظيمة (منه) ليزداد رجوعا اليه (نسى ما كان) من الضر
(يدعوا) الله (اليه) أى الى دفعه (من قبل) أى من قبل هذه النعمة (و) نسى المنعم أيضا اذ
(جعل لله أندادا) لا لرؤيته اياهم وسائط نعمته بل (ليضل عن سبيله) باعتقاده انهم مظاهر كاملة
له والكمال الظاهر فيها عين النقص بالنسبة الى كمال الحق واعتقاد النقص فى كماله موجب للضلال
عن سبيله فان زعم انه بذلك متقرب اليه لذلك ينعم على الحق بواسطتهم (قل تمتع بكفرك) الذى
هو توسيطهم للاستفاضة منه على أنهم مظاهره الكاملة تمتعا (قليلا) فى الظاهر لا فى الحقيقة
(انك من أصحاب النار) باعتقادك النقص فى كمال الحق وتوسطك ما جعلته شريكه فى الكمال
الذى به استحقاق العبادة وكيف لا يعذب هذا المتمتع بالنعم مع كفره بالمنعم وتشريكه به من لا نعمة
منه أصلا اذ غايته انه من أسبابها التى لا أثر لها فيقال أهذا الكافر خير من ذلك الشاكر الذى تعب
بخدمة المنعم (أمن هو قانت) أى قائم بوظائف الطاعات شكرا للمنعم (آناء) أى ساعات (الليل)
حال غفلة هذا المتمتع (ساجدا) بالتذلل له (وقائما) باوامره (يحذر الآخرة) التى يجازى فيها على
تقصيره فى شكره وخدمته بالتذلل له (ويرجوا) لخيره (رحمة ربه) الذى رباه بالنعمة قبل استحقاقه
فان أصروا على القول بتفضيله عليه (قل) أين أنتم من التفضيل بل هل يستويان فان التزموا
القول بالاستواء قل (هل يستوى الذين يعلمون) النعم والمنعم (والذين لا يعلمون) شيأ منهما لكن
(انما يتذكر) بهذه الكلمات هذه اللطائف (أولوا الالباب) الآخذون بلباب كل شئ فان زعموا
ان أهل اللب لا يرون الله ينتفع بالطاعات ولا يتضرر بالمعاصى فلا يتعبون أنفسهم بالسجود
والقيام آناء الليل ولا يحذرون الآخرة ويغلب عليهم الرجاء على انه عزوجل يعلم انه لا يتيسر فى
أرضنا فلا يكلفنا بما يعسر فيها على خلاف مقتضى رحمته بنا ولا يتيسر انما الخروج عن أرضنا

أى طاوعها (قوله عزوجل
مسحرين) أى معللين
بالطعام والشراب أى انما
أنت بشر (ممرد) مملس
ومنه الامرد الذى لا شعر
على وجهه وشجرة مرداء
لا ورق عليها (قوله تعالى
المحضرين) أى محضرين
(قوله عزوجل منيبين)
النار
أى راجعين تائبين (قوله
عزوجل مقمحون) أى
رافعو رؤسهم مع غض

الا بصبر عظيم عن مالوفات تنافيها فالتكليف به ايقاع فى الحرج المنافى لمقتضى رحمته (قل يا) بصيرا تعلمون انكم أهل اللب لانكم (عبادى) والمولى يتصرف فى العباد كيف يشاء وأنتم من (الذين آمنوا) بانه أمر ونهى ووعد وأوعد وانه صادق فى كل ذلك قادر عليه فحقكم أن تتقوا مخالفته (اتقوا ربكم) الذى رباكم بالنعم أن يسلبها عنكم ويذيقكم النقم ان خالفتموه فان لم ينتفع به هو ولم يتضرر فلا شك أنكم تنتفعون به اذ (للذين أحسنوا) اعتقاداتهم وأعمالهم (فى هذه الدنيا) المشتملة على الشهوات والغرور (حسنة) هى القرب من الله والفوز بثوابه لا يثار جنابه على ماسواه وحصول مازرعوا بمزرعتهم (و) ان لم يتيسر لكم ذلك فى أرضكم فاخرجوا الى غيرها اذ (أرض الله) التى يتيسر فيها اطاعته (واسعة) فان عسر عليكم الخروج اليها فالصبر عليه أعظم للاجر ولا ينافى تكليفه بذلك عظم رحمته لانه (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فان زعموا ان أهل اللب أهل التوحيد الذى لا يتصور معه عبادة ولا عابد (قل انى) وان كنت من أعلى الموحدين (امرت) باعتبار ان حقيقتى العبودية وانما التوحيد باعتبار اشراق نور الوجود عليها (أن أعبد الله) الجامع للانوار المشرقة نور الوجود على الكل يشرف بها على حقيقتى لا لاستقلالها بالعبادة بل (مخلصا له الدين) بالتوحيد (و) لا أخرج بتوحيدى عن العبودية اذ (أمرت لان أكون أول المسلمين) أى المنقادين بحقيقتى وبما أشرف على من نور الوجود للوجود الحقيقى المشرق بهذه الانوار فان زعموا ان التوحيد رافع للعقاب لامتناع أن يعاقب أحد نفسه فاذا لم يخف وقوعه فما معنى التكليف (قل انى أخاف) أى من جهة حقيقتى (ان عصيت ربى) بمخالفة أوامره ونواهيه التى كلفت بها حقيقتى المرباة بنور أشرق عليها من الوجود الحقيقى ليزيدها تربية (عذاب يوم عظيم) بالتجلى الجلالى عليها بدل التجلى الجمالى فان زعموا انه كيف يبقى نظر التوحيد مع العبادة بل يكون العابد عابدا لنفسه على انه انما يعبد الله لينفع نفسه (قل الله) لا نفسى (أعبد) والتوحيد لا يوجب اتحاد الحقيقة مع نور الوجود الحقيقى المشرق عليها فضلا عن الاتحاد بذاته (مخلصا له دينى) عن طلب نفع لنفسى (فاعبدوا ما شئتم) من أنفسكم أو منافعها (من دونه) فان زعموا ان العبادة اذا خلت عن نفع النفس وقد أخلت بالشهوات الدنيوية كانت محض خسران (قل) ليس الخسران المحض خسران شهوة فانية وتعب فان بل (ان الخاسرين) الخسران المحض هم (الذين خسروا أنفسهم) التى بها كان التلذذ بالشهوات وكانت أحب اليهم من كل مشتهى (وأهليهم) الذين أحب اليهم من أنفسهم خسرانا أبديا لفوات الشهوات كلها عليها وعليهم أبدا لوقوعه (يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) الذى لا يستتر بربح هذا من جهة فوات الشهوات وأما من جهة اجتماع وجوه التعب فهو انه (لهم من فوقهم) لفساد اعتقاداتهم واخلاقهم وأعمالهم الباطنة (ظلل) أى أطباق (من النار ومن تحتهم) لفساد أقوالهم وأعمالهم الظاهرة (ظلل) ولا ينافى ذلك عظيم رحمته اذ (ذلك يخوف الله به عباده) ليرحمهم باصلاح اعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم التى بها الفوز بقربه وثوابه والنجاة عن بعده وعقابه وحجابه ولكونه أشد من العذاب

أزهارهم ويقال المقمح الذى جذب ذقنه الى صدره ثم رفع رأسه (قوله عزوجل مظلمون) أى داخلون فى الظلام (قوله تعالى ذكره مبتسلون) أى معطون بايديهم (قوله المدحضين) أى المغلوبين وقيل المقروعين وقيل المقمورين (قوله عزوجل مليم) الذى اتى بما يجب ان يلام عليه (قوله عزوجل

على أخص خواصه قال لهم (يا عباد فاتقون) أى ذاتى وان كنتم من أهل التوحيد (و) ليس
من الحسن ترك عبادة المظاهر بل (الذين اجتنبوا الطاغوت) أى الشيطان المبالغ فى الطغيان
لا بانكار مظهر يته بل (أن يعبدوها) وان أوهم لفظ التوحيد كون الكل معبودا (وأنابوا)
أى رجعوا عن عبادة المظاهر (الى) عبادة (الله لهم البشرى) بكل ربح من قربه وثوابه والفوز
باحسن محامل التوحيد فمن وجوهه ما هو كفر صريح كاعتقاد الهية الكل وأحسن وجوهه
اعتقاد ان الوجود الحقيقى واحد مختص بالله ووجود ما سواه من اشراق نوره عليه وهكذا كل
لفظ يحتمل وجوها يجب اتباع أحسنها (فبشر عبادى الذين) يخصوننى بالعبادة وان سمعوا من
الكمل ان كمال التوحيد اعتقاد وحدة الكل لانهم وان كانوا (يستمعون القول) من الكمل
ينظرون الى وجوهه (فيتبعون أحسنه) أى أحسن محمل له (أولئك) وان أنكر عليهم ملاحدة
الموحدين فهم (الذين هداهم الله) اذ لا هداية فى الوجوه القبيحة وان كانت وجوها لاقوال
الكمل (وأولئك) لا يلامون بمخالفة الظواهر فى بعض الالفاظ لانهم (هم أولوا الالباب) أى
البواطن فيما خالفت الظواهر العقل الصريح والا أخذوا بهما جميعا (أ) يكون أهل الهداية
من أخذ بالظاهر وان قبح بحيث يدل العقل على انه كفر صريح (فمن حق عليه كلمة العذاب)
يكون من أهل الهداية من غير أن يسعى فى انقاذ نفسه من حقية كلمة العذاب عليها باقامة دليل
آخر عقلى فى مقابلته (أ) تسعى فى انقاذه بدلالة ظاهر اللفظ (فانت تنقذ من فى النار) وليس
من التقوى ترك التأويل فيما دلت الدلائل العقلية على استحالة الظواهر (لكن الذين اتقوا
ربهم) أن يضلوا عن سبيله يجرون دلائل عقلية ويبنون عليها نتائج ثم يجمعون بينها وبين الدلائل
النقلية والكشفية فيجرون أنهار المعارف المفضية الى الاحوال الشريفة والمقامات الكريمة
لذلك يكون (لهم غرف) أى منازل رفيعة لابتناء مطالبهم على الدلائل النقلية والعقلية
والكشفية (من فوقها غرف مبنية) لابتناء الاحوال والمقامات عليها (تجرى من تحتها
الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف وهذا وان لم يجب على الله فلا بد من وقوعه لكونه (وعد الله
لا يخلف الله الميعاد) لما فيه من نقيصة الكذب فان زعموا ان الموعود المستقبل انما يستقر
فى الخاطر برؤية نظيره فى السابق يقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) وهو نظير انزال مواد
العلوم العقلية والنقلية والكشفية (فسلكه ينابيع فى الارض) وهو نظير ايقاعها فى تركيب
الادلة (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) وهو نظير استخراج النتائج المختلفة (ثم يهيج) أى ييبس
(فتراه مصفرا) وهو نظير آثار التزكية والتصفية (ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا وهو نظير
الاحوال والمقامات التى لا عبرة فيها للوجود المجازى (ان فى ذلك لذكرى) لنحو ما ذكرنا (لاولى
الالباب) فمن تذكر من هذه الامور المحسوسة تلك الامور المعقولة تذكر تلك الامور المحسوسة
من هذه الامور المعقولة فكأنهم لغاية تعمقهم ينقلبون من المحسوس الى المعقول ثم منه الى
المحسوس فهذا المحسوس كأنه نظير لذلك فافهم ويحتمل أن يقال انما أنزل الله تعالى العقول
والكتاب فسلكه ينابيع القلوب لاخراج زرع الاعمال المختلفة ثم ان ذلك الزرع يختلف له

مغتسل) وغسول الماء الذى
يغتسل به والمغتسل أيضا
الموضع الذى يغتسل فيه
(مقتحم معكم) داخلون
معكم بكرههم والاقتحام
الدخول فى الشئ بشدة
وصعوبة (قوله عز وجل
متشاكسون) عسرو
الاخلاق (وقوله عز وجل
مقرنين مطبقين) من قولك
فلان قرن فلان اذا كان مثله
فى الشدة (قوله عز وجل

الاحوال

الاحوال باعتبار البرزخ والقيامة فلا يبقى لها أثر ما بل تنقلب الى صور أخر ففى البرزخ يبقى فيه أثر من هذا العالم ويمحى أثره بالكلية فى القيامة ويحتمل أن يقال لو قالوا ذكر الله والتوجه اليه يفيد ذلك من غير شرط التقوى اذ يحصل لاهلهما فى الدنيا الخوارق فلا يبعد أن يحصل لهم تلك الغرف فيقال ان لذكر الله والتوجه اليه فضاء سماويا يفيد تصفية وتزكية من اجراء أنهار المعارف وينبت ما يشبه الكرامات لكن لا بقاء لها بدون التقوى فان الاهوية الفاسدة تفسد ذلك الزرع على سبيل التدريج وهذا الوجه أقرب من الاولين فان زعموا ان كثيرا ممن ظهر كمال لبه لا يتذكرون شيأ من أمثال ما ذكر ثم قيل انما يتذكرها من شرح صدره للاسلام دون من قسا قلبه (أ) يتذكر كل من اشتهر باللب وان لم يستعمل لبه فى أمور الدين (فمن شرح) أى وسع بالتصقيل لانطباع صور الامور الدينية كأنه تلين لها تلين الشمع لقبول الصور (الله) باعتبار ذاته واسمائه وصفاته (صدره) وجه القلب يلى النفس (للاسلام) أى لامور الدين بالتصفية والتزكية حتى يتجلى الله تعالى فيه (فهو على نور من ربه) الذى رباه بالتصقيل والتليين والشرح كمن قسا قلبه ولم يتصقل ولم ينشرح ولم يستنر ولم يلن لجمده على الامور الدنيوية (فويل للقاسية قلوبهم) لم تلين ولم تتصقل (من ذكر الله) الكاشف عن الحقائق الدينية (أولئك) وان اهتدوا فى الامور الدنيوية (فى ضلال مبين) عن المطالب الدينية كيف وقد ضلوا عن أحسن ما أنزل الله تعالى للايصال اليها اذ (الله) باعتبار ذاته واسمائه وصفاته (نزل) مرآة فعل المصقل (أحسن الحديث) الحدث تصقيلا للقلوب (كتابا) جامعا للحقائق والاحكام ويترتب عليها (متشابها) يشبه بعضه بعضا فى غاية الكمال ليكون أشرح للصدور (مثانى) يرجع بعضه الى بعض بالتأييد فيكون اشد تأثيرا بحيث يسرى من القلوب الى الجلود (تقشعر) أى تنقبض (منه جلود الذين يخشون ربهم) من سريان أثر الخشية من قلوبهم الى جلودهم عند التجلى الجلالى (ثم تلين جلودهم) عند التجلى الجمالى (و) لذلك تميل (قلوبهم الى ذكر الله) فلا يزال يوصله الى مراتب القرب منه والرضوان (ذلك) وان اقتضى كونه هداية لجميع أولى الالباب الا انه لكونه (هدى الله) الخاص به (يهدى به من يشاء) من خواصه وهو المؤثر فيه دون هذه الاسباب وان جلت (و) لذلك ترى (من يضلل الله) فانه وان كان كاملا اللب جامعا للعلوم مبالغا فى الاعمال (فما له من هاد) فان زعموا ان الضال هو الذى يغتر بهذه الكلمات ويقشعر منه جلده دون من يثبت على دين اتفق عليه عقلاء الاولين قيل (أ) من تأثر قلبه بذكر الله وتلاوة كتابه حتى اقشعر جلده ثم لان الى ذكر الله حتى كوشف له ضال أم من قسا قلبه مع ان القاسى يجب أن يجازى بمنع التحرك بان يغل يده الى عنقه (فمن يتقى) أى يتحفظ (بوجهه) اذ يدفع به (سوء العذاب يوم القيامة) يوم الجزاء لوفاق هاد فى زعمكم ولو نظر الى تلينه لاعمال الدنيا فهو ظالم لصرفه أعضاءه المخلوقة لعبادة الله تعالى الى اهويته (وقيل للظالمين) بعد تصوير أعمالهم بالصور المؤلمة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) ولو كانت أعمالهم صالحة كفى تكذيبهم سببا لتعذيبهم فانه (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب) ولا يجب الشعور به قبل مجيئه ليؤمنوا عند قربه لان سنة الله قد

مقترنين) أى اثنين اثنين (قوله جل وعز مقتدرون) منبعون (قوله مبشرين) أى محيين (مسيطرون) أرباب يقال قد تسيطرت على أى اتخذتنى خولا (قوله عز وجل والمؤتفكة أهوى) المؤتفكة المخسوف بها وأهوى جعلها تهوى (قوله عز وجل مستمر) أى قوى شديد ويقال مستحكم (قوله مزدجر) أى متعظ

جرت باتيان العذاب (من حيث لا يشعرون) وكيف لا يعذبهم على التكذيب والتكذيب
اذلال (فأذاقهم الله الخزى) بالقتل والسبي والاجلاء والمسخ والخسف (فى الحيوة الدنيا)
وان لم تكن دار الجزاء ليكون دليلا عليه (و) ليس الدليل كالمدلول بل (لعذاب الآخرة أكبر)
يعلمون كبره (لو كانوا يعلمون) الحقائق فان يوم الجزاء يوم ظهور الله بكمال عزته وعظمته فلابد
وأن يكون الجزاء مناسبا له (و) لم نقتصر على هذا الدليل بل (لقد ضربنا) بينا (للناس) الذين
نسوا الحقائق (فى هذا القرآن) الذى هو دليل فى نفسه من اعجازه (من كل) دليل عقلى وكشفى
ينزل منزلة (مثل لعلهم يتذكرون) به ما يهمهم من أمور الآخرة من غير صعوبة لكونه (قرآنا
عربيا) أى مقروأ بألسنتهم (غير ذى عوج) من التعقيد والقصور والايهامات والتخيلات
الفاسدة (لعلهم يتقون) العذاب والخزى يوم الجزاء بالاتقاء من الافعال القبيحة والاخلاق
الرديئة والاعتقادات الفاسدة ومن أجل تلك الامثال ما مثل به ليتقى من أعظم المخوفات وهو
الشرك (ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد رجلين مملوكين (رجلا فيه شركاء متشاكسون)
سيئو الاخلاق يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المختلفة لا يزال متحيرا متوزع القلب
(ورجلا سلما) أى خالصا من الشرك لكونه ملكا (لرجل) واحد فهو وان كان سيئ الخلق
متحيرا لا تبلغ اساءته مبلغ اساءة الجماعة (هل يستويان) فى متاعب العبودية والتحير وتوزع
القلب فيكونان (مثلا) أى متماثلين هذا لو لم يكن للمشرك وراء ذلك العذاب الخالد
وللموحد الثواب الخالد (الحمد لله) على انجائه عبيده من الشركاء المتشاكسين وجعلهم
سالمين له لكن لا يحمده الاكثر على ذلك (بل أكثرهم لا يعلمون) ان هذا يقتضى الجهل بل
يعتقدون ان كثرة الآلهة أقضى للحوائج وفيها كثرة الشفعاء فان لم يرتفع منهم هذا الجهل
بهذا البيان ارتفع بالموت (انك ميت وانهم ميتون ثم) ان بقى لهم بعد الموت رجاء الشفاعة
يرتفع عند تحاكمهم (انكم يوم القيامة) يوم الرجوع الى الله للفصل (عند ربكم تختصمون)
فى اختصاصه بالالهية أو مشاركته فيها فيحكم على الاولين بالثواب الخالد وعلى الآخرين
بالعذاب الخالد لافراط ظلمهم بحيث لا مدخل للشفاعة فيه فان شكوا فى الظالم والمظلوم من
هؤلاء المتخاصمين قيل لهم (فمن أظلم) من المتخاصمين عند الله (ممن كذب على الله) فجعل
له شريكا بلا دليل (وكذب بالصدق) أى بدليل التوحيد (اذ جاءه) من عند الله فلا شك
فى كفره ومؤاخذته بالعذاب فى النار الا ان لا يبقى فيه الموضع (أليس فى جهنم مثوى) أى
مسكن (للكافرين و) لو لم يكن هذا ظالما كان الظالم هو (الذى جاء بالصدق) أى بدليل
التوحيد من عنده (وصدق به) فلم يعتد بشبهة يقابلها مع ان (أولئك هم المتقون)
أى المتحفظون عن الظلم فى حق نفسه وحق من جاءه فاقل جزائه ان يقيه الله ما يكره حتى
الفوات شئ أرادوه (لهم ما يشاؤن) بل أكمل منه لكونهم (عند ربهم) الذى ربى
المتقين حتى يجعلهم محسنين فيجزيهم بالنظر الى وجهه الكريم (ذلك جزاء المحسنين) كيف
وانما جعلهم محسنين (ليكفر الله عنهم) أى يمحو بحسناتهم (أسوأ الذين عملوا) عما يوجب

ومنتهى وهو مفتعل من
زجرت (قوله عز وجل
منهمر) أى كثير سريع
الانصباب ومنه همر الرجل
اذا أكثر الكلام وأسرع
(قوله المحتظر) أى صاحب
الحظيرة كأنه صاحب الغنم
الذى يجمع الحشيش فى
الحظيرة لغنمه والمحتظر هو
الحظار (قوله عز وجل
مستطر) أى مكتوب (قوله
مدهامتان) أى سوداوان

الحجاب بينه وبين ربهم فيرفعه عنهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن) العمل (الذى كانوا يعملون) وهو النظر الى الله تعالى فى أعمالهم فيجزيهم بالنظر اليه مع رفع الحجب فان زعموا ان الناظر الى الله تعالى يفوته سائر المشتهيات فكيف يكون لهم مايشاؤن عند ربهم قيل (أليس الله) اذا تجلى التجلى الشهودى لعبده (بكاف عبده) عن سائر المشتهيات فكانما اجتمعت له وهو أيضا كاف فى دفع الاسواء وجزاء الاحسن وتحصيل المرادات بل يغنى عن باطنه جميع مادونه (ويخوفونك) ياأكمل من محى عن باطنه مادونه (بالذين من دونه) فهذا التخويف من اضلال الله اياهم اذيرونك أمثالهم (ومن يضلل الله فماله من هاد و) كيف يؤثر فيك ولايؤثر فى حق عوام أهل الهداية فان (من يهد الله فماله من مضل) وكيف يقبل الضلال وقد غلب الحق على قلبه برحمته كما يغلب على الضال بانتقامه (أليس الله بعزيز ذى انتقام و) من غاية ضلالهم انهم أنكروا كفاية الله لحوائجهم بعدما عرفوا كفايته فى خلق السموات والارض بحيث (لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أ) تعترفون بكفايته لخلقهما الا لحوائجكم (فرأيتم ماتدعون من دون الله) كافية لما لايكفيه الله الذى فوقهن بل تعتقدون غلبتهن عليه (ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات) أى رافعات (ضره أو) ان (أرادنى برحمة هل هن ممسكات) أى مانعات (رحمته) فقد غلبتم من غاية ضلالكم بعض مافى السموات والارض على خالقهما فان زعموا أنا لانعتقد غلبتهن عليه ولكنه غير كاف فى حوائجنا بدونهن (قل حسبى الله) الكافى خالق السموات والارض فان زعموا ان أفعاله متوقفة على الاسباب قيل لهم (عليه) لاعلى الاسباب التى لاتؤثر وان جرت سنة الله تعالى بالتأثير عندها (يتوكل المتوكلون) فان كان لها أثر فهو المهيئ لها فان زعموا انا وجدنا بعبادتنا اياهن هذه الرتبة الشريفة فى كثرة المال وعظم الجاه ولم تجدوها بعبادة الله تعالى وحده (قل ياقوم اعملوا) التذلل لمادون الله (على مكانتكم) أى شرفكم لتستزيدوا منه (انى عامل) التذلل لله وحده ليبدل ذلى عزة فان لم تعلموا الآن عاقبة العملين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) من القتل والاسر يوم بدر فيبطل مكانته (ويحل عليه عذاب مقيم) فى القيامة بحيث لايرتفع خزيه أبدا ولايتوقف هذا العلم على حصول ذلك بعدما أعلم به الكتاب المعجز (انا أنزلنا) من مقام عظمتنا (عليك) ياأكمل الرسل (الكتاب) الجامع للعلوم والدلائل (للناس) الذين نسوا ما فيهم من قابلية الكمالات من غير تلبيس بل (بالحق) ليرفعكم الى المراتب العالية (فمن اهتدى) بدلائله (ف)انما يهتدى مفيدا (لنفسه) المراتب العالية من الاطلاع على الحقائق والاعمال المنجية والمهلكة والقرب من الحق (ومن ضل فانما يضل) مسقطا الضرره (عليها) من بقائها على جهلها بما ذكرنا (و) أنت وان أنزل عليك هذا الكتاب لغاية كمالك (ما أنت عليهم بوكيل) عنا فى الزامهم الهداية ثم أشار الى جملة من دلائل ذلك الكتاب كثيرة فى ألفاظ يسيرة بطريق التمثيل الذى هو أقرب الى أذهان العامة فقال (الله يتوفى) أى يقبض بالحقيقة

من شدة الخضرة والري
(قوله جل وعز مخلدون)
أى مبقون ولدانا لايهرمون
ولا يتغيرون ويقال
مخلدون مسورون ويقال
مقرطون ويقال محلون
ويقال لجماعة الحلى
الخلدة (قوله جل وعز
مغرمون) أى معذبون
من قوله عز وجل ان
عذابها كان غراما أى
هلاكا وقيل انا لمغرمون
أى انا لمولع بنا (المزن)

(الانفس حين موتها) أى مفارقتها الابدانها بابطال تصرفها فيها بالكلية (و) يتوفى (التى لم تمت) أى لم يدخل وقت موتها (فى منامها) بابطال تصرفها بالحواس الظاهرة ثم انه قد يدخل فى اثناء النوم وقت الموت وقد لا يدخل (فيمسك التى قضى عليها) فى أثناء المنام (الموت) الى يوم القيامة كالتى يتوفاها حين موتها (ويرسل الاخرى) التى لم تمت فى ابتداء النوم ولم يدخل وقت موتها فى اثناء النوم (الى أجل مسمى) هو نوم آخر او موت (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) منها ان من أحبه قبضه بالكلية حتى يفنى فيه ومن تقرب اليه قبضه حين تقربه اليه ثم انه قد يمسكه فى مقام التقرب ويرسل من سواه الى وقت التقرب فهذه فوائد الهداية تحصل لصاحبها وتفوت على من ضل ومنها ان الموت ليس باعدام كالنوم وان الرد بعد الموت كالرد بعد النوم وان اللذات والآلام فى القبر كاللذات والآلام فى النوم ومنها ان المتعلق بالاجل لا يحصل قبله وان وجد سببه كالقبض عند النوم فكذا البعث قبل القيامة اذ له أجل واحد كاجل الموت فلا يتكرر تفكروا فى تلك الآيات (أم) اعرضوا عنها اعتمادا على شفاعة شفعائهم حيث (اتخذوا) على تكذيب آيات الله والاعراض عن التفكر فيها (من دون) جعل (الله شفعوا قل أ) تعتقدون انهم يغلبون مالك الاشياء كلها (ولو كانوا لا يملكون شيأ) أو يعتقدون انهم يمنعونه من ارادته على وفق علمه (و) لو كانوا (لا يعقلون) شيأ وان زعموا انا وجدنا من شفاعتهم أشياء لا يتأتى لنا انكارها (قل) تلك الاشياء من فعل الله لا من شفاعتهم اذ لا يملكونها بل (لله الشفاعة جميعا) يملكها اذ (له ملك السموات والارض ثم) لو ملكوها فالقبول مفوض اليه اذ (اليه ترجعون و) كيف يقبل شفاعتهم فى حق من يكره انفراده بالالهية فانه (اذا ذكر الله وحده اشمأزت) أى تنفرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) اذ لا يعتقدون الرجوع اليه ولا يرونه منفردا بخلق المنافع والمضار (واذا ذكر) شفعاؤهم (الذين) اتخذوهم شفعاء (من دونه) أى من دون جعله اياهم شفعاء (اذا هم يستبشرون) اذ يرون المنافع والمضار من شفاعتهم فان زعموا انها انما تحصل عقيب عبادتنا لها واستشفاعنا اياها (قل اللهم فاطر السموات والارض) ليس لغيرك خلق شفيع وان خلقوا فليس لهم الاطلاع على من يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها اذ لا اطلاع لجاعلهم شفعاء على ذلك فهو مخصوص بك يا (عالم الغيب والشهادة) اذ علمك اطلاع الشفعاء على ذلك ولو كانت لهم الشفاعة من غير اطلاع على حال المشفوع له لكان لهم الحكم على الله ان لا يحكم بين عباده لكن (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من شأنك (و) كيف يرجى قبول الشفاعة فى حق من لا يقبل منهم الفدية فانه (لو أن للذين ظلموا) بالاشمئزاز من ذكره والاستبشار بمن دونه وجعلهم شفعاء من دونه (ما فى الارض جميعا) من يوم ابتدائها الى يوم تبديلها (ومثله معه لافتدوا به) لو قبلت منهم الفدية بدلا (من سوء العذاب يوم القيامة) من افراط غضب الله عليهم فلا يسيئهم هذا الفداء العظيم (و) هم وان اعتقدوا رضا الله فى أعمالهم (بدا) أى ظهر (لهم

السحاب (قوله مقوين) أى مسافرين سموا بذلك لنزولهم القواء أى القفر ويقال المقوين الذين لا زاد معهم ولا مال لهم والمقوى أيضا الكثير المال وهذا من الاضداد (قوله عز وجل مدهنون) أى مكذبون ويقال كافرون ويقال مسرون خلاف ما يظهرون وكذلك قوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون أى لو تكفر

من الله) من غضبه على أعمالهم (مالم يكونوا يحتسبون) وذلك لانهم كانوا يحتسبونها
حسنات لاقبح فيها (وبدا لهم سيئات ما كسبوا و) كان فى سيآتهم ما لاحسن فيه من وجه
كالاستهزاء لذلك (حاق) أى أحاط (بهم ما) أى كسب ما (كانوا به يستهزؤن) بالله كاتخاذهم
شفعاء من عند أنفسهم تحكما على الله واستخفافا به (ف) كيف لايبدو يوم القيامة سيآت
اكسابهم سيما كسب اتخاذ الشفعاء من دونه وقد يبدو لهم فى الدنيا سوء وهى دار الابتلاء فانه
(اذا مس الانسان ضر دعانا) من غير توسيط شفيع مما اتخذوهم شفعاء لعلمهم انه خطأ بل لا أثر
للاسباب بدونه (ثم) يناقض نفسه برؤية الاثر للاسباب التابعة بها فانا (اذا خولناه) أى ملكناه
(نعمة منا) فلا ينسبها الينا بل الى السبب القائم بنفسه اذ (قال انما أوتيته) أى هذا الشئ لانى
(على علم) هو سبب اكتسابه مع ان نفسه غير كافية فى تحصيل ذلك العلم (بل هى) أى هبة ذلك
العلم ثم هبة تلك النعمة (فتنة) أى اختبار له هل ينسبهما الى الله فيشكره أم لا فيكفره (ولكن
أكثرهم لايعلمون) انها فتنة وانما يعلمها من يعتبرها بمن سبق بهذه الكلمة فانه (قد قالها
الذين من قبلهم) فاصابهم العذاب الذى لا يندفع بعلمهم ولا بما اكتسبوا به (فما أغنى) أى
دفع (عنهم ما كانوا يكسبون) بذلك العلم لدفع الشدائد بل صار ذلك العلم بهذه الاعتقاد ضارا
اكتسبوا به ما يضرهم وان كان العلم والكسب به نافعين فى أنفسهما (فاصابهم سيآت
ما كسبوا) بهذا الاعتقاد (و) لايدفع تلك السيآت الشفعاء بل هو مؤكد لذلك اذ (الذين ظلموا
من هؤلاء) المتخذين اياهم شفعاء (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) بذلك الاعتقاد واعتقاد كونهم
شفعاء (و) ان ظنوا انهم تقووا بشفعائهم لكن (ماهم) بتلك القوة (بمعجزين) من اعطاهم
تلك القوة وغايتها انها كقوة الاعوان من كثرة الرزق (أ) يعتقدون ان شفعاءهم يقوونهم
بتكثير الرزق بحيث يغلبون به ربهم كما يغالب به بعضهم بعضا (ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر) فلو علموا ذلك وقالوا بتعجيز الله به لكانوا قائلين بتعجيز من يقوى من يشاء ويضعف
من يشاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) منها انه قوى بذاته له تقوية من يشاء وتضعيف من
يشاء ومنها انه فياض بذاته لايتوقف فيضه على الشفعاء ومنها انه مؤثر بذاته لايتوقف تأثيره
على سبب بل قد يجعل سبب النفع سبب الضر فان زعموا ان الله تعالى خلق الاسباب مؤثرة فلا
بد من وقوع أثرها فالكفر والمعاصى لابد وان يكونا مؤثرين فلا فائدة فى الايمان والتوبة
بعدهما (قل يا عبادى الذين) حقهم ان يعبدونى دون الاسباب (الذين أسرفوا) فى الظلم (على
أنفسهم) بالكفر والمعاصى من غير ان يعارضهما سبب آخر (لاتقنطوا من رحمة الله) بايجاد
سبب يمحو أثرهما فتتركوا الايمان والتوبة (ان الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب وآمن بلا
قنوط وكيف يقنط عنه مع انه قد يغفر بلا توبة بمقتضى بعض أسمائه (انه هو الغفور الرحيم
و) لاتجعلوا رجاءكم أمنية بترك الانابة بل (أنيبوا) أى ارجعوا (الى ربكم) أوامره ونواهيه
وارجوا مع ذلك قبول الطاعات وتكفير المعاصى كيف (و) الرجاء بدونهما يشبه رجاء الكافر
(أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب) على هذا الرجاء مع الكفر (ثم لاتنصرون) بالتمسك بهذا

فيكفرون ويقال لونه انع
فيما نعون ويقال داهن
الرجل فى دينه وأدهن فى
دينه اذا خان فاظهر خلاف
ما اضمر (قال أبو عمرو لوتدهن
أى تنافق)* (قوله عز وجل
مستخلفين فيه) أى على
نفقته فى الصدقات ووجوه
البر ويقال مستخلفين فيه
أى مملكين فيه أى جعله
فى أيديكم خلفاء له فى ملكه
(قوله عز وجل المزمل)
المتلف فى ثيابه وأصله

الرجاء كيف (و) لا ينبغي للراجي ان يتساهل بل يجب عليه ان يحتاط (اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم) أحوطه (من ربكم) ليربيكم بالكمالات (من قبل أن يأتيكم العذاب) على بعض ماتساهلتم فيه (بغتة) لقلة التفاتكم اليه (وأنتم لا تشعرون) لرجائكم الذى ظننتم كونه عبادة موجبة للثواب تداركوا ماذكرنا من قبل (أن تقول نفس) لم تتبع الاحسن (ياحسرتى) تعالى (على مافرطت) أى قصرت (فى جنب الله) أى فى جانب أمره ونهيه اذ لم اتبع أحسن ما أنزل وكيف اتبعه (وان) أى وانى (كنت لمن الساخرين) لمن يتبع الاحسن بانه ترك ماهو الكمال الحاضر من اللذات الدنيوية وأخذ بالكمال الموعود من ثواب الطاعات (أوتقول) نفس لم تسلم (لوأن الله هدانى) للاسلام (لكنت من المتقين) من هذا الكفر (أوتقول) نفس لم تتب الى ربها (حين ترى العذاب) على فعل المعاصى وترك الطاعات (لوأن لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) الناظرين الى الله تعالى فى عبادته فلا أنظر الى الشهوات الداعية الى المعاصى اصلا فيقال للقائل لوأن الله هدانى (بلى) هداك الله اذ (قد جاءتك آياتى فكذبت بها و) لم يكن فيها مايوجب تكذيبها لكن (استكبرت و) هووان قدر عليك الكفر (كنت) باختيارك (من الكافرين) ولم يقل ان لم يتب أولم يتبع الاحسن شيأ اذ لم يعتذرا (و) ان زعموا ان هذا انما يتم لوصدق مدعوا الرسالة يقال لو كانوا مؤمنين يوم القيامة لابدوان يصدقوا الا انهم يعاون انه (يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فادعوا رسالته كذبا (وجوههم مسودة) بين جميع الخلائق من الاولين والآخرين كيف والمحترق بالنار لابدوان يسود ولا يمكن انكار كونهم من أهل النار بتكبرهم على عباد الله بدعوى الفضل عليهم (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) فكيف لا يكونون من أهلها بالكذب على الله (و) لا يضرنا تعين كذبهم ولوفرض انهم كذبوا وأظهروا الآيات الدالة على صدقهم ولم يلح لهم أمارة من أمارات الكذب ورأوا حسن طريقهم فخافوا مخالفتهم فانه (ينجى الله الذين اتقوا) تكذيب صاحب الآيات حسن الطريقة بلا أمارة كذب (بمفازتهم) اى باتيانهم بأسباب الفوز من الاعتقادات المبنية على الدلائل والاعمال الصالحة (لا يمسهم السوء) من فرض كذبهم اذ لم يعارض دلائل صدقهم أمارة كذب (ولا هم يحزنون) للاحتمالات البعيدة فى تلك الدلائل كتصديق الكاذب وكاظهار الآيات لا للتصديق وانما يترك متابعة صاحب الآيات لوادعى محالا والنبوة من الممكنات التى تقتضى الحكمة ايجادها فلا يتركها الله اذ (الله خالق كل شئ) تقتضى الحكمة خلقه وكيف لا يخلقه وفيه حفظ قواعد العدل الذى به انتظام أمر الخلق (وهو على كل شئ وكيل) أى حفيظ كيف وقد أغلق أبواب العدل بما غلب على الخلق من الشهوات والغضب فلابد من فتحها وبيده مفاتيحها اذ (له مقاليد) أى مفاتيح مغلقات (السموات والارض و) قاعدة العدل وان كانت مما يخسر بها فوائد الشهوة والغضب فلا يعتد بخسرانها فى مقابلة فوائد العقل فحينئذ (الذين كفروا بآيات الله) الداعية الى مقتضيات العقل (أولئك هم الخاسرون)

متزمل فادغمت التاء فى الزاى (وقوله المدثر) معناه المتدثر بثيابه (قوله عز وجل منفطر به) أى منشق به أى باليوم (قوله مستنفرة) أى نافرة ومستنفرة أى مذعورة (قوله مستطيرا) أى فاشيا منتشرا يقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء (قوله عز وجل من المعصرات) السحاب

رتبة الانسانية بالمصير الى الحيوانية بل الى أدنى منها لذلك صار المكذبون الى عبادة غير الله فان زعموا ان فيها فوائد شفاعتهم والتصديق بالآيات مخسرة لها (قل أ) أكذب بآيات الله ملتبا بعقلكم (فغير الله) أعبد اذ (تأمرونى) بذلك (أعبد) غير الله مع أنى أجل منه لكن تأمرونى بذلك لجهلكم بجلالة قدرى (أيها الجاهلون) بالمراتب (و) ما ذكرتم من فوائد الشفاعة باطل وعلى تقدير صحته معارض بما فيه من الضرر العظيم فانه (لقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) المفيد لك القرب والرضوان الالهى (ولتكونن من الخاسرين) سعادة الابد وثوابه فلا تتبعهم (بل الله فاعبد) أى خصصه بالعبادة لتنال فوائد القرب والرضوان وسعادة الابد (و) لو أردت تحصيل ما يتوقعون من شفاعة معبوديهم (كن من الشاكرين) فانه يفيد من المزيد فوق ما يتوقع من شفاعتهم لو كانت لهم شفاعة (و) ربما يزعمون ان معبوديهم يفيضون عليهم ما لا يفيضه الله فهم شركاؤه فى الافاضة وذلك لانهم (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوا مقدار عظمته لاحتجابه عنهم (و) سيظهر لهم بها يوم القيامة اذ (الارض جميعا قبضته) أى مقبوضة قدرته يبدلها كيف يشاء (يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى بقوة سلطانه على ان الشريك لابد وان يقارب شريكه وأين لشركائهم هذه القدرة فقد تنزه (سبحانه) عن المشاركة (وتعالى عما يشركون) أى عن مراتبهم (و) من عظيم قدرته أنه قد جعل النفخ فى الصور سبب موت الكل تارة وحياتهم أخرى فانه (نفخ فى الصور) أولا للاماتة (فصعق) أى مات كل (من فى السموات ومن فى الارض) من شركائهم وغيرهم (الا من شاء الله) من خواص الملائكة المقربين (ثم نفخ فيه) مرة (أخرى) للاحياء (فاذا هم قيام ينظرون) كل شئ هنالك (و) لا يمنع منه تكوير الشمس وتكوير النجوم لانه (أشرقت الارض بنور ربها) اذ يتجلى لهم لاقامة العدل والجزاء (و) لذلك (وضع الكتاب) الذى كتب فيه اعتقاداتهم وأعمالهم (وجئ بالنبيين) لابطال دعواهم الغفلة عن فساد الاعتقادات والاعمال (والشهداء) لابطال انكار صدورها عنهم (و) لو نازعوا الانبياء والشهداء (قضى بينهم بالحق) أى الحجة المطابقة للواقع (وهم لا يظلمون) بالزام الشبهة الواهية (ووفيت كل نفس ما عملت) فلا ينقص من خيرها ولا يزاد فى شرها (و) لا يمكنهم دعوى الزيادة فى عمل الخير ولا النقص فى عمل الشر اذ (هو أعلم بما يفعلون و) لم تتراخ عنهم هذه التوفية بل (سيق) تعجيلا مع الاذلال (الذين كفروا) فاستهانوا بالحق (الى جهنم) دار المهانة (زمرا) طوائف متفرقة لاختلافهم فى وجوه الكفر رعاية للعدل فى التقديم والتأخير فلم يزالوا فى سوق المهانة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) لكل فريق باب لا قبل مجيئهم لئلا يتأذى منها غير أهلها (و) لم يؤذوا الا بعد تجديد الزام الحجة عليهم باقرارهم اذ (قال لهم خزنتها) المفوض اليهم تعذيبهم لئلا يرقوا عليهم (ألم يأتكم رسل) تعرفون صدقهم وأمانتهم لكونهم (منكم يتلون عليكم آيات ربكم) التى هى المعجزات القولية التى هى أبعد عن توهم السحر

التى قد حان لها ان تمطر فقال شبهت بمعاصير الجوارى والمعصر الجارية التى قد دنت من الحيض (قوله جل وعز مسفرة) أى مضيئة يقال اسفر وجهه اذا اضاء وكذلك اسفر الصبح (قوله جل وعز للمطففين) الذين لا يوفون الكيل والوزن (قوله عز وجل بمسيطر) أى بمسلط وقيل نزلت قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخه الامر

(وينذرونكم) بتلك الآيات المصدقة لهم (لقاء يومكم هذا) بهذه الشدائد (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (على الكافرين) فاعتذروا بالقدر وليس بحجة لهم بل عليهم فلذلك (قيل ادخلوا أبواب جهنم) لكل نوع من الكفر باب (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها) لاشتراككم فى الكفر المقتضى له وانما خلدتم فى دار الهوان لاستهانتكم بالله الدائم الجميل (فبئس مثوى المتكبرين) جامعا لوجوه العذاب (وسيق) تعجيلا مع التعظيم (الذين اتقوا ربهم) فلم يكفروا به ولم يعصوه اذ لابد فى هذا التعجيل من الطاعة مع الايمان فلا يكفى فيه أحدهما بخلاف ما سبق فان الكفر وحده كاف فيه (الى الجنة) دار الكرامة (زمرا) لاختلاف مراتب تقواهم (حتى اذا جاؤها) وجدوا من الاكرام مالا يحصى (و) من اكرامهم انه (فتحت) لهم قبل وصولهم اليها (أبوابها وقال لهم خزنتها) فى مقابلة قول خزنة النار لاهلها (سلام عليكم) أن يصيبكم ماتكرهون أو يفوتكم ماتحبون لسلامتكم عن الكفر والمعاصى اذ (طبتم) بالايمان والطاعة فناسبتم جوار الله الطيب (فادخلوها) لم يقل أبوابها اذ لا تخصيص ههنا بل قد يتفضل على الادنى بدخول باب الاعلى ولم يقدر بقدر أعمالهم بل (خالدين) فيها (و) لما علموا انه بالتفضل المحض (قالوا الحمد لله الذى) تفضل علينا اذ لم يجب عليه شئ وان كان قد وعدنا فالوعد ليس بواجب عليه لكنه لما وعد (صدقنا وعده و) لم يقتصر فى حقنا على ما خلقه لنا بل (أورثنا الارض) أى أرض الجنة من سائر طوائف الكفر على انه لم يخصصنا بمكان من الجنة دون مكان بل جعلنا (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) واذا كان للعامل هذا الاجر (فنعم أجر العاملين) الذين لو عملوا ذلك القدر لغيره لم يجدوا الا أقل شئ (و) لا يقتصر لهم على هذا الاجر ولا لاهل النار على تلك الشدة بل (ترى الملائكة) يستزيدون للفريقين (حافين) أى محدقين (من حول العرش) محل الفيض من كل جانب (يسبحون بحمد ربهم) ليناسبوه فيستفيضوا منه فيفيضوا على أهل الدارين (وقضى بينهم) فى جعل بعضهم أهل الخير وبعضهم أهل الشر (بالحق) أى بما يناسب ما عليه حقائقهم (و) لا يتألم أهل الشر منهم من الملائكة لشرهم من اهل النار بل (قيل) فى الفريقين (الحمد لله رب العالمين) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المؤمن)

سميت به لاشتمالها على كلمات مؤمن آل فرعون المتضمنة دلائل النبوة ورفع الشبه عنها والمواعظ والنصائح وسلامته عن أعدائه وعما أخذوا به وهى من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باسمائه اجمالا وتفصيلا فى كتابه (الرحمن) بتفصيل أسمائه بعد اجمالها (الرحيم) باجمالها بعد التفصيل (حم) أى الحث على الخيرات والمنع عن السيات يتضمنه (تنزيل الكتاب) المعرف لهما اذ لا يعرفان بالعقل اذ ليس عنده شر محض

ولا

نالقتال (قوله تعالى مؤصدة) أى مطبقة يقال أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته (قوله عز وجل منفكين) اى زائلين

(باب الميم المكسورة)

(قوله عز وجل ميثاق) أى عهد موثق اى مفعال من الوثيقة (قوله عز وجل ملة ابراهيم) أى دين ابراهيم (قوله عز وجل مهادا) أى فراشا (قوله عز وجل مسكين) أى

ولاماغالبه الشر (من الله) المنزل للخيرات والسيآت لكنه باعتبار اسمه (العزيز) يمنع الجراءة عليه بالسيآت فينزل مايرفعها بمقتضى اسمه (العليم) تارة بلاتوبة باسمه (غافر الذنب و) تارة بها باسمه (قابل التوب) فان لم يرفعها اقتضت عزته مع اسمه (شديد العقاب) قهره ولم يعم مقتضى هذا الاسم كل مجترئ عليه بمعارضة مقتضى اسمه (ذى الطول) مقتضاه لكن لم يرفع مقتضاه بالكلية لان وحدة الالهية تقتضى الجمع اذ (لا اله الا هو) فيكون (اليه المصير) للخيرات والشرور أو الحجة والمعذرة يتضمنه التنزيل الالهى لان الالهية تقتضى تعريف الذات وعزته تقتضى الحجاب فتجلى اسمه العليم يرفعه بالحجة لكن لا يرتفع بها الحجاب بالكلية فيحتاج الى المعذرة فيغفر تارة بلاتوبة للعجز وتارة بالتوبة حيث لا عجز لكون ذلك القدر من المعرفة منصوصا عليه فى الكتاب فان لم يعتذر بهما عوقب بمقتضى شدة العقاب وان اعتذر ترك بمقتضى ذى الطول فاجتمع فيه الطول والشدة لانه لا اله الا هو فليس للطول اله غير اله الشدة فاليه المصير لهما أو الحماية عن النقائص والمدد بالكمالات يتضمنه التنزيل من الله الرافع للنقائص بمقتضى افاضته للعزة وانما بقى منها مابقى بمقتضى علمه بالحقائق ثم ارتفاع البعض منها بمقتضى معذرته وبعضها بواسطة التوبة واقتضت عزته أيضا القهر لمن اشتدت جراءته عليه بمقتضى شديد العقاب وأدنى الجراءة عليه وان اقتضت ذلك لكن يعارض فيه طوله ولا يرفعه بالكلية لان الالهية تقتضى الجمع اذ اليه مصير الكل أو الحسن والمتانة يتضمنه التنزيل من الله لان حسن جماله يقتضى الظهور وكماله يقتضى متانة المظهر ليستعد لقبول كمال تجليه لكن عزته تمنع كمال الظهور فاقتصر على مقتضى العلم بالحقائق وبمقتضى العلم بها أيضا تارة تتغير المظاهر من حال النقص اما بالذات فيغفر بلاتوبة واما بواسطة التوبة وتارة يثبت على النقص فيتسلط عليه شديد العقاب وانما اختلفت تجلياته لكونه ذا الطول وهو معطى كل حقيقة مقتضاها اذ لا معطى لها سواه لانه لا اله الا هو كانه لا مرجع لها سواه اذ اليه المصير واذا كانت آيات الله متضمنة لهذه الكمالات من الحث والمنع والحجة والمعذرة والحماية والمدد والحسن والمتانة (مايجادل) للطعن (فى آيات الله الا الذين كفروا) بالله عن حجاب العزة فلم يرتفع عنهم بهذه الآيات بل احتجبت عنهم ليؤثر فيهم بالشدة (فلا يغررك تقلبهم) متنعمين (فى) جميع (البلاد) فان عموم هذا التقلب لا ينافى تعقيب الشدة فقد عمت الشدة بعد هذه النعمة فى أقوام تقلبوا مثل تقلبهم فى البلاد فانه (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم كعاد وثمود (من بعدهم) أى من بعد سماع اخبارهم ومشاهدة آثارهم لتأثير حجاب العزة فيهم بالشدة فلم يبالوا بشدة سبقت على أمثالهم لمثل افعالهم (و) لم يكن تأثير الشدة فيهم لضعفهم بالنسبة الى رسلهم بل (همت) اى قصدت (كل امة برسولهم) الشدة (ليأخذوه) بما يعدهم من الشدة (و) لم يكن ذلك من عدم ظهور حججهم بل بعد ظهورها لكنهم (جادلوا) فقابلوا حججهم (بالباطل) من جدالهم (ليدحضوا) أى ليزلقوا (به الحق) الثابت بالحجة

مفعيل من السكون وهو الذى سكنه الفقر أى قلل حركته قال يونس المسكين الذى لا شئ له والفقير له بعض مايقيمه وقال الاصمعى بل المسكين أحسن حالا من الفقير لان الله عز وجل قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاخبران المسكين له سفينة من سفن البحر وهى تساوى جملة (قوله عز وجل المحراب) هو

الصحيحة لكنه لا يندحض وان كثرت الشبه فتقررت عليهم الحجة وأثرت فيهم بالشدة
(فاخذتهم) بغاية الشدة فى الدنيا (فكيف كان عقاب) فى دار الابتلاء فيقاس عليه أمر دار
الجزاء (و) ليس هذا القياس مما يفيد ظنا بل (كذلك حقت كلمت ربك) لاملأن جهنم (على
الذين كفروا انهم أصحاب النار) لتأثير حجاب العزة فيهم بالشدة ثم أشار الى ان الاحتجاب
بحجاب العزة ليس بمعذرة لمن كفر فانه أمر عام حتى حملة العرش والطائفين به اذ (الذين
يحملون العرش ومن حوله) مع غاية قربهم من الله لا يخلون عن حجاب العزة اذ لك (يسبحون)
أى ينزهون ربهم عما يتوهمون فى ذاته (بحمد ربهم) فيقولون انه أجل مما يعتقد فيه لان
اعتقادنا لا يخلو عن نقص وهو فى غاية الكمال (و) لا يرتفع بهذا التسبيح والحمد حجابهم لذلك
(يؤمنون به) بما يظهر لهم من آثاره ودلائله (و) لعلمهم بان حجاب اهل الارض أغلظ من
حجابهم (يستغفرون) نقص الاعتقاد الواقع (للذين آمنوا) فاعتقدوا فيه انه خلاف ما يدركه
الوهم والخيال والعقل والحس لكن فى اعتقادهم ما يناسب ذلك فيقولون (ربنا وسعت كل
شئ رحمة) فلا تؤاخذهم عما يخطر فى قلوبهم مما لست عليه مع انهم ينزهونك من مدرك
مشاعرهم (وعلما) وقد علمت انه انما يقع فى قلوبهم ذلك من احتجابهم بحجاب العزة لكن
لا يستقرون عليه (فاغفر للذين تابوا) عما يقع فى قلوبهم من تلك الخواطر (واتبعوا
سبيلك) الذى هو التسبيح بحمدك (وقهم عذاب الجحيم) الذى تعذب به من اعتقد فيك اعتقادا
فاسدا لانهم لم يستقروا عليه (ربنا وادخلهم جنات عدن التى) خلقتها للعارفين وهؤلاء وان
قصرت معارفهم لكن (وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) بتبعيتهم فهم
الاصل فى وفاء هذا الوعد كيف والقصور اليهم من لوازم عزتك (انك انت العزيز) وقد اقتضت
الحكمة ان لا تخلو معرفتهم عن القصور وأنت لا تخالفها لانك أنت (الحكيم وقهم السيئات)
أى سيئات الاعمال ان تؤثر فى اعتقاداتهم فتزيدهم قصورا فوق قصور (ومن تق السيئات)
فعصمته منها بالكلية (يومئذ) أى يوم غلبة وجودها فى أكثر الخلائق (فقد رحمته) بسلامة
الاعتقادات (وذلك) وان لم يخل عن قصور يقتضى حجاب العزة (هو الفوز العظيم) بنيل
السعادة الابدية كيف والسيئات قد تفضى الى الكفر وهو شقاوة عظيمة (ان الذين كفروا)
وان كانوا على وفق حجاب العزة (ينادون) ازالة لتوهم كونهم على وفق محبة الله بكونهم فى
هذا الحجاب المحبوب له (لمقت الله) أى بغضه اياكم (اكبر من مقتكم انفسكم) حين تعذبون
فانه مقت تعززكم عليه حين كونكم فى هذا الحجاب المقتضى لاعترافكم بالعجز والقصور
وتذللكم له (اذ تدعون الى الايمان) به فتعززون عليه (فتكفرون) فتكونون على خلاف
مقتضى العزة فيصير معكم بحيث لو كان قابلا للتأثير لتالم اشد من تألمكم بالعذاب (قالوا
ربنا) مقتضى تربيتك ايانا أن تقتصر من مقتضى مقتك ايانا على ما حصل اذ (امتنا اثنتين)
اماتتا بلا الم احداهما عند انقضاء الحياة الدنيا والثانية بعد احياء القبر عند النفخة الاولى
(واحييتنا اثنتين) للتعذيب احداهما فى القبر والثانية فى القيامة ولم يعتبر الحياة الدنيا ولا حياة

مقدم المجلس واشرفه وكذلك هو فى المسجد والمحراب أيضا الغرفة والجمع المحاريب (قوله عز وجل مثقال ذرة) أى زنة نملة صغيرة (وقوله عز وجل منهاجا) أى طريقا واضحا (قوله مدرارا) أى دارة يعنى عند الحاجة الى المطر لان تدر ليلا ونهارا ومدرارا للمبالغة (قوله تعالى ميقات) أى مفعال من الوقت (قوله عز وجل محال) أى عقوبة

يوم الميثاق ولا الموت بعدها اذلا ايلام معها فاذا عذبتنا بهاتين الاماتتين والاحياءين (فاعترفنا) أى فاقررنا (بذنوبنا) بعد حصول مقتضى مقتك لتغفرها لنا (فهل الى خروج) من العذاب (من سبيل) فيقال (ذلكم) المقت اجل من ان ينقطع مقتضاه بهذا التعذيب لوقوعه (بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) فابطلتم مقتضى عزته من التوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) وهو موجب لاذلاله فهذا الفعل منكم خلاف مقتضى العزة فلو أخرجنا كم زالت ذلتكم فلم يبق لنا ما حكمنا عليكم بمقتضى العزة (فالحكم لله) بمقتضى عزته مع اعتبار اسمه (العلى) المقتضى للعلو على من يذله على خلاف مقتضى اسمه (الكبير) الدال على كبريائه فى ذاته ولا يمنع احتجابه بحجاب العزة من الايمان به لانه لا يمنع من معرفته بالكلية اذ (هو الذى يريكم آياته) التى ظهر فيها وجعلها كاشفة للحجب الغليظة لمن تأمل فيها (و) دعا الى التأمل فيها بالتودد اذ (ينزل لكم من السماء) المنسوب ما يكون منها اليه (رزقا و) انما فعل ذلك مع غناه عنكم لما علم انه (ما يتذكر الا من ينيب) أى يميل اليه وقد قصد الميل اليه لتعبدوه (فادعوا الله) أى فاعبدوه فان العبادة مقتضى عزته وعلوه وكبريائه وانما تقع على وفق ذلك بالاخلاص فكونوا (مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) فلا تستحيوا منهم فانهم اذل من ان يلتفت اليهم سيما فى مقابلة ما يحبه (رفيع الدرجات) ومما ظهر من رفعة درجاته انه (ذو العرش) الذى هو ارفع المحسوسات وقد رفع درجات بعض عباده اذ (يلقى الروح) أى المعنى المفيد لحياة الخلق (من امره) اى تكليفه (على من يشاء من عباده) الخواص ليحصل من تلك الرفعة نصيب الاتباعهم لانه انما يلقى اليه (لينذر) عذابه على الاعتقادات الفاسدة والافعال القبيحة (يوم التلاق) الذى هو يوم القرب منه ليصلحوا بذلك اعتقاداتهم وأعمالهم فيتقربوا منه يوم تلاقيه فيحصل لهم نصيب من رفعة درجاته وهو وان كان يوم القرب منه فهو أشد الخوف لانه (يوم هم بارزون) بجميع اعتقاداتهم وأعمالهم بصورها لهم والشئ الواحد وان لم يقبل صورا مختلفة فى الدنيا يقبلها هنالك فيصيرون بحيث (لا يخفى على الله منهم شئ) ولا يمكنهم دفع شئ من ذلك اذ لا يملكون شيأ من امورهم فانه لا ملك يومئذ لغيره حتى يقول (لمن الملك اليوم) ولا يجيبه غيره لانه نوع من التصرف الذى هو من الملك فيقول (لله الواحد) أى المتفرد بالملك (القهار) لكل ملك سواه ولكن لا يقهر الا من يستحقه بقدر الاستحقاق (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) ولو عفى فيه عن البعض وزيد بالتفضل لكن (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عقاب ولا يكون فيه ظلم بمطل الثواب لانه انما يكون بطول الحساب لكن يكون حساب ذلك اليوم سريعا (ان الله سريع الحساب و) كما لا يؤخر الثواب لا يؤخر العقاب ولا يؤخر يومهما الى حيث لا يخاف لبعده فان لم يخافوا مع ذلك (انذرهم يوم) المجازاة (الآزفة) أى القريبة على انه لو بعد كل البعد لوجب ان يخاف كل الخوف لكمال ما فيه من الخوف (اذ القلوب) من أهواله ترتفع عن أماكنها فتصير (لدى الحناجر) أى لدى الحلوق ولا تعود الى أماكنها فيستريحوا ولا تخرج ليموتوا بل لا يزالون

ونكال ويقال كيد ومكر ويقال المحال من قولهم محل فلان بفلان اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك (قوله عز وجل مرفقا) ومرفقا جميعا ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق بفتح الميم وكسر الفاء من الامر والمرفق من الانسان (قوله عز وجل مساس) أى

يزدادون غما حتى يصيروا (كاظمين) اى ممتلئين غما بما افرطوا من الظلم لانه (ما للظالمين من حميم) أى قريب يهتم بشأنهم فيخفف عليهم غمومهم (ولا شفيع) يشفع فى تخفيفها عليهم فان شفع فلا (يطاع) أى لا يقبل شفاعته ولا يمكنهم اخفاء شئ من ظلمهم لانه (يعلم خائنة الاعين) أى النظرة الخفية بالخيانة الى ما لا يجوز (و) كيف لا يعلمها مع انه يعلم (ما تخفى الصدور) عن اربابها (و) لا يفيدهم الاخفاء على الغير اذ (الله) وان كان هو الشاهد فهو الذى (يقضى) ولا يلام بالجمع بين الشهادة والحكم لانه يقضى (بالحق و) لا يعارضه أحد لانها لو وجدت فانما توجد من معبوديهم لكن (الذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) من حق ولا باطل كيف وأكثرهم جمادات لا سمع لها ولا بصر وان كان فيهم من كان له سمع أو بصر فلا يعلم خائنة الاعين ولا ما تخفى الصدور (ان الله هو السميع البصير) فهو الشاهد والحاكم جميعا (أ) يتوهمون انهم يعارضون الله بقوتهم (ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين) قصدوا معارضة الحق (كانوا من قبلهم) امتنعت عليهم معارضته مع انهم (كانوا هم اشد منهم قوة و) أشد (آثارا) كالقلاع الحصينة مما لا يقوى معها من له زيادة القوة (فى الارض) لكن لم يمكن معارضة لله عند مؤاخذتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله) مؤاخذته (من واق) أى مانع مما يمنع اولى القوة البشرية ولا يفارق كفار هذا العصر كفار ذلك العصر فى المعصية التى أخذوا عليها اذ (ذلك) الاخذ كان على تكذيبهم الرسل (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا) بالله وآياته ورسله اعتمادا على قوتهم وحفظ آثارهم (فاخذهم الله) لاظهار انه لا يعارض فى قوته وشدته (انه قوى) على الاطلاق (شديد العقاب) سيما من لا يبالى لشدته (و) ممن أخذه الله بقوته وشدته على دعوى معارضته بعد ارسال الرسل فرعون وهامان وقارون (لقد ارسلنا موسى بآياتنا) أى المعجزات الفعلية (وسلطان مبين) اى حجة قولية (الى فرعون) مدعى المعارضة بقوة الملك (وهامان) مدعيها بقوة العسكر (وقارون) مدعيها بقوة المال (فقالوا) فى معارضة الآيات الفعلية (ساحر) وفى معارضة الحجة القولية (كذاب فلما) رد معارضتهم بتعجيز السحرة والزام الحجة ورفع الشبه بحيث ظهر للعامة انه (جاءهم بالحق) المعلوم بالضرورة كونه (من عندنا) خافوا ان يتفق الناس على متابعته (قالوا) لا يمكن منع متابعته الا بابتلاء متابعيه باشد البلاء (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى اتركوهن احياء (و) لكن لم يمكن ذلك مانعا من ظهوره فانه (ما كيد الكافرين) فى دفع ما اراد الله من ظهور دينه (الا فى ضلال) فلم يبال المتابعون بهذا البلاء (وقال فرعون) عند عدم رؤيته مبالاتهم بهذا البلاء (ذرونى) اى اتركونى على رأيى قتل موسى فلا تعارضوه (اقتل موسى و) غاية ما فى قتله تأثير دعوته (ليدع ربه) فانى لا ابالى اهلاكى عن دعوته (انى اخاف) فى ترك قتله (ان يبدل دينكم) فلا يبقى من يتدين به (او ان يظهر) باجراء أحكامه (فى الارض الفساد) أى فساد مملكتى اذ يتفق الكل على متابعته (وقال موسى) انما تؤثرون فى باسم ربى أو اسم ربكم (انى عذت بربى وربكم من) تأثير شر

(قوله مماسة ومخالطة (قوله تعالى مشكاة) أى كوة غير نافذة (قوله مصباح) أى سراج (قوله معشار) أى عشر (مريه) شك (منسأته) بهمز وبغير همز عصاه وهى مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته وقيل نسأته ضربته بالمنساة وهى العصا (قوله عزوجل مرة) أى قوة وأصل المرة الفتل يقال انه لذو مرة اذا كان ذا

(كل) من أرادني بسوء من وصف (متكبر) يناقض مقتضى عبوديته وقد أنكر دوام ربوبية الله على نفسه لانه (لا يؤمن بيوم الحساب) فلا يبالي بما يحاسب عليه من التكبر على الله وآياته ورسله وقتلهم (وقال) في معارضة رأى فرعون (رجل) كامل لانه (مؤمن) مع انه من المتفقين على الكفر والعناد (من آل فرعون) لكنه أقرب الى النصح لكونه منهم ولم يظهر لهم ما يتوهمونه به اذ كان (يكتم ايمانه اتقتلون) أى اتريدون ان تقتلوا (رجلا) من أجل (ان يقول ربي الله) فيقرر ربوبيته المتضمنة ابطال دعوى فرعون ما علمت لكم من اله غيري لا لاجل رسالته فقط مع انه لم يقل هذه الكلمة من عند نفسه بل من اذن ربه (و) لذلك (قد جاءكم بالبينات) التى لا تتصور الا (من ربكم) لتصديقه (وان يك) مع هذا التصديق الالهى (كاذبا) مع عدم ما يدل على كذبه أصلا (فعليه كذبه) أى فهو مختص بضرر كذبه لو صدقتموه لتصديق ربه اياه ابتلاء له (وان يك صادقا) فى دعوى الرسالة (يصبكم بعض الذى يعدكم) لانه وان لم يجب تصديق كل وعيد لجواز العفو فلا بد من تصديق البعض اذ لا فائدة للارسال بدونه وقد ظهر ذلك لانه لو كان للابتلاء لم يكن مستقيم الاعتقاد والافعال ولا داعيا الى الخيرات فى العموم (ان الله لا يهدى من هو مسرف) فى السحر بحيث زاد على سحرة الدنيا لانه افضى الى التلبيس المحض اذ لا دليل على كذبه مع انه (كذاب) فى دعوى الرسالة فى زعمكم (يا قوم) ان أمكن لكم قتل الرسل اذ (لكم الملك اليوم) المفيد لكم قوة بجعلكم (ظاهرين) أى غالبين تأثيرا (فى) جميع أهل (الارض) حتى الرسل لكن قتلهم سبب قهر الله (فمن ينصرنا من بأس) أى قهر (الله ان جاءنا) على قتل رسوله مع انه لا معارض له فكأنكم تريدون تعجيل اهلاككم بقتله (قال فرعون ما أريكم) فى قتله (الا ما أرى) من الرأى الذى عرفتم اصابته اذ البأس السماوى من أجل قتله امر متوهم فاتباعه غلط (وما أهديكم) بارائة رأى قتله (الا سبيل الرشاد) وهو دفع تبدل دينكم واظهار الفساد فى الارض باظهار أحكامه المخل بمملكتى (وقال الذى آمن يا قوم) لا ضرر فى تبديل الدين الفاسد ولا يخاف فساد المملكة مع الايمان بل يتقرر بالتأييد السماوى ولكن يخاف فى قتله أشد مما جرى على الامم الماضية بمجرد التكذيب فان لم يكن أشد فلا أقل من المثل (انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى الطوائف الهالكة بالتكذيب (مثل داب) أى سنة (قوم نوح) من الغرق (وعاد) من الريح العقيم (وثمود) من الصيحة (والذين من بعدهم) مما يدل على ان الهلاك سنة مستمرة لاهل التكذيب اذ لم يكن لهم ذنب آخر يوجبه (و) لم تكن مؤاخذتهم بلا ذنب لانه (ما الله يريد ظلما للعباد) فضلا عن فعله وان كانوا املاكه (ويا قوم) لو لم يؤاخذكم فى الدنيا مثل مؤاخذتهم (انى اخاف عليكم) للمؤاخذة (يوم التناد) أى يوم القيامة الذى ينادى فيه بعضكم بعضا للاستغاثة لكن لا اغاثة (يوم تولون) أى يولى بعضكم بعضا ظهره لتصيروا (مدبرين) عنهم فلا تروا وجوههم لئلا تدعو رؤيته الى الاغاثة مع عجزهم عنها اذ (ما لكم من) عذاب (الله من عاصم) أى مانع لتقرر الحجة عليكم وان لم تقبلوها لان الله أضلكم (ومن يضلل الله فما له من

رأى محكم ويقال فرس مرأى موثق الخلق وحبل مرأى محكم الفتل (قوله عزوجل مرصاد ومرصد) أى طريق (قوله ان ربك لبالمرصاد) أى لبالطريق المعلم الذى يرتصدون به وقوله عز وجل ان جهنم كانت مرصادا اى معدة يقال أرصدت له بكذا اذا اعددته له لوقته والارصاد فى الشر ويقال رصدت له وأرصدت فى

هاد) من حجة ولا رسول (و) كيف لم يتقرر عليكم الحجة التى جاء بها موسى مع بيناته (لقد جاءكم) بها (يوسف من قبل) أى قبل مجئ موسى مؤيدة (بالبينات) ومع علمكم بكونه صديقا فى نفسه وقد صدقته بيناته (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) مع ظهور استقامته الكافية فى الدلالة على صحة ما جاءكم به فلم يزل يقررها (حتى اذا هلك) أى مات (قلتم) انقطعت حجج الله بموته لانه (لن يبعث الله من بعده رسولا) يقرر حججه فقطعتم من عند أنفسكم بعدم ارسال الله الرسول مع الشك فى ارسال من اعطاه البينات من افراط اضلاله اياكم (كذلك يضل الله من هو مسرف) فى التشكيك عند ظهور البراهين القطعية (مرتاب) مع ظهور لوائح اليقين وهم (الذين يجادلون فى آيات الله) المنسوبة الى عظمته (بغير سلطان أتاهم) من معارضة أو مناقضة أو نقض أو غير ذلك من القوادح فان الله يضله لا محالة لانه (كبر مقتا عند الله) وهو موجب للاضلال (و) يدل عليه انه كبر مقتا (عند الذين آمنوا) وهم المظاهر التى يصدق فيها ظهور الحق وانما كان موجبا للضلال لانه موجب للطبع ولا بعد فى ذلك اذ (كذلك) أى مثل طبع الله على قلوبهم (يطبع الله على كل قلب متكبر) لا يقبل الحجة (جبار) فى المجادلة فانه لا يكاد يظهر له الحق (وقال فرعون يا هامان) لما طبع الله على قلبهما من كبرهما وتجبرهما واسرافهما وارتيابهما (ابن لى صرحا) أى بناء ظاهرا لا يخفى على ناظر وان بعد (لعلى ابلغ الاسباب) أى الطرق التى لم يبلغها من سبقنى لكونها (أسباب السموات) لاصعد عليها (فأطلع الى اله موسى) لاسأله عن ارساله اياه (وانى لاظنه كاذبا) اذ ليس له مثل هذا الصرح فكيف اتصل به فبناه بناء لم يبلغ ارتفاعه بناء أحد فارتقى فرعون وأمر بنشابة فرمى نحو السماء فردت اليه ملطخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبريل فضربه بجناحه فوقعت قطعة على عسكره وأخرى فى البحر (و) كما زين لفرعون هذا الفعل مع ظهور فساده (كذلك زين لفرعون سوء عمله) مع علمه بفساده (و) لكن قصد بذلك التلبيس على العامة لانه (صد الخلق (عن السبيل) الذى خلقوا لسلوكه (و) لكن لم يتم له صده فى العموم لانه (ما كيد فرعون) عند خواص عباد الله (الا فى تباب و) لاظهار تبابه (قال الذى آمن يا قوم) لا تغتروا بكيد فرعون الذى فى تباب فانه يضلكم (اتبعون) على متابعة موسى (اهدكم) باهدائه (سبيل الرشاد) الذى خلقتم لسلوكه للوصول الى سعادة الابد (يا قوم) لو كان فرعون هاديا فانما يهدى الى ما لا بقاء له (انما هذه الحيوة الدنيا متاع) سريع الزوال (وان الآخرة) التى يوصل اليها سبيلى (هى دار القرار) التى يستقر فيها الجزاء سواء كان مثل العمل أو زائدا عليه والاول جزاء السوء (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) لكنها وان كانت أصلية استقر جزاؤها (و) الثانى جزاء الخير فان (من عمل صالحا) ولو واحدا (من ذكر) كمل عقله وفهمه لعلمه فاستكمله (أو انثى) فقصر (و) لكن جبر قصوره اذ (هو مؤمن فاولئك) لاجل ايمانهم (يدخلون الجنة يرزقون فيها) مع تفاوت درجاتهم بحسب أعمالهم (بغير حساب) ينقطع بانقطاعه والذى يحصل بمتابعة فرعون فقدر محسوب يفوت به ما لا يحصى ويعاقب به ما لا غاية

له

الطير والشجر جميعا

* (باب النون المفتوحة) *

(قوله عز وجل نكالا) أى عقوبة وتنكيلا وقيل معنى نكالا لما بين يديها وما خلفها أى جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتعظوا بهم (وقوله عز وجل فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أى غرقه فى الدنيا ويعذبه فى الآخرة

له (و) كأنه لما قال لهم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قالوا له اتبعنا تنج من ايذائنا فقال (يا قوم
مالى) أى أى حال حصل لى معكم اذ (أدعوكم الى) الايمان الذى هو سبب (النجاة) عن النار
(وتدعوننى الى) سبب الوقوع فى (النار) لانكم (تدعوننى) الى الاقرار بربوبية فرعون
(لا كفر بالله) بانكار ربوبيته (و) لولم تدعونى الى انكارها كنتم داعين الى ان (اشرك به)
فرعون وأقل ما فيه أن لا شبهة على شركه فضلا عن حجة فان كان بشبهة فلا شك انه اشرك
(ماليس لى به علم) أى دليل قطعى يكون لى عذرا وانكار ربوبية الله والشرك به سبب الوقوع
فى النار (و) انما كنت داعيا الى النجاة لانى ادعوكم الى الايمان بالله وهو مفيد للنجاة اذ (انا
ادعوكم الى العزيز) أى الغالب على ماسواه فلا يمكن غيره ان يوقع المتمسك به فى النار وهو
لا يوقعه لاتصافه بوصف (الغفار) ثم قال (لا) أجيبكم الى من تدعوننى اليه لانه (جرم) أى
تحقق (انما تدعوننى اليه) من الاقرار بربوبية فرعون عديم الفائدة (ليس له دعوة فى الدنيا)
لدفع الشدائد الامراض ونحوها (ولا فى الآخرة) لدفع أهوالها وكفى بذلك مانعا
(و) كيف تدعوننى اليه وقد تحقق (ان مردنا الى الله) وفى دعوة ماسواه عدوانه فكيف نعادى
من اليه المرد لاجل من لا مرد اليه (و) لولم يكن اليه المرد فلا شك ان فى دعوة ماسواه اسرافا
فى التذلل وقد تحقق (ان المسرفين هم اصحاب النار) زيادة فى اخزائهم الذى اختاروه فان
زعمتم ان لدعوة فرعون أثرا هو عطاياه الدنيوية وان لنا اليه مردا فى الاخذ والحكومات
والرد الاخروى أمر متوهم وأنت المسرف فى الخوف من ذلك الامر المتوهم وانك يخاف
عليك ايذاء فرعون وقومه (فستذكرون) عند رؤية تلك الشدائد (ما أقول) فيما انصح (لكم)
انه لا عبرة لعطايا فرعون يومئذ ولا للرد اليه وان الرد الاخروى الى الله أمر محقق وانه أحق
بشدة الخوف منه (و) لا أخاف أذية فرعون وقومه اذ (افوض امرى الى الله) الذى لا يسلط
من يتكبر عليه على من يفوض أمره اليه بعد الاخلاص معه (ان الله بصير بالعباد) فلا
يسلط بعضهم على بعض الا بمقتضى بصارته (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد
ما أرادوا به من الشر قيل أمر فرعون بطلبه ففر الى جبل فاتبعه طائفة من آل فرعون
فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (وحاق بآل فرعون) أى احاط
بالطالبين له من قومه (سوء العذاب) قتل فرعون فى الحال وقتل النار فى البرزخ والقيامة اذ
(النار يعرضون) بعد جعل أرواحهم فى اجواف طير سود (عليها) فى البرزخ (غدوا وعشيا)
فتقتلهم كل يوم مرتين (ويوم تقوم الساعة) يستمر عليهم ما هو أشد من القتل اذ يقال لهم
(ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) على انكار ربوبية الله والاقرار بربوبية عدوه وارادة
قتل رسوله ومن نصح بما بعثه من أوليائه بعد ظهور الآيات والكرامات (و) لا تندفع الشدة
عن الآل بكونهم اتباعا (اذ يتحاجون) لدفعها مع تحمل البقاء (فى النار فيقول الضعفوا)
الذين يشبهون المضطرين (للذين استكبروا) فاستتبعوهم بما يشبه القهر (انا) لم نختر هذا
الكفر بانفسنا بل (كنا لكم تبعا) فيه فكنا كالمضطرين فيه (فهل أنتم مغنون) أى دافعون

وفى التفسير نكال
الآخرة والاولى نكال
قوله ماعلمت لكم من اله
غيرى وقوله أنا ربكم الاعلى
فنكل الله به نكال هاتين
الكلمتين (قوله عز وجل
ننسخ من آية) النسخ على
ثلاثة معان احدهن نقل
الشئ من موضعه الى موضع
آخر كقوله تعالى انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون
والثانى بنسخ الآية بان يبطل

(عنا نصيبا) أى جزأ (من) شدة (النار) بتحمل أوشفاعة (قال الذين استكبروا) فوقع عليهم
من الشدة مالم يقع على غيرهم (انا كل فيها) فلو لم يكن عذابنا أشد من عذاب الاتباع لم يكن لنا
تحمل شدة فوق شدة ولم يتأت منا شفاعة مع كوننا فى محل الغضب وكيف تحكمون بالزيادة فى
عذابنا والنقص فى عذابكم على خلاف حكم الله (ان الله قد حكم) حكما فاصلا (بين العباد)
بما تكون الزيادة عليه ظلما (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين لما أيسوا من
التخفيف عند المحاجة (لخزنة جهنم) الذين علموا انهم ليس من شأنهم الترحم ان لم ترحمونا
بانفسكم لما فيها من مخالفة أمر الله بالتشديد علينا (ادعوا ربكم) ان لم يعف عنا (يخفف عنا)
فان لم يخفف دائما يخفف (يوما) فان لم يخفف فى جميع الانواع يخفف فى نوع (من العذاب
قالوا) انما يكون لنا الدعاء لمن لم يسبق علمه بهذه الشدة الدائمة (أ) ما علمتموها (ولم تك تأتيكم)
مرة بعد اخرى (رسلكم) ببيان دوام هذه الشدة مقرونة (بالبينات) المتكاثرة على صدقهم
(قالوا بلى) جاؤا واخبروا بها مع البينات (قالوا فادعوا) ان كان ينفعكم (و) لكن (ما دعؤا
الكافرين) الذين هم محل الغضب بعد الوصول الى مكانه (الا فى ضلال) أى ضياع وكيف
يقبل دعاؤهم وفيه نصرهم على الرسل والمؤمنين على خلاف ما وعدنا (انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا) باهلاك الكافرين (فى الحيوة الدنيا ويوم) القيامة اذ يكذبون الرسل فحينئذ
(يقوم الاشهاد) على تبليغهم الرسالة وتكذيبهم ظلما بحيث لا يبقى لهم عذر فكيف ينصر
الظالمين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و) كيف والنصر والنفع رحمة (لهم اللعنة و) كيف
يخرجهم عن اللعنة ولا عاصم لجهنم سواهم اذ (لهم سوء الدار) ولا بد لها من عامر بمقتضى
القهر الالهى (و) كيف لا تنصرهم بعد ما نصرناهم بالدلائل وقد جمعنا بين النصرين فى حق
موسى فانا (لقد آتينا موسى الهدى) اقامة الدلائل على مطالبه مع نصرنا اياه على فرعون
وقومه باهلاكهم (و) نصرنا موسى قومه بالدلائل نصرا مستمرا اذ (اورثنا بنى اسرائيل
الكتاب هدى) يستدلون به على بعض مطالبهم (وذكرى) لدلائل لم ينص عليها يستدلون بها
فى البعض الآخر لكنه (لاولى الالباب) منهم خاصة واذا كان الله تعالى ناصر الموسى
بالنوعين وقد حصل لك النصر بالحجج وأنت أفضل منه وامتك أفضل من امته (فاصبر) على
تكذيبهم واذيانهم (ان وعد الله) بنصرك عليهم بتعذيبهم الدنيوى والاخروى (حق واستغفر
لذنبك) فى استعجاله قبل وقته (وسبح) أى نزه ربك من ان يكون تأخيره لهذا الوعد بلا حكمة
فاجعله مقرونا (بحمد ربك) على رعايته للحكمة فان فى تأخيره حكمة فى حق المحجوبين
(بالعشى) لعلهم يرجعون وقت كشفه (و) المكاشفين اذ يرون حكمته فى (الابكار) وكيف
لا يوثق بوعد النصر بعد اقامة الدلائل التى لا دخل للمجادلة الصائبة فيها بل انما تكون باطلة
عن كبر يوجب القهر ولو لم يكن فى آيات الله (ان الذين يجادلون فى آيات الله) لم يكن لهم ان يجادلوا
فيها لو نسبت الى غير الله لان جدالهم (بغير سلطان) أى دليل قاهر (أتاهم) قادحا فى أدلة الانبياء
مع ذهولهم عنه (ان فى صدورهم) أى ما فى قلوبهم من دواعى المجادلة (الا كبر) هو موجب

حكمها ولفظها متروك
كقوله عز وجل قل للذين
آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله لقوله
واقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم والثالث أن
تقلع الآية من المصحف ومن
قلوب الحافظين لها يعنى
فى زمن النبى صلى الله
عليه وسلم ويقال ما ننسخ
من آية أى نبدل ومنه
قوله عز وجل واذا بدلنا

لله هو ولم يكن فى آيات الله فكيف علم او ليس منشؤه توهم علوهم عليها بل (ماهم ببالغيه) لعلهم باعجازها لكن يوسوس لهم الشيطان انهم يقدرون عليها (فاستعذ بالله) أن يحصل لك مثل وساوسهم (انه هو السميع) لاستعاذتك وساوسه (البصير) بمداخله فيمكنه سدها عليه وكيف يخلف الله وعدك بالنصر الاخروى عليهم وغاية مافيه انه يتوقف على بعثهم ولاصعوبة فيه بل (لخلق السموات والارض) من غير مادة سابقة عليهما (أكبر من خلق الناس) من مادة سابقة (ولكن أكثر الناس لايعلمون) فيجعلون اعادة الشئ أعظم من خلقه عن عدم (و) كيف يترك البعث مع عدم صعوبته وقد اقتضته الحكمة فانه مايستوى العالم والجاهل كما أنه (مايستوى الاعمى والبصير) لكن كثير من الجهال أحسن حالا فى الدنيا من كثير من العلماء (و) كذلك مايستوى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والذين كفروا وعملوا القبائح فان الاولين كمحبى الملوك المراعين رضاه والآخرين كاعدائه المجترئين على مكارهه (و) كيف ينكر الفرق بينهما مع الاتفاق على انه (لا) يستوى (المسيء) والمحسن فالحكمة تقتضى الفرق والله تعالى يراعيها فى جميع أفعاله عند من تذكر فيها لكن (قليلا ماتتذكرون) فاذا تذكرتم وعلمتم انها لم توجد فى هذه الامور فى الدنيا فلابد من وجودها فى الآخرة (ان الساعة لآتية) لمراعاة الحكمة فيما اختات (لاريب فيها) اذ لايرتاب فى رعاية الحكيم اياها فى جميع أفعاله فهذه النكتة توجب الايمان بها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون و) كيف يشك فى الساعة مع انه لايستجاب لكثير من الناس فى الدنيا دعوتهم بعدما (قال ربكم ادعونى أستجب لكم) لان الدعاء من العبد غاية فى التذلل لربه وهو محبوب لربه فاذا أتى العبد بمحبوب الرب عظمه بالاستجابة واذ لم يستجب له فى الدنيا عوضه فى الآخرة ولحبه التذلل أمر العباد بالعبادة فان استكبروا اذلهم غاية الاذلال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم) دار الذلة (داخرين) ذاما بين ذلا لايعقبه عز أبدا وكيف لايلزم العباد عبادته وقد أنعم عليهم بما يقتضى شكره بالعبادة وأقله خلق الليل والنهار اذ (الله الذى جعل لكم الليل) مظلما (لتسكنوا فيه) وتستريحوا فتنشطوا للاعمال (والنهار مبصرا) لتتحركوا فيه لتحصيل الاكساب الدينية والدنيوية فقد تفضل الله عليكم بهما وبما فيهما (ان الله لذو فضل على الناس) ليشكروه بعبادته (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ولو لم يتفضل عليكم بشئ لكان مستحقا للعبادة اذ (ذلكم) العالى بالذات لانه (الله) الجامع للكمالات التى من جملتها استحقاق العبادة مع انه (ربكم) الذى رباكم بجميع أسرار الموجودات فيكم كيف وهو المنعم عليكم بسائر النعم لانه (خالق كل شئ) حادث اذ لابد له من محدث ولا محدث سواه اذ (لا اله الا هو) لكنكم تنسبون بعض الاشياء الى اسبابها التى لاتؤثر الا به (فأنى تؤفكون) أى فكيف تصرفون من المؤثر بالذات الى المؤثر بالغير لو كان له أثر ثم أشار الى انه يشبه افك المعطلة اذ (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وكيف يجحدون آيات الله مع عظمها اذ (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مع ان اجسام العالم متحركة دائما لتستدلوا به على استقراره على ما كان عليه فى الازل (والسماء

آية مكان آية (قوله ننسأها) ونسمها من أوخرها) (قوله عز وجل النسيان (قوله نبخس) أى تنقص (قوله عز وجل نبتهل) أى نلتعن أى ندعو الله على الظالمين (قوله عز وجل نطمس وجوها) أى نمح مافيها من عين وأنف (قوله عز وجل فنردها على أدبارها) أى نصيرها كأقفائها والقفا هو دبر الوجه (قوله

بنا٤) مع ان نقله يقتضي سقوطه استدلوا به على ارتفاع شأنه على سائر الموجودات (وصوركم) صورة جامعة لامور كثيرة مع انكم من مادة واحدة لتستدلوا على ان هذه الكثرة انما حصلت من ذلك الواحد (فأحسن صوركم) بجعل كل عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع به فتستدلوا بذلك على كمال حكمته (ورزقكم من الطيبات) لتستدلوا بذلك انه يطلب ميلكم اليه لتعبدوه فهذه الدلائل دالت على انه (ذلكم) المدلول بها هو (الله) الجامع للكمالات كلها مع انه (ربكم) الذي رباكم بتلك الكمالات واذا كانت له هذه الكمالات من ذاته فلا حاجة الى الاسباب (فتبارك الله) لكنه خالق الاسباب لانه (رب العالمين) وهو وان رباها فليس لها أثر اذ لا حياة لها من ذواتها بل (هو الحي) بالذات اذ الحياة مرجع صفات الالهية فلا تكون لغيره بالذات اذ (لا اله الا هو) فلا تأثير لغيره بالذات فلا يستحق العبادة غيره اذ هي للمؤثر بالانعام والانتقام عن اختيار كامل يتوقف على الحيوة بالذات (فادعوه) وانعامه بالاخلاص وانتقامه بتركه فكونوا (مخلصين له الدين) وكيف لا تخلصون له الدين مع انه المستقل بجميع التأثيرات لذلك يقال فيه (الحمد لله رب العالمين) فان زعموا ان ربوبيته للعالمين بوسايط الاسباب في البعض وبدونها في البعض وبذلك استحق جميع المحامد فصار معبودا بالذات وبالظهور في الاسباب جميعها فأكمل العبادات أن نعبده باعتبار ذاته وباعتبار مظاهره (قل) لو كانت عبادته بالاعتبارين كمالا كنت مأمورا بعبادة معبوديكم وليس كذلك بل (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) لانها تذلل الاعلى للادنى أما دونهم فلكونهم (من دون الله) واما علوى فلأني (لما جاءني البينات) التي لم تجئهم كنت أعلى منهم اذ دلت على قربي (من ربي و) لم أصر بها مستحقا للعبادة اذ (أمرت أن أسلم) له على انه لو اعتبر الاسلام لظهوره في المظاهر فلا يختص بذلك مظهر دون آخر بل يجب الانقياد (لرب العالمين) ولا تتنزل المظاهر الكلية منزلة رب العالمين اذ اعظم المظاهر الانسان وفيه من وجوه النقص ما يمنع من استحقاقه للعبادة وانما يعبد من نقله من النقص الى الكمالات وبالعكس اذ (هو الذي خلقكم من تراب) هو أدنى البسائط العنصرية (ثم من نطفة) هو أدنى المياه (ثم من علقة) هو أشبه بالهواء (ثم يخرجكم طفلا) هو أشبه بالجمادات (ثم) يربيكم نماء النباتات (لتبلغوا أشدكم) فتكمل فيكم الحيوانية (ثم) يحطكم (لتكونوا شيوخا) فتعودوا الى ما يشبه الجمادات (ومنكم من يتوفى) فيصير جمادا (من قبل) .أي من قبل أن يصير شيخا (و) من ترك فانما يترك للمصير الى الجمادية (لتبلغوا أجلا مسمى) ثم تصيروا جمادا (و) انما فعل ذلك (لعلكم تعقلون) ان المظاهر وان بلغت ما بلغت من الكمال ففيها من النقص السابق أو اللاحق ما يمنع من استحقاق العبادة وكيف يستحق الغير العبادة مع انها اما للشكر على النعم وأجلها الحياة وهي من الله اذ (هو الذي يحيي و) اما للخوف وأجله خوف العاقبة وهو منه اذ هو (يميت فـ) له القدرة التامة على كل مرجو ومخوف لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ثم ان المظاهر الكاملة انما هي آيات الله لكنهم يجعلونها

عز اسمه نقيرا) النقير النقرة التي في ظهر النواة (النطيحة) أي المنطوحة حتى ماتت (قوله عز وجل نقيبا) أي ضمينا وأمينا والنقيب فوق العريف (قوله تعالى النعم) هو البقر والابل والغنم وهو جمع لا واحد له من لفظه وجمع النعم انعام (قوله نفقا في الارض) أي سربا في الارض

من السحر وهو نقص ويجعلون المظاهر الكاملة أصنامهم (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) فيجعلونها من السحر (أنى) أى كيف (يصرفون) ولو أمكن توهم ذلك فى الآيات الفعلية لم يمكن فى الآيات القولية كالكتاب ويقرب منه أقوال الرسل فظهر بتهما حكم المظاهر حتى كان الخارج عليهما كالخارج على الله ولذلك قال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) فهم وان لم يعلموا ان تكذيبهم لها يتنزل منزلة تكذيب الله المستلزم للخروج عليه (فسوف يعلمون) ذلك حين ما يفعل بهم ما يفعل بالخارجين على السلاطين (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) فى أيديهم وأرجلهم (يسحبون) أى يجرون معهما (فى الحميم) أى الماء الحار لدفعهم برد اليقين من دلائل الكتاب والسنة (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون لاحراقهم الادلة العقلية والنقلية (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) فكنتم تجعلونها مشاركة للمظاهر فيها لينصروكم (قالوا ضلوا عنا) فلا ينصروننا ثم بعد ما تكلموا بما يتضمن الاقرار بعبادتهم ينكرونها بقولهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) وذلك من افراط حيرتهم (كذلك يضل الله الكافرين) فيحيرون فى الدلائل القطعية من العقل والنقل بل كانوا يرجحون شبهاتهم عليها فيفرحون بها لذلك يقال لهم (ذلكم) العذاب (بما كنتم تفرحون) حين كنتم مستغرقين (فى) أمر (الارض بغير الحق) من الشبهات الواهية (وبما كنتم تمرحون) أى تختالون بايراد الشبهة فى دفع الحق فأوجب ذلك دخولكم فى عداوة الله (ادخلوا أبواب جهنم) التى للداخلين فى عداوة الله مع الاستكبار عليه وعلى آياته وكتبه ورسله (خالدين فيها) بحيث تكون مأواكم على الابد (فبئس مثوى المتكبرين) وهذا وان اقتضى استعجال العذاب عليهم (فاصبر) الى وقت مجيئه فانه فى حكم الموجود لكونه من موعود الله (ان وعد الله حق) ولكن لا يتعين له زمان (فاما نرينك) أى يتحقق اراءتك فى الدنيا (بعض الذى نعدهم) لا كله لعدم انقطاعه مع أن الدنيا منقطعة (أو نتوفينك) قبل الاراءة (فالينا يرجعون) فيحصل لهم جميع المواعيد على أكمل الوجوه (و) لو فرض كذب وعدنا مع رسول واحد فكيف يتصور مع من لا ينحصر من الرسل فانا (لقد أرسلنا رسلا من قبلك) أولى عدد فائت للحصر (منهم من قصصنا عليك) لتقف على ما وفينا لهم من وعد النصر اياهم فى الدنيا (ومنهم من لم نقصص عليك) لما فيه من التطويل مع ان قصصهم تناسب قصة المذكورين فتقل الفائدة فى ذكرهم (و) لم يتوقف صدق مواعيدهم على اتيانهم بالآيات المقترحة فانه (ما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فلا يأذن الا اذا علم ايمان المقترح له أو أراد اهلاكه (فاذا جاء أمر الله) عند عدم الايمان بالآية المقترحة بعد اتيانها (قضى بالحق) من المؤاخذة بعد تقرير الحجة المقترحة لهم (وخسر هنالك المبطلون) فوائد اتباع الآيات من المنازل الرفيعة وزاد خسرانهم باقتراح الآيات وترك متابعتها ولو لم يؤاخذوا على تكذيب الآيات الظاهرة على أيدى الانبياء فكيف يتركون على تكذيبهم الآيات فى الآفاق الدالة على التوحيد

(قوله عز وجل نتقنا) أى رفعنا الجبل فوقهم وينشد ينتق أقتاد الشليل نتقا أى يرفعه على ظهره والشليل المسح الذى يلقى على عجز البعير ويقال نتقنا الجبل أى اقتلعناه من أصله فجعلناه كالظلة على رؤسهم وكلما اقتلعته فقد نتقته (قوله نكدا) معناه قليلا عسرا (قوله عز وجل نبأ) أى خبر

بشركهم فمن دلائل التوحيد ان رب الكل واحد لارتباط البعض بالبعض حتى الحيوانات فربكم ورب الانعام واحد (الله الذى جعل لكم الانعام) مسخرة (لتركبوا) على بعض (منها) لقتال الاعداء والفرار منهم (ومنها تأكلون) ليبقى قوام أبدانكم (ولكم فيها منافع) تشبه الاكل كالألبان وتشبه القتال والفرار كالجلود والاوبار (و) فى الركوب فائدة أخرى وهى (لتبلغوا عليها حاجة) لاتحصل فى بلدكم وتبقى (فى صدوركم) من الاكل والتزوج والتجارة وقتل العدو (و) لم يضيق فيها بتعين طريق بل جعل للوصول اليها طريقين طريق البر وطريق البحر (عليها) فى طريق البر (وعلى الفلك) فى طريق البحر (تحملون) فتحت يده جميع هذه الامور المختلفة فهو اله واحد للكل (ويريكم) فى الآفاق مع هذه الآية سائر (آياته) الدالة على وجوده وتوحيده وصفاته وأفعاله (فأى آيات الله تنكرون أ) ينكرون معاقبته على انكار آياته (فلم يسيروا فى الارض) التى فيها آثار المعاقبين على انكار آيات الله (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا آيات الله (من قبلهم) ولم يكن ذلك عن قلتهم اذ (كانوا أكثر منهم و) لاعن ضعفهم اذ كانوا (أشد قوة و) لاعن عدم تحصنهم اذ كانوا أكثر وأشد (آثارا) كالحصون والقصور لكنها انما تفيد فى مقابلة من يقتصر على تصرفه (فى الارض) وأما من يتصرف فى السماء فلا يفيد فى مقابلته شئ من ذلك ولاغيره (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) مما لايدفع به الامر الارضى ولا السماوى من الحضارات وغيرها ولم يكن ذلك لقصورهم فيها بل قد بلغوا فيها الى حيث رجحوا علومهم على علوم الانبياء (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) من علومهم (فرحوا بما عندهم من العلم) حتى استهزؤا بالرسل من عدم تلك العلوم عندهم فأخذوا بذلك الاستهزاء (وحاق بهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) من علومهم فلم تنفعهم تلك العلوم وقد كانت تلك العلوم ولحوقهم بالشياطين فى شركهم (فلما رأوا بأسنا) فانهزمت عنهم الشياطين (قالوا آمنا بالله وحده) اذ هو الذى أفاض تلك البينات من العلوم القاهرة لعلوم الشياطين (وكفرنا بما كنا به مشركين) من تلك الشياطين المفيضة لعلومهم اذ صاروا مقهورين أيضا فهذا الايمان وان كان دافعا للبأس قبل مجيئه (فلم يك ينفعهم ايمانهم) بعد تأثير كفرهم (لما رأوا بأسنا) والمانع فى اثناء التأثير وان كان قاطعا للاثر فى سائر الاسباب فليس الايمان بقاطع لأثر الكفر بعد البأس لكونه (سنت الله التى قد خلت فى عباده) اذ لايبقى بدون ذلك للتصديق من الكفر معنى (و) الايمان وان كان رابحا قبل ذلك بساعة لطيفة (خسر هنالك) بمجرد مجئ البأس (الكافرون) الى ذلك الوقت ففاتتهم سعادة الابد وحصلت لهم شقاوته والعياذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم السجدة)

سميت بها لاشتمالها على آية سجدة تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية وان الله يستحق بذاته أجل العبادات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى تنزيله

(الرحمن)

ومنه تقت المرأة اذا كثرت الولد أى تقت مافى رحمها أى اقتلعته اقتلاعا قال النابغة.
لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم
طفحت عليك بناتق مذكار
(قوله عز وجل نكص على عقبيه) أى رجع القهقرى
(قوله عز وجل نكثوا) أى نقضوا (قوله تعالى نحس) أى قذر ونجس أى قذر

(الرحمن) بتفصيل آياته (الرحيم) بجعله قرآنا عربيا (حم) أى حاوى الكمالات وماحى النقائص أو الحلاوة والملاحة أو الحياة والمناصب أو الحب والمكانة (تنزيل) لصفة كلامه الازلى (من الرحمن) المنعم بجلائل النعم (الرحيم) المنعم بدقائقها فمن الجلائل التجلى بالصفات الالهية التى هى الكمالات المطلقة الماحية لصفات الحوادث التى هى النقائص وتكميل القوة النظرية والعملية ورفع نقائصهما وفى ذلك حلاوة للمتصف بها وملاحة فى النظر اليها وبذلك كمال الناطقة بأنوار الحياة الازلية وسائر الصفات المفيدة للمناصب العالية ثم فى الاتصاف بها المناسبة مع الله الموجبة لحبه الموجب للمكانة عنده ومن الدقائق جزئيات هذه الامور وما يترتب عليها من الفروع ومعنى تنزيلها اظهورها بظهر جامع هو (كتاب) مجمل (فصلت آياته) بالاشتمال على جميع المطالب الدينية والحقائق اليقينية مع الدلائل العقلية والنقلية مع كونه (قرآنا) اجتمع فى ألفاظه اليسيرة معان غير محصورة وانما تيسر فيه ذلك لكونه (عربيا) يتيسر فيه من جميع الفوائد ما لا يتيسر فى غيره لكن الاطلاع على ذلك انما هو (لقوم يعلمون) مقداره وكيفية الاستخراج منه بعد اطلاعهم على أكثر العلوم ويدعوهم اليه كونه (بشيرا) للناظرين فيه والمستخرجين منه (ونذيرا) للمعرضين عنه لكنه لما كان من الرحمن الرحيم اغتر برحمته الجهال وهم الاكثر (فأعرض أكثرهم) لظنهم انهم مرحومون بكل حال وان عاندوه (فهم لا يسمعون) ما اللّه اندفيه وان الرحمة الرحمانية والرحيمية انما هى للناظر فيه والمستخرج منه والعامل به (وقالوا) انما لا نصغى اليه لانه لا يصل الى قلوبنا اذ (قلوبنا فى أكنة) فهى محجوبة (مما تدعونا اليه) من الامور الاخروية اذ لا نراها فلا تصدق بها (و) القلوب وان كانت تصدق كثيرا من الغائبات عند سماعها فلا تسمع هذه المغيبات اذ (فى آذاننا وقر) أى ثقل لمخالفته ما ألفناه (و) لو لم يكن فيها وقر فانما نسمع ممن عرفنا حقيته لكن (من بيننا وبينك حجاب) فلا نعرف حقيتك فان كشف لك عن حقيته (فاعمل) بموجبه (اننا عاملون) أعمالا ألفناها واعتمدنا فيها على رحمته الرحمانية والرحيمية (قل) قولكم قلوبنا فى أكنة ليس بعذر فان غايته انه حجاب البشرية ورفعه ممكن (انما أنا بشر مثلكم) لكن رفع عنى حجاب البشرية فصرت بحيث (يوحى الىّ) لا من جهة الشياطين لانه شرك ووحى توحيد (أنما الهكم اله واحد) وحجاب البشرية يرتفع بالاستقامة (فاستقيموا) فى الاعمال الموصلة (اليه واستغفروه) على الحجب الظلمانية التى من جملتها حب المال الداعى الى البخل سيما اذا انضم الى الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة و) لو أتوها لم تفدهم اذ (هم بالآخرة هم كافرون) فان افادتهم فانما تفيدهم أجرا دنيويا منقطعا بخلاف أجر أعمال المؤمن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير منقطع لان عمله هدية مقبولة عند ملك الملوك الذى لا غاية لعظمته ولا لبقائه ولا لعطائه فان زعموا أن أجرهم من اعتمادهم على رحمته الرحمانية والرحيمية أيضا غير ممنون (قل)

فاذا قيل رجس نجس أسكن على الاتباع (قوله تعالى النسىء زيادة فى الكفر) النسىء تأخير تحريم المحرم وكانوا يؤخرون تحريمه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال ثم يردونه الى التحريم فى سنة أخرى كأنهم يستنسئونه ذلك ويستقرضونه (قوله عز وجل نقموا) أى كرهوا

ان شرككم انكار لرحمانيته ورحيميته وانه لعدم كفايته وحده (أئنكم لتكفرون) من اعتقاد عدم الكفاية (بالذى خلق الارض) أى عالم العناصر (فى يومين) يوم لمادتها ويوم لصورتها الجسمية فتجعلونه غير كاف فى التكوين والافساد فيها (و) لذلك (تجعلون له أندادا) أى أمثالا ومتى يتصور له الامثال مع انها حادثة مربوبة (ذلك رب العالمين و) لكن من كمال تربيته جعل البعض أسبابا للبعض لذلك (جعل فيها رواسى) جبالا رفيعة (من فوقها) لتستقر بثقلها فلا تحركها رياح ولا مياه (و) باستقرارها استقرت الحيوانات اذ (بارك فيها) بايجاد الحيوانات (وقدر فيها) لاستقرار بقاء الحيوانات الى آجالها (أقواتها) فى يومين يوم للحيوانات ويوم للاقوات فصار الكل (فى أربعة أيام) ولم يجعل لمادة كل عنصر يوما لاتحادها فيها ولا لصورتها النوعية اذ هى فى حكم الاعراض المتزايلة ولم يجعل للجبال يوما ولا للمعادن لانهما من اجزاء الارض فكانت هذه الايام (سواء) أى مستقيمة فى الجواب (للسائلين) عن عدد أيام الشؤن الكلية الالهية (ثم) لما كان الكون والفساد فى هذا العالم منوطا بالاوضاع الفلكية بمقتضى السنة الالهية من غير حاجة (استوى الى) تصوير (السماء و) قد وجدت مادتها (هى دخان) حصل من ضرب الريح الماء الذى كان عليه العرش وحصل منه أيضا زبد هو مادة الارض (فقال لها وللارض ائتيا) لما فيكما بالقوة الى الفعل (طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وان كان فيها ما يؤدى الى النقص طلبا للرضاء ولما لم يتم الكون والفساد الا باختلاف الاوضاع ولا اختلاف الا بتكثير السموات ولابد من احكامها لتبقى دهورا (فقضاهن) أى أحكمهن بازالة رخاوة الدخان (سبع سموات فى يومين) يوم للفلك ويوم للكواكب ولم يجعل لمادتها يوما لانها كمادة الارض فدخلت فى يومها (وأوحى فى كل سماء أمرها) لتختص كل سماء بتأثير مع تأثير الاوضاع المختلفة (و) جعلناها محل النظر اذ (زينا السماء الدنيا بمصابيح) معلقة بها وبما فوقها ليكون داعيا الى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته وجماله (و) جعلنا النظر حفظا عن الوساوس الشيطانية كما جعلنا المصابيح (حفظا) لاخبار السماء ولم يكن ذلك لحاجة له الى الاسباب بل (ذلك تقدير العزيز) أى الغالب على كل شئ لكن اقتضى علمه ترتيب بعض الامور على بعض بمقتضى اسمه (العليم فان أعرضوا) عن هذا الاستدلال وعن الايمان بهذا العزيز العليم (فقل أنذرتكم) مع العذاب الاخروى عذابا شديد الوقع يشبه (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) لانكم مثلهما فى العناد ومثل عاد فى الاستكبار ومثل ثمود فى استحباب العمى على الهدى اما عنادهم فهى (اذ جاءتهم الرسل) مبينين لهم ما يكون (من بين أيديهم) من الرجوع الى الله عز وجل والثواب والعقاب (و) ما كان (من خلفهم) من المبدا وما جرى على الكفار السابقين قائلين لهم (ألا تعبدوا الا الله) الذى منه المبدا واليه المعاد (قالوا) انما نسمع قولكم لو صحت رسالتكم لكنها من المحالات الصريحة اذ (لو شاء ربنا) ارسال رسول (لانزل) من عنده (ملائكة) كما يفعله الملوك فى الارسال

(قوله غاية الكراهية) (قوله نسوا الله فنسيهم) أى تركوا الله فتركهم (قوله نكرهم) وانكرهم عز وجل واستنكرهم بمعنى واحد (قوله تعالى نذير) بمعنى منذر أى محذر (قوله نرتع ونلعب) أى ننعم ونلهو ومنه القيد والرتعة يضرب مثلا فى الخصب والجدب ويقال نرتع نأكل ومنه قول الشاعر

الى

الى بعض قراه فانه لايرسل اليها من هو فيها فانه غير معقول فاذا استحالت رسالتكم (فانا بما أرسلتم به) من عبادة الله وحده (كافرون) هذا ما اشترك فيه الفريقان وأما الذى افترقا فيه (فأما عاد فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) لا بالحق على ماسواه بل (بغير الحق و) هو قوة أنفسهم اذ (قالوا من أشد منا قوة) نخاف عذابه لو تركنا عبادته أو عبدنا معه غيره (أ) ذهلوا عن قوة الله (ولم يروا أن الله الذى) أعطاهم القوة اذ (خلقهم) بجميع اعراضهم (هو أشد منهم قوة) اذ أثر فى نفس قوتهم بقوته لكن انما يعرفه الناظر فى الدلائل (و) هؤلاء (كانوا بآياتنا) التى هى أقوى الدلائل (يجحدون) والمنكر لعذابه تمسكا برحمته كأنه يدعى انه أقوى منه بهذا التمسك وقد زعم بعضكم أنه أقوى من الزبانية (فأرسلنا عليهم) لدعواهم القوة (ريحا صرصرا) أى شديد الصوت فى هبوبها وتأكدت شدتها بكونها (فى أيام نحسات) تسلب عنهم سعادة القوة لو كان لها مقاومة الريح (لنذيقهم عذاب الخزى) بالدفن فى التراب مع كونهم (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة) على استكبارهم (أخزى وهم لا ينصرون) بقوتهم التى استكبروا بها (وأما ثمود فهديناهم) باخراج الناقة من الصخرة الى البعث (فاستحبوا العمى على الهدى) بحبهم دوابهم التى كانت تحجبهم عن الله بكونها أسباب المعاش وكانت تهرب من الناقة لعظمها فتموت بالبرد فى الشتاء لكون الناقة بأعلى الوادى وبالحر فى الصيف لكونها بأسفله فذبحوا الناقة وان كان يحصل لهم منها ما يحصل من دوابهم (فأخذتهم صاعقة) أى شدة (العذاب الهون) لارادتهم ترجيح دوابهم على ناقة الله (بما كانوا يكسبون) من التكبر بدوابهم على من سواهم مع تكبرهم على آيات الله ورسله (و) يدل على ذلك انا (نجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من عذابهم مع مخالطتهم اياهم (و) كما أنذرتكم صاعقة عاد وثمود فى الدنيا أنذرتكم صاعقتهما (يوم يحشر) أى يجمع لمزيد الفضيحة بين الاولين والآخرين (أعداء الله) المشركون والجاحدون كمن أشرك بملك البلد غيره أو جحده ليضاربهم معها (الى النار فهم) ينكرون عداوته ومخالفته لذلك (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتم الزام الحجة عليهم بين جميعهم فلا يبقى لهم مقال لانهم لا يزالون يجادلون عن أنفسهم (حتى اذا ما جاؤها) فبالغوا فى انكار المخالفة (شهد عليهم سمعهم) بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها وسمعوا الشبه فاتبعوها وسمعوا الفواحش فاستحسنوها (وأبصارهم) بأنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ورأوا القبائح فاختاروها (وجلودهم) بأنهم باشروا المعاصى فوصل أثرها الى القوة اللامسة منهم فيشهد كل عضو وجزء (بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم) المدركة ألم العذاب الذى لا يدركه السمع والبصر (لم شهدتم علينا) بما يوجب ايلامكم (قالوا أنطقنا الله) بهذه الشهادة فى الباطن أولا كما انه (الذى أنطق كل شئ) فى الباطن بتسبيحه (و) أظهره الآن عليكم كما فعل فيكم بتوحيده اذ (هو خلقكم أول مرة) موحدين ثم ستر عليكم التوحيد ثم أظهره عليكم اليوم (و) ذلك حين (اليه

ويحيينى اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمى رتع
أى أكله ونرتع أى نرتع ابلنا
وترتع أى ترتع ابلنا ونرتع
بكسر العين نفتعل من
الرعى (قوله تعالى نستبق)
نفتعل من السباق أى
يسابق بعضنا بعضا فى الرمى
(قوله عز وجل تخذه ولدا)
أى تبناه (قوله عز وجل
وغير أهلنا) يقال فلان

ترجعون و)لا يبعد انطاق الله اياها بهذه الشهادة ظاهرا وباطنا مع انكم (ما كنتم تستترون)
عند فعلكم الفواحش عن السمع والابصار والجلود مخافة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا)
مخافة أن يشهد عليكم (أبصاركم ولا جلودكم) باشهاد الله اياها وان فرض علمكم انها تشهد
عند الاستشهاد ولكنه انما يتصور لو علم الله بجميع أفعالكم فاستشهدها عليها (ولكن
ظننتم أن الله) لنفيكم علمه بالحوادث الجزئية (لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم
بربكم) من جهله بأكثر أعمالكم مع انه الذى ربا كم بخلق عليها فيكم (أرداكم) أى أهلككم
بالجراءة على مخالفته فى الدنيا ومجادلته فى القيامة (فأصبحتم) أى صرتم (من الخاسرين)
لاعمال النجاة والدرجات فى الدنيا ونيلهما فى الآخرة فلم يبق لهم الا الصبر أو الاستعتاب (فان
يصبروا) لم يكن صبرهم مفتاح الفرج (فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا) أى طلبوا
العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) أى المجابين اليه (وقيضنا) أى
عوضنا (لهم) عن محبوبهم الذى طلبوا الرجوع اليه (قرناء) من الشياطين الانس
والجن الذين قارنوهم فى الدنيا (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من الموت على الكفر بأنه مفيد
للسعادة بشفاعة معبوديهم (وما خلفهم) من اللذات العاجلة (و) باغترارهم بهذا التزيين
(حق عليهم القول) لأملأن جهنم لدخولهم اعتقادا وعملا (فى أمم قد خلت من قبلهم)
فحق عليهم القول اتفاقا (من الجن) كابليس وأعوانه (والانس) كعاد وثمود وقد عذبوا
لا بطريق الابتلاء المطمع فى الاجر بل (انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) فستروا
زينة أدلة القرآن عن أتباعهم الذين زينوا لهم شبهاتهم الواهية (لا تسمعوا لهذا القرآن)
المشكك فى دين آبائكم (و) ان اتفق سماعكم له (الغوا فيه) اعراضا عن التدبر فيه (لعلكم
تغلبون) حججه التى يغلب بها عقولكم واذ كانوا مريدين للغلبة على حججنا بعنادهم نغلبهم
بشدة العذاب (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا و) لما أساؤا الى أدلتنا بالالغاء (لنجزينهم
أسوأ الذى كانوا يعملون) لا ما عملوا من الصالحات لعداوتهم مع المجازى (ذلك) الجزاء
بالاسوا دون الاحسن (جزاء أعداء الله) وهى (النار) القاتلة لهم دائما ولا يفنون بهذا
القتل بل (لهم فيها) أى فى النار (دار الخلد) يخلد فيها وحده وهى الصناديق التى يجعلون
فيها آخرا يبقى بذلك أبد الآباد الكل (جزاء بما كانوا بآياتنا) الدالة على العظمة الدائمة
(يجحدون وقال الذين كفروا) أى ستروا دلائل القرآن وسائر الحجج الالهية اذا استرعتهم المضلون
الذين قالوا لهم لا تسمعوا لهذا القرآن لينتفعوا باتباعهم اتباع امام البغاة بعسكرهم حين
ينعكس عليهم الامر فيقولون (ربنا أرنا) الفريقين (اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت أقدامنا) كما كانا تحت أقدامهم (ليكونا) بدل طاعتنا لهم (من الاسفلين) من أهل
الدرك الاسفل من النار ثم أشار الى قرناء الخير لاهله فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) فانهم
وان أنكروا ربوبية الملائكة ناسبوا الملائكة فى توحيدهم (ثم استقاموا) فى أخلاقهم
وعقائدهم وأعمالهم فزادت مناسبتهم معهم فأوجبت مقارنتهم لذلك (تتنزل عليهم الملائكة)

نار أهله اذا حل اليهتم
أقواتهم من غير بلده (قوله
تعالى نزغ الشيطان بينى
وبين اخوتى) أى أفسد
بيننا وحمل بعضنا على بعض
(قوله تعالى نار السموم)
قيل لجهنم سموم ولسمومها
نار تكون بين السماء الدنيا
وبين الحجاب وهى النار
التى تكون منها الصواعق
(قوله عز وجل نفيرا) نفرا

بالالهام (ألاتخافوا) على التوحيد ضرر الشركاء ولا على الاعمال الصالحة لومة لائم ولا
وسواس شيطان ولاشبهة (ولاتحزنوا) على فوات لذة عاجلة هذا فى الدنيا وعند الموت
لاتخافوا سؤال منكر ونكير ولاعذاب القبر ولاتحزنوا لما تركتم من الاهل والمال وعند
البعث لاتخافوا أهوال القيامة ولاتحزنوا الحساب والميزان وجواز الصراط (وأبشروا)
بدل اللذة العاجلة (بالجنة التى كنتم توعدون) على تركها ولاتشوقتكم بعارض وسوسة
كما لاتفوتكم بمعرض الزبانية فى الآخرة اذ (نحن أولياؤكم) ندفع عنكم الشيطان
(فى الحيوة الدنيا و) الزبانية (فى الآخرة و) اتصالكم بها لايمنعكم من اللذات الحسية
بل (لكم فيها ماتشتهى أنفسكم و) لاتلحقون بالاشتغال بها بالحيوانات العجم بل (لكم
فيها ماتدعون) من الكمالات الملكية ولايبعد اجتماع الامرين فيما يكون (نزلا من غفور)
يستر كلا منهما بالآخر فلايمكن أن يغلبه ليبطله (رحيم) بافاضة فوائدهما لكن انما
يكون ذلك قبل الرؤية أو بعدها فانه يستغرقهم أحيانا ليرحمهم بذلك (و) من لم يكن
قرناؤه الملائكة لايضطر الى قرناء السوء من الجن والانس مع وجود قرناء الخير بل هم أحسن
فانه (من أحسن) استحقاقا للاتباع لكونه أحسن (قولا ممن دعا الى الله و) دل على
صدقه بأن (عمل صالحا و) يكفى فى صحة دلالته على صدقه أنه (قال اننى من المسلمين) وان لم
يطلع على باطنه (و) لايحتاج فى معرفة دعوة الخير من دعوة الشر الى تدقيق النظر فانه
(لاتستوى) فى بداهة النظار الدعوة (الحسنة) مع السيئة (ولاالسيئة) مع الحسنة
فان جاءك داعى السوء (ادفع) دعوته (بالتى هى أحسن) من بين طرق المناظرة فانه
لايسر العداوة بل يقلبها صداقة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) ممتدة ينقلب
صديقا فى الحال (كأنه ولى) من أول الامر (حميم) يغضب لغضبك على من آذاك (و) لكن
دفع سيئة العدو بحسنة منك خصلة عظيمة (ما يلقاها) أى لايتلقاها بالقبول (الاالذين صبروا)
اى ثبت صبرهم على تجرع الشدائد (وما يلقاها) أى خصلة الصبر (الاذوحظ عظيم) من
الاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة (واما ينزغنك) اى وان تحقق فى مكافأة السيئة
بالحسنة (من الشيطان نزغ) نخس يحرك غضبك لمكافأة السيئة بالسيئة (فاستعذ بالله)
لتسكين غضبك (انه هو السميع) لاستعاذتك اذا علم صدقك لانه (العليم و) من نزغات
الشيطان ان يلقى الى المجادل ان الدعوة الى عبادة المظاهر ليست بسيئة لانها فى الحقيقة دعوة
الى عبادة الله ومن أحسن مايدفع به ان أعظم مايعبدونه الشمس والقمر وهما فى المظهرية
دون الليل والنهار اذ (من آياته) التى ظهر فيهما باسمه الباطن والظاهر (الليل والنهار) وهما
المقصودان من الشمس والقمر (والشمس والقمر) وان كانا مظاهر اسمه النور فالمقصود منه
الظهور والاظهار فاذا لم تسجدوا للمقصود بالذات (لاتسجدوا للشمس ولاللقمر) كيف ولا
ظهور له فيهما بل باعتبار الهيئة لانها بوجوب الوجود بالذات (واسجدوا لله) لاباعتبار ظهوره
فيهما بل باعتبار أنه (الذى خلقهن) وظهوره لاينافى خلقه لانه بارادته وتوجهه الى حقيقة

والنفير القوم الذين يجتمعون
ليصيروا الى أعدائهم
فيحاربوهم (قوله عزوجل
نأى بجانبه) أى تباعد
بناحيته وقربه أى تباعد
عن ذكر الله والنأى البعد
ويقال النأى الفراق وان
لم يكن ببعد والبعد ضد
القرب (قوله جل وعز
نفد) فنى (قوله ندا) مجانبا
(قوله عزوجل لننسفنه

المظهر فان خصصتموه بالعبادة فى الباطن عند عبادتكم المظاهر فى الظاهر فاعبدوه بدونها
(ان كنتم اياه تعبدون) لان عبادتكم اياه فيها تجعله مقيدا بها او هو غيرها (فان استكبروا) عن
عبادته بلا مظهر لانه يشبه العدم فهى جهة وجوب الوجود التى هى متعلق عبادة من
يعبدونهم فى ضمن عبادة الشمس والقمر والاصنام (فالذين عند ربك) أعلى عبادتهم التسبيح
ولذلك يواظبون عليه اذ (يسبحون له بالليل والنهار) باعتبار بطونه وظهوره أن يكون مثل
الامور المعقولة أو المحسوسة (و) هذا الاعتبار وان كان ابعد من التعقل (هم لا يسأمون)
عنه لعلمهم انه أعلى مراتب العبادة له (و) لو اعتبر فى العبادة الظهور بالاسماء فأعلاها اسمه
الحى ومن مظاهره الارض ومن الاسماء الالهية المحيي ومن مظاهره الماء اذ (من آياته أنك ترى
الارض خاشعة) أى ذليلة يابسة لا نبات عليها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) اى تحركت
للانبات (وربت) أى زادت قدرا فقد ظهر فى الارض باسمه الحى وفى الماء باسمه المحيي لكنهما
لا يستحقان العبادة باتفاق بل فائدة الظهور فيهما انما هى الاستدلال حتى يقال (ان الذى
أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) واذا كان ظهوره فى الاشياء باسمائه ليكون آية
يستدل بها على اسمائه كان العدول عن الاستدلال الى العبادة الحادا (ان الذين يلحدون
فى آياتنا) فانهم وان زعموا انهم يقصدون عبادتنا من جهات كثيرة (لا يخفون علينا) انهم
يغيرون مقاصدنا فانهم بذلك يستحقون النار والذين لا يغيرون شيأ من مقاصدنا آمنون من ذلك
(أ) يزعمون انهم لعبادتهم اياه من تلك الجهات خير (فمن يلقى فى النار) لتغييره شيأ من مقاصدنا
(خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) الذى لا يأمن فيه من غير شيأ من مقاصدنا وان لم يزل آمنا
أيام حياته كيف وقد اختاروا للعبادة جهة الحدوث وتركوا جهة الوجوب الذاتى (اعملوا
ما شئتم انه بما تعملون بصير) ولو صحت عبادة المظاهر لكان أولى ما يعبد كتابه لكنهم كفروا به
(ان الذين كفروا بالذكر) أى بالشرف الذى ظهر به فى كتابه مما هو أقرب الى استحقاق العبادة
من سائر الصفات لكنهم رأوه أدنى (لما جاءهم و) لكن مجيئه لم يجعله أدنى (انه) لاعجازه
(لكتاب عزيز) لا يصل اليه طاقة الخلائق ولا دنو فيه من جهة اشتماله على الباطل اذ (لا يأتيه
الباطل من بين يديه) فى شئ من مقدماته (ولا من خلفه) فى شئ من نتائجه ودناءة النزول فيه
لم تجعله أدنى لانه (تنزيل) لاسرار الحكمة (من حكيم حميد) يحمده كل من رآه فزعم أن من
أوتيه فقد أوتى خيرا كثيرا والخبر محذوف وهو كفرهم كفر عن ظهر فيه بكمالاته ولا يخل بشرفه
طعنهم فى من أنزل عليه اذ (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل) المشهورين بالشرف (من قبلك)
وعدم مؤاخذة الطاعنين فيهم لا يدل على دناءتهم (ان ربك لذو مغفرة) أى ستر فى الدنيا ابقاء
للتكليف (وذو عقاب أليم) فى الآخرة سيما اذا لم يعاقب فى الدنيا (و) لا يتوقف اعجازه على
جعله أعجميا منزلا على رسول عربى بل (لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا) لا نعلم اعجازه الا بعد فهمه
(لولا فصلت) اى بينت بالعربية (آياته) بحيث نعرف اعجازها وكيف نتصور اعجاز العرب
بالكتاب العجمى (أ) المعجز (أعجمى و) المتحدى (عربى) فان زعموا انه لو كان معجزا لاتفق

العقلاء

فى اليم) أى نطرحه ونقذ فيه
فى البحر (قوله تعالى نفحة
من عذاب ربك) النفحة
الدفعة من الشئ دون
معظمه (قوله تعالى نفشت
فيه غنم القوم) أى رعت
ليلا يقال نفشت الغنم بالليل
وسرحت بالنهار وسربت
وهملت بالنهار (قوله
جل وعز نقدر عليه) نضيق

العقلاء على الانقياد له (قل) انما ينقاد له من ينتفع به وهم المؤمنون اذ (هو للذين آمنوا هدى) اى الدلائل (وشفاء) عن الشبه (و) انما لا ينقاد له المعاندون لمج اسماعهم اياه اذ (الذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) اى ثقل (و) لو سمعوا لم ينظروا فيه اذ (هو عليهم عمى) وليس ذلك لنقص فى اسماعهم او ابصارهم بل لبعدهم عنه (أولئك ينادون من مكان بعيد) ولا اختلاف فيه قربا او بعدا اوقع فيه الاختلاف (و) وقوع الاختلاف فى كتابك لا يدل على نقصه كما لم يدل وقوع الاختلاف فى التوراة على نقصها اذا انا (لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و) هذا الاختلاف لعظم موقعه بحيث (لولا كلمة) بتأخير الفصل الى يوم القيامة (سبقت من ربك) لابقاء التكليف (لقضى بينهم) بالفصل وكيف لا يؤخر فانما يؤخر فى حق من يرجى له اليقين (وانهم لفى شك منه) اى من ذلك القضاء لا زائل بأدنى التفات بل (مريب) موقع فى زيادة الريب مع انه لا وجه له أصلا للاتفاق على ان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) مع انا كثيرا ما نجد الامر بالعكس وهو ظلم (و) قد اتفقوا على انه (ما ربك بظلام للعبيد) وكيف تنكر القيامة مع وجود هذا الدليل القاطع لشبهة واهية كالجهل بساعة ابتدائها مع انها انما تتم لو كانت مجهولة على الاطلاق لذلك (اليه يرد علم الساعة) كيف (و) لا ينكر خروج ثمرة من اكمامها للجهل بساعة ابتدائه بل اليه يرد علم ساعة خروج (ما تخرج من ثمرة من اكمامها و) كذلك لا ينكر وجود الحمل والوضع للجهل بوقتهما فانه (ما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) والمطلع على ذلك انما يطلع باعلامه لا بسبب من الاسباب (و) كيف ينكر وجودها مع انه انعم بايجاد الثمرات والاولاد وحده وقد اشركوا به فى ذلك فلا بد ان يكلمهم فى ذلك بعد ان يظهر لهم بطلان الشرك (يوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك) اى اعلمناك من اعتراف بواطننا بالتوحيد حين كوشفنا به (ما منا من شهيد) يشهد على ان لك شريكا لان الشهادة هو القول المطابق لما فى القلب وهذا القول لا يطابق ما فى القلب الآن وأنت مطلع على ما فى القلوب فقلوبنا اعلمتك بذلك (و) كيف يشهدون بذلك وقد (ضل عنهم) فاختفى عن قلوبهم (ما كانوا يدعون من قبل و) لكن لم يفدهم هذا المحو لانهم بقى عليهم حجاب الشرك بحيث (ظنوا) أى ايقنوا (ما لهم من محيص) أى مهرب عن هذا الحجاب الموجب للعذاب لانهم فوتوا وقت الهرب وكان الواجب على الانسان ان يبالغ فى الهرب منه لانه من أعظم الخيرات مع انه (لا يسأم) أى لا يمل (الانسان من دعاء الخير و) كيف لا يبالغ فى الهرب عنه مع انه أشد وجوه الشر مع انه كان بحيث (ان مسه الشر فيؤس) من رحمة الله (قنوط) من الخير كله (و) هذا اليأس والقنوط وان لم يتحقق له فى الدنيا يتحقق له فى الآخرة لانه لا يتخلص من شدائدها اصلا لانا علمنا من الانسان انا (لئن أذقناه رحمة منا) من غير استحقاقه اياها بذاته لكونها (من بعد ضراء مسته) ولو استحقت ذاته الرحمة لم يمسه الضراء أصلا (ليقولن هذا) حق (لى) فلو خلصناه من العذاب الاخروى لرأى التخليص حقه فيجترئ على المعاصى مرة اخرى (و) كيف يخلص وهو يقول الآن (ما أظن الساعة قائمة) فاذا خلص يمكنه ان يقول أنا لا ابتلى بمثل ذلك ثانيا لان الله

عليه من (قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى (قوله تعالى ناديكم) أى مجلسكم (قوله عزوجل نجيبه) اى بقدره (قوله عزوجل نكير) انكارى (قوله تعالى نذير) انذارى (قوله نصب) أى تعب (قوله عزوجل نسلخ منه النهار) أى نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار (قوله تعالى ننكسه فى الخلق)

تعالى خلاصى منه مع علمه بانى اعود الى معصيته (و) أيضا انه يقول (لئن رجعت الى ربى) عند قيام الساعة (ان لى عنده للحسنى) أى الجنة فلعله يقول اذا اخرج من النار انى اذا عدت الى المعاصى ادخل النار واخرج فادخل الجنة واذا امتنع فى الحكمة اخراج الكافرين من النار لهذه الوجوه (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) انها موجبة للخلود فى النار فلابد من هذا الوعد (و) لابد من اتمام ذلك الاعلام بامضاء هذا الوعد (ولنذيقنهم من عذاب غليظ و) كيف ننعم عليهم بالاخراج من النار وأقل ما فيهم الاعراض عن المنعم فانه (اذا انعمنا على الانسان اعرض) عنا (ونأى) أى تباعد عن طاعتنا آخذا (بجانبه) ترجيحاله علينا (و) كيف لانخلدهم فى النار وفيه تذللهم لنا وهو مقتضى عظمتنا فانه (اذا مسه الشر فذو دعاء عريض) فان زعموا انه مخالف لما ذكرتم من اجابته المضطر اذا دعاه (قل) انما يجيب من لم يضطر بالعذاب على الضلال سيما بالعداوة وقد تحقق ضلالكم (أرأيتم) اى أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله) فعلمتم كونه منه (ثم كفرتم به) لانه (من أضل ممن هو فى شقاق) أى خلاف مع الله (بعيد) وكيف ينكرون كون القرآن من عند الله مع انه جامع لآياته فان لم يروها فيه (سنريهم آياتنا) ظهورا تنا بالاسماء (فى الآفاق) تفصيلا (وفى أنفسهم) اجمالا بعد تفصيل لينظروا فيها فيجدوها فى هذا القرآن (حتى يتبين لهم انه) أى القرآن هو الجلى الكامل كأنه هو (الحق) فمن كفر به فقد كفر بالحق وكيف ينكر كون القرآن من عند الله مع انه استدل عليه بتجليه فيه وهو أقوى الدلائل (أ) يشكون فيما يستدل به على وجوده (ولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) أى دليل لانه به وجد وبنوره ظهر فكيف يكون تجليه كافيا فى معرفة جميع الاشياء مع قصور التجلى عليه ولا يدل تجليه مع كماله فى القرآن على حقية كونه منه نعم انما يشكون فيه لشكهم فى تجليه (الا انهم فى مرية) أى شك (من لقاء ربهم) أى تجليه مع انه لاوجه له لانه انما وجد به (الا انه بكل شئ محيط) فانه انما ظهر ما ظهر من احاطة اشراق نور وجوده به اذ به تحققه فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم عسق)

سميت به لأن محتملات تأويلها من أعظم مقاصد القرآن ولم يعتبر معها حم لعمومها فى سائر السور وبالشورى لاشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة وصفات طالبيها مع اجتماع قلوبهم بكل حال وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بتجليه الجامع فى مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بجعل سائر وحيه كذلك (الرحيم) بظهوره مع كمال عزته وكمال حكمته فيه (حم عسق) أى الحواية والمتانة عمت سور القرآن أو حكمه ومعارفه عظيم سعادة قائمة أو جعه المستقيمة عصمة لسائر القوى أو حفظه والمواظبة عليه عنوان سر القبول أو غير ذلك مما يناسب المقام ولا يختص هذا بهذه السورة بل (كذلك يوحى اليك) فى سائر السور (والى الذين من قبلك) فى زبرهم (الله) الجامع للكمالات فلا يبعد ان يكون مجلاه حاويا

(العزيز)

أى نزده (قوله تعالى نحسات) أى مشؤمات (قوله عزوجل فى يوم نحس مستمر) أى استمر عليهم بنحوسه أى بشؤمه (قوله تعالى نستنسخ) أى نثبت ويقال نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الانسان صغيره وكبيره فيثبت الله منه ما كان له ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قوله هلم واذهب وتعال (قوله

(العزيز) فلا يبعد ان يكون مجلاه أحكاما وحججا (الحكيم) فلا يبعد ان يكون مجلاه متينا أو مشتملا على معارف مستبعدة أو حجج مستقيمة أو حفظه عاصما ولا يبعد ظهوره بكمالاته في كلامه بعد ما ظهر فيما كان في السموات والارض اذ (له) مجلى (ما في السموات وما في الارض و) لا يعرض له دناءة في ظهوره في الارضيات اذ (هو العلي) بذاته وما بالذات لا يزول بعارض بل ظهوره فيها باعتباراته (العظيم) وقد ظهر بكلامه في عالم السموات بالحروف المعنوية فظهر فيهامن عظمته ما (تكاد السموات يتفطرن) أي يتشققن من جهة ما تجلى عليهن (من فوقهن والملائكة) مع كمال مظهريتهم لما را وظهوره في تلك الحروف (يسبحون) ربهم عن ان يعرفوه بانفسهم دون تعريفه فاذا عرفهم بذلك قارنوا تسبيحهم (بحمد ربهم) على ما أنعم عليهم بذلك الظهور (و) لما كان ظهوره في الحروف الحسية دون ذلك الظهور فقصرت معارف أهل الارض (يستغفرون لمن في الارض) لئلا يؤاخذهم باعتقادهم فيه ما ليس عليه كيف لا يستغفرون وقد ستر عليهم ذلك لعدم احتمالهم معرفته الكاملة رحمة بهم (الا ان الله هو الغفور الرحيم و) من رحمته بعباده أن (الذين اتخذوا من دونه اولياء) فالحقوه بالناقصين بعد ظهوره بكمالاته سيما في كتابه فانهم وان لم يحفظوا عليه شيأ من حق كماله (الله) بكماله (حفيظ) لهم الى أجلهم وان كان حفيظا (عليهم) اعمالهم الى تلك المدة ليعذبهم أشد مما يعذبهم لو عجل عليهم (و) لكن (ما انت عليهم بوكيل) من الله في الانتقام منهم كراهة ان تستعجل عليهم العذاب من غلبة الغيرة الالهية عليك فيفوت عليهم التدارك بالتوبة المستوجبة للرحمة عليهم فهذا من رحمته عليهم وان انقلبت مزيد غضب عليهم لو لم يتداركوا (و) كما رحمناهم بالحفظ رحمة يخاف انقلابها غضبا (كذلك أوحينا اليك) ما هو رحمة يخاف انقلابه اعذابا أما انه رحمة فلكونه (قرآنا) جامعا للعلوم (عربيا) يفهمه العرب بانفسهم وغيرهم بتعلم لغتهم التي هي أحسن اللغات وأما خوف انقلابه عذابا فلان وحيه اليك (لتنذر أم القرى) وان كانت حرما آمنا (ومن حولها) تنذرهم أيام القرى الهالكة فيما مضى (وتنذر يوم الجمع) الذي تكون الفضيحة فيه أعظم ويخاف لو كان محتملا فكيف اذا كان (لاريب فيه) والخوف فيه أعظم الاشياء فوات نعيم الجنة وحصول أليم العقاب اذ فيه (فريق في الجنة وفريق في السعير) وقد رحم الخائف بدخول الجنة والنجاة من النار وهو أعظم رحمة يخاف انقلابها أعظم انتقام (و) رحمته وان اقتضت ادخال الكل الجنة فهي غير موجبة كقهره بل (لو شاء الله لجعلهم امة واحدة) مرحومة أو مقهورة (ولكن) يراعي مقتضاهما بمشيئته اذ من سنته رعاية مقتضيات الحقائق لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) لعدلهم في باب الاعتقادات والاخلاق والاعمال والافعال فيوالیهم الله وينصرهم ويدخل من يشاء في قهره لانهم ظالمون (والظالمون مالهم من ولي) يجرهم الى رحمة الله وجنته (ولا نصير) ينجيهم من ناره فان زعموا ان لهم أولياء يقال هل اتخذوا الله وليا مع غيره (ام اتخذوا من دونه أولياء) وعلى التقديرين لا ولي لهم اما على تقدير الشرك (فالله هو الولي) ولا يوالي من

(قوله عز وجل فنقبوا في البلاد) أي طافوا وتباعدوا ويقال نقبوا في البلاد أي ساروا في نقوبها أي طرقها الواحد نقب ونقبوا أي بحثوا وتعرفوا هل من محيص أي هل يجدون من الموت محيصا أي معدلا فلم يجدوا ذلك (قوله والنجم اذا هوى) اذا سقط في الغرب وقيل كان القرآن ينزل نجوما

تعالى نضيد) أي منضود

أشرك به وعلى تقدير اتخاذهم من دونه أولياء فلعدم صلاحيتهم للولاية التى تفضى الى ادخال الجنة والانجاء من النار لانهم ما فرع الاحياء (وهو يحيى الموتى) بل فرع القدرة الكاملة (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على انتزاع قدرتهم لو كانت لهم قدرة على ذلك (و) كما لا يصلحون للموالاة المفيدة دخول الجنة والنجاة من النار لا يصلحون لموالاة تكون سبب ذلك مثل ان يأتوا باحكام تصير سببا لذلك بل (ما اختلفتم فيه من شئ) هل هو مفيد لذلك أو اضده (فحكمه) مفوض (الى الله) يراجع فيه كتابه وسنة رسوله واجماع المجتهدين فيه تنصيصا أو قياسا على معنى مستنبط من أحدها فان ادعى أحد ذلك لنفسه فلا أو من بربوبيته بذلك بل (ذالكم الله ربى) فان خوفنى (عليه توكلت و) ان رأيت منه منافع أو مضار فلا ابالى له بل (اليه انيب) أى ارجع وكيف ارجع الى الغير أو اتوكل عليه أو اخاف منه أو اتخذه ربا مع أنه مفطور لاختصاص الله بانه (فاطر السموات والارض) كيف وغاية ما فى الغير انه يتفاوت فاضلا أو مفضولا لانه (جعل لكم من انفسكم أزواجا) أى اصنافا مختلفة الى كامل وناقص فلو استحق كل كامل الهية كل ناقص لكان لكل شئ الهية لا تنحصر (و) لكان المتوسط كالحيوان الهية وما لوهية اذ جعل (من الانعام أزواجا) فللانسان عليها الهية ولبعضها على بعض الهية مع ان المتوسط مفضول فعليه الهية لما فوقه بل (يذرؤكم) أى يفرقكم (فيه) فيجعل الفاضل مفضولا من وجه فيكون الشئ الها الشئ ومألوها له وهذا باطل بالضرورة فالمعتبر انما هو الكمال المطلق وهو انه (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ فكنى بنفى مثل المثل عن نفى المثل اذ لو كان له مثل لكان مثلا لمثله فاذا نفى لزم نفيه (و) لا يلزم من نفى المثل نفى الصفات الكاملة التى تطلق على المخلوقات وهو نقص اذ يكفى فيه كونه له بالذات وللغير بالظهور بان يقال (هو السميع البصير) على سبيل الحصر بالذات وانما سمع الغير و بصره باعتبار ظهورهما فيه ولا يناقضه قوله تعالى وله المثل الاعلى لانه المناسب بالوجه الخاص والمثل بالكسر هو المشارك فى النوع ومن ظهوره بالاسماء سببية الاشياء فلا يستقل بدون اذنه لذلك (له مقاليد) أى مفاتيح أسباب (السموات والارض) و يستقل بدون الاسباب لذلك (يبسط الرزق لمن يشاء) وان لم يباشر سببا (و يقدر) أى يضيق على من يشاء وان بالغ فى جمع الاسباب ومع ذلك لا يفعل بطريق التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق (انه بكل شئ عليم) فيعلم تلك الاستعدادات التى خفيت على الاكثر فهى أسباب خفية ولما جعل هذه الاسباب غير مستقلة بدونه نهى عن الخوف عنها والتوكل عليها والرجوع اليها حتى (شرع) أى سن (لكم من الدين) أى الاعتقاد (ما وصى) أى امر على سبيل التوكيد (به نوحا) ان يأمر به قومه وهو توحيد الافعال بحيث لا يرون مؤثرا سواه فى جميع الاشياء (و) الامر العظيم (الذى أوحينا اليك) من غير توكيد من توحيد الذات ان تأمر به خواص قومك (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) من توحيد الصفات وبالجملة أمرناهم (ان اقيموا الدين) باحدى التوحيدات (ولا تتفرقوا) أى ولا تعتقدوا الفرق بلا جمع (فيه) وانما

فاقسم الله بالنجم منه اذا نزل (قوله تعالى نذير من النذر الاولى) محمد صلى الله عليه وسلم (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما نجم من الارض أى طلع ولم يكن على ساق كالعشب والبقل والشجر ما قام على ساق وسجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ويميلان معها حتى ينكسر الفئ والسجود من جميع الموات

أكدناعليهم بذلك لانه (كبر على المشركين) فى الافعال والذات والصفات (ماتدعوهم اليه) من احدى التوحيدات سيما الذاتى اذلايحصل بالكسب بل (الله يجتبى) فيجذب (اليه من يشاء) من غير انابة سابقة (ويهدى) للوصول (اليه من ينيب) أى من يرجع اليه حتى يتحقق بالتوكل ثم يصير موحدا فى الفعل ثم فى الصفات ثم فى الذات (و) لو قيل لو أقر هؤلاء الرسل بهذه التوحيدات لاخذ بها أهل الكتاب قيل (ماتفرقوا) أى ما اعتقدوا التفرقة المحضة قدماء أهل الكتاب (الامن بعدما جاءهم العلم) أن هؤلاء الرسل اوجبوا الاخذ باحدى التوحيدات (بغيا بينهم) وبين دعاة التوحيد (و) هذا البغى موجب للمؤاخذة فى الحال (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير القضاء بينهم (الى أجل مسمى) هو القيامة (لقضى بينهم) وبين دعاة التوحيد بمؤاخذتهم لوجود مقتضاها من البغى على أهل الحق ودعاته (و) لايعذر باقتدائهم المتأخرون (ان الذين اورثوا الكتاب) المخالف لمقالتهم وان كانوا (من بعدهم) لكنهم انما يقتدونهم لو لم يكونوا فى شك من مقالتهم لكنهم شاكون انهم (لفى شك منه مريب) أى موقع لهم فى الريب فيما نقلوا من الكتاب أيضا (فلذلك) أى فلكون متأخرى أهل الكتاب فى شك من اعتقاد قدمائهم ونقلهم الكتاب (فادع) الى مالايشك فيه (واستقم) فى الاعتقادات والاعمال لتلائهم (كما امرت) وان كان لك فيه خواص لاتوجد فى امتك (و) ان طعنوا فيك بمخالفة قدمائهم (لاتتبع اهواءهم وقل) كيف اوافقهم على خلاف كتب الله مع انى (آمنت بما أنزل الله من كتاب و) ان ذكروا انهم لم يخالفوا كتب الله بل اولوها دفعا للتعارض فى الظاهر فيها قل (امرت لاعدل) فى التأويل بحيث يقع الاتفاق (بينكم) لو انصفتم وان طعنوا بان كتابك يخالف كتبنا فى نسخ بعض الاحكام قل (الله ربنا وربكم) فله ان يربينا باحكام ويربيكم باحكام ولا يناقض فى ذلك اذ (لنا اعمالنا) فى عصرنا (ولكم اعمالكم) فى عصركم (لاحجة بيننا وبينكم) بان هذا النسخ ابطال لحكم الله بل هو بيان لانتهاء حكمه ولا يلزم من ذلك التفرقة فى أحكامه بل (الله يجمع بيننا) وبينكم فى حكمه باعتبار عصره فلو كنا فى عصركم لحكم علينا باحكامكم واذا كنتم فى عصرنا حكم عليكم باحكامنا (واليه المصير) فى الحكمين فلابد وان يراعى مصلحة العصرين (والذين يحاجون فى الله) فى أحكامه الناسخة (من بعد ما استجيب له) أى أجاب عن حججهم العقل والكشف ونقل الكتب السالفة مقوية لحجج الله كلما طلب منها ذلك (حجتهم داحضة) أى زائلة (عند ربهم) لايعتد بها فى الدنيا (و) لايعفى عن المتمسك بها لكونها شبهة بل (عليهم غضب) اذ تحكموا على الله ان لايحكم على أحد الا بما حكم به عليهم (ولهم عذاب شديد) لايخفف منه شئ لاجل شبهتهم بعد شدة عنادهم بحجة داحضة وكيف ترد أحكام هذا الكتاب لمخالفته كتب الاولين مع انه أكمل منها اذ (الله) باعتبار جمعيته هو (الذى انزل الكتاب) حتى صار معجزا ولم يعارض دلالة اعجازه بطلانه فى ذاته لكونه ملتبسا (بالحق و) ليس هذا دعوى بلا برهان لانه أنزل (الميزان) لمعرفة اعجازه ومعرفة حقيته وقد دل الميزان على حقية النسخ اذ

الاستسلام والانقياد لما سخره (قوله تعالى والنخل ذات الاكمام) أى ذات الكفرى قبل ان تنفتق وغلاف كل شئ كمه (قوله عزوجل النشأة الاخرى) أى الخلق الثانى البعث يوم القيامة (قوله عزوجل نضاختان) أى فوارتان بالماء (قوله جل وعز نجوى) سرار ونجوى متناجون

الاوقات مختلفة بقرب الساعة وبعدها فالاقرب أشد فسادا فلو لم يرخص فيه لازداد فسادا (و) من انكر قربها قيل له (ما يدريك) يبعدها (لعل الساعة قريب) فاذا ذكر قربها استعجلوها استهزاء بها اذ (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وأى فساد أعظم من هذا الفساد المانع من خوف القيامة بالكلية الزاجر عن الفساد (والذين آمنوا) فهم وان كان لهم الامن اذ لم يلبسوا ايمانهم بظلم (مشفقون) أى خائفون (منها) لان ما يخافونه من الله انما يكون فيها والرخص تمنعهم من اليأس (و) ليس خوفهم من اعتقادهم امكان وقوعها فقط حتى لم يخف من وجه بل (يعلمون) قطعا ويقينا (انها الحق) وانما المحتمل وقوع الخوف من الله تعالى عليهم مع تحقق وقوعه على الذين يمارون فيها (الا ان الذين يمارون) أى يجادلون (فى الساعة لفى ضلال بعيد) لانكارهم عدل الله وحكمته ودوام ظهوره بالجلال والجمال ودوام ربوبيته على الارواح اذا اعتقدوا افناءها أو تعطيلها وهؤلاء لو ثقل عليهم لازدادوا بعدا ولا يبعد من الله انزال مثل هذا الكتاب الجامع لطفا بالعباد اذ (الله لطيف بعباده) ولا يلزم من هذا اللطف ان يطلع العوام على اسراره اذ (يرزق من يشاء و) لا يعسر عليه جمع المعانى الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة اذ (هو القوى) ولا يعسر عليه ان يستر على العوام بعض ما ظهر بقية اذ هو (العزيز) ثم من لطفه بهذا الكتاب تفضيل رخصه على عزائم امور من تقدمه ومن لطفه تكثير الثواب على الاعمال اليسيرة لانه يرزق من يشاء بلا سبب فلا يمتنع عليه ان يعطى بسبب الرخصة ما لا يعطى بسبب العزيمة ولو كان للعمل أثر فاثر لطفه أعظم اذ هو القوى ولو كان للعزيمة مزيد قوة فهو العزيز الغالب وأيضا لا يبعد ان يمهل أهل الضلال البعيدة مدة بعيدة من مزيد لطفه ثم يزيدهم لطفا بان يرزقهم ولا يبالى بهم اعتمادا على قوته فى مؤاخذتهم ويكون ذلك مقتضى عزته اذ يتجلى لهم بالتجلى الجلالى فى الدنيا بالحجاب وفى الآخرة بالقهر والعقاب ولا يبعد ان يختص لطف فهم اسرار الكتاب بطالب الآخرة اذ (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) بنيات صالحة ومساع باطنة مقوية له فكذا نزيد له فى فهم اسرار الكتاب (و) لا يبعد ان لا يطلع على اسرار الكتاب طالب الدنيا الا اسرارا تناسب أهلها اذ (من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بتوجيه الناس اليه (و) لكن يكون ذلك مانعا له من ثواب الآخرة بحيث (ما له فى الآخرة من نصيب) وأيضا لا يبعد ان يستفيد من الرخص طالب الآخرة ما لا يستفيد من العزائم طالب الدنيا كما انه يقع التفاوت بينهما فى العمل الواحد وأيضا اللطف الحقيقى فى أهل الآخرة اذ نزيد له فى حرثه لا فى أهل الدنيا لانه لا يعطى جميع ما يتمناه ومع ذلك يصير مانعا عما هو أعظم من الدنيا كلها ثم ان أهل الكتاب ينكرون العمل بهذا الكتاب حيث كان ناسخا لكتابهم ويعملون بما حرفه علماؤهم ألهم نسخ كتاب الله (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) لا فى كتابهم ولا على لسان رسول (ولولا كلمة الفصل) أى ولولا قول الله ان لا أؤاخذ احدا الا بعد ان أفصل عليه بالدين ولا افصل قبل يوم القيامة (لقضى) بمؤاخذتهم فى الحال قطعا للنزاع (بينهم) وبين ربهم

ايضا كقوله واذ هم نجوى أى متناجون أى يسار بعضهم بعضا (قوله عز وجل نصوحا) فعولا من النصح ونصوحا مصدر نصحت له نصحا ونصوحا والتوبة النصوح البالغة فى النصح التى لا ينوى التائب معها معاودة المعصية وقال الحسن هى ندم بالقلب والاستغفار

في كتابه (و) لابدل تأخيره على تعطيله بعد تحقق ظلهم (ان الظالمين لهم عذاب اليم) سيما الظالمين بشرع الاحكام من غير اذن الله (ترى الظالمين) سيما بهذا الظلم (مشفقين) أى خائفين يوم الفصل (مما كسبوا) من الضلال والاضلال (وهو) أى جزاء كسبهم (واقع بهم) وان تابوا قبل الموت لان الاضلال حق الخلق (و) قد وقع عليهم مع ذلك مافوتوا من الروضات اذ (الذين آمنوا) بالناسخ والمنسوخ (وعملوا الصالحات) بالمنسوخ قبل النسخ و بالناسخ بعده (في روضات الجنات) روضة للايمان بهما وروضة للعمل بالمنسوخ قبل النسخ وروضة للعمل بالناسخ بعده ولموافقتهم مراد الله (لهم مايشاؤن عند ربهم) وهم وان اتوا بالموافقة الواجبة عليهم فاعطاء الله مرادهم فضل منه (ذلك هو الفضل الكبير) لكونه من الرب الكبير وهو وان لم يجب على الله فهو في حكم الواجب عليه لان قول الله تعالى واجب الوقوع سيما مابشر به أحدا سيما خواصه لكن (ذلك الذي يبشر الله) به (عباده) الخواص اعنى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان زعموا انه كيف يكون هذا التبشير فضلا عليهم مع انه به فضل عليهم واحدا منهم (قل) تفضيل ذلك الواحد عليكم من جملة الفضل عليكم اذ يفيدكم دينا ولا ينقص شيأ من دنياكم اذ (لا أسئلكم عليه اجرا الا) مايزيدكم اجرا اعنى (المودة) الراسخة (في) حق (القربى) لتتقربوا بهم الى تربى الى ربكم روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك من هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما رضى الله عنهم (و) انما طلبنا ذلك لان (من يقترف) اى يكتسب مع مودتهم (حسنة نزد له فيها حسنا) يزاد به ثوابا ويغفر له ماقصر فيها و يقبل قبول الكامل (ان الله غفور شكور) أينكرون تبشيره كراهة فضله عليهم وان افادهم فضلا (أم يقولون افترى على الله كذبا) فكان أظلم ممن شرع الاحكام اذ لم يدع الوحى اليه لكنه لايتأتى ممن شرح الله قلبه بالعلوم الغيبية فان تأتى منه (فان يشا الله يختم على قلبك) فلا يبقى انشراحه لتلك العلوم بعد الافتراء عليه وكيف يترك ذلك (و) قد علم من سنة الله انه (يمح الله الباطل) ولا ينمحى هذا الباطل من الافتراء الا بالختم على قلبك ولكنه يزيدك شرح القلب فيزيد لكلماتك اثباتا (و) قد علم من سنته انه (يحق الحق بكلماته) ولا يعكس الامر من جهله لاطلاعه على الغيوب كلها (انه عليم بذات الصدور) لتحقيقه الحق بكلماته تحقق مايميل اليه لذلك (هو الذي يقبل التوبة عن عباده) لميلهم اليه فيثبتهم لديه (و) لمحوه الباطل بالحق (يعفو) بها (عن السيآت) التى فيها الميل الى ماسواه من الباطل (و) مما يشبه العفو عن السيآت انه (يعلم ماتفعلون) ولا يؤاخذهم بها في الحال (و) مما يشبه قبول التوبة قبول الدعوة لذلك (يستجيب) دعوة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فيعطيهم دعوتهم (ويزيدهم من فضله و) مما يشبه محو الباطل ابطال اعمال الكفار لميلهم الى الباطل حتى يصير (الكافرون لهم عذاب شديد) كيف يبسط الله على من يبغى عليه بالافتراء عليه علوما غيبية وهو رزق معنوى وقد كره بسط الرزق الحسى على الكل كراهة بغى بعضهم على بعض فانه (لو بسط الله الرزق لعباده) فاغنى جميعهم (لبغوا)

بالاسان والترك بالجوارح واضمارا ان لايعود (قوله جل وعز نفر) جماعة مابين الثلاثة الى العشرة (قوله تعالى ناشئة الليل) أى ساعاته من نشأت أى ابتدأت (قوله تعالى نضرة النعيم) أى بريق النعيم ونداوته وجوه يومئذ ناضرة أى مشرقة من بريق النعيم ونداه (قوله

بعضهم على بعض بغيا سار يا (فى الارض ولكن ينزل) على كل واحد منهم مما قسم له (بقدر)
نظر فيه الى استعداد حقيقته لا بطريق الايجاب بل (مايشاء) لكن مشيئته لا تخالف قدره
رعاية للحكمة (انه بعباده) اى باستعداداتهم الباطنة (خبير) وباستعداداتهم الظاهرة
(بصير) ولما كره البغى فى الامور الظاهرة فهو فى الامور الباطنة اشد كراهة وهو لازم لترك
الوحى بالكلية فلا بد من الوحى فى الحكمة (و) لا يبعد عليه انزال الوحى عليكم بعد
قنوطكم عنه واهداؤكم به بعد اضلالكم اذ (هو الذى ينزل الغيث) على اهل القحط (من
بعد ما قنطوا) اى ايسوا (وينشر رحمته) بانبات الزرع واخراج الثمار وكيف يترك ذلك
(وهو الولى الحميد ومن آياته) الدالة على كونه وليا حميدا (خلق السموات والارض وما بث
فيهما من دابة) لمنافع العباد (و) لا يخل بحمده وولايته ما يجرى بينهما من التظالم اذ (هو
على جمعهم) للانتصاف (اذا يشاء قدير و) كما لا ينافى حمده وولايته تظالم الدواب
لا ينافيهما اصابة المصائب اذ (ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و) هو يفعل بكم
بمقتضى ولايته وحمده أكثر مما يفعل بمقتضى كسبكم اذ (يعفو عن كثير) فلا يؤاخذكم بها
فى الحال ويرجى ان لا يؤاخذكم بأكثرها فى الآخرة أيضا (و) ليس عفوه لعجزه اذ
(ما أنتم بمعجزين) رب السموات والارض مع كونكم (فى الارض و) لكنكم العاجزون
اذ (مالكم من دون الله من ولى) يعينكم عليه (ولا نصير) يخلصكم عنه (ومن آياته)
الدالة على ان رعايته بمقتضى ولايته أكثر من رعايته بمقتضى كسبهم (الجوار) اى السفن
الجارية (فى البحر) اللطيف مع أنها فى الثقل (كالاعلام) اى الجبال (ان يشا) أن يفعل
بمقتضى كسبهم (يسكن الريح) التى هى سبب جريها (فيظللن) اى يصرن (رواكد)
اى ثوابت لا فى قعره لثقلها بل (على ظهره) رعاية لجهة الولاية من وجه (ان فى ذلك) اى
فى تحريكهن بتحريك الريح اللطيفة وتسكينهن بتسكين الريح فلا تؤثر فيها أمواج البحر
تأثيرا يعتد به مع امساكها اياهن على ظهره حال سكونها (لآيات) على كمال قدرته وحكمته
ورعايته لولايته أكثر من رعايته للاكساب مبصرة (لكل صبار) حبس نفسه على النظر
فى الآيات (شكور) لما يرى فى آياته من آلائه ذكر الآيات بعد تسكين الريح لانه المذكر
غالبا لقلته عند الجرى وعدمه عند الهلاك الكلى (أو) يجعلها عاصفة بحيث (يوبقهن)
اى يهلك السفن اعتبارا (بما كسبوا) لكنه قليل جدا (ويعف عن كثير) بمقتضى
ولايته وانما راعى كسبهم على القلة لئلا يذهب الخوف عن قلوب الناس بالكلية (ويعلم الذين
يجادلون فى آياتنا) انا اذا اردنا اهلاكهم (مالهم من محيص) اى مخلص لا التمسك بولايته
ولا غيرها ولا يغتر المجادلون بتضييق الرزق والجاه على المؤمنين وتوسيعهما عليهم (فما أوتيتم
من شئ) من مال وجاه (فمتاع الحيوة الدنيا) وقد سلبتم متاع الحياة الابدية عند الله (وما عند
الله خير) فى نفسه (و) اقل وجوه خيريته انه (أبقى) وانما يحصل لاعدائكم اى
(للذين آمنوا و) لم يشب ايمانهم بشرك اذ (على ربهم يتوكلون و) لا ضعف لانهم (الذين

يجتنبون

تعالى نخرة وناخرة) أى
بالية ويقال نخرة بالية
وناخرة يعنى عظاما فارغة
يصير فيها من هبوب الريح
كالنخير (قوله عز وجل
نمارق) أى وسائد واحدها
نمرقة ونمرقة (قوله عز وجل
النجدين) الطريقين طريق
الخير وطريق الشر (قوله
عز وجل لنسفعا بالناصية)
أى لنأخذا بناصيته الى

يجتنبون كبائر الاثم) المضعفة للايمان بالذات (والفواحش) اى الصغائر التى تفحش برؤيتها
صغائر (و) لايزالون يتقون حتى انهم (اذا ما غضبوا هم يغفرون و) قد قووا ايمانهم
بالتكاليف الشرعية لانهم (الذين استجابوا لربهم) أوامره ونواهيه فلا يفقدهم حيث
امرهم ولا يجدهم حيث نهاهم (و) تمت لهم تلك الاستجابة اذ (أقاموا الصلوة) سيما
بالجماعة الموجبة اجتماع قلوبهم (و) قد راعوه خارج الصلاة أيضا اذ (امرهم شورى
بينهم) فلا يعملون برأى حتى يجتمعوا عليه هذا فى الاعمال البدنية (و) اما المالية فيراعون
جميع حقوق المال اذ (مما رزقناهم ينفقون) فى جميع سبل الخيرات (و) اما الاخلاق
فهم (الذين اذا اصابهم البغى) ورأوا العفو عنه مضعفا للاسلام (هم ينتصرون) لاعلاء
كلمة الله لا لانفسهم والانتصار لنفسه وان كان جائزا فهو جزاء سيئة (وجزاء سيئة سيئة)
لانه (مثلها) لا فى الصورة وحدها بل فى المعنى أيضا من حيث النسبة الى النفس على انه
ادنى من العفو (فمن عفا و) لم يقتصر عليه بل زاد خيرا اذ (اصلح) ما بينه وبين اخيه من
مفسدة الحقد والغل (فأجره على الله) الذى راعى بنيانه بعفوه واصلاحه وقد تخلق
باخلاقه لكنه لا يعفو عن الظالم ولا يصلحه لانه فرع محبته له (انه لا يحب الظالمين و) المنتصر
لنفسه وان فعل سيئة فليس بظالم لا يحبه الله بل (لمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ما ظلمه
صاحبه (فاولئك ما عليهم من سبيل) لبغض الله وغضبه حتى ترتفع محبته الاصلية عنهم (انما
السبيل) المذكور فى الظالمين انما هو (على الذين يظلمون الناس) الذين هم بنيان الله
(و) يتعدون حدود الله اذ (يبغون) بغيا على عباد الله مع كونهم (فى الارض) لا باذن الله بل
(بغير الحق) فعليهم سبيل الغضب الالهى و بغضه وما يترتب عليه (اولئك لهم عذاب اليم)
من حمل معاصى المظلومين عليهم ونقل اعمالهم الصالحة اليهم (و) المظلومون وان
حصل لهم ذلك لو تركوا الصبر والعفو فلا يبلغون مبلغ الصابرين العافين اذ (لمن صبر وغفر)
قارب رتبة اولى العزم من الرسل (ان ذلك لمن عزم الامور و) كيف لا يكون لله سبيل على
الظالمين وقد ضلوا برؤيتهم ان فى الظلم لهم عظمة ومعاشا والتفصى عنه وان كان واضحا لهم
لم يهتدوا اليه لانه (من يضلل الله فما له من ولى) يهديه (من بعده) اى بعد ثباته على اضلاله
(و) ذلك التفصى ان العظمة والمعاش انما يعتد بهما اذا لم يعقبهما مذلة ولا شدة وههنا
تحصل الشدة بحيث (ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد) الى الدنيا بعد لقاء
الله والرجوع اليه (من سبيل و) المذلة بحيث (تراهم يعرضون عليها) اى على النار
(خاشعين) اى متذللين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار يبتدئ نظرهم (من طرف
خفى) اى من تحريك لاجفانهم ضعيف على ان المعاش انما يعتد به لو لم يقابله خسر (و) قد
(قال) اعداؤهم (الذين آمنوا) شماتة بهم (ان الخاسرين) هم (الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة) ولا ينقطع بانقطاعه بعد طوله (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم)
ابد الآبدين كيف (وما كان لهم من أولياء) فى القيامة ولا بعدها (ينصرونهم) بالتخليص

النار يقال سفعت بالشئ
إذا أخذته وجذبته جذبا
شديدا والناصية شعر
مقدم الرأس (قوله عز
وجل فيؤخذ بالنواصى
والاقدام) يقال يجمع بين
ناصيته ورجليه ثم يلقى فى
النار (قوله عز وجل ناديه)
أى مجلسه والجمع النوادى
والمعنى فليدع أهل ناديه
(قوله عز وجل نقعا) أى
غبارا (قوله عز وجل

(من دون الله) من الزبانية تضلا عن الله (و) لا يكون لهم مخلص بتدبير انفسهم لان (من يضلل الله فماله من سبيل) يسلكه للتخلص عنه وليس ذلك لعدم السبيل اصلا فقد وجد لاهل الاستجابة قبل الموت (استجيبوا لربكم) ليرشدكم بهداية سبيله لا بالاضطرار بل (من قبل أن يأتي يوم) تضطرون فيه للاستجابة (لا مرد له من الله) لتردوا الى عالم الحجاب الذي تعودون فيه الى اختياركم ولا يندفع اضطراركم فيه بملجأ اذ (مالكم من ملجا) تفرون اليه (يومئذ) لان كل ملجا فيه راجع الى الله (ومالكم من نكير) ينكر على الله في مؤاخذتكم (فان أعرضوا) عن دعوتك الى استجابة الله لتهديهم سبيل الهداية المتيسرة لهم كانها تحت قبضتهم (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ ما في قبضتهم من سبيل الهداية لو قصدوها فلا تلجئهم الى قصدها (ان عليك الا البلاغ) اى تبليغ ما في قصدها من الفوائد وما في الاعراض من الآفات (و) انما اعرضوا عن استجابتنا لانهم لا يرون منا نعمة ويرون منا كل مصيبة (انا اذا اذقنا الانسان منا) لا باستحقاقه (رحمة فرح بها) كانها مقتضى ذاته (وان تصبهم سيئة) لم تكن مبتدأة منا بل (بما قدمت أيديهم) كفر بنسبة الظلم الينا (فان الانسان كفور) بنسبة الظلم وسلب نسبة النعمة الينا وكيف يتصور نسبة الظلم الى الله فيما يتصرف في ملكه اذ (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء) بمقتضى مالكيته ولو تعين عليه شئ لم يكن على مقتضى مطلق المالكية على ان حاصل المصيبة غالبا منع فضل النعمة فكما لا يسمى عند منعه الفضل ظالما لا ينبغي ان يسمى في افاضة المصيبة ظالما وذلك لانه لا يسمى ظالما فيما يقسم من الاولاد وان كان بعضهم ناقص الحظ جدا فانه (يهب لمن يشاء اناثا) وهو انقص حظا ممن يعطى الذكور جدا وتنكيرهن اشارة الى ان من حقهن التنكير (ويهب لمن يشاء الذكور) وهو وان كان اكمل من الاول ناقص بالنسبة الى ما بعده فكما لا ظلم ههنا فكذا فيما قبله وعرفهم اشارة الى ان من حقهم التعرف بالاتصاف بالكمالات ثم قال (او) للاشارة بأنه كالمقابل للمشيئة اذ لا ترجيح فيه لاحد الجانبين على الآخر (يزوجهم) اى يجمع الموهوبين (ذكرانا واناثا) قدم الذكور ههنا لانه لم يظهر ههنا أثر المشيئة الموجبة تقديم الاناث اذ لا كراهة فيه لكونه غاية الكمال ونكر الذكور رعاية للمناسبة ولم يعكس بتعريفهما اشعارا بوجوب القرار عليهن من التعرف ثم قال (ويجعل من يشاء عقيما) لكونه أثر محض المشيئة اذ لا دخل فيه للهبة اصلا ومع هذا لا يعد ظالما فكيف ما تقدم وليس هذا على سبيل التحكم بل بتبعية العلم مع القدرة على خلافه (انه عليم قدير) بقدرته رفع بعض البشر الى حد المكالمة مع الله ومع ذلك راعى مقتضى علمه ببشريته وبالهية نفسه لذلك (ما كان لبشر) بقي لروحه تعلق ببدنه (أن يكلمه الله الا وحيا) اى الهاما بالقاء المعنى في قلبه يقظة أو مناما (او) بطريق الهواتف أو على لسان الشجرة مثلا أو اسماع كلامه النفسي (من وراء حجاب أو يرسل) اليه من الملائكة (رسولا فيوحي) اى يبلغ اليه كلامه (باذنه) لا باستقلال حتى يحتمل الاضلال (ما يشاء)

لاخلافه

النفاثات) سواحر ينفثن أى يتفلن اذا سحرن ورقين

(باب النون المضمومة)

(قوله عز وجل نسبح بحمدك) أى نصلي ونحمدك (قوله ونقدس لك) نطهر (قوله تعالى) نسك أى (قوله تعالى) نسكة ذبائح واحدتها نسيكة (قوله تعالى ننشزها) أى نرفعها الى مواضعها وهو مأخوذ من النشز

لاخلاف فيه اذا أذن بشئ لاشفاها الا ان رؤيته مذهلة عن فهم كلامه (انه على) لايبلغ البشر حد مكالمته شفاها ولايحتمل سماع كلامه مع رؤيته (حكيم) فى تبليغ كلامه العلى الى البشر الضعيف روى ان اليهود قالوا له الم لاتكلم الله ولاتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظره موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ذلك (و) كيف يكون مكالمة الله مع من تقدمك بوجه أعلى من هذه الوجوه مع ان وحيهم كان دون وحيك ولم يبلغوا فوق لك لكن (كذلك) اى على أحد هذه الوجوه الثلاثة (أوحينا اليك) يا اكمل الرسل اكمل الوحى حيث كان (روحا) اى نازلا منزلة الروح كما أوحى الى من تقدمك لكونه (من امرنا) المنسوب الى مقام عظمتنا لذلك كان معجزا وقد تأكد أمر الاعجاز فى حقك اذ (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا) ما انزل من اجله اعنى (الايمان) وان كنت متصفا به فالاتصاف بالشئ لايستلزم العلم بحقيقته كما لايستلزم العلم بحقيقة الكفر الاتصاف به لحجب البشرية وان كانت مانعة لك عن رؤية ذلك الروح من أمرنا (ولكن جعلناه) اى الروح من أمرنا (نورا) يكشف الحجب عن طريق الهداية الينا (نهدى به من نشاء من عبادنا) الى المعارف والحقائق بالاطلاع على اسرار اعجازه ان قبل الهداية منا بالتوجه الينا (و) من لم يكن كذلك امكنك ان تبلغه الى ذلك (انك لتهدى الى صراط مستقيم) من الاعتقادات والاعمال والاخلاق المتوسطة الموصلة الى التزكية والتصفية التى تنجلى بها مرآة القلب فيهتدى الى تحصيل المعارف والحقائق لتوجهها الى (صراط الله) الموصل الى علمه المحيط لانه (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ولا يبعد ان يرجع علم العبد فى هذه الرتبة الى علم الله من وجه (ألا الى الله تصير الامور) كلها بوجه من الوجوه فافهم فانه مزلة لقدم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الزخرف)

سميت به لدلالة آيته على ان الدنيا فى غاية الخسة فى نفسها وغاية العداوة مع ربها بحيث لاتليق بالاصالة الا لاعدائه وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجميع مكارمه فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بجعله مبينا لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين (الرحيم) بجعل بيانه باللسان العربى الذى هو افصح الالسن واجمعها للمعانى (حم) اى بحسننا ومننا أو بحلنا للمشكلات ومحونا للشبهات أو بحكمتنا ومتانة تدبيرنا أو بحمدنا ومجدنا (والكتاب المبين) لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين (انا جعلناه) بافراط حسننا ومننا عليكم وعنايتنا بحل المشكلات ومحو الشبهات وحكمتنا فى ايصال المعارف والحقائق والاحكام اليكم ومتانة تدبيرنا فى رفع أمركم وحمدنا بالانعام عليكم ومجدنا بافاضة المكارم (قرآنا) جامعا لهذه الفوائد (عربيا) يسهل تحصيلها لكمال فصاحته ويسهل فيه جميع الفوائد فوق ما يسهل فى لغة أخرى (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقلكم فتستخرجون هذه الفوائد منه (و) انما فعلنا ذلك لعجزكم عن الوصول اليه بدونه (انه فى أم الكتاب)

المكان المرتفع العالى أى نعلى بعض العظام على بعض ونشرها أى نحييها ونشرها من النشر ضد الطى (قوله تعالى نملى لهم) أى نطيل لهم المدة (قوله نشوز) بغض المرأة للزوج والزوجة للمرأة يقال نشزت عليه أى ارتفعت عليه ونشز فلان أى قعد على نشز ونشز من الارض أى مكان مرتفع (قوله عزوجل

اى القلم الاعلى الذى يعسر عليكم الوصول اليه لكونه (لدينا) اى فى حضرة القرب منا (لعلى) لايصل اليه كل مقرب لانه (حكيم) اى جامع لانواع الحكم كلها فلا يبلغه الا الكمل من المقربين لكن جعلنا فيكم قابلية تحصيل ذلك بواسطة جعله عربيا لكنكم معرضون عن ذلك (أ) نهملكم مع مافيكم من هذه القابلية (فنضرب) اى نبعد (عنكم الذكر) اى الذى يذكركم تلك الحكم التى فى قابليتكم بل نعرض عنكم (صفحا) اى اعراضا كليا من أجل (ان كنتم قوما مسرفين) فى الاعراض عنا وعما فيكم من قابلية الكمالات هذا اذا فتح ان ولو كسرت فمعناه ان فرض وقوع اسرافكم الذى حقه ان يكون مستحيلا فرض وقوع المحال (و) لكن الاسراف لايقتضى الاهمال بل ارداف الحجج لذلك (كم) اى كثيرا (أرسلنا من نبى) قرروا الحجج الكثيرة (فى) قلوب (الاولين و) لم يزالوا يزدادون به اسرافا بحيث (ما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) وانما اردفنا فيهم الحجج مع عدم انتفاعهم بها لان اسرافهم اقتضى تعجيل اهلاكهم (فأهلكنا) لاهلاكهم استعدادهم بتغليب القوة الحيوانية على العقلية (اشد منهم بطشا) اى قوة ولم تدفع عنهم الاهلاك وانما تدفعها القوة العقلية (و) لم يخفف عنهم الاهلاك بل (مضى) اى تقرر على الكمال (مثل الاولين) اى القصة العجيبة الشان فى شدة العذاب عليهم مع غاية قوتهم (و) كيف لايمضى مثلهم وقد كان استهزاؤهم بالرسل مثلا لانهم استهزأوا بهم فى الدعوة الى الله مع اعترافهم بأنه خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن) الله لانه (العزيز) الذى يمكنه ان يغلبها (العليم) الذى راعى الحكمة فى خلقها ويلزم من ذلك انه يمكنه ان يغلبهم فيهلكهم وقد اقتضت الحكمة ذلك اذ قد علم اعراضهم عنه واستهزاءهم بمن يدعوهم اليه وبتمهيدهم قواعد العقائد عنه مع علمهم بأنه (الذى جعل لكم الارض مهدا و) يجعل لهم الاعمال الصالحة طرق الوصول اليه مع علمهم انه (جعل لكم فيها سبلا) لاهتدائكم الى تحصيل المعاش والمعاد اولى بذلك فكانه جعلها لتقيسوا سبل الآخرة عليها (لعلكم تهتدون و) بدعواهم انزال الوحى من السماء لاحياء القلوب الميتة بالجهل بما يليق بها مع علمهم انه (الذى نزل من السماء ماء بقدر) اى بمقدار ما ينفع ولا يضر (فأنشرنا) اى أحيينا (به بلدة) لكونها مكانا للمحسوسات (ميتا) فالانسان الميت بالجهل لكونه مجلى الهيا أولى بالاحياء بالعلم وقد دل على الاهتمام بذلك الاحياء لكونه سببا للمعاش الاخروى حيث جعله دليلا على البعث بأنه (كذلك تخرجون) من القبور يوم القيامة (و) بدعواهم الاختصاص بمنصب النبوة مع علمهم بأنه (الذى خلق الازواج) اى الاصناف المتفاوتة لكل نوع والانواع المتفاوتة لكل جنس (كلها) وهذا اعلى اصناف اعلى انواع اعلى الاجناس وهو الحيوان اعلاه الانسان واعلاه الانبياء عليهم السلام واعلاه محمد رسول الله خاتم الانبياء عليه وعليهم السلام كيف (و) لابد فى الحكمة من نبى يهيئ مراكب الوصول الى الله تعالى من العلوم الظاهرة فى بر الشريعة والباطنة فى بحر الحقيقة لذلك

واللاتى تخافون نشوزهن) عما معصيتهن وتعاليهن من أوجب الله عليهن من مطاوعة الازواج (قوله تعالى نصليهم نارا) أى نشويهم بالنار (قوله تعالى نورا) أى ضوأ (قوله تعالى نصب) ونصب ونصب بمعنى واحد وهو حجر أو صنم منصوب يذبحون عنده ونصب تعب واعياء (قوله جل وعز مسنى الشيطان

(جعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ولكونها التقاس عليها المراكب الاخروية المطلوب فيها الاستقامة جعلت (لتستوا على ظهوره ثم) لاتعجبوا بأنفسكم بل (تذكروا نعمة ربكم) فى تسخيرها وتسخير الريح والبحر وفى تسخير النفس للاعمال (اذا استويتم عليه و) لاتنسبوا ذلك الى قوتكم بل (تقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) من ان يشارك فى القدرة (و) نحن وان كان لنا وجه من القدرة (ما كنا له مقرنين) اى مطيقين وكذا الانسان لايطيق العمل بنفسه اذ لاتلين له نفسه ولايرتفع الكسل ولاسائر العوارض والعوائق ولاتصفو له الاعتقادات مالم يقم له ربه عليه البراهين أو يكشف له عن الحجب والشبهات (و) لابد لنا من مركوب أخروى يسهل السير الى الله (انا الى ربنا لمنقلبون) فعلم بما ذكر ان الرسل ليسوا محل الاستهزاء بل هم اولى به فيما استهزأوا به (و) فى غيره اذ قد (جعلوا له من عباده جزأ) حيث قالوا بولادته للملائكة والعزير وعيسى عليهم السلام والولد جزء ابيه فلو أمكن ان يكون له جزء لم يكن مستهانا بالعبودية ففيه كفر من جهتى التجزئة والاستهانة (ان الانسان لكفور مبين) وقد ضموا الى ذلك الاهانة بالانوثة سيما مع تفضيل الانسان عليه باعطاء الذكور أتخذ مما يخلق ذكورا كعزير وعيسى عليهم السلام (ام اتخذ مما يخلق بنات) وفى قوله مما يخلق اشارة الى ان المخلوقية تنافى الولادة (وأصفاكم) فضلكم على ذاته (بالبنين و) لولا هذا التفضيل بالبنين على نفسه كفى بالبنات اهانة فى عرفهم لانه جرت عادتهم انهم (اذا بشر احدهم) بالانثى وهى بشارة (بما ضرب للرحمن مثلا) لان الولد يماثل الاب وكفى بهذا التمثيل له اهانة (ظل) اى صار (وجهه مسودا وهو كظيم) اى ممتلئ بالحزن (ا) تجعلونه مثل من لا كمال له أصلا تارة كالاصنام (و) مثل (من) لا كمال له فى ذاته لكنه يستكمل بالغير اذ (ينشؤ فى الحلية) اى الزينة (و) لكن لاعبرة به مع فوات الكمال الحقيقى اذ (هو فى الخصام) اى المناظرة (غير مبين) مافى قلبها القصور عقلها فقد جعلتم أكمل الموجودات مثل هذه النواقص (و) سبب ذلك انهم (جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن) الذين جعلهم لكمالهم وكلاء رحمته العامة بناته فجعلوهم (اناثا) من غير دليل (أشهدوا خلقهم) فرأوا فيهم ماللنساء (ستكتب شهادتهم) لئلا ينكروها عند السؤال (و) ذلك لانهم (يسئلون) عنها لامحالة ثم ان من جملة مايوجب الاستهزاء بهم انهم عبدوا الملائكة مع اعتقادهم هذا النقص فيهم (و) تمسكوا فى عبادتهم بمشيئة الله اذ (قالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) وانما استدلوا بذلك لانهم (مالهم بذلك) اى بطريق الاستدلال (من علم) لانه انما يتم لو كانت مشيئته أمرا وانما يقولون بذلك تخمينا لاعتيادهم (ان هم الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين فى كل مكان أآتيناهم على ذلك دليلا عقليا (أم آتيناهم كتابا) يدل على ان مشيئته امره وهو وان كان (من قبله فهم به مستمسكون) مع انه قابل للنسخ لتعلقه بالعبادات الفرعية لادليل لهم عقلى ولانقلى قابل للنسخ ولاغير قابل (بل) محض تقليد الجهال اذ (قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) اى طريقة (و) لاحاجة لنا

بنصب) أى ببلاء وشر (قوله عز وجل ونرد على أعقابنا) يقال رد فلان على عقبيه اذا جاء ليفسد فسد سبيله حتى يرجع ثم قيل لكل من لم يظفر بما يريد رد على عقبيه (قوله عز وجل ننجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الارض أى ارتفاع من الارض ببدنك ويقال انما ذكر البدن دلالة على خروج الروح منه أى ننجيك ببدن لاروح فيه

في سلوك طريقهم الى دليل يهدينا (انا على آثارهم مهتدون) انتم من هداية دلائلكم
(و) ليس هذا بديع منهم اذ (كذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير) لاهلها يخوفهم
العذاب على ماهم عليه (الاقال مترفوها) اى متنعموها الذين لا يفرغون للاستدلال بالدلائل
لاشتغالهم بشهواتهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) . واحصلت فيها
هداية أم لا لجزمكم الهداية في اقتداء الآباء منكم بديع (قل) في رد هذه الزيادة (أ) تهتدون
بطريقتهم (ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) ان كان لهم هداية (قالوا)
لانسلم ان في طريقك هداية فضلا عن ان يكون اهدى (انا بما أرسلتم به كافرون) وقد اقتدوا
بمن كفر برسلنا (فانتقمنا منهم) مع شكهم في كونه هداية وهؤلاء قد جزموا بكونه هداية
(فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) هل هي عاقبة اهل الهداية أم عاقبة أهل الضلال واذا
أخذوا مع الشك في كونه هداية فمع الجزم بذلك أولى بالمؤاخذة (و) ان اصروا على
الاقتداء بهم بعد العلم بالانتقام منهم لكونهم آباء فأولى الآباء بالاقتداء ابراهيم اتفاقا وقد ترك
الاقتداء بأبيه وقومه فاذكر (اذ قال ابراهيم لابيه) مع تقدمه عليه (وقومه) مع كثرتهم
وتقدم جماعة منهم (انني براء) مصدر بمعنى برىء (مما تعبدون) اى من جميع معبوديكم
لانهم يضلونني (الا) معبودكم (الذى فطرني) فاني لا أبرأ منه خوف اضلاله (فانه سيهدين)
الى تحصيل الكمالات ودفع النقائص (و) لم يجعل الله هذه الكلمة مردودة عليه بحيث
لم يقبلها أحد من أولاده بل (جعلها كلمة باقية في عقبه) فلا بد من عقبه من يتكلم بها
فيسمعها منه الناس (لعلهم يرجعون) الى مقتضاها لكونها مجربة في افادة الهداية لكنهم
لم يشتغلوا بتجربتها (بل) اصروا على كفرهم اذ (متعت هؤلاء وآباءهم) على كفرهم بما يهدى
للاصنام فعدوا ذلك من تجربة الكفر بافادتها الامتداد ذلك مدة مديدة (حتى جاءهم الحق)
اى فوائد الهداية التي لا تبطل بعارض (ورسول مبين) لها ولضرر تلك الهداية وعبادة
معبوديهم (ولما جاءهم الحق) اى الامر الثابت الذى لا يمكنهم رده من الحجج على ذلك
(قالوا هذا) الكلام (سحر) يرى الشيء على خلاف ماهو عليه (و) لو وقع لقلوبنا صدقه
لانؤمن به (انا به كافرون وقالوا) كيف نؤمن به مع نزوله على من لا عظمة له (لولا نزل هذا
القرآن على رجل) كامل (من القريتين) مكة والطائف (عظيم) فيهما بالمال والجاه مثل الوليد
ابن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي ولم يعلموا أن الشرف انما هو في التحلي بالكمالات القدسية
دون الزخارف الدنيوية (اهم يقسمون رحمت ربك) الخاصة التي هي النبوة فيعطونها من
شاؤا لا من شاء الله وليس لهم ذلك في أدنى الامور اذ (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) التي ينتفعون
بها (في الحيوة الدنيا) التي لا فضيلة لها ولم تكن مزرعة الآخرة (و) لا يعد منا رفع
بعض الناس على بعض بفضيلة النبوة ليتخذ بعضهم بقيتهم سخرية باستعمالهم ما يأمرهم وقد
(رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) في تلك المعيشة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اى
ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فينتظم أمرهم (و) اذا كان هذا في أدنى الامور وهي

الاموال

ويقال يدنك اى بدرعك
والبدن الدرع (قوله عز
وجل نغادر) نبق ونترك
ونخلف يقال غادرت كذا
وأغدرته اذا خلفته ومنه
سمى الغدير لانه ماء تخلفه
السيول (قوله نكرا) اى
منكرا (قوله عز وجل نزلا)
النزول ما يقام للضيف
ولأهل العسكر (قوله عز
وجل نهى) عقول
واحدها نهية (قوله عز
وجل لنحرقنه) يعني بالنار

الاموال فاءلاها وهي النبوة أولى اذ (رحمت ربك) وهي النبوة (خير مما يجمعون) من الاموال التي يتخذ بها بعضهم بعضا سخريا كيف (و) لو كان المال منصبا شريفا لم يعط العبيد ولا الاعداء لكنه (لولا) كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) متفقة على الكفر بالله (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن) لتكثير النعم عليه مع كفره بالمنعم فيزداد عذابا (لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) اى مصاعد من فضة (عليها يظهرون) اى يرتقون (ولبيوتهم ابوابا) من فضة (و) نجعل لهم فيها (سررا) من فضة (عليها يتكؤن و) نجعل لهذه الاشياء فوق الفضة (زخرفا) اى زينة من ذهب وجواهر (و) لا دلالة في شيء من ذلك على فضيلتهم لانه (ان كل ذلك) اى لا شيء من ذلك (لما) اى الا (متاع الحيوة الدنيا) التي تعم الخاصة والعامة فلا خصوصية لها فيها بحيث يدل عدمها على عدم منصب النبوة (و) انما الذي يدل عدمه على عدم النبوة التقوى اذ (الآخرة عند ربك للمتقين) فالنبوة انما تكون لمن كمل تقواه سواء كانت عنده الدنيا أم لا وانما كانت الزينة الدنيوية أحق بالكفار لانها تثير ظلمة الاهوية المانعة من رؤية الحق بحيث يصير صاحبها اعشى (ومن يعش) فيغفل (عن ذكر الرحمن) المانع من تمكن الشيطان بالقلب (نقيض) أي نقدر (له شيطانا) ليلزمه (فهو له قرين) في كل ما توجه اليه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) الموصلة الى الله والى السعادة الابدية باراءة الاهوية المضارة منافع حاضرة وان ضررها متوهم والمنافع الاخروية أمورا موهومة (ويحسبون) لعماهم (انهم مهتدون) الى الكمالات الحقيقية ولا يزالون على هذا (حتى اذا جاءنا) فأدرك غاية عداوته وصده عن السبيل (قال يا ليت) أي يا ايها المتمني تعال فاني أتمنى لو ان (بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعد ما بين المشرق والمغرب اذ يخاف فيما دونه ان يؤثر في نوعا من التأثير المضر (فبئس القرين) انت اذ لا يتوقع منك التأثير بالخير أبدا قال تعالى هذا التمني انما كان ينفعكم قبل هذا اليوم (و) لكن (لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) بقبول ما دعاكم الشيطان اليه من غير اكراه ولا شبهة يعتد بها فضلا عن حجة فلا يتحمل عنكم العذاب ولا شيأ منه (انكم في العذاب مشتركون) وانما كان ينفع من كان يسمع الزواجر عن الهوى ويبصر مضارها لكن الشيطان جعله عن ذلك أصم وقد كان قبله اعمى (أ) تزيل صممه (فانت تسمع الصم أو) تزيل عماه فانت (تهدي العمي و) ان أمكنك ذلك في حق من لا يعاند فكيف تسمع وتهدي (من كان في ضلال مبين) من العناد بحيث ان دعوته الى الهداية عاداك فلا ينزعن كونه مالم تنتصر عليهم بالعذاب فان تأخر نصرك عليهم (فاما نذهبن بك) أي فان تحقق توفيتنا اياك قبل تعذيبهم (فانا) لنصرك بعد توفيتك (منهم منتقمون أو نرينك) في حياتك (الذي وعدناهم) من العذاب فلا يبعد (فانا عليهم مقتدرون) ولا نخاف الوعد مع القدرة عليه فانتقم منهم يوم بدر واذا تحقق ما وعدناهم على تكذيبك فهو دليل صدقك (فاستمسك بالذي أوحي اليك) كيف ولولا ذلك لوجب الاستمساك به لاستقامته (انك) في جميع أمورك (على صراط مستقيم) كامل

وزخرفه نبرده بالمبارد (قوله عزوجل نكسوا على رؤسهم) معناه أثبت الحجة عليهم ونكس فلان اذا سفل رأسه وارتفعت رجلاه ونكس المريض اذا خرج من مرضه ثم عاد الى مثله (قوله عزوجل نشورا) أي حياة بعد الموت (نمكن لهم حرما) أي نسكنهم ونجعله مكانا لهم (قوله عزوجل نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر

الاستقامة من كل وجه (و) لولم يظهر استقامته لوجب عليك متابعته لاختصاصه بشرف الاعجاز وليس هذا الشرف بحيث لايتعداه بل (انه لذكر) أى شرف (لك ولقومك و) لوتركتم هذا الشرف فلا تسلون رأسا برأس بل (سوف تسئلون) عن تركه كيف (و) ليس فيه ضرر ترك عبادة من يتوقف رحمة الله على شفاعتهم لانه انما يتحقق لو أمر الله بعبادتهم (اسئل) أم (من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) للوصول الى كمال رحمته (آلهة يعبدون) وكيف نرسل رسولا لعبادة الغير (ولقد أرسلنا موسى) لمنع عبادة الغير واعتقاد الهيته ولوادعى أحد ذلك لم يكن له آية البتة وكان ارسال موسى (بآياتنا) المصدقة له (الى فرعون) لينهاه عن الاستعباد (وملائه) لينهاهم عن العبادة فلم يترك جانبا يوهم الرخصة من وجه (فقال انى رسول رب العالمين) لبيان ان لايستحق العبادة غيره وليس لاحد سواه استعباد لانه احق الربوبية المطلقة وكانوا يعبدون فرعون من غير دليل وطالبوا موسى بالآيات مع ظهور دلائل التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون و) لم يكن ذلك لقصورها بل (ما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) السابقة عليها (و) اكدنا دلالتها على صدقه اذ (أخذناهم بالعذاب) الدنيوى فى ضمنها كالسنين والطوفان وغيرهما مما يلجئ الى الرجوع ولا أقل من رجائه (لعلهم يرجعون و) مع ذلك لم يرجعوا بل (قالوا) حال التجائهم الى موسى (ياأيه الساحر) باتيان الآيات والعذاب (ادع لنا ربك) بزعمك متوسلا اليه (بما عهد عندك) من ان لايعذب من آمن بك ليكشف عنا العذاب فانه اذا كشفه عنا (اننا لمهتدون) بما تزعم انه الهداية (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) أى فاجأ نكثهم للعهود من غير تأخير (و) للاعتذار عن النكث (نادى فرعون) بنفسه اذلو كان غيره ربما اعترض عليه (فى) مجمع (قومه) لانهم اذا اتفقوا عليه لم يعتد بمخالفة من عداهم (قال ياقوم) الذين حقهم ترجيح قولى لو عارضه شئ أودات آيات موسى على صدقه فقد ظهر كذبه فى قوله انى رسول رب العالمين لخروج ملك مصر عن ربوبيته (أليس لى ملك مصر و) ليس باعتبار الظاهر فقط بل فى الباطن أيضا اذ (هذه الانهار) انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من) أمرى الى حيث شئت فهى (تحتى) أى تحت ربوبيتى فى الباطن أيضا (أ) تنكرون ذلك وهو محسوس (فلا تبصرون) ثم ان رسول رب العالمين يجب أن يكون أعز الخلائق وخيرهم اهو أعز وخير منى (أم أنا خير) بهذه العزة وهذا الملك (من هذا الذى هو مهين) ليس له شئ من الملك ولايعزه الناس (و) ليس فيه مايوجب العزة من اكمال البيان ذ (لا يكاد يبين) شيأ من مقاصده لثلغ فى لسانه ثم ان الرسول المكرم لايخلو من زينة وحشم بقدر عظمة المرسل (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) يعينونه ويصدقونه (فاستخف قومه) أى تلبس على قومه بهذه المغالطات طلبا لخفتهم

فى

(وجاءكم النذير) قال قتادة احتج عليهم بطول العمر وبالرسول صلى الله عليه وسلم وقد قيل النذير الشيب وليس هذا القول بشئ لان الحجة تلحق كل بالغ وان لم يشب وان كانت العرب تسمى الشيب النذير (قوله عزوجل نحاس ونحاس) أى دخان (قوله عزوجل ن والقلم) قيل النون الحوت والجمع النينان

فى طاعته (فاطاعوه) وان لزمهم الخروج عن طاعتنا سيما بنكث العهود (انهم كانوا
قوما فاسقين) عن طاعتنا أولا ثم ازدادوا فسقا حتى أغضبونا (فلما آسفونا) أى أغضبونا
بطاعة عدونا وقبول مغالطاته بلا دليل وتكذيب موسى وآياته وندائه بالساحر ونكث
العهود (انتقمنا منهم) فى الدنيا (فاغرقناهم اجمعين) لاستغراقهم فى بحر الضلال
(فجعلناهم سلفا) أى حجة للهالكين بعدهم (ومثلا) أى عبرة (للآخرين) أى الناجين
ولولا أحد الامرين كان الاولى تأخير عذابهم الى يوم القيامة لئلا يخفف عنهم بالعذاب
الدنيوى عذاب الآخرة (و) كما استخف فرعون قومه فاطاعوه استخف عبد الله بن
الزبعرى قومك فاطاعوه مع ضعفه فانه (لما ضرب ابن مريم) أى جعله ابن الزبعرى
(مثلا) للاصنام التى تصير حصب جهنم لكونها معبودة اذ عبدته النصارى (اذا قومك
منه يصدون) أى يضجون فرحا أو يعرضون عن دلائلك بمجرد هذه المغالطة (و) غاية
ماقرروا فيها انهم (قالوا ءآلهتنا) التى هى حصب جهنم عندك (خير أم هو) ولاشك انه
خير عندك فاذا جوزت فى الخير كونه حصب جهنم ففى الدون أولى فلا عبرة لقولك وهو مع
هذه المبالغة كلام فى غاية السقوط لانهم (ماضربوه) مثلا ليكون ناقضا (لك الاجدلا)
بطريق المغالطة لظهور الفرق بين المقيس والمقيس عليه اذ الاصنام لاتتألم بالنار ويزداد
عابدوها بها عذابا وعيسى يتألم بالنار مع ان غاية كونه معبودا أنه سبب وهو انما يؤثر لو لم يكن
معه مانع وقد منع سبق العدة الحسنى لعيسى عليه السلام وهذه مغالطة من هذا القائل
رضى بها قومك لا لالزامك بطريق التحقيق (بل) بطريق المغالطة اذ (هم قوم خصمون)
ثم انه وان كان خيرا من الاصنام لم يكن فيه شئ من الالهية (ان هو الا عبد) غاية كماله انا
(انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه) فى كمال نبوته (مثلا) أى كالمثل السائر (لبنى اسرائيل)
فاتخذوه الها (و) لا الهية بذلك بل غايته الملكية التى يجوز عمومها للناس بحيث (لو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة) مع كونكم (فى الارض) كانهم (يخلفون) أى يكونون بدلكم
وكيف لايكون ملكية (وانه لعلم للساعة) أى من اشراطها ينزل بقربها والبشر المحض
لايبقى الى هذه المدة لكن هذا البقاء ربما يوهم الهيته (فلا تمترن بها) أى بملكيته فتجعلونها
الهية (و) لاتتبعوا أهل ملته فى ذلك بل (اتبعون) فى القول بنبوته وصيرورته الى الملكية
(هذا صراط مستقيم) لتوسطه بين افراط القول بالهيته وتفريط القول بكونه ولد الزنا
(ولا يصدنكم الشيطان) عن هذا الصراط بانكم خالفتم اجماع من تقدم لان أهل ملته
يقولون بالهيته ومخالفوه يقولون انه ولد الزنا (انه لكم عدو مبين) يأمركم اتخاذ شريك الله
أو باستهانة نبى (و) كيف تأخذ بقول أهل ملته مع مخالفتهم مانص عليه فانه (لما جاء عيسى
بالبينات) المنافية لقول أعدائه لم يدع الالهية لنفسه بل النبوة اذ (قال قد جئتكم بالحكمة)
لابين لكم الحقائق التى لم تظهر من كتب الاولين (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه)
فيكفر فيه بعضكم بعضا (فاتقوا الله) ان تكفروا بربنا أو تقولوا مايؤدى بكم الى الكفر

وقيل هو الحوت الذى تحت
الارض وقيل النون الدواة
(قوله عز وجل نقر فى
الناقور) أى نفخ فى الصور
(قوله عز وجل النفوس
زوجت) أى جمعت مع
مقارنيها الذين كانت على
رأيهم فى الدنيا (قوله عز
وجل نحلة) أى هبة يعنى
ان المهور هبة من الله تعالى
للنساء وفريضة عليكم
ويقال نحلة أى ديانة يقال
مانحلتك أى مادينك (قوله
عز وجل نسيا منسيا)

(واطيعون) بما آمركم به من صواب الاعتقاد والعمل وان كان فيه نسخ بعض الاعمال فلا بعد فيه (ان الله هو ربى وربكم) فله ان يامركم أمرا او يأمرنا بخلاف ذلك (فاعبدوه) فيما يأمركم به فصرح بنفى الهيته نفسه واستحقاقها العبادة وقال كما قلت (هذا) أى القول بنبوتى دون الهيتى وكونى ولد الزنا (صراط مستقيم) لا افراط فيه بالشرك ولا تفريط باستهانة الانبياء عليهم السلام واذا كان هذا قول عيسى فلا عبرة باجماع من يخالف صريح نصه لان حجية الاجماع انما تثبت بالكتاب والسنة فلا عبرة بما خالفهما على انهم مختلفون فهم وان اتفقوا على ان الصواب لا يخرج عن أقوالهم يجوز احداث قول آخر فى الاصح على انه اختلاف لا سند له (فاختلف الاحزاب) اختلافا نشأ (من بينهم) لا من قول الله تعالى ولا من قول عيسى عليه السلام فيجوز احداث الزائد بلا خلاف على ان الاجماع انما يعتد به لو لم يكن أهله ظالمين بالعناد اذ لا يجوز الاخذ بقولهم لانه موجب للتعذيب (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) أى مؤلم بنفسه لو لا فيه جهنم من شدة الاهوال وكثرة الفضائح وظلمهم بترك النظر فى الدلائل العقلية والنقلية (هل ينظرون) لظهور الصواب لو كانوا طالبيه (الا الساعة ان تأتيهم) مبينة لهم الصواب اذ لا يعارض بيانها شئ ولا يعرض له شبهة لكنه لا يفيد لانه انما يستفيد به من كان مؤمنا به قبلها ولا يتأتى لمنتظرى الساعة ذلك لانها تأتيهم (بغتة و) لا يكون اتيانها كسائر الامور المفاجئة مع نوع من الشعور قبله بل بحيث (هم لا يشعرون) بها بوجه من الوجوه وظهور الصواب وان كان ملذا ههنا ينقلب مؤلما من حيث ظهور الخطا فيه وهو وان كان ملذا قبل ظهور حاله فهو كالخلة ينقلب مؤلما هنالك اذ (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) اذ كان بعضهم يدعو بعضا الى لذات تنقلب هنالك آلاما (الا المتقين) فانهم لما دعا بعضهم بعضا الى ما ينقلب ملذا هنالك لم يزل تلذذهم بخلتهم بل يزداد كالذى كان على الصواب ههنا يتلذذ بصوابه هنالك أكثر وكيف تكون بين المتقين عداوة مع ان مادون التقوى وهو عبادة الله مع الايمان والانقياد لشرائعه رافع للآلام موجب لانواع الملاذ اما رفع الآلام فلانه يقال لهم (يا عباد الذين عبدونى (لا خوف عليكم) من الآلام (اليوم) بالنسبة الى الحال والاستقبال وان كان يوم الشدائد والاهوال (ولا أنتم تحزنون) بالنسبة الى الماضى بما قصرتم وانما خصصتم بذلك من بين عباد سائر الامم لاختصاصكم بالايمان والاسلام لانكم (الذين آمنوا) فى الباطن (بآياتنا وكانوا مسلمين) أى منقادين فى الظاهر وكيف لا يكون ذلك سبب دفع الآلام مع انه سبب دخول الجنة (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) وان قصر ايمانهن واسلامهن من قصور عقلهن لكن يتبعنكم تكميلا لسروركم اذ بهن (تحبرون) أى تسرون من كل وجه وقد أريد كمال سرورهم لذلك (يطاف عليهم بصحاف) أى قصاع (من ذهب) مملوءة بالوان الاطعمة (وأكواب) أى كيزان لا عرى لها مملوءة بانواع الاشربة (و) لا يقتصر على ذلك بل (فيها) بجميع (ما تشتهيه الانفس) من الاصوات الحسنة

والروائح

النسى الشئ الحقير الذى اذا القى نسى ولم يلتفت اليه

(باب الواو المفتوحة)

(قوله عز وجل ويل) كلمة تقال عند الهلكة وقيل ويل واد فى جهنم وقال الاصمعى ويل قبوح وويس استصغاره وويح ترحم (قوله تعالى واسع) أى جواد يسع لما يسئل ويقال الواسع المحيط بعلم كل شئ كما قال وسع كل شئ علما (قوله تعالى ود) أى تمنى وود أحب (قوله

والروائح الطيبة (وتلذ الاعين) من الجواهر الشريفة والصور الجميلة فيجتمع لهم أنواع
الملاذ (و) لا يتكدر بتوهم الانقطاع اذ يقال لهم (أنتم فيها خالدون) لا تخافون زوال شئ
منها كيف ولا ينقطع ثواب الاعمال المتناهية (و) لذلك يقال لهم (تلك الجنة) وان
كانت هي (التي أورثتموها بما كنتم تعملون) فليست بقدر أعمالكم اذ (لكم فيها فاكهة
كثيرة) أي كثرة غير متناهية لا يمكنكم أكل جميعها بل (منها) أي بعضها (تأكلون)
وكيف لا يكون الاخلاء بعضهم لبعض عدو اذ لم يكونوا متقين مع انهم يعذبون بالنار على
معاص حصلوها من خلتهم سيما الكفر (ان المجرمين في عذاب جهنم) بدل لذات الجنات
للمؤمنين (خالدون) خلود المؤمنين في لذات الجنات والعذاب وان لم يتزايد تزايد الجنات
يكفي فيه كونه (لا يفتر) أي لا يخفف (عنهم و) لا يرجون تخفيفه اذ (هم فيه مبلسون
وما ظلمناهم) بتبديل لذات الجنات بهذا العذاب المخلد على أعمال قليلة (ولكن كانوا)
بتلك الاعمال سيما الكفر (هم الظالمين) لانهم عادوا الله والملك اذا ظفر بعدوه قتله لكن
القتل ههنا نجاة فعوض بهذا العذاب (و) لكمال ظلمهم لا يجدون هذا القتل المعوض
عنه وان تشفعوا فيه يقابلهم بالعذاب اذ (نادوا يا مالك) سل ربك أن يفعل بنا ما يفعله
الملوك باعدائهم من القتل (ليقض علينا ربك) بقضاء الملوك باعدائهم (قال) انما لا يفعله
لانه نجاة ولا نجاة لكم (انكم ماكثون) في عذابه وكيف لا تمكثون فيها وقد كفرتم
بما لا ينقطع من الحق فانا (لقد جئناكم بالحق) من الاعتقادات التي لا ينقطع معتقدها
(ولكن أكثركم) قطعوا اعتقادهم عنها اذ أكثركم (للحق كارهون) لصعوبة اعتقاده
عليهم لمخالفته مألوفهم ولكن لا وجه لكراهته بعد قيام الدلائل على حقيته أترددوا في
حقيته (ام ابرموا) أي قطعوا (امرا) لا ينقطع من الاعتقاد الفاسد فسواء ترددوا
أو جزموا (فانا مبرمون) أي قاطعون بالعذاب عليهم أيحسبون انا لا نؤاخذهم على
الاعتقادات لكونها بواطن والملوك لا يؤاخذون بها (ام يحسبون انا) انما نؤاخذهم
بها لو علمناها لكن لا نعلمها لانا (لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يناجي به بعضهم بعضا (بلى)
نسمعها (و) نشهد عليها الملائكة اذ (رسلنا لديهم) حاضرون ولا يمكنهم تغليطهم اذ
(يكتبون) ما يجري على ظواهرهم وبواطنهم فان زعموا ان هؤلاء الرسل أولاده فان أنكرتم
ولديتهم كتبوا عليكم (قل) انما يكتبون ذلك لو كانوا أولاده لكنهم ليسوا كذلك (ان كان
للرحمن) الذي يرحم باعطاء الاولاد والاموال وسائر النعم وغيره (ولد فانا أول العابدين)
أي السابق في عبادته لانه رحمني أكثر مما رحم غيري فانا أولى بطلب مرضاته التي لا تكمل
الا برضا أولاده الذي لا يتم بدون عبادتهم لو كانوا لكنهم لو وجدوا لكانوا فوق عالم الاجسام
فانه تنزه (سبحان رب السموات والارض رب العرش) المحيط بالاجسام (عما يصفون)
من ان له ولدا في عالم الاجسام مع انها اخس الموجودات (فذرهم يخوضوا) في باطلهم
(ويلعبوا) بدينهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) لجزائهم على خوضهم ولعبهم

عز وجل أمة وسطا) أي
عدولا خيارا (قوله تعالى
وجيها في الدنيا والآخرة)
أي ذا جاه في الدنيا بالنبوة
وفي الآخرة بالمنزلة عند
الله والجاه والوجه المنزلة
والقدر معا (قوله عز
وجل وجه النهار) أي
أول النهار (قوله الوسيلة)
أي القربة (قوله تبارك
اسمه وبال أمره) أي عاقبة
أمره في الشر والوبال
الوخامة وسوء العاقبة

وكيف يكون له فى عالم الاجسام ولد (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) فلو كان له هنالك ولد لاجتمعت الهيته بالهيته وهو موجب للفساد (وهو الحكيم) الدافع للفساد الأن يخفى عليه لكن لايخفى عليه لانه (العليم و) لولم يكن فيه فساد للاتفاق بينهما لكان فيه قصور الولاية لكن (تبارك) أى تعاظم بكمال الولاية (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما و) سيظهر كمال ذلك يوم القيامة وانما خفى على من خفى لخفائه اذ (عنده علم الساعة و) لكنه فى معنى الجلى اذ لابد من الرجوع الى من هو له لكن (اليه) لا الى غيره (ترجعون و) ان زعموا ان اختصاصه بالرجوع اليه لكونه أعظم ومن دونه وان لم يملك ملكه يملك الشفاعة عنده يقال (لايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) عنده (الامن شهد بالحق) على نفسه فلم يدع الهية نفسه (وهم يعلمون) حال المشفوع له انه موحد (و) الا فكيف يشفع للمشرك بالله مع علمه بان الشريك لم يخلق شيأ والله تعالى خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) أى يصرفون الى القول بانه يشاركه من لايخلق شيأ (و) لوشهدوا بتوحيد المشركين لايملكون أن يدفعوا (قيله) أى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يارب) أى يامن ربانى فجعلنى أكمل منهم فلايعارضون قولى بقولهم (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر هذا على قراءة النصب وقرئ بالجر على تقدير ولايملكون دفع قيله على نية المضاف وبالرفع على حذف الخبر أى قوله المذكور دافع لشهادتهم فان اصروا بعد هذا البيان (فاصفح) أى أعرض (عنهم وقل) لليأس عن مجادلتهم (سلام) أودعكم به وهم وان كانوا بحيث تعجز عن تعليمهم (فسوف يعلمون) ماتقول لهم فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الدخان)

سميت به لدلالة آيته على انه بجزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة بصائر قلوب أهلها وأرواحهم ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشيطان وجعلوا المميز بينهما مجنونا وان القرآن كاشف عنه ككشف الدخان المحسوس عنهم (بسم الله) المتجلى باسمائه الحسنى فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بانزاله فى ليلة مباركة للانذار المصلح لافعال العامة (الرحيم) بتفريق كل أمر حكيم فيه برحمته الخاصة لتكميل الخواص (حم) أى اقسم باسمى الحكيم المتين أو الحميد المجيد أو الحسيب المقيت أو الحنان المنان (والكتاب المبين) لمقتضيات أسمائه الحسنى (انا أنزلناه) لان اسمه الحكيم يقتضى انزال مايتضمنه الحكمة على من يستعد لها والمتين يقتضى انزاله لتقوية العقلية والحميد يقتضى اظهار كمالاته بالمظاهر الكاملة الموجبة أقصى المحامد والمجيد يقتضى تمجيده اعتقادا وعملا ولا يتأتى الا بانزاله والحسيب يقتضى انزال مايكفى فى اقامة الدلائل ورفع الشبه والمقيت يقتضى انزال مايصير

يقال ماله ويل وكلاويل أى وخم لايستمرأ وتضمر عاقبته والويل والوخيم ضد المرئ * (قوله تعالى وقر) أى صمم (قوله وكيل) أى كفيل ويقال كاف (قوله عزوجل وجلت) أى خافت (قوله عزوجل ولايتهم) والولاية بفتح الواو النصرة والولاية بكسر الواو الامارة مصدر وليت ويقال هما لغتان بمنزلة الدلالة والدلالة والولاية

قوت الارواح والقلوب والحنان يقتضي ما يوصل الى الرحمة الاخروية والمنان يقتضي المنة بافادة السعادة الابدية والنجاة عن الشقاوة الابدية (في ليلة) اذ اسمه الحكيم يقتضي نوع ستر ابقاء التكليف والمتين يقتضي تقوية الباطن اذ لا يعتد بتقوية الظاهر وحده والشئ انما يحمد لو عم حسنه الباطن والمجد الباطن أكمل من الظاهر والكفاية تقتضي تعميم الظاهر والباطن والقوت الروحاني الباطن أتم والطف الحنان المنان انما يتم لو عم الباطن (مباركة) أي كثيرة الخير تناسب الحكمة التي هي الخير الكثير والمتانة زيادة في القوة التي هي الخير المحض والكمالات التي يحمد عليها خيرات كلها والمجد أعظم أبواب الخير والكفاية انما يعتد بها لو كانت من كثرة الخير والقوت الروحاني خير من الجسماني والحنان المنان لا تخفى كثرة خيرهما فهي تناسب هذه الاسماء كلها (انا كنا منذرين) من خالف مقتضى الحكمة وقوة الدلائل واختار المذام وتذلل للهوى والغضب ولم يكتف بهداية الله ولم يقتدر وجه بقوت معارفه ولم يستوجب تحننه ومنه وكيف لا تكون مباركة مع ان (فيها يفرق) أي يفصل مما أجمل في الالواح العالية (كل أمر حكيم) تقتضيه الحكمة على وجه متين محمود وعند أرباب المجد محسوب عند الكمل تقتات به أرواحهم ويرحم بها قلوبهم ويمن بها على نفوسهم وانما كان كذلك لكونه (أمرا من عندنا) بمقتضى هذه الاسماء يفصله الملائكة المتعلقة بهذه الاسماء بعد نزولهم الى الارض بارسالنا (انا كنا مرسلين) أجل الملائكة لمصالح العباد كجبرائيل عليه السلام اعظم رحمتنا لكونها (رحمة من ربك) الذي عمت رحمته كل شئ لكن يخصص كل شئ بقدر استعداده (انه هو السميع) لدعوة حقائق الاشياء بمقتضياتها (العليم) بمقادير قابلياتها ولا يبعد عليه الارسال والانزال والظهور بهذه الاسماء لانه (رب السموات والارض وما بينهما) تعلمون ذلك (ان كنتم موقنين) أي أهل اليقين من الاستدلال بالاثر على المؤثر أو من المؤثر على الاثر وكيف لا يرسل اليكم ولا ينزل عليكم وهو (لا اله الا هو) وقد أشركتم ويبطل شرككم انه (يحيي ويميت) من غير ممانع ولو نسبتم ذلك الى الاوضاع الفلكية التي لا ممانع فيها وجعلتم كواكبها آلهة وجعلتموها قديمة يقول انه (ربكم ورب آبائكم الاولين) الذين لا يخلون عن انسان كامل لا يبلغ اليه الفلكيات لكن لا يعرفون الكمال في حق الانسان (بل هم في شك) لا يعتقدون هذا الكمال في الانسان ولا في ربهم اذ لا ينظرون في الحقائق بل (يلعبون) باهلها وبدلائلهم لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم (فارتقب) أي انتظر لمجازاتهم (يوم تأتي السماء) من امساك امطارها الموقع في الجوع العظيم المخيل (بدخان مبين) أي محسوس (يغشى الناس) من غلبة الجوع عليهم وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد وأكلوا الجيف وكان الرجل يرى من الدخان ما يحول بينه وبين صاحبه فيسمع كلامه ولا يراه فيقال لهم (هذا عذاب أليم) على الكفر قبل يوم

أيضا الربوبية ومنه هنالك الولاية لله الحق يعني يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا يعبدون (قوله عز وجل وليجة) كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة وقوله عز وجل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة ودخلاء من المشركين يخالطونهم

القيامة فيقولون (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقرون بالايمان عند كشف عذاب القحط الآتى بالدخان قال تعالى (أنى لهم الذكرى) أى من أين يتذكرون هذا الوعد عند كشف العذاب عنهم (و) لم يتذكروا الدلائل الرسول فانه (قد جاءهم رسول مبين) للعذاب الاكبر على الكفر يوم القيامة بالدلائل التى هى أعظم دلالة عليه من هذه البلية فرأوها منه وسمعوها (ثم تولوا) أى اعرضوا (عنه وقالوا) فى الاعتذار انه (معلم) يعلمه الشيطان هذه الشبهات ولايدرى انها شبهات وان يعلمه الشيطان لانه (مجنون انا كاشفوا العذاب) المذكور عنكم زمانا (قليلا) اظهارا الاخلافكم الوعد (انكم عائدون) الى الكفر بعد كشفه لكن نفعل ذلك ليكون حجة عليكم اذا طلبتم كشف عذاب الآخرة لانا ننتقم منكم (يوم نبطش البطشة الكبرى) بطشة القيامة (انا منتقمون) أى مستمرون على انتقامكم بهذه الحجة (و) مما يدل على الانتقام يوم البطشة الكبرى بعد الدخان انا (لقد فتنا قبلهم) بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوم فرعون و) لم يكن ذلك من الابتلاء العام لوقوعه عقيب تكذيب الرسول اذ (جاءهم رسول كريم) يستحى من الكذب فامرهم (ان ادوا الى عباد الله) الذين استعبدتموهم بطريق الغصب (انى) نافع (لكم) بدفع غضب الله عنكم والاداء الى أداء الى الله لانى (رسول أمين) لا أطمع فى استعبادهم بعد نزعهم من أيديكم (و) نهاهم (ان لا تعلوا على الله) بانكار ربوبيته ودعوى الربوبية لانفسكم وتكذيب رسوله وغصب عباده (انى آتيكم بسلطان مبين) أى حجة واضحة على ربوبية الله ونفى ربوبيتكم وعلى رسالتى وعلى أن بنى اسرائيل عباده الخاصة (و) مما يدل على ذلك عجزكم عن قتلى ورجمى مع قدرتكم عليه فى حق مثلى لولا مانع فى حقى سوى استعاذتى (انى عذت بربى) ليعصمنى منكم (وربكم) ليمنعكم من (أن ترجمون) مع انه لا يعصم من افترى عليه (و) لكن يمكنكم من ايذائى لتضعيف العذاب عليكم (ان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فان ايذائى سبب تضعيف العذاب عليكم فآذوه (فدعا ربه) الذى رباه بالنبوة ليربيه بالنصر (ان هؤلاء) مع قرب شأنهم (قوم مجرمون) أى قائمون على ترك الايمان فلا وجه لامهالهم فقيل اذا طلبت مؤاخذتهم (فاسر بعبادى) أى اذهب ببنى اسرائيل (ليلا) بحيث يتم خروجهم قبل الفجر (انكم) بعد الفجر (متبعون) يتبعكم قوم فرعون فلو خرجتم نهارا ادركوكم قبل ان تدخلوا البحر اما اذا خرجتم ليلا يمكنكم ضرب البحر بالعصا وصيرورته طريقا يبسا يمكنكم العبور بسهولته (واترك البحر رهوا) أى مفتوحا ذا الفجوة واسعة ليدخلوه فيغرقوا (انهم جند مغرقون) وانما أهلكوا بالغرق دون شئ آخر ليحصل هلاكهم لاعدائهم فانه أشد عليهم لذلك (كم) أى كثيرا (تركوا من جنات) أى بساتين (وعيون) يسقى بها ويشرب منها ويتنعم بالنظر فيها هذا فى التفكه والتنزه (وزروع) فى القوت (ومقام كريم) محافل مزينة ينتفع بزينتها وبأكل الفواكه والقوت فيها

ويودونهم (قوله عز وجل
واردهم) الذى يتقدمهم
فى الماء ويستقى لهم (قوله
عز وجل ودود) أى محب
أولياءه (قوله عز وجل
ومالهم من دونه من وال)
أى من ولى (قوله عز وجل
وجلون) أى خائفون (قوله
عز وجل واصبا) أى دائما
وقوله عز وجل وصيد هو
فناء البيت وقيل عتبة
الباب (قوله عز وجل
ورقكم) أى فضتكم (قوله

(ونعمة) أى تنعم بالنسوان (كانوا فيها فاكهين) أى متنعمين تركوا الكل (كذلك) من غير تغير فيها (و) لكن غيرنا ملاكها اذ (أورثناها قوما آخرين) قاموا على معاندتهم ومضادتهم لم يرثوهم بنسب ولا سبب لذلك لم يحزنوا عليهم حزن الوارث على الموروث بل لم يحزن عليهم شئ (فما بكت عليهم السماء والارض) بخلاف المؤمن فان موته سبب خراب العالم وكانت عبادته سبب شرف موضعها من الارض ومصعدها من السماء كيف والحزن انما هو لفوت الخير ولا خير فيهم والا لانظرهم الله (و) لكن (ما كانوا منظرين) للتوبة (و) كيف يكون فى موتهم حزن وبكاء وقد كان موجبا لفرح الباقين فانا (لقد نجينا) باهلاك قوم فرعون خيار الناس (بنى اسرائيل) وفى فرحهم فرح الباقين فرحا كليا اذ كان فرحهم بالنجاة (من العذاب المهين) وهو الاستخدام بأخس وجوه الخدمة وهو أشد من الحبس والنجاة (من فرعون) كافية فى ذلك (انه كان عاليا) يستكبر على خيار الناس مع أنه (من المسرفين) فى ايذائهم (و) انما كانوا خيار الناس لانا (لقد اخترناهم) بجعلهم (على علم) فضلوا به (على العالمين) من أهل زمانهم (و) زدناهم اختيارا وتفضيلا اذ (آتيناهم من الآيات) أى المعجزات والكرامات (ما فيه بلاء مبين) أى حجة واضحة على أعدائهم فان زعموا ان تمثيلهم بقوم فرعون غير صحيح لانهم نفوا ربوبية الله وهؤلاء لم ينفوها يقال لهم (ان هؤلاء) ينفون دوام ربوبية الله عليهم لنفيهم حياة القبر وحياة القيامة انهم (ليقولون ان هى) أى غاية أمرنا (الا موتتنا الاولى) فى الدنيا (و) ان كان بعدها حياة (ما نحن بمنشرين) فان ادعيتم هنالك عذابا (فأتوا بآبائنا) أحياء بعد الموت ليشهدوا لكم بما شهدوا من ذلك (ان كنتم صادقين) اذ هى معجزة ناطقة بصريح التصديق من مشاهدى المدعى فان سلم أنهم ليسوا كقوم فرعون فيكفى فى ذلك أنهم كقوم تبع (اهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) فانهم وان لم ينفوا ربوبية الله (أهلكناهم) على اشراكهم وتكذيب الرسل (انهم كانوا مجرمين) بجرم يقتضى الاهلاك لمعاداتهم لله بالاشراك وتكذيب رسله وتبع اسم ملك حمير ككسرى وقيصر لملك الفرس والروم والمراد أبو كرب أسعد بن منيل آمن بنبينا عليه السلام قبل مبعثه اذ دخل المدينة وأراد تخريبها فنهاه عنه كعب وأسد من احبار بنى قريظة بانها مهاجر نبى آخر الزمان وعن تخريب الكعبة فلما دنا من اليمن قالوا لا تدخلها فارقت ديننا قال انه خير من دينكم فتحاكموا الى نار كانت باسفل جبل لهم تؤذى الظالم ولا تضر بالمظلوم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما وخرجوا باوثانهم فقعدوا عند مخرج النار فخرجت فأكلت الاوثان ومن حملها من رجال حمير ولم تضر الحبرين فرجعت النار الى معدنها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن (و) كيف يترك اهلاك المجرمين وبه يبطل فائدة الاستدلال بالسموات والارض على الله تعالى فانا (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) بل للاستدلال وما لعبنا بهذا الاستدلال من غير أن يكون له عاقبة اثابة أو معاقبة وانا وان كانت أفعالنا غير معللة بالاغراض (ما خلقناهما الا بالحق)

(قوله عز وجل وراءهم ملك) أى امامهم ووراء من الاضداد يكون بمعنى خلف ويكون بمعنى امام (قال أبو عمر فاما قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه أى بما سواه) (قوله عز وجل وفدا) ركبانا على الابل واحدهم وافد (قوله عز وجل وسوس اليه الشيطان) التى فى نفسه شرا يقال لما يقع فى النفس من عمل الخير الهام من الله عز وجل

قوله اسعد بن منيل كذا بالاصلين بايدينا وفى السيرة الهشامية وابن خلدون اسعد بن كليكرب اه . مصحح

أى بالحكمة وهى وان لم تكن داعية لنا الى الفعل لكن تفضلنا بها (ولكن أكثرهم لايعلمون) هذا التفضيل فيعرضون عنه و يستحقون به العقاب لكن لايبالون به لانه ليس بمنجز اذ لايكون قبل الفصل والعقل وان كان فاصلا فهم لايبالون فصله وانما ينتظرون الفصل الفعلى (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) فلا يسبقه ثواب لئلا يميل اليه الكل ولا عقاب لئلا يتنفر عنه الكل ولا يبطل فصله باغناء الموالى لانه (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) من مقتضيات الفصل باعطاء ثواب وتحمل عقاب (ولاهم ينصرون) بشفاعة شافع (الامن رحم الله) بالايمان فانه ربما ينصر بشفاعة الشفعاء بمقتضى اسم الرحيم كما أنه قد يعذب بمقتضى اسمه العزيز وقد اجتمعا فى التجلى عليه (انه هو العزيز الرحيم) فعصيانه من حجاب العزة والايمان من نور الرحمة وأما الكافر فمحجوب من كل وجه بحجاب العزة فلا يتجلى عليه الاسم الرحيم فيما يغنيه به عن الجوع والعطش فضلا عن غيره (ان شجرت الزقوم) بثمارها واوراقها واغصانها (طعام الاثيم) أى الذى جميع أعماله اثم وان كان فيها طاعات لعدم ايمانه ومن تجلى قهر العزة عليها صارت فى شدة الحرارة (كالمهل) دردى الزيت أو ذوائب الفضة والنحاس هذا قبل الدخول فى البطون فاذا دخلتها ولحقتها نارها (يغلى فى البطون كغلى الحميم) أى الماء الحار عند انتهاء الغليان وهذه الشجرة فى اطراف جهنم فاذا املأ منها بطنه يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) أى ادفعوه بعنف (الى سواء الجحيم) أى وسطها لان النار هنالك أشد (ثم) اذا استغاث للشراب (صبوا) صب المطر (فوق راسه) ليستوفى جميع اجزاء بدنه نصيبها (من عذاب الحميم) هذا هو العذاب الحسى و يقال له بطريق التهكم (ذق انك أنت العزيز الكريم) ليحصل له العقلى ثم يزداد تحسرهم فى الحسى بقوله (ان هذا ما كنتم به تمترون) اى تشكون مع ظهور دلائله ثم يزداد تحسرهم بفوات النعيم من كل وجه وحصوله لاعدائهم بان يقال (ان المتقين) أى الذين وقوا أنفسهم عن الكفر والمعاصى (فى مقام امين) لايفوتهم فيه شئ من اللذات التى آثرتم الدنيا لاجلها كما لايفوتكم شئ من العذاب الذى لم تحتملوا من أذناه فى الايمان ففى باب الاكل والشرب (فى جنات وعيون) وفى باب اللباس (يلبسون من سندس واستبرق) مارق من الديباج وغلظ وفى باب المحبة يكونون (متقابلين كذلك) لايتغير تنعمهم بذلك كيف (و) لم يتغير بذلك تنعمهم بازواجهم اذ (زوجناهم بحور عين) والكل يتنعمون بتلك النعم اذ (يدعون فيها) أى يطالب بعضهم بعضا فى تلك الحالة (بكل فاكهة آمنين) على أزواجهم فى اخذهن الفواكه من أصحابهم واعطائهن اياها لهم اذ لهم الامن الكلى حتى انهم (لايذوقون فيها الموت الا) ان يذكروا (الموتة الاولى و) لكن لايتألمون بها لما تلذذوا بالحياة اذ (وقاهم عذاب الجحيم) بل انقلب لهم ألم الموت لذة (فضلا من ربك ذلك) أى الفضل بقلب الالم لذة (هو الفوز العظيم) ولا يبعد منه التفضل بطريق القلب فانه لاجله كالمقلب للصفة الالهية حروفا عربية تيسيرا للفضل عليكم (فانما يسرناه) بتنزيله الى عالم الشهادة (بلسانك لعلهم يتذكرون) هذه الفوائد الجليلة للمؤمنين والآلام

القطيعة

ولما يقع من عمل الشر وما لاخير فيه وسواس ولما يقع من الخير ايجاس ولما يقع من تقدير نيل الخير أمل ولما يقع من التقدير الذى لاعلى الانسان ولاله خاطر (قوله عز وجل وجبت جنوبها) أى سقطت على جنوبها (قوله تعالى ودق) مطر (قوله تعالى وزيرا من أهلى) أصل الوزارة من الوزر وهو الحمل

القطيعة للكفار فان لم يتذكروا (فارتقب انهم مرتقبون) عكس ما ترتقب بل عكس ما تقتضيه العقول * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

(سورة الجاثية)

سميت بها لتضمن آيتها بيان سبب تأخير البعث الى يوم القيامة لاجل اجتماع الامم محاكمة الى الله تعالى وفصله بينهم يوم القيامة وهى من المطالب الشريفة فى القرآن وتسمى سورة الشريعة لتضمن آيتها وجه نسخ هذه الشريعة سائر الشرائع وفضلها عليها وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه (بسم الله) المتجلى بجلال عزته وجمال حكمته فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) باظهار آياته فى السموات والارض لعامة المؤمنين (الرحيم) باظهار آياته فى الانسان وما ينتفع به لخواصه (حم) أى حاوى الحجج وماحى الشبه أو حامى الكمالات ومزيل النقائص أو حارث السعادات ومحرق الشقاوات أو حاد النظر وممهد الفكر (تنزيل الكتاب) المتصف بهذه الاوصاف (من الله) المفيض لهذه الامور باعتبار اسمه (العزيز الحكيم) فعزته تقتضى افاضة الحجج التى بها الغلبة على الخصوم وافاضة الكمالات التى يعسر الوصول اليها وأنواع السعادات وحدة النظر والحكمة تقتضى محو الشبه وازالة النقائص واحراق الشقاوة وتمهيد الفكر وقد نزله من مقام عزته بمقتضى حكمته لتكميل القوة النظرية والعملية ليتوسل بها الى الكمالات الحقيقية من الايمان والايقان والعقل وذلك بالنظر الى انواع الآيات المتضمنة للحجج ورفع الشبه الحامية للكمالات المزيلة للنقائص الحارثة للسعادات المحرقة للشقاوات مع ما فيها من حدة النظر وتمهيد الفكر فمنها آيات الاجسام (ان فى السموات والارض لآيات) على حدوثها (للمؤمنين) بان كل محدث مستند الى الواجب ابتداء وانتهاء قطعا للتسلسل ومنها أنها مسبوقة بالاجزاء فتكون حادثة واجزؤها كذلك لانها قبلت التركيب فتغيرت والواجب لا يقبل التغير ومنها انها مركبة من الاجزاء فتفتقر اليها والواجب لا يفتقر الى شئ فتكون ممكنة فتكون حادثة ومنها أنها لا تخلو عن الاعراض وهى حادثة لانها تابعة لما الهاقى الوجود وما لا يخلو عن الحادث حادث اذلا وجود له فى الازل للمنافاة بين الحدوث والازلية (و) منها آيات الارواح (فى خلقكم) أناسى بتعليق الارواح بابدانكم (و) خلق النفوس فى أبدان (ما يبث) أى ينشر أنوارها الى قوتها المدركة والمحركة (من دابة آيات لقوم يوقنون) أى للقائمين على طلب اليقين باستعمال البراهين من الفلاسفة والمليين ومنها أنها متأخرة عن الاجسام والالكانت كلها عاملة بما فى الملكوت لتجردها والجسم ليس بمانع بل مكتسب للعلم بالمحسوسات وجواز النسيان لا يستلزم عموم وقوعه فلو جاز للابتلاء لم يجز فيما لا ابتلاء فيه ومنها أنها لو تقدمت فاما معطلة ولا معطل فى صنع الله تعالى لانه عبث أو مشتغلة بجسم آخر فيلزم التناسخ الموجب لتذكر أحوال تلك الاجسام اذ ليست شروطا للعلم بها ولا الجسم

كأن الوزير يحمل عن السلطان الثقل (قوله عز وجل وكزه) ولكزه ولمزه ضرب صدره بجمع كفه (قوله عز وجل وصلنا لهم القول) أى أتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم يعنى القرآن (قوله عز وجل ويكأن الله) معناه ألم تر ان الله ويقال ويك بمعنى ويلك فحذفت منه اللام كما قال عنترة ويك عنتر أقدم أراد ويلك وان منصوبة

الثانى مانع منها والالم يعلم أحد أحوال جسم صاحبه ومنها أنها لو تقدمت فاما متعددة فان اختلفت لم يكن الانسان نوعا واحدا واختلاف العوارض لا يستلزم اختلاف الذوات وان اتفقت لم تميز بدون ابدان ولا وجود بلا تميز واما متحدة فان زال التوحد لزم التجزى والا كان علم الواحد بالشئ علم الكل به (و) منها آيات الاعراض المتبدلة بالاضداد مثل (اختلاف الليل والنهار و) الاعراض السيالة مثل حركة (ما أنزل الله من السماء) والاعراض التى تتغير بها الاحوال مثل كونه (من رزق) والاعراض التى يحصل بها الكمال من نقص مثل افادته الحياة (فاحيا به الارض بعد موتها و) الاعراض التى تختلف بها جهات الشئ مثل (تصريف الرياح) ففى كل ذلك (آيات) على حدوث هذه الاعراض (لقوم يعقلون) وان لم يكن لهم تدقيق نظر وليست هذه الامور مما ينتسب الى الاوضاع الفلكية بل (تلك آيات الله) الدالة على كمال قدرته وحكمته وارادته يتضمنها آيات القرآن المعجز (نتلوها) ليكون المدلول بها تاليا للدلائل (عليك) أيها المبعوث للاستدلال (بالحق) بحديث هو ترجمة صفته الازلية ليؤمنوا به فان أبوا (فبأى حديث بعد) حديث (الله) القائم مقام صفته القائمة مقام ذاته (وآياته) فى الآفاق التى يتضمنها آيات كتابه (يؤمنون) وانما تلوناها عليك ليستدلوا بها فيخرجوا عن ويل الافك والاثم فانه (ويل لكل أفاك) أى كذاب يتكلم فى حق الله وصفاته على خلاف الدليل فان لم يخالف فويل لكل (أثيم) بترك الاستدلال سيما اذا لم يترك عن غفلة بل مع كونه (يسمع آيات الله) لا بالاخبار عنها بالغيب بل (تتلى عليه ثم يصر) على انكارها (مستكبرا) عن قبولها لا يتأثر بها أصلا (كأن لم يسمعها) حتى يطرى الاخبار بالغيب ولا يصير عدم تأثره بها عذراله لان منشاه الاستكبار على الله وآياته فهو موجب لمزيد غضبه (فبشره بعذاب أليم) كما يبشر المتأثر بنعيم مقيم (و) كيف لا يزداد غضبه عليه وهو بحيث (اذا علم من آياتنا شيأ) يكاد يؤثر فيه دفع تأثيرها بأن (اتخذها هزوا) استهانة بها (أولئك) المستبعدون عن تأثيرها فيهم باهانتها (لهم عذاب مهين) قبل دخول جهنم ولا يقتصر عليه بل (من ورائهم جهنم و) لا يخفف عنهم بما سبق من العذاب المهين كما أنه (لا يغنى) أى لا يدفع شيأ من شدتها (عنهم ما كسبوا شيأ) من أعمال البر (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ليشفعوا لهم عنده فى دفع الاهانة والالم كيف (ولهم) باتخاذهم أولياء مع استكبارهم على الله وآياته (عذاب عظيم) وكيف لا يعظم العذاب عليهم باستكبارهم على آيات القرآن مع أن (هذا هدى) فى نفسه والى آيات الآفاق (والذين كفروا بآيات ربهم) فى الآفاق فانها وان كانت دون آيات القرآن (لهم عذاب من رجز) أى من شدة غضب الله عليهم (أليم) فكيف لا يعظم عذاب من كفر بما هو آية فى نفسه متضمن لتلك الآيات كلها وكيف لا يكون الكفر بآيات الآفاق موجبا لهذا العذاب من الرجز مع أن فيها ما يتضمن عظيم النعمة عليهم اذ (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله بطه وعليه ما يتخلل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه) فيه فيد

باضمارا علم أن الله ويقال وى مفصولة من كأن ومعناها التعجب كما يقال وى لم فعلت ذلك كأن معناها أظن ذلك واقدره كما تقول كأن الفرج قد أتاك أى أظن ذلك واقدره (قوله عز وجل وهنا على وهن) أى ضعفا على ضعف أى كلما عظم خلقه فى بطنها زادها ضعفا (قوله عز وجل وطرا) أى اربا وحاجة

فيه

فيه تجارة وأمتعة غريبة أو جهاداً أو علماً أو هداية (بأمره ولتبتغوا) بالغوص فيه والصيد
منه شيأ (من فضله) من الجواهر والسمك (و) كيف لا يعذبكم بالكفر بهذه الآية
وقد انعم بها عليكم (لعلكم تشكرون) المنعم من جهة انعامه بالفائدة الدنيوية ومن جهة
انعامه بالآية المفيدة للفائدة الاخروية كيف (و) لم يقتصر على هذه النعمة بل (سخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا) لا لاستحقاقكم بل تفضلا (منه) وأقل ما فيه من
التفضل اراءة الآيات (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) منها ان ربط بعض العالم بالبعض
دليل توحيده وجعل البعض سبب البعض دليل حكمته وجعل الكل مسخر الانسان دليل
كمال جوده فمن انكر هذه الايات ولم يشكر هذه النعم استوجب أعظم وجوه الانتقام فان زعموا
انا نتعب أنفسنا بالفكر في هذه الامور بلا انتظار عاقبة له (قل للذين آمنوا) بتلك
العاقبة اغفروا والمنكرى عاقبة الفكر اذياتهم (يغفروا للذين لا يرجون) أى لا يعتقدون
على سبيل الظن فضلا عن اليقين (أيام الله) التي يثيب فيها و يعاقب ولا يكون لغيره فيها
سلطنة ولا بد منها (ليجزى قوما) لم يجدوا جزاء أعمالهم الحسنة والقبيحة في الدنيا (بما
كانوا يكسبون) من هيئات الاعمال لارواحهم من ذلك اتفق العقلاء على أن (من عمل
صالحا فلنفسه) أى فهو تحسين منه لروحه (ومن أساء فعليها) أى فالصفة القبيحة منه
واقعة عليها (ثم) لا يقتصر على ذلك التحسين والتقبيح بل يعذبون أنواعا من العذاب
الحسى والعقلى حين (الى ربكم ترجعون و) هذا البيان وان كان موجبا للتفكر المؤدى الى
الاتفاق لا يزالون يعاندون فيه عنادا أهل الكتاب فانا (لقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) المشتمل
على الافكار (والحكم) استنباطه بها (والنبوة) الكاشفة عن اسرار الاحكام
(ورزقناهم من الطيبات) اسرار الكتاب (وفضلناهم على العالمين) بمعرفة الحقائق
(وآتيناهم بينات من الامر) من الحجج القاطعة ومع ذلك تعاندوا حتى اختلفوا في نسخ
التوراة والانجيل (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) بما يجب الاتفاق عليه من نسخ
الكتابين (بغيا بينهم) لكنه بقى اختلافا الى يوم القيامة (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه) من نسخ كتابيه (يختلفون ثم) لما وقع اليأس عن اتفاقهم على كتابهم
(جعلناك على شريعة من الامر) أى أمر الدين بحيث تفصل خصومتهم لو انصفوا (فاتبعها)
لكونها فاصلة (ولا تتبع) أهواء أهل الكتاب لكونها (أهواء الذين لا يعلمون) ما كان عليه
الكتابان قبل التحريف (انهم) وان زعموا انهم متمسكون بكتاب (لن يغنوا) أى لن
يدفعوا (عنك من الله) من غضبه وعقابه على ترك شريعتك الفاصلة (شيأ) وكيف
تتبعهم وهم ظالمون بالتحريف (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض و) لا يضرك ترك موالاتهم
اذا اتقيت الله اذ (الله ولى المتقين) ثم انك انما تتبعهم لو اشتبه عليك أمر شريعتك لكن
لا اشتباه مع وضوح دلائل كتابك اذ (هذا) الكتاب (بصائر) أى دلائل واضحة (للناس
و) لا معارض لها اذ هو (هدى و) لا شبهة فيه اذ هو (رحمة) رافعة للشبهات (لقوم

(قوله عز وجل وردة كالدهان) اى صارت كلون الورد ويقال معنى وردة أى حمراء فى لون الفرس الورد والدهان جمع دهن اى تمور كالدهن صافية ويقال الدهان الاديم الاحمر (قوله وقعت الواقعة) اى قامت القيامة (قوله عز وجل واهية) اى متخرقة يقال وهى الشيء اذا ضعف وكذلك اذا انخرق (قوله الوتين) هو عرق متعلق بالقلب اذا انقطع مات

يوقنون) أي يقومون على طلب اليقين أحسب الذين تمسكوا بالمحرف أو المنسوخ من الكتاب
أن نجعلهم كالمتمسكين بالمحفوظ الغير المنسوخ (أم حسب الذين اجترحوا) أي اكتسبوا
(السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالتسوية بين المتمسكين كالتسوية
بين هذين بل بين الحي والميت فهم بهذا الاعتقاد (سواء محياهم ومماتهم) أي حياتهم
وموتهم بل يفضلون أنفسهم بهذا التمسك على المتمسكين بالكتاب الناسخ المحفوظ
(ساء ما يحكمون) من عدم التفاوت كيف (و) المنسوخ لو ترك بحاله لم يكن له فضل الناسخ
فالتفاوت بين أحكام الله تعالى كالتفاوت بين خلقه فانه (خلق الله السموات والارض)
مع علو السماء وسفل الارض ولا ينافى ذلك حقية الناسخ والمنسوخ جميعا كما أنه خلق
السموات والارض (بالحق و) كذلك خلق الطاعات والمعاصى من غير ظلم على المعاصى وان
كان (لتجزى كل نفس) لان جزاءها ليس من حيث خلق المعاصى فيها بل (بما كسبت)
من قصدها قبل ان خلقها (وهم لا يظلمون) بايجاد هذا القصد فيهم أيضا أو بتقديره عليهم
لانه مقتضى استعداداتهم (أ) رأيت من عمل بالمنسوخ أو المحرف فاعتقد أنه امتثل أمر
الله وهو يمتثل أمر هواه (فرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله) بارادته أمر هواه أمر
الله مع كونه (على علم) بان العمل بالمنسوخ أو المحرف امتثال لامر الهوى (و) لا يبالى
اعلمه ولا لمن ينبهه عليه اذ (ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) كيف وقد هداه
الله بهذا الكتاب الى جميع ذلك فلم يهتد به لهذا الختم (فمن يهديه من بعد الله أ) تبالغون فى
مجادلته رجاء هدايته (فلا تذكرون) ما فيه من موانع الاهتداء كيف (و) ربما ضلوا فى ذلك
ضلال أهل التناسخ حيث (قالوا ما هى) أي البعثة (الا حياتنا الدنيا نموت) فيها مرة
بمفارقة تعلق بدن (ونحيا) مرة بالتعلق ببدن آخر (و) لو لم يقولوا بالتناسخ ذهبوا الى
مذهب القائلين بنسبة الحوادث اليومية الى الاوضاع الفلكية فقالوا (ما يهلكنا الا الدهر
و) هم وان زعموا انهم يتمسكون فى ذلك بالبراهين العقلية (ما لهم بذلك من علم) يستند الى دليل
قطعى (ان هم الا يظنون) ظنا ينشأ من الشبهات الواهية (و) لاجلها يتركون البراهين
القاطعة لذلك (اذا تتلى عليهم آياتنا) النقلية (بينات) بدلائل أولية من العقل (ما كان
حجتهم) فى مقابلتها (الا أن قالوا) لو صح البعث فاوجدوه من غير احتياج الى دليل عليه (ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين قل) لو لم يكن من ايجاده مانع لاوجدناه لكنه يخل بمقتضى الالهية اذ
(الله يحييكم) ليظهر فيكم باسمه الحى (ثم يميتكم) ليظهر باسمه القاهر (ثم يجمعكم)
فى البرزخ (الى يوم القيامة) ليظهر فى البرزخ باسمه الجامع ثم بكمال عظمته فى القيامة فهو
(لا ريب فيه) اذ ظهور العظمة فى بعث الكل أكثر من ظهورها فى بعث البعض فهذا هو
المانع من ايجاد البعث الآن (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وكيف يترك القيامة مع أن
الملك لا بد له من احسان وسياسة الى من أحسن أو أساء (ولله ملك السموات والارض) ولا
يظهر احسانه وسياسته فى الدنيا الى كل محسن ومسىء (و) انما اخرهما لتتدارك السيئات

بالتوبة

صاحبه وقدس تفسيره (ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا) كلها أصنام (قوله عز وجل وبيلا) اى شديدا منهما الا تيسرا (قوله عز وجل وزر) ملجأ (قوله عز وجل وهاجا) اى وقادا يعنى الشمس (قوله عز وجل واجفة) اى خائفة أى شديدة الاضطراب وانما سمى الوجيف فى السير لشدة هزه واضطرابه (قوله عز وجل والليل وما وسق) أى

بالتوبة أو الحسنات لذلك (يوم تقوم الساعة) فهي وان أمكن التدارك قبلها (يومئذ يخسر المبطلون) أعمالهم واعتقادهم بفوات التدارك (و) كيف يبعث قبل جمع الكل في البرزخ وهو يوم المحاكمة بين جميع الامم لذلك (ترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب يلزم كل فرقة ما تسلمه من الدلائل لذلك (كل أمة تدعى الى كتابها) فيقال (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من أعمال الكتاب أو أعمال المحرف أو المنسوخ أو ما يخالف وان أنتم تمسكتم بالكتاب المنزل عليكم نحن نتمسك عليكم بالكتاب الذي كتب فيه أعمالكم اذ الكتاب المنزل عليكم لا ينطق بأعمالكم و (هذا) الذي فيه أعمالكم (كتابنا) مثل المنزل مع انه (ينطق عليكم) كلاما لا تأويل فيه لكونه ناطقا (بالحق) ولا يخل بحجيته كتابة الملائكة له (انا كنا نستنسخ) أي نأمرهم أن ينسخوا (ما كنتم تعملون) ونحن وان كنا نجازي بمقتضى هذا الكتاب لا نقتصر عليه في حق المطيعين وانما نقتصر عليه في الاحتجاج به على الكافرين كما يحتج بالمنزل عليهم (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) التي لا نهاية لها (ذلك هو الفوز المبين) بتعظيم الله له ولاعماله واجره (وأما الذين كفروا) فيلزمون بالكتابين فيقال لهم (ا) لم تكن تأتيكم رسلي (فلم تكن آياتي تتلى عليكم) بلى اتتكم وتليت عليكم (فاستكبرتم) على الآيات والرسل (وكنتم) قبل ذلك (قوما مجرمين) فاستمررتم على ذلك وهذا في النبوة والكتاب (و) اما الآخرة فكنتم (اذا قيل) لكم (ان وعد الله) على العموم (حق والساعة) على الخصوص من جملة مواعيده آتية بدلالة الوعد بها ودلائل أخر تدل على أنها (لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أي لا نعرف مفهومها فضلا عن وجودها ودلائلكم لا تفيد نا جزما (ان نظن الا ظنا) ضعيفا (و) ان بالغتم في تقويتها (ما نحن بمستيقنين) هذا في اعتقادها (و) اما الاعمال فقد (بدا) أي ظهر (لهم سيئات ما عملوا) بصور قبيحة (و) لا تفارق العاملين اذ (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) فتصير صورهم مما يستهزأ بها من كل وجه (و) لما كان استهزاؤهم بسبب نسيانهم لما يترتب عليها الذلك (قيل اليوم ننساكم) أي نترككم في العذاب ترك المنسي (كما نسيتم) باستهزائكم بآياتنا (لقاء يومكم هذا و) لا نقتصر على تعذيبكم في اليوم المنسي بل (مأواكم) على الابد (النار) كيف (و) لا مانع من تخليدكم فيها اذ (ما لكم من ناصرين) وكيف يكون لكم ناصر على عداوة الله الشنيعة اذ (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا و) لم تبالوا العداوته اذ لم تتوقعوا الرجوع اليه حيث (غرتكم الحيوة الدنيا) فزعمتم أن لا حياة سواها على انكم ظننتم انه لو كانت ثمة عداوة الله لم يتيسر لنا هذه الحياة فاذا لم يبالوا بعداوته اليوم (فاليوم لا يخرجون منها و) لا يطلب منهم الخروج عن العداوة اذ (لا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم ان يرضوا الله وان كان يطلب منهم ذلك قبل المؤاخذة وهذا التعذيب وان لم ينتفع به المعذب فهو موجب لحمده لرعاية الحكمة (فلله الحمد) كيف وفيه رفع قوم وخفض آخرين فلا يبعد من المتصف بوصف (رب السموات ورب الارض) مع ان العدل والاحسان

وما جمع وذلك ان الليل يضم كل شئ الى مأواه واستوسق الشئ اذا اجتمع وكمل ويقال وسق علاوذلك ان الليل يعلو كل شئ ويجلله ولا يمتنع منه شئ (قوله عز وجل ودعك) اي تركك ومنه قوله استودعك الله غير مودع اي غير متروك وبه ذا سمي الوداع لانه فراق ومتاركة (قوله عز وجل اي وقب) اي دخل (قوله عز وجل الوسواس) هو شيطان

من لوازم الملك وهو اعظم الملوك لاتصافه بوصف (رب العالمين) بل لايتم تربيته باصلاح
أفعال العامة الغالب عليهم الهوى والغضب بدون هذا التخويف ولايتم الابالايفاء به
(و) كيف يترك الاثابة والمعاقبة وفيه ظهور كبريائه على الكمال فوق ماظهر فى العالم
اذ (له الكبرياء فى السموات والارض و) لايمنع عموم رحمته من التعذيب كمالايمنع شدة غضبه
من الانعام اذ (هو العزيز) فاجرى كلامنهما على وفق الحكمة لانه (الحكيم) تم والله
الموفق والملهم والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاحقاف)

سميت بها لان مكانها من حيث قبوله سرعة تأثير ريح العذاب فيه كالدليل على انذاره ففيه
اشعار على ان انذارات القرآن كالدلائل على أنفسها ثم فى قصتهم اتساق الانذار الى صيرورة
المرجو مخوفا ففيه اشعار بان انذارات القرآن عما يخاف فيها صيرورة مايرجوه الجهال مخوفا
عليهم وذلك من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى كتابه (الرحمن) بتنزيله للاعجاز
بالحكمة (الرحيم) بجعله مشتملا على مالايتناهى من الفوائد التى من جملتها ما اشير اليه
بالحروف المقطعة (حم) أى حبل المتين (تنزيل الكتاب) للتمسك به فى الصعود الى الله لكونه
(من الله العزيز) الذى يصعب الوصول اليه الابالتمسك بما هو منه سيما من جهة اشتماله
على انواع الحكم الموصلة الى الكمالات باعتبار اسمه (الحكيم) ولا يبعد منا ذلك لانا (ماخلقنا
السموات والارض ومابينهما الابالحق) أى الحكمة المفيدة للصعود من النقائص الى
الكمالات التى ينتفع بها فى المعاد (و) لذلك جعلها على (أجل مسمى و) خوف عما فيه لكن
(الذين كفروا عما انذروا معرضون) ويوجب اعراضهم النزول الى أسفل السافلين أو الحلى
المزين تنزيل الكتاب الذى هو زينة العلوم المقربة الى الله المفيدة للعزة عنده لكونها العزيزة
بما فيها من الحكمة ولا يبعد هذا الانزال منه فانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الابالحق
أى الحكمة المكتسبة للعزة السماوية باستعمال الحكمة فى أعمال الارض فينتفع بها فى المعاد
وانذار بالذلة على خلاف ذلك فاعرض عنه الكافرون أو الحجج ومحو الشبه تنزيل الكتاب الجامع
لها لكونه من الله وعزته تعطى الحجة التى بها الغلبة على الخصوص وحكمته ترفع الشبه ولايبعد
منه ذلك لانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الابالحق اى بحكمة الاستدلال عليه ليغلب
من تمسك بها وبمقتضى العزة جعله على أجل مسمى ينتفع منه المستدل و يتضرر المعرض
وبمقتضى الحكمة انذار المعرض فاعرض عنه الكافرون أو الحكم والمواعظ تنزيل الكتاب
الجامع لهما لكونه من الله وعزته تعطى المواعظ وحكمته الحكم وقد ظهرت حكمته فى خلق
السموات والارض وعزته فى خلقهما الى أجل مسمى وانما جمع بينهما لان الحكمة انما تتم
بالموعظة فالمعرض عنها كافر بالحكمة وبهذا الاعراض نزلوا فاعتقدوا الهية آلهتهم وذلوا
فتذللوا لها وجهلوا رتبة الالهية فنسبوها اليها واخلوا بمقتضى الحكمة فعبدوها وان زعموا
انهم صعدوا بعبادتها وتعززوا بعو الاتها وعلوا ظهور الله بالالهية فيها وعرفوا حكمته

وهو الخناس أيضا يعنى الشيطان الذى يوسوس فى الصدور وجاء فى التفسير ان له رأسا كرأس الحية يجثم على القلب فاذا ذكر العبد الله خنس اى تأخر واذا ترك ذكر الله رجع الى القلب يوسوس فيه

(باب الواو المضمومة)

(قوله عز وجل وسعها) طاقتها وقوله ود أى محبة (قوله عز وجل سيجعل لهم الرحمن ودا) اى محبة

في كونه معبودا في ذاته ومظاهره (قل أرأيتم ما تدعون) هل هي آلهة مع كونها (من دون
الله) فليس لها غاية الكمال فمن أين لكم في عبادتها الصعود وفي موالاتها التعزز ومتى يكون فيها
ظهور الله بالالهية مع أنها بغاية الكمال وهي دون ومعبوديته في المظاهر انما هي لاهل
الجلب لذلك ترون كماله بهذه المظاهر الدينية فان لم تعتبروا في الاله غاية الكمال فلا أقل من اعتبار
الخالقية (أروني ماذا خلقوا من الارض) استقلالا ألهم شرك في خلق الارضيات لعدم استقلاله
(أم لهم شرك في السموات) ولا يدل عليه حس ولا عقل فان كان فيه دليل نقلي (ائتوني بكتاب)
سماوي وان كان (من قبل هذا) فانه لا يقبل النسخ في الامور الاخبارية (أو أثارة) اي
بقية (من علم) من الانبياء أو الاولياء أو العلماء (ان كنتم صادقين) في أن لها خلقا استقلالا أو
بمشاركة في أمر أرضي أو سماوي فان لم يكن لها خلق ففي عبادتها مع النزول والذلة والجهل
والحماقة غاية الضلال سيما اذا لم يكن لها ما يكون لمن دون الملوك من الوزراء والقضاة
من الاجابة (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله) على زعم انه اله (من لا يستجيب له) دعاءه
لعجزه عنها (الى يوم القيامة) وكيف يتصور منهم الاجابة (وهم عن دعائهم غافلون)
وان كان لهم حياة يسبحون بها ربهم وبصر وسمع يشهدون به يوم القيامة لكنهم عن فهم
دعائهم غافلون (واذا) زالت غفلتهم حين (حشر الناس كانوا لهم أعداء) يشهدون عليهم
لشركهم (و) لا يرضون بجعلهم شركاء حتى يتصور منهم الشفاعة بل (كانوا بعبادتهم
كافرين) فاني يكون بها الصعود والعزة والعلم وغاية الحكمة كيف (و) قد طعنوا فيما
يحصل به هذه الامور لهم لأنه (اذا تتلى عليهم آياتنا) الموضوعة لافادة هذه الامور (بينات)
أزيل عنها كل اشكال (قال الذين كفروا) عن افراط عنادهم (للحق) الظاهر في تلك
الآيات لا قبل معرفتهم بها بل (لما جاءهم) فعرفوا عجزهم عنها (هذا سحر مبين) وعجزنا
عنه لعدم اطلاعنا على أسرار السحر كيف وقد لبس عليه مما اتفق عليه العقلاء من آبائنا
ايصرون على القول بكونه سحرا فهو اعتراف بالاعجاز اذ لا دخل للسحر في المعجزة القولية
التي ليست من قبيل الرقى (أم يقولون افتراه قل) كيف أفترى عليه مع علمي بقدرته على
مؤاخذتي اذ لا يمكنني دفعها بنفسي ولا بكم (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) لو اجتمعتم
على دفع مؤاخذته فكيف استقل به ولا اعتمد في ذلك على جهله بافترائي اذ (هو أعلم) بكل
شيء سيما (بما تفيضون) أي تخوضون (فيه) أي في حقه فان زعمتم اني لا ابالي بقدرته ولا بعلمه
(كفى به شهيدا) اذ اعطاني المعجزات المصدقة لي فانه بها يفصل (بيني وبينكم و) ان لم
يؤاخذكم في الحال اذ هو يتوقع توبتكم ليغفر لكم ويرحمكم اذ (هو الغفور الرحيم) ولذلك
ستر عليكم أمور القيامة ورحمكم الى قيام الساعة فان طالبوك بفصل المؤاخذة الاخروية
أو بتعيين وقتها (قل ما كنت بدعا من الرسل) آتيكم بالمؤاخذة الاخروية (و) من أين لي
تعيين وقتها مع اني (ما أدري ما يفعل بي ولا بكم) فيما لم يوح الي والوحي ببعض الامور
لا يستلزم العلم بالباقي ولم يكن لي ان اضم الى الوحي كذبا من عندي (ان اتبع) في تقرير

في قلوب العباد (قال ابو عمر
قال ابن عباس رضي الله عنه
وقد سئل عن هذا قال نزلت
في علي بن ابي طالب رضي الله
عنه لانه ما من مسلم الا ولعلي
في قلبه محبة) (قوله تعالى
وجدكم) اي سعتكم
ووسعكم ومقدرتكم
في الجدة (قوله عز اسمه
وقتت واقتت) اي جمعت
لوقت وهو يوم القيامة

(باب الواو المكسورة)

(قوله عز وجل وجهة هو

الامور الغيبية (الا ما يوحى الى و) مع ذلك لا يفوض الى شئ مما يوحى الى من تعذيب من لا يؤمن بى بل (ما أنا الا نذير) له بالدلائل القطعية فان زعموا من أين عرفت انه وحى الهى ولم لا يجوز كونه من الشيطان (قل) كيف جزمتم بكونه من الشيطان حتى كفرتم به (أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به) فرجحتم كونه من الشيطان (و) قد ظهر ترجيح كونه من الله اذ (شهد شاهد من بنى اسرائيل على) قراءة (مثله) فى كتب الاولين وعرف انه ليس من سرقة الشيطان لاعجازه (فآمن و) لم يكن كفركم لقدرتكم عليه بل لانكم (استكبرتم) فزعمتم انه مقدور لكم أ لستم ظالمين بترجيح المرجوح وهو كونه من الشيطان ولذلك منع الله هدايتكم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا) أى استمروا على الكفر بعد هذا البيان فى معارضة هذا المرجح (للذين آمنوا) بانه (لو كان) من عند الله لكان (خيرا) ولو كان خيرا لكنا أولى به كسائر الخيرات من المال والجاه ولو لم نكن أولى به فلا أقل من المساواة فحينئذ (ما سبقونا اليه) فعارضوا دليل كونه من عند الله بعدم اهتدائهم وموافقته لكتب الاولين دليل كذبها جميعا (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم و) انما الافك هو قولهم اذ كان (من قبله كتاب موسى اماما) للانبياء والاولياء والعلماء (و) كان خيرا سبق اليه أولئك السعداء اذ كان (رحمة) لهم يكاشفون فيه بالعلوم اللدنية (وهذا) لا ينقص عن درجته لانه (كتاب) جامع لما فيه ولغيره (مصدق) له من غير تعلم من أنزل عليه اياه وانما كان أجمع منه لكونه (لسانا عربيا) وكيف يكون من الشيطان مع انه على ضد مراداته لانه (لينذر الذين ظلموا) بجعلهم القبائح حسنات وبالعكس (وبشرى للمحسنين) بجعل القبائح قبائح والحسنات حسنات والشيطان يلبس أحدهما بالآخر ويبشر الظالمين وينذر المحسنين ولو فرض كون مثل هذا الكتاب من وحى الشيطان فلا يضر المؤمنين به لانه محض الايمان بالله والاستقامة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم) لم يجرهم ذلك الى مفسدة بل (استقاموا) فى سائر الاعتقادات والاخلاق والاعمال فانه وان فرض كونه من وحى الشيطان من غير علم المؤمن المستقيم به لعدم الدليل عليه (فلا خوف عليهم) من جهة كون ايمانهم واستقامتهم من وحى الشيطان (ولا هم يحزنون) من نسبة كونهما الى وحى الله تعالى عن دليل ظهر له بلا قادح بل (أولئك أصحاب الجنة) كالمؤمن المستقيم عن وحى الله ولا يتقدر بقدر أعمالهم بل (خالدين فيها) اذ هو جزاء الايمان وحده لا عن وحى أصلا فلا يبعد كونه جزاء مع الاستقامة فيكون (جزاء بما كانوا يعملون) كانه لا عن وحى أصلا على انه لو كان من وحى الشيطان كان تاركين التوصية فى حقنا (و) قد (وصينا الانسان) ان يحسن (بوالديه احسانا) يشبه عبادتهم ما سيما فى حق أمه التى تعبت فى حقه ايام حملها ووضعها اذ (حملته أمه كرها) أى ذات كره بمرض كسوء هضم وعدم اشتهاء طعام وثقل (ووضعته كرها) من شدة الطلق (و) أيام التربية سيما أيام الرضاع وبالجملة يطول مدة تعبها اذ (حمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى مدة الحمل التى تتعب

وليها) اى قبلة هو مستقبلها اى يولى اليها وجهه (قوله تعالى وردا) مصدر ورد يرد وردا وفى التفسير ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اى عطاشا (قوله وزر) اى اثم (قوله عز وجل فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اى حملا ثقيلا من الاثم (قوله تعالى ولدان مخلدون) أى صبيان واحدها وليد ومخلدون

النسب والرضاع التى تثبت الحرمة هذا المقدار ستة أشهر لاقل مدة الحمل وأربعة وعشرون للرضاع ولاتزال تتعب فى تربيته (حتى اذا بلغ أشده) أى منتهى شبابه (و) لا ينقطع تعبها بذلك بل ينتهى الى أن (بلغ أربعين سنة) يكمل فيها عقله وسائر قواه عرف قدر النعمة وانها أعظم من ان يقوم بشكرها بنفسه فحينئذ (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ) من الايجاد والتربية وتكميل العقل والقوى (وعلى والدى) باعطاء ولدمثلى والتوفيق لتربيتى (و) ذلك الشكر صرف نعمتك الى مرضاتك وهو (أن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى) أعمالى ليسرى نورها (فى ذريتى) وأقل ذلك العمل التوبة عن المعاصى والانقياد للطاعات (انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك) وان فرض عملهم الايمان والاستقامة من وحى الشيطان من غير ان يعلوا به هم (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) فننظر الى ايمانهم واستقامتهم (ونتجاوز عن سيآتهم) وهو كون عملهم الايمان والاستقامة عن وحى الشيطان لاعن علمهم به بل نجعل وعده على الايمان والاستقامة (فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) على لسان الرسل عليهم السلام (و) اذا صدق وعده بالجنة فى الايمان والاستقامة صدق فى ضدهما بالنار أيضا مثل (الذى قال لوالديه) حين دعواه الى الايمان والاستقامة (أف) اى اتضجر (لكما) من هذه الدعوة أتخوفاننى بالعذاب على تركهما بعد البعث (أتعدانى أن أخرج و) لم تجر به سنة الله اذ (قد خلت القرون من قبلى) ولم يخرج أحد فى قرن منها (و) هذا الشيطان اذا أوعد على الكفر والمعاصى بالنار ودل عليه مثل الوالدين اذ (هما يستغيثان الله) أى يطلبان الغياث من الله ان يلزما ولدهما حجة تلجئه الى الايمان والاستقامة فيه ولان له استوجبت (ويلك) لولم تؤمن (آمن) فللايمان وتركه جزاء بوعد الله (ان وعد الله حق) فهذا الوعد وان فرض كونه وحى الشيطان يجب عليه قبوله عند ظهور صدقه له مالم يعلم بدليل قطعى كونه من الشيطان ولكنه يأتى عليه بشبهة واهية (فيقول ما هذا الا أساطير الاولين) أى الا كاذيب التى سطروها (أولئك) وان كانوا رادين لوعد الشيطان على ذلك التقدير كانوا كالرادين لوعد الله فيكونون من (الذين حق عليهم القول) الالهى بدخولهم (فى أمم قد خلت) على تكذيب مواعيد الله (من قبلهم من الجن) الذين تميز عندهم وعد الله من كل وجه (والانس) الذين بقى عليهم توهم كونه من الشيطان اذ خسروا بذلك فوائد الايمان والاستقامة (انهم كانوا خاسرين) لكل شئ بخسر فوائدهما (و) كيف تتفاوت الاعمال بوحى الله أو بوحى الشيطان اذا لم يكن فيه تلبيس مع انه قد تقرر فى العقول انه (لكل درجات مما عملوا) سواء عملوا من قول المحب أو العدو وكيف (و) لا يستعمل الايمان والاعمال الصالحة للمؤاخذة بل (ليوفيهم أعمالهم) والا كان ظلما عليهم (وهم لا يظلمون و) ليس من الظلم احباط أعمال الكفار اذ الاحباط انما هو باعتبار عدم قبولها الموجب لها كثرة الثواب لكن يؤدى اليهم مقدار ما يستحقونه عليها او يكون ذلك فى الدنيا

صعقون ولدانا لا يهرمون ولا يتغيرون ويقال مخلدون أى مسوّرون ويقال مقرطون (قوله عزوجل وفاقا) فى قوله جزاء وفاقا جزاء موافقا لسوء أعمالهم (قوله عزوجل الوتر) أى الفرد

(باب الهاء المفتوحة)

(قوله تعالى هادوا) تهودوا

لذلك (يوم يعرض الذين كفروا على النار) فاعترضوا بأن لهم حسنات قيل لهم (أذهبتم طيباتكم) أي جزاء حسناتكم (في حيوتكم الدنيا و) حيث تأخرت حسناتهم قيل لهم (استمتعتم بها) أي بالطيبات فجعلت في مقابلة حسناتكم المتأخرة فاذا لم تبق لكم حسنة عند الله توجب لكم العزة عنده الموجبة كثرة الثواب لاستكباركم عليه وخروجكم عن طاعاته (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون) على من يجب عليكم التذلل له بالاعمال مع كونه في غاية العلو وكونكم في غاية السفل (في الارض) لا بالله على ما سواه بل (بغير الحق) الذي له دناءة في نفسه (وبما كنتم تفسقون) عن طاعته فأخرجكم عن كرامته (واذكر) لمن تمنى من الكفار أجر حسناته في الآخرة ان غايته انه تصور بخيالكم كما تصور تمني عاد للمطر بصورة سحاب فمع تصوره في الخارج انقلب عذابا فاذكر (أخا عاد) هودا الناصح لهم وان توهموه عدوهم (اذ أنذر قومه) وهم (بالاحقاف) جمع حقف رمل مستطيل فيه انحناء فهو لسرعة قبوله أثر الريح كالشاهد (وقد) شهد له أمثاله اذ (خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي قبله وبعده متفقين على (الا تعبدوا الا الله) وقال كل واحد منهم (اني أخاف عليكم) من عبادة غير الله (عذاب يوم عظيم) بقدار هتككم عظمة الله بالشرك (قالوا أجئتنا) لمعاداتنا (لتأفكنا) أي لتصرفنا (عن آلهتنا) الكثيرة التي اعانتهم في دفع النوائب أتم من اعانة الواحد وتخويفك كاذب (فأتنا) الآن (بما تعدنا ان كنت من الصادقين) في انه آت لا محالة (قال) اني وان علمت اتيانه قطعا فلا أعلم وقته (انما العلم عند الله) فأنى يكون بيدي حتى أغيره من وقته الذي عند الله الى ما قبله (و) لو علمت وقته لم يلزمني بيانه لاني انما (أبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم) بانكار ما لم تروه واعتقاد ان من علم وقوع شئ بالغيب يلزمه العلم بوقوعه وبيان وقته وان لم يرسل به واعتقاد دفع الحوادث بالاصنام (قوما تجهلون فلما رأوه) أي الموعود الذي استعجلوه متصورا سحابا (عارضا) في أفق السماء (مستقبل) أي متوجه (أوديتهم) التي بها مزارعهم (قالوا هذا) سحاب (عارض) توجه الينا فهو (ممطرنا) مطرا يدفع القحط عنا قال هود ليس بمطر (بل هو ما استعجلتم به) بقولكم فأتنا بما تعدنا (ريح) تصور بصورة سحاب لتوهم انه متمناكم ثم تنقلب عليكم عذابا اذ (فيها عذاب أليم) ولا تقتصر على مجرد الايلام بل (تدمر) أي تهلك (كل شئ) من نفوسكم وأموالكم (بأمر ربها) الذي لا يعارض فلم تدفع عنهم آلهتهم بل دمرتهم (فأصبحوا) بحيث (لا يرى الا مساكنهم) أي بيوتهم وهذا لا يقتصر على عاد بل (كذلك نجزي القوم المجرمين) من أهل مكة وغيرها كيف (و) قد كان اجرامهم فوق اجرام عاد تقديرا فانا (لقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ثم زدتم طغيانا وبغيا (و) لو لم يعتبر الاجرام التقديري فلابد من اعتبار الاجرام التحقيقي مع كمال الحجة فانا (جعلنا لهم سمعا) ليسمعوا المواعظ والآيات القولية (وأبصارا) ليعتبروا ما جرى على أمثالهم ويبصروا الآيات الفعلية (وأفئدة) ليستدلوا (فما أغنى عنهم

أي صاروا يهودا وهادوا تابوا من قوله عز وجل انا هدنا اليك أي تبنا (هدى وهدى) ما أهدى الى البيت الحرام واحده تهدية وهديه (قال أبو عبيد يقال لما يهدى الى البيت هدى وهدى فواحد هدى هدية وواحد هدى هديه)

سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى شيأ من الاغناء (اذ) لم يصرفوها الى ما خلقت له
لان الله تعالى يجب عليها بما (كانوا يجحدون بآيات الله و) لم يكن جحابهم فى جانب دون
جانب ولا رقيقا فى جانب اذ (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن و) كيف يقتصر ذلك على عاد مع
انا (لقد أهلكنا ما حولكم من القرى و) كيف لا يخاف عليهم مثله بعد الزام الحجة من
وجوه كثيرة اذ (صرفنا الآيات) ولم يكن تصريفها عبثا بل (لعلهم يرجعون) لكنهم
لم يرجعوا كما لم يرجع الهالكون اعتمادا على نصر الآلهة (فلولا نصرهم) أى فهلا منعهم
من الهلاك (الذين اتخذوا من دون الله) ليتقربوا بهم الى الله (قربانا) يمنعهم من
الهلاك لكن جعلوهم أعداء اذ جعلوهم (آلهة) فلم يقوموا مقام النصراء لهم (بل ضلوا)
أى غابوا (عنهم) لئلا ينسبوا الى عداوة الله تعالى وكيف يكون ذلك سبب قربهم من الله
(وذلك افكهم) أى صرفهم عن الحق (و) كيف يكون سبب قربهم ودعوى ذلك من جملة
(ما كانوا يفترون و) اذكر لمن زعم انه من مفتريات الشيطان (اذ صرفنا اليك نفرا من
الجن) كانوا يستمعون أخبار السماء فمنعوا بالشهب فاخذوا يتجسسون عن سببه فجاؤا
(يستمعون القرآن) ليعلموا انه هل هو السبب فى ذلك أو غيره (فلما حضروه) بقلوبهم
للاستماع (قالوا) بعضهم لبعض (أنصتوا) ليتم التدبر والتفكر (فلما قضى) أى
فرغ من قراءته كمل تأثرهم به فأرادوا التأثير به لذلك (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم
منذرين) عما هم فيه من الضلال (قالوا يا قومنا) تتذكر عما أنتم فيه عن تحقيق (انا
سمعنا كتابا) عجيبا (أنزل من بعد موسى) المتفق على تعظيم كتابه أكثر مما اتفق على تعظيم
الانجيل والزبور وقد علم صدقه لكونه (مصدقا لما بين يديه) من هذه الكتب كلها وقد
فضل عليها اذ (يهدى الى الحق) أى الى معرفة الحقائق (والى طريق مستقيم) من
الطريقة والشريعة (يا قومنا أجيبوا داعى الله) للتقرب اليه (و) أعلى وجوه الايمان
(آمنوا به) فاقل فوائد الايمان الغفران (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعضها التى بينكم
وبين الله تعالى (و) ان لم يغفر لكم بالكلية (يجركم من عذاب أليم) أشد ايلاما مما يعذبكم
به (ومن لا يجب داعى الله) لا يتخلص من عذابه بالتباعد عنه (فليس بمعجز) له بالهرب
عنه لكونه (فى الارض) فلا مهرب له الا السماء وهى له (و) لا شفيع له اذ (ليس له من
دونه أولياء) لانه عدو الله وقد جعلوا الشفعاء أيضا أعداء فمن اعتقد انه مع عداوته لله
يشفعه من هو عدو الله (أولئك فى ضلال مبين أ) يزعمون الله يعجز نفسه باماتتنا اذ لا يقدر
على احيائنا بعدها (ولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض) من عدم صرف (ولم يعى
بخلقهن) عن عدم (بقادر على أن يحيى الموتى) باعادة الروح الى الجسد بعد مفارقتها اياه
ليس كما توهموا (بلى انه على كل شئ قدير) من اعادة المعدوم لو فنيت النفس والجسد
بالكلية (و) مع هذا لا يزالون ينكرون قدرته على الاحياء الى يوم القيامة لذلك (يوم يعرض
الذين كفروا على النار) لانكارهم هذه القدرة يقال لهم (أليس هذا) الاحياء احياء

(قوله عزوجل هاجروا) تركوا بلادهم ومنه سمى المهاجرون لانهم هجروا بلادهم وتركوها وصاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هار) مقلوب من هائر أى ساقط يقال هار البناء وانهار وتهور اذا سقط (قوله عزوجل

(بالحق) بحيث لايقبل الموت بعده (قالوا بلى وربنا) الذى ربانا بالحياة الابدية بعد الموت (قال) لانربيكم بعد كفركم بما ينفعكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) واذا أصروا على كفرهم بعد هذا البيان بل ازدادوا ايذاء وتكذيبا (فاصبر) على تبليغ الرسالة وتكذيبهم وايذائهم (كما صبر أولوا العزم) أى الجد (من الرسل) كنوح على الضرب الى ان يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح الولد واسمعيل على الذبح ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر (ولاتستعجل لهم) وان اشتد عليك الامر من جهتهم كيف تستعجل بالعذاب عليهم ومدة الدنيا قصيرة فان لم يظهر الآن فسيظهر فى القيامة (كأنهم يوم يرون مايوعدون) من هول يوم القيامة ظنوا انهم (لم يلبثوا) فى الدنيا (الاساعة من نهار) وليس من حق الرسل الاستعجال بل حقهم (بلاغ) على ان ترك الاستعجال لايفيد الفاسقين لانه لابد من ظهور السياسة الالهية باهلاك قوم (فهل يهلك) بمقتضى العدل والحكمة (الا القوم الفاسقون) فسواء استعجل لهم أم لا لابد من اهلاكهم نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

سميت به لما فيها من ان الايمان بما نزل على محمد متفرقا أعظم من الايمان بما نزل مجموعا على سائر الانبياء عليهم السلام وهو من أعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة القتال لدلالتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم ومايترتب على القتال وكثرة فوائده (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الانسان سيما محمد صلى الله عليه وسلم ومانزل عليه (الرحمن) بتوفيقه للايمان بما نزل من كتبه والاعمال الصالحة بما فيها (الرحيم) بتوفيقه للايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاصة (الذين كفروا) فانهم وان كانوا على صورة انسان لايحرم قتالهم اذ لم تبق انسانيتهم التى بها حرمة القتال كيف (و) الانسانية بالتوجه الى الله تعالى وهم بالكفر (صدوا عن سبيل الله) فهم وان عملوا أعمالا من شأنها التصفية التى بها الانسانية (أضل) أى اضاع (أعمالهم والذين آمنوا) تبقى انسانيتهم (و) ان صدرت عنهم سيآت سيما اذا (عملوا الصالحات) المذهبة لها (و) الايمان بالله انما يعتد به اذا (آمنوا) عن كمال معرفته ويكفى فيه الايمان (بمانزل) فانه وان كان متفرقا لكنه لمانزل (على محمد) الجامع صار فيه مع التفرقة جمع (و) هو كمال المعرفة اذ (هو الحق) من كل وجه النازل (من ربهم) للتربية بكمال المعرفة فاقل مافيه افادة التصفية التى بها الانسانية اذ (كفر عنهم سيآتهم و) لو لم يفدهم الانسانية أفادهم نصيبا منها اذ (أصلح بالهم) أى قلبهم فيبقى حرمة قتله (ذلك) أى عدم افادة أعمال الكفار الانسانية مع افادتها نوع تصقيل وافادة ايمان المؤمنين اياها البتة (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) فصارت قلوبهم كمرآة مجلوة قابلت الظلمة (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) الذى هو منبع الانوار فصاروا

هيت لك) أى هلم أى اقبل الى ماأدعوك اليه وقوله عز وجل هيت لك أى ارادتى بهذا لك وقرئت هئت لك ومعناه تهيأت لك معصور (هوى النفس) يعنى ماتحبه وتميل والهواء مابين السماء والارض وكل منخرق ممدود وقوله عز

كمرآة مجلوة قابلت أعظم الانوار فلا يضره ما فيها من نقط الكدورة كل الضرر (كذلك
يضرب الله) فى سائر آيات القرآن (للناس) الذين نسوا ما يليق بهم من الامثال (أمثالهم)
واذا كان الكفر مبطلا للانسانية (فاذا لقيتم الذين كفروا) وهذه الملاقاة يخاف منها
السراية (فضرب الرقاب) أى فاقتلوهم قتلا يشبه ضرب الرقاب واستمروا على ذلك (حتى
اذا أثخنتموهم) أى أثقلتموهم فاسرتموهم (فشدوا الوثاق) بحيث لا يمكنهم الهرب منكم
(فاما) تطلقونهم بغير عوض (منا) عليهم (بعد) أى بعد الاسر لزوال سبعيتهم بالكلية
(واما) تطلقونهم بعوض مال أو مسلم أسر وليكون (فداء) يتقوى به المسلمون أو يتخلص
أسيرهم ولم يذكر القتل اكتفاء بما مر من قوله ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى
الارض وذلك فيمن يرى فيه الامام بقاء السبعية بالكمال ولم يذكر الاسترقاق لانه فى معنى
استدامة الاسر وذلك فيمن يرى فيه نوع سبعية ولا تزالوا على ذلك (حتى تضع الحرب) أى
أهلها (أوزارها) من الكفر والمعاصى الفرعية (ذلك) اى شرع القتال معهم لتنتصروا
من أعدائكم (ولو يشاء الله لانتصر منهم) نظرا الى عداوتهم له (ولكن) جعل انتصاره
فى ضمن انتصاركم (ليبلو بعضكم ببعض) أى بقتال بعض لينال ثواب الجهاد أو فضيلة
الشهادة أو الغنيمة (و) لا تنتقل أعمالكم الى الكفار اذ (الذين قتلوا فى سبيل الله) لم يقتلوا
ظلما اذ سبيل الله لا يكون ظلما (فلن يضل أعمالهم) ولو كان ظلما لكان مظلما للقلب لكنه
منير فان لم يستنر فى الحال (سيهديهم) بنوره فى الاستقبال (و) ان لم يستنر فهو (يصلح بالهم
و) هو مفيد لدخول الجنة لذلك (يدخلهم الجنة) كيف وقد آثروا بانفسهم من أجلها اذ
(عرفها) أى طيبها (لهم) فشموا روائحها فى الدنيا (يا أيها الذين آمنوا) انتصاركم
لانفسكم لا يخل باجركم اذ جعلتموه تبعا لنصر الله فانكم (ان تنصروا الله ينصركم) فلو أبطل
أجركم لكان خاذلا لكم بالحقيقة (ويثبت) أجركم فى الآخرة كما انه يثبت (أقدامكم)
فى محاربتهم تحقيقا لنصره اياكم فى الدارين (و) كيف يبطل أعمالكم وهو يشبه نقلها الى
أعدائكم وقد سقطوا عن رتبة استحقاق الاجر اذ (الذين كفروا فتعسا) أى عثورا
وانحطاطا (لهم) عن رتبة انتقال الاجر اليهم كيف (و) قد (أضل أعمالهم) التى باشروها
بانفسهم (ذلك) الاضلال لاعمالهم (بانهم) لا يعلمون الله اذ لا يمتثلون أمره ولو امتثلوا فهم
كارهون له لانهم (كرهوا ما أنزل الله) ليعبد به ولا عبرة للعبادة مع الكراهة لها فضلا عن
كراهة أصلها (فأحبط أعمالهم أ) ينكرون احباطها مع انهم انما يتوقعون نفعها فى
الدنيا سيما عند الشدائد (فلم يسيروا فى الارض) التى كثر فيها أعمال الكفار (فينظروا
كيف كان عاقبة الذين) كفروا (من قبلهم دمر) أى استأصل (الله) بانزال العذاب
(عليهم) من غير تفرقة بين عاملهم وغيره فلم ينفعهم أعمالهم فى دفع ذلك (و) ان زعموا انهم
ينتفعون بها فى الآخرة يقال (للكافرين) فى الآخرة (أمثالها) أى أمثال تلك
المعاقبة فاذا لم يدفع أعمالهم أدنى المعاقبات فكيف يدفع أعلاها (ذلك) أى نفع أعمال

وجعل أفئدتهم هواء قبل
جوف لا عقول لها وقيل
منخرقة لا تعى شيئا (قوله
تعالى هشيما) يعنى مايبس
من النبت وتهشم أى تكسر
وتفتت وهشمت الشئ أى
كسرته ومنه سمى الرجل
هاشما وينشد هذا البيت

المؤمنين فى دفع الشدائد الاخروية دون أعمال الكفار مع تساويهما فى الامر الدنيوى (بأن الله مولى) أى معبود (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) لو عبدوا الله لمخالفتهم أمره ولو عبدوا غير الله لم يبق لهم مولوية هنالك على ان الغير لو كان معطيا للاجر لم يكن ليعطى الجنة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جنة على الايمان وأخرى على الاخلاق وأخرى على الاعمال (تجرى من تحتها الانهار) لانهم أجروا أنهار معانى الايمان والاعمال الصالحة فى بواطنهم (والذين كفروا) لا يتوقعون ذلك الاجر بل الاجر الدنيوى فغايتهم انهم (يتمتعون ويأكلون) بلذائذ الدنيا من غير شكر لمولاهم بل (كما تأكل الانعام) وتمتع لكن لا يعقبهم ضرر (و) هؤلاء يعقبهم (النار) من غير انقطاع بل هى (مثوى لهم) دائما (و) لا يمكنهم دفعها بقوتهم التى اكتسبوها من مأكولاتهم ومتمتعاتهم كيف وقد عجزوا عن دفع الشدائد الدنيوية بها فانه (كأين) أى كثير (من) أهل (قرية هى أشد قوة من قريتك التى) زعمت انها قاومت قوة الله تعالى اذ (أخرجتك أهلكناهم) الهلاك الدنيوى الذى هو دون الاخروى بكثير (فلا ناصر لهم) من قوتهم ولا ممن يزعمون انهم يتقوون بهم من معبوديهم (أ) نجازى الكفار على أعمالهم جزاء المؤمنين (فمن كان على بينة من ربه) فى أعماله (كمن) لا بينة له بل (زين له سوء عمله) بحيث رآه حسنة (و) ما كان حسنة فى الواقع لم يتبعوا فيه أمر الله بل (اتبعوا أهواءهم) وكيف يكون جزاء من كان على بينة من ربه كجزاء من زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مع ان الحكمة الالهية مع عظمته تقتضى تعظيم اللطف بالاولين لتقويهم وتعظيم القهر بالآخرين لجراءاتهم فهل (مثل) المخلد فى (الجنة التى وعد المتقون) مخالفته (فيها أنهار من ماء غير آسن) أى متغير لصفاء اعتقادهم وأعمالهم (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لبقائهم على الفطرة التى لا يتغير معها طعم الانسانية (وأنهار من خمر) لا سكر فيها بل مجرد (لذة للشاربين) لايثارهم حب الله على ماسواه (وأنهار من عسل مصفى) لوجدانهم حلاوة المعرفة والعبادة مع صفائهما (ولهم فيها من كل الثمرات) من أخلاقهم وأعمالهم (ومغفرة من ربهم) لمحو حسناتهم سيآتهم (كمن هو خالد فى النار) المطلقة التى لا يستحق غيرها ان تسمى نارا بالنسبة اليها (وسقوا ماء حميما) بدل هذه الاشربة لتغييرهم ماذكر (فقطع) من افراط الحرارة (أمعاءهم) بدل تلذذهم بماذكر (و) لو كان لمن ليس على بينة من ربه نصيب من الثواب لكان له نصيب من سماع القرآن لكن (منهم من يستمع اليك) اى الى قراءتك التى هى أشد تأثيرا فلا يتأثرون بها بانفسهم ولا بالسؤال عن العلماء (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هل فيه ما يفيد هدى فان بينوا لم يستفيدوا منه شيأ اذ (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلا يتطرق اليهم الهدى (و) كيف يتطرق اليهم وقد (اتبعوا أهواءهم) لرؤيتهم اياها هدى (و) لو لم يمنعهم ذلك لازدادوا هدى اذ (الذين اهتدوا) أى طلبوا الهداية (زادهم) استماعه وبيان العلماء مسائله ودلائله (هدى

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف كان اسمه عمرو فلما هشم الثريد سمى هاشما (قوله تعالى همسا) أى صوتا خفيا وقيل يعنى صوت الاقدام الى المحشر (قوله عز هدا) سقوطا (قوله عز

و) يدل على زيادة هداهم انه (آتاهم تقواهم) عن الاهوية كلها وانما اتبعوا أهواءهم بانهم رأوها منافع حاضرة وأنكروا ضررها لانكارهم الساعة (فهل ينظرون) لتحقيق ضررها (الا الساعة) ولا يأتى بتدريج فهل ينظرون الا (أن تأتيهم بغتة) لكن العلم بمجيئها كاف وفى افادة العلم بضرر الاهوية والعلم بمجيئها حاصل (فقد جاء أشراطها) لكنها ليست ملجئة وهم انما ينتظرون الاشراط الملجئة (فأنى) يكون نافعا (لهم اذا جاءتهم) تلك الاشراط (ذكراهم) ضرر الاهوية والا استوى الكل فلا يبقى تمييز بين المحسن والمسيء وقد وضع له الساعة واذا كانت أشراط الساعة مفيدة للعلم بها وان لم تكن ملجئة وقد أعلم الله بها التدارك الشرك والمعاصى قبلها وقبل اشراطها الملجئة (فاعلم انه لا اله الا الله) نفيا للشرك فى الافعال والصفات والذات (واستغفر لذنبك) الذى هو قصور أحوالك ومقاماتك التى ارتقيت عنها الى ما فوقها (وللمؤمنين) جبر القصور استغفارهم (والمؤمنات) جبر الاستغفارهن بوجه من الوجوه (و) كيف يستغنى أحد عن الاستغفار ولا يخلو عن تقصير وان لم يعلم به لكن (الله يعلم متقلبكم) من حال أو مقام أدنى (ومثواكم) أى سكونكم فيه مع امكان الترقى عنه (ويقول الذين آمنوا) بالساعة حين رأوا انتظار أعدائهم اياها (لولا نزلت سورة) أى هلا كثر انزال السورة فى كل مرة آمرة بقتالهم خاصة لتقوم عليهم القيامة الصغرى فى الحال (فاذا أنزلت) مرة واحدة (سورة محكمة) لا تقبل نسخا ولا تأويلا فكانت فى معنى النازلة بجميع المرات (وذكر فيها) مع أمور كثيرة (القتال) مع منتظريها (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق بعد قولهم ذلك مع سائر المؤمنين (ينظرون اليك) عند تلاوة تلك السورة التى هى سبب قتالهم (نظر المغشى عليه من) سكرات (الموت) فكان هذا الامر لهم بمنزلة السكرات والقتال نفس الموت فاذا كان هذا القول منهم سببا لهذه الفضيحة (فأولى لهم طاعة) لما يأمرهم الله من غير غنى شئ مما لم يأمرهم الله أن يأمرهم (وقول معروف) لا يرده فعلهم واذا تمنوا ذلك (فاذا عزم الامر) أى جزم أمر القتال بانزال تلك السورة (فلو صدقوا الله) بمطابقة فعلهم قولهم وتمنيهم على الله (لكان خيرا لهم) من أن يعيشوا بلا جهاد لانهم لو قتلوا فازوا باجر الشهداء وان عاشوا فازوا بالنصر والغنيمة على ان العيش انما يكمل بتولى أمور الناس وهو عين الضرر (فهل عسيتم) أى قاربتم (ان توليتم) أمور الناس (أن تفسدوا) فسادا ساريا (فى الارض و) اعظمه ان (تقطعوا أرحامكم) الذين يشاركونكم فى المال والمنصب وهذا وان ظن انه خير فهو أعظم شر اذ (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم) عن سماع الحق عند الافساد وقطيعة الرحم (وأعمى أبصارهم) عن رؤيته هذا هو الغالب فى أهل الولاية سيما المنافقين (أ) يفسدون ويقطعون مع زعمهم انهم يؤمنون بالقرآن (فلا يتدبرون القرآن) المصلح أمور الدارين بحيث يتم به ملكهما ليتأتى لهم التدبر (أم) لا لانه بوصول أنوار الغيب الى القلوب لكن (على قلوب) منكرة لتلك الانوار (أقفالها) التى لا مفتاح لها فهم

وجل هضما) نقصا بقول ولا يخاف ظلما ولا هضما أى ولا يظلم بأن يحمل ذنب غيره ولا هضما أى ولا يهضم فينتقص من حسناته يقال هضمه واهتضمه اذا انتقصه حقه (قوله عز وجل هامدة) أى ميتة يابسة (قوله هيهات

فى معنى المرتدين (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) من غير موجب الادبار بل (من بعد ما تبين لهم الهدى) الكلى فى الاقبال (الشيطان سول) أى زين ذلك الادبار (لهم) مع ظهور قبحه (و) لكن استتر عليهم اذ (أملى لهم) أى أمهل فلم يؤاخذوا فى الحال (ذلك) التسويل مع ظهور قبحه (بأنهم) صاروا محجوبين من عند الله اذ (قالوا للذين) عادوا الله حتى (كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر) الذى يخالفون الله فيه فازال حفظه عنهم (و) هم وان قالوا ذلك سرا يجرى الله معهم بمقتضاه اذ (الله يعلم اسرارهم) وهم وان فعلوا ذلك لدفع ضررهم الدنيوى (فكيف) يدفعون ضرر الله على الردة (اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم) التى ولوها عن الله الى أعدائه (وأدبارهم) التى ولوها عن الاعداء الى الله (ذلك) الضرب لا لصرفهم أنفسهم عنهم بل (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من اطاعة أعدائه (وكرهوا رضوانه) فى معاداتهم فادى بهم الى الردة (فاحبط أعمالهم) التى تفيدهم النجاة عن ذلك الضرب وعن الفضائح الدنيوية أحسب المنافقون ان الله لا يعلم أسرارهم التى يفتضحون بظهورها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى نفاق تفرع منه اضغان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن لن يخرج) أى يظهر (الله أضغانهم) أى أحقادهم (ولو نشاء) أن نبالغ فى افتضاحهم (لاريناكهم) متصورين فى الحس بصور تلك الاضغان كما نفعل فى القيامة ولكن لا نفعل ذلك قبل القيامة ولكن نفضحهم فضيحة خاصة وعامة (فلعرفتهم) أى فوالله لقد عرفتهم معرفة خاصة (بسيماهم) أى علاماتهم التى يدركها المتفرسون الناظرون بنور الله (ولتعرفنهم) معرفة عامة (فى لحن) أى امالة (القول والله) تعالى لو لم يعلم أسراركم كما زعمتم فلا شك انه (يعلم أعمالكم) التى هى دلائل الباطن فيظهرها بهذه الظواهر (و) لو لم يمكننا أظهار بواطنكم بظواهركم (لنبلونكم) بتكاليف الجهاد (حتى نعلم) أى نظهر ما علمنا فيظهر على العامة (المجاهدين منكم والصابرين) على قتال الاعداء وسائر تكاليف الجهاد (ونبلو أخباركم) فى ترك الجهاد من أول الامر وفى الفرار آخرا وفى موافقتكم مع الكفار وهذا الابتلاء ليس لدفع الضرر عن نفسه بل عن المبتلى (ان الذين كفروا وصدوا) أى منعوا الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) لا لظهور كذبه عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ) لا بالكفر اذ غايته أن يبقى مجهولا لهم ويكفى فى كماله علمه بذاته ولا بالصد عن سبيله اذ غايته أن لا يعبده أحد ولا ينتفع بالعبادة فلا يتضرر بتركها ولا بمشاقة الرسول وان كانت عداوته عداوة الله اذ لا يتضرر بعداوة أحد (و) انما ابتلاهم لانهم يتضررون به لانه (سيحبط) اذا لم يتوبوا (أعمالهم) فتنقلب محاسنهم مضار وكيف لا يخاف هذا الاحباط على الكفر والصد والمشاقة مع انه يخاف على ترك اطاعتهما (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) بترك اطاعتهما الذى يخاف افضاؤه الى الكفر بهما (أعمالكم) ثم أشار الى انه وان لم يتضرروا به لكنه لما كان ضررا فى نفسه ولم يزيلوه حين يمكنهم ازالته فلابد ان يتضرروا به فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم)

كناية عن البعد يقال هيهات ماقلت أى بعد ماقلت وهيهات لماقلت أى البعد ماقلت (قوله همزات الشياطين) نخسات الشياطين وغمزاتهم الانسان وطمعهم فيه

لا كفرهم لانه صار حجابهم ولا صدهم لانه حق الخلق بخلاف ما لو ماتوا بعد التوبة فانه يغفر لهم عن كفرهم ولا يعذبون بالصد دائما فلا يخلو عن نوع من الغفران واذا كان الله لا يترك الانتقام منهم مع عدم تضرره بكفرهم وصدهم عن سبيله ومشاقة رسوله (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا عن قتالهم مع تضرركم بتركه (و) لا (تدعوا الى السلم) أى الصلح لدفع ضررهم لانه يوهم عجزكم المفضى الى عود ضرر أشد (و) لا عجز لكم اذ (أنتم الاعلون) كيف (والله معكم) بالعون والنصر (و) لا تعتللوا بفوات بعض كمال العبادات عند الاشتغال بالجهاد فان الله تعالى (لن يتركم) أى لن ينقصكم (أعمالكم) ثوابا ولا وجه لترك الجهاد لاجل الدنيا (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) فلا يرغب فيها العقلاء وانما يرغب فيها الجهال كيف والجهاد مقو للايمان والتقوى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) التى هى أجل من الدنيا وأبقى (و) لا يفوتكم الدنيا اذ (لا يسئلكم أموالكم) فى مقابلة تلك الاجور بل يسئلكم منها ما لا تتضررون بانفاقه وتنتفعون بالاعوان وانما لم يسئلكم جميعها لانه (ان يسئلكموها فيحفكم) أى فيبالغ فى طلبه بطلب كله (تبخلوا) ثم تحقدوا على الله ورسوله (ويخرج أضغانكم) فيوجب قتالكم كقتال سائر الاعداء (ها أنتم هؤلاء) أى تنبهوا أيها المخاطبون مع ان اسم الاشارة لبلادتكم مع ما فى ترك هذا السؤال من عظم اللطف وما لطف بكم فى سؤال الانفاق فى سبيل الله مع خستكم اذ (تدعون) أى يدعوكم الله ورسوله (لتنفقوا فى سبيل الله) وهو أنفع لكم من الانفاق على أنفسكم وأهليكم (فمنكم من يبخل) وان لم يحف (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) بمنع الثواب الابدى مع عدم بقاء المال لا عن المنفق عليه اذ الله ينفق عليه كيف (والله الغنى) فلا يترك الانفاق على عبيده أصلا (و) انما أمركم بالانفاق على عبيده اذ (أنتم الفقراء) الى ثوابه (وان تتولوا) عن أمره بالانفاق فى سبيله (يستبدل قوما غيركم) أى يهلككم ويأخذ بدلكم لاقامة دينه قوما آخرين فلا تبقون أنتم ولا أموالكم لكم (ثم) بعد رؤيتهم اهلاككم على التولى (لا يكونوا أمثالكم) فى البخل وترك الجهاد والايمان والتقوى فيحمدون وتبقون مذمومين فى الدارين فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل هباء منثورا) يعنى ما يدخل الى البيت من الكوة مثل الغبار اذا طلعت فيها الشمس وليس له مس ولا يرى فى الظل (قوله هباء منبثا) أى ترابا منتشرا والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل

•(سورة الفتح)•

سميت به لدلالتها على فتح البلاد والحجج والمعجزات والحقائق وقد ترتب على كل واحد منهما المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز وكل هذه أمور جليلة (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى فتحه (الرحمن) بجعله سببا لغفران الذنوب (الرحيم) بجعله سببا لاتمام النعمة والهداية والنصر العزيز (انا) باعتبار مقام عظمتنا (فتحنا) البلاد تعظيما (لك) فى قلوب العباد اذ كان (فتحا مبينا) لرجحان دينك على الدين كله فجعله سببا لتكثير حسناتك بحسنات اتباعك (ليغفر لك الله) بتلك الحسنات (ما تقدم من ذنبك) قبل النبوة من عملك بالاديان القاصرة التى نسخت بهذا الدين (وما تأخر) بعد النبوة وقبل الفتح من التقصيرات

مخافة الاعداء (ويتم نعمته عليك) بتوفية الاعمال التى لا تتأتى مع تشويش الاعداء
(ويهديك صراطا مستقيما) فى باب الاخلاق من غير افراط ولا تفريط مما لا يتأتى مع افراط
الغضبية والشهوية (وينصرك الله نصرا عزيزا) على من لم يفتح بلادهم بعد بحيث لا يغلبون
على ما فتح عليك من البلاد اوانا فتحنا لك عن الحجج والبينات فتحا مبينا اصدقك ليغفر لك الله
بانارة قلوب الخلق وازالة الشبه عنهم ما تقدم من ذنبك من عدم اقامة الدلائل لهم وما تأخر
من عدم ازالة الشبه الواردة على حججك ويتم نعمته عليك بافاضة وجوه الادلة عليك ويهديك
صراطا مستقيما فى محاجة كل فرقة بما يناسبها وينصرك الله على من يجادلك بالباطل نصرا
عزيزا تغلبه به وان كان معاندا أوانا فتحنا لك عن المعجزات فتحا مبينا لكونها من عند الله
لا تلتبس بالسحر ليغفر لك الله بظهور نور النبوة ما تقدم من ذنبك الذى هو احتجابك بالبشرية
وما تأخر من احتجابك بالملائكة ويتم نعمته عليك بتكميل النبوة والولاية ويهديك صراطا
مستقيما فى اظهار كل معجزة فى مكانها وينصرك الله نصرا عزيزا على من أراد معارضتك فى
معجزاتك اوانا فتحنا لك عن حقائق الاشياء فتحا مبينا لعلو شأنك عند الله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك الذى هو الجهل بالاشياء على ما هى عليه وما تأخر من القصور فى الاحاطة بها ويتم
نعمته عليك بكشف الحقائق العلوية ويهديك صراطا مستقيما فى كشفها وينصرك الله
على عوائق كشفها نصرا عزيزا وانما نسب هذا الفتح الى الله تعالى مع ان فتح البلاد منسوب
الى قوة الرجال والحجج والبينات الى القوة المفكرة والمعجزات الى القوة القدسية والحقائق الى
التصفية اذ (هو الذى أنزل السكينة) أى الثبات والطمانية (فى قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا
فى محاربة الاعداء فلم يولوهم الادبار وسكنوا للحجج فلم يتوهموا انها تلبيسات وللمعجزات فلم
يقولوا انها سحر وللحقائق فلم يحتجبوا عنها بشئ (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) برؤية نصر الله
وتقوية الاعتقادات بتكثير الحجج والمعجزات وتفاصيل الحقائق (و) المنسوب الى ما ذكر
منسوب الى الله وهو من جنوده اذ (لله جنود السموات والارض و) انما اتخذ الجنود مع
غناه عنهم العلمه بترتيب بعض الاشياء على بعض واقتضاء حكمته ذلك اذ (كان الله عليما حكيما)
على ان الظهور بكمال اللطف فى قوم والقهر فى آخرين بمقتضى الالهية من غير أن يرتبهما على
التكليف يشبه الظلم أو التحكم فرتبهما على الايمان الذى هو أصل التكاليف (ليدخل
المؤمنين والمؤمنات) سيما الساكنين فى محاربة الاعداء وسماع الحجج ورؤية المعجزات وظهور
الحقائق (جنات) كل جنة فى مقابلة اعتقاد أو عمل أو خلق (تجرى من تحتها الانهار) كما
أجروا أنهار دماء الاعداء وعبارات الحجج ومعانى المعجزات وتفاصيل الحقائق (خالدين فيها
و) لا تعوق عنها سيئاتهم اذ (يكفر عنهم سيئاتهم و) انما نسب الى كمال لطفه مع ظهور هذه
الاسباب اذ (كان ذلك عند الله فوزا عظيما) فوق ما تقتضيه الاسباب (ويعذب المنافقين
والمنافقات) سيما الجبناء والرادين للحجج والمعرضين عن المعجزات والحقائق (و) هم وان لم
يظهروا بعض هذه الامور فى معنى من ظهر بها من (المشركين والمشركات) وقوتهم التى

ظهروا

وهو من الهبوة والهبوة
الغبار (قوله عز وجل
هونا) أى مشيا رويدا يعنى
بالسكينة والوقار والهون
أيضا الرفق والدعة (قوله
تعالى هلم الينا) أى أقبل
الينا (قوله هماز) أى
عياب وأصل الهمز الغمز

ظهروا بها كقوة رجالهم على نسائهم وكيف لا يعذبهم مع كونهم (الظانين بالله ظن السوء) مثل انه لا يصدق وعده النصر وانه يلبس بهذه الحجج وانه يظهر المعجزات على يد الكاذب على انهم اعتقدوا فيه ما ليس عليه ولما دار بهم ظن السوء صارت (عليهم دائرة السوء) كيف (و) قد (غضب الله عليهم) بكل خصلة منها توجب هذه المعاقبة (و) ليس كغضبه على غيرهم اذ (لعنهم و) هو وان اقتضى تعجيل العقوبة اقتصر على ان (أعدّ لهم جهنم و) لا ينفعهم حينئذ لذائذ الدنيا اذ (ساءت مصيرا) كيف وتنقلب صورا مؤلمة (و) لا يبعد جعلها أسباب تعذيبه اذ هي من جنود الله اذ (لله جنود السموات والارض و) لا ينافى كونها جنود الطفه أولا اذ (كان الله عزيزا) يمكنه جعل سبب اللطف سبب القهر كما ان له أن يجعل الاطعمة التي هي من أسباب اللذة أسباب الالم بالمرض وكيف يترك ذلك مع اقتضاء الحكمة ذلك من كونه (حكيما) ولاقتضاء الحكمة كمال اللطف والقهر من غير ملابسة ما يشبه الظلم رتبهما على التكليف بالايمان مبنيا على الدلائل القطعية والمكاشفات الجلية مع السائق والزاجر (انا أرسلناك شاهدا) باقامة الدلائل واظهار الحقائق (ومبشرا) بغاية اللطف لتكون سائقا (ونذيرا) بغاية القهر لتكون زاجرا فترفع الاعذار (لتؤمنوا بالله ورسوله و) انما كان الايمان بالله مطلوبا له لتضمنه ان (تعزروه) أى تعتقدوا قوته بحيث لا يحتاج الى شريك فتوحدوه (وتوقروه) أى تعتقدوا عظمته بحيث لا يشاركه شئ فى صفاته (و) غاية ذلك ان (تسبحوه) أى تنزهوه عن كمالات الحوادث فضلا عن النقائص وان رأيتم ظهوره فيها فى كل وقت سيما (بكرة وأصيلا) وانما كان الايمان بالرسول مطلوبا بالله لانه كالمتحد به حتى كانت مبايعته مبايعة الله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لفنائه عن نفسه وبقائه بربه ثم نزل يده منزلة يد قدرته وعطائه فكانما (يد الله فوق أيديهم) ومن ثم عظم أمر النكث والوفاء (فمن نكث) أى نقض بيعته (فانما ينكث) بايقاع الضرر (على نفسه) لا عليك كما لا يقع على الله (ومن أوفى بما عاهد عليه) رسوله فكانما أوفى بما عاهد عليه (الله) ولا يكون أجره على الرسول حتى يتوهم فيه القصور بل على الله (فسنؤتيه أجرا عظيما) يناسب عظمتنا كالجنات وما فيها او كالرؤية (سيقول لك) عند ظهور رقوتك انا كثون وهم (المخلفون) عن استنفارك الى الحديبية قرية بمرحلة من مكة أو أقل سميت باسم بئر فيها وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار (من الاعراب) الذين ليس من شأنهم المبالغة فى حفظ الاموال والاهل باتخاذ قرية أو حصن (شغلتنا) عن بيعتك التي هى بيعة الله (أموالنا وأهلونا) اذ آثرناهما على الله ورسوله وقدموا الاموال لانها احب اليهم (فاستغفر لنا) لقصور استغفارنا يظهرون انهم يعتقدون عظمة هذه المعصية مع انهم لا يعتقدونها معصية اصلا فهم (يقولون) فى باب الاعتقاد (بألسنتهم) التي لا عبرة لها فى هذا الباب ما لم يكن مترجما عن الباطن (ما ليس فى قلوبهم) اعتقادا وان تصوروه ليعبروا عنه بالعبارة الكاذبة (قل) لا فائدة فى هذا الاشتغال مع ترك الالتفات الى الله الذى بيده الضر والنفع (فمن يملك لكم من الله شيأ) من دفع ضر (ان أراد بكم ضرا)

وقيل لبعض العرب الفازة تهمز فقال السنور يهمزها (قوله عز وجل هلوعا) أى ضجورا كما قال الله عز وجل لا يصبر اذا مسه الخير ولا يصبر اذا مسه الشر والهلوع الضجور الجزوع

فى أموالكم وانفسكم مع قيامكم بهما من غير التفات الى الله تعالى (او) من يملك عليكم شيأ من
الضرعلى خلاف ارادة الله ان (أراد بكم نفعا) لو خرجتم بان تفوزوا بغنائم مع حفظ الاموال
والاهلين ثم انه لم يخلفكم شغلهما (بل) قبائحكم الظاهرة والباطنة خلفكم الله بها اذ (كان الله
بما تعملون خبيرا بل) اعتقادكم الفاسد اذ (ظننتم ان لن ينقلب) أى اعتقدتم انه لن يرجع
(الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل يستأصلهم قريش (و) انتم وان علمتموهم انهم
لم يقدروا عليهم اذ كانوا فى أيديهم فكيف بعد الخروج عنهم لكن (زين ذلك فى قلوبكم و) انما
زين ذلك فى قلوبكم لانكم (ظننتم) بالله (ظن السوء) وهو انه لا يفى بوعده لرسوله بالنصر
(و) انما ظننتم بالله ذلك لانكم (كنتم قوما بورا) أى هالكين بالكفر كيف وانكار وفاء الله وعده
لرسوله كانكار ربوبيته ورسالته (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) فانكره باعتبار اسمه الباطن
والظاهر جميعا (فانا) وان لم نعذبهم فى الحال (اعتدنا للكافرين سعيرا) ولا يلزم من الغضب
التعذيب فى الحال سيما فى حق من لا يتألم بغضبه فيدفعه بايلام المغضوب عليه (و) انما يؤلمه
بمقتضى ملكيته اذ (لله ملك السموات والارض) ولذلك لا يضطر الى التعذيب بل (يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء) لو فرض ان غضبه مؤلم له فهو معارض بغفرانه ورحمته اذ (كان الله
غفورا رحيما سيقول المخلفون) بعذر الاشتغال باموالهم واهليهم بعد طلبهم الاستغفار لهم
(اذا انطلقتم) أى قصدتم السير (الى) أماكن (مغانم) كخيبر (لتأخذوها) دونهم (ذرونا) أى
اتركونا فى الانطلاق اليها (نتبعكم) فى أخذها وقتال أهلها (يريدون) بعد ظهور كذبهم فى
طلب الاستغفار (ان يبدلوا كلام الله) فى سورة التوبة فاذا استأذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقصدوا بذلك ابطال النبوة (قل لن تتبعونا) فى القتال
وانما تتبعونا فى أخذ الغنائم اذ (كذلكم قال الله من قبل) ولا يقبل هذا القول منه النسخ
لكونه من باب الاخبار فاذا ظهر بذلك نفاقهم (فسيقولون) لم يقل الله شيأ (بل تحسدوننا)
فصرحوا باظهار الكفر فليس هذا من فطانتهم (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) فان سألوا هل
اسقط الله عنهم الجهاد (قل للمخلفين) ليس التخلف سببا لاسقاط الجهاد لكن سوء الكم عن قلة
الفهم لكونكم (من الاعراب) بل انما حكم الله عليكم بعدم متابعتكم اياى غضبا عليكم
لتحرموا اجر متابعتى لكن (ستدعون) أى يدعوكم الائمة من بعدى (الى) قتال (قوم) من
المرتدين كقوم مسيلمة ومانعى الزكاة (أولى بأس شديد) ربما يصعب قتالهم فوق صعوبة
قتال من اقاتلهم ولا دخل للصلح والامن فيه بل (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا) أمر الائمة
(يؤتكم الله أجرا حسنا) وان لم يبلغ أجر متابعتى الذى حرمتم بالتخلف أول مرة وان كان قتالهم
أشد من قتال من اقاتلهم (وان تتولوا) عن أمرهم (كما توليتم) عن أمرى (من قبل يعذبكم
عذابا اليما) على التوليين جميعا وخص من هذا الوعيد أصحاب الاعذار وان حدثت بعد
التخلف الاول (ليس على الاعمى حرج) ما وان امكنه القتال باحساس صوت مشى العدو
ومشى فرسه لكن يصعب عليه حفظ نفسه عنه (ولا على الاعرج حرج) وان أمكنه القتال

والهلاع أسوأ الجزع
(قوله عزوجل الهزل) أى
اللعب

(باب الهاء المضمومة)

(قوله عزوجل هدى) رشد
أو
(قوله عزوجل هودا) أى يهودا فحذفت
نصارى) أى يهودا فحذفت
الياء الزائدة وقيل كانت

قاعد الكن لايمكنه الفر والكر ولا يقوى قوة القائم (ولا على المريض حرج) فانه وان أمكنه الابصار والقيام فلا قوة له فى دفع العدو فضلا عن الغلبة عليه (و) هؤلاء وان فاتهم الجهاد لا ينقص ثوابهم اذا اطاعوا الله ورسوله فان (من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) لما فاض من فوائد الاطاعة (ومن يتول) عن اطاعتهما فانه وان كان أعمى أو أعرج أو مريضا (يعذبه عذابا أليما) أشد من عذاب البصير والماشى والصحيح وكيف لا يكون لمطيع الله ورسوله ذلك الاجر مع ان من بايع رسوله على الاطاعة استوجب رضوان الله فانه (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) على ان يطيعوا الله ورسوله فى العسر واليسر (تحت الشجرة) سمرة أو سدرة وكان ظلها فى الظاهر من اسباب طمأنينة الباطن (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص (فانزل السكينة) أى الطمأنينة (عليهم) ليدوم عليهم رضوانه (و) مما يدل عليه انه (اثابهم فتحا) لخيبر (قريبا) مع قوتهم وقتالهم (و) اثابهم وراء النصر على اعدائهم (مغانم كثيرة يأخذونها) ليتقووا بها على فتح سائر البلدان (و) هى وان كانت تفيدهم قوة لكن (كان الله عزيزا) أى غالبا على قوتهم وانما جعلها لكم مع كونه معكم لكونه (حكيما) ولكونها دلائل الاجر الاخروى جعلها دلائل الغنائم المستقبلة اذ (وعدكم الله) وراء هذه المغانم الكثيرة (مغانم كثيرة تأخذونها) حال الغنى كما أخذتم هذه حال الفقر ليعلم ان حلها ليس للاضطرار (فعجل لكم هذه) المغانم الخيبرية لتتقووا بوعده فى المستقبل (و) جعلها غنائم باردة اذ (كف أيدى الناس) أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان (عنكم ولتكون) عطف على لتتقووا المحذوف أى الغنيمة الدنيوية (آية) على الغنائم الاخروية (للمؤمنين) لانهم لما اثيبوا بها فى غير دار الجزاء ففى داره بطريق الاولى بخلاف الكفار اذ لا ثواب لهم فى الآخرة (و يهديكم صراطا مستقيما) لانكم اذا ورثتم أموال الكفار فى الدنيا تستدلون بذلك على انكم ترثون منهم الجنة وان الثواب الدنيوى دليل الثواب الاخروى لا عدمه وانما منع الكافر من ثوابه لمعارض الكفر وان التلذذ بالطيبات الدنيوية لا ينافى التوجه الى الله تعالى بل يزيده اذا شكره عليها وانما ينافيه لو شغله (و) يعجل لكم غنيمة (أخرى) من هوازن (لم تقدروا عليها) بل وليتم منهم الفرار لكن (قد أحاط الله بها) من غير وساطتكم فاعطاكم النصر بعد الفرار (وكان الله على كل شئ قديرا) فقدر على جعل المغلوب غالبا (و) النصر بعد الانهزام من خواص المؤمنين فانه (لو قاتلكم الذين كفروا) بعد الانهزام (لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا) يصلح امورهم (ولا نصيرا) يغلبهم وهذا وان لم يمتنع عقلا يمتنع عادة لكونها (سنة الله التى قد خلت) أى مضت فى كفار الامم السالفة مع مؤمنيها (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) اذ لا تتبدل العادات الا بطريق المعجزة والكرامة وليس أهل الكفر من احدى القبيلتين (و) كيف ينصر الكفار بعد هزيمتهم على المسلمين وفيه من مزيد هتكهم وقد راعى حرمة مكة بعد ما راعى حرمة المسلمين ونصرهم اذ (هو الذى كف أيديهم عنكم) رعاية لحرمتكم حين خرج عكرمة بن أبى جهل فى خمسمائة الى الحديبية فبعث عليه السلام خالد بن الوليد

اليهود تنسب الى يهوذا ابن يعقوب فسموا اليهود وعربت بالدال (قوله عز وجل هون) هوان (قوله عز وجل هدنا اليك) أى تبنا اليك (قوله عز وجل هنالك) يعنى فى ذلك الوقت وهو من أسماء

وهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة (وأيديكم عنهم) اذ صاروا (ببطن مكة) أى داخلها رعاية لحرمتها (من بعد ان اظفركم عليهم) فامكنكم ان تستأصلوهم كيف (و) هو انما ينصر المسلمين بعد هزيمتهم بالنظر الى أعمالهم الصالحة اذ (كان الله بما تعملون بصيرا) ولا عمل للكفار يقتضى النصر بعد الهزيمة الواقعة بالقهر الالهى على اعمالهم اذ (هم الذين كفروا و) هو وحده يقتضى القهر لكن لم يقتصروا عليه بل مع ذلك (صدوكم عن المسجد الحرام) وهو فى معنى قطع الطريق على أهل الله ان يصلوا اليه (و) صدوا ايضا (الهدى) وهو ما ساقه عليه السلام من البدن سبعين فصار (معكوفا) أى محبوسا من ان يصل الى الله تعالى لانه منع (ان يبلغ محله) من الحرم الذى جعل بمنزلة حريم دار السلطان (و) هذه الجرائم بحيث تبيح هتك حرمة مكة لكنها انما كدت بحرمة أهل الايمان (لولا رجال مؤمنون و) لا تقتصر هذه الحرمة على أهل الكمال منهم بل لولا (نساء مؤمنات لم تعلموهم) لم يكف أيديكم عنهم فهو انما كفها كراهة (ان تطؤهم) أى تدوسوهم (فتصيبكم منهم معرة) أى مكروه من الدية والكفارة والتعيير والاثم بالتقصير فى البحث عنهم (بغير علم) وانما ترك هؤلاء المؤمنين هناك فكف أيدى المسلمين عن الكفار (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) منهم بتوفيقه للاسلام لكنه ليس بمانع بالحقيقة لان العبرة بالحال لذلك (لو تزيلوا) أى لو تميز المسلمون منهم (لعذبنا الذين كفروا منهم) بالاسر والقتل (عذابا أليما) سيما (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) بانكار اسمه الرحمن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا غيرة للحق بل (حمية الجاهلية) وذلك انه عليه السلام لما نزل الحديبية فهم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليرجع من عامه ويخلى له مكة من القابل ثلاثة أيام فقال عليه السلام لعلى كرم الله وجهه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يبطشوا (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فتحملوا الآن قتالهم يفضى الى قتال من فيهم من المسلمين (والزمهم كلمة التقوى) فلم يسيؤا اعتقادهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحملوا ذلك على ضعفه (وكانوا أحق بها) لان من بعدهم تبع لهم (وأهلها) لان الله تعالى استأصلهم بصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكان الله بكل شئ عليما) فراعى من فيهم من المسلمين ولما أزال شبهة موافقة الرسول المشركين على جميعهم أزال شبهة كذب رؤياه التى هى وحى وذلك انه عليه السلام رأى فى المنام انه واصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فحسبوا ان ذلك فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فقال عز وجل قبل الوقوع (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) فليظهرن كونه (بالحق لتدخلن المسجد الحرام) من القابل (ان شاء الله) ان لا يميت احدا منكم ولا يشغله بشغل آخر (آمنين) من الصد والقتال وان لم يأمن بعضكم التقصير فى تكميل النسك اذ يكون بعضكم (محلقين رؤسكم و) بعضكم (مقصرين لا تخافون) من المكر ولو دخلتم العام لمكر بكم (فعلم ما لم تعلموا)

من

الواضع ويستعمل فى
اسماء الازمنة (قوله عز
وجل وهدوا الى الطيب
من القول) أى ارشدوا الى
قول لا اله الا الله (قوله عز
وجل همزة لمزة) معناهما
واحد أى عياب ويقال
الهمز الغمز فى الوجه بكلام

من فائدة الصلح من رعاية المسلمين الذين بايدى الكفرة والامن من المكر وأنتم ترون فيه موافقة المشركين فى حمية الجاهلية من غاية الضعف وانكسر خاطركم (ف) جبره الله تعالى بان (جعل من دون ذلك فتحا) لخيبر (قريبا) يدل على عدم ضعف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لايزيل شبهة ضعف الرسول وكذب رؤياه مع انه امانعة من ظهور دينه لكن (هو الذى) باعتبار ذاته (أرسل رسوله بالهدى) أى الدلائل القطعية (ودين الحق) أى الاعتقادات الصائبة المطابقة لما هو الواقع أشد مطابقة (ليظهره على الدين كله و) يدل على ان ارساله من ذاته شهادته على رسالته بصريح قوله الذى هو صفة ذاته اذ (كفى بالله شهيدا) اذ شهد له بقوله (محمد رسول الله) وجعله من المعجزة القولية الدالة بذاتها على صدق من ظهرت على يديه (و) قد ظهر دين الحق فى اصحابه اذ (الذين معه) اعتدلت قوتهم الغضبية بتبعية اعتدال المفكرة والشهوية اذهم (أشداء على الكفار) لرسوخهم فى صحة الاعتقاد بحيث يغارون على من لم يصح اعتقاده (رحماء بينهم) لعدم ميلهم الى الشهوات هذا باعتبار الاخلاق واما باعتبار الاعمال فأنت (تراهم) يتذللون لله بالتوسط تارة (ركعا) وبالافراط اخرى (سجدا) ولا بأس بالافراط فيه لانهم (يبتغون فضلا) أى ثوابا (من الله) الذى لانهاية لفضله (ورضوانا) يقربهم اليه ولاغاية للقرب منه وهذا الابتغاء وان كان أمرا خفيا لكن يظهر أثره فى الظاهر اذ (سيماهم) أى علامة ابتغائهم ظهور النور (فى وجوههم من اثر السجود) فى تنوير الباطن بحيث يسرى الى الظاهر (ذلك مثلهم) أى صفتهم العجيبة التى ذكرها الله (فى التوراة و) اما (مثلهم فى الانجيل) فهو انهم (كزرع أخرج شطأه) أى فراخه وهو ظهور انسانيتهم بالاعتقادات الصائبة (فآزره) أى قواه وهو بالدلائل العقلية والنقلية (فاستغلظ) أى انتقل الى الغلظ بالاعمال (فاستوى على سوقه) أى استقام على قصبه وهو بالاخلاق (يعجب الزراع) أى زراع الآخرة بما يظهر فيهم من العلوم والكرامات (ليغيظ بهم) أى بطريقتهم (الكفار) اذ ينالون بلا رياضة مالا ينالون بالرياضات الصعبة (وعد الله الذين آمنوا) بطريقتهم (وعملوا الصالحات) وان لم يكن لهم احوالهم ومقاماتهم (منهم مغفرة) لقصورهم (واجرا عظيما) فوق أجر العامة لحبهم اياهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحجرات)

سميت بها لدلالة آيتها على سلب انسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم ولا يحترمه غاية الاحترام وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله بحيث جعل التقديم على الرسول تقديما على الله (الرحمن) بنداء أهل الايمان ليقبلوا الى سماع خطابه (الرحيم) بأمره ونهيه (يا أيها الذين آمنوا) ناداهم ليقبلوا الى اصغاء خطابه وابهمهم ثم فسرهم ليقع عظمتهم فى أنفسهم مزيد وقع وقد وقعت فى الخطر عند ورود الخطاب الالهى عليها فلا بد من المبالغة فى حفظها بمقتضى الخطاب ونبههم لينتبهوا انهم اسرار خطابه وتى

خفى والهمز فى القفا

(باب الهاء المكسورة)

(قوله عز وجل هيم) أى ابل يصيبها داء يقال له الهيام تشرب الماء فلا تروى يقال بعير أهيم وناقة هيماء

(باب لام ألف)

بالماضى ليعلموا ان لهم التقديم فى هذه الصفة فلا بد لهم من التحفظ عليها ائلا ينصرم انصرام الماضى (لا تقدموا) أنفسكم ولا غيركم قولا أو حكما على قول الله ورسوله وحكمهما فى الكتاب والسنة فتصيروا كالسائرين (بين يدى الله ورسوله) وهو مناف للايمان لانه مبنى على تعظيمهما فى الغاية والتقديم ينافيه (واتقوا الله) ان تخالفوا أوامره ونواهيه ففيه تقديم لاهوية أنفسكم عليهما ولا يخفى عليه (ان الله سميع) لاقوالكم اللفظية والنفسية (عليم) بما قدمتم عليه من أجله فيحققوه عليه (يا أيها الذين آمنوا) كيف لا ينافى الايمان التقديم على الله ورسوله وقد نافى رفع الصوت فوق صوته (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) بما فيه من تقديم أصواتكم الى اسماع الحاضرين قبل صوته كيف (و) قد نافى الجهر له بالقول (لا تجهروا له بالقول) وان لم يفق صوته (كجهر بعضكم لبعض) لاشعاره بقلة المبالاة به فيخاف من ذلك زوال الايمان المقتضى (ان تحبط أعمالكم) ولا يتوقف على قصد قلة المبالاة به بل يكفى الاشعار فيكون محبطا الاعمالكم (وانتم لا تشعرون) لعدم قصدكم قلة المبالاة به (ان الذين يغضون أصواتهم) أى يبالغون فى خفضها (عند رسول الله) وان لم يؤمروا بها (أولئك الذين) احتاطوا لمزيد التقوى اذ خافوا الوقوع فى الجهر وانما زاد تقواهم لانهم (امتحن) أى اختبر (الله قلوبهم) فوجدها كاملة لان تصير وعاء (للتقوى) فهم وان أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استفهام كلامهم (لهم مغفرة) لانهم زادوا فى توقيره (و) كيف لا ومقتضاه (أجر عظيم) يدفع ذنب الاخراج الى الاستفهام وليس هذا الغض والجهر مخصوصين بحضوره عليه السلام بلا حائل بل (ان الذين ينادونك) أى يدعونك ولو من غير جهر بعضهم لبعض وقد ناداه من وراء الحجرات عيينة بن حصين والاقرع بن حابس (من) جهة (وراء) أى خارج (الحجرات) عند كونك فيها استعجالا لخروجك اليهم ولو بترك ما أنت فيه من الاشتغال (أكثرهم لا يعقلون) اذ لا يفعله محتشم ولا يفعل لمحتشم فلا يراعون حرمة أنفسهم ولا حرمتك ونسب الى الاكثر لانه قد يتبع عاقل جماعة الجهال موافقة لهم (ولو انهم صبروا حتى تخرج) أى ولو ثبت صبرهم الى حين خروجك (اليهم لكان خيرا لهم) لان خروجه باستعجالهم ربما يغضبه فيفوتهم فوائد رؤيته وكلامه وان صبروا استفادوا فوائد كثيرة مع اتصافهم بالصبر ورعاية الحرمة لنبيهم وانفسهم (و) هذا وان كان اساءة للادب منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لكونهم فى حكم الجانين يغفر لهم اذ (الله غفور) بل يرحمون بفوائد رؤيته عليه السلام وكلامه لانه (رحيم) واذا كان الصبر خيرا فى الاخذ من الرسول عليه السلام فكيف لا يكون خيرا فى الاخذ من الفاسق الى التبين (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق) لا يمنعه ايمانه من الكذب كما لا يمنعه من سائر المعاصى (بنبا) عن قوم يقتضى ايذاءهم (فتبينوا) أى فاستظهروا صدقه من كذبه بطريق آخر كراهة (أن تصيبوا قوما) اذية (بجهالة) باستحقاقهم اياها ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم (فتصبحوا على ما فعلتم) من ايذائهم (نادمين) وحق المؤمن ان يحترز عما يخاف منه الندم فى العواقب (واعلموا ان فيكم)

(قوله عز وجل لا عنتكم) أى لاهلككم ويقال لكلفكم ما يشتد عليكم (قوله عز وجل لاوضعوا خلالكم) أى لاسرعوا فيما بينكم يعنى بالنمائم وأشباه ذلك والوضع سرعة السير

من الجهل ما يفوق جهل المنادى من وراء الحجرات وجهل الاخذ بنبأ الفاسق بلا تبين وهو انكم ترون ان على الرسول ان يأخذ بكل ماتشيرون له فكانكم لاتعلمون ان فيكم (رسول الله) فحقكم ان تطيعوه فى كل مايشير اليكم ولا تتطروا اطاعته فى كل ماتشيرون له فانه (لو يطيعكم فى كثير) فيه اشارة الى انه لا بد وان يأخذ ببعض ماتشيرون له اذا امر بمشاورتكم (من الامر لعنتم) أى اهلكتم باعتقادان رأيكم أجل من رأيه وهو يمنعكم من الايمان به (ولكن الله حبب اليكم الايمان و) عارض زينة رأيكم زينة الايمان به اذ (زينه فى قلوبكم و) لم يجعلها بحيث تفيد أدنى ترجيح له على الكفر بل (كره اليكم الكفر و) بالغ حتى كره اليكم مقدماته أعنى (الفسوق) أى الخروج عن مقتضى الدلائل (و) لواحقه أعنى (العصيان) أى مخالفة أوامره ونواهيه (أولئك) وان كان فيهم هذا الجهل (هم الراشدون) لانهم عارضوه بما هو رشد محض وهم وان كانوا مختارين فى ذلك فاختيارهم فرع تحبيب الله وتكريهه فكان (فضلا من الله و) كيف لا وقد كان (نعمة) مع وجود المانع وهو الجهل (و) لم يكن (الله) بفضله عليهم متحكما لانه (عليم) باستعدادهم وهو وان لم يوجب عليه شيأ فلا يفعل على خلاف الحكمة وهو (حكيم و) من الجهل الذى لا يندفع بحب الايمان وكراهة الكفر اقتتال المؤمنين بالشبهة الباطلة ظنا (ان) اقتتل (طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) بالشبهة (فاصلحوا بينهما) بازالتها (فان بغت) أى تعدت بعد ظهور ضعف الشبهة (احداهما على الاخرى) تفرقا (فقاتلوا) باتباع الامام الطائفة (التى تبغى) أى تستمر على البغى (حتى تفئ) أى ترجع (الى أمر الله) من اطاعة الامام (فان فاءت) فطلبت كل طائفة منهما ما أخذ منها (فاصلحوا بينهما بالعدل) برد العين وقيمة ما أتلف بعد القتال (وأقسطوا) فى التقويم (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون أخوة) فلا ينبغى ترجيح جانب واحد دون آخر فى التقويم فان اختلف اثنان فى تقويم شئ (فاصلحوا بين أخويكم) بما يقع الاتفاق بينهما (واتقوا الله) فى ترجيح جانب واحد على جانب الآخر (لعلكم ترحمون) بما يفوق قدحة من ترجحون جانبه ولما نهى عن قتال المسلمين نهى عن دواعية المقاتلين فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان ان لا يرى الشخص نفسه خيرا من غيره (لا يسخر قوم من قوم) فيرى نفسه خيرا من المسخورين غير علم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله ثم عمم غير المقاتلين فقال (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) فانهن وان كن أكثر أهل النار فلعل ما فى هذه الطائفة المسخورة أقل مما فى الطائفة الساخرة (و) كالتعييب بالافعال (لا تلمزوا) أى لا تعيبوا أخاكم لانكم تعيبون به (أنفسكم) لمباشرتها مانهى عنه وهو قبيح (و) كالدعوة بلقب السوء (لا تنابزوا) أى لا يدع بعضكم بعضا (بالالقاب) السيئة لانه نسبة الى الفسوق الزائل بالايمان (بئس الاسم) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين (الفسوق) ان تذكروا به (بعد الايمان) الذى ازاله لايهامه انه لم يزله (و) هذه وان كانت صغائر لكنها اذا اجتمعت صارت فى معنى الاصرار على صغيرة وهو فى معنى الكبيرة على انها حق الخلق فهى أشد لذلك (من لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولما فرغ من

(قال أبو عمر الايضاع أجود ويقال وضع البعير واوضعته انا (قوله عز وجل لا جرم ان الله) بمعنى حقا (قال أبو محمد لارد لقولهم) أى ليس الامر كما ذكرتم جرم انهم فى النار أى كسبهم النار يقال كسب الرجل الشئ يعنى ملكته اياه ومنه قول

المنفرات الظاهرة شرع فى المنفرات الباطنة كتكثير ظن السوء فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اجتناب الاثم وهو من لوازم تكثير ظن السوء (اجتنبوا كثيرا من الظن) السوء (ان بعض الظن) الذى هو من لوازم تكثيره (اثم) وهو الكذب (و) كالتجسس (لا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين لما فيه من كشف ستر الله (و) كالغيبة (لا يغتب بعضكم بعضا) بأن يذكره بما يكره وهو غائب فاتلاف العرض كاتلاف اللحم فى الايلام والغائب كالميت فى الغفلة وهو لكونه مؤمنا كالاخ (أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) فلو عرض عليكم نفرت عنه نفوسكم (فكرهتموه) فكذا ينبغى ان تكرهوا الغيبة (واتقوا الله) ان لم تكره نفوسكم الغيبة بعد هذا التمثيل وهذه وان كانت حقوق الخلق يمكن ازالتها بالتوبة بالاستحلال من صاحبها ان امكن وبالتصدق والدعاء والتضرع الى الله ان لم يمكن (ان الله تواب رحيم) ثم أشار الى أن منشأ هذه الرذائل الكبر واجله الفخر بالآباء والامهات (يا أيها الناس) الذين نسوا انسبتهم الى خالق الله وذكروا النسبة الى الآباء والامهات (انا خلقناكم) فاذا لم تفتخروا بهذه النسبة لاستواء الكل فيها فكيف تفتخرون باعتبار كونكم (من ذكر وانثى) مع استواء الكل فيه (و) غاية فخركم بالشعوب والقبائل لكن (جعلناكم شعوبا) جمع شعب أصل يجمع قبائل (وقبائل) تجمع عمائر تجمع بطونا تجمع افخاذا تجمع فصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر ولو صح فبالتقوى لايجابها الكرامة عند الله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ولا عبرة بالكرامة عند غيره لان مرجعها الى الذلة لكن التفاخر انما يكون بالامر الظاهر والتقوى من البواطن فالكرامة بها انما تكون عند الله لاحاطته بالظواهر والبواطن (ان الله عليم) بالظواهر (خبير) بالبواطن ودلالة ظواهر الاعمال على التقوى كدلالة كلمة الاسلام على الايمان فى الخلق (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) وان أخبرتم عنه فالخبر كاذب (ولكن قولوا أسلمنا) أى تكلمنا بكلمة الاسلام (و) الايمان وان كان متصورا بباطنكم حتى عبرتم عنه لكن (لما يدخل الايمان فى قلوبكم و) لا تفيدكم أعمالكم بدونه اذ لا طاعة فيها لله ولرسوله (ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) كما ينقص الاجر الاخروى بدون اطاعتهما بل يغفر لكم ويرحمكم وراء أجورها (ان الله غفور رحيم) فان زعموا انا مطيعون لله ولرسوله بهذا الايمان الظاهر يقال لهم ليس المؤمن بالايمان الظاهر مؤمنا مطيعا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) فى الظاهر (ثم لم يرتابوا) فى الباطن (و) يدل عليه فى الظاهر الجهاد فهم الذين (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) اعلاء لكلمته (أولئك) لا يتوهم عليهم النفاق بل (هم الصادقون) فى دعوى الايمان فان زعموا انه انما يحتاج الى دليل الايمان فى حق الخلق لا فى حق الله فيكفى فى حقه انا مؤمنون فى أنفسنا (قل) قولكم انا مؤمنون ان كان أخبارا للخلق فلا دليل على صدقه وان كان للحق فلا معنى له (أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كيف (والله) باعتبار الهيته

قول الشاعر
ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان
يغضبوا
أى كسبتهم الغضب)
(قوله عز وجل لاحتنكن
ذريته) لاستأصلنهم يقال
احتنك الجراد الزرع اذا
أكله كله ويقال هو من
حنك دابته

بكل

بكل شئ عليم) ومما يدل على عدم ايمانهم انهم (يمنون عليك أن أسلموا) بالاقرار بنبوتك وبمتابعتك فى الاعمال (قل لاتمنوا على اسلامكم) لكذب هذا الاقرار وبطلان هذه الاعمال فان كان الاقرار صادقا والاعمال صحيحة فلا منة لكم على ولا على الله (بل الله يمن عليكم) ولى فى منته دخل (أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) لكن علم الله من قلوبكم انكم كاذبون لاطلاعه على الغيوب (ان الله يعلم غيب السموات والارض و) لايغره اعمالكم الظاهرة اذ (الله بصير بما تعملون) من اين نشأ عملكم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

(سورة ق)

سميت به لدلالة تأويلاته على أسماء الله تعالى المقتضية ارسال الرسل فهى دلالة لمية وهى من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باسمائه فى مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بانزاله مع مجده (الرحيم) باندازه عن النقائص لافضائها الى اسوا العواقب (ق) أى اقسم باسمى القادر على الارسال والانزال والبعث والجزاء أو القدوس المقتضى للتطهير عن النقائص أو القابض حق المظلوم من الظالم والاعمال الصالحة اذا قبلها أو القائم على كل نفس بما كسبت (والقرآن المجيد) أى الشريف الذى لايكون الامن ماجد الى ماجد وجواب القسم محذوف وهو انك مرسل بمقتضى هذه الاسماء وبدلالة هذا القرآن وكانه مشتمل على لميته وانيته وقدم اللمية لتقدم رتبتها ثم ذكر الانية لقصور افهام العامة عن ادراك اللمية فلم ينكروا شيأ من هذه الاسماء ولا مجد القرآن (بل) دلالتها على ارسال البشر اذ (عجبوا أن جاءهم منذر منهم) وعجبوا من انذاره العذاب بعد البعث (فقال الكافرون) بدلالة هذه الدلائل (هذا) المدلول الذى هو البعث (شئ عجيب) لو وقع (ائذا متنا) أى أنرجع اذا متنا ولم نرم بتا نرجع (و) ان أمكن رجوع ميت أنرجع اذا (كنا ترابا) وان سلم دلالة هذه الاسماء والقرآن المجيد على ذلك فلاشك ان (ذلك رجع بعيد) لانه استدلال فى مقابلة أمر علم عدمه بالضرورة فاجيب بانه لايصير جميع أجزاء الميت ترابا بل يبقى الجزء الاصلى الذى هو عجب الذنب ولا يبعد علينا تقلب أحوال تلك الاجزاء بعينها اذ (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) وكيف لا (وعندنا كتاب حفيظ) لكل جزء فلا يخالط سائر الاجزاء وليس تكذيبهم لهذا تكذيبا لما علم بطلانه بالضرورة (بل كذبوا بالحق) لاحال غيبته بل (لما جاءهم) لكونه من الاوليات لكنهم توهموا انها من الوهميات التى تشبه الاوليات (فهم فى أمر مريج) أى مختلط وانما جعلوها من الوهميات لعدم جريان العادة بالبعث (أ) ينكرون البعث لعدم جريان العادة به مع ان خلق الامور العظام ليس بطريق العادة (فلم ينظروا الى السماء فوقهم) لايتكرر خلقه وقد علموا من عادته رعاية الحكمة فلم يروا (كيف بنيناها) والبعث من مقتضى الحكمة (و) قد علموا أيضا ان من عادته رعاية الحسن والكمال وتدارك الخلل فى الامور العالية التى من جملتها الانسان فلم يروا كيف (زيناها) فلابد له من تزيين الانسان بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فى الدنيا

اذا شد حبلا فى حنكها الاسغل يقودها به أى لاتقادتهم كيف شئت (قوله عز وجل لاهية قلوبهم) بمعنى شاغلة غافلة ساهية مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره (قوله عز وجل لازب) ولازم ولاتث ولاصق بمعنى واحد والطين اللازب

عيبا التواب فى الآخرة (و) قد علموا من عادته ان لا يترك فى الامور العالية خللا لذلك (ما لها
من فروج) أى فتوق فكيف يترك خلل الانسان بالاخلاق الرديئة والاعمال الطالحة
ثم كيف لا يتدارك ذلك بالعقاب فى الآخرة (و) لا يبعد منا خلق الانسان من عجب الذنب
فانه كمد الارض اذ (الارض مددناها و) لا يبعد منا ضم الاجزاء المفصلة اليها تقوية لها كما
(ألقينا فيها رواسى) لتقريرها (و) لا يبعد منا انبات الجزاء من الاعمال كما (أنبتنا فيها من
كل زوج بهيج) أى صنف حسن واعماد الناس بهذه الامور على ما ذكرنا لانا خلقناها (تبصرة)
للامور الاخروية بالدنيوية (وذكرى) للامور المعقولة بالمحسوسة لكنهما انما يحصلان
(لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى بالتصفية فانه يريه بنوره المذكورات بواسطة هذه
الامور (و) من لم يذهب أخذ من الكتاب السماوى فانا أنزلناه مباركا كما (نزلنا من السماء
ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وثمارا (وحب الحصيد) أى الزرع
الذى من شأنه أن يحصد (والنخل باسقات) أى طوالا (لها طلع نضيد) أى متراكم بعضه فوق
بعض كذلك انبتنا بالكتاب جنات العلوم وحب الاعمال المنقطعة ونخل الاعتقادات الالهية
والنبوية والامور الاخروية المثمرة للقرب والثواب رزقا للخواص كما كانت (رزقا للعباد)
كيف (و) لم نقصد الرزق الدنيوى فقط بل الدلالة على الاخروى أيضا اذ (أحيينا به بلدة ميتا)
فكما خروج النبات من بذور الارض (كذلك الخروج) أى خروج الانسان من بذر عجب
الذنب وخروج الجزاء من بذر الاعمال ثم ان هذا الاستدلال لو كان فى مقابلة أمر علم عدمه
بالضرورة لم يهلك المجادل عليه والمكذب له لكن قد جرت السنة الالهية باهلاك المكذبين
قبلهم فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) وجادلوه وضربوه (وأصحاب الرس) وهو بئر كانوا على
شفاه فانها دبهم بعدما جادلوا وقتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان (وثمود) الذين جادلوا صالحا
وقتلوا الناقة (وعاد) الذين جادلوا هودا فى أصنامهم (وفرعون) الذى جادل موسى فى الهية الله
(واخوان لوط) المجادلون فى اتيان الرجال (وأصحاب الايكة) المجادلون شعيبا فى الكيل
والوزن (وقوم تبع) المجادلون امامهم وعلماءهم فى الدين (كل) وان عمل اعمالا لم يؤخذ عليها
وانما أخذ على التكذيب اذ (كذب الرسل) فى استدلالهم على الامور الاخروية والتوحيد
(فحق وعيد) فلا يستبعد تحقق الوعيد الاخروى فان زعموا انه انما يستبعد لترتبه على البعث
المحال (أ) بعجزونا عن البعث مع انه مثل الخلق الاول (فعيينا) أى عجزنا عن تعليق قدرتنا
(بالخلق الاول) لا يمكنهم القول بذلك (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى فى شبهة من شبهات
امتناع اعادة المعدوم ولا علقة لتلك المسئلة بما نحن فيه لانه يجمع الاجزاء المتفرقة وتلك
الشبهات وجوه أحدها لو فرضنا اعادة معدوم وهو قادر على ايجاد مثله مستأنفا فلا يتميز
المعاد عن المستأنف قلنا يتميزان بالهوية ولا عبرة بعدم التميز عندكم الثانى لو أعيد بجميع
العوارض لاعيد وقته الاول والموجود فيه مبتدأ لا معاد قلنا انما يكون مبتدأ لو لم يكن وقته
معادا الثالث لو صح اعادة المعدوم لاتصف المعدوم بصحة العود وهو يستدعى تميزه قلنا صحة

هو المتلازج المتماسك الذى
يلزم بعضه بعضا ومنه
ضربة لازب ولازم أى أمر
يلزم (قوله عز وجل لات حين
مناص) أى ليس حين
مناص أى ليس حين فرار
ويقال لات انما هى لا والتاء
زائدة (قوله عز وجل لاغية)
أى لغو ويقال لاغية أى
قائلة لغوا

العود صفة اعتبارية فلا تقتضي امتيازا في الخارج والامتياز الذهني يعم الكل الرابع ان تخلل العدم بين الشيء ونفسه محال فالوجود بعد العدم غير الوجود قبله قلنا التخالل انما هو لزمان العدم بين زماني الوجود ويكفي التغاير الاعتباري (و) انما لم نشتغل بحل هذه الشبهات لعدم توقف مسئلة البعث على مسئلة اعادة المعدوم مع انها من دقائق الفلسفة والا فكيف يجهل ذلك مع انها مخلوقة لنا فانا (لقد خلقنا الانسان) فأعراضه مخلوقة لنا (و) من جملتها وساوسه فنحن (نعلم ما توسوس به نفسه) وكيف لا نعلمها (ونحن أقرب اليه) لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالرتبة بل بالذات من غير اختلاط ولا حلول ولا اتحاد (من حبل الوريد) أي من العرق الوارد من الرأس الى مقدم العنق ولو لم نقرب اليه يكفي قرب من يقرب الينا من الملائكة (اذ يتلقى) هذه الوساوس عند تقررها لتكتب نيات صالحة أو طالحة (المتلقيان) من الملائكة أحدهما (عن اليمين) أي عن يمين القلب قعيد يكتب الحسنات كل حسنة بعشر أمثالها أو أكثر (و) الآخر (عن الشمال قعيد) يكتب السيئات كل سيئة بمثلها ليكونا شاهدين عليه وخص اليمين لكونه جانبا قويا يعمل بمقتضى قوة بها قهر النفس والشيطان والشمال لكونه جانبا ضعيفا يعمل ضعف فيه عن قهرهما فاذا لم تتقرر فان عمل بها أو تلفظ كتبت عليه فانه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب) أي منتظر (عتيد) أي حاضر واذا كتب اللفظ الذي هو ترجمة النية لدلالته على تقررها فالعمل الذي هو أدل عليه أولى بالكتبة (و) من لم يخرج عن هذا اللبس بما ذكرنا خرج عنه بسكرة الموت اذ (جاءت سكرة الموت) أي شدته الغالبة على العقل (بالحق) أي بالكشف الذي لا يعرضه شبهة عن الامور الغيبية فيقال له (ذلك ما كنت منه تحيد) أي تميل وتنفر عنه عند قيام الدلائل عليه والآن لا يمكنك ذلك لكن هذا الكشف خيالي (و) للحسي (نفخ في الصور) لرد الارواح الى الاجساد الحاملة للقوى الحاسة كلها ولا بد من ردها معها لتذوق أنواع العذاب كما ذاقت أنواع اللذات المحرمة (ذلك يوم الوعيد) الذي وعده أن يجزي كل سيئة بمثلها (و) لتحقيق الوعيد فيه (جاءت كل نفس معها سائق) من أعمالها والملائكة الى مكان جزائها (وشهيد) من أجزائها والملائكة ثم يقال له (لقد كنت) مع قيام الدلائل عليه (في غفلة من هذا) عن الحجاب (فكشفنا عنك غطاءك) وهو وان كان بدنك وحواسك فقد استنارت اليوم بنور يكشف لها عن ذلك (فبصرك اليوم حديد) أي نافذ (و) يتأثر به سائر حواسك اذ (قال قرينه) الذي هو الشيطان ليلحق بالسائق والشهيد فيتخلص بمجرد ذلك من العذاب (هذا ما لدي) أي شيء في قبضتي فانا سائقه (عتيد) أي مهيأ للنار أشهد بذلك عليه فيقال للسائق والشهيد من الملائكة (ألقيا في جهنم كل) واحد منهما والشيطان أولى لاتصافه بوصف (كفار) أي مبالغ في الكفر (عنيد) لا يسمع دليلا في مقابلة كفره وقد زاد على العناد بوصف (مناع للخير) الكلي هو الايمان (معتد) أي متجاوز الحد في العناد والمنع (مريب) أي موقع صاحبه في الريب مع كثرة الدلائل فأنى يحصل له التخلص من العذاب بمجرد هذا السوق أو هذه الشهادة وقد استحق الشدة بهذه

(قوله عز وجل لايلاف قريش الايلاف مصدر الفت وآلفت بمد وبمعنى الفت قال ذو الرمة من المؤلفات الرمل وقيل هذه اللام موصولة بما قبلها المعنى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف

الوجوه ويكفيه للشدة وجه واحد هو انه (الذى جعل) بتعلقه بالصنم (مع الله الهاآخر)
اذا وهم الهيئة (فالقياه) لهذا الوجه ولو لم تلقوه للوجوه المذكورة (فى العذاب الشديد قال
قرينه) لما رأى انه معذب من هذا الوجه فطلب التخفيف (ربنا ما أطغيته) بالارابة ومنع
الاسلام وجعل اله آخر معك (ولكن كان فى ضلال بعيد) بنفسه فوافقته على ذلك فلم
تعذبنى ملائكتك على جميع هذه الوجوه (قال لاتختصموا) أى لاتشكوا تعذيبهم (لدى)
بعد ما أمرتهم (و) ما أمرتهم الا بعد ما (قد قدمت اليكم) فى كتبى وعلى السنة رسلى
(بالوعيد) على جعل الاله مع الله والارابة ومنع الاسلام والوعيد وان جاز تخصيصه بالوعد
فى مقابلته لكن (ما يبدل القول لدى) بالابطال الكلى على انه انما يستحق الابطال ما فيه ظلم
(وما أنا) بالتعذيب بالنار ظلما (بظلام للعبيد) فنفى المبالغة فيه نفى لاصل الظلم بطريق الكناية
وكيف أظلمهم بوعد يقتضيه ظاهرا فانى وعدت النار أن أملأها من الجنة والناس فلا
أملؤها بالبرآء (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) فلو كنت موفيا وعدها
بالظلم لملأتها بالبرآء لكن أملؤها بوضع قدمى أى بقهرها قهر من يضرب بالقدم (و) كيف
أظلم البرآء بادخال النار ولم أظلمهم بابعاد الجنة عنهم اذ (أزلفت الجنة) أى قربت (للمتقين)
ومجاوزتهم الصراط كعدمها اذ هى كالبرق الخاطف فكان وصولهم اليها (غير بعيد) بل
يقال لهم فى الموقف (هذا ما توعدون) فكأنهم أدخلوها وهم فى الموقف كيف وهى مرجعهم
اذ هى (لكل أواب) أى رجاع الى الله تعالى وقد حفظوا عن أهوال الموقف لاتصافهم بوصف
(حفيظ) أى مبالغ فى الحفظ لانه لم يعتمد على رحمة الله ليجترئ على معاصيه بل هو (من خشى
الرحمن بالغيب) لان أمره فى الرحمة والانتقام غيب وكذا أمر التوبة بعد الاجتراء على
المعصية (و) مع خشيته للرحمن لم يفر عنه بل (جاء بقلب منيب) أى راجع اليه فسلم قلبه عن
الالتفات الى ما سوى الله وسلمت جوارحه عن المعاصى وسلمت طاعته عن القوادح لذلك قيل
لهم (ادخلوها بسلام) عن أهوال يوم القيامة كالحساب والميزان والصراط بل (ذلك) أى
يوم البعث فى حقهم (يوم الخلود) فى الجنة وليس المراد انهم يخلدون فيها فى نعمة بعينها بل
(لهم ما يشاؤن فيها و) لايقتصر فى حقهم على نعيم الجنة بل لهم (لدينا مزيد) على الجنة وهو
رؤية وجه الله تعالى الكريم (و) كيف لايخشى الرحمن بالغيب مع انا (كم أهلكنا قبلهم من
قرن) وكيف يعتمد على رحمته فى الحال وكان قد رحمهم بمزيد القوة اذ (هم أشد منهم بطشا)
ورحمهم بالاستيلاء على الخلق (فنقبوا) أى تصرفوا (فى البلاد) ثم أهلكوا أهلا كما يقال
فيه (هل من محيص) أى مفر (ان فى ذلك) الاهلاك بعد تلك الرحمة (لذكرى) أى تذكرة
(لمن كان له قلب) صاف فانه لايعتمد على رحمته بصفائه لما يرى من كثرة تقلبه بما يكدره
(أو) لم يكن له قلب ولكن (ألقى السمع) لما أجرى الله على ألسنة أنبيائه وأوليائه (وهو شهيد)
أى حاضر القلب فانه يخاف أن ينقلب قلبه من الحضور الى الغيبة ومن الطاعة الى المعصية
وكيف لايخاف تقلبيا تنا (ولقد خلقنا السموات) متقلبة بالحركة الدائمة (والارض وما بينهما)

قريش أى أهلك الله أصحاب
الفيل لتألف قريش رحلة
الشتاء والصيف وكانت
لهم فى كل سنة رحلتان
رحلة الى الشام فى الشتاء
ورحلة الصيف الى اليمن

(باب الياء المفتوحة)

(قوله عز وجل يشعرون)
يفطنون (قوله يستهزئ بهم)

متقلبة

متقلبة عناصرهما من صورة الى أخرى مع ان أصل ايجادهما بتقليب سريع اذ كان (فى ستة أيام) كيف (و) لا يعسر علينا التقليب اذ (مامسنا) فى تقليب السموات والارض (من لغوب) أى تعب فان أنكروا تقليب الرحمة بالعذاب (فاصبر على ما يقولون وسبح) أى نزه ربك من أن يعجز عن هذا التقليب كيف ولا يناقض الحكمة فاجعل تسبيحك ملتبسا (بحمد ربك) و توقع تغييره كما يتوقع فى العالم (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب و) ان حصل لك حجاب (من الليل فسبحه) لتستنير بنور تنزيهه (و) كذا اذا حصل لك حجاب نورانى من العبادة فسبحه (أدبار السجود) لتستنير بنوره لا بنور العبادة (و) لا يبعد استنارة المحتجب بالحجب الظلمانية بنوره فانه لا حجاب أعظم من الموت والاموات يستنيرون بنور اسرافيل فى صوته وهو أضعف من نور الله (استمع يوم يناد المناد) اسرافيل أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فينير اسرافيل الموتى بنوره ليسمعوا نداءه (من مكان قريب) وذلك لاستنارته بنور ربه فاستمع (يوم يسمعون الصيحة) المستنيرة (بالحق) فكما كانت الاستنارة بنور الله مخرجة من حيز البشرية الى ما يناسب الالهية كانت الاستنارة بنور اسرافيل مخرجة من حيز الموت الى الحياة ومن ثم (ذلك يوم الخروج) وكيف لا يكون التنوير الاسرافيلى من استنارته بنورنا مع انه يفيدهم الحياة المنسوبة الينا (انا نحن نحيي) بافاضة نور الحياة منا عليه (ونميت) بقطعه وكيف لا يعود الينا فعل اسرافيل من الاحياء والاماتة (والينا المصير) بهذا الاحياء اذ يصيرون الينا (يوم تشقق الارض عنهم) بتأثير أرواحهم فيها عن استنارتهم بنورنا بحيث تغلب روحانيتهم على جسمانيتهم حتى يصيروا (سراعا) فى الوصول الينا (ذلك) الحشر الذى تغلب فيه الروحانية على الجسمانية وان عسر على غيرنا (حشر علينا يسير) اذ يسهل علينا تغليب الروحانية على الجسمانية ولما بالغ فى بيان الحشر بسمواته بالغوا فى الانكار عليه فقال عز وجل (نحن أعلم بما يقولون) فنقهرهم بمقتضى ما يقولون و بمقداره (و) أنت وان كنت سبب هذا القهر (ما أنت عليهم بجبار) تقهرهم فى الحال الا بالزام الحجة ولكن انما يبالى بها من عرف صدق الوعيد واعترف بحقية القرآن المتضمن له (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة والذاريات)

سميت به لانها مبدأ الخيرات فأشبهت العناية الالهية (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الذاريات (الرحمن) بايجاد الحاملات والجاريات (الرحيم) بايجاد المقسمات (والذاريات) أى الرياح التى تذرى البخارات (ذروا) أى نوعا من الذرو ليعقدها سحبا وهو مثال العناية الالهية المذرية للوحى العاقدة للنبوة (فالحاملات وقرا) اى السحب الحاملة للامطار المنبتة للزروع والاشجار لافادة الحبوب والثمار وهو مثال حمل النبوة للعلوم المفيدة للمعارف والاعمال والاخلاق المفيدة للجزاء والقرب (فالجاريات يسرا) أى السفن التى

(قوله تعالى يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يوقنون ويظنون ايضا يشكون وهو من الاضداد (قوله عز وجل يسومونكم) أى يولونكم ويقال يريدونه منكم ويطلبونه (قوله عز وجل ويستحيون نساءكم) يجازيهم جزاء استهزائهم

تجرى عندحلها تلك الحبوب والثمار بتلك الرياح جريا لايتيسر بدونها وهو مثال انتقال تلك العلوم من النبى صلى الله عليه وسلم الى الصحابة ومنهم الى سائر العلماء فى البلدان (فالمقسمات أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الارزاق على اهل البلدة التى هى منشأ الزروع والاشجار والتى جرت اليها السفن وهو مثال اقتسام الجزاء الى الدنيوى والاخروى أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الامور المترتبة المنتهية الى التقسيم المذكور (انما توعدون) من اقتسام الجزاء الى الثواب والعقاب الاخروين المترتب على ماذكر (لصادق) صدق نظيره مع تأكده بالوعد (وان الدين) أى الجزاء المنقسم الى الدنيوى والاخروى (لواقع) وقوع نظيره مع تأكده بوقوع أحد القسمين ثم أشار الى ابطال قول من أبطله بالبديهة بقوله (والسماء ذات الحبك) أى الطرق المختلفة التى هى دوائر سير الكواكب (انكم) وان تمسكتم بما يعظم عندكم (لفى قول مختلف) فى أمر الجزاء والاختلاف فى البديهيات لايعتدبه وذلك لان منكم من ينكره بالكلية ومنكم من يخصه بالدنيا ومنكم من يخصه بالامر العقلى ومنكم من يخصه بالامر الحسى ومنكم من يقول بالكل ثم قال (يؤفك عنه) أى يصرف عن القول بالجزاء الاخروى (من أفك) أى صرف عن الحق الصريح اذ الظالم فيها كثيرا مايكون أحسن حالا من المظلوم فلا بد لعدل الحق من دار أخرى ينتصف فيها البتة للمظلوم من الظالم ولم يؤفكوا الاتباعهم الدلائل بل لاخذهم بالخرص والتخمين فانه (قتل الخراصون) أى لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين (الذين هم فى غمرة) أى جهل يغمرهم بوجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك الالتفات الى الشبهات الواهية (ساهون) أى غافلون عن المناقشات فى شبهاتهم وتلك الشبهات مثل انهم (يسئلون أيان يوم الدين) أى متى يكون يوم الجزاء فان الجهل بوقت وقوعه يدل على جهلكم باصل وقوعه وقصدوا بذلك ان يوقفوا الاقرار بوقوعه على مشاهدته لكن مشاهدته انما تكون (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون لانكارهم اياه فاذا أرادوا الايمان به عند رؤيته قيل لهم (ذوقوا فتنتكم) التى طلبتموها للاقرار بها بل استعجلتموها قبل وقتها (هذا الذى كنتم به تستعجلون) حصوله فى الدنيا لتؤمنوا عند رؤيته ولا يعتد بذلك الايمان وانما يعتد بايمان من اتقاه فيقال لهم تحسيرا (ان المتقين) من توقيف الاقرار بالجزاء على مشاهدته ومن القول بالخرص والتخمين فى الامور الاعتقادية ومن الكفر بالعناد والمعاصى (فى جنات) من اعتقاداتهم وأعمالهم (وعيون) من لطائفهما ومعانيهما (آخذين ما آتاهم ربهم) من الطائف التى لايقدر على أخذها غير من رباهم لها كرؤيته التى تعمى بها الكفار (انهم كانوا) من تربيته لهم (قبل ذلك محسنين) بوفقهم لعبادته كانهم يرونه ومن احسانهم غلبت عليهم محبته حتى انهم (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كان وقت نومهم قليلا من الليل وانما ناموا لتقوى نفوسهم على عبادته بنشاط (و) لما كان هذا القليل غفلة عن الله استدركوه بالاستغفار بلا تراخ لذلك (بالاسحارهم يستغفرون و) كانوا يخرجون لحبه عن حب ماسواه لذلك كان

أى يستفعلون من الحياة
أى يستبقونهم من (قوله
تعالى يهبط من خشية
الله) أى ينحدر من مكانه
(قوله عزوجل يستقصون)
أى يستنصرون (قوله عز
وجل يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون) قال اذا تلاعن
اثنان

(فى أموالهم حق) يؤدّونه الى كل مستحق ظاهر أوخفى فيجعلونه (للسائل) أى طالب الصدقة (والمحروم) أى المتعفف الذى يحرم لظن غناه (و) أى حاجة الى الخرص والتخمين فى باب الاعتقادات مع كثرة الآيات الواضحة القريبة اذ (فى الارض آيات للموقنين) أى لطلاب اليقين امافى الامور الاخروية وأعمالها فلانها اذا عمل فيها أعمال الزرع والغرس أحسنتها وزادت فى الحبوب والثمار وانها تحيا بالمطر فتخرج منها النباتات والحشرات (وفى أنفسكم) أيضا آيات امافى الامور الاخروية وأعمالها فلانها يؤثر فيها الدلك والرياضة وقد خلقت من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة ثم من العظام وهى جمادات (أ) تنكرون هذه الآيات مع غاية ظهورها (فلا تبصرون) وكيف يستبعد الجزاء مع ان غايته امافى رزق سماوى أو عذاب سماوى (وفى السماء رزقكم) الدنيوى لانه من الامطار السماوية (وما توعدون) لان مؤاخذات الاولين كانت من تلك الجهة فان أنكرتم مثل ذلك فى الآخرة (فورب السماء والارض) الذى خلقهما للاستدلال بهما على الامور الاخروية (انه) أى ما يدلان عليه (لحق مثل ما انكم تنطقون) أى مثل حقية الدال عليه من ألفاظكم وان كان فى دلالتها خلاف فلا خلاف فى دلالة السماء والارض ولو قيل لو دل الامر الدنيوى على الاخروى لدل خيره على خيره يقال انما يتم لو لم يكن مع الخير الدنيوى شر دنيوى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ظهر منهم الشر فى حق قوم لوط مع كونهم (المكرمين) لذلك أكرمهم ابراهيم بتحية أحسن من تحيتهم (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) ازالة لخوفه منهم (قال سلام) بالرفع ليدل على الدوام والثبات وكان اكرامه من غير معرفته لهم اذ قال (قوم منكرون) فكان أبلغ ثم بالغ فى اكرامهم ازالة للخوف عنهم من كل وجه (فراغ) أى ذهب (الى أهله) ليأمرهم بذبح عجل وشيه (فجاء) من غير تراخ (بعجل سمين) لانه ألين وأفيد للقوة (فقربه اليهم) بالوضع بين أيديهم فلما رآهم لا يأكلون مع القرينة (قال ألا تأكلون) تصريحا للاذن بالاكل وحثا عليه فاصروا على ترك الاكل (فأوجس) أى أضمر فى نفسه (منهم خيفة) أى نوعا من الخوف مع سلامهم واكرامهم لدلالة الامتناع من الاكل على قصد الشر به (قالوا لا تخف) فليس تركنا الاكل قصدا لشر بل لانه ليس من شأننا الاكل لاننا ملائكة نخاف مجيئهم بالعذاب فأزالوه (وبشروه بغلام) لا من حيث هو حيوان بل من حيث اتصافه بوصف (عليم) كمال انسانيته وهو اسحق عليه السلام (فاقبلت امرأته) سارة (فى صرة) أى صيحة حياء (فصكت) أى لطمت باطراف الاصابع (وجهها وقالت عجوز عقيم) ويكفى أحد الامرين مانعا (قالوا) كما بشرناك (كذلك قال ربك) فاقبلى قوله ولا تتوهمى عليه خلاف الحكمة ولا الجهل بعدم قبولك للولادة (انه هو الحكيم العليم قال) اذا كان حكيما عليما لم يرسل الا بقدر ما يحتاج اليه والتبشير لا يحتاج الى هذه العدد اثنى عشر أو ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل (فما خطبكم) أى أمركم العظيم الذى اجتمعتم لاجله (أيها المرسلون) من عند الحكيم

فكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق وان لم يستحقها أحدهم صار رجعت على اليهود (قوله عز وجل ينعق) بما لا يسمع الا دعاء ونداء) يصيح بالغنم ولا تدرى ما يقول لها الا أنها تنزجر

العليم (قالوا انا) تعددناهذا العدد لانا (أرسلنا الى) مؤاخذة (قوم) متعددين لكونهم (مجرمين) وهم قوم لوط والواحد منا وان كان كافيا فى مؤاخذتهم لكن تعددنا لانا انما أرسلنا (لنرسل عليهم حجارة) رجالهم على لواطهم وجعلت (من طين) ليدل انقلاب اللين عليهم بالشدة فلو كان المرسل واحدا طال زمن الارسال ولو أرسلت مرة واحدة ربما أخطأ الحجر صاحبه وقد كانت (مسومة) أى معلمة باسماء أصحابها الامن عندنا حتى لا تميل بالتغيير فيها بل (عند ربك) الذى رباك بالاطلاع على ان فى كل حجر خاصية بها يناسب صاحبه فاعتبر خاصية كل حجر فى التعذيب (للمسرفين) فى باب الشهوة باللواطة كيف وقد خيف اصابتها المؤمنين (فاخرجنا) قبل ارسالها باعلام لوط (من كان فيها) أى فى تلك القرية (من المؤمنين) وماشاع فى المجرمين لانه ما كان اعلام جماعة كثيرة (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى المنقادين ظاهرا فضلا عن الباطن فلم يكن فيهم منافق (و) كان تعذيبهم الدنيوى مفيدا لغيرهم اذ (تركنا فيها) أى فى تلك القرية (آية) تدل على اهلاكهم الدنيوى الدال على الاخروى (للذين يخافون العذاب الاليم) الاخروى (و) لا يختص بتعذيبهم اذ تركنا (فى) اهلاك أعداء (موسى) آية (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (فتولى بركنه) أى فاعرض عنها بقوته (وقال) فى دفع حجته الفعلية والقولية (ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده) بسلب قوتهم التى غلبوا بها أقرانهم وسلب عقولهم أيضا (فنبذناهم فى اليم وهو) أى النبذ لهم (مليم و) تركنا (فى عاد) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم أيضا (اذ أرسلنا عليهم) فى انتظار ريح المطر لانبات الزرع (الريح العقيم) التى لا تأتى بخير بل (ما تذر من شئ) وان كان من شأنه النماء واذا (أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى الرماد المتفتت ومن سلب عقولهم اعتقدوها ريح المطر (و) تركنا (فى ثمود) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم (اذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا) فى داركم (حتى حين) ثلاثة أيام (فعتوا) أى بالغوا فى الافساد خروجا (عن أمر ربهم) مكان التضرع (فاخذتهم الصاعقة) من نار غضب الله (وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام) فضلا عن الفرار (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين بالالتصاق بالارض فلا وجه لعتوهم سوى قلة عقولهم (و) الاهلاك عن قلة العقل لا يختص بالمتأخرين بل تركنا فى (قوم نوح من قبل) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم حتى اختاروا الغرق على ركوب السفينة (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن أمره فاخرج عنهم عقولهم فلم يدفعوا ما يسهل دفعه عنهم (و) كيف لا يفسق من خرج عن طاعتنا بعد ظهور قوتنا وكمال انعامنا اما ظهور قوتنا فهو أن (السماء بنيناها بايد) أى قوة (و) اما كمال انعامنا فهو توسيعنا الرزق بها (انا لموسعون) الرزق بها كما وسعنا بناءها وكيف لا نستحق الطاعة (والارض فرشناها) أى مهدناها ليطيعونا عليها شكرا على استقرارهم واستمتاعهم بنعمها (فنعم الماهدون) وكيف لا يختلف جزاء من شكر وكفر (ومن كل شئ خلقنا زوجين)

بالصوت عما هى فيه (قوله
عزوجل بشرى) يبيع (قوله
يطهرن) أى ينقطع عنهن
الدم ويطهرن يغتسلن بالماء
وأصله يتطهرن فادغمت
التاء فى الطاء (قوله عزوجل
يؤده) أى يثقله يقال ما آدك
فهو لى آيد أى ما اثقلك فهو

زوجين) أي نوعين (لعلكم تذكرون) من تنوعه تنوع الجزاء واذا كنتم مجازين على الشكر بالخير وهو صرف النعم الى ما أنعم من أجله وأجله ايثار المنعم على ما سواه وعلى الكفران بالشر وأقله نسبة بعض النعم الى غيره (ففروا الى الله انى لكم منه) أي من الله لولم تفروا اليه (نذير مبين) ان يجازيكم على كفران النعم (و) لولم تفروا اليه (لاتجعلوا مع الله) بنسبة بعض النعم الى الغير (الها آخر انى لكم منه) أي من جعل الغير مشاركا في الانعام (نذير مبين) فان نسبوا انذارك الى الجنون والمعجزات المصدقة له الى السحر كان أخوف عليهم اذ (كذلك) فعلت الامم الهالكة من قبل فانه (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أي جهالهم هو (ساحر أو مجنون) كما صرح بنقله عن فرعون ولا موجب له سوى تقليد الآباء (أتواصوا به) أي هل أوصى بعضهم بعضا بهذا القول لكن لا يتصور مع تباعد الازمان والاماكن (بل) لاموجب له سوى الطغيان اذ (هم قوم طاغون) واذا نسبوك الى الجنون والسحر في الآيات القولية والفعلية (فتول عنهم) أي أعرض عنهم (فما أنت بملوم) بالاعراض عنهم وان أشبه ترك التبليغ (و) لكن لا تتركه بالكلية بل (ذكر فان الذكرى) وان لم تنفعهم (تنفع المؤمنين) الذين هم المقصودون من الخلق لا من سواهم اذهم العابدون (و) هم المقصودون لانه (ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي لهذه الحكمة وان لم أرد اتمامها من بعضهم لاني ما أعطيتهم العقل لاعذبهم به دون سائر الحيوانات ولا ليرزقوا عبادي بما يكتسبون بعقولهم فاني (ما أريد منهم من رزق) لعبادي (وما أريد أن يطعمون) مما يكتسبون بعقولهم بل (ان الله هو الرزاق) لكل واحد فلا يستفيد منه شيأ كيف وانما يطلب للتقوى وهو بذاته (ذو القوة المتين) أي شديد القوة كاملها في الغاية (ف) لكون الله تعالى خالقهم لعبادته (ان للذين ظلموا) بابطال حكمته (ذنوبا) أي دلوا من العذاب يصب فوق رؤسهم (مثل ذنوب أصحابهم) الذين مضوا على طريقتهم وهم وان عجل ذنوبهم (فلا يستعجلون) فاني أعذبهم في الآخرة أشد من عذاب أصحابهم (فويل للذين كفروا) بالعذاب الاخروي بعد مشاهدة نظيره في الدنيا (من يومهم) الذي هو أعظم من أيام الماضين وهو (الذي يوعدون) دون أيام الماضين لكون العذاب عليهم أشد من عذاب الماضين لان عذابهم الدنيوي وان لم يصر كفارة لهم يرجى كونه مفيدا للتخفيف عنهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطور)

سميت به لانه لما تضمن تعظيم مهبط الوحي فالوحي أولى بالتعظيم فيعظم الاهتمام بالعمل سيما وقد عظم مصعد العمل وغرته وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بجماله وجلاله في هذه الامور التي أقسم بها (الرحمن) بايجاد المقسم به لاصلاح الافعال في العموم (الرحيم) بنفي دافعه ايتم الاصلاح فهو رحمة خاصة لمن أصلح له (والطور) أي طور سينين جبل بمدين

(قوله يتسنه) يجوز لي مثقل باثبات الهاء واسقاطها من الكلام فمن قال سانهت فالهاء من أصل الكلمة ومن قال سانيت فالهاء لبيان الحركة ومعنى لم يتسنه لم يتغير امر السنين عليه قال أبو عبيدة ولو كان من

سمع فيه موسى كلام الله فهو مجلى جمالى واندك بنور التجلى على ما فى قصص الثعلبى فهو مجلى
جلالى (وكتاب مسطور) هو التوراة نكره لانه علم جنس (فى رق منشور) تجلى فيه بالجمال من
حيث هو هدى وبيان وبالجلال حين نسخ فامر بمحوه وسلط عليه التغيير بل الاحراق الكلى
فى عصر بختنصر (والبيت المعمور) هو الكعبة المعمورة بالآيات البينات فهو مجلى جمالى
لذلك اقتضى الطواف حوله والصلاة نحوه وبالجلال حين حوّلت القبلة الى صخرة بيت المقدس
وحين رفع فى الطوفان وحين يخرّبه ذو السويقتين من الحبشة أورده بعد الكتاب الذى هو
الوحى لانه محل أعظم الاعمال المقصودة منه (والسقف المرفوع) وهو السماء التى هى مصعد
العمل فهو مجلى جمالى وقد ارتفع عنه الكون والفساد مدة مديدة لكنها ستنشق وتنتثر
كواكبها فتصير مجلى جلاليا (والبحر المسجور) أى الذى يصير نارا فيصير مجلى جلاليا بعد ان
يكون ماء وهو مجلى جمالى أورده بعد السقف المرفوع للاشارة الى انه اذا ارتفع العمل الى
السماء فاض منها على العبد من العلوم ما يجعله بحرا ومن المحبة ما يسجره بنار الشوق الى ربه (ان
عذاب ربك) الذى ربى الكل بالجلال والجمال (لواقع) أقسم بمهبط الوحى وكتبه وما عمل به
فيه وما ارتفع اليه وما نزل من ثمراته على ان من هتك بالوحى استحق العذاب لهتك حرمة هذه
الاشياء المعظمة اتفاقا (ماله من دافع) من تربيته السابقة بالجمال ولا من غيرها وكيف لا يقع
(يوم تمور) أى تضطرب من غضبه (السماء مورا) يفضى الى انشقاقها لئلا تكون مظلة لمن
غضب عليهم (وتسير الجبال) عن وجه الارض (سيرا) يحركها لئلا تبقى مقر أهل الغضب واذا
أثر غضبه على أهل المعاصى فى السماء والارض هذا التأثير (فويل يومئذ للمكذبين) الذين
لا يبالون بمعاصيه أصلا كيف ولم يكن تكذيبهم بطريق المناظرة اذ هم (الذين هم فى خوض) من
الاعتساف والاستهزاء (يلعبون) بآيات الله ودلائله فويل لهم (يوم يدعون) أى يدفعون
دفعهم الآيات والدلائل (الى نار جهنم دعا) عنيفا ويقال لهم استهزاء بهم (هذه النار التى
كنتم بها تكذبون أ) تكذبون بها الآن (فسحر هذا) تصور بصورة النار عندكم كما قلتم
فى المعجزات (أم أنتم لا تبصرون) نارا فضلا عن كونها سحرا كما لم تحسوا بدلائلها فكانكم
لا تقرون بها ما لم تصلوها (اصلوها) لتحسوا عذابها احساسا يلجئكم الى الاقرار بحقيتها واذا
كنتم لا تصبرون على تأمل الدلائل (فاصبروا) على مدلولها (أولا تصبروا) فان احساسه
لا يتوقف على التأمل المتوقف على الصبر ولا يفيدكم الصبر الفرج فهما (سواء عليكم) وكيف
يتفاوتان بالصبر وعدمه مع انه لا يحصل الفرج بنقص ما أنتم فيه لانه بقدار عملكم الذى
يقتضيه دائما (انما تجزون ما كنتم تعملون) ووقوع الآفات على الامور المقسم عليها مع
عظم قدرها وبراءتها عن المعاصى لا يجوز وقوعها يومئذ على المتقين بل (ان المتقين) اتوقيهم
أسباب هذا الغضب المؤثر فى السموات والارض كانهم قبل دخولهم الجنان (فى جنات) كيف
(و) هم فى (نعيم) مع كون الخلق فى الاهوال وهم وان لم يدركوا نعيم الجنة يكونون (فاكهين)
أى متنعمين (بما آتاهم ربهم) من المآكل والمشارب والحور (و) لولا يكفيهم انهم (وقاهم

الاسن لكان بتأسن وقال
غيره لم يتسنه لم يتغير من
قوله حما مسنون أى متغير
وأبدلوا النون من يتسنن
هاء كما قالوا تظنيت وتقضى
البازى وحكى بعض العلماء
سنه الطعام أى تغير (قوله
عز وجل يمحق الله الربا) أى

ربهم عذاب الجحيم) الذى هو أعظم الاهوال المحيط بالخلائق فيقال لهم قبل دخول الجنة على ماتقله القرطبى فى تذكرته فى باب بيان الحشر (كلوا واشربوا هنيئا) بلا تنغص (بما كنتم تعملون) من الاطعام لله والسقى له ثم ان نعيمهم يشبه نعيم أهل الجنة اذ يكونون (متكئين على سرر مصفوفة) حول العرش كيف (و) قد (زوجناهم بحور عين) على تلك السرر فى المحشر (و) لا يبعد الحاق حور المتقين بهم من غيران يكون لهن من تقواهم اذ (الذين آمنوا) يلحقن بهم حورهم فى منازل الجنة وان لم يلحقن بهم فى المحشر كيف (واتبعتهم ذريتهم) فحكمنا لذريتهم (بايمان) من غيران يتصفوا بالتصديق ولا يختص ذلك بالدنيا بل (ألحقنا بهم ذريتهم) فى المنازل الاخروية فالحاق الحور بهم بطريق الاولى لانه أتم فى التلذذ منهم (و) كيف لا يكون أتم فى التلذذ مع انا (ما ألتناهم) أى ما نقصناهم (من عملهم من شئ) وكيف يكون حال المتقين دون حال المؤمنين مع انه (كل امرئ) من المؤمنين غير المتقين (بما كسب) من المعاصى (رهين) ولا رهين فى المتقين والرهين يشتد عليه الجوع والعطش (و) المتقون لا يقتصر فى حقهم على سد الجوع والعطش بل (أمددناهم) فى المحشر (بفاكهة ولحم مما يشتهون) ليزداد تنعمهم وقد يزيد فيه باعظم من ذلك اذ (يتنازعون فيها) أى يتناولون فى تلك السرر (كأسا) أى خمرا (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى لا يتكلم فيها بما لا يعنيهم ولا يفعلون ما يؤثمهم (ويطوف عليهم) بتلك الكأس زيادة فى التنعم (غلمان) لانهم مملوكون (لهم كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مصون فى الصدف (و) اذا رأوا أنفسهم بهذا النعيم مع كون الخلائق فى الاهوال (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن سبب تنعمهم وخلاصهم (قالوا) أى بعضهم لبعض فى الجواب هذه الرحمة جزاء رحمتنا (انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) لكن هذه الرحمة ليست بمقدارها (فمن الله علينا) لانه أحق بالرحمة منا (و) يكفى من منته ان (وقانا عذاب السموم) أى ريح جهنم ثم قالوا ليس ذلك بمجرد اشفاقنا فى أهلنا بل بعبادتنا له (انا كنا من قبل ندعوه) أى نعبده من قبل فلا بد ان يحسن الينا (انه هو البر) أى المحسن على من يعبده (الرحيم) به رحمة خاصة واذا كان مقتضى رحمته وبره رفع العذاب الاخروى عمن اتقاه وعبده وان وقعت آفاته الدنيوية على الامور التى أقسم عليها فى أول السورة والتقوى والعبادة منوطتان بتذكيرك (فذكر) بالبيان المعجز الذى يدل على صدقك مع كونك خيرا فى نفسك داعيا اليه فى العموم (فما أنت بنعمت ربك) من البيان المعجز مع كونك خيرا فى نفسك داعيا اليه فى العموم (بكاهن) فان الكاهن لا يكون خيرا فى نفسه ولا داعيا الى الخير فى العموم (ولا مجنون) فان بيانك وان خرج عن المعهود بين العقلاء فليس بجنون اذ هو نقص واعجازه من غاية كماله أيقولون بعد هذا انك كاهن أو مجنون (أم يقولون شاعر) بلغ حدا عجز عنه أقرانه لكنه لا يتم أمره لانه بعد بلوغ الغاية (نتربص) أى ننتظر (به ريب المنون) ما يقلق النفوس من الحوادث التى هى أسباب الموت فينقطع أمره (قل) ربما ينقطع قبل ذلك أمر عنادكم لينتشر أمرى بلا معارض (تربصوا فانى معكم من

يذهب به يعنى فى الآخرة حيث يربى الصدقات يكدرها ويمحيها (قوله جل وعز يبخس) أى ينقص (قوله عز وجل يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى يقلبونه ويحرفونه (قوله يعتصم بالله) أى يمتنع بالله (قوله

المتربصين) أيأمرهم جنونهم بانه شاعر مع انه لاوزن لكلامه ولاقافية (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) القول (أم) طغيانهم اذ (هم قوم طاغون) مجاوزون حد العقل والجنون أيقولون ينزل به عليه شيطان (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من عند نفسه ولم يقولوا ذلك عن علم بدخوله تحت قدرة الشيطان والبشر (بل) مع علمهم بخروجه عن قدرتهما لكن (لايؤمنون) مع علمهم باعجازه فان أنكروا اعجازه (فليأتوا بحديث) فضلا عن سورة (مثله ان كانوا صادقين) فى كونه مقدورا للبشر أو الشيطان أيقرون باعجازه ولا ينسبونه الى الله فهل ينسبونه الى العاجزين (أم) لاينسبونه الى شئ فهل (خلقوا من غير شئ) خالقهم فان نسبوه الى العاجزين فهل خالقهم عاجز غيرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم فهل خلقوا أنفسهم فقط (أم خلقوا السموات والارض) ولاينكرون نسبة الحوادث الى المحدث (بل لايوقنون) ان المحدث يجب ان لايكون حادثا أيقولون بتفضيل الواجب (أم) بتسويته مع الحوادث لاتصافها بصفاته فيكون (عندهم خزائن ربك أم) بغلبتها عليه اذ (هم المصيطرون) أى الغالبون على الاطلاق أيقرون بربوبية الواجب وغلبته ولكن ينكرون ارساله بما نزل عليهم من السماء (أم لهم سلم) يصعدون فيه الى مقام سماوى (يستمعون فيه) انه ليس برسول (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) كما أتى به الرسول أينكرون رسالته بالبديهة (أم) بالفكر الذى أداهم الى القول بانه (له البنات ولكم البنون) وهل ينكرون رسالته لضرر يلحقهم فى بدنهم (أم) فى مالهم اذ (تسئلهم أجرا) ولايقتصر منه على قليل (فهم) مما تكلفهم (من مغرم) أى غرم عظيم (مثقلون) أى حاملون للثقل وهل يستغنون عنك بعقولهم (أم) يكشفهم اذ (عندهم الغيب فهم يكتبون) قواعد الشرع وما به كمال المعاش والمعاد أيريدون دفع رسالته بحجة (أم يريدون كيدا) برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعلوه فى دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) وهل لهم قوة الدفع والكيد بانفسهم (أم) باله آخر اذ (لهم اله غير الله) لايتصور ذلك تنزهت عن أثر هذا الدفع والكيد (سبحان الله) أى مثل تنزهه (عما يشركون) أى عن شركهم ولايرون تنزهه عن ذلك أيضا (وان يروا) عقيب هذا القول (كسفا) أى قطعة (من السماء ساقطا) أى نازلا لتعذيبهم (يقولوا) أى من عدم خطور العذاب ببالهم على هذا القول (سحاب مركوم) أى تراكم بعضه على بعض واذا لم يبالوا بالكسف فتى يبالون بدلالة ذلك (فذرهم) أى فاتركهم على ماهم عليه (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون لنفخ الصور فيه لكونه (يوم لايغنى) أى لايدفع العذاب (عنهم كيدهم شيأ) من الدفع (ولاهم ينصرون) أى لايخلصون بجهة غير جهة الكيد (و) لايتركون الى يوم الصعق على الاطلاق بل (ان للذين ظلموا عذابا) فى القبر (دون ذلك) العذاب يوم الصعق (ولكن أكثرهم لايعلمون) عذاب القبر اذ لايرون على الميت بعد النبش أثره ولايعلمون ان عذاب النائم لايدركه المستيقظ بحضرته (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يوم الصعق أو القبر ولاتخف منهم (فانك باعيننا) بحيث نراك (وسبح) أى نزه ربك عن ان يعجز عن حفظك أو عن

تعذيبهم

عز وجل يغل) أى يخون ويغل يخون (قوله عز وجل بكبتهم) أى يغيظهم ويحزنهم ويقال يكبتهم أى يصرعهم لوجوههم (قوله جل وعز يجتبى) أى يختار (قوله عز وجل يستبشرون) أى يفرحون

تعذيبهم ملتبسا (بحمد ربك) على ان امهالهم لايخلو عن حكمة فافعل ذلك وقت مزيد الخوف (حين تقوم) عن مجلسهم فخاف اغتيالهم (ومن الليل) الذى يغلب فيه الاغتيال (فسبحه و) سبحه (ادبار النجوم) أى عقيب ذهاب أنوار النجوم بالصبح اذهو أيضا وقت يغلب فيه الاغتيال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النجم)

سميت به لانه لقهر المضلين عند مبعثه ففيه دلالة على حقية مابعث قطعا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى النجم لكونه قاهر الضلال ناشر الهداية (الرحمن) برفع الضلال والغواية عمن جعله آية مبعثه (الرحيم) بجعل جميع كلامه وحيا كثير الفوائد كانه يتجدد الوحى به بتجدد تلك الفوائد (والنجم اذا هوى) أقسم الله سبحانه وتعالى بالشهاب الذى كثر اسقاطه عند مبعثه قهر الشيطان اذ اصعد السماء لاسماع اخبارها والقائها الى أوليائه لاغواء الخلق بالاخبار عن الغيب على انه (ماضل) أى مامال عن الصواب (صاحبكم) اذلم يؤثر فيه صحبتكم (وماغوى) بالاحتجاب عنه اذلو كان فيه أحدهما لم يكن لقهر الشيطان بارسال الشهاب عليه معنى كيف (و) لوضل أوغوى لم يخل كلامه عن مزج الهوى لكن (ماينطق) فى شئ من كلامه (عن الهوى) واذا لم يكن فى كلامه مزج الهوى وادعى انه وحى الهى لم تكن دعواه ذلك عن هوى نعلم بالضرورة انه (ان هو) أى ماهو (الاوحى) كيف وقد كثرت فيه فوائد الهداية فكانه (يوحى) كل حين فائدة من فوائده واعما خلا كلامه عن مزج الهوى لانه (علمه شديد القوى) أى شديد تأثير قوى صفاته وارادته وقدرته وكلامه فلا يقوى معها الهوى ان يؤثر كيف وهو (ذومرة) أى قوة فى ذاته وقوة ماسواه من تقويته فذهب عن نفسه اعوجاج الهوى (فاستوى وهو) أى صاحبكم عند استواء نفسه صار (بالافق الاعلى) الروحانى (ثم دنا) من ربه بالقرب من صفاته (فتدلى) أى تعلق بذاته باعتبار القرب الذاتى (فكان) فى هذا القرب (قاب قوسين) أى مقدار قوسى القرب الوجوب والامكان فى دائرة الوجود مع توهم خط فاصل بينهما (أوأدنى) باسقاط ذلك الخط المتوهم ولكن لم يصر بذلك الهابل عبدا منسوبا الى الهوية (فاوحى الى عبده ماأوحى) مما لايدركه العقل لكن لايأباه اذ ذلك (ماكذب الفؤاد) الذى هو محل العقل (مارأى) بالبصيرة (أ) تنكرون مالايبلغه عقولكم (فتمارونه) أى تجادلونه (على مايرى) ببصيرته التى هى أصدق من العقل وهذه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بالافق الاعلى حين نزل اليه ربه نزولا معنويا (ولقد رآه) أى ربه حين نزل (نزلة اخرى) غير نزوله بالافق الاعلى نوعا فتجلى ربه (عند سدرة المنتهى) أى عند الشجرة المثمرة تجليات اهل النهايات شبهت بالسدرة التى هى اكثر الاشجار ثمارا أو ثمارها تشتمل على طعوم مختلفة حلاوة وحموضة وعفوصة فى ظاهره ومرارة ودسومة فى باطنه وانما كانت محل التجلى اذ (عندها جنة المأوى) التى يأوى اليها الخلق لرؤية

(قوله عز وجل يميز) ويميز الخبيث من الطيب أى يخلص المؤمنين من الكفار (قوله تعالى يفقهون) يفهمون يقال فقهت الكلام اذا فهمته حتى فهمه وبهذا سمى الفقيه فقيها (قوله عز

الحق فتجلى له فى هذه الشجرة (اذ يغشى السدرة) من تجلياته (ما يغشى) مما لا يحصى كثرة وحسنا واليه أشار من فسره بالجراد من الذهب فعند حصول هذه التجليات له (مازاغ البصر) منه عن الحق الى تجلياته (وما طغى) برؤية كمال نفسه بجمعها وانما استعد لهذه التجليات برؤية آياته فانه (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولم يحصل له بهذه التجليات ولا للسدرة المنتهى ولا للجنة المأوى ولا للافق الاعلى الالهية (أ) ترون ظهوره بالالهية فى اصنامكم (فرأيتم اللات والعزى) مجلى الهيته مع انها وجوب الوجود المنحصر فى الواحد (و) أنتم لا تحصرونها فى الاثنين بل ضممتم اليهما (مناة الثالثة) لا باعتبار اتحادها بالاولين فى رؤية التوحيد بل باعتبار كونها (الاخرى) لاختصاصها بتجل ليس فى الاولين ومع وصفكم اياها بالالهية فى أصنامكم وصفتموها بالانوثة فجعلتم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ثم جعلتموها بنات الله (ألكم الذكر وله الانثى) فان صح له الولد (تلك اذا قسمة ضيزى) أى عوجاء لا يرضاها عاقل لنفسه فلا وجود لها الا فى ألفاظكم كالهيتها (ان هى الا أسماء) خالية عن المعانى التى وضعت لها وانما وضعت اذ (سميتموها أنتم وآباؤكم) لكنه لا يصح الا بتجوز او نقل ولا ترون اطلاقها بالتجوز او بالنقل من عندكم فلا بد من نقل الشرع لكن (ما أنزل الله بها من سلطان) بل على خلافه لكن لا يتبعونه لانهم (ان يتبعون الا الظن) مثل ان يسمعوا آباءهم فظنوا انهم لا يقولون الا عن دليل (و) لا يتبعون كل ظن بل (ما تهوى الانفس) كتقليد الآباء (و) يرجحونه على الادلة القطعية فانهم (لقد جاءهم من ربهم الهدى) أى الدلائل القطعية لكنهم رجحوا عليها متابعة آبائهم عن هوى أنفسهم أللانسان ما ظنه وهواه (أم للانسان ما تمنى) فان تمنوا من الاصنام قضاء حوائجهم الدنيوية أو الاخروية فهلا يتمنونه ممن يوقنون قدرته عليه وهو الله سبحانه وتعالى (فلله الآخرة والاولى و) ان زعموا أن التمنى على الله انما يتم بشفاعتها رد بأنها ليست بأقرب من الملائكة السماوية مع انه (كم من ملك فى السموات لا تغنى) أى لا تنفع (شفاعتهم شيأ) من النفع (الا من بعد أن يأذن الله) لهم بالشفاعة ولا يأذن الا (لمن يشاء) ان يفعل به الخير بواسطته (و) انما يفعل الخير بالواسطة لمن (يرضى) به من وجه لكنه لقصوره يحتاج الى الواسطة وهؤلاء ليسوا مرضيين لله لعدم ايمانهم بدوام ربوبية الله عليهم اذ لا يؤمنون بالآخرة ولا الملائكة لانهم يجترؤن عليهم بما يهينهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) فلا يبالون بفساد العقائد والاقوال فى الله والملائكة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى و) انما قلنا باجترائهم لانهم (ما لهم به من علم) أى دليل بل شبهة (ان يتبعون الا الظن) الحاصل من حسن ظنهم بآبائهم القائلين به (وان الظن) فى باب الاعتقادات (لا يغنى من) طلب دليل للاعتقاد (الحق شيأ) من الاغناء لكنهم لا يطلبون الدليل بل يعرضون عنه وان خوفوا بنا (فأعرض عن من تولى) أى أعرض (عن ذكرنا) لعدم ايمانه برجوعه الينا (و) لا يلتفت الى دلائلنا لانه لا يريده بل (لم يرد الا الحيوة الدنيا) اذ يرى غاية سعادته التنعم بلذاتها

لاقتصار

لاقتصار نظره على المحسوسات (ذلك مبلغهم من العلم) اذ لم يوجد الله فيه علما بالالذات الحقيقية العقلية ولا بالحسية التى تكون هنالك وليس ذلك لبخل من الله بل لعدم استعداده له (ان ربك هو اعلم بمن ضل) اى كان استعداده الضلال (عن سبيله) بعد مبالغته فى بيانه (وهو اعلم بمن اهتدى) اى كان استعداده الهدى وان لم يبالغ له فى بيانه كعامة المقلدين للعلماء (و) كيف لا يكون فعله بحسب الاستعدادات وقد وضع كل شئ فى موضعه مع ان له ان يضعه فى غير موضعه اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) فهو انما وضع كل شئ ليدل على الجزاء (ليجزى الذين أساؤا) باتيان الحكمة دون غايتها (بما عملوا) فانها وان كانت مخلوقة لله تعالى لكنها لما كانت بحسب استعداداتهم واختيارهم وقد اتصفوا بها اتصافا يوجب لهم موضعا نازلا أنزلهم فيه (ويجزى الذين احسنوا) بابلاغ الحكمة غايتها (بالحسنى) أى بالمثوبة التى هى أحسن من اعمالهم عشر مرات فصاعدا لا بحسب الاستعداد المحض بل تفضلا منه ولذلك أسقط عنهم استعداد الحاصل من اكتساب الصغائر بلا اصرار عليها فهم (الذين يجتنبون كبائر الاثم) الموجبة للحد او الموعود عليها بالشدة (والفواحش) التى يكون فسادها أكبر من فساد الاول بل يجتنبون المعاصى كلها (الا اللمم) أى ما قل من الصغائر فانها مغفورة لهم بمجرد اجتناب الكبائر والفواحش وان لم يكن معها حسنات زائدة تفضلا من الله تعالى بستر استعدادها ولا يبعد ذلك على الله (ان ربك واسع المغفرة) أى الستر لها كيف وقد ستر على المحسنين استعدادهم من منشئهم الارضى والدموى اذ (هو أعلم بكم اذ أنشأ كم من الارض) فلا تخلون عن استعداد جاذب اليها (واذ أنتم أجنة) تغتذون بدم الطمث اذ لا غذاء لكم سواه (فى بطون أمهاتكم) فلا تخلون عن استعداد الخبث (فلا تزكوا أنفسكم) عن هذا الاستعداد اذا احسنتم واجتنبتم الكبائر لكنه رجح استعداد التقوى منكم اذ (هو أعلم بمن اتقى) مقتضى استعداد الخبث لكنه أمر خفى لا يطلع عليه سوى علام الغيوب وان بالغ فى تزكية النفس وتصفية القلب (أ) ترى الاطلاع على غيب الله لغير المتزكى مع عدم الاطلاع على غيب النفس للمتزكى (فرأيت الذى تولى) أى أعرض عن التزكية بل عن أصلها وهو الايمان بالله وهو الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مشرك تركت الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله فقال ان أعطيتنى كذا من المال تحملت عنك (وأعطى قليلا) فى مقابلة العذاب الشديد الابدى (وأكدى) أى قطع عطاء الباقى (أعنده علم الغيب) بأن الآخذ تحمل عنه هذا العذاب واسقط عنه لا بطريق الاستدلال من الشاهد على الغائب لمخالفته ما يرى على من خرج على الملوك بهذا الطريق وكانه يدعى الكشف على خلاف مقتضى العقل (فهو يرى) اكوشف بذلك على خلاف كشف الانبياء (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) أى صحف التوراة الماضية فى مواضع كثيرة على خلاف ذلك مع صحة كشفها عند من يعتد به من العقلاء (و) لو زعم انه لا يعتد بكشفه

يكسبنكم من قولهم فلان جريمة أهله وجارمهم أى كاسبهم (قوله عزوجل ينبهون) أى يحاربون ويضلون (قوله عزوجل يعصمك من الناس) أى

وانما يعتد بكشف ابراهيم عليه السلام وانه متمسك بدينه فكانه لم ينبأ بما في صحف (ابراهيم) الذي كذب عليه بأنه متمسك بدينه لانه مشرك وابراهيم (الذي وفى) التوحيد حقه اذ لم يستعن بجبرئيل وميكائيل عليهما السلام على نار نمرود حين دعواه الى الاستعانة بهما وقد نص في صحفهما (الاتزر) أي أنه لا تحمل نفس (وازرة) أي حاملة ثقل معاصيها (وزر) أي ثقل معاصي نفس (أخرى و) غاية المتحمل انه يحمل وزر كفره وفسوقه ووزر اضلاله لا وزر كفر الغير وفسوقه لما في صحفهما من (أن ليس للانسان الا ما سعى) والمتحمل ما سعى الكفر المتحمل عنه وفسوقه (و) لا يزول وزر الساعي بحال لما في صحفهما من (ان سعيه سوف يرى) اذ يظهر بالصورة القبيحة ويكفي في التعذيب (ثم) لا يقتصر عليه بل (يجزاه) أي ذلك السعي (الجزاء الاوفى) أي الكامل بادخال النار كيف (وأن الى ربك) الذي هو أعظم الاسماء الالهية ومن شأن الكامل التكميل (المنتهى) فيكمل الجزاء لا محالة ولا يبعد منه تكميل الجزاء فانه تكميل الفرح والحزن (و) قد كملهما في كثير من الناس (أنه هو أضحك) بتكميل الفرح (وأبكى) بتكميل الحزن (و) لا يبعد منه المبالغة فيهما (أنه هو امات) فأبلغ في ابكاء أهله (واحيا) فأبلغ في اضحاك أهله (و) لا يلزم انقلاب أحدهما بالآخر في الجزاء فان الله تعالى قد يخلق ما لا ينقلب (أنه خلق الزوجين) اللذين لا ينقلب أحدهما بالآخر (الذكر والانثى) وان كانت مادتهما قابلة للانقلاب لكونهما (من نطفة) من غير اعتبار ضميمة بل بمجرد الامناء (اذا تمنى و) اذا كان من سنته ان يخلق من المني الزوجين المختلفين لحكمة ابقاء النوع علم انه لا يترك مقتضى الحكمة من الجزاء المرتب على النشأة الاخروية (أن عليه النشأة الاخرى) باخراج الحي من الميت اخراج الانسان من النطفة (و) كيف يترك النشأة الاخروية مع (أنه هو أغنى) بعض الناس فلا بد من سؤاله ما فعل فيما اعطاه من ماله (و) لو لم يسأل من اعطاه قدر كفايته فلا بد وان يسأل من (اقنى) أي اعطاه ما يدخره فلا بد وان يسأله عما فعل بالمحتاجين كيف (و) انما أغنى من أغنى وأقنى من أقنى ليشكره وقد ابدله بعضهم بالكفر فعبدوا الشعرى مع (انه هو رب الشعرى) كوكب مضي خلف الجوزاء ويسمى العبور وكان الجبارس عادتها ابو كبشة لقطعها السماء طولا وسائر الكواكب تقطعها عرضا وثمة شعرى اخرى تسمى الغميصاء لكنها اخفى منها وبينهما المجرة وعبادة غير الله موجبة لعقابه الاخروي (و) قد دل عليه باهلاك أقوام (أنه أهلك عادا الاولى) قوم هود لعبادتهم الاصنام والثانية عاد ارم (و) اهلك (ثمود) لعقرهم الناقة التي هي آيتهم فكيف لا يستحقه جاحد الآيات الكثيرة ويدل على انه عقاب انه عم الكل (فما أبقى) أحدا منهم وان كان العاقر معدودا (و) ليس مما يختص بالفريقين بدليل انه اهلك (قوم نوح من قبل) لا بطريق الابتلاء لانه انما يتصور مع الصلاح ولم يكن لهم (انهم كانوا هم أظلم) بايذاء نوح وضربه حتى لا يكون به حراك (وأطغى) في صد الناس عنه وكانوا يتواصون ان لا يسمعوا له (و) استمرت تلك السنة بعد الفريقين أيضا

عنه (قوله عز وجل ويتعده) عنه) أي يتباعدون بنأون عنه) من المعصية (قوله عز وجل للعبد من هذا انما هي منه عليك وعصمة الله عز وجل عنك منهم فلا يقدرون

اذ (المؤتفكة) قرى قوم لوط (أهوى) أى اسقط بعد رفعها الى السماء ليجعل عاليها سافلها (فغشاها) أى البسها من العذاب (ما غشى) من الرمى بالحجارة واذا كان الله تعالى منعما بالاغناء والاقناء ومرسلا للرسل وقاهرا للاعداء لنصرهم وقد جعله سوطا للاولياء ليسوقهم الى الجنات والقرب والكرامات (فبأى آلاء ربك) ايها الجاحد (تتمارى) أى تدفع بالجدال وقد نهيت عن الجدال فى آلاء الله على ألسن النذر ولم يقتصر على من مضى منهم بل (هذا) أى محمد صلى الله عليه وسلم (نذير) واقل ما فيه انه (من النذر الاولى) فيخاف على من جادله أن يصيبه مثل ما أصاب مجادليهم فان لم يصبهم فى الدنيا فلقرب العذاب الاخروى فانه (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة الموصوفة بالقرب فى العقول لكن (ليس لها من دون) بيان (الله كاشفة) تكشف عن تفاصيلها فبينها الله بهذا الكتاب المنزل على هذا النذير (أ) بنكرون هذا الحديث المبين لها بتفاصيلها بل اذا سمعتم تفاصيلها (فمن هذا الحديث تعجبون و) اذا رأيتم مبالغته فى بيانها بالوجوه الكثيرة (تضحكون و) لا تبالون لخوفانه حيث (لا تبكون و) ذلك لانه لا يؤثر فيكم اذ (أنتم سامدون) أى متكبرون وانما يؤثر فى المتذلل لله فهو علاجكم (فاسجدوا لله) كسرا لهذا التكبر المؤدى الى شدائد القيامة (واعبدوا) بوجوه العبادة شكرا على ما أنعم عليكم بما لا يحصى سيما بهذا الحديث فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة القمر) *

سميت به لانه من آيات الله فى نفسه وانشقاقه من أعظم آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فوق شق البحر والتصرف فى الريح وآيات القيامة بتخريب العالم الدال على حدوثه وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الساعة (الرحمن) بتقريبها فى نظر العقل ليدعو الى اصلاح العمل (الرحيم) باظهار آية تدل عليها او على قربها وصدق من اخبر عنها (اقتربت الساعة) أى دنت القيامة فى نظر العقل كما تتقرب ساعة فساعة اذ الانسان لم يعط العقل لتعذيبه مع اراحة البهائم عنه بل للنظر الى العواقب التى اجلها خالص التنعيم أو التعذيب وليسا فى الدنيا فلا يكون بالتناسخ الدنيوى (و) بالنظر الى علاماتها التى تشبه خواصها من انشقاق السماء اذ ازالت شبه امتناعه حيث (انشق القمر) فانه ثبت بالتواتر وتواتر من الآية الدالة عليه روى عن ابن مسعود انه قال حتى رايت حراء بين فرجتى القمر فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال بعضهم ان كان سحركم فلا يسحر الارض كلها فاسألوا السفر فبعثوا الى الآفاق فقالوا رأينا مثل ما رايتم فقيل سحر مستمر ولا يضر عدم تواتره بين جميع اهل الارض اذ ليس فى حد واحد لجميعهم وربما يحول بينه وبين قوم سحاب أو جبل ثم عادة الناس بالليل الهدو واغلاق الابواب ولا يكاد يعرف امور السماء الا من رصدها ولذلك يخفى الخسوف على الاكثر وكثيرا ما يحدث التفاوت بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم لا يعلم بها الا الاكثر والدليل على خلاف الوجود غير مسموع على ان شبهتم أوهن

مثل ملدكه واحده بائع تاجر وتجر يقال ينعت الفاكهة وأينعت اذا أدركت (قوله عز وجل يقترفون) أى يكتسبون والاقتراف الاكتساب

من نسج العنكبوت وهي ان لها ميلا مستديرا والخرق انما يكون بالمستقيم وهو يقتضي ثبوت مبدئه وبين المبدأين تناف ورد بأنه لايمتنع اجتماع المبدأين وانما يمتنع اجتماع الحركتين على أنهما اجتمعا في دحرجة الكرة ولايمتنع تعاقبهما او بعدمنها الاستدلال بامتناع الحركة المستقيمة على المحدد اذلايبقى محددا وسائر الافلاك على طبيعته فهذا قياس بلاجامع على مالايتم الافي المحدد (و) ليس انكارهم الساعة لعدم مايدل عليها بل لانهم اعتادوا انهم (ان يروا آية) تدل على وجود الله أو توحيده أو النبوة أو القيامة (يعرضوا) عن دلائلها وان كانت بديهية (و) يتمسكوا في انكارها باوهى الشبه بأن (يقولوا سحر) مع ظهور الفرق بين المعجزة والسحر فان قيل كيف سحر الدنيا او كيف بلغ سحره السماء يقولوا سحر (مستمر) يعم الارض والسماء والازمنة والخلق (و) لوذكرلهم معجزة قولية لامجال للسحر فيها أودليل عقلي أونقلي من كتب الاولين (كذبوا و) لم يكن تكذيبهم عن نظر بل عن تعطيله حيث (اتبعوا أهواءهم و) لم تكن لهم شبهة قادحة في دلالة المعجزة أو الدليل العقلي أو النقلي بل (كل أمر مستقر) بحيث لايلتفت العقل منها الى شبهة تورد عليها ولو وردت كما في مقابلة البديهيات (و) لم يكن مدلول تلك الدلائل مما لايبالى له اعني الساعة فانه (لقد جاءهم من الانباء) أي الاخبار الصادقة في اهوالها وشدائده (مافيه مزدجر) أي زجر كامل وهي لولم تكن من الانباء لوجب قبولها لانها (حكمة بالغة) أي علم محكم بلغ غاية التحقيق في نفسه فاذالم تغن تلك الحكمة بنفسها (فما تغن النذر) بها وان ايدوا بالمعجزات الكثيرة فاذا تولوا عنك وعن انبائك التي هي الحكمة البالغة يوم لايظهر لهم اظهار الحاجة الى تعرف ذلك للتوقي عن ضرر اهوال الساعة (فتول عنهم) أي اعرض عن تعريفهم وشفاعتهم يوم يحتاجون الى ذلك كل الاحتياج (يوم يدع الداع) اسرافيل (الى شئ نكر) لم يعرفوه لاعراضهم عن معرفته في الدنيا ولايمكنهم معرفته يومئذ بالبصر لكونهم (خاشعا) أي ذليلا (أبصارهم) بحيث لايمكنهم النظر اليه من فظاعته ولوامعنوا النظر لم يمكنهم التأمل فيه لوقوعه حين (يخرجون من الاجداث) أي القبور من غير تاخير يفيدهم أنسا بتلك المواطن والاجتماع يتعاون فيه بعضهم ببعض في النظر والتأمل لوقوعه حال تفرقهم (كأنهم جراد منتشر) ولايكون لهم في الانتشار استراحة ساعة يتأتى معها النظر لكونهم (مهطعين) أي مسرعين (الى الداع) من غير تلبث يستريحون فيه ومن ثمة (يقول الكافرون هذا يوم عسر) لااستراحة فيه ساعة ولا انس لشدائده واهواله المنكرة اذ يغيرمن شديد الى أشد ومن منكر الى انكر وكما تتولى عنهم هنالك فكذا ههنا كيف والاصرار على دعوتهم مع إبائهم ملجئ الى دعاء استئصالهم بحيث لايبقى لهم نسل يرجى اسلامه كما وقع لنوح مع قومه فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) بالحكمة البالغة التي جاء بها فايدها بمعجزاته (فكذبوا عبدنا) الذي علموا انتسابه الى عظمتنا بجمعيته (وقالوا) لمن نظر في حكمته هو (مجنون) وكلامه جرية (و) آذوه فوق مايؤذى المجانين حتى (ازدجر) عن التبليغ

ويقال يخترفون أي يدعون والفرقة التهمة والادعاء (قوله عزوجل يخرصون) يحدسون يريد الظن من الخرص وهو بالظن من غير تحقيق وربما أصاب

(فدعا ربه) الذي رباه بالحكمة التي يغلب بها الخصوم (اني مغلوب) لعنادهم (فانتصر) لأغلبهم بالقهر بدل غلبة الحكمة (ففتحنا ابواب السماء) التي فتحت لافاضة الحكمة التي بها حياة الارواح والقلوب (بماء منهمر) أي منصب فوق قدر الحاجة ليصير سبب الحياة الظاهرة سبب الهلاك (وفجرنا الارض) التي هي منبت الارزاق التي هي اسباب البقاء (عيونا فالتقى الماء) الارضي والسماوي ليجتمعا (على امر قد قدر) من اهلاكهم الكلي بعد ما كان سبب الحياة والبقاء لانهم جعلوا الحكمة التي بها كمال الروح والقلب سبب نقصهما وهو الجنون (و) لم نهلك نوحا لانا (حملناه على) سفينة (ذات الواح) غلاظ لا تنكسر بالامواج (ودسر) أي مسامير كبار تمنعها من التفرق ولا يخاف عليها الغرق اذ كانت (تجري باعيننا) أي بحفظنا وانما خصصناه بالنجاة ليكون (جزاء لمن كان كفر) أي لنوح الذي جاءهم ببحر من العلم وسفينة من الاعتقادات والاعمال والاخلاق فما ردوهما اغرقهم الله ونجاه والمؤمنين واما جزاء تحمله المشاق فباق (و) لكونه جزاء يعتبر به اللاحقون (لقد تركناها آية فهل من مدكر) تذكرة لمن بعدهم ان الماء قد فاق الجبل حتى جرت عليه مثل هذه السفينة الكبيرة (فكيف كان عذابي) بالاغراق لمن لم يكن فيها (و) كيف كان حال (نذر) بالنجاة عنه هذا لمن راى السفينة (و) من لم يرها (ولقد يسرنا القرآن للذكر) بهذه السفينة وغيرها (فهل من مدكر) بوجه من وجوه تذكيره ثم اشار الى ان عدم التذكير لا يمنع العذاب بل يوجب مزيد الشدة فيه فانه (كذبت عاد) هودا وحكمته ولم يعتبروا بما مضى على قوم نوح (فكيف كان عذابي) عليهم اشد من عذاب قوم نوح (و) كيف كان حال (نذر) في النجاة اعجب من حال نوح (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الصوت لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم المانعة من الاعتبار بما جرى على قوم نوح وهي وان كانت بشرى بين يدي الرحمة لكنها في الايام السعدة وهذه كانت (في يوم نحس مستمر) لا تنقطع نحوسته بمجيء يوم سعد لا تمهلهم الى حيث (تنزع الناس) أي تقلعهم عن اماكنهم ولو في حفر حفروها فتدق رقابهم (كانهم اعجاز نخل) أي اصول نخل بلا فرع (منقعر) أي منقلع ولم تصب هودا ولا المؤمنين (فكيف كان عذابي) مختصا بالكافرين (و) كيف كان حال (نذر) نجوا بلا واسطة سبب كسفينة نوح فالعبرة ههنا ازيد ولكنه لمن شاهد (و) من لم يشاهده (لقد يسرنا القرآن للذكر) أي لذكر مثله وما يفوق عليه (فهل من مدكر) بشيء من اذكاره ولا يختص هذا بانكار الحكمة بل يعم انكار الرسل حتى لا يقال الواجب على كل شخص متابعة عقله لا الرسل فانه (كذبت ثمود بالنذر) دون حكمتهم (فقالوا أبشرا منا) لا من الملائكة المتصورين بصورة البشر (واحدا) يخالف جماعة العقلاء (نتبعه انا اذا) لخالفة عقولنا وعقول جماعة العقلاء (لفي ضلال و) هو موجب (سعر) لان الواجب متابعة عقله او عقل الجماعة الكثيرة على ان امر الارسال مستبعد (أألقي) من السماء (الذكر عليه) أي الوحي (من بيننا) مع تقاربنا في العقل فلا القاء (بل هو) أي مدعيه (كذاب أشر) أي متكبر

ورنما أخطأ (قوله عز وجل يغنوا فيها) أي يقيموا فيها ويقال ينزلوا فيها ويقال يعيشوا فيها مستغنين والمغاني المنازل واحدها مغنى (قوله تعالى

على قومه بهذه الدعوى فقال تعالى انهم وان علموا صدقه بالمعجزات وكذبهم فى رد ما يشبه الضروريات (سيعلمون غدا) يوم استمرار العذاب عليهم (من الكذاب الاشر) هل هو القائل باستحالة الالقاء فتكبر على آيات الله أو غيره (انا مرسلوا الناقة) التى هى من اسباب هذا العلم قبل ذلك اليوم (فتنة لهم) أى اختبارا (فارتقبهم) أى انتظرهم هل يرونها من اسباب هذا العلم أم دالة عليهم باهلاكهم واهلاك مواشيهم (واصطبر) لهذه الرؤية أياما (ونبئهم) أى اعلمهم بهذا الاختبار (ان الماء قسمة بينهم) أى بين أنفسهم ومواشيهم وبين الناقة (كل شرب محتضر) أى كل يوم فى وقت الشرب يحضره صاحب النوبة دون غيره مبالغة فى رعاية القسمة ثم لم يكفهم ومواشيهم تلك القسمة فاضطروا الى قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف ليصحبوه فى شقاوته (فتعاطى) أى فتناول السيف وكان كافيا فى المعصية ولكن لم يكتف به (فعقر) أى قتل الناقة (فكيف كان عذابى) على عقر الناقة التى هى آيتى فضلا عنه على الكفر بصالح (و) كيف كان حال (نذر) فى النجاة عنه مع كونه فيهم (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) من جبرئيل تناسب ما حصل من الناقة حال تعذيبها بالقتل فماتوا (فكانوا كهشيم المحتظر) أى الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته أو كالشجر اليابس الذى يأخذه من يعمل الحظيرة ففيه عبرة لمن رأى (و) من لم ير (لقد يسرنا القرآن للذكر) أى لذكر امثاله ومافوقه (فهل من مدكر) بشئ من امثاله وكيف يرخص الانسان ترك متابعة الانبياء اكتفاء بمتابعة العقل وكثير منهم يجعلونه تابعا لهواهم كقوم لوط عملوا اقبح الفاحشة ولكن جعلوا عقلهم تابعا لهواهم فكذبوا الرسل فانه (كذبت قوم لوط بالنذر) الذين انذروهم العذاب عليها فاقتضى ذلك اقامة الحد الدنيوى عليهم (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى من يرميهم بالحصباء الحجارة الصغار (الا آل لوط) بنتيه معه (نجيناهم) أى ابعدناهم عن مكانهم (بسحر) قبيل مؤاخذتهم بالصبح (نعمة من عندنا) باعلامنا اياهم لانهم شكروا نعمة الشهوة فلم يصرفوها الى غير طلب النسل الذى خلقت له (كذلك نجزى من شكر) بالزيادة فى تلك النعمة أو غيرها (و) لم يسقط هذا الحد عنهم العذاب الاخروى لكفرهم فانه (لقد أنذرهم بطشتنا فتماروا) أى تنازعوا (بالنذر) فكفروا (و) لم يكن مؤاخذتهم قبل ظهور المعجزة فانهم (لقد راودوه عن ضيفه) ليذهبوا بهم (فطمسنا اعينهم) ليكون معجزة مصدقة لانذاره (فذوقوا عذابى و) اثر ما قاله (نذر) هو وان كان نوعا من العذاب لم يقتصر عليه بل (لقد صبحهم) أى دخل عليهم وقت الصباح (بكرة) أى اول البكرة التى هى وقت نزول الرحمة (عذاب مستقر) دنيوى ثم برزخى ثم اخروى (فذوقوا عذابى و) اثر ما قاله (نذر) ضما للعذاب العقلى الى الحسى (و) هذا وان لم يكن محسوسا فى الدنيا يذكره القرآن (لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كيف يوجب على الانسان متابعة عقله وان لم يتبعه هواه فانه كثيرا ما يدعوه الى التكبر كآل فرعون فانه (لقد جاء آل فرعون النذر) فدعاهم عقلهم من عزتهم الى التكبر على الله

(قوله عز وجل اليم) البحر (قوله عز وجل ينكثون) أى ينقضون (قوله عز وجل العهد (قوله يعرشون) أى يبنون (قوله عز وجل يعكفون) أى يقيمون (قوله عز وجل

وآياته حتى (كذبوا بآياتنا كلها) الدالة علينا وعلى صفاتنا وتوحيدنا وصحة ارسالنا
(فاخذناهم أخذ عزيز) أى غالب غير مغلوب (مقتدر) على كل ما أراد من الشدة
والادامة ولم يقل ههنا فكيف كان عذابى ونذر لفظاعة شأنهم بحيث لا يحتاج الى مدكر على
ان الكتب السابقة مملوءة به (أ) تزعمون ان عزته وقدرته انما هى بالنسبة اليهم لا الينا اذ
(كفاركم) بزعمكم (خير من أولئكم) فى العزة والقدرة (أم) تزعمون ان أمر العزة
والقدرة بالنسبة اليهم والينا بالسوية لكن (لكم براءة) من الله (فى الزبر) التى
أنزلها الله ثم هل لهم براءة من القتال (أم) لا براءة منه لكن (يقولون نحن) لاتنا (جميع)
أى جمع كثير (منتصر) لا بل (سيهزم) أى ينكسر (الجمع و) لا يمكنهم الرجوع بعده
الى القتال بل (يولون الدبر) تولية مستمرة وهو وان أشبه مؤاخذة الاولين فليس بموعدهم
(بل الساعة موعدهم و) القتال وان كان داهية مرة عليهم بافنائهم لكن (الساعة
أدهى وامر) حتى يحلوا الموت لهم كيف ولا يصلون الى ما يشتاقون اليه من اللذات ويتألمون
بانواع الآلام (ان المجرمين فى ضلال) عن لذاتهم (وسعر) لانهم ضلوا عن الحق واغضبوه
وينضم الى ذلك الاهانة الفعلية (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم)
تنكيسا لهم على تكبرهم على الله وآياته والاهانة القولية اذ يقال لهم (ذوقوا مس سقر)
أى النار القالعة للجلد لما أذاقوا الانبياء عليهم السلام شدائدهم فعلا وقولا ولا ظلم عليهم
فى ذلك وان كان الكفر والمعاصى من خلق الله (انا كل شئ خلقناه بقدر) ورتب
المسببات على اسبابها وهى اختيارهم لها واستحسانهم اياها وكانا تابعين لاستعدادهم
(وما امرنا) الذى به الايجاد (الا) كلمة (واحدة) يكون كل شئ بمقتضى استعداده
فنفذت فى الحقائق (كلمح بالبصر) فى السرعة (و) لا يبعد على الله الاهلاك باسباب
يخلقها فانا (لقد أهلكنا أشياعكم) بالامراض خلقناها فيهم (فهل من مدكر) يجعل
الامور الغائبة مقيسة على الحاضرة (و) يكفى فى التعذيب بهذه الامور اخراج الزبر التى
كتب فيها عملهم اذ (كل شئ فعلوه فى الزبر) كيف (و) قد جمع فيها افضاحهم اذ (كل صغير
وكبير مستطر) ويزيدهم عذابا فوات الجنات والدرجات عليهم وحصولها لاعدائهم
(ان المتقين فى جنات) بدل كون المجرمين فى ضلال (ونهر) بدل كونهم فى سعر (فى مقعد
صدق) بدل سحبهم على وجوههم لانهم حصلوا العقائد الصادقة والاعمال الخالصة (عند
مليك) هو القوى المتسلط لقوة تسلطهم على اهويتهم (مقتدر) لاقتدارهم على أنفسهم
عند تسلطها عليهم * تم والله الموفق والملهم ولله الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

*(سورة الرحمن)

سميت به لانها مملوءة بتذكار الآلاء الجليلة وهى راجعة الى هذا الاسم (بسم الله) المتجلى
بجمعيته فى القرآن والانسان (الرحمن) بتعليم القرآن وخلق الانسان (الرحيم) بافاضة سائر

يعدون فى السبت) اى
يتعدون ويتجاوزون
ما أمروا به (قوله عز وجل
يسبتون) أى يفعلون
سبتهم أى يدعون العمل

الآلاء (الرحمن علم القرآن) أى هذا الاسم الذى له عموم الرحمة مع جلالتها اختص بتعليم القرآن ولاجل تلك الرحمة (خلق الانسان) ولاظهار مافيه (علمه البيان) ولما كان متفاوتا تفاوت الشمس والقمر فى اظهار المحسوسات كانت له مراتب منتهاها القرآن على ان فهمه أيضا على مراتب لاتحصل بمرة واحدة بل بحساب معلوم كما انه فى المحسوسات (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان فى البروج والمنازل بحساب معلوم (و) مراتب الكمال فى ذلك بانقياد القوة النباتية والحيوانية لهو النباتية أقرب انقيادا والحيوانية تحتاج الى قوة ولكنها تصير فى الانقياد كالشجر فهما فى الانقياد الباطن كما فى عالم الحس (النجم) مالاساق له من النبات (والشجر) ماله ساق (يسجدان) أى ينقادان للانسان من غير اباء (و) حينئذ يرتفع أمر العقل كما فى عالم الحس (السماء رفعها) لجريان الشمس والقمر (و) مع ذلك لا ينبغى ان يقتدى بالعقل وحده بل يوزن بميزان الشرع فانه ميزان الهى كما انه فى عالم الحس (وضع الميزان) فالعقل وان ظهر رجحانه على الشرع لاينبغى ان يطفى هذا الميزان كما انه أراد بوضع الميزان (الا تطغوا فى الميزان و) لاتتركوا العقل بالكلية فى استعمال الشرائع بل (اقيموا الوزن بالقسط) الذى يقتضيه العقل (و) لكن لاتبطلوا به شيأ من المنصوصات اذا لم تعقلوها كما اريد منكم ان (لاتخسروا الميزان و) كيف يترك الشرع ولا يستقر أمر العقل بدونه كما أن (الارض وضعها) مستقرا (للانام) فهو اذا توهم فيه الدنو فليكون مقدماته أولية لكنها منتجة لعلوم يتفكه بها كما ان الارض (فيها فاكهة و) ثمرات أحوال ومقامات عالية خفية كما ان الارض فيها (النخل ذات الاكمام) أوعية الثمر (و) يحصل منه الاطلاع على الحقائق فيصير أقوات الارواح والقلوب كما ان الارض فيها (الحب) الذى هو قوت الانسان (ذو العصف) أى الورق اليابس الذى هو قوت الحيوان (و) فيه مايشم منه روائح القرب كما أن الارض فيها (الريحان) هذا على الرفع وأما على الجر فالمراد ان الحب مفيد للقوت وطيب الرائحة فاذا كان فى ظاهر القرآن هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما) أيها الانس والجن اللذين ربا كما بتعليمه (تكذبان) ولا يبعد من الله ان يظاهر فيما يتوهم دنوه هذه الفوائد فانه الذى (خلق الانسان من صلصال) أى طين يابس له صلصلة أى صوت (كالفخار) الطين المطبوخ بالنار فجعل له هذا البيان وعلو الرتبة (و) فى عكسه (خلق الجان من مارج) أى صاف من الدخان (من نار) وللمارج علو فوق النار التى مركزها اعلى المراكز فنزل منزله أسفل سافلين لعدم انقياده للانسان واذا ظهرت هذه الفوائد فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد من الله عز وجل ان يجعل لظاهر القرآن مشرقا يطلع به على الامور الظاهرة ولباطنه مشرقا يطلع به على الامور الخفية ويخفيها على الاكثر كما جعل فى الانسان مشرق الحواس للمحسوسات ومشرق العقل للمعقولات وجعل فى العالم مشرق الشتاء ومشرق الصيف فانه (رب المشرقين ورب المغربين) واذا فعل ذلك فى كتابه وفيكم وفى العالم الكبير (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد منه جمع

العلوم

فى السبت ويسبتون بضم أوله يدخلون فى السبت (قوله عز وجل يلهث) يقال لهث الكلب اذا اخرج لسانه من حر أو عطش

العلوم المختلفة فى هـذا الـكتاب بحيث لايدفع بعضـها بعضا مع غاية كثرتها بل يجعل بعضها
يجاور بعضا ويعاونه فانه الذى (مرج) أى ارسل (البحرين) العـذب والمالح (يلتقيان)
أى يتجاوران (بينهما برزخ) أى حاجز معنوى من أجله (لايبغيان) أى لايبقى شئ منهما
على صاحبـه وقد جعـل فى الانسان امورا محـسوسة وامورا معقولة يخالط بعضها بعضا
بالمعاونة لابالتضاد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكما لايضر أحدهـما الآخر فى الاجتماع
لايضر فى النتائج بل ينتج جواهر المسائل الكبار والصغار كما انه (يخرج منهما اللؤلؤ) أى
كبار الدر (والمرجان) أى صـغاره واذا كان لاختلاف العلوم فيه هـذه الفوائد (فبأى
آلاء ربكما تكذبان و) هذه الفوائد لاتحصل الا بالسفر الى الله تعالى على سفن الاعتقادات
والاخلاق والاعمال الفاضلة الحاصلة عن الاجتهاد والتعـمق كما ان (له الجوار المنشآت)
أى السفن التى صنعها العبيد ليتجروا بها (فى) سفر (البحر كالاعلام) أى الجبال فكذلك
تحصـيل ماذكرنا بالاجتهاد ينقل ثقلها واذا كان فى القرآن هـذه الارباح (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) ثم هـذه التجارة هى التى يبقى ربحها الى أبد الآباد لبقاء ما يطلب بها دون سائر
الارباح اذ (كل من عليها) أى تلك الجوار من التجارة (فان ويبقى وجـه ربك) الذى
يطلب بالسـفر فى اسرار القرآن اذ يظهر به انه (ذو الجلال والاكرام) فيفضى الى الفناء
فيـه والبقاء به وهو غاية النعم فاذا حصلت لايبالى لما دونه فاذا كان فى القرآن هـذه النعم
(فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهـذه الفوائد التى تحصـل بالسفر الى الله انما تحصـل بعونه
وعونه بسؤاله بل لابد من سؤاله فى كل شئ فانه (يسئله من فى السموات والارض) وفيضـه
وان كان دائما فهو يختلف باختـلاف الاحوال والازمان اذ (كل يوم هو فى شان) فهو
يختلف باختلاف الاسئلة لانها من جـملة الاحوال ثم انه يفيض على أهل القرآن كل يوم شأنا
من شؤنه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعمتما انا لانفرغ لاستنباط هذه الفوائد من القرآن
ولا للاعمال التى تنكشف بها قيل لكم (سنفرغ لكم) أى للمجازاة كل واحد منكم (ايه
الثقلان) أى الانس والجن اللذان ثقل عليهـما الاستنباط والعـمل مع فيضهما الابدى وقد
انعـمنا عليكما بما لايحصى من النعم فلابد من ان من نسألكما عنها فاذا سألنا كما (فبأى آلاء
ربكما تكذبان) وكيف لاتتفرغون لامر لاتخرجون عنـه بحيـلة من الحيـل اذ يقال لكم
(يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) أى تخرجوا (من اقطار) أى جوانب
(السموات والارض) بحيلة من الحيل (فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان) أى حجة قوية
لاشبهة واهية فاذا جعلنا تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم ذكر ذلك الامر
وهو أنه (يرسل عليكما شواظ) أى لهب (من نار ونحاس فلا تنتصران) أى فلا تدفعانهما
الا بتلك الحجة فاذا اعلمنا كما تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان هذا
النفوذ انما يتعذر قبـل انشقاق السماء (فاذا انشقت السماء) ههنا قيـل اذا انشقت
انشق معها الارض فتظهر جهنم فتصـل حرارتها الى السماء عن قريب (فكانت وردة)

وكذلك الطائر وابهت
الانسان أيضا اذا أعيا
(قوله عز وجل ينزغنك
من الشيطان نزغ) أى
يستخفنك منه خفة
وغضب وعجلة وبقل

حمراء (كالدهان) أي الاديم الاحمر فالنفوذ اعسر الاجـذه الجـة التي يتضمنها القرآن
(فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان التكلم بالحجة في تلك الحالة اصعب فكيف يدفع بها
تلك الصعوبة قيل لا يحتاج الى التلفظ بها (فيومئذ لا يسئل) سؤال استعلام (عن ذنبه
انس ولا جان) فكيف يسئل صاحب هذه الحجة فاذا كان في القرآن هذه الحجة (فبأي آلاء
ربكما تكذبان) وانما لا يحتاج فيه الى السؤال لظهور العلامات فانه (يعرف المجرمون
بسيماهم) سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) منهم بان تنضم
اقدامهم الى نواصيهم وراء الظهر أو تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم
فيلقون في النار فاذا جعل لاهل النار هذه العلامة فعدمها كاف فكيف لا يدفع عنها هذه
الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بل يقال لاهل هذه الحجة (هذه جهنم) انما
نجوتم عنها مع قربها بهذه الحجة والمجرمون انما دخلوها لتعطيلها فهي (التي يكذب بها
المجرمون) ولما لم يثبتوا في التكذيب الجزم بل التردد فهم (يطوفون بينها وبين حميم آن)
أي ماء حار بلغ النهاية يصب عليهم أو يسقون منه فاذا كان في هذه الحجة ما يزيل ترددكم
(فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) فبالغ في النظر في حججه ليتخلص من هذا التردد
(جنتان) روحانية وجسمانية لمعارفه ولاعماله فاذا حصل لكم الخلاص من النار والحميم
والجنتان بهذه الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أي اغصان كثيرة
طويلة عريضة بحسب شعب معارفه وأعماله تظله عن وهج التجلي الجلالي عليه فاذا حصل
ذلك من القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان) من فيض المعارف والاعمال
(تجريان) من غير انقطاع الى الابد من معارف القرآن وأعماله (فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان) أي نوعان نوع يناسب المعارف وآخر الاعمال بعد أن يكون
لكل معرفة وعمل فاكهة وكلها في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم انهم يأكلونها
(متكئين على فرش بطائنها من استبرق) أي ديباج غليظ لتصلب اعتقادهم وظواهرها من
سندس خضر وهو الديباج الرقيق الناعم لتلين ظواهرهم للاعمال (و) انما تيسر لهم
أكل الثمار اليها مع كونها على اشجارها لان (جنى) أي ثمار (الجنتين دان) أي
قريب تدنو الشجرة حتى يجتنى ولي الله قائما أو قاعدا أو نائما وذلك لتقريب القرآن لها (فبأي
آلاء ربكما تكذبان) ويزداد تلذذهم باكلها مع محبوباتهم على الفرش وهن محبات لهم أيضا
اذ (فيهن قاصرات الطرف) على ازواجهن اذ (لم يطمثهن) أي لم يمسهن (انس قبلهم
ولا جان) وانما حصلت لهم لقصرهم النظر في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وكيف
لا تتم الآلاء بهن والتلذذ وهن في الحسن (كأنهن الياقوت) في الصفاء (والمرجان)
في البياض فان صغار الدر أشد بياضا من كبارها لسريان صفاء قلوبهم وبياض اعتقادهم اليهن
وانما حصل لهم من التمسك بالقرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد ان يكون لكمل
أهل القرآن هذا الجزاء وهم محسنون أي ناظرون الى الله تعالى ومحسنون للاعتقادات

والاعمال

يتزغنك أي يحركك بالشر
ولا يكون النزغ الا في الشر
(قوله عز وجل عدوهم في
الغي) أي يزينون لهم الغي
(قوله عز وجل يحول بين
المرء وقلبه) أي يملك عليه

والاعمال (هل جزاء الاحسان) أى احسان الاعتقاد والعمل (الا الاحسان) أى
احسان الجزاء تكميله واذا ثبت هذا الجزاء بالقرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان و) كيف
لايكون لهم ذلك مع انه يكون لمن دونهم من عامة المؤمنين اذ (من دونهما جنتان) على
اعتقاداته وأعماله التى أخذهما من التمسك بالقرآن مع تقصير (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
وهما وان لم يكن لاشجارهما الافنان المذكورة فهما (مدهامتان) أى سوداوان من
شدة خضرتهما اذ التمسك بالقرآن وان قل يكثر هذه الكثرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان) أى فوارتان وان لم تبلغا حد الجرى للتقصير فاذا كان معه للمتمسك بالقرآن
هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) وان لم يكن فيهما جميع أنواعها ولا
لكل نوع منها زوجان لقصور معارفه وأعماله (و) لكن فيهما من أنواعها الشريفة (نخل)
من علو الاعتقادات فى الجملة (ورمان) من لطائف الاعمال وان قلت واذا كان للمتمسك بالقرآن
مع قصوره ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهذه الفواكه وان لم تكن بلذة فواكه الاولين
يكمل لهم بمشاركة محبوباتهم اذ (فيهن) أى فى أكلهن تشاركهم نساء (خيرات) اخلاقا
(حسان) أعمالا وهذه الاخلاق والاعمال تسرى اليهن من القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
وهن وان لم يكن كالياقوت والمرجان (حور) أى كبار الاعين لكن لا ينظرن الى من
سواهم لانهن (مقصورات فى الخيام) لايخرجن منها وحصل لهم ذلك من عدم خروجهم
من القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويكفى فى وصفهن انهن (لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان) وذلك لانهم لم يمسهم اعتقاد وعمل يخالف القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) ويزيدهم تلذذا فى موا كلتهن كونهم (متكئين على رفرف) وسائد أو ذيل الخيمة (خضر
وعبقرى) أى طنافس ثخان (حسان) وذلك لاتكائهم على القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
ولا يبعد أن يحصل من الله للادنى هذه الكرامات فانه (تبارك) أى تعاظم (اسم ربك) المتجلى على
أهل النار والجنة من وصف (ذى الجلال والاكرام) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الواقعة) *

سميت بها لانها مملوءة بوقائع القيامة التى هى الواقعة العظمى لوقوعها فى أشد الاحوال (بسم
الله) المتجلى بكمالاته فى الواقعة (الرحمن) بايقاعها لاصلاح الاعمال (الرحيم) برفع أقوام
وخفض أعدائهم (اذا وقعت الواقعة) اى وقت وقوع الحادثة التى لابد من وقوعها بالدلائل
القاطعة (ليس لوقعتها) أى لدفع وقوعها شبهة (كاذبة خافضة) لدلائل الوقوع القاطعة
(رافعة) لمقدماتها الوهمية بالحاقها بالاوليات اذ فى أفعال العباد ما يخفضهم أو يرفعهم فلا
بد لهم من حالة خافضة أو رافعة فلا يشك فى وقوعها وانما الشك فى وقت وقوعها وغاية ما يمكن فى
تعيينه انه (اذا رجت الارض رجا) أى زلزلت زلزالا شديدا (و) من تلك الزلزلة (بست
الجبال بسا) أى فتت تفتيتا تاما (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كيف (و) من

قلبه نمضترفه كيف شاء (قوله واذ يمكر بك) المكر الخديعة والحيلة الذين كفروا والمكر ولك أى ليحبسوك يقال رماه فاثبته اذا حبسه ومريض مثبت

خواصها التفرقة لذلك (كنتم ازواجا) أى اصنافا (ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة)
أى فأرباب اليمن والسعادة ما أعظم يمنهم وسعادتهم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة)
أى وأصحاب الشؤم والسعادة ما أعظم شؤمهم وشقاوتهم (والسابقون) الذين سبقوا
سعادة الاولين وشقاوة الآخرين اذلم يبالوا بهما (السابقون) الى الله فلا حد لعظمتهم بدرك
حتى يتعجب منها اذ (أولئك) البعداء عن درك المدركين هم (المقربون) من حضرة يتحير فيها
فيتحير فيهم ولم يفتهم ما للسعداء اذهم (فى جنات النعيم) يتنعمون بلذاتذها أيضا وليست لادنى
المقربين بل لاعلاهم الذين اتفق الناس على غاية سبقهم وهم (ثلة) أى جماعة (من الاولين)
الانبياء وخواص اتباعهم (و) لعزته يكون فيه (قليل من الآخرين) و يتميزون عن سائر أهل
الجنة لكونهم كالملوك (على سرر موضونة) أى منسوجة بالذهب والجواهر وغيرهم وان كان لهم
سرر لم تكن موضونة فان كانت فليس لهم الاتكاء عليها وهؤلاء يكونون (متكئين عليها متقابلين)
لا كملوك الدنيا متدابرين ولا كمقربى ملوكها ولكونهم كالملوك (يطوف عليهم ولدان مخلدون)
لا ينتقلون من حال الى حال آخذين (بأكواب) أى اقداح لاعرا لها ولاخرطوم مملوءة
عباء من آثار معارف لم يتمسك فيها بالدلائل العقلية والنقلية بل بالكشف (وأباريق) لها
خرطوم مملوءة عباء من آثار معارف تمسك فيها بتلك الدلائل (وكأس من معين) أى خمر
من آثار المحبة (لا يصدعون عنها) أى لا يحصل لهم من شربها اصداع لانه ألم (ولا ينزفون)
أى ولا يسكرون لانه حجاب (و) يتم لهم سائر التنعمات اذ يطوفون عليهم بأنواع (فاكهة
مما يتخيرون) من آثار الاعمال الظاهرة (ولحم طير مما يشتهون) من آثار المساعى الباطنة
(و) يطوف عليهم (حور) أى نساء بيض (عين) ضخام العيون من آثار اخلاق النفس
(كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس
والهواء وانما يكون لهم الجنات ونعيمها (جزاء بما كانوا يعملون) والقرب جزاء الاحوال
والمقامات ولا يضيع أحدهما بالآخر ولكمال جزائهم لا يشوبهم ألم حتى انهم (لا يسمعون
فيها لغوا) يؤلم العقل (ولا تأثيما) أى نسبة الى الاثم يؤلم الروح والقلب (الاقيلا) من
كل جانب (سلاما سلاما) فهو غاية ما يتصور فيها من اللغو (وأصحاب اليمين) أى الجانب
القوى الذى أخذوه بما تقدم لهم من السعادة (ما أصحاب اليمين) فعجب من أخذهم
بالجانب القوى كما تعجب من سعادتهم (فى سدر مخضود) أى نبق مقطوع الشوك اقطعهم
شوك الافراط والتفريط الشهوية (وطلح منضود) أى موز نضد حمله من أسفله
الى أعلاه لاستعمالهم المفكرة فى جميع الاعتقادات والاعمال (وظل ممدود) لا يتقلص
بالشمس لتهذيب الغضبية (وماء مسكوب) أى مصبوب سائل لاستعمالهم العلم
الظاهر وقد ذكر ماء المقربين فى الاكواب والاباريق لسترهم علومهم ولم يذكر لهؤلاء
خمر القصور محبتهم اذلم يذوقوها الى حد السكر (وفاكهة كثيرة) من كثرة أعمالهم
الظاهرة (لا مقطوعة) بالزمن لمداومتهم على الاعمال (ولا ممنوعة) بالثمن لرفعهم العوائق

لاحركة به (قوله عزوجل
بحركه جميعا) يجعل بعضه
فوق بعض (قوله عزوجل
يجمعون) اى يسرعون
ويقال فرس جموح للذى
اذا ذهب فى عدوه لم يثنه

والعوارض عنها ولم يذكر لهم فاكهة مما يتخيرون ولا لحم طير مما يشتهون (وفرش مرفوعة) لثباتهم على ظاهر الشرع الممهد ولم يصلوا الى اسرارها ليصيروا على السرر الموضونة وهى تدل على النسوان التزاما والظاهر انهن نساء الدنيا الحقن بالحور (انا أنشأناهن انشاء) غير الانشاء الاول ليلحقن بالحور (فجعلناهن أبكارا) يجد الرجل امرأته فى كل مرة بكرا (عربا) متحببة الى أزواجهن لتحببهم الى الله تعالى (أترابا) مستويات السن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن رعاية لتطابق الواجب فى الحكمة (لاصحاب اليمين) الذين طبقوا اعتقادهم وأعمالهم للشرع وهم أكثر من المقربين اذ هؤلاء (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهم قليل من الآخرين (وأصحاب الشمال) أى الجانب الضعيف لضعف عقولهم حيث انقادت للهوى والغضب انقياد السلطان للكلب لذلك قال (ما أصحاب الشمال فى سموم) حر النار بدل الاطعمة المسكنة حرارة الجوع وزيد فيها باحاطة الظاهر والباطن (وحميم) ماء مغلى بدل المسكوب الجارى (وظل من يحموم) أى دخان أسود بدل الظل الممدود (لا بارد ولا كريم) أى ليس فيه فائدة الظل من دفع الحر وحسن المنظر الذى يكرم من تحته (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أى متنعمين فوجب عليهم شكر المنعم لكنهم لم يشكروا المنعم لانكارهم الجزاء (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى اليمين الفاجرة أنهم لا يبعثون (وكانوا يقولون أئذا متنا) ولم نر ميتا بعث (وكنا ترابا وعظاما) ولم نر حياة للاجزاء المتفرقة (أئنا لمبعوثون أو) تبعث (آباؤنا الاولون) مع ان بعث من طالت مدة موته أبعد كيف ولم تجر سنة الله يبعث أحد فيما مضى (قل) انما لم تجر سنته فيما مضى لانه ينافى التكليف اذ يصير أمر الآخرة ضروريا فأخر بعث الكل الى ميقات واحد (ان الاولين والآخرين لمجموعون) للجزاء الذى لابد فى الحكمة منه وقد جرت سنته برعايتها فهو مراعيها وان أخرها (الى ميقات يوم معلوم ثم) ان الله تعالى انما خلق فيكم العقل للجزاء اذ لا يحتاج اليه فى أمور الدنيا كسائر الحيوانات فمن لم ينظر اليه فهو ضال (انكم أيها الضالون المكذبون) لما عرف صدقه بالضرورة فتأكد ضلالكم (لآكلون) بدل ما أنعم عليكم من الطعام فلم تشكروه (من شجر) نوع منه لم تعهدوه (من زقوم) يزيد فى جوعكم (فمالئون منها البطون فشاربون عليه) بدل ما أنعم عليكم من الشراب (من الحميم) فيزيد فى عطشكم (فشاربون شرب الهيم) جمع أهيم ابل بها داء الهيام داء يشبه الاستسقاء (هذا نزلهم) ما يعد للنازل تكرمة فقبيه تهكم (يوم الدين) ثم أشار الى مزيد ضلالهم بالتكذيب بقوله (نحن خلقناكم) اختصصنا بخلقكم (فلولا تصدقون) قولنا بخلقكم مرة أخرى فان زعمتم انكم انما خلقتم من منى تمنونه وهو فرع حياة الآباء ولا حياة لهم حين البعث يقال (أفرأيتم) أى اخبرونى (ما تمنون) أى المنى الذى تمنونه (أأنتم تخلقونه) منيا ثم انسانا (ام نحن الخالقون) ولو كانت الحياة من لوازم المنى فمن أين يكون الموت (نحن قدرنا بينكم الموت) أى نحن مختصون بتقديره على أعمار مختلفة

(قوله يكنزون الذهب والفضة) كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان

(و) اذا قدرنا على الاماتة قدرنا على الاحياء اذ (ما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين لان القدرة
على أحد المتقابلين قدرة على الآخر ونحن قادرون (على ان نبدل) أمواتكم فنجعلهم
(أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) أى فى عالم لا تعلمونه وهو الذى يغلب فيه أثر الروحانية
مع ظهور الجسمانية (و) كيف تنكرون النشأة الاخروية من جماد (لقد علمتم النشأة الاولى)
من جمادات تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم (فلولا تذكرون) أى فهلا
تقيسون تلك النشأة على هذه فان أصروا على انهم خلقوا من المنى الانسانى يقال ان القاء
المنى حراثة وخالق الولد زراعة (أفرأيتم ما تحرثون) أى تبذرون حبه (ءأنتم تزرعونه)
أى تنبتونه (ام نحن الزارعون) ويدل عليه قدرتنا على جعله حطاما بحيث (لو نشاء
لجعلناه حطاما) أى هشيما (فظلتم تفكهون) أى فصرتم تعجبون ولو كان منكم لما تعجبتم
وكيف يكون منكم وأنتم لا تريدون ذلك اذ تقولون (انا لمغرمون) غرمنا الحب بلا عوض
(بل نحن محرومون) حرمنا الرزق فان أصروا على انزال المنى منهم قيل انزال المنى منكم
لشرب الرحم كانزال الماء لشربكم (أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن) أى
السحاب (أم نحن المنزلون) ويدل عليه جعلنا اياه عذبا مع كون المزن من بخار البحر المالح
فعذوبته من قدرتنا وكنا قادرين على ملوحته بحيث (لو نشاء جعلناه أجاجا) محرق الفم
فكذا لو شئنا لجعلنا المنى محرقا للرحم (فلولا تشكرون) نعمة جعل الماءين سائغين للشاربين
بنسبة خلقهما الينا فان زعموا ان هذا المنى لما حصل بحركتنا فأصله أيضا منا قيل هذه الحركة
كايراء النار والاصل كشجرتها (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحون (ءأنتم أنشأتم
شجرتها) التى فيها الزناد (ام نحن المنشؤن) فان زعموا ان هذا قياس لا يعتد به فى باب
الاعتقادات قيل (نحن جعلناها تذكرة) لنار الآخرة فنحن جعلناها مقيسا عليها للامر
الاعتقادى من الامور الاخروية (و) قد جعلناها مقيسا عليها للامور الدنيوية أيضا
اذ جعلناها (متاعا) أى منفعة (للمقوين) أى الذين خلت بطونهم عن الطعام وكذلك
جعلنا النطفة متاعا للرحم الخالى عن الولد واذا ثبت ان خلق الكل منسوب الى الله تعالى
كان مفيضا للكمالات كلها (فسبح باسم ربك العظيم) من ان يطوف حوله شئ من النقائص
واذا كملت أسماؤه كملت صفاته بحيث لا يخلى التجلى الشهودى الاعلى محل كامل يعظم
القسم به واذا كان كذلك (فلا) حاجة الى القسم لكن (أقسم) تأكيدا لبيان كرم
القرآن (بمواقع النجوم) أى بمواضع يقع فيها نجوم القرآن بالتجلى الشهودى من قلوب
الكمل وأرواحهم (وانه لقسم لو تعلمون) ان التجلى الالهى فى التجلى الشهودى لابد
وان يناسب ما تجلى فيه (عظيم) عظمة تناسب عظمة ما تجلى فيه من الصفة القديمة
(انه لقرآن كريم) يعطى كل ناظر ما يليق به لكن بعد المبالغة فى الاجتهاد أو التصفية
والتزكية لانه (فى كتاب) جامع للعلوم (مكنون) أى مستور عن النظر الظاهر بل
لا يحصل بالاجتهاد أيضا وانما يحصل له بالتصفية اذ (لا يمسه) فى الظاهر (الا المطهرون)

ظاهرا يكوى به صاحبه
يوم القيامة (قوله عز وجل
يلزك) أى يعيبك (يحادد
الله ورسوله) أى يحارب
ويعادى وقيل اشتقاقه

عن الاحداث فكذا لايمس اسراره الا أهل التصفية وانما كان له هذا الكمال لانه (تنزيل من رب العالمين) الذى رباهم بالكمالات ونزلها عليهم فهو بتنزيلها فى تنزيل صفته أولى بافاضتها (أ) لانهم قوا باستنباط أسرار هذا الحديث (فبهذا الحديث أنتم مدهنون) أى متساهلون (وتجعلون رزقكم) أى نصيبكم منه الذى هو القوت الروحانى (أنكم تكذبون) فان كانت مساهلتكم لعدم مبالاتكم بنزله (فلولا) أى فهلا تقاومونه فى نزع النفس (اذا بلغت الحلقوم و) لايمنع من المقاومة اخفاء الفعل اذ (أنتم حينئذ تنظرون و) لكن انما يقاومه من كان أقرب منه لكن (نحن أقرب اليه منكم) قرب الذات لا المكان والزمان والرتبة (ولكن لا تبصرون) فتتوهمون مقاومته من زعمكم انكم تساوونه فى القوة لكنكم لغاية قوته وعجزكم معه منقادون له (فلولا) أى فهلا (ان كنتم غير مدينين) منقادين له (ترجعونها) أى النفس الى مكانها (ان كنتم صادقين) فى عدم مبالاتكم به فان لم تبالوا بحال الحياة فلا بهمن مبالاته بعد الموت للتلذذ من قربه أو السلامة أو للقهر (فأما ان كان من المقربين) وهم السابقون (فروح) أى فله راحة التخلص عن حجاب ما بينه وبين محبوبه (وريحان) يشمه من فوائح محبوبه (وجنت نعيم) يتنعم فيها بأنواع اللذات أيضا (وأما ان كان من أصحاب اليمين) فهو من أهل النجاة لسلامتهم من موجبات القهر باتباعك تقليدا (فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين) ولا سبب لتكذيبهم سوى اتباع الهوى فكانوا هم (الضالين) بترجيحه على العقل والشرع (فنزل من حميم) من تعطشه الى المحبوب الذى اخطأ طريقه (وتصلية جحيم) من ترجيح هواه على العقل والشرع (ان هذا) المذكور فى حق كل واحد (لهو حق اليقين) أى لهو الامر المحقق لاهل اليقين الحاصل لهم على كمال التصفية والتزكية بمداومة ذكر الله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) يستقر لك ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحديد)

سميت به لانه ناصر لله ولرسوله فى الجهاد فنزل منزلة الآيات الناصرة لله ولرسوله على انه سبب لاقامة العدل كالقرآن وأيضا انه جامع للمنافع فأشبهه أيضا فسميت سورة ذكر فيه بذلك (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى السموات والارض حتى سبحته (الرحمن) بخلق السموات والارض والاستواء على العرش (الرحيم) بتحصيل الفصول المختلفة من ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل (سبح) فى الازل (لله) حقائق (ما فى السموات والارض) عما الحق من صفات الحوادث ما ظهر فيها منه كيف (وهو العزيز) فلا تلحقه خسة الحوادث وانما الحق ما ظهر منه لانه (الحكيم) فكان ظهوره فى كل حقيقة بحسبها ويلزم منه لحوق الحوادث المناسبة لها ما ظهر منه فيها ومن لحوق تلك الحوادث دخلت فى ملكه حتى قيل (له ملك السموات والارض) كيف وقد صارت قابلة لتصرفه اذ هو (يحيى ويميت) ما يشاء فيهما

من اللغة كقوله يحادون الله ورسوله اى يكونون فى حد والله ورسوله فى حد (قوله عز وجل يغضون أيديهم) أى يمسكونها عن

(و) بذلك ظهرت قدرته فيه ما حتى قيل (هو على كل شئ قدير) لكن هذه الحوادث لاتبطل اتحادها به من وجه وهو اتحاد الظاهر والمظهر اذ (هو الاول) الذى فاض منه وجود الكل فيضان نور الشمس (والآخر) الذى يرجع اليه وجود الكل اذ لا وجود لها من ذواتها كيف (و) هو (الظاهر) فى حقائق الموجودات (و) لكنه لما اكتنف بالحوادث فيها اختفى وجوده الصرف فهو (الباطن) وكيف لا يكون للكل به اتحاد (وهو بكل شئ عليم) مع ان علمه واحد ولا يعلم به الا معلوم واحد من وجه ووجود الاشياء وان كان متحدا به فهو حادث لدخوله تحت الزمان فصح ان يقال (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم) بالرجوع اليه لا تصير قديمة اذ الزمن فيضه باعتبار أنه (استوى على العرش) ولا يلزم من وحدة علمه جهله بتفاصيل الجزئيات بل (يعلم ما يلج فى الارض) من الفوائد (وما يخرج منها) من الكوائن (وما ينزل من السماء) من آثار حركاتها (وما يعرج فيها) من كمالات اخراجها اما بالقوة الى الفعل كيف (و) هو علمه بذاته أيضا اذ (هو معكم أينما كنتم) من السماويات والارضيات بالظهور فيكم فهو علمه بذاته من حيث معيته لكم بالعلم (و) من هذه المعية يبصر أعمالكم حتى قيل فيه (الله بما تعملون بصير) وليست هذه المعية موجبة لمساواتكم له بل (له ملك السموات والارض) بل معية المملوك للمالك فى رجوعه اليه (و) من هنا قيل (الى الله ترجع الامور) حتى ان الامور الراجعة الى السماويات راجعة اليه اذ هو (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) لتحصيل الفصول المختلفة لتكوين الكوائن وافساد الفواسد (و) كما ترجع اليه الامور الظاهرة ترجع اليه الامور الباطنة لذلك (هو عليم بذات الصدور آمنوا بالله) الذى اليه مرجعكم وهو قادر على تكميلكم وتقريبكم واثابتكم وتبعيدكم وتعذيبكم واذا قربكم تجلى عليكم التجلى الشهودى فتتنزهون بمقتضى الحكمة وتتصفون بصفات العزة وزين ظاهركم وباطنكم وكان معكم بانواع اللطف واولج ليل نفسكم فى نهار روحكم أو قلبكم (ورسوله) الذى هو واسطة هذه الكمالات (وانفقوا) تأييد الايمانكم لكونكم وما تملكونه ملكا لله فليس بملككم بالحقيقة بل هو (مما جعلكم مستخلفين فيه) فانفقوا ماله فى سبيله وكالة عنه لتؤثروا حبه على حب المال وتتوكلوا عليه لا على المال (فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير) أجر الايمان واعتقادكم وأموالكم ملك الله وايثار حبه والتوكل عليه (وما لكم لا تؤمنون بالله) قد ورد الشرع بايجابه اذ (الرسول يدعوكم) الى النظر فى ربكم (لتؤمنوا بربكم) الذى رباكم بنعمه فوجب عليكم شكره لا بالعقل وحده بل به بعد ورود الشرع (و) لم يستقل الشرع بايجابه بدون العقل بل (قد أخذ ميثاقكم) بالدلائل العقلية (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين للعقل بعد ورود الشرع تصديق البصر بعد طلوع الشمس وليس لكم أن تقولوا الا ننظر ما لم يجب علينا ولا يجب علينا ما لم ننظر لان وجوب النظر بعد ورود الشرع يصير ضروريا اذ (هو الذى ينزل على عبده) الكامل (آيات بينات) لا يتوقف الايجاب بها على نظر فى نفس الدليل ولا فى رفع الشبه لان هذا التنزيل كان (ليخرجكم من الظلمات)

(قوله تعالى
الصدقة والخير
ترهق وجوههم) أى
يغشى وجوههم (قوله عز
وجل ويستنبؤنك) أى
يستخبرونك

أى ظلمات الجهل ورفع الشبه (الى النور) أى نور اليقين الذى هو العلم الضرورى (و) كيف
لا يفعل ذلك (ان الله بكم لرؤف) فلا يؤاخذكم قبل ورود الشرع (رحيم) باقامة الدلائل
ورفع الشبه (و) اذا آمنتم بالله وهو يقتضى التوكل على الله وايثار حبه على كل ماسواه
(مالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) ليكون لكم وسيلة الى الله (ولله ميراث السموات والارض)
يزول عنه توهم ملك الغير ويصير الى ملك الله عز وجل من كل وجه فكأنه ورثه من تركة الغير
فالتوسل به توسل بملك الله فى المآل بل فى الحال لكنه انما يتم توسلا حال كمال الحجاب لذلك
(لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) الذى يشبه كشف الحجاب (وقاتل) قبله فانفق روحه
ومن أنفق بعد الفتح وقاتل بعده بل (أولئك أعظم درجة) لكمال عملهم حال كمال الحجاب
(من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) من بعد لقصور عملهم بقصور الحجاب (و) لكن (كلا وعد
الله) المثوبة (الحسنى) لبقاء أصل الحجاب لكن انما تعظم درجة الاولين ويكون للآخرين
الحسنى اذا لم يضطروا الى ذلك من حياء الناس ولا للنفاق والرياء بل لله وحده (والله بما تعملون
خبير) هل عملتم له أو للعباد أو غير ذلك ثم هذا الانفاق انما يكره لما فيه من اضاعة ما ينفع
فى الشدائد والانفاق فى سبيل الله ليس كذلك فانه اقراض من الله (من ذا) من العقلاء
السعداء (الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى يخلص نيته ويتحرى له أحسن أمواله ولا يأخذه
الله لنفسه لغناه بل لعبده (فيضاعفه له) أى فيعطيه فى الدنيا اضعافه (وله) فى الآخرة (أجر
كريم) يليق بكرمه عز وجل يحصل له ذلك الاجر على الصراط قبل دخول الجنة وهو ان يصير له
نور افوق أنوار المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الكمل والناقصين (يسعى نورهم) على
حسب سعيهم (بين أيديهم) لان عملهم كان لما بين أيديهم من الآخرة (وبأيمانهم) لان أعمالهم
كانت بقوة أرواحهم وقلوبهم يقول لهم ذلك النور تسهيلا يسرهم على الصراط (بشراكم
اليوم) الذى أنتم فيه على الصراط (جنات) فيها اشجار اعمالكم وثمارها (تجرى من تحتها
الانهار) من نتائج معارفكم واخلاقكم لا بحسب مدتكم ومدة اعمالكم بل (خالدين فيها ذلك)
النور والبشرى (هو الفوز العظيم) الذى لا يبالى معه لمشقة السير على الصراط ويبقى لكم
هذا النور (يوم يقول المنافقون والمنافقات) كاملهم وناقصهم اذا طفئ نورهم الذى أعطوه
بقدر ما أظهروه من الاسلام ثم طفئ وتم (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا واقفين
(نقتبس من نوركم قيل) أى قالت الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا)
ايمانا واعمالا تفيدكم (نورا) مستقرا (فضرب بينهم) أى بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أى
بحائط يحجزهم عن أنوار المؤمنين لتتم ظلمتهم (له باب) يرى به المنافقون المؤمنين ليكلموهم
(باطنه) الجانب الذى يلى المؤمنين (فيه الرحمة) من أنوارهم وأنوار الجنة (وظاهره) الذى يلى
المنافقين (من قبله) من جهة ما يستقبلونه (العذاب) من ظلمتهم وظلمة النار ورائحتهم
(ينادونهم) قائلين (ألم نكن معكم) فى الاسلام واعماله (قالوا بلى) فى الظاهر (ولكنكم)
فى الباطن (فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) ظهور الكفر لتظهروا ما فى أنفسكم (وارتبتم)

(قوله جل وعز يهدى) أصله يهتدى فادغمت التاء فى الدال (قوله عز وجل يثنون صدورهم) أى يطوون ما فيها وقرئت تثنونى صدورهم أى تستر وتقديره تفعوعل

في قوله عز وجل ليظهره على الدين كله ووعده بنصر المؤمنين (وغرتكم الاماني) أي أماني
المغفرة وانه سيظهر دينكم وان لكم عند الله الحسنى فلم تزالوا على ذلك (حتى جاء أمر الله)
بعذاب القبر وعذاب الآخرة (و) قد فعلتم جميع ذلك لا لدليل بل لانه (غركم بالله) الشيطان
الذي هو (الغرور) واذ فعلتم ذلك بتغرير عدو الله ووافقتموه (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية)
لو كانت لكم فضلا عن التخليص بلا شئ (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا لاستواء ظاهركم
وباطنكم اليوم (مأواكم النار) جميعا وان فارقتموهم في الدنيا لحقن دمائكم وأنتم ان أسلمتم
والاسلام يقتضي الجنة لكن النار (هي مولاكم) أي أولى بكم اذ لم يبق لكم ذلك الاسلام
(وبئس المصير) مصيركم اليها فوق مصير الكفار ولما كان النفاق المفضي الى ما ذكر من قساوة
القلوب والنور من خشوعها لذكر الله والقرآن قال (ألم يأن) أي ألم يحن (للذين آمنوا) وقت
(أن تخشع) لرفع القساوة واكتساب النور (قلوبهم لذكر الله و) لسماع أو قراءة (ما نزل من)
الكتاب (الحق) المتضمن للصراط واطفاء نور المنافقين عليه وضرب السور بينهم وبين المؤمنين
وانهم أولى بالنار ومصيرهم اليها أشد (و) انما كان ترك الخشوع موجبا للقساوة عند طول مضى
عهد النبوة لما جرب من أهل الكتاب (لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد) أي الزمان (فقست قلوبهم) اذ لم يداوموا على الخشوع (و) افضى الى الفسق غالبا
لذلك (كثير منهم فاسقون) وهو يريد الكفر وانما كان الخشوع مانعا من هذه القساوة لانه
يسقي بماء الذكر والقراءة أرض القلوب القاسية التي أفضت بها القساوة الى الموت بالكفر
(اعلموا ان الله) يحيي القلوب بذكره وكتابه كما انه (يحيي الارض بعد موتها) الذي هو أشد من
القساوة بالماء المحسوس ولا بأس بقياس أمر القلوب على أمر الارض فانا (قد بينا لكم
الآيات) في الآفاق (لعلكم تعقلون) أي تستعملون العقل في قياس المعقولات
بالمحسوسات وكيف لا يكون الخشوع محييا للقلوب ساقيا لها مع ان الصدقة التي دونه تؤثر
لذلك (ان المصدقين والمصدقات) الكمل والقاصرين (و) لكن انجبر قصورهم اذ نووا بها انهم
(أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) فكأنه بمنزلة السقي المنبت لكل حبة سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة (ولهم أجر كريم) فكان محييا لها مفيدا النور المستمر على الصراط (و) كيف
لا يكون للصدقة ذلك مع انه لعامة المؤمنين اذ (الذين آمنوا بالله ورسله أولئك) لتصديقهم
بجميع أخبار الله وأحكامه وشهادتهم بحقية جميع ذلك (هم الصديقون والشهداء عند ربهم)
وهم وان تفاوت صديقيتهم وشهيديتهم (لهم أجرهم ونورهم) بحسب صديقيتهم وشهيديتهم
وأهل الصدقة قد أكدوا صدقهم وشهدوا كتابة الله وآثروا محبته فهم أولى بذلك والخاشعون
أتم سيما منهم (و) كيف لا يكون لعامة المؤمنين ذلك الاجر والنور مع انهم قابلوا الكفار الذين
لهم العقاب والظلمة اذ (الذين كفروا و) قابلوا صديقية المؤمنين وشهيديتهم بان (كذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) المتضمن للعقاب والظلمة فيكون لمن قابلهم الاجر والنور فان
زعموا انكم اذا جعلتم لنا قياس أمر على آخر قسنا أمورنا في الآخرة على أمورنا في الدنيا يقال

وهو للمبالغة وقيل ان
قوما من المشركين قالوا
اذا غلقنا أبوابنا وأرخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا
وثنينا صدورنا على عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم
كيف يعلم بنا فانبأ الله عز

اعلموا

(اعلموا أنما) يتأتى القياس حيث ناسب الاصل الفرع ولا شئ من أمور الدنيا يناسب شيأ من أمور الآخرة اذ (الحيوة الدنيا) ماهى الا (لعب) مباشرة باطل (ولهو) اشتغال بتخيل او متوهم (وزينة) بامور خسيسة كالاحجار والحرير نسج الدود والمسك دم الغزال والزباد عرق الهر (وتفاخر بينكم) بالآباء الذين أنتم من نطفهم القذرة وبالصنائع التى يكتسب بها كسب الاجراء (وتكاثر فى الاموال) التى هى احجار أو غيرها (والاولاد) الذين من النطف وهى مع خستها فانية آثرها الاعجاب بها أولا ولا يعلمون انه باعتبار الفيض الالهى بها اذ هو (كمثل) نبات حصل من (غيث أعجب الكفار) أى الزراع (نباته ثم) يقع عليها ما ينقصها كما ان النبات (يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) بعدما كان مخضرا (ثم) يقع عليها ما يهلكها كما ان النبات (يكون حطاما) أى هشيما (و) لا يناسب بدايتها ونهايتها شئ من الامور الآخرة اذ (فى الآخرة عذاب شديد) للبعض (ومغفرة من الله) للبعض (ورضوان) للبعض (و) لو فرضت مناسبة أمورهما (ما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يأخذ صاحبها ملاعب الدنيا بدل ملاعب الحور العين ولهوها بملاذ الجنة وزينتها بزينة الجنة والتفاخر بدل التفاخر بجوار الله والقرب والتكاثر بالاموال والاولاد بدل نعم الله والولدان المخلدين فى الجنة فان زعموا انا نسابق الى الدنيا لسبقها فاذا جاءتنا الآخرة سابقنا اليها يقال لهم المسابقة الى الدنيا مسابقة الى المعصية او الى الامور خسيسة تحجب عن الامور الشريفة فاذا جاءت الآخرة لا يمكنكم المسابقة اليها مع تلك المعاصى ولا مع تلك الحجب (سابقوا) أى اسعوا سعى السابقين فى المضمار (الى) أسباب (مغفرة) وهى وان لم تصلح للتأثير فيها فهى تحصل (من ربكم) لمربيكم برفع حجب المعاصى وغيرها (و) الى أعمال صالحة هى أسباب (جنة) بدل الدنيا وهى مع غاية شرفها بحيث يكون موضع سوط منها خيرا من الدنيا وما فيها أعظم مقدارا فى الغاية اذ (عرضها كعرض السماء والارض) وليست مما يوعد بخلقها فى المستقبل والدنيا مخلوقة الآن لانها (أعدت) وليست المسابقة اليها بالاعمال الشاقة جدا لانها جعلت (للذين آمنوا بالله ورسله) ولا يبعد اعداد مثلها لمن ليس له أعمال شاقة اذ (ذلك فضل الله) ولا يختص بشرفاء الدنيا بل (يؤتيه من يشاء و) ليس شرف الدنيا من الفضل المنسوب اليه اذ (الله ذو الفضل العظيم) وانما تظهر عظمة فضله اذا اعطى مثلها لمن ليس له اعمال شاقة فان زعموا ان من سابق الى المغفرة والجنة سابقت المصائب الى ماله ونفسه يقال ليست تلك المصائب سبب المسابقة بل (ما أصاب) شئ (من مصيبة فى الارض) التى لا مسابقة لها (ولا فى أنفسكم الا فى كتاب) الهى لا يتغير بالمسابقة ولا بتركها كيف وقد كتب فيه (من قبل أن نبرأها) أى نخلق المصيبة والارض والانفس أى فى الازل ولا يتغير ما فيه (ان ذلك) أى كتبها فى كتاب مع لا تناهيها (على الله يسير) وانما كتبها من قبل أن يبرأها (لكيلا تأسوا) أى لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) بانه للتقصير فى التدبير للاشتغال باسباب المسابقة مثلا (ولا تفرحوا بما آتاكم) انه بتدبيركم كيف وهذا الفرح عن التدبير موجب للاختيال والتكبر المكروهين (والله لا يحب كل مختال فخور) كيف والفرح

(قوله عز وجل غما كتموه قال ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) (قوله عز وجل يؤس) أى فعول من يئست أى شديد الاياس (قوله عز وجل يلتقطه بعض السيارة) أى يأخذه على

بالشئ يوجب الحزن على فواته فيوجب البخل عليه ثم لا يزال يرسخ فيه حتى يراه صفة محمودة يأمر بها من يحبه ثم يعم الناس فهؤلاء الفرحون هم (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) ليعرضوا عن أمر الله بالانفاق (ومن يتول) عن أمر الله لم يضر الله ولو بالبخل فيما يأمر بالانفاق فيه (فان الله هو الغنى) عن انفاقه (الحميد) الذى لا يلحقه الضرر الذى به الذم وليس التقدير مانعا من التدبير بل يتوقف بعض التقادير عليه لذلك (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) ليتدبر الناس فى صدقهم (وأنزلنا) الى الناس (معهم الكتاب والميزان) العقلى ليتدبروا بهما فى أمور دينهم ودنياهم (ليقوم الناس بالقسط) أى العدل عن كل التدبير (وأنزلنا) ليدبروا بدفع المعاندة عنهم (الحديد) اذ (فيه بأس شديد و) ليس انزاله لمحض الشر اذ فيه (منافع) كثيرة (للناس) كلهم لتوقف الصنائع عليه (و) البأس أيضا ليس بشر على الاطلاق اذ كثيرا ما يكون لنصر الله ورسوله فكان انزاله (ليعلم الله) أى ليظهر ما علم من أنه (من ينصره ورسله) وهو وان كان ينتصر لذاته ورسله بعد كشف الحجب البتة لكن ربما لا ينتصر (بالغيب) وليس ذلك لضعفه وذلته حينئذ بل (ان الله قوى عزيز و) ارسال الرسل وان كان لافادة الهداية فانما يحصل لمن قدرت له والا فلا وان كان من ذرية كبار الرسل فانا (لقد أرسلنا نوحا وابراهيم) من كبار الرسل (و) لم تنقطع نبوتهما ورسالتهما اذ (جعلنا فى ذريتهما النبوة و) الرسالة اذ جعلنا فيهم (الكتاب) لكن لم تعم الهداية جميع ذريتهما (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم) لم يزل الفسق فيهم وان (قفينا على آثارهم) تأكيدا لرسالتهم (برسلنا) المنسوبين الى مقام عظمتنا (وقفينا) هؤلاء الكبار زيادة فى التأكيد (بعيسى) الملتبس بالاله عند جماعة لذلك فى بكونه (ابن مريم وآتيناه) تكميلا لرسالته (الانجيل) الذى هو أشمل الكتب المتقدمة على دقائق الحكمة (و) لذلك ظهرت له آثار جميلة اذ (جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) لاجلها لا يقتلون القاتل ولا يضربون الضارب والشاتم (ورحمة) بتحسين اخلاقها ومساعيها (ورهبانية) جعلناها فى قلوبهم حتى (ابتدعوها) قبل أن يرد فى نص كتاب ثم (ما كتبناها عليهم الا) لاجل أن فيها (ابتغاء رضوان الله) لانها مؤكدة للاعمال المشروعة الا انها لما كانت حرجا عليهم عجزوا عنها (فما رعوها حق رعايتها) فمع هذا التأثير ضل من قدر عليه الضلال حتى كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (منهم) أى من هؤلاء الرهبان (أجرهم) على دينهم ودين محمد صلى الله عليه وسلم ورهبانيتهم (وكثير منهم) وان كان فيهم الرأفة والرحمة والرهبانية (فاسقون) بترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤجرون على شئ منها وانما كثر فساقهم لعدم تقواهم اعتمادا على رهبانيتهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله تقواكم لله (اتقوا الله) ولا تجترؤا على معاصيه اعتمادا على رهبانيتكم (و) انما يتم التقوى بالايمان بجميع الرسل سيما المتأخر (آمنوا برسوله) المتأخر فان الايمان به يتضمن الايمان بالكل (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) أى ثوابه كفل على الايمان بالمتقدم وكفل على الايمان بالمتأخر كما يؤتى

اهل

غير طلب له ولا قصد ومنه قولهم لقيته التقاطا ووردت الماء التقاطا اذا لم ترده فهجمت عليه قال الراجز

* ومنهل وردته التقاطا *

أهل الكتاب (ويجعل لكم) بدون الرهبانية (نورا) يكشف عن الحقائق (تمشون به) في منازل الشريعة والطريقة والحقيقة (ويغفر لكم) مايصدر عنكم حال الغلبة (و) هي وان كبرت على أكثر الخلائق لاتكبر على الله اذ (الله غفور) بل ربما يجعلها حسنات اذ هو (رحيم) وانما فعل ذلك بكم (لئلا يعلم) أي يعتقد (أهل الكتاب) المخصوصين أولا بالكفلين (أن) أي انه (لايقدرون) أي المؤمنون من غيرهم (على) تحصيل (شيء من فضل الله و) لايعتقدوا (أن الفضل) يختص بهم بل (بيد الله) وليس لهم منعه أن يؤتيه غيرهم بل (يؤتيه من يشاء) وانما خص أهل الكتاب به أولا ترغيبا لهم في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عمم الكل (و) له أن يفضل عليهم المؤمنين اذ (الله ذو الفضل العظيم) قال عليه السلام انما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب على قيراطين قيراطين الا وأنتم الذين تعملون من العصر الى المغرب الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى عز وجل هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلي أعطيه من شئت ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المجادلة)

سميت بها لانها لما كانت لطلب الحق والصواب أشبهت مجادلة الانبياء والقرآن ولذلك سمع الله لصاحبها (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المجادلة حتى رأت قطع الظهار علاقة النكاح خطأ (الرحمن) باظهار الصواب بعد طول مدة خفائه في العموم (الرحيم) بوضع الكفارة لرفع التحريم العارض روي ان خولة بنت ثعلبة قالت يارسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة ذات مال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه فقال عليه السلام حرمت عليه فقالت ماذكر الطلاق وانه أبو ولدي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك اماترين وجه رسول الله اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي الي زوجك فتلا عليه الآيات الاربع (قد سمع الله قول) أي قد أجاب الله دعاء (التي) دعت في ضمن شكايتها حين (تجادلك في) قطع الظهار علاقة النكاح من قول (زوجها) أنت علي كظهر أمي (و) كلما قال لها رسول الله حرمت عليه (تشتكي الى الله) عن كون هذا التحريم قاطعا علاقة النكاح (والله يسمع) عن رضا (تحاوركما) أي ترجيعكما الكلام اذ كان عليه السلام يراه مجازا أو كناية عن الطلاق وكانت تراه تحريما غير قاطع علاقة النكاح (ان الله سميع) لمجادلات أهل الحق عن رضا (بصير) بمقاصدهم فلا يعاقب المخطئ ولايذمه بل يؤتيه أجر الاجتهاد

(قوله عز وجل يعصرون) أي ينجون وقيل يعني العنب والزيت (قوله عز وجل ياأسفى على يوسف) الاسف الحزن على مافات (قوله عز وجل يدرؤن)

(الذين يظاهرون) أي يقولون لنسوتهم انتن علينا كظهور أمهاتنا يعنون في حرمة الركوب مع كونهم (منكم) جماعة المسلمين من أهل الناظرين الى الحقائق يتخلصون بذلك (من نسائهم) بجعلهن أمهاتهم مع انهن (ماهن أمهاتهم) بالحقيقة ولا في حكمهن بالمجاز اذ لا يقتضي المجاز أن يكون في حكم الحقيقة الا بقلب الحقائق لكنها لا تنقلب (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) ولحوق الجدات والمرضعات للمشاركة في الاصالة وافادة التنمية (و) ليس ههنا من الملحقات شئ لذلك (انهم ليقولون) في التجوز بلا معنى ملحق للفرع بالاصل (منكرا) وان كان (من القول) المتعارف لهم كيف (و) المجاز لا يكون زورا لوجود العلاقة وهذا كان (زورا) لعدم العلاقة (وان الله لعفو) أي مجاوز عن هذه المعصية لو لم تعودوا (غفور) بالكفارة لو عدتم (والذين يظاهرون من نسائهم) قيد بذلك لان ظهار الاجنبية لا يوجب الكفارة لوجود الحرمة هنالك أولا فلا يكون القول منكرا و زورا محضا (ثم يعودون) بالتدارك (لما قالوا) وهو امساك المظاهر عنها زمانا يمكنه مفارقتها منه تنزيلا لسبب الجماع منزلته وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بالنظر بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع (فتحرير رقبة) أي فالواجب عليهم اعتاق رقبة وقيدها الشافعي بالمؤمنة قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أي يجامعا اذ لا داعي الى أدائها بعده (ذلكم توعظون به) لاشعاره بان هذه الجناية تجعل رقبة الجاني أسيرة فيفكها باعتاق مثلها (والله بما تعملون) من المماسة قبل الكفارة (خبير فمن لم يجد) رقبة (فصيام شهرين متتابعين) لانه لكونه ضعف الواجب الاصلي في الصوم صار كالقتل وتأكد بالتتابع والقتل فك من الاسر وهو أيضا (من قبل أن يتماسا) لكن لو جامع المظاهر ليلا لم ينقطع التتابع عند الشافعي وينقطع عند أبي حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) تتابع الصوم هذه المدة لهرم أو مرض أو شبق مفرط (فاطعام ستين مسكينا) أي تمليك ستين مسكينا ستين مدا وهو رطل وثلث وعند أبي حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره لان المعطي للغير أمسك عنه صاحبه فكأنما صامه وهو أيضا من قبل أن يتماسا لكنه لم يذكره اكتفاء بذكره في المبدل عنه وأباح أبو حنيفة ومالك التماس قبل الاطعام (ذلك) الصوم والاطعام لما كانا بمنزلة قتل النفس أفاد تصفية القلب (لتؤمنوا بالله ورسوله و) من لم يحصل له التصفية يجب عليه لانه حد الله اذ (تلك حدود الله) التي يجب الايمان بها وان لم تعقل وكذا العمل بها (وللكافرين) بحدوده لترجيحهم عقولهم (عذاب أليم) على انكارها وترك العمل بها وكيف وهم يحادون الله (ان الذين يحادون الله) أي يخالفونه في حدود معقولة أو غيرها (ورسوله) الذي هو الاصدق من العقل (كبتوا) أي أخروا عن حد الانسانية ولا يعد فانه (كما كبت الذين من قبلهم) حين اعتمدوا في مخالفة الرسل على عقولهم (و) كيف يرجعون الى عقولهم بعد ظهور صدق الرسل بالضرورة اذ (قد أنزلنا آيات بينات) بحيث لا تقبل معارضة عقل ولا غيره فاذا رجحوا عقولهم عليها كانوا مستهينين بها وبمنزلها وبالرسل (و) لذلك يكون (للكافرين عذاب مهين)

أي يدفعون (قوله عزوجل أفلم ييأس الذين آمنوا) أي يعلم و يتبين بلغة النخع (قوله تعالى يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أي يختارونها على الآخرة (قوله تعالى يغيرجون)

وتكون

وتكون اهانتهم على روس الخلائق (يوم يبعثهم الله جميعا) أى مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) بمقتضى عقولهم وما فوتوا من حكم الله فى حدوده من وجه أو وجوه وعلى خلاف عقولهم اذ (أحصاه الله) أى ما فوتوا من الحكم المعقولة لهم وغيرها وان كان فيها ما عقلوا فيها الحكمة (و) لكن (نسوه) عند العمل بها أو بعد ذلك وكيف لا يحصيها الله (والله على كل شئ شهيد) فان أنكروا شهوده لوجوه الحكمة وراء ما يدركونه بعقولهم قيل لهم (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) وأنتم لا تعلمون أكثرها فان زعموا أنهم أحاطوا بجميعها يقال لهم لو كنتم محيطين بالكل لاحطتم بما يناجى به بعضكم بعضا مع ان الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وان لزم من ذلك كونه شفع العدد وتر مع انه واحد فى ذاته من كل وجه وتر (ولا) يختص ذلك بالوتر الاول بل ما يكون من نجوى (خمسة الا هو سادسهم) اذ وحدته ووتريته باعتبار ذاته وهذا باعتبار معيته (و) لذلك لا يكون من نجوى (لا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) ولا ينافى ذلك اختلاف أمكنتهم بل (أين ما كانوا) لاستواء الامكنة بالنسبة الى من تنزه عنها ولكن لا يطلعهم على ذلك الآن ابقاء للتكليف (ثم ينبئهم بما عملوا) يوم ارتفاع التكليف (يوم القيامة) فان لم يتصور واسعة الذات فليتصوروا سعة العلم (ان الله بكل شئ عليم) والمعلوم مع العالم تصورا فان أنكروا اتيانهم القبائح فيما خالفوا أمر الله يقال (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) حسنة أو قبيحة (ثم يعودون لما نهوا عنه) فيزعمون انهم انما أتوا بالنجوى الحسنة (و) هم (يتناجون) بكل قبيحة (بالاثم) فيما بينهم وبين الله (والعدوان) فيما بينهم وبين الخلق (ومعصيت الرسول) الجامع بين الحقين (و) لا يقتصرون فى حقه على النجوى القبيحة بل يأتون بالقبيحة ظاهرا وان أرادوا اخفاءه فانهم (اذا جاؤك) مظهرين محبتك (حيوك) بقولهم السام عليك أى الموت ولا يضرك لانهم حيوك (بما لم يحيك به الله) الذى بيده الحياة والموت (و) يتوسلون بذلك الى تكذيب الرسول واستهانته اذ (يقولون فى أنفسهم) لو كان الرسول حقا عزيزا عند الله (لولا) أى هلا (يعذبنا الله بما نقول) فاجيبوا بانه انما لا يعذبهم الله فى الدنيا لانه لا يكفيهم ذلك العذاب بل (حسبهم جهنم) الجامعة أنواع العذاب بل يكفيهم نارها اذ (يصلونها) فاذا كان معها غيرها (فبئس المصير) من كل وجه ثم رخص للمؤمنين فى نجوى الخير اذ لا يدعونها فى مكان الشر لكن لما لم ينافه قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اجتناب الشرور واجتذاب الخيرات (اذا تناجيتم فلا تتناجوا) بوجه من وجوه الشر (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) فانها وان لم تناف الايمان تنافى مقتضاه (وتناجوا) بما هو مقتضاه (بالبر) فعل الخيرات (والتقوى) عن الشرور (و) لا يعتمدوا على عدم منافاة الايمان بل (اتقوا الله) أن يسلب ايمانكم فان لم يسلب فاتقوه أن يعذبكم فان لم يعذب فاتقوه أن تلقوه عصاة اذ هو (الذى اليه تحشرون) وانما نهى من نهى عن النجوى مطلقا لانه (انما النجوى) التى تصدر عنهم (من الشيطان) فان كان فيها خير يتوهم المؤمنون فيها الشر فكانت من الشيطان أيضا (ليحزن الذين آمنوا

أى يصعدون والمعارج الدرج (قوله تعالى يقنط) أى ييئس (قوله عزوجل يدسه فى التراب) يشده أى يدفنه حيا (قوله عزوجل يجحدون) أى ينكرون

و) لا ينبغى لهم أن يحزنوا اذ (ليس بضارهم شيأ الا باذن الله و) لا يأذن الله به فى حق المتوكل عليه وحق المؤمن التوكل عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون) ولا حزن مع التوكل عليه لضمانه الكفاية عنه ولذلك كان المتوكلون فى سعة من أهل الحزن الذين لا يخرجون عن الضيق ولما أمر المؤمنين بمناجاة البر والتقوى تنافسوا فى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فى مناجاته من جمع وجوههما فاذا سبقوا الى مجالسه لم يفسحوا لمن أتى بعدهم فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) كما كان مقتضى ايمانكم التوسع فمقتضاه التوسع لاخوانكم سيما اذا أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا قيل لكم تفسحوا) أى توسعوا (فى المجالس) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فافسحوا يفسح الله لكم) فى العلوم فانه اذا كثر العلماء استفاد بعضهم من بعض مالا يستفيد بنفسه ثم بالغ فقال (واذا قيل انشزوا) أى انهضوا للتوسعة (فانشزوا) ولا يتوهم فيه اذلال اذ (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بمزيد طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم باحسانهم الى اخوانهم بالتوسعة درجات (والذين أوتوا العلم) بكثرة العلماء (درجات) فى العلم لا يقدرون على تحصيلها لو اشتغلوا بها كيف وقد يرتفع البعض فى العلم بالعمل بما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرتفع به البعض الآخر لاخلاله به أو بما يفضله (و) ذلك بحسب خبرة المفيض عزوجل اذ (الله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التصفية عن حب المال سيما عند مناجاة الرسول (اذا ناجيتم الرسول) لاكتساب العلم الرافع للدرجات (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم) اذا هممكم بحفظ ما أنفق فيه المال أكثر (وأطهر) لقلوبكم فتكون كمرآة مجلوة لانطباع العلوم (فان لم تجدوا) فلا تحرجوا عن تحصيل العلوم لفقدها (فان الله غفور رحيم) ثم نسخ ذلك بآية متصلة فقال (أأشفقتم) أى خفتم الفقر من (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) لكل نجوى صدقة (فاذ لم تفعلوا) مع كونه خيرا لكم وأطهر ترجيحا لجانب المال على جانب العلم (وتاب الله عليكم) فنسخ (فأقيموا الصلوة) الناهية عن الفحشاء والمنكر لئلا تصير حجابا عن العلم الحقيقى (وآتوا الزكوة) المفيدة نوع تزكية من الشح المطاع (وأطيعوا الله ورسوله) ليفيض عليكم بمزيد تقربكم اليه بواسطة رسوله (والله خبير بما تعملون) أى ببواطن أعمالكم فاذا لم يفض عليكم فلتقصيركم ثم أشار الى ما فى موالاة أعدائه من الضرر وان قصد بها تحصيل العلم الرافع للدرجات فقال (ألم تر الى) المنافقين (الذين تولوا قوما) من اليهود على زعم تحصيل العلم مع انهم (غضب الله عليهم) فأنى يكون عندهم العلم الرافع للدرجات بل انما يحصل منهم ما يفيدهم التردد لذلك (ما هم منكم ولا منهم ويحلفون) لكم مصرين (على الكذب) بأنهم منكم وانما يريدون بالتعلم منكم الاحتجاج عليهم أو رفع شبهاتهم (وهم يعلمون) انه لا يتأتى منهم الاحتجاج ورفع الشبهات (أعد الله لهم) بموالاتهم واستفادة ما يجعلهم فى التردد (عذابا شديدا) أشد من عذابهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) من موالاة أعداء الله وتحصيل علم يفيدهم

بالسنتهم ما لا تستيقنه قلوبهم (قوله عزوجل يكبر فى صدوركم) أى يعظم فى نفوسكم (قوله تعالى ينزغ بينهم) أى يفسد ويهيج

التردد والحلف الكاذب ومن أسوأ أعمالهم انهم (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) عن ضرركم مع انكم انما تضرونهم بالجر الى سبيل الله وهم يكرهون ذلك (فصدوا) أى منعوا أنفسهم (عن سبيل الله) استهانة لسبيله بجعل ضرر تركه أهون من ضرر ذلك العلم المفيد للتردد (فلهم عذاب مهين) ولا ترفع تلك الاهانة أموالهم ولا أولادهم فانه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) فان أغنيا فى الدنيا لم يغنيا فى الآخرة اذ (أولئك أصحاب النار) ولا يتخلصون عنها بحرمة مال ولا ولد بل (هم فيها خالدون) وكيف لا يكون لهم الخلود فى النار مع اصرارهم على الأيمان الكاذبة يوم القيامة فانهم يجترؤن على الله (يوم يبعثهم الله جميعا) فيسألهم عن جراءتهم عليه وصدهم عن سبيله (فيحلفون له كما يحلفون لكم) فيجترؤن عليه اجتراءهم عليكم مع اجترائهم عليه ههنا أيضا (و) لا يبالون بهذه الجراءة يوم القيامة اذ (يحسبون أنهم على شئ) من حيل دفع العذاب مع انه سبب زيادته اذ يظهر به كذبهم فى الدارين (ألا انهم هم الكاذبون) المستمرون عليه الى ذلك الوقت وانما يجترؤن على الأيمان الكاذبة حينئذ لانهم (استحوذ) أى غلب (عليهم الشيطان) فاوهمهم النجاة فيها (فأنساهم ذكر الله) فضلا عن ذكر علمه المحيط وقدرته الشاملة وحكمته البالغة فصاروا لا يبالون له كما لا يبالى له الشيطان اذ (أولئك حزب الشيطان) فى الدارين ولا يفيدهم شيأ فى الدارين (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) فوائد الدارين بالحقيقة وان حصلوا فى الدنيا بعض الخوارق نضررها أعظم من نفعها فان زعموا أنهم كيف لا ترفع درجاتهم اذ جمعوا بين علومهم وعلوم المسلمين يقال ان هذا الجمع ربما يدعو الى اتخاذ حدود غير حدود الله وهو يوجب الذلة (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يتخذون حدودا غير حدوده ويكفى فى ذلك مخالفة حدود رسول الزمان (أولئك) البعداء عن الامر الواجب مستقرون (فى) مقام (الاذلين) وكيف يحصل لهم رفع الدرجات بهذا الجمع ولا يزالون مغلوبين لانه (كتب الله لاغلبن أنا ورسلى) ولو لم يكتب لم يغلب أيضا (ان الله قوى) كيف والمغلوبية ذلة وهو (عزيز) فان زعموا ان محادة الله ورسوله انما تتصور من الكفار ونحن مؤمنون يقال (لا تجد قوما يؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب محبته وهى توجب عداوة أعدائه (واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) لوضوح المنافاة بين الايمان بهما ومحبة أعدائهما فان الايمان به يوجب الاحتراز عما يضر فيه ومحبتهم ضارة فيه لانها توجب المعية بهم (و) هذه المنافاة ذاتية بحيث لا تعارضها المحبة التى هى كالذاتية (لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فكيف تعارضها العارضة لطلب العلم وانما دفعت هذه المحبة تلك مع انها كالذاتية التى لا تزول بغير اذ (أولئك) الكمل الذين لا يبالون بما سوى الله (كتب فى قلوبهم الايمان) فمحا ما ينافيه سيما (و) قد (أيدهم بروح منه و) كيف يحبونهم وقد علموا وجوب قطع محبتهم لان الله تعالى يدخلهم النار والمؤمنون (يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف بقلوبهم من قرب ربهم فلا حاجة لهم الى اكتسابها من أعدائه سيما وقد كانت

(قوله تعالى ينبوعا) يفعول من نبع الماء أى ظهر (قوله عز وجل ينقض) أى يسقط وينهدم وينقاض ينشق وينقلع من أصله ومنه قولهم فراق كقيض

معارفهم تزداد كل يوم لو خلدوا فى الدنيا لذلك يكونون (خالدين فيها) وكيف لا يكون لهم هذا الفيض وقد (رضى الله عنهم و) رضاه عنهم يوجب تواتر فيضه عليهم بحيث (رضوا عنه) وكيف لا يفيض عليهم مع ان (أولئك حزب الله) وحزبه يستحق ما لا يتناهى من الفيوض (ألا ان حزب الله هم المفلحون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحشر)

سميت به لدلالة اخراج اليهود عنده على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين وقهره وغضبه على أعدائهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بالجلال والجمال فيما فى السموات والارض (الرحمن) باظهار عزته وحكمته فى ضمنهما (الرحيم) باللطف على المؤمنين باخراج أعدائهم عن جوارهم (سبح) أى نزه تنزيها مستحقا (لله) عن ان يكون فى جلاله أو جماله نقص من مظاهرهما من جملة (ما فى السموات وما فى الارض و) ظهوره بالجلال من حيث (هو العزيز) وبالجمال من حيث هو (الحكيم هو الذى) باعتبار قهر عزته ولطف حكمته (أخرج الذين كفروا) فاستحقوا القهر وان كانوا (من أهل الكتاب من ديارهم) التى بها جاوروا المؤمنين لطفا بهم (لأول الحشر) اجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشأم وخيبر حين نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا له ولا عليه يوم احد بهزيمة المسلمين فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا فحالفوا قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة وكان أخاه من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم فصالحوه على الجلاء ودل على الحشر الثانى وهو اجلاء عمر أهل خيبر ودل المجموع على انه سنة الهية فى اذلالهم فيتوقع مثله أو أشد منه يوم القيامة وأتى بصيغة الحصر ليدل على انه لا دخل لكم فى اخراجهم لانكم (ما ظننتم) فضلا عن الجزم (أن يخرجوا) باخراجكم فصار آية لكم (و) كذلك لهم اذ (ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من) بأس (الله) فضلا عنكم (فأتاهم الله) أى قهره (من حيث لم يحتسبوا) أى من الجانب الذى لا دخل لحصونهم فى تحصينهم بقتل رئيسهم (و) يكفى من قهره انه (قذف) من غير قتال (فى قلوبهم الرعب) أى الخوف حتى أيسوا من الرجوع الى مكانهم باستغاثة من غيرهم فصاروا (يخربون بيوتهم) لئلا يسكنها المسلمون وسووا فى التخريب بينهم وبين أعدائهم فخربوها (بأيديهم وأيدى المؤمنين) كأنهم جعلوا أعداءهم وكلاءهم حتى نسب تخريبهم اليهم (فاعتبروا) من حالهم فى الدنيا حالهم فى الآخرة (يا أولى الابصار) الناظرين للامور الغيبية بالقياس على المحسوسات (و) لو قيل الجلاء ليس بتعذيب فكيف يقاس عليه عذاب الآخرة يقال لو سلم قيس على العذاب المقدر فانه (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة وكأنهم عذبوا (فى الدنيا ولهم) بالقياس على ذلك العذاب المقدر (فى الآخرة عذاب النار ذلك) أى تقدير العذاب عليهم ليس بمجرد القياس على بنى قريظة بل (بأنهم شاقوا الله ورسوله

السن أى لا اجتماع بعده أبدا (قوله تعالى يظهروه) أى يعلوه يقال ظهر على الحائط أى علاه (قوله عز وجل يموج) أى يضطرب (قوله تعالى وتركنا بعضهم

ومن

ومن يشاق الله) عذبه لامحالة (فان الله) وان كان حليما فلا يحلم أبدا على من شاقه فان يحلم
فى الدنيا فلمزيد شدة عليهم فى الآخرة اذهو (شديد العقاب) ولما كان الجلاء اذلالا للكفار
واعزازا للمسلمين فكذا قطع بعض النخيل وابقاء البعض فانه عليه السلام أمر بقطعها
فقالوا يا محمد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال النخيل تقطع فاستمر على القطع بعضهم
وترك البعض فانزل الله تعالى (ماقطعتم من لينة) أى نخيل (أوتركتموها) لا للقصد الاحراق
بل (قائمة على أصولها فباذن الله) ليعز المؤمنين باذهاب غيظهم على الكفار فيما قطع وبحصول
الفىء لهم فيما أبقى (وليخزى الفاسقين) بجعل ما أبقى لاعدائهم وقطع رجائهم عما قطع (و) انما
كان ابقاء ما بقى اعزازا للمؤمنين واذلالا للكافرين لان (ما أفاء الله) أى رد (على رسوله)
بعدما خلق له الكل ثم جعله لمن دونه فانتزع (منهم فما أوجفتم) أى سيرتم بسرعة قبل أن يصل
الخبر اليهم (عليه) أى على تحصيله (من خيل ولا) ما دونه من (ركاب) أى مركوب من ابل
أو حمار لابد منه فى السير الى أرض العدو ولئلا تسرع اليكم الهزيمة (ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء) بالقاء الرعب فى قلوبهم فهو معجزة مخصوصة بقدرة الله لاعزاز رسوله واذلال
أعدائه (و) لا يمنع من اذلال الكفار كثرة أسباب العزة عندهم ولا من اعزاز الرسول قلة
أسبابها عنده اذ (الله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله) فهو وان خلق للرسول بالاصالة
لكن نقل عنه بعض الاشياء فصار لاهل القرى فاذا أفاءه على رسوله فقد نزعه (من أهل
القرى) فصار للنازع فيه سهم والمردود عليه سهم (فلله) الاخماس الاربعة (وللرسول)
خمس الخمس (ولذى القربى) بنى هاشم والمطلب لا بنى عبد شمس ونوفل لابطالهم قرابتهم
لقطعهم المعاملة معه لان لهم دخلا فى سببية حصوله وقدمهم لان حاجتهم كحاجته عليه السلام
(واليتامى والمساكين وابن السبيل) لان لهم دخلا فى النصر وقدم اليتامى لشدة حاجتهم
ولم يجعل له فى الصدقة نصيبا ولا لذى القربى لانها من أوساخ الناس فكره أن يكون منشؤهم
عليها وانما قسم مال الفىء هذه الاقسام (كى لا يكون دولة) أى متداولا دائرا (بين الاغنياء
منكم) أى أهل القتال اذ تصيرون أغنياء فيتركون القتال حبا للحياة (وما آتاكم الرسول)
من الاخماس الاربعة التى أمر الله (فخذوه) من غير تقدير (وما نهاكم عنه) من أخذ الخمس الباقى
(فانتهوا واتقوا الله) ان تأخذوا ما جعل لغيركم (ان الله شديد العقاب) والسهام الاربعة
التى لله فهى لرسوله فى حياته يجعلها (للفقراء) لانهم أحوج (المهاجرين) الى الله ورسوله
فهم أحق بالعطاء سيما من حيث انهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فلابد من
تعويضهم عنها وكيف لا يتفضل عليهم بها مع انهم انما هاجروا (يبتغون فضلا من الله و) لا
يصرفون الاموال فى غير مصارفها لانهم يبتغون من الله (رضوانا) كيف (و) هم أولى
المستحقين من المترصدين للجهاد لانهم (ينصرون الله ورسوله) وكيف لا يعطون سهام الله مع
أن (أولئك هم الصادقون) فى محبته فعطاؤهم بمنزلة عطائه عز وجل وكيف لا يخص هؤلاء
بالعطاء مع ما فيه من الترغيب فى الهجرة (و) الانصار نقص استحقاقهم لعدم هجرتهم لانهم

يومئذ يموج فى بعض) أى
يختلط بعضهم ببعض
مقبلين ومدبرين حيارى
(قوله تعالى يفرط علينا)
أى يعجل الى عقوبتنا يقال
فرط يفرط اذا تقدم أو

(الذين تبوّؤا الدار) أى توطنوا دار الهجرة (و) تبوّؤا (الايمان) فلا يخرجون عنه بمنعهم العطاء ويخاف ذلك فى منع المهاجرين للعطاء وكيف يخاف على ايمان الانصار مع انه كان (من قبلهم) ولا يكرهون عطاء المهاجرين لانهم (يحبون من هاجر اليهم) وان ضاقت بهم معايشهم وعطاء المحبوب محبوب (و) بالجملة لا يكرهون المنع لانهم (لا يجدون فى صدورهم حاجة) يريدون لاجلها اشيأ (مما أوتوا) لو وجدوا حاجة لقدموا حوائج المهاجرين لانهم (يؤثرون) المهاجرين (على أنفسهم) فى أموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) أى شدة حاجة الى ما آثروا به فلو كان مال الفىء بايديهم ماشحوا به عليهم (و) كفى بذلك فضيلة فان (من يوق شح نفسه) وان كان من لوازمها (فأولئك هم المفلحون) بمحبة الله تعالى ومقامات قربه (و) كما لا يكره عطاءهم الانصار لا يكرهه عامة المؤمنين اذ (الذين جاؤا من بعدهم) فانهم وان تأخر ايمانهم فلم يستقر فى قلوبهم استقراره فى قلوب الانصار لا يريدون الاموال بل الغفران اذ (يقولون ربنا اغفر لنا و) يريدون المهاجرين والانصار اذ يقولون اغفر (لاخواننا الذين سبقونا بالايمان) فاذا اطلبوا لهم ما هو اعظم عندهم لا يكرهون ان يعطوا ما هو ادنى (و) لو كرهوا اعطاءهم لكان فى قلوبهم غل عليهم لكنهم يقولون (لا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا (للذين آمنوا) على العموم فضلا عن المهاجرين والانصار ثم يقولون (ربنا انك رؤف) فارأف بالمغفرة لنا ولمن سبقنا بالايمان (رحيم) فارفع برحمتك عن قلوبنا الغل للمؤمنين وارحمنا رحمة تغنينا بها عن هذه الاموال فهذا شأن المؤمنين ان يقدموا اخوانهم على أنفسهم وان يحبوا لهم مثل ما يحبون لانفسهم واما المنافقون فهم الذين يقدمون أنفسهم وان وعدوا تقديم اخوانهم (ألم تر الى الذين نافقوا) عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) ظاهرا وباطنا وان كانوا (من أهل الكتاب) بل هم أولى باخوة المنافقين اذ يدعون الايمان بكل نبى بعثه كدعوى المنافقين لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا بقوله من دياركم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) فنجتمع على قتالهم (و) نحن وان كان لنا اخوة من المؤمنين (لا نطيع فيكم) أى مخالفتكم وخذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم) بالقتال معكم أو بتخذيل المؤمنين فيظهرون تقديم اخوانهم على أنفسهم فى تحمل الخروج والقتال (والله يشهد انهم لكاذبون) معهم كما انهم كاذبون معكم بل ينتظرون من له الغلبة فى العاقبة ثم ليس كذبهم بكذب جزء من مجموع ما قالوا بل بكذب كل جزء منه (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) مخافة ان يقتلوا فى الطريق أو الغاية (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) بقتال ولا خذلان مخافة أن يقتلوا أو يفضحوا (ولئن نصروهم) على سبيل الفرض فقاتلوا معهم (ليولن الادبار) انهزاما (ثم) ان لم يولوا الادبار (لا ينصرون) وكيف ينصرون مع غلبة خوفكم عليهم (لانتم أشد رهبة) أى مخافة مستقرة (فى صدورهم) بحيث لا يزول عنها بحال (من الله) اذ لا يخافونه فى ترك الايمان بآياته ورسله ويخافونكم فى اظهار تركه (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) ماذا ينبغى ان يكون الخوف منه أشد ولشدة رهبتهم منكم (لا يقاتلونكم) وان كانوا مع اليهود وغيرهم

تعجل وأفرط يفرط اذا
اشتط وفرط يفرط اذا قصر
ومعناه كله التقديم (قوله
عز وجل يسحتكم)
يهلككم ويستأصلكم
(قوله يبسا) أى يابسا (قوله

(جميعا الا فى قرى محصنة) أى محفوظة بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) وليس ذلك لجبنهم فى أنفسهم بل (بأسهم) أى قتالهم اذا وقع (بينهم شديد) لكنهم اذا قاتلوكم جبنوا لتفرقة قلوبهم وان اظهروا اجتماعها بحيث (تحسبهم جميعا) أى مجتمعى القلوب (و) لكن (قلوبهم شتى) أى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك) الاجتماع فى الظاهر مع افتراق البواطن (بأنهم قوم لايعقلون) انه يوجب جبنهم المفضى الى الهلاك كلى (كمثل الذين من قبلهم) من أهل بدر لما جبنوا (قريبا) أى فى زمن قريب (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم بالقتل والسبى فى الدنيا (ولهم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب أليم) ويوجب التبرى بعد الاغراء على القتال (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) فانى اعينك فيما يقع عليك (فلما كفر قال) مخافة ان يشاركه فى عذابه (انى برىء منك) فلا اعينك (انى أخاف الله) ان اعينك على كفرك به مع كونه (رب العالمين) فلم ينفعه التبرى كما لم ينفع الاول وعده الاعانة (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) ولم يفد الشيطان تبريه الخروج عن النار كما لم يلزمه ان يعينه فى تحمل العذاب عنه ليخرج بل كانا (خالدين فيها) وكيف لايخلدان فيها (وذلك) الخلود (جزاء الظالمين) فى حق الله تعالى بالكفر قيل المراد بالانسان ابو جهل قال له ابليس لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب اسمه برصيصا عبد الله سبعين سنة فجاءه الشيطان بزى الرهبان فاقام عنده حولا لايفطر فى الاربعين الامرة فلما حال الحول قال انى منطلق وعندى دعوات تشفى السقيم والمجنون قال انى أخاف أن يشغلنى الناس عن عبادتى فلم يزل حتى علمه ثم تعرض لبنت الملك فخنقها فجاء بصورة متطبب ثم قال ان الذى عرض لها مارد لايطاق اذهبوا الى برصيصا ليدعو فتشفى ففعلوا فلما انتقل برصيصا عن صلاته وقع فى قلبه جمالها فخنقها الشيطان وكشف عنها وقال له واقعها ثم قال تب فلم يزل به حتى فعل وحملت فقال افتضحت فهل لك أن تقتلها وتقول لاهلها ذهب بها شيطانها فقتلها ثم دفنها الى جانب الجبل فأخذ الشيطان بطرف ازارها فبقى خارجا فانطلقوا اليه فقالوا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فجاءهم الشيطان فقال انها مدفونة فى موضع كذا وطرف ازارها خارج فوجدوها كذلك فأمر بصلبه فقال تطيعنى فى خصلة فآخذ باعينهم فأخرجك من مكانك قال ماهى قال تسجد لى فسجد له فقال هذا الذى أردت منك انى برىء منك (يا أيها الذين امنوا) مقتضى ايمانكم ان لاتأمنوا مكر الله (اتقوا الله) أن يسلط عليكم الشيطان ليغويكم بالكفر ثم يتبرأ منكم (و) أكثر ذلك من معاصيه فى ضمن طاعاته كالرياء والعجب لذلك (لتنظر نفس) ان لم تنظر الكل (ماقدمت لغد) مافيها من المعاصى التى لايفضيه الى الكفر عن استحسان تلك الطاعات (و) اذا امعنتم النظر فلا تعتمدوا عليه بل (اتقوا الله) أن يكون فى طاعاتكم معاص خفية اطلع الله عليها (ان الله خبير بما تعملون) ببواطن أعمالكم (و) اذا رأيتم عجزكم عن الاحاطة بالبواطن (لاتكونوا) فى ترك النظر فيها (كالذين) تركوا النظر بالكلية حتى (نسوا الله فانساهم) مايستكملون به (أنفسهم) فاتصفت

يتخافتون) أى يتسارون (قوله عز وجل ينسفها ربى نسفا) يقلعها من أصلها ويقال ينسفها يذريها ويطيرها (قوله عز وجل يركضون) أى يعدون

بالنقائص حتى صح ان يقال فيهم (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسق لا غيرهم ولا ينبغى أن يلحظ خذلان الله بعض العاملين وانجاؤه بعض الفاسقين فانهما لا يستويان لو خذلا أو نجيا كما (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) بل العاملون فائزون بالدرجات او بتخفيف العذاب كما انه (اصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم والقرب لكنه يجب أن لا يزال الخوف عن قلوب العاملين وان ارتفعوا فيهم ارتفاع الجبال سيما بعد سماع مواعظ القرآن فانه (لو أنزلنا هذا القرآن) الجامع للمواعظ الموجب للنظر والتقوى بكل حال (على جبل) بتفهيمه له وتكليفه بما فيه بعد اعطاء القوى المدركة والمحركة (لرأيته خاشعا) أى متذللا لعظمة الله (متصدعا) أى متشققا (من خشية الله) مع عظم مقداره وغاية صلابته (وتلك) الامور وان كانت وهمية مفروضة فلا بد من اعتبارها لانها (الامثال نضربها للناس) الذين نسوا صغر مقدارهم فتكبروا ولينهم فقست قلوبهم (لعلهم يتفكرون) ليعلموا انهم أولى بذلك الخشوع والتصدع وكيف يترك الخشوع والتصدع لذات الله واسمائه مع انه (هو الله) له هوية تقتضى الهيبة فيجب ان يخشع لها سيما من جهة توحيده لانه (الذى لا اله الا هو) ويتصدع من خشيتها لانه (عالم الغيب والشهادة) والمطلع على الاسرار يجب ان يخشع له ويخشى منه سيما من حيث (هو الرحمن الرحيم) المنعم بالنعم العامة والخاصة وحق المنعم ان يخشع له ويخشى أن تسلب نعمه وكيف لا يخشع للهوية باعتبار الالهية والتوحيد مع اقتضائها الملكية التى بها خشية الرعية وخشوعهم اذ (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) مع انه (القدوس) اى المنزه عن العلائق فلا يناسبه نفس لم تزل عنها فيخاف ابعادها (السلام) عن النقائص فلا يناسبه المتصف بها على انه (المؤمن) أى المعطى الامان عن العلائق والنقائص لمن زكى نفسه فلا عذر لمن لم يتزل عن العلائق ولم يتصف بالكمالات مع انه (المهيمن) الرقيب الذى ينظر من يعمل ليأمن من العلائق والنقائص ومن لم يعمل له وكيف يناسبه او العلائق والنقائص مع أنه (العزيز) وذو العلائق والنقائص ذليل والذلة وان كانت ذاتية للعبد لكنه (الجبار) يجبر نقائص العبد بكمالاته واذا كمل فلا ينبغى ان يدعى الكمال لنفسه لانه (المتكبر) فيخاف ان يغضب على من يدعى لنفسه لانها على الاطلاق دعوى الالهية (سبحان الله عما يشركون) ثم ان هويته يجب ان يخشع لها ويخشى من حيث (هو الله الخالق) والخلق تقدير الاشياء بالمقادير المخصوصة فيخشى فيه نقص المقادير ومن حيث هو (البارئ) الذى برأ خلقه من التفاوت وانما هو من استعداداتهم واستعداد الخاشع الخاشى أقبل للكمالات من حيث هو (المصور) الموجد للصور اذ يخاف من مخالفته تغيير الصورة الى أدنى ومن موافقته الى اعلى اذ (له الاسماء الحسنى) يظهر بها فيمن يوافقه ويدل على ظهوره بها انه (يسبح له ما فى السموات والارض و) لكن يخفى جماله فى البعض من حيث (هو العزيز) لانه انما يظهر فى الكل بحسب استعداده اذ هو (الحكيم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وأصل الركض تحريك الرجل من تقول ركضت الفرس اذا أعديته بتحريك رجليك فعدا ولا يقال فركض ومنه قوله عز وجل

*(سورة

(سورة الممتحنة)

سميت بها لدلالة آية الامتحان على انه لا يكتفى فى باب الصحة بظواهر الادلة كالهجرة بل لا بد من اختبار البواطن فدلالة الاعتقادات أولى بذلك وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المؤمنين حتى يحبوا محبيه ويعادوا معاديه (الرحمن) ببيان ضرر محبة أعدائه (الرحيم) بابقاء الايمان مع هذه المحبة المضرة لذلك خاطب من والى بعض اعدائه خطاب المؤمنين وهو حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت فسل على السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ صحبتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فقال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله محبته واعتقاد أنكم من جنوده ويجب على المحب اتخاذ عدو المحبوب عدوا وعلى الجندى اتخاذ عدو الملك عدوا فمن أين لكم محبته (لا تتخذوا عدوى و) لا سيما اذا كان (عدوكم) أيضا أولياء وقدم الاول لان الاولى تقديم جهة عداوة المحبوب والملك فلو كان لكم اتخاذ واحد وليا فمن أين لكم اتخاذ جماعة منهم (أولياء) وليس المنهى مجرد المحبة الباطنة بل الظاهرة أيضا وان تجردت مثل القاء المودة وأنتم (تلقون اليهم) الكتب (بالمودة و) كيف لا يقتضى الايمان عداوتهم مع عداوتهم للايمان اذ (قد كفروا) لا بما ظهر بطلانه أو احتمل بل (بما جاءكم من الحق) لا لاجل محبته اليكم دونهم وعادوكم من اجله اذ (يخرجون الرسول واياكم) من اجل (أن تؤمنوا بالله) الجامع للكمالات المقتضية انقياد الناقص له سيما باعتبار اتصافه بوصف (ربكم) الذى رباكم بالكمالات فهى بالحقيقة عداوة مع الله فهل لكم القاء المودة اليهم من أجله (ان كنتم خرجتم جهادا) أى لاجل جهادكم (فى سبيلى) لاخراجهم من سلكه فتوصلون بالمكاتبة اخباره (و) هل لكم طلب رضاهم ان كنتم خرجتم (ابتغاء مرضاتى) وكانكم (تسرون) عنى أن تلقوا (اليهم بالمودة) كما تسرون عن رسول الله والمؤمنين (وانا أعلم بما أخفيتم) من حفظ أهلكم وانا أولى به (وما أعلنتم) من المودة معهم (ومن يفعله منكم) أى المذكور من اتخاذ جماعة منهم أولياء وايصال أخبار الجهاد اليهم وطلب رضاهم منكم (فقد ضل) بهذه الوجوه (سواء السبيل) الذى يسلكه بالايمان ثم ان القاء المودة اليهم مع ما فيها من وجوه الضلال لا يفيدكم المقصود فانهم (ان يثقفوكم) أى يظفروا بكم لم يراعوا القاء المودة بل

(قوله عز وجل اركض برجلك) وأصله أن يصيب الدماغ بالضرب وهو مقتل (قوله عز وجل يستحسرون) أى يعيون

(يكونوا لكم أعداءو) لم يقتصروا على عداوة الباطن بل (يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (و) ان لم يصيروا لكم اعداء (ودوا لو تكفرون) وهو اشد من العداوة ولو نفعتكم مودتهم لحماية أرحامكم وأولادكم (لن تنفعكم أرحامكم) أى أقاربكم (ولا أولادكم) اذا ما غضب الله على مودتهم لحماية هؤلاء (يوم القيامة) بل لا يحضرونكم اذ (يفصل بينكم و) لا يخفى على الله ايثاركم جانبهم على جانب الله اذ (الله بما تعملون بصير) فلو حضروكم كانوا أشد ضررا لكم فان زعموا أن هذا أمر يقطع الرحم قيل هذا القطع ليس بمنهى عنه بل مأمور به (قد كانت لكم) فى قطعه (أسوة حسنة) استحسنها جميع الملل (فى ابراهيم والذين معه) فى رتبة الكمال فى جميع أقوالهم (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) اى من ذواتكم فضلا عن قرابتكم (ومما تعبدون من دون الله) وان كان مظاهره فليس مظاهر الهيته بل مظاهر اشراق نور وجوده ولا نبالى بانعامكم علينا اذ (كفرنا بكم و) لا بمودتكم اذ (بدا) أى ظهر (بيننا وبينكم العداوة) فى الظاهر (والبغضاء أبدا) فى الباطن فلا تزالون (حتى تؤمنوا بالله وحده) فتخرجوا عن عداوته و بغضائه الموجبة لعداوتنا و بغضائنا (الا قول ابراهيم لابيه) رعاية لابوته فانه لا اسوة فيه (لاستغفرن لك) اى لاطلبن المغفرة من الله لك (و) لكن (ما أملك لك من الله) من نفع الاستغفار (من شئ) ومع هذا الاستغفار فالبراءة والعداوة والبغضاء متقررة ولا نبالى بضررها اذ توجهنا الى الله فقلنا (ربنا عليك توكلنا) فى دفع ضررهم (و) ان وصل الينا ضررهم لمعاصينا (اليك انبنا و) ان لم ينقطع بذلك ضررنا فهو سبب كمالنا اذ (اليك المصير) ومع ذلك نقول اذا اشتد الضرر بحيث يلجئنا الى الكفر (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) باضلالهم ايانا (و) ان انقدنا لهم فى بعض الامور (اغفر لنا ربنا) لكن هذا اذا اعطيتهم الغلبة علينا والا فلا يمكنهم ان يغلبوك اذ (انك انت العزيز) الغالب وانما تغلبهم اذا غلبتهم بمقتضى الحكمة لانك انت (الحكيم) لكن المرجو من الحكيم تغليب من توكل عليه وأناب اليه وتقويته من كان من جنده وتضعيف أعدائه فان زعموا أن هذه الاسوة وان كانت موصلة بابراهيم ومن معه فهى قاطعة من الله لان ذلك من لوازم قطع الرحم فان لم ينقطع منه فلا أقل من قطع ثواب الآخرة على صلة الرحم يقال لو كان كما قلتم لكانت اسوة قبيحة لكن (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) وهى انما كانت اسوة (لمن كان يرجوا الله) لمعاداة اعدائه وان كانوا أقاربه (واليوم الآخر) بترجيح جانب الله على جانب أقاربه (ومن يتول) أعداء الله فالله تعالى لم يأمر بعداوتهم لاحتياجه اليها (فان الله هو الغنى) ولا للتزين بالمعاصى لهم لانه (الحميد) بذاته ثم ان كانت العداوة لله موجبة ضررا فلا يدوم ذلك الضرر بل ربما لا تدوم تلك العداوة (عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة) بتوفيقهم للايمان (و) لا يبعد من الله توفيق أعدائه للايمان به اذ (الله قدير) على جعل أعدائه أولياءه (والله غفور) لعداوتهم وكفرهم اذا آمنوا (رحيم) بجعل سيآتهم حسنات ولما نزل لا تتخذوا ترك المؤمنون بر الكل والاقساط اليهم لان ذلك نوع موالاة أشار عزوجل

يستقلون من الحسير
(قوله
وهو الكال المعي
تعالى يكلؤكم) أى يحفظكم
(قوله عزوجل يتسللون)
أى يسرعون من النسلان

الى أن النهى بقدر العداوة فقال (لاينهاكم الله عن الذين) لم يبالغوا فى العداوة اذ (لم يقاتلوكم) مستقرين (فى) عداوة (الدين و) لم يفعلوا بكم مايقاربه اذ (لم يخرجوكم من دياركم) عن (أن تبروهم) أى تحسنوا اليهم (وتقسطوا اليهم) أى تفضوا اليهم بالعدل فهذا القدر من الموالاة غير منهى عنه فى حقهم بل مأمور به (ان الله يحب المقسطين) وانما نهى عن موالاتهم القلبية ثم قال (انما ينهاكم الله عن) الموالاة من كل وجه فى حق (الذين) بالغوا فى عداوتكم من أجل الدين اذ (قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) ان قدروا بأنفسهم (وظاهروا على اخراجكم) ان لم يقدروا (أن تولوهم) ولو بالبر والاقساط اليهم (ومن يتولهم) بوجه من الوجوه (فأولئك) وان كانوا بارين بعن أساءاليهم مقسطين اليهم (هم الظالمون) بوضع الموالاة فى موضع العداوة ثم أشار الى أن تلك العداوة لاتنقطع الا بالهجرة ولا يصح الموالاة بعدها الا بعد الامتحان فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لاتولوا أحدا الا بالامتحان وان هاجر (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) فدلت هجرتهن على ايمانهن فتلك الدلالة ضعيفة لاتبيح موالاتهن (فامتحنوهن) هل هاجرن لله أو للدنيا أو لغضب على زوجها بعلة بها واستطلاع قرائنها فانه وان لم يفد القطع لاختصاصه بالله اذ (الله اعلم بايمانهن) يفيد مايشبه العلم (فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن) اى لاتردوهن وان جرى الصلح به بردنا من جاءنا منهم (الى أزواجهن (الكفار) لانه انقطع نكاحهن ومافيه شبهة من جانب (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) فلا وجه للرد (و) لكن لما جرى الصلح بالرد وأمرنا بالاقساط الى أهله (آتوهم ما أنفقوا) أى ردوا المهور على الازواج فانه بمنزلة ردهن (ولاجناح عليكم أن تنكحوهن) لانقطاع نكاحهم بلاعدة اذلاحرمة لمائهم (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وراء مارد على الازواج ولاتبق مهورهن على الذمة فلا يرتفع الجناح بالكلية وان صح النكاح (و) كما بطل نكاح المؤمنة عن الكافر بطل نكاح الكافرة عن المسلم (لاتمسكوا بعصم الكوافر) أى بعقودهن التى تمسك بها فى الاستحلال (واسئلوا) الكفار (ما انفقتم) فى مهورهن وان جرى الصلح بأن لايردوا من جاءهم منا لانه لما بطل فى عين المهاجرة منهم بالعوض بطل فى عين الذاهبة منا بالعوض رعاية للتسوية فيما بطل فيه الصلح الاول من وجه (وليسئلوا) المرأة المؤمنة اذا لم تهاجر (ما أنفقوا) فى مهرها لبطلان النكاح من جهتها (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) الآن نسخ به حكمه الاول بالصلح وسيصير أيضا منسوخا (و) انما فعل فى كل وقت بمقتضى مصالحه اذ (الله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) أى وان ارتدت منكم امرأة فلحقت الكفار فلم يردوا مهرها (فعاقبتم) فغزوتموهم فوجدتم منهم غنيمة (فآتوا) من الغنيمة مقدما على القسمة (الذين ذهبت أزواجهم) من المسلمين (مثل ما أنفقوا) فى مهورهن (واتقوا) فى منعه (الله الذى أنتم به مؤمنون) فان الايمان يوجب تقديم حقوق عباده على حقوق أنفسكم ولما فرغ عن هجرة المكان ذكر هجرة الافعال فقال (يا أيها النبى) الذى له الاطلاع المبشر لضمان الثواب والمغفرة (اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) لضمان الثواب

وهو مقارنة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب اذا أسرع يقال مر الذئب ينسل وينسل (قوله عز وجل يسطون) أى

والمغفرة (على) أعمال القلب (أن لا يشركن بالله شيأ و) أعمال البدن لشهوة البطن (لا يسرقن و) لشهوة الفرج الحاصلة من شهوة البطن (لا يزنين و) للغضبية المتعلقة بما يحصل من شهوة الفرج (لا يقتلن أولادهن و) أعمال اللسان المتعلقة بالاولاد (لا يأتين ببهتان) أى بكذب يبهت السامع (يفترينه) أى يختلقنه فى الولد بأن تقول لزوجها هذا ولدى منك يسقطنه عليهم من مواقعتهم اياهن امرتهم (بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى) أمرك اياهن بفرض (معروف) عرف فرضيته (فبايعهن) على ضمان الثواب والمغفرة على استغفارهن عن أضداد ماذكر (واستغفر لهن الله) فانه يحقق الضمان أيضا (ان الله غفور) لمن استغفرت له (رحيم) بالثواب والمغفرة لمن ضمنت له (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تتولوا الا من اتصف بالصفات التى لاجلها بايعهم الرسول (لا تتولوا قوما) اتصفوا باضداد تلك الصفات لانهم (غضب الله عليهم) وكيف لا يغضب عليهم مع انهم انما اتصفوا بها حين (قد يئسوا) وهم أحياء (من الآخرة) أن ينالوا فيها جزاء (كما يئس الكفار) ان ينالوا فيها خيرا اذ كانوا (من أصحاب القبور) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الصف)

سميت به تسمية لما هو كصفته بما هو صفة من فعل ما يوجب حبه ليعلم ان هذه الافعال توجب الاتصاف بأوصافه عز وجل والتسمى بأسمائه قياسا على عكسه ههنا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بأسمائه وصفاته فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص واعترفت ان ما نقص منها انما نقص من استعداده (الرحمن) بالتخويف عن ذلك النقص ليبدل بالكمال (الرحيم) بمحبة القتال مع أصحاب النقص لتنقلع أسبابه بالكلية (سبح) أى نزه عن أن يظلم أحدا تنزيها ثابتا (لله) من ظهوره بكمالاته فى كل شئ لم ينقص استعداده (ما فى السموات وما فى الارض) اذ لم يظلم شيأ منها بالنقص (و) انما ظلم الناقص نقصان استعداده فستر عنه كماله من حيث (هو العزيز) لا استعداده اذ لا غلبة له وانما يستر عنه دون كامل الاستعداد رعاية للحكمة من حيث هو (الحكيم يا أيها الذين آمنوا) فاستعدوا بالايمان للكمالات التى من جملتها موافقة أقوالكم لافعالكم (لم تقولون ما لا تفعلون) به كما يقتضى موافقة القول للاعتقاد لئلا ينقلب نفاقا كذلك يقتضى موافقته للعمل لئلا يشبهه فيوجب مقتا يشبه مقته (كبر مقتا عند الله) الذى يحقر دونه كل عظيم والمقت أشد البغض (أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا المقت فى ترك الجهاد بعد قبوله قولا اتم لانه ترك المحبوب بعد التزامه (ان الله يحب الذين يقاتلون) ليجتمع الناس (فى) سلوك (سبيله) مصطفين له (صفا) يظهر اجتماعهم ليكون أخوف للعدو سيما وقد اتصل بعضهم ببعض (كأنهم) فى عدم الفرجة (بنيان مرصوص) أى مستحكم لا يمكن للعدو أن يداخلهم * روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون الآية

يتناولون بالكروه ويجأرون أى يرفعون أصواتهم بالدعاء (قوله تعالى يأتل) يفتعل من الالية بحلف وهى اليمين وقرئت يتأل

قولوا يوم أحد فنزلت يا أيها الذين آمنوا لم تقولون الآية (و) كيف لا توجب مخالفة القول مع الرسول للفعل المقت وفيه ايذاء الرسول المستلزم للزيغ عنه الموجب للزيغ عن الله الموجب لمقته اذكر (اذ قال موسى لقومه) المؤمنين به (يا قوم) الذين حقهم ان يفدونى كل راحة (لم تؤذوننى) ولو بما لا يتضمن تكذيبى كنسبة الادرة الى (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) فحقكم أن تعظمونى لا ان تؤذونى (فلما زاغوا) أى مالوا عن حق موسى (أزاغ الله قلوبهم) عن حق الله كيف ولو لم يزغهم لهداهم ولكنهم خرجوا عن سبيله بايذاء رسوله (والله لا يهدى) لسبيله (القوم الفاسقين) أى الخارجين عن سبيله وهذا دليل مقته على أدنى وجوه أذى رسوله ومخالفته القول معه بقبول الجهاد مع من يؤذيه أشد ايذائه فيكون أشد للمقت (و) يدل على ازاغة الله قلوبهم تكذيبهم بعيسى (اذ قال عيسى ابن مريم) حين كذبوه على زعم أنه ولد الزنا لا ينتسب الى الاب (يا بنى اسرائيل) الذين كثر فيهم الخوارق ومن جملتها التولد بلا أب (انى رسول الله اليكم) كموسى وليس فى معجزاتى ما يبطلها لكونى (مصدقا لما) صدقته المعجزات (بين يدى من التوراة و) لما تصدقه من بعدى لكونى (مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) فطالبوه بالبينات (فلما جاءهم بالبينات) التى هى أجل من بينات موسى (قالوا هذا سحر مبين) اذ لا تظهر المعجزات على يدى ولد الزنا مع أنه لم يتحقق لهم كونه ولد الزنا بل ثبت بارهاصاته السابقة ومعجزاته اللاحقة أن تولده بغير أب من جملة الخوارق ولو كانت معجزاته سحرا مع أنها أجل من معجزات موسى فمعجزات موسى أولى بكونها سحرا لكنهم يدعون الايمان به من أجلها (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) فزعم أنه يلبس السحر بالمعجزات أو يظهرها على يدى المتنبى تلبيسا بالنبى (و) لا وجه للتلبيس فى الدعوة الى الخير المحض اذ (هو يدعى الى الاسلام) الذى هو محض الخير وهم ظالمون فى تسميته محض الشر (والله لا يهدى) الى الخير المحض (القوم الظالمين) وكيف لا يكون هؤلاء ظالمين مع أنهم (يريدون) بهذه الاقوال ابطال آيات الله (ليطفؤا نور الله) الذى هو الهداية الى الخير المحض (بأفواههم والله متم نوره) باقامة الحجج ورفع الشبه (ولو كره الكافرون) فارادتهم ضد ذلك لا يعارض ارادة الله وكيف لا يتم هذا النور مع أنه (هو الذى ارسل رسوله) بهذا النور اذ ارسله (بالهدى) الحجج ورفع الشبه (ودين الحق) أى الاعتقادات الصائبة والاحكام الحكمية التى لا تقبل النسخ (ليظهره) أى يرجحه (على الدين كله ولو كره) ذلك أهل سائر الاديان فلا مبالاة لكراهتهم اذ هم (المشركون) بالله غيره اذ جعلوا الغير قادرا على آياته (يا أيها الذين آمنوا) فلم يشركوا بالله أحدا يقدر على مثل آياته (هل أدلكم على) ما نظهر به هذا الدين وهو انه متضمن (تجارة) أخروية لا توجد فى سائر الاديان أقلها أنها (تنجيكم من عذاب أليم) على الشرك الذى لا يخلو عنه شئ من تلك الاديان (تؤمنون بالله) ولا يؤمن به أهل سائر الاديان اذ لا يخلو من تجويز كون بعض المعجزات من غير الله أو من الله على سبيل التلبيس للسحر بالمعجزات أو للمتنبى بالنبى ثم انكم تطلعون فى هذا الدين على تفاصيل معرفة الله تعالى التى لا يوجد كثير منها فى سائر الاديان وبقدر الايمان بالله النجاة

على يتفعل من الالية أيضا ويأتل أيضا يفتعل من قولك ما آلوت جهدا أى ماقصرت (قوله عزوجل يحيف) أى يظلم (قوله عزوجل يتسللون) أى يخرجون من الجماعة

من العذاب الاليم (ورسوله) ولايخلو أهل سائر الاديان من انكار رسول وانكار واحد انكار للجميع لانه اذا جاز التلبيس في معجزات الواحد فمعجزات الكل كذلك هذا في الاعتقادات (و) في باب الاعمال (تجاهدون) للاستقرار (في سبيل الله بأموالكم) بانفاقها في سبيل الخير (وأنفسكم) بتحمل متاعب الاستدلال والاعمال عليها وانما كان تجارة مع انه نقص للاموال والانفس اذ (ذلكم خير لكم) من تركها بحالها (ان كنتم تعلمون) أي أهل علم بالحقائق لانها لو تركت فنيت لامحالة بلا فائدة وان أفنيت بالجهاد في سبيله أفادت فوائد (يغفر لكم ذنوبكم) التي حصلت من تصرفكم في أموالكم وأنفسكم (ويدخلكم) على تعبكم في الاعمال والاستدلال (جنات تجري من تحتها الانهار و) لاجل الاحوال والمقامات والاخلاق يدخلكم (مساكن طيبة) عن تزكية النفس وتصفية القلب (في جنات عدن) أي اقامة في منازل القرب ولايعبأ بنقص الاموال والانفس وتحمل المتاعب لاجلها اذ (ذلك الفوز العظيم) الذي لانسبة للعوض فيه الى المعوض (و) هل أدلكم على تجارة فيه (أخرى تحبونها) لكونها عاجلة لاتسألون فيها المثل هذه الامور (نصر من الله) على الاعداء مع قوتهم وضعفكم بالقاء الرعب في قلوبهم (وفتح) للممالك كثيرة للاعداء (قريب) مع انه في العادة لايتوقع الابعد مدة مديدة (وبشر المؤمنين) بما يترتب على هذا النصر والفتح من الامور الدنيوية التي تعينهم على دينهم فلايئول الى معه النقص أو تعب أصلا (يا أيها الذين آمنوا) النصر والفتح والبشرى منوطة بنصركم الله على مقتضى ايمانكم (كونوا أنصار الله) عن قول نبيكم سيصير شأنكم (كما) كان شأن الحواريين اذ (قال عيسى) وهو وان كان مستقلا بالانتصار من حيث اتصاله بالله فلم يخل عن عجز من حيث هو (ابن مريم للحواريين) أصفياء أصحابه (من أنصاري) لابقوة نفسه بل بتوجهه (الى الله قال الحواريون) نصرك نصر الله (نحن أنصار الله) به لاهله على من يقطع سبيله فلم يزالوا ينصرون الله بالجهاد القولي والفعلي (فآمنت) بسبب جهادهم (طائفة من بني اسرائيل) لرجوعهم الى الانصاف الاسرائيلي (وكفرت طائفة) لانمحاء سر اسرائيل عنهم بلجاجهم وعنادهم (فأيدنا الذين آمنوا) بظهور السر الاسرائيلي فيهم فنصرناهم (على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي غالبين عليهم في كل حرب وقد وعدنا ظهوركم أيها المؤمنون على أولئك الظاهرين لايكون أمركم أعلى من أمرهم فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الجمعة)

سميت بها لانها داعية الى اجتماع الناس على ذكر الله والانقطاع عما سواه وهذا من جملة أفعال القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بارسال الرسول في الاميين (الرحيم) بتلاوة آياته وتزكيته وتعليمه الكتاب والحكمة (يسبح) أي ينزه عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية تنزيها ثابتا (لله) من الازل الى الابد (ما في السموات وما في الارض) لانها لحدوثها تفتقر الى (الملك)

واحدا واحدا كقولك كذا اذا ملت كذا من أخرجته منه (قوله عز وجل يعبأ بكم ربي) أي يبالي بكم (قوله يعمهون) يذهبون على غير قصد

وانما

واغماءلكهامن كان واجب الوجود فلابد وأن يتصف بوصف (القدوس) فى ذاته ولا يكون فى وصفه حادث لاتصافه بوصف (العزيز) ومن عزته تنزه عن العبث والسفه فاتصف بوصف (الحكيم) فى أفعاله (هو الذى بعث) باعتبار هذه الاسماء اذ الملك يبعث الى الرعايا والقدوس لايظلم بتعذيب الغافل عن التكليف ولا قبل التكليف ولا تصلح الافعال بدونهما والعزيز يقتضى العبودية والعبادة امتثال الامر فلابد من ايصاله الى المأمور والحكيم لايبطل الجزاء الذى به صلاح المعاش والمعاد (فى الاميين) الذين هم أحوج الى الرسول سيما وقد تغيرت الملل السابقة وانما بعث (رسولا منهم) ليعلم أن ماظهر على يديه من العلوم الشريفة انما هى من تعليم الحق كيف ولو كانت من تعاليم الخلق لم تكن آياته لكنه (يتلو عليهم آياته و) ليست من قبيل السحر اذ لايفيد التزكية لكنه (يزكيهم) على انه انما يتوهم فى المعجزات الفعلية (و) هو (يعلمهم الكتاب و) ليس اعجازه بمزيد فصاحته بل لتضمنه (الحكمة) التى يعجز عنها الحكماء الماضون وكيف يكون سحرا وقد أفاد الهداية فى العموم (وان) أى وانهم (كانوا من قبل لفى ضلال مبين و) انما عمت الهداية لانهم لم تختص بالحاضرين بل عمت (آخرين منهم لما يلحقوا بهم) الى الآن (و) ليس فيه شئ من القاء الشيطان اذ (هو العزيز) فلا يغلبه الشيطان وهو وان أمكنه من الاغواء فلا يمكنه فى المعجزات لانه (الحكيم) فلا يمكنه من اغواء لايمكن المكلف التخلص منه وكيف يكون اغواء مع ما فيه من الفضل بالهداية ولا ينسب الى الشيطان بل (ذلك فضل الله) وهو وان كان على غاية الجود فلا يجود بالارسال على الكل بل (يؤتيه من يشاء و) لكنه يتفضل على الكل بالارسال اليهم اذ (الله ذو الفضل العظيم) فلابد له من عموم وخصوص فان زعموا انه لو كان فضلا لاخذ به أهل التوراة ولكن أكثرهم على انكاره يقال انما يأخذ به من بقيت انسانيته لامن صار الى الحمارية لكن (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا الآن يتصفوا بما فيها من الاخلاق الجميلة والاعمال الصالحة بعد حمل ألفاظها (ثم) بعد حمل ألفاظها (لم يحملوها) أى لم يتصفوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) منها يتعب بحملها ولا ينتفع بما فيها ولا يبعد اتفاق جمهورهم على ترك الفضل الالهى لميلهم الى الحمارية المرجحة للمال والجاه على تحصيل فضل الله فانه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) فلا يبعد منهم الاتفاق على هذا القبيح (و) لايبعد أن لايهتدوا الى الفضل الالهى بعد ماظلموا بآيات التوراة اذ (الله لايهدى القوم الظالمين) للاعتراف بهذا الفضل الالهى فان زعموا أنهم لم ينتقلوا الى الحمارية بل صاروا الى أعلى مراتب الانسانية وهى الولاية (قل يا أيها الذين هادوا) مجرد اليهودية لايقتضى الولاية فضلا عن حصرها (ان زعمتم أنكم) بمجرد كونكم هودا (أولياء) خاصة (لله من دون الناس) أى مجاوزة تلك الولاية سائر الناس (فتمنوا الموت) فان الولى لابد وان يشتاق الى لقاء الله و يعلم انه لايحصل الا بالموت فلابد وأن يميل طبعه اليه وان كان مكروها شرعا فيحصل لكم الموت عقيبه بالدعوة النبوية لكن لاتتركون لذلك هذا التمنى (ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى (و) لكنهم (لايتمنونه أبدا) لا فى وقت علوا الدعوة

كما يذهب الهائم على وجهه (قوله عز وجل يستصرخه) يستغيث به (قوله عز وجل يأتمرون بك) أى يتآمرون فى قتلك (قوله عز وجل يكفلونه) يضمونه

النبوية ولا فى غيره (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعاصى المفضية الى الحجاب عن الله والعذاب (و) هم وان أنكروا ذلك لاخفائهم على الناس يعلمون انه لا يخفى على الله اذ (الله عليم بالظالمين) بدعوى الولاية مع ماقدموا من الكفر والمعاصى فيعاقبهم أشد من عذاب الكفر والمعاصى بدون هذه الدعوى فان زعموا أن ترك تمنيه يخلص من هذا العذاب (قل) ليس سببه التمنى بل الموت (ان الموت الذى تفرون منه) بترك التمنى (فانه) وان تأخر عند عدم تمنيكم (ملاقيكم ثم) لا تخلصون عن هذا العذاب اذ (تردون الى عالم الغيب والشهادة) فيعلم ما أخفيتم وما أعلنتم مما قدمتم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يعذبكم عليه لتتحسروا مزيد تحسر بذلك الانباء على ما فرطتم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاجتماع على الخير سيما الشكر على الانسانية لئلا تنقلب حمارية أو بهيمية فى مقابلة اجتماع أهل الكتاب على الشر الذى جرهم الى الحمارية والبهيمية (اذا نودى) أى أذن عند المنبر (للصلوة) التى هى أجمع العبادات لذكر الله وأنواع التذلل له (من يوم الجمعة) الذى خلق فيه آدم وجمع فيه الكمالات (فاسعوا الى) سماع (ذكر الله) فى الخطبة والصلاة ليذكركم الله برحمته فيكمل انسانيتكم (وذروا البيع) وسائر ما يفضى الى تقوية البهيمية لئلا تعارضها (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أن الانسانية خير من البهيمية ولكن لا تقتلوها بالكلية فانها مركب سفركم (فاذا قضيت الصلوة) أى أديت بكمالها (فانتشروا) بطلب ما يقوى البهيمية (فى) أطراف (الارض و) مع ذلك (ابتغوا من فضل الله) من تحصيل علم أو عيادة مريض أو زيارة أخ فى الله ليعارض البهيمية فلا تقوى فى معارضة الانسانية (واذكروا الله كثيرا) ليمحو محبة البهيمية عن بواطنكم (لعلكم تفلحون) ببقاء الانسانية مع حصول مقاصد البهيمية من غير تضرر منها (و) كما ذهب انسانية اليهود يخاف ذهابها من المسلمين وقد ظهر فيهم أماراته فانهم (اذا رأوا تجارة) يحصل منها معيشة بهيمية (أو لهوا) يحصل منه لذة بهيمية من الاستر واح بالباطل كضرب الطبل (انفضوا) أى تحركوا (اليها وتركوك قائما) على المنبر تسمعهم من ذكر الله ما يبقى عليهم الانسانية ويفيدهم الكمالات * روى أنه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت (قل ما عند الله) لمن آثر ذكر الله من الكمالات الروحانية المبقية للانسانية (خير من اللهو و) مما هو أفيد من اللهو (من التجارة و) لا يفوتكم بالبقاء ساعة فى ذكر الله ما يحصل بالانفضاض بل لو تركتم التجارة بالكلية ربما عوضكم الله ما هو خير منها اذ (الله خير الرازقين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المنافقين)

سميت بهم لانه ذكر فيها من كلماتهم ما جمعوا فيها بين الصدق والكذب كما انهم جمعوا بين الايمان والكفر ومن كلماتهم الشنيعة ما لم يذكر فى غيرها (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله حيث جعله مطلعا على الظواهر والبواطن مراعيا لهما (الرحمن) باظهار نفاق المنافقين

اليهم (قوله عز وجل يربو) أى يزيد (قوله عز وجل يهدون) أى يوطؤن (قوله تعالى يصدعون) أى يتفرقون فيصيرون فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير

للتحذير

للتحذير عن صحبتهم (الرحيم) بجعل شهاداتهم وأيمانهم جنة لدمائهم (اذا جاءك) أيها المطلع على البواطن (المنافقون قالوا) ليشغلوك عن بواطنهم بكلمة تحبها مؤكدة بوجوه وهى (نشهد انك لرسول الله) أكدوها بلفظ الشهادة لانها علم عن شهود وبجعل الجملة اسمية مؤكدة بان واللام ليتقرر فى ذهنك ان بواطنهم على ذلك (و) هؤلاء كما جمعوا بين الايمان والكفر فى أنفسهم جمعوا بين الصدق والكذب فى كلمتهم بأن المشهود به صدق لمطابقته للواقع الذى هو علم المرسل اذ (الله يعلم انك لرسوله و) جعلهم اياها شهادة مؤكدة تدل على أنها اعتقادهم كذب لمخالفته للواقع الذى هو اعتقادهم بشهادة الله اذ (الله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ولا يبعد منهم أن يتخذوا هذه الشهادة جنة لدمائهم مع علمهم باطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيوب التى من جملتها بواطنهم فانهم (اتخذوا) مع علمهم باطلاع الله (أيمانهم جنة) حين تقاتل على الماء جهجاه أجير لعمر رضى الله عنه وسنان حليف لعبد الله بن أبى فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله والله ما صحبنا محمدا الا لنلطم أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى نفسه ومحمدا أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا الكاذب فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين واليمين وان جازت لدفع الضرر فهم زادوا بها ضررا اذا صروا على الكفر (فصدوا) اعرضوا (عن سبيل الله) الذى هو اخلاص الايمان بالتوبة فالصد عن سبيل الله باليمين الفاجرة مع امكان الاخلاص والتوبة من أسوا الاعمال (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك) أى اجتراؤهم على اليمين الكاذبة دفعا للضرر الاخلاص والتوبة والقتل (بأنهم آمنوا) لرؤية المعجزات (ثم كفروا) بما خالجهم من الشبهات (فطبع على قلوبهم) فلا تحل لهم الشبهات (فهم لا يفقهون) أى تلك الشبهات لا تعارض دلالة المعجزات بل يرونها راجحة فيرون الاخلاص والتوبة كالقتل ضررا محضا (و) هذا الطبع يكاد يظهر ظلمته فى وجوههم لكن (اذا رأيتهم) ربما لا تلتفت اليها لانه (تعجبك أجسامهم) لصباحتها وضخامتها (و) عدم فقههم يكاد يظهر فى أقوالهم لكنهم (ان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وحلاوة كلامهم (كأنهم) لا باطن لهم أصلا بل هم كالجمادات (خشب مسندة) أى منصوبة الى حائط فان فرضتم حيوانات فهم من الجبن (يحسبون كل صيحة) واقعة (عليهم) فان فرضتم شجعانا (هم العدو فاحذرهم) لكن لا يقدرون على اظهارها اذ (قاتلهم الله) فضعفهم مع تضعيف الله اياهم وتقويته رسوله (أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الله الى الضعفاء (و) انما قوى فيهم هذا الصارف اصرفهم عن أنفسهم ما يصرف هذا الصارف فانهم (اذا قيل لهم تعالوا) الى ما يصرف عنكم هذه الشبهات الحاجبة عن الحق (يستغفر لكم رسول الله) فيكشف حجاب المعاصى عن قلوبكم فيظهر لها بطلان شبهاتكم (لووا) أى عطفوا (رؤسهم)

(قوله تعالى يجزى) أى يغنى عنه ويقضى عنه ويجزى عنه بضم الياء أى يكفى عنه (قوله عز وجل يعرج اليه) أى يصعد اليه (قوله عز وجل

اعراضا عن أن يكون فى استغفاره ما يصرفهم عن شبهاتهم (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الصارف عن شبهاتهم لو تحقق لهم (وهم مستكبرون) باعتقاد أن الصارف عن شبهاتهم هو الشبهة وشبهاتهم هى الدلائل القاطعة فهؤلاء لرسوخهم فى الكفر الى هذه الغاية (سواء عليهم) استغفارك لهم وعدمه بحيث يقال بعد استغفارك (أستغفرت لهم) يا شفيع الخلائق فى أهوال القيامة (أم لم تستغفر لهم) فانك وان بالغت فى الاستغفار لهم (لن يغفر الله لهم) لانه مشروط بالتوبة عن الكفر لكن لا يهديهم الله اليها لخروجهم عن مظنة الاصلاح لانهماكهم فى النفاق (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) روى انه لما نزلت هذه السورة قيل لعبد الله بن أبى يا أبا حباب قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتمونى أن أومن به فآمنت وان أعطى زكاة مالى فأعطيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغوا من غاية الفسق الى حيث (هم) لا غيرهم (الذين يقولون) لاهل المدينة (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا فيضعف فلا يظهر بل ربما يترك دعوى النبوة (و) لم يعلموا انهم انما ينفضون عنه لو منعوا الرزق من جميع الجهات وهو انما يكون لو ملك أهل المدينة الكل لكن (لله خزائن السموات والارض) فيمكنه احياؤهم بالاطعام ويمكنه فتح الخزائن الارضية عليهم بتكثير غنائمهم أو بتسخير ناس آخرين كما سخر أهل المدينة لهم وهذا ظاهر لمن فقه (ولكن المنافقين لا يفقهون) وانما لم يفقهوا لاعتقادهم ان الله تعالى انما يعطى خزائنه أعزة الناس وهم يرون العزة لانفسهم لغناهم والذلة لمحمد واصحابه لفقرهم لذلك (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) من غزوة بنى المصطلق التى وقع فيها تقاتل المذكورين (ليخرجن الاعز) يعنى نفسه (منها الاذل) يعنى محمدا (و) غلطوا اذ لا عبرة بالعزة المالية بالنظر الى سائر وجوهها بل (لله العزة) بذاته (ولرسوله) برتبته العالية (وللمؤمنين) بقربهم من رب العالمين وقد رأى المنافقون الدنيا تنقاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع فقرهم وقد نافقوهم خوفا من عزتهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) هذه الوجوه من العزة فحصروها فى عزة الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بعزة المال والولد مع عزة الله (لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم) وان كانا من الكمالات الخارجية (عن ذكر الله) المفيد للكمالات الذاتية (ومن يفعل ذلك) أى فوت الكمالات الذاتية للعارضية (فأولئك هم الخاسرون) لنوعى الكمالات الذاتية بالتفويت والعارضية بالزوال (و) لا يشترط التجرد الكلى عن الاموال بل يكفى التطهير باخراج الحقوق الواجبة (أنفقوا مما رزقناكم) لئلا يحيط حبها بقلوبكم فلا يكون لحب الله مدخل فيها لكنه انما يعتبر (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى مرضه فانه يضعف هذه المحبة بحيث يتمنى بايثار حب الله عليها (فيقول رب) أى يا من ربانى بهذه الاموال (لولا) أى هلا (أخرتنى الى أجل) أى زمن (قريب) أى قليل (فأصدق)

اى

يتوفاكم ملك الموت من توفى العدد واستيفائه وتأويله انه يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم كما تقول استوفيت من فلان وتوفيت من فلان

أى اخرج حقوق مالى (و) ايضا ان أخرتنى (أكن من الصالحين) بالتجرد الكلى عن الاموال والاشتغال بالله (و) لكن لا يحصل له هذا التمنى لانه (لن يؤخر الله نفسا) قبضها (اذا جاء أجلها) أى وقت قبضها (والله خبير بما تعملون) فى ذلك الاجل من غير اعلام بمقداره كما هو المعتاد * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة التغابن)

سميت به لدلالته على كمال المؤمنين فى نظر العاقبة اذ غبنوا الكافرين بأخذ أماكنهم من الجنة واعطائهم أماكنهم من النار وكمال سفه الكافرين اذ غبنهم المؤمنون وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجلال ملكه وجمال حمده فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهوه عن حلول الحوادث فيه (الرحمن) باظهار عموم قدرته (الرحيم) بخلق الانسان مظهرا كاملا لهما (يسبح) أى ينزه قبل الحوادث وبعدها تنزيها ثابتا (لله ما فى السموات وما فى الارض) عن ان يحدث فيه صفة منهما وان توهم حدوث الملك والحمد من الحوادث فيه لكن (له الملك وله الحمد) بكل حال كيف (و) هما راجعان الى عموم القدرة الازلية اذ (هو على كل شئ قدير) وقد كانا له فى الباطن فاراد اظهارهما ولا ظهارهما على الكمال (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) هو مظهر كمال الملك بالقهر (ومنكم مؤمن) هو مظهر كمال الحمد باللطف (و) انما يظهر كمال القهر واللطف فى الجزاء بحسب العمل اذ (الله بما تعملون بصير) وانما قلنا الانسان مظهر كامل للملك والحمد لانه (خلق السموات والارض بالحق) مظاهر للملك والحمد على التفصيل (وصوركم فأحسن صوركم) بجمع ما فى السموات والارض فكنتم مظاهر كاملة أجمل فيها ما فصل (و) ليس هذا الكمال للسموات والارض والانسان من ذواتها بل لكمالاتها اذ (اليه المصير) فلا الهية لشئ منها وكيف يكون لما فى السموات والارض الهية مع انها محاطة لعلم الله اذ (يعلم ما فى السموات والارض) والمحاط لا يكون الها (و) كيف يكون فى الانسان اله مع ان الاله لا يعلم منه الا ما يظهره والله تعالى (يعلم ما تسرون وما تعلنون) وكيف لا يعلم أسراركم واخفاها ما فى الصدور (والله عليم بذات الصدور) اذ هو الملقى فيها تلك الضمائر وان زعموا ان الكفار ليسوا مظاهر ملكه بالقهر كيف وفيه اهلاك الملك على انه انما يقهر الذميم ولا ذميم فى خلقه لانه حميد يقال هذا استدلال فى مقابلة الحس (ألم يأتكم نبؤ الذين كفروا من قبل) كانوا مظاهر ملكه بالقهر (فذاقوا وبال) أى ثقل (أمرهم) الذى هو الكفر بالقهر عليه (و) قد جعل دليلا على القهر الاخروى اذ (لهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) أى القول بكونه أثر الكفر لا بلية ثم يستدل عليه بوقوعه عقيب الكفر (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا) فى تكذيبهم (أبشر يهدوننا) مع انه لا فضل للهادى على المهدى فلم يروا البينات فضلا وانكار الهداية كفر (فكفروا وتولوا) عن دلالة البينات على كونه هداية وهو أيضا كفر (و) الملك انما الا يهلك ملكه عند

مالى عنده اذا لم يبق لى عليه
شئ (قوله عزوجل يثرب)
اسم ارض ومدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم فى
ناحية من يثرب (قوله
تعالى يقنت) يطيع (قوله
تعالى يلج فى الارض) أى

احتياجه اليهم ولاحاجة لله عزوجل أو عند جريانه مجرى المحتاج اليهم لاطاعتهم لكن لما لم يطيعوا الله (استغنى الله) عنهم فاهلكهم (و) لا يبعد منه الاستغناء اذ (الله غنى) بالحقيقة لكنه يجرى مع المطيعين مجرى المحتاج اليهم لانه (حميد) لكن لا ينافى حمده اهلاك من لا يطيعه لانه محمود (زعم الذين كفروا) ان تقسيم الناس الى مؤمن وكافر انما يكون حقيقيا لو كان ثمة بعث وجزاء والا فهو اعتبار محض لكن علم من سنته فيما مضى (أن) اى انهم (لن يبعثوا) فى المستقبل (قل) هذا كفر لنفيه دوام ربوبية الله وحكمته وقدرته ولا دليل على نفى البعث مع انه ممكن أخبر عنه من صدقه الله بالبراهين القاهرة مقسما بمن أعطاها اياه وربابها مبينا الحكمة فيه المقربة من الوجوب رافعا عنه الموانع (بلى وربى لتبعثن ثم) بعد البعث (لتنبؤن بما عملتم و) لا مانع من ذلك اذ (ذلك) البعث والانباء وان عسر على فهمكم (على الله يسير) ولا يضر فيه عدم قيام الدليل العقلى الموجب له قطعا اذ ليس من شأن الممكنات بل يكفى فيها ما يحسنها واذا ثبت البعث بقول المصدق بالبراهين المؤيد بالدليل العقلى المحسن بالمقرب له من الوجوب (فآمنوا بالله) المرجوع اليه بعد البعث (ورسوله) المعرف للبعث ولما يعمل له (والنور الذى أنزلنا) دليلا على ذلك وكيف تتركون الايمان بهذه الامور بايراد الشبهات عليها (والله بما تعملون) فى ايراد الشبهات (خبير) فيسهل عليه دفعها بل يفضحكم بها (يوم يجمعكم) بل يجمع أفعالكم على رؤس الخلائق المجتمعين (ليوم الجمع) وأعظم ما يفضح فيه بالتغابن لذلك قيل فيه (ذلك يوم التغابن) وهو ان الكفار غبن عليهم باعطاء أماكنهم من الجنة للمؤمنين واعطائهم أماكن المؤمنين من النار على الابد (و) لا يتخلص عن فضائح ذلك اليوم الا صالحو المؤمنين لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته) التى بها الفضيحة بل يزينه (ويدخله جنات) على ايمانه وأعماله (تجرى من تحتها الانهار) على اجرائهم أنهار المعارف والاحوال ويغبنون بذلك الكفار اذ يأخذونها عنهم (خالدين فيها أبدا) وكيف لا يكون غبنا لهم مع ان (ذلك الفوز العظيم و) انما يفضح فيه الكفار بالغبن عليهم اذ (الذين كفروا) كان كفرهم عن عناد اذ (كذبوا بآياتنا) ولا يبالى بفضائحهم اذ (أولئك أصحاب النار) يأخذونها من المؤمنين بعد ما يعطونهم أماكنهم من الجنة وأى غبن أعظم عليهم من ذلك يفضحون به مع كونهم (خالدين فيها و) يكفى فى الغبن عليهم مجرد مصيرهم اليها اذ (بئس المصير) فان زعموا ان مصائب الكفار لم تكن لكفرهم بل كمصائب المسلمين يقال (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضائه وارادته فلا بد من حكمة فان وقعت على كافر فلذنبه ولا فائدة له اذ لا يستفيد منها الا من يهتدى بها (و) ان وقعت على مؤمن فلزيد هدايته لان (من يؤمن بالله يهد قلبه) عند المصائب لذكر الله والاسترجاع والصبر والتذلل له فتصير له كالدواء (و) يختارها الله له على النعمة لما يعلم ان فيها طغيانه اذ (الله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وان أصابتكم فى اطاعتهما مصائب من عداوة الشيطان ومن الابتلاء

يدخل فيها (قوله عزوجل بعزب) أى يبعد (يسيرا) أى سهلا لا يصعب والسير أيضا القليل (قوله يحق) محيط (قوله عزوجل يس) قيل معناه يا انسان وقيل يا رجل وقيل يا محمد وقيل

الالهى هل هو ممن يعبد الله على حرف (فان توليتم) عن اطاعتهما عند المصائب ليدفعهما الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) انه يجب اطاعتهما فى السراء والضراء وليس اليه دفع المصائب لاختصاصه بالله والرسول وان تحقق باخلاقه فليس باله اذ (الله لا اله الا هو) (و) لا تقع على المتوكل وان وقعت فلا تستقر عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا) وأرادوا التوكل على الله فى المصائب (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يأمركم بالتوكل على غير الله ويمنعكم التوكل على الله بل يمنعكم الاشتغال بطاعته ويلجئكم الى الافعال المحرمة (فاحذروهم) وان كانوا محبيكم فى الظاهر (و) لا تعاقبوهم عند ذلك بل (ان تعفوا) عنهم بترك معاقبتهم (وتصفحوا) أى تعرضوا عن توبيخهم (وتغفروا) أى تستروا قبيح أفعالهم برجى أن يغفر لكم توكلكم على غير الله والاشتغال بغيره (فان الله غفور رحيم) لكن لا تتركوا الفرائض ولا تباشروا المحرمات بكثرة المصائب فى الاموال والاولاد (انما أموالكم وأولادكم فتنة) يختبركم الله بها هل تجترؤن على معاصيه أم لا سيما عند المصائب فيهما فان تركتم معاصيه من أجلهما وصبرتم على مصائبهما عظم الله أجركم (والله عنده أجر عظيم) يعطيه فى الدارين فان اضطررتم الى معاصيه من أجلهما (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا) مواعظ الله لتتقوه حق تقاته (وأطيعوا) أمر الله لا أمر الازواج والاولاد (وأنفقوا) من الاموال التى ترون فى انفاقها تضييعا لانفسكم بكن (خيرا لانفسكم) فى الدارين بالتعويض والا أتلفها الله عليكم (و) أقل فوائد الانفاق وقاية الشح فان (من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وكيف تخافون فى انفاق الاموال ضياعها أو ضياع أنفسكم مع انه قرض الله (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) فى رزق الدارين (ويغفر لكم) المعاصى المضيقة للرزق وكيف لا يضاعف (والله شكور) يعطى المزيد للشاكر وقد شكرتموه بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله (حليم) لا يعاجل بعقوبة من عصاه فكيف يعاجل بتضييع نفس المنفق فى سبيله وتضييع أولاده فان رأيتموه لا يعوض معطيا فلاطلاعه على نيته انه لم يعطه لله وانما أعطاه ليستوفى فى الآخرة اذ هو (عالم الغيب والشهادة) ولا يحمل على عجزه عن التعويض لانه (العزيز) ولا يتوهم عليه أنه يأمر بانفاق يفضى الى التضييع لانه (الحكيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطلاق)

سميت به لبيانها كيفية الطلاق السنى وما يترتب على الطلاق من العدة والنفقة والسكنى (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى أحكامه حتى جعل الطلاق سنيا (الرحمن) بتشريع الطلاق عند عدم موافقة المرأة (الرحيم) بتشريع العدة حفظا للماء وتيسيرا للأمر على الرجل والمرأة الثلاثين عنه المرأة بمرة ولا تبقى رجعية دائما (يا أيها النبى) والمؤمنون حذفهم لقيام النبى صلى الله عليه وسلم مقام الجميع لئلا يتوهم اختصاص هذا الحكم بالنبى صلى الله

مجازها مجاز سائر حروف التهجى فى أوائل السور (قوله تعالى يخصمون) يختصمون فادغمت التاء فى الصاد (قوله تعالى يستحضرون) أى يحضرون (قوله تعالى يقطين) كل

عليه وسلم وأورد لفظه للاشعار باطلاعه واطلاعه على معنى العدة كما ذكر (اذا طلقتم النساء) أى اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن) مراعين (لعدتهن) بايقاع الطلاق فى طهر خلا عن الوطء (واحصوا العدة) أى اجعلوها محيطة بالطلقات الثلاث بايقاع كل طلقة فى طهر واحفظوا ابتداءها (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليها بان يطلقها ثم يراجعها قبل انقضاء العدة ثم يطلقها ثم يراجعها قبل انقضائها ثم يطلقها أو فى ايقاع الرجعة بعدها أو دعوى عدم انقضائها اعتداء ويجيء بغيره أو دعواها الانقضاء قبل ان تنقضى (لاتخرجوهن من بيوتهن) ليتم حفظ الماء وأضاف البيوت اليهن لبيان اختصاصها بهن (ولا يخرجن) بلا ضرورة كحرق أو غرق أو حاجة ليلا أو نهارا (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى بزنا عليه شهود فتخرج أو تخرج لاقامة الحد (وتلك) الاحكام أى ايقاع الطلاق للسنة واحصاء العدة ومنع الاخراج والخروج بدون الفاحشة (حدود الله) أى الغايات التى نهى الله ان يتجاوزها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بتعريضها العقابه (لاتدرى) نفسه (لعل الله يحدث بعد ذلك) التعدى الذى ينقص به عن شدة الحد (أمرا) أشد منه فلو طول عليها العدة ثم أراد تجديد النكاح بتحليل ربما طول المحلل فى العدة ولو لم يحص العدة احتياطا ربما لايوافق المرأة فى التجديد ولو أخرجها ربما حدث على مائه وطء غيره وكذا لو أخرجت (فاذا بلغن أجلهن) أى شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن بمعروف) أى راجعوهن بحسن عشرة وانفاق مناسب (أو فارقوهن بمعروف) ايفاء الحقوق واتقاء الضرر (وأشهدوا) على الرجعة والفرقة قطعا للتنازع ونفيا للريبة رجلين (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا) أيها الشهداء (الشهادة) عند الحاكم (لله) لا للرشوة ولا للمشهود له ولا تكتموها خوفا من المشهود عليه من جهة محبته أو قرابته أو رزقه (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان الايمان به يوجب ترجيح ثوابه وخوف عقابه على كل ثواب وعقاب والفرار من الرشوة ورعاية المشهود له أو عليه (ومن يتق الله) من المطلق والشهود وغيرهما (يجعل له مخرجا) من المضايق سيما اللازمة من التقوى (ويرزقه) مالا أو امرأة (من حيث لا يحتسب) كيف والمتقى متوكل على الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فى المضايق والارزاق وليست كفايته باعطاء الصبر فقط بل (ان الله بالغ أمره) لكن لا يستعجل عليه لانه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) من الزمان وغيره لا يجاوزه أصلا ولما لم يكن طلاق الآيسة والصغيرة والحامل سنة ولا بدعة لاستواء الايام فى حقهن لم يخاطب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وبين عدتهن فقال (واللائى يئسن) أى بلغن سن يأس عشائرهن أو بلدهن (من المحيض) أى الحيض الذى يجب ان يحتوش طرف الطهر به (من نسائكم) أى نساء المؤمنين مؤمنات أو كتابيات دون الكفرة فانه لو جرى نكاحهم فى العدة وصح ومجريه على الصحة اذا أسلموا أو لم تبق العدة الى الاسلام (ان ارتبتم) أى شككتم فى فجورهن لو منعن النكاح والاولا

شجر لا يقوم على ساق مثل القرع والبطيخ ونحوهما (قوله تعالى يزفون) أى يسرعون يقال جاء الرجل يزف زفيف النعامة وهو أول عدوها وآخر مشيها او يقرأ

حاجة الى احصاء العدة (فعدتهن ثلاثة أشهر) اقامة لمدة الحيض والطهر غالبا مقامهما
فكانهن من ذوات الاقراء تقديرا (واللائى لم يحضن) بعذر الصغر أو عارض آخر بهن
وان لم يكن من ذوات الاقراء تحقيقا ولا تقديرا عدتهن أيضا ثلاثة أشهر لانها صارت عدة من
لا قرء لها هذا فى الطلاق بعد الوطئ وكذا فى الفرقة فى الحياة بعده وكذا فى وطئ الشبهة
وفى الوفاة مامر من أربعة أشهر وعشرا (وأولات الاحمال) مطلقات أو موطوآت بالشبهة
أو متوفى عنهن أزواجهن (اجلهن) أى منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) لان اعتبار
القرء فى الاصل لتحقيق براءة الرحم فاذا علم اشتغاله فلا بد من تحقق براءته وقد طالت المدة
التى اعتبرت لمصلحة الرجعة (ومن يتق الله) فلم ينكح فى العدة ولم يطلق للبدعة (يجعل
له من أمره يسرا) بان يجعل له امرأة أحسن من المعتدة والمطلقة (ذلك) المذكور
فى الآيسة والحامل وان لم يعقل معناه اذ لا ماء فى الاولى وماء الثانى لا يقلب الولد اليه (أمر
الله) يجب قبوله عليكم اذ (أنزله اليكم و) سيظهر سره للمتقى لان (من يتق الله يكفر
عنه سيئاته) بحسناته فيكشف حجابه (ويعظم له اجرا) فى استكشاف اسرار الاحكام
وهو ان الآيسة ربما ينفتح فم رحمها على الندور كعود الحيض ويمكن فى حق الحامل انعقاد
ولد آخر أو يتقوى الولد الاول بماء الثانى (اسكنوهن) وان كان الغالب ان لا ماء محفوظا
لهن (من حيث سكنتم) أى مكانا من سكناكم لانه احفظ للماء (من وجدكم) مما تطيقونه
من ملك أو اجارة أو اعارة (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) أى لتلجئوهن
الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن) لتصل النفقة الى أولادكم بواسطتهن
(حتى يضعن حملهن) فاذا وضعن (فان أرضعن) أولادكم (لكم) من غير وجوب
عليهن لوجود مرضعة أخرى (فآتوهن أجورهن) على الارضاع زاد او نقص (وائتمروا
بينكم) أى وليقبل بعضكم من بعض أمره فى الصبى اذا أمر (بمعروف وان تعاسرتم)
أى تضايقتم فى الاجرة فلا وجوب عليها (فسترضع له أخرى) غيرها (لينفق) على المعتدة
الحامل والولد (ذو سعة) أى غنى بما يليق به (من سعته) كما فى حال النكاح (ومن قدر)
أى ضيق (عليه رزقه فلينفق) الفاضل على ضرورته (مما آتاه الله) وان لم يكن له معه
لذيذ الطعام ولو لم يكن له فاضل على الضرورة فلا شئ عليه اذ (لا يكلف الله نفسا) انفاق شئ
(الا) انفاق (ما آتاها) زائدا على ضرورتها وفقد لذيذ الطعام وان كان عسيرا عليها
فليس بعذر فانه (سيجعل الله بعد عسر) فى فقد الطعام اللذيذ (يسرا) اذا اعتاد ذلك
(و) ييسر هذا الاعتياد خوف الله فى مخالفة أمر الانفاق لاجل لذيذ الطعام فانه (كأين)
أى كثير (من) أهل (قرية عتت) أى اعرضت (عن أمر ربها و) امر (رسله) لشدة
فيه (فحاسبناها) على اللذائذ السابقة والمقارنة (حسابا شديدا) على كل صغيرة وكبيرة
اقترفوا بها (وعذبناها) على كل ما حاسبناها (عذابا نكرا) أى غير معهود بحيث لا نسبة
لشدة الامر اليه (فذاقت) بسبب مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله (وبال أمرها) أى سوء

يزفون أى يسرعون الى
الزفيف ومنه قوله
تمنى حصين ان يسود جذاعه
فأمسى حصين قد أذل وأقهرا
معناه أقهر أى صار الى
القهر (قال أبو عمرو الجذاع
ههنا صبيان أخيه اراد

عاقبة تلك اللذائذ كما تلذذت بها كيف (و) قد ادت بهم تلك المعاصى بمخالفة ذلك الامر
الى الكفر حتى (كان عاقبة أمرها خسرا) أى خسران الاعمال الصالحة واللذات الباقية
واين يكون لهم اللذة مع انهم (اعد الله لهم عذابا شديدا) بحيث لا نسبة لشدة العذاب
النكر اليه قبل وصولهم الى الآخرة لئلا يتأخر عن وقت وصولهم (فاتقوا الله) ان تخالفوا
امرا من أوامره لشدة فيه وان خالفت ظواهر العقول (يا أولى الالباب) فلانه ولو وصلتنا
الى لب كل شئ ولم نجد لهذا لبا اذ يكفيكم الاطلاع على صدقه اذا كنتم من (الذين آمنوا)
بالنظر فى الباب الادلة القاطعة فاعتقدوا انه وان لم يكن معقولا ففيه ما يجلبكم الى تنوير
القلب اذ (قد انزل الله اليكم ذكرا) أى ما يذكركم الله فكانه جعله (رسولا) يدعو اليه
ولا تلبيس فى دعواه لانه (يتلوا عليكم آيات الله) أى المعجزات القولية (مبينات) للحجج
رافعة للشبهات وهى وان لم تخرج عقلاء العالم من ظلمات الاوهام والخيالات فهى (ليخرج)
أهل الانصاف اعتقادا وعملا وهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)
أى من ظلمات ضلال الاوهام والخيالات الى نور التحقيق والهداية (و) هذا وان أوجب
الايمان والعمل بتلك الاوامر على تعب من مخالفة العقل وضيق لكنه اذا انكشف السر
وقع فى لذة كاملة واتساع عظيم لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات) فلا يبعد
ان يدخله فى الدنيا فى جنات لذات العبادات والاعتقادات والاتساع فيها (تجرى من تحتها
الانهار) فلا يبعد ان يجرى لهؤلاء انهار المعارف (خالدين فيها ابدا) فلا يبعد ان يزداد معارف
هؤلاء ولا يبعد ان يرزق مثله الاطلاع على اسرار تخفى على كل العالم لانه (قد احسن الله له رزقا)
فى الاسرار ولم يحسن لسائر أولى الالباب ولا يبعد ان يخلق الله فى الانسان اطوارا ويخلق لكل
طور ادراكا كالقوى والنفس والعقل والقلب والسر والروح والخفاء اذ (الله الذى خلق)
للمجردات (سبع سموات و) للماديات (من الارض) أى العالم السفلى طبقات (مثلهن)
طبقة النار الصرفة وطبقة الاثير الممتزجة بالهواء يتولد فيها الشهب وذوات الاذناب وطبقة
الزمهرير وطبقة الهواء الصرف وطبقة الماء الصرف وطبقة الطين المركب من الماء
والتراب وطبقة التراب الصرفة عند المركز ولا يبعد ان يتنزل الامر الالهى من هذه الاطوار الى
الاعضاء الدماغ والكبد والعين والاذن والانف واللسان والبشرة كما انه (يتنزل الامر) الالهى
(بينهن) بالتحريك والتكوين والفساد وانما فعل ذلك (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير)
لانه لما قدر على الاسباب والمسببات دفعا لتسلسل الاسباب قدر على المسبب بدون الاسباب
(و) لكنه راعى الحكمة فى ترتيب المسببات على الاسباب لتعلموا (ان الله قد احاط بكل شئ علما)
فيقدر على انزال ما لا يدركه عقول أكثر أولى الالباب ويعلم من الاسباب الموجبة للثواب
والعقاب ما لا يدركه عقولهم • تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

أن يتيناهم فجاءا أخوالهم
فأخذوهم) و يقرأ يرفون
بالتخفيف من وزف يزف
بمعنى أسرع ولم يعرفها
الكسائى والفراء وقال
الزجاج وعرفها غيرهما
(قوله عزوجل ينابيع

•(سورة التحريم)•

سميت به تنبيها على عجب تحريم النبي ما أحل الله له لابتغاء رضا مخلوق ناقص وعجب ما يترتب عليه من تحليله مرة أخرى بايسر شئ وهو الكفارة (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى أحكامه بحيث لو غيرت رجعت الى حالها بادنى شئ (الرحمن) برفع الحرج عنها بالكفارة (الرحيم) بالعفو عن المغير. روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم حفصة فعلمت بذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت مارية على نفسى وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان أمر أمتى واستكتمها فاخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فغضب عليه السلام عليها وطلقها طلاقا رجعيا واعتزل نساءه تسعا وعشرين يوما فانزل الله تعالى (يا أيها النبى) ناداه ليقبل اليه بالكلية ويدبر عن كل ما سواه من الازواج وغيرهن وعبر عنه بالمبهم اشعارا بانه من غاية عظمته بحيث لا يعلم كنهه وأتى بحرف التنبيه تنبيها على غفلته عن مقداره وأتى بلفظ النبى اشعارا بانه الذى نبئ باسرار التحليل والتحريم الالهى (لم تحرم) مع ان مقتضى نبوتك ان لا تغير شيأ من حكم الله بعارض يمين أو غيره (ما أحل الله) باعتبار ذاته وجميع أسمائه (لك) يا أكمل الخلائق (تبتغى) أى تطلب بتحريم ما فيه أكمل جهات الحل (مرضات أزواجك) مع انهن دون الرجال الذين يجب عليهم طلب رضاك وحقك ان لا تلتفت لرضا مخلوق على خلاف رضا الله (والله غفور) لذنب حالك وذنب أزواجك اذ الجانك الى تحريم ما أحل الله لك (رحيم) بك وبهن اذ لم يؤاخذ بذنب هذا التحريم الذى يشبه اعتقاد تحريم الحلال وهو كفر ومن رحمة الله انه (قد فرض) أى قدر (الله لكم) كفارة لهذا التحريم تشبه كفارة تقع (تحلة) عقد (ايمانكم) التى عقدت تحريم الحلال أو غيره وتحريم المرأة اذا لم ينو به طلاقا ولا ظهارا ولا عتاقا بل تحريم الذات توجب كفارة يمين وكذا ان لم ينو على أصح قولى الشافعى وان حرم طعاما فلا كفارة قيل اعتق عليه السلام رقبة فى تحريم مارية وقيل لم يكفر لانه كان مغفورا له (و) انما فرض ذلك لينصركم على أنفسكم المتبادرة الى تحريم الحلال اذ (الله مولاكم وهو العليم) بما يحل اليمين (الحكيم) فى الامر بحله حيث كان فعل ما حرم باليمين خيرا (و) ان لم تعرف قدر المغفرة والرحمة فى حقك حين حرمت ما أحل الله لك لرضا أزواجك فاذكر غضبه لغضب النبى صلى الله عليه وسلم (اذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا) حديث مارية وخلافة أبى بكر وعمر فافشت الى بعض أزواجه (فلما نبأت به) بعض أزواجه (وأظهره الله عليه) غضبا عليها لفعلها ما يغضبك (عرف بعضه) حديث مارية فلامها وطلقها واعتزل نساءه (وأعرض عن بعض) حديث الخلافة مخافة انتشارها الموجب للتحاسد (فلما نبأها به قالت) لترددها انه من عائشة فتغضب عليها أو من الله (من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) من غضبه لغضب نبيه وكما غضب الله عليها غضب على من أفشت اليها وهى عائشة لرضاها به فقال لهما (ان تتوبا الى الله) ليرضى عنكما فيرضى رسوله (فقد صغت) أى مالت عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (قلوبكما وان تظاهرا عليه) أى تتعاونا على مخالفته (فان الله هو مولاه) أى

أى عيون تنبع واحدها ينبوع (قوله عز وجل يهيج) أى ييبس كقوله عز وجل ثم يهيج فتراه مصفرا (قال أبو عمر هاج من الاضداد يقال هاج اذا طال وهاج اذا جف ومنه قول على بن

ناصر، فلا يترككن فى غم مخالفتكما بل يجعله مشغولا به (وجبريل) يشغله بالوحى (وصالح
المؤمنين) لشغله بالاسترشاد منه (والملائكة بعد ذلك) النصر المذكور (ظهير) أى معين
بافاضة الخيرات عليه ثم انما يطلب كفاية هذا الغم لو بقين على نكاحه عليه السلام لانه لاغم
عليه لو طلقهن من فواتهن فانه (عسى ربه) الذى رباه بما لا يتناهى من الكمالات (ان
طلقكن) فلم يترك خيرا فيكن (ان يبدله أزواجا خيرا منكن) لكونهن (مسلمات) أى منقادات
للنبى فى حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (مؤمنات) أى مصدقات له فيما يعده من الثواب على ذلك
ويوعده من العقاب على خلافه (قانتات) أى متذللات لا يتكبرن عليه فى شئ هذا مع كونهن
بالنسبة الى الله تعالى (تائبات) من الكفر والمعاصى (عابدات) بالصلاة والزكاة والصيام
(سائحات) بالحج وفى حب النبى صلى الله عليه وسلم (ثيبات و) فى قطع النظر عن غيره (ابكارا
يا أيها الذين آمنوا) كما يخاف على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفتهن تبديل صفاتهن
الحسنة بالذميمة يخاف عليكم وعلى أهاليكم فى المخاصمة (قوا) أى احفظوا بمقتضى ايمانكم
(أنفسكم واهليكم نارا) اعدت للكافرين اذ يستبيح كل بغض صاحبه وشتمه بل ذمه (وقودها)
من شدتها كلهم الاشياء لرطبه واليابسة المحضة (الناس والحجارة) ولا يكتفى بهذه الشدة بل
(عليها) مع تلك الشدة (ملائكة غلاظ) لا شفقة لهم (شداد) أقوياء يدفع احدهم بدفعة سبعين
ألفا فى النار (لا يعصون الله ما أمرهم) فيما مضى من الشدة (ويفعلون ما يؤمرون) فى
المستقبل من مزيدها (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) بان أعمالكم كانت دون هذه
الشدائد التى تزداد كل يوم بل (انما تجزون) قدر (ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا) مقتضى
ايمانكم التوقى من المعاصى التى يخاف جرها الى الكفر بالتوبة لتخلصوا من الشدائد
المتزايدة على الابد (توبوا) ملتجئين (الى الله توبة نصوحا) أى خالصة لتتخلصوا من المعاصى
ظاهرا وباطنا وهى الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على
اربابها وورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على
أن لا يعود وتربية النفس فى طاعة الله تعالى كما رباها فى معصيته (عسى ربكم أن يكفر عنكم
سيئاتكم) الجارة الى الكفر الموجب للخزى (ويدخلكم جنات) بلا عقاب وخزى بل مع مزيد
لذة وجاه اذ (تجرى من تحتها الانهار) ولا يبعد عدم الخزى فى أهوال يوم القيامة لكونه (يوم
لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) من الكمل بل يتشرفون بالنور اذ (نورهم يسعى) على
الصراط (بين أيديهم) بمسارعتهم الى الخيرات وتقديمهم اياها (وبايمانهم) لترجيحهم جانب
الحق على أهويتهم (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا) وان كان فى اخلاصنا
نقص (واغفر لنا) ما كان فينا من النفاق الخفى (انك على كل شئ) من اطفاء النور واتمامه
مع النفاق الخفى (قدير) ولما لم يتأت للعوام التوبة النصوح مع رؤية الكفار على أحسن
الاحوال والمؤمنين فى الشدائد والاهوال قال (يا أيها النبى) اذا تابت الكفار والمنافقين فلم
ينتبهوا بل عاندوا (جاهد الكفار والمنافقين) لتغير احوالهم (واغلظ عليهم) ليضعفوا فلا

يرغب

أى طالب رضى الله عنه
دمتى رهينة وأنا بها زعيم لمن
صرحت له العبر لا يهيج
على التقوى زرع قوم ولا
يظما عليها سنخ أصل) هاج
أى جف

يرغب فى أحوالهم المسلمون بل يتوبون عن مثل أحوالهم سيما اذا تذكروا ان هذه أحوالهم فى الدنيا (و) حالهم فى الآخرة ان (مأواهم جهنم وبئس المصير) لاحوالهم فيتحقق لهم التوبة النصوح ثم أشار الى أن رؤية الكافرين للمؤمنين لا ترغبهم فى أحوالهم حتى يتوبوا توبتهم النصوح فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا) فى عدم تأثرهم من المؤمنين (امرأت نوح) واعلة او والعة (وامرات لوط) واهلة او والهة لان الوصلة من أسباب التأثير ولاها وصلة المرأة بالزوج واولى بذلك نسوة الانبياء عليهم السلام (كانتا تحت عبدين من) كمل (عبادنا صالحين) أى مبالغين فى الصلاح فلم تتأثرا برؤية صلاحهما (فخانتاهما) امرأة نوح بقولها للناس انه لمجنون وامرأة لوط باخبارها القوم بها عن الضيف (فلم يغنيا) بحق الزواج الذى هو أجل من حق النسب (عنهما من الله شيأ) من الاغناء (و) لكن (قيل) لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) الذين لا وصلة لهم مع أهل الصلاح وفيه تعريض لعائشة وحفصة على اغلظ وجه واشده ان لم تتوبا (و) انما لا يتأثر الكفار من المسلمين لما يرون عليهم من الشدة فانه (ضرب الله مثلا للذين آمنوا) فى تحمل الشدائد (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم لما غاب موسى السحرة آمنت فتأثرت منهم مع ما رأت من شدائده عليهم فلما تبين له ايمانها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس وأمر بصخرة عظيمة تلقى عليها فاحتملت تلك الشدائد (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) أى فى أعلى درجات المقربين وذكرت الجار قبل الدار (ونجنى من فرعون) ذاته (وعمله) الشرك (ونجنى من) ايلام (القوم الظالمين) فنزع الله روحها قبل وصول الصخرة اليها فلم تجد ألما وفيه اشارة الى انه لا عذر لشخص اذا ابتلى بصحبة كافر وفيه تعريض لعائشة وحفصة فى احتمال الشدائد فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو الى هذا الحد ثم أشار الى ان تحمل المؤمن أدنى الشدائد يفيده اعلى الدرجات فكيف تحمل اعلاها (و) لذلك ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران التى) احتملت من الشدة انها (أحصنت فرجها) فافدناها فائدة جليلة (فنفخنا فيه من روحنا) أى روح خلقناه بلا واسطة أب (و) ليس ذلك بمجرد احتمال تلك الشدة بل لكونها مع ذلك (صدقت بكلمات ربها) التى جاءت بها الرسل (وكتبه) المنزلة عليهم علما وعملا فتأثرت منها (وكانت) مع ذلك مبالغة فى المجاهدة بحيث عدت (من) كمل الرجال (القانتين) فتأثرت من المجاهدة قال عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفيه تعريض لعائشة وحفصة لو كانتا تائبتين ❊ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

❊(سورة الملك)❊

سميت به لاشتمالها على كثير مما ينبغى ان يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة والاحياء والاماتة واختبار اعمال الناس والغلبة والغفران ورفع الابنية لخدامه وعدم

(قوله عز وجل يأمون) أى يملون (قوله عز وجل يذرؤكم) أى يخلقكم (قوله تعالى يقترف) أى يكتسب (قوله عز وجل يبشر) ويبشر معناهما واحد

التفاوت فى رعاياه وتزيين بلاده والقهر على الاعداء والترحم على الاولياء والامن ورخص الاسعار وان لا يقدر أحد على نصر من عاداه ولا على رزق من منعه وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى من عذاب القبر على ما فى الحديث (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى ملكه (الرحمن) بكثرة خيراته (الرحيم) بالغفران مع عزته ورفع الابنية وابطال التفاوت والفطور وتزيين الملك وقهر الاعداء (تبارك) أى كثر الخيرات التى لا تتم الا بارسال الرسل (الذى بيده) أى تحت تصرفه (الملك) عالم الشهادة كثر به الخيرات للارواح باكتسابها منه كيف (و) لا مانع من تكثيرها اذ (هو على كل شئ قدير) وهو يحب الخيرات فيكثر أحب ما يقدر عليه ويحبه تكثيرها يحبه من الانسان باختياره ولذلك خلق فيه ما يكون سببا لدواعيها فهو (الذى خلق الموت) اولا (والحيوة) ثانيا ليدل على أن بعد الموت حياة ينتفع فيها باعمال الخيرات ويتضرر فيها باعمال الشرور (ليبلوكم ايكم احسن عملا) فيناسبه فى الاتيان بالخيرات فيفيض عليه الخير الكثير فى الحياة الثانية (و) ان لم يحسن الاعمال افاض عليه الشدائد اذ (هو العزيز) أى الغالب على من اساء بالانتقام منه لكنه (الغفور) لمن خالط الاحسان مع الاساءة ترجيحا لجانب الخيرات واتكثير الخيرات مع رعاية عزته فى رفع البناء وغفرانه فى ستر خلله هو (الذى خلق سبع سموات) ليفيض بواسطة كل سماء فيضا خاصا ينسب اليه ويحتجب به ولحبه المحاسن جعلها (طباقا) يوافق بعضها بعضا بلا تضاد ليتم امر الحكمة فى الكوائن والفواسد فيكون داعيا الى اتمامها فى الاعمال فتصير احسن (ماترى فى خلق الرحمن) أى عام الرحمة فى عالم الكون والفساد والعالم العلوى اولى بذلك (من تفاوت) فى رعاية الحكمة بل راعاها فى كل كائن وفاسد فان شككت فى ذلك (فارجع البصر) أى كرر نظر العقل (هل ترى من فطور) أى شقوق وخلل (ثم) ان خالج فى قلبك قصور النظر الاول (ارجع البصر) أى كرره (كرتين) أى تكريرا بعد تكرير (ينقلب) أى يرجع (اليك البصر خاسئا) أى مطرودا كيف (وهو حسير) أى خال عن مطلوبه الذى هو الخلل فهذا دليل على انه يحب اتمام الحكمة فى كل شئ فهو يحبها فى اعمالكم لتصير احسن (و) اتمام الحكمة فى العالم العلوى ظاهر مع رعاية المحاسن فانا (لقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من العرش (بمصابيح) أى كواكب مركوزة فيها أو القربى من الارض بمصابيح مركوزة فيما فوقها لكن يتخيل أهل الارض انها مركوزة فيها لظهورها فيها وذلك ليتزين الانسان بالامور التى فوق مرتبته فى الحال ليخرج ما فيه بالقوة الى الفعل فى المآل (و) لكراهتنا اساءة العمل (جعلناها رجوما للشياطين) المستمعة الى أخبارها لاغواء أهل الارض وافساد اعمالهم وذلك بان تشير الملائكة المتعلقة بها نارا من غير اقتباس منها وهذا اولى مما قيل انها ادخنة محترقة اذ لو احترقت لازالة ادت صعود الكن كثيرا ما نراها نازلة وذاهبة يمينا وشمالا (واعتدنا لهم) وراء هذا الرجم على هذا الاستماع المقصود به الاغواء (عذاب السعير) وان كانوا من النار فيسلط مادتهم على صورتهم للتعذيب (وللذين كفروا) فعبدوا هؤلاء المرجومين فاشركوهم (بربهم) الذى رباهم بافاضة انواع الخيرات سيما

ارسال

(قوله عز وجل يعش عن ذكر الرحمن) أى يظلم بصره عنه كان عليه غشاوة ويقال عشوت الى النار اعشو فانا عاش اذا استدللت عليها ببصر ضعيف قال الحطيئة

او سال الرسل (عذاب جهنم) من النار والزمهرير والحيات والعقارب وغيرها (وبئس المصير) مصيرهم الى جهنم والى ربهم كاعداء الملك يحملون اليه فيعمل فيهم بمقتضى عزته وأول عذابهم الذي بعده أشد منه انهم (اذا القوا فيها) أى قاربوا ان يطرحوا فيها البصير واوقودها (سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمار (و) هو صوت غليانها اذ (هى تفور) أى تغلى كالمرجل أو اشد اذ (تكاد تميز) أى تتفرق اجزاؤها الى السماء والارض (من الغيظ) على الذين اغضبوا الله حين بعث اليهم الرسل لذلك (كلما القى فيها فوج) أى جماعة اتفقوا على معصية او كانوا أهل بلد او زمان أو امة نبي وذلك لاستحقاق البعض التقديم والتسفل والبعض العكس (سألهم خزنتها) ليزدادوا غيظا اذا لم يكن لهم عذر (ألم يأتكم نذير) أصلا والعقلاء اذا سمعوا من اداناهم مخوفا اجتهدوا فى النجاة عنه (قالوا بلى قد جاءنا نذير) واكثر (فكذبنا) جميع النذر مع ان لكل واحد منهم معجزات وحججا (وقلنا ما نزل الله) من الاوامر والنواهى والمعجزات (من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) بافترائكم عليه هذه الامور (و) اعترفوا لانفسهم بالضلال الكبير الذى نسبوه الى الرسل اذ (قالوا لو كنا نسمع) مادات المعجزات على صدقه وان لم نعقله (أو نعقل) بديهة او نظر (ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) تكذيب الرسل والاعراض عما دلت المعجزات على صدقه وعن العقول حين لا يفيدهم (فسحقا) أى بعدا عن النجاة والالطاف الالهية (لاصحاب السعير) بل هو سبب مزيد غيظ الله تعالى وغيظ الخزنة والنار والعياذ بالله من ذلك وغاية ما استفادوا من عبادة الشيطان رقى او أدوية ولا تفوت هذه الفائدة من خشى الله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) فتركوا ما ينسب الى الشياطين من الفوائد الظاهرة (لهم مغفرة) لذنوبهم التى يبتلى من اجلها فيحتاج الى الرقى والادوية (و) لو ابتلوا الهم (أجر كبير) على صبرهم على الابتلاء وتركهم الاسترقاء (واسروا قولكم) بأن تقولوا للراقى ادفع عنا هذا الشيطان بما تعلم (او اجهروا به) فهما سيان عند الله (انه عليم بذات الصدور) أى بالخواطر المخصوصة بالقلوب التى ربما لا يشعر بها اربابها (الا يعلم) تلك الخواطر (من خلق) الخواطر والقلوب (و) لو لم يكن خالقهما لعلمهما أيضا (هو اللطيف) اذ هو المجرد والمجرد يجب ان يعلم الكل لانه (الخبير) بذاته وكل من علم ذاته جاز ان يعلمه مع غيره وكل ما جاز فى حق الله فهو واجب اذ كمالاته بالفعل لا بالقوة ثم اشار الى انه لا ينبغى ان يترك ارض لخوف شيطان ولا يجعل له رزق اذ الله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لا تصعب بشيطان (فامشوا فى مناكبها) أى جوانبها أو جبالها ولا تخافوا القاء الشيطان فيها (وكلوا من رزقه) فلا تجعلوه لشيطان (و) ان كان له أثر فهو باذن الله اذ (اليه النشور) أى المرجع فلا يأذن فى حق من توكل عليه (ءأمنتم) اذا خفتم شيطانا بعد التوكل عليه (من) هو اعز منه لكون سلطانه (فى السماء أن يخسف بكم الارض) التى تتركون المشى فى مناكبها لاجله (فاذا هى تمور) تحرك بكم وترتفع فوقكم (ام أمنتم) اذا استعنتم بشيطان فى دفع مرض أو مشقة (من فى السماء) سلطانه (ان يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة فان تركتم فى الدنيا (فستعلمون)

متى نار نعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد ومن قرأ يعش بفتح الشين معناه يعم عنه يقال عشى يعشى فهو اعشى اذا لم يبصر بالليل وقيل معنى

فى الآخرة (كيف نذير) اى ما انذركم به من ارسال الحاصب وان صدقتموهم فى اخبارهم
السماوية فهذا تكذيب منكم للانبياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) فانكرت عليهم بالاخذ
الشديد (فكيف كان نكيراً) يزعمون انهم لولم يصدقوا الشياطين فى أخبارهم يقع عليهم الامر
السماوى عن غفلة منهم (ولم يروا الى الطير) مع كونهن فى محل السقوط لكونهن (فوقهم)
فان أمسكهن كونهن (صافات) أى باسطات أجنحتها (و) لكن لايؤمن عليهن اذ (يقبضن)
أجنحتها فحينئذ (مايمسكهن الا الرحمن) من رحمته بهن فالمتوكل أولى اذا قصده شيطان (انه
بكل شئ بصير) ثم غاية الرقى والادوية انها جند يهزم أعداء الامراض فهل تعتقدون اذا
حاربتم بجنودكم ان الله ينصركم (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن)
وقد ظهر لكم غلبة فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله لكنكم من كفركم بالله تغترون بجنودكم
(ان الكافرون الا فى غرور) بالظاهر من الحقيقة وان سلم ان الجند ناصركم فهم انما صاروا
جندكم بما يعطيكم الله من الرزق أفتعتقدون انكم ترزقونهم (أمن هذا الذى يرزقكم)
هو يرزقهم وان كنتم رازقيهم فهل ترزقونهم (ان أمسك رزقه) عنكم فاذا لم ترزقوهم فكيف
يبقون ناصرين لكم فهم ينصرونكم بما يعطيكم الله وهم لايبالون بهذه المقدمات (بل لجوا)
أى تمادوا (فى عتو) أى عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أ) تعتقدون ان من
نظر الى الاسباب السفلية أهدى ممن نظر فى مسبب الاسباب (فمن) أى فهل من (يمشى مكبا
على وجهه) بالنظر فى الاسباب (أهدى أمن يمشى سويا) بالنظر الى المسبب مع كونه (على
صراط مستقيم) بجعل الاسباب مظاهر أسمائه المؤثرة والله تعالى مؤثر عندها لابها لكنه
راعى الحكمة فى ترتيب الامور فان ادعوا استقلال الاسباب (قل) لاشك ان جماع الوالدين
سبب تكوين الولد لكن يعلم بالضرورة انه لا تأثير له فى انشائه ولا فى اعطائه القوى ومحالها
بل الله (هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) فان نسبتموها الى الافلاك
(قليلا ما تشكرون) بتوفية حقه فى التوحيد وانفراده بالتأثير فان زعموا ان للاسباب معه
تأثيرا (قل) لو صح ما ذكرتم فلاعمالكم أثر فى الجزاء اذ (هو الذى ذرأكم) أى بثكم
واستعملكم (فى الارض) أعمالا (واليه تحشرون) لجزائكم فالاعمال أسباب فلم تعطلونها
(ويقولون) انما نعطلها لانه لاتظهر آثارها فى مدة معلومة (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)
وانما لاتظهرونه لئلا يظهر كذبكم اذا لم يقع الحشر عنده (قل انما) لانعينه لان الله أبهمه
لانه ان قرب تعطلت أمور الناس من خوفه وان بعد لم يلتفت اليه فلذلك كان (العلم عند
الله) لا عند غيره (و) انما أكون كاذبا لو عجزت عن دلائل وقوعه لكن (انما أنا نذير مبين)
بالدلائل القاطعة مع المعجزات المصدقة لى ولو عينت لكم وقته لانتظرتم قربه (فلما رأوه زلفة)
أى ذا قرب (سيئت) أى قبحت (وجوه الذين كفروا) بغبرة ترهقها قترة (وقيل) أى قالت
الزبانية (هذا الذى كنتم به تدعون) انه لايكون فان قالوا بل يسىء وجوهكم لافترائكم على
الله بالنبوة (قل أرأيتم) أى اخبرونى عن ترددكم فى أمرنا مع تيقن أمركم (ان أهلكنى الله

يعش عن ذكر الرحمن أى
يعرض عنه (قوله تعالى
يصدون) أى يعرضون
(قوله تعالى يتدبرون
القرآن) يقال تدبرت الامر
أى تفكرت فى عاقبته

ومن معى أو رحمنا) مع ان الله صدقنا باظهار المعجزات على أيدينا (فمن يجير) أى يمنع (الكافرين) به وبآياته (من عذاب أليم) تحقق لهم فان زعموا ان التردد يم أمرنا وأمركم (قل) لا وجه للتردد فى أمرنا اذ (هو الرحمن) الذى شأنه أن يرحم من لا يكفر به ولا يعصيه (آمنا به وعليه) لا على الاسباب (توكلنا) فلم يعذبنا دونكم فان شككتم بعد هذا فلا يمكن تفهيمكم (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) هل هو المؤمن به المتوكل عليه أو غيره فان زعموا ان القول بتعطيل الاسباب هو الضلال (قل أرأيتم) أى اخبرونى هل ترجعون الى سبب سماوى أو أرضى (ان أصبح ماؤكم غورا) لا تناله آلة (فمن يأتيكم) من الاسباب (بماء معين) سهل المأخذ أم ترجعون فى طلبه الى الله تعالى وحده من غير سبب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة ن)

سميت بها لدلالتها على مبدا اخلاق محمد صلى الله عليه وسلم أو مبدا نبوته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى محمد صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بخلق القلم الاعلى وسائر العقول العالية واللوح المحفوظ وسائر النفوس السماوية (الرحيم) بالانعام على محمد بالنبوة والولاية والهداية العامة والاخلاق الكريمة (ن والقلم وما يسطرون) أى اقسم بالنفس الكلية أى اللوح المحفوظ مبدا الوحى والقلم الاعلى أى العقل الاول من حيث هو مبدا ثبوته فى اللوح المحفوظ أو بالنفس الرحمانى الذى هو مبدأ روحانيته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو روحانيته أو بنور الاحدية الذى هو مبدأ حقيقته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو مبدأ وجودها فان الروح أول ما وجد منها أو بنبوته وبالقلم الاعلى الذى هو مبدأ نبوته فان النبوة كانت لروحه أولا ولكله آخرا وبما يسطره العقول من نقوش الكائنات على ألواح النفوس السماوية (ما أنت بنعمة ربك) من النبوة والولاية وسائر المقامات العالية والمنازل الرفيعة (بمجنون) وان كان فيها ما يحير عقول الجمهور كيف (وان لك) هداية كلية توجب (لأجرا غير ممنون) أى غير منقطع الى يوم القيامة وكيف لا يكون لك تلك الهداية (وانك لعلى خلق عظيم) من اخلاق الله تجذب بها الجمهور الى الهداية فيكون لك أجرهم الى يوم القيامة أو كيف تكون مجنونا والمجنون انما يكون على الاخلاق الرديئة وأنت على مكارمها واذا كانت بك الهداية العامة كنت نورا تبصر به أنت ومن اتبعك وسيظهر لمن خالفك الشيطان ظهورا عقليا (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أى بأى الفريقين من المهتدين بك الملك أو المكذبين لك الشيطان الذى فتن عن الحق أى صرف عنه فصرف الناس عن الهداية وبلغ فى ذلك حتى جن من قارنه ولا ظلم فى صرفهم عن هذا النور بالاعماء عنه لانه تابع للعلم الالهى التابع لاستعدادات الحقائق المعلومة له فى الازل (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) واذا كان لك كمال العقل والهداية (فلا تطع المكذبين) لهدايتك الضرورية المنزهة عن الجنون اذا دعوك لترك التشديد عليهم والطعن فى دينهم وآلهتهم طمعا فى

والتدبير هو قدس دبر الكلام بقبله لينظر هل يختلف ثم جعل كل شئ تدبيرا (قوله عز وجل يغركم) ينقصكم ويظلكم يقال وترنى حقى أى ظلمنى (قوله

رجوعهم الى الهداية لكنهم ليسوا بهذه المظنة اذ غايتهم أنهم (ودوا لو تدهن) أى أحبوا ان تلين لهم (فيدهنون) بترك الطعن عليك لكنه قاطع لدعوتك التى هى سبب هدايتك العامة (و) اذ كانت لك الاخلاق الكريمة (لا تطع) ذا الاخلاق الذميمة التى هى منشأ الافعال القبيحة (كل حلاف) وهو الوليد بن المغيرة حلف لك اذا تركت التشديد عليه والطعن فيه تأمل فى شأنك فيرجع الى الحق فلا تعتمد على حلفه لانه كثير الحلف لاستهانته بالله من اتصافه بوصف (مهين) اذ شأن العزيز رعاية عزة كل عزيز والمهين لا يترك التشديد عليه والطعن فيه مثله كالعبد يقرع بالعصا كيف وهو متصف بوصف (هماز) أى كثير الغيبة وليس ذلك من شأن الاعزة ويخاف أن يغتابك بالضعف على أنه اتصف بوصف (مشاء بنميم) أى كثير النقل للاحاديث على نهج السعاية فهو أهون ويخاف أن ينم ضعفك الى الناس ليتقووا عليك ومع ذلك متصف بوصف (مناع للخير) فكيف يرجى منه التأمل للرجوع الى الخير بل يزداد منعا للناس عنه عند رؤيته ضعفك ولا يقتصر على منع الخير بل يتصف بوصف (معتد) أى مجاوز الحد فى الظلم فيخاف أن يظلمك وأصحابك عند رؤيته ضعفك ولا يبعد منه لاتصافه بوصف (أثيم) أى كثير الاثم لاتصافه بوصف (عتل) أى غليظ لا يلين لوعيد الحق فلا يرجى منه التأمل للرجوع الى الحق وهو (بعد ذلك) المذكور من مثالبه متصف بوصف (زنيم) أى دعى ادعاه أبوه بعد ثمان عشر سنة وهو منشأ جميع الاخلاق الذميمة ومن أعظم ما فيه من الذمائم أنه يكفر فى موضع الشكر وهو انه لاجل (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (قال) فى دفعها انها (أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى يسطرونها فقال الله تعالى فى تعجيل جزائه (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه فأصابه جراحة يوم بدر فبقى أثرها ومع ذلك لم يزل مستشارا لاهل حتى قحطوا (انا بلوناهم) بالقحط سبع سنين من غير أن يعم سائر البلاد لمشاورتهم هذا الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله (كما بلونا أصحاب الجنة) المسماة ضروان كانت على الطريق بفرسخين من صنعاء لصالح كان ينادى الفقراء وقت الصرام فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فان المال قليل والعيال كثير وكان مال أبينا كثيرا وعياله قليلا فأصابها البلاء دون ما حولها (اذ أقسموا) على منع حق المساكين بمشاورة مكذبى مضاعفة الصدقة وأرباب الشح المطاع (ليصرمنها مصبحين) أى ليقطعن ثمارها وقت الصباح بحيث لا يعلم مسكين بذلك (ولا يستثنون) أى ولا يخرجون شيأ من حق المساكين (فطاف عليها) أى أحاط بها بلاء (طائف) وهى نار نزلت من السماء (من) أمر (ربك) فأحرقتها غضبا عليهم لحق المساكين فكيف لحقك وحق آياته (وهم نائمون) أى غافلون غفلة أهل مكة عن سبب القحط (فأصبحت) أى فصارت بالاحتراق (كالصريم) كالليل الاسود أو كالرماد (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) أى وقت الصبح اذ لم يكشف لهم عما جرى عليهم بالليل (أن اغدوا) أى اخرجوا غدوة (على حرثكم ان كنتم صارمين) أى قاصدين قطع ثمارها وقد قطعها البلاء من أصلها (فانطلقوا

وهم

تعالى ولن يتركم أعمالكم
أى لن ينقصكم شيأ من
ثوابكم ويقال وترت الرجل
اذا قتلت له قتيلا أو أخذت
له مالا بغير حق وفى الحديث
من فاتته صلاة العصر

وهم يتخافتون) أى فشوا وهم يكتمون ذهابهم جازمين (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)
ولم يمكنهم منع دخول البلاء الالهى كما جزم أهل مكة أن لا يدخل الاسلام أحد فيشاركونهم
فى أرزاقهم (وغدوا على حرد) أى سرعة (قادرين) على تحصيل الغلة مسارعة أهل مكة الى
منع ظهور النبوة (فلما رأوها قالوا) أول ما رأوها ماهى بها (انا لضالون) طريقها ثم تأملوها
فقالوا (بل نحن محرومون) كذلك أهل مكة اذا رأوا القحط قالوا ليس بقحط حقيقى بل
انقطاع المطر أياما قلائل فلما استمر عليهم قالوا بل نحن محرومون عن الارزاق (قال أوسطهم)
أى أعدلهم رأيا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تنزهون الله عن أن يخلف وعد المضاعفة
فى الصدقة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تنزهون الله عن أن يشاركه فى آياته غيره
فاذا تبين لهم الغلط اعترفوا بالظلم كما (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) وكان ظلمنا بمشاورة
أهل السوء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا لان منهم من أشار
ومنهم من استصوب كذلك اذا تحقق صدق الآيات يوم القيامة يلوم بعضهم بعضا (قالوا) أى
الملومون (يا ويلنا) تعال الينا (انا كنا طاغين) أى مجاوزين حدود الله بمنع حقوقه طغيان
هؤلاء فى حقوق الآيات (عسى ربنا أن يبدلنا) ببركة التوبة (خيرا منها انا الى ربنا راغبون)
أى طالبون الخير بانتهاء الرغبة فيه الى الله تعالى قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا
وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا
كذلك يرجى لهؤلاء اذا تابوا ان يعطوا خيرا مما ضيع عليهم لاجل القحط (كذلك) أى مثل
ابتلاء أهل مكة وأصحاب الجنة (العذاب) أى كل عذاب دنيوى يرجى بعده الخير (و) لا يرجى
ذلك فى عذاب الآخرة (لعذاب الآخرة أكبر) والغضب فيه أشد فلا يعقبه خير يعلمون ذلك
(لو كانوا يعلمون) الحقائق ولا ينتقض بما يحصل لعصاة المؤمنين من الجنة بعد العذاب لانه
ليس بعذاب بالحقيقة بل تطهير لهم لتكميل نعيمهم فى الجنة (ان للمتقين) الكفر (عند
ربهم) الذى يزكيهم بالعذاب لمزيد التنعيم (جنات النعيم) بالحقيقة (أ) نجعل عذاب المسلمين
حقيقيا كعذاب الكفار (فنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) بعدم الفرق
بينهما لتبطلوا فائدة المسلمين بل تقولون نحن نؤتى أفضل مما يؤتى المسلمون ألكم عليه دليل
عقلى (أم لكم كتاب) سماوى (فيه تدرسون) بالنص الجلى (ان لكم فيه لما تخيرون) أى
يجدونه خيرا فان كان فهل هو مجرد عن اليمين (أم) مقارن لها بل (لكم أيمان) تغلبون بها
(علينا) لا الى مدة منقطعة عن قريب بل (بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) به علينا
فان اعترفوا انه لا دليل لهم عقلى ولا كتاب بل كلام آبائهم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى كفيل
فان ذكروه فهل هو عبد من عباد الله يحكم على الله (أم) من شركائه اذ (لهم) فى زعمهم
(شركاء فليأتوا بشركائهم) لمناقضة الله ومغالبته (ان كانوا صادقين) فان أتوا بهم اليوم
فكيف يأتون بهم (يوم يكشف عن ساق) أى عن أصل الامر وحقيقته (و) ان زعموا انهم
ليسوا فى معرض المناقضة والمبالغة لانهم مظاهر حتى كان سجودنا لهم سجود الله وتطرقا

(قوله فكأنما وتر أهله وماله (قوله أيغتب بعضكم بعضا) عز وجل الغيبة أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه واذا استقبل به فتلك المجاهرة واذا قيل ما ليس فيه فذلك البهت

اليهم نظرا الى الله وسطناهم المجزناعن سجود المنزه والنظر اليه يقال لهم هذا باطل اذ (يدعون الى السجود) لله (فلا يستطيعون) اذتصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) أى ذاملة (أبصارهم) فلا يستطيعون النظر اليه بل (ترهقهم) أى تغشاهم بكليتهم (ذلة) لانهم أذلوا الله اذرأوا اظهوره فى شركائهم كماله الحقيقى وهو نقص (وقد) كذبوا فى دعوى عدم قدرتهم على سجود المنزه فانهم (كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) سلامة المسلمين الذين سجدوا للمنزه وان كذبوا بقضية الكشف عن الساق والدعوة الى السجود (فذرنى) أى خلنى (ومن يكذب بهذا الحديث) فلا تعجل بدعاء المؤاخذة عليهم (سنستدرجهم) أى أجعلهم على درجات المعاصى فآخذهم (من حيث) أى من جهة (لا يعلمون) انها جهة الاخذ (وأملى) أى امهل (لهم) وان عظموا الجرائم مكرابهم (ان كيدى متين) لايمكنهم دفعه بكيدهم ايجعلون هذا كيدا منك لا لتحصيل شئ (أم) لتحصيله اذ (تسئلهم أجرا فهم من مغرم) أى من تحمل غرامة بلا عوض (مثقلون) فان كان لك كيد لتحصيل شئ فهل علموه بدليل (أم) بالكشف اذ (عندهم الغيب) فان صح (فهم يكتبون) ما فيه ويستغنون به عنك واذا لم يؤمنوا لك بعد هذا (فاصبر لحكم ربك) بتأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون أو يزدادون اثما (ولا تكن) فى استعجال العذاب عليهم (كصاحب الحوت) يونس بن متى عليه السلام استعجل العذاب على قومه فلم يجب فخرج عنهم من غير اذن ربه فركب السفينة فسكنت الريح فزعم اهلها انه انما يكون لعبد آبق فساهموا فخرج السهم باسم يونس فالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت فهو وان كان كاملا الا انه تذالل (اذنادى) بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (و) كيف لا يكون هذا التذالل من كمالاته مع صدوره منه اذ (هو مكظوم) اى مملوء غيظا او الغائظ لا يتذالل لكن مع هذا لما ترتبت على ترك الاولى كادت تسقطه عن كماله بحيث (لولا أن تداركه نعمة من ربه) هى عنايته بابقاء كمالاته (لنبذ بالعراء) اى الارض الخالية عن الاشجار فلا يخلو عن ذلة (وهو مذموم) لا كرامة له لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) للكرامات (فجعله من الصالحين) أهل الكرامات (و) لا يبعد من الله اسقاط أهل الكمال الى مهواة الذم كما لا يبعد من الكفار اسقاطك بعد علمهم بكمالك (ان) اى انه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا كمالك (ليزلقونك) اى يرمونك ويزلون قدمك (بأبصارهم) مع علمهم بكمالك (لما سمعوا الذكر) اى الكلام المعجز (ويقولون) لذمك انه ليس بكلام الله بل كلام جنى (انه لمجنون) ولم يعلموا ان كلام المجنون لا يكون له شرف فضلا عن الاعجاز (و) هذا الكلام (ما هو الا ذكر) اى شرف (للعالمين) الجن والانس والملائكة فان كل من تكلم به قيل انه يتكلم بما يعجز عنه الكل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل بأيكم) و بالتكم أى بأيكم يقال لات يليت وألت يألت لغتان

(قوله عز وجل يجمعون)

(قوله عز وجل يسامون) أى يموتون

(يصعقون)

(سورة الحاقة)

سميت بها لانتهاء إلى مزيد تأكيد محقق يوم القيامة لوقوع حواق الامور وظهور حقائق
الاشياء فيها وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الحاقة (الرحمن)
بتعظيم شأنها للاستعداد لها (الرحيم) ببيان نظائر ما يقع فيها (الحاقة) اى الحادثة التى
يحق وقوعها لوقوع حواق الامور من الجزاء والحساب والميزان ومعرفة حقائق الاشياء فيها
يستفهم عنها تعظيما وتعجيبا فيقال (ما الحاقة) و يجاب عنها بقصور علم الخلائق عن
كنهها فيقال (وما أدراك ما الحاقة) نعم يمكن بيانها بنظائر ما يقع بها سابقة من انواع العذاب
المختلفة لاختلافه طولا وقصرا وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها فتفصيل
ذلك انه (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى الحادثة التى تقرع الاجسام بالانفطار اقيمت
مقام الحاقة لبيان مزيد شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى بالصيحة المجاوزة للحد
فى الشدة فى مقابلة صيحة الناقة عند الذبح لمجاوزتهم حد التكذيب بمحو الآية بالكلية لكن
قصر زمانها (وأما عاد فأهلكوا بريح) لغلبة الاهوية عليهم (صرصر) شديد الصوت
(عاتية) شديدة الهبوب لا من الاتصالات الفلكية بل الله (سخرها) اى سلطها بغضبه
(عليهم) لا على هود والمؤمنين به (سبع ليال وثمانية أيام) من صبيحة اربعاء الى غروب
اربعاء لانهم تحملوا الاهو يتهم قحط سبع سنين فطالت عليهم لكل سنة يوما وليلة مع زيادة
يوم لانهم لم يقطعوا تحملهم بهذه المدة وانما لم تكن سبع سنين لانها كانت تحسمهم (حسوما)
اى تقطع دابرهم قطعا كليا (فترى القوم فيها) اى فى تلك الايام والليالى (صرعى) اى
موتى (كأنهم أعجاز) اى اصول (نخل خاوية) اى ممتلأة الاجواف لان الريح اخرجت
احشاءهم (فهل ترى لهم من) نفس (باقية) فوقع على هاتين الفرقتين شدة لكنها غير زائدة
ثم اشار الى الزائدة فقال (وجاء فرعون ومن قبله) اى من فى جهته من جنوده (والمؤتفكات)
اى اهل قرى لوط (بالخاطئة) اى بالافعال ذوات الخطا كاستعباد بنى اسرائيل وذبح
أولادهم واللواط فارسل اليهم الرسول (فعصوا رسول ربهم) فى كل ما جاءهم به (فأخذهم
أخذة رابية) اى زائدة على محض تكذيب الرسل بان اعطينا املاك فرعون وقومه لاعدائهم
بعد اغراقهم وجعلنا المؤتفكات عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فلم يؤاخذوا
بمجرد الخطايا ولم يختلف عذابهم بمجرد تكذيب الرسل بل ضم فى حقهم احدهما الى الآخر
لزيادة الشدة وتنوعها يدل على كون ما مر مؤاخذة انجاء نوح والمؤمنين مع عدم خروجهم
عن الطوفان الذى اخذ به قومه (انا) لعظم قدرتنا (لما طغى الماء) اى جاوز ماء طوفان نوح
حده (حملناكم) اى آباءكم لتخليصهم (فى) السفينة (الجارية) فى ذلك الطوفان جريانا
يشبه المشى على الصراط على متن جهنم (لنجعلها لكم تذكرة) تذكرون بها كيفية النجاة
عند اهوال يوم القيامة وهذا لمن رآها (وتعيها) اى تحفظ ما تسمع منه التوصلها الى آخرين
(أذن واعية) لمن لم يرها ولما فرغ من ذكر النظائر السابقة اشار الى ما يقع فى القيامة من
نظائرها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى نظير صيحة ثمود (و) يحصل منها

(قوله يسرنا القرآن للذكر)
سهلناه للتلاوة ولولا ذلك
ما اطاق العباد ان يلفظوا
به ولا أن يسمعوه (قوله
تعالى يطمثهن) أى

ريح بها (حملت الارض والجبال فدكتا) اى ضربتا بعضها ببعض (دكة واحدة) صارتا
بها هباء فالريح كريح عاد والحمل كحمل المؤتفكات (فيومئذ وقعت الواقعة) على العالم
بالافناء (و) تبعه العالم العلوى حيث (انشقت السماء) لانها انما خلقت لتكوين الاشياء
وافسادها فى العالم السفلى (ف) اذا فنى لم يبق لها فائدة ولم يمنع من انشقاقها قوتها التى ابقاها
على مر الدهور اذ (هى يومئذ) بتأثير النفخ فيها (واهية) اى ضعيفة وقد تأكد بالنفخة
الثانية (والملك) المحرك لها الحركة الدورية المانعة من الانشقاق المتوقف على الحركة
المستقيمة قد صار (على أرجائها) فلم يبق له تحريك فامكن بتحريك النفخ اياها بالعسر على
الاستقامة كيف (و) اثر النفخ كاد يلحق العرش فقوى بزيادة اربعة من الحملة فيه اذ
(يحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق ملائكة السماء لعجزهم عن حمله (يومئذ ثمانية) وكانوا
قبله اربعة (يومئذ) لظهور العرش بزوال الحجب السماوية (تعرضون) وظهر بظهوره
اللوح المحفوظ لذلك (لا تخفى) على أحد من أحد (منكم خافية) وعلم بظهوره ما فى كتاب
اعماله قبل ان يأخذه (فأما من أوتى كتابه بيمينه) لقوته وغلبته على هواه (فيقول)
للملائكة تبجحا (هاؤم) اى خذوا كتابى (اقرؤا كتابيه) فليس فيه ما يحزننى (انى ظننت)
اى علمت فى الدنيا علما لا يقدح فيه ما لا يخلو عنه الانسان من خواطر اذ لم يستقر بقلبه
(أنى ملاق حسابيه) فحاسبت نفسى قبل ان احاسب (فهو) فى حال قراءة الكتاب مع وفور
الشدائد (فى عيشة راضية) اى ذات رضا كأهل سفينة نوح فكانهم قبل دخول الجنة
(فى جنة عالية) لكونهم فى اعلى درجات القرب من ربهم (قطوفها) ما يجتنى لهم من
ثمرات الجنة فى المحشر (دانية) اى قريبة منهم يقال لهم قبل دخولها (كلوا واشربوا)
من الجنة (هنيئا) لا يؤذيه شئ من هذه الشدائد (بما أسلفتم) اى قدمتم من الصيام
وغيره (فى الايام الخالية) اى الماضية (وأما من أوتى كتابه بشماله) لضعفه مع الاهوية
(فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه) فلم افتضح بما فيه (و) يا ليتنى (لم أدر ما حسابيه) فلم اعذب
بتذكره عذابا عقليا مع الحسى (يا ليتها) اى يا قبائحى (كانت القاضية) لى بالعذاب
من غير كتاب ولا حساب ومن غير ان أعرض على الله تعالى اذ ليس كسائر الملوك ينفع عندهم
المال لذلك (ما أغنى عنى ماليه) وانما ينفع عنده الحجة لكن (هلك عنى سلطانيه) اى حجتى
فيقول الله عز وجل لخزنة جهنم ضما للعذاب الحسى الى العقلى (خذوه) بالقهر والشدة
(فغلوه) اى ضموا يديه الى عنقه اذ لم يشكر ما ملكته مما يمد به يده الى فيه (ثم الجحيم صلوه)
لانه لم يشكر شيأ من لذائذ النعم فاذيقه شدائد النقم (ثم فى سلسلة) اى حلقة منتظمة باخرى
وهى بثالثة وهلم جرا (ذرعها) اى مقدارها (سبعون ذراعا) بذراع الملك كل ذراع سبعون
باعا وكل باع ابعد مما بين مكة والكوفة (فاسلكوه) اى فأدخلوه اى لفوه بها بحيث يكون
فيما بين حلقها امرها فلا يقدر على حركة (انه كان) قائلا بتسلسل الحوادث لكونه (لا يؤمن
بالله العظيم) فاستحق لعظيم العذاب كيف وليس معه من المخففات شئ اذ لا يتأتى له عبادة بدنية

وانما

يمسسن والطمث النكاح
بالتدمية ومنه قيل للحائض
طامث (تماسا) كناية عن
الجماع (قوله عز وجل
يثقفوكم) أى يظفروا
بكم (قوله عز وجل

وانما يتصور له عبادة مالية (و) لكن كان (لايحض على طعام المسكين) اى لا يأمر أهله به واذا كان غضب الله عليه الى هذا الحد (فليس له اليوم) الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيأ سيما (ههنا) اى فى المحشر الذى يفر فيه المرء من ابيه واخيه و بنيه (حميم) اى قريب ينفعه قرابته (ولا طعام) لعدم شكره على طعامه وعدم حضه على طعام المسكين (الامن غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم وهومن غاية قبحه بحيث (لا يأكله الا الخاطؤن) فى الاصول والفروع جميعا واذا ظهرت لكم هذه التفاصيل مع هذه اللطائف فى هذا الكلام المجزمع الدلالة على كل مطلوب بقواطع الادلة (فلا أقسم) اى فلا احتاج الى القسم (بما تبصرون) من فوائده ولطائفه (ومالا تبصرون) منها (انه لقول) الله المنزل على (رسول كريم) ليس من شأنه الافتراء على الله (وماهو بقول شاعر) اذليس على أوزانهم ولا على طريقهم فى التخييل الفاسد لكن (قليلا ماتؤمنون) بما ظهر صدقه بالضرورة (ولا بقول كاهن) فانه وان اشتبه به على الضعفاء لكنه يزول بادنى تذكر لكن (قليلا ماتذكرون) بل هو معجز مشتمل على مالا يتناهى من العلوم والفوائد فهو (تنزيل من رب العالمين) نزله لتربية الكل فى الامور الدينية والدنيوية (ولو تقول) اى افترى (علينا) بقوة فصاحته و بلاغته (بعض الاقاويل) مع ظهور أن لا يتأتى الاعجاز للفصحاء والبلغاء فى جميع اقاويلهم (لاخذنا منه) قوة الفصاحة والبلاغة (باليمين) اى بقوتنا (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه الذى به يتحرك لسانه فنجعل كلامه ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين كترهات مسيلمة وابى العلاء المعرى وغيرهما (فما منكم من أحد عنه) اى عن سلب بلاغته وفصاحته (حاجزين) اى مانعين فانكم وان اعنتم وحينئذ لم يتأت منه كلام بليغ فضلا عن المعجز وذلك لانه يفضى الى تلبيس لايمكن رفعه وهو مناف للحكمة وكيف يكون افتراء (وانه لتذكرة للمتقين) فانهم بتصفيتهم للبواطن يتذكرون بها علوما تفيدهم فى الدارين من غير انتهاء لها ولا شئ من المفترى كذلك (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) للتصفية والتذكر بها (وانه) اى تكذيب ذلك (لحسرة على الكافرين وانه) اى تحسرهم وان أنكروه (لحق اليقين) يشاهده أهل الكشف بالتصفية الحاصلة بذكر الله (فسبح باسم ربك العظيم) لتكميل تلك التصفية فيكمل يقينك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المعارج)

سميت بها لدلالتها على غاية رفعة الله تعالى بحيث لا تتناهى درجات الصعود اليه وان صاعديها لا يقدرون على دفع ارادته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى معارجه فظهر لمن صعدها واحتجب عمن لم يصعدها (الرحمن) باصعاد أوليائه وابعاد اعدائهم (الرحيم) بامهالهم ليتوبوا فيصعدوا (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة الآية أو ابو جهل فأسقط علينا كسفا من السماء الآية اى دعا داع ذكره بطريق

يسطرون) أى يكتبون (يمين) فى قوله لأخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة وقيل معناه لأخذنا بيمينه فمعناه من التصرف والله

المطابقة بعد مافهم التزاما ففيه ايهام الجمع بين المتقابلين ثم ان فيه ابهاما من حيث هو اسم جنس وتنكيرا ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتنكيره لتفخيم امره فى الكفر والعناد والاستهزاء وتحقيره فى العقل والبصيرة ففيه ايهام الجمع بين الضدين ولم يذكر المسؤل لانه لما لم يحتمله اسقطه من الاعتبار فاشير اليه باسقاطه من اللفظ (بعذاب) اى المؤاخذة به وتنكيره للتعظيم مع الاستهزاء الموجب للتحقير وهو طلب الحاصل لانه طلب (واقع للكافرين) والسائل كافر ولا يحتمل اللاوقوع فيطلب الجزم به اذ (ليس له دافع) لصدوره (من الله) الذى لا دافع لارادته لاتصافه بوصف (ذى المعارج) اى الدرجات الغير المتناهية وليس للادنى دفع ارادة الاعلى بدرجات متناهية فكيف لغير المتناهية وانما كانت درجاته غير متناهية لانه (تعرج الملائكة والروح) اى جبرئيل أو خلق اعظم من الملائكة (اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) مع انهم ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون منها الى السماء فى لحظة واحدة فذلك من تناهى الدرجات وانما جعله يوما لانهم من افراط شوقهم يستقصرون هذه المدة ومع هذا الصعود ليس لهم شفاعة الكفار لعظم جرمهم (فاصبر) على استهزائهم (صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال ولا اضطراب قلب وانما أمرناك بالصبر مع استعجالهم لانه من استبعادهم (انهم يرونه بعيدا و) أمرناك بالصبر لانا (نراه قريبا) لانه يكون عند انقراض ايام الدنيا وهو قريب فيكون (يوم تكون السماء) من ارتفاع لهب النار (كالمهل) كالفضة الذائبة (وتكون الجبال) من غلبة الريح المصعدة لها عن النفخ فى الصور (كالعهن) اى الصوف المصبوغ الوانا لان فيها حمرا وبيضا وسودا فاذا بست وطيرتها الريح رئيت كذلك (و) بالجملة تكون شدة ذلك اليوم بحيث (لا يسئل حميم) اى قريب (حميما) عن حاله مع انهم (يبصرونهم) احوالهم ليرقوا لهم لكن لا يبالون لهم بل (يود المجرم) اى يتمنى الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه) الذين هم محل شفقته (وصاحبته) التى هى احب اليه (واخيه) الذى يستعين به فى النوائب (وفصيلته) اى اقاربه (التى تؤويه) عند الشدائد (ومن فى الارض) من الثقلين (جميعا ثم ينجيه) اى نفسه من عذابه (كلا) ردع عن ذلك التمنى (انها) اى النار التى جعلت السماء كالمهل (لظى) اى لهب خالص من غضب الله على اعدائه (نزاعة للشوى) اى الاطراف أو جلدة الرأس (تدعوا) اى بجذب الى نفسها (من ادبر) عن الايمان بالله (وتولى) عن طاعته (وجمع) المال ايثارا له على الله (فأوعى) اى جعله فى وعاء منعا لصرفه فى حقوقه من قلة صبره وشدة حرصه (ان الانسان خلق هلوعا) قليل الصبر شديد الحرص (اذا مسه الشر) الذى هو كاللازم للايمان بالله وطاعته يكون (جزوعا) من قلة صبره فيدبر ويتولى (واذا مسه الخير) يكون من شدة حرصه (منوعا) لخروجه عنه فيجمع ويوعى (الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون) لا يشغلهم عنها جزع ولا منع بل تدفعهما (والذين فى أموالهم حق معلوم) هو الزكاة والفطرة حاصل (للسائل) عن الناس (والمحروم) المتعفف الذى يحرمونه فانهم ليسوا جازعين

(قوله يحموم) هو الدخان أعلم وكل أسود يحموم (امامه) قيل يفجر عزوجل يكثر الذنوب ويؤخر التوبة وقيل يتمنى الخطيئة ويقول سوف اتوب سوف اتوب

على

على خروج المال ولامانعين للخير لكنهم دون المصلين لانهما ربما يشغلانهم وان لم يؤثرا فيهم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى الجزاء فانهم لايجزعون بالشر ولايمنعون الخير لعلمهم بجزاء البليات والصدقة لكنهم دون المصلين والمزكين لانهما كثيرا مايشغلانهم لكن يرجحون عليهم بمقتضى علمهم بالجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون فيخافون من عقاب الجزع ومنع الخير بل (ان عذاب ربهم) مع الصبر وايتاء الخير أيضا (غير مأمون) اخره عن التصديق بالجزاء لان داعيه حب وداعيه خوف والعمل مع الحب اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) فانهم صابرون (الا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم) بترك الصبر عليه (غير ملومين) حتى يعدوا من اهل الجزع (فمن ابتغى وراء ذلك فاؤلئك هم العادون) اى المجاوزون حد العفة فلايكونون صابرين اذا اتوا أزواجهم أوماملكت ايمانهم أيضا فهذا متعلق بعدم الجزع فقط (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فانهم ليسوا مانعين للخير واخره عن الاول لان الصبر اشد ولذا قدم قوله اذا مسه الشر جزوعا وعدم الجزع والمنع فيما ذكر محقق ثم أشار الى مايتوهم فيه عدم الجزع فقال (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى حافظون فانهم يعزمون على الصبر لواذاهم المشهود عليه وهذا كله فيما يقارن العمل ثم أشار الى مايتأخر عنه فقال (والذين هم على صلوتهم) بعد الفراغ منها (يحافظون) فيصبرون عن الرياء والعجب (أولئك) المتزكون عن رذيلتي الجزع والبخل (فى جنات مكرمون) لاتصافهم بمكارم الاخلاق واذا فعل ماللكافرين اولى الاخلاق الذميمة والمؤمنين اولى المكارم (فما) اى اى حالة حصلت (للذين كفروا) حال كونهم (قبلك مهطعين) اى نحوك متطلعين تطلع المتأمل مع كونهم (عن اليمين وعن الشمال عزين) اى متفرقين تفرق المعرض كانهم يريدون التأمل فيخافون لزوم الحجة فيعرضون (أيطمع كل امرئ منهم) بترك التأمل لئلا تلزمه الحجة فيدخل النار (أن يدخل جنة نعيم كلا) ردع عن هذا الطمع (انا خلقناهم ممايعلمون) ليتأملوا فى مبدئهم ومنتهاهم فيعلموا بمقتضاه فيفوزوا والا خابوا وقد وجب التأمل اذ بعثت للامر به فاذا لم يتاملوا (فلا أقسم) اى فلا حاجة الى القسم (برب المشارق والمغارب) المستبدل طلوع كوكب بغروب مايقابله وغروب كوكب بطلوع مايقابله ومستبدل الظلمة بالنور والنور بالظلمة (انا لقادرون على أن نبدل) لصحبتك ليتأملوا فيما امرناهم (خيرا منهم) كالانصار (و) لاتعارض فى قدرتنا اذ (مانحن بمسبوقين) اى مغلوبين واذا وجب عليهم التأمل وهم يخوضون ويلعبون (فذرهم يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) بالآيات (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) للجزاء يجيبون فيه داعى الله وان لم يجيبوه اليوم فانهم (يوم يخرجون من الاجداث) اى القبور يسرعون الى الداعى (سراعا كانهم الى نصب) اى صنم نصب للعبادة (يوفضون) اى يستبقون لاستلامه طمعا فى ان يكون فى حق السابق ارحم منه فى حق غيره لكنهم من غضب الله عليهم لعدم اجابتهم داعيه فى الدنيا يكونون (خاشعة) اى ذليلة (أبصارهم) بحيث لايمكنهم النظر اليه بل

(قوله تمطى) اى تبختر يقال جاء يمشى المطيطاء وهى مشية يتبختر فيها وهو ان يلقى بيديه ويتكفا وكان الاصل تمطط فقلبت احدى الطاءين ياء كما قيل يتظنى

(ترهقهم) اى تغشى جميع اجزائهم (ذلة) لاذلالهم داعيه فى الدنيا (ذلك اليوم) هو (الذى كانوا يوعدون) لارهاقهم الذلة على اذلالهم داعى الله فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد و آله أجمعين

(سورة نوح عليه السلام)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وادعيته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نوح عليه السلام (الرحمن) بالانذار والامر بالعبادة والتقوى واطاعة الرسول فى الاحكام الفرعية (الرحيم) بوعد المغفرة والتأخير ان عبد الله واتقاه واطاع رسوله (انا) باعتبار مقام جمعيتنا بين الجلال والجمال للخروج من حجب الاول الى نور الثانى (ارسلنا نوحا) الجامع للمعارف المطلع على كيفية الخروج من الحجب الى الانوار (الى قومه) الذين هم محل شفقته ليخرجهم من حجب الجلال الى نور الجمال بالتخويف عن الاول (أن انذر قومك) الذين عرفوا نصيحتك وصدقك عن الحجب الجلالية (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) لولم يخرجوا عنها (قال ياقوم) الذين شأنهم ان يخافوا مما اخاف منه و يقبلوا نصيحتى لما عرفوا من صدقى (انى لكم نذير) عن البقاء فى الحجاب (مبين) لما يترتب عليه من العذاب ولا يصعب عليكم الخروج عنه فغاية ما عليكم فى ذلك (أن اعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تخرجكم من حجب جلاله الى نور جماله (واتقوه) ان تعبدوا غيره على اعتقاد انه المظهر الكامل له فتعتقدوا النقص فى كماله فيغضب عليكم فوق ما يغضب لو اتيتم بالمعاصى الفرعية (واطيعون) فيما آتيكم منه من الاحكام الفرعية لتحترزوا عن المعاصى الفرعية وانما كانت رافعة للحجب لانكم ان فعلتموها (يغفر لكم) طائفة (من ذنوبكم) التى هى اسباب البقاء فى الحجب فرفعها رفع الحجاب وهى تركـكم فيما مضى من عبادة الله وتقواه ومخالفتكم احكامه لاما كسبتم بعد الاسلام ولا ما كان من حقوق الخلق (و) لم يؤاخذكم بهذه أيضا فى الدنيا بل (يؤخركم الى أجل مسمى) فى حق كل واحد لموته ولا تأخيرله لانه اجل الله (ان أجل الله) بالموت فى حق كل واحد (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) انه لابد لكل واحد من الموت على اجله لكنه قد يتقدم عليه اذا كان المسمى معلقا بأمر لم يتحقق فيتحقق ما علق بضده عند تحققه فيصير هو أجل الله الذى لا يؤخر و بالجملة فالاجل فى حق كل واحد معين عند الله لو كان مجزوما وكذا لو كان معلقا للجزم بوقوع احد المعلقين فى علمه عز و جل فلما عجز عن اخراجهم عن الحجاب (قال رب) اى يا من ربانى بالاطلاع على كيفية الاخراج عن الحجاب الى الانوار (انى) أطلعت قومى على ما أطلعتنى على أكمل الوجوه لانى (دعوت قومى ليلا) بالادلة الخطابية (ونهارا) بالبراهين القاطعة على ضرر الحجاب واستعقابه للعقاب ونفع العبادة والتقوى واقامة الاحكام المفيدة انوار الجمال (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) من المدعو (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) معاصى تحجبهم فتدعوهم الى الفرار (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا تبلغهم الدعوة المانعة عن الفرار (واستغشوا ثيابهم) لئلا يروا الداعى حال دعوته (وأصروا)

واصله يتمطط وقيل يتمطى
يتبختر ويمد خطاه فى مشيته
وقيل يلوى مطاه تبخترا
والمطا الظهر (قوله عز
وجل أن ان يحور) لن يرجع
آن ان يمش (قوله عز وجل

على المعاصي الحاجبة (واستكبروا) على المعذب بها (استكبارا ثم) اى بعد هذا الاصرار والاستكبار وجعل الاصابع فى الآذان واستغشاء الثياب (انى دعوتهم جهارا) بطريق المكاشفة الرافعة للاصرار والاستكبار (ثم) لما انكروا طريق المكاشفة (انى) جمعت لهم بين الدلائل العقلية والكشفية اذ (أعلنت لهم) بالدلائل الكشفية (وأسررت لهم) بالدلائل العقلية (اسرارا) اذ ضممتم ادلائل الكشف التى بها تتم الحجج وترفع الشبه فلما لم ينفعهم هذا كله ابتلوا بالقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار (فقلت استغفروا ربكم) هذه المعاصى التى حجبتكم عن الفوائد الدنيوية لعله يرفع عنكم الحجب بالكلية (انه كان غفارا) فان لم يرفعها بالكلية رفعها عما استغفرتم لاجله (يرسل السماء) اى السحاب (عليكم مدرارا) كثير الدر (ويمددكم بأموال) بتكثير الزرع وغيره (وبنين) بادرار الماء فيكم (ويجعل لكم جنات) بتفجير ماء الارض (ويجعل لكم أنهارا) بتكثير ماء الارض بانفرادها أو مع ماء السماء فيخرجكم عن الحجب الموجبة للقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار فان رضيتم البقاء فى حجب الجلال فمقتضاه تعظيم الله فحينئذ (مالكم) تتكبرون على الله اذ (لا ترجون) اى لا تعتقدون اعتقادا راجحا كاعتقاد الراجى (لله وقارا) اى عظمة (وقد) ظهرت فيكم بعد ظهورها فى خلق العالم اذ (خلقكم أطوارا) اى تارات عناصر ثم مركبات غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما فان انكرتم عظمته فى العالم قبل لكم (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض اظهار الدرجات رفعته (وجعل القمر فيهن نورا) ليكون دليلا على تنور العالم بما تنور من نوره (وجعل الشمس سراجا) اضاءت الكل ليدل على انه المنور للعالم والعالم متنور به اظهر بذلك عظمة نوره (و) كيف تتكبرون على الله مع انه الذى رفعكم من مكان المهانة اذ (الله أنبتكم من الارض) التى هى اهون الاشياء (نباتا) ليرفعكم (ثم يعيدكم فيها) لتعودوا (ويخرجكم) للسؤال عن التكبر عليه وسائر معاصيه (اخراجا) للجزاء (و) كيف تنكرون اختلاف احوال المحتجبين بالجلال والمتنورين بالجمال بكون الكل على بساط واحد من اشراق نور الوجود وقد دل الله عز وجل على اختلافها بعد الجمع اذ (الله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى واسعة فكذلك سبل الجلال والجمال سبل واسعة الى النار والجنة وان جمع اشراق نور الوجود الكل ببساطه (قال نوح رب) اى يا من ربانى بكمال الدعوة (انهم) بعد هذه المبالغة فى الدعوة (عصونى) بالاصرار والاستكبار (و) لم يكن عصيانهم لاتباعهم من هو خير منى بل (اتبعوا من) توهموا خيريته بكثرة المال والاولاد ولم يعلموا ان خيريتهما اذا اكتسب بهما الآخرة وهؤلاء انما اتبعوا من (لم يزده ماله وولده الا خسارا) للامور الاخروية (و) لم يكن اتباعهم اياهم لنصحهم بل لمكرهم فانهم (مكروا مكرا كبارا) لبسوا به الامر عليهم غاية التلبيس (و) من جملته أنهم (قالوا) ان اردتم عبادة الله (لا تذرن) عبادة مظاهره التى ظهر فيها بالالهية فكانت (آلهتكم) والالهية انما تكون لوجوب الوجود بالذات ولا يتصور فى الحوادث وانما اظهر

يدع اليتيم) أى يدفعه عن حقه

•(باب الباء المضمومة)•

(قوله عز اسمه يؤمنون بالغيب) أى يصدقون باخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة واشباه

بالوجود وهو عام لا يوجب للبعض أن يكون معبودا للبعض الآخر (ولا تذرن) على الخصوص صور رجال صالحين تم لهم التجلي الالهي وصورهم في حكمهم فلا تذرن (ودا) فانه مظهر محبته الذاتية التي هي مبدأ ظهوره في العالم (ولا سواعا) فانه مظهر ثباته لانه بمعنى السكون (ولا يغوث) فانه مظهر غوثه للمضطرين (ويعوق) فانه مظهر منعه (ونسرا) فانه مظهر قوته ولما تقارب تنافي المظهرية كانتا في معنى الواحد فلم تكرر لا فيما بينهما ولمزيد الاهتمام بالاول كرر لا تذرن فيه (و) يدل على مكرهم في ذلك ان عبادتهم الو كانت عبادة الله لكانت موصلة لهم اليه مفيدة للهداية لكنهم (قد أضلوا كثيرا) من العابدين عن الله اذ شغلتهم بانفسهم (و) اذا لم تقع عبادتهم لله فهم ظالمون بوضع ما يختص بالله باعتبار ذاته بمظاهره الجزئية (لا تزد الظالمين الا ضلالا) اذ لو افادت أحدهم هداية لكانت داعية للكل الى عبادتهم او ترك عبادة الله باعتبار ذاته ولما ذكر نوح عليه السلام عصيانهم بعد دعوته البليغة اشار عز وجل الى ان عصيانهم كان مغرقهم في بحر المخالفة لذلك (مما خطيئاتهم) أي من أجل بعض خطيئاتهم التي لا يبالون لها وهي مغرقة لهم في بحر المخالفة (اغرقوا) في بحر الطوفان للمعاقبة الدنيوية (فادخلوا نارا) للمعاقبة البرزخية (فلم يجدوا لهم) أي آلهتهم التي عبدوها (من دون الله) فلم تقع عبادتهم لله (انصارا) ولو وقعت عبادتهم لله لكانوا انصارهم بالشفاعة عنده وكيف يكونون انصاره (و) قد (قال نوح) الذي هو أكمل المظاهر (رب) يا من رباني بكمال المظهرية ولم اصر بها الها فمن اتخذ من دوني من المظاهر الها فهو كافر بك وهو اعظم ظلما من نقل عبادتك الى غيره (لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يسكن دارا وكيف تتركهم مع انه مبطل لحكمة ايجادك العالم (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن عبادتك بعبادة من دونك ما بقوا (ولا يلدوا الا فاجرا) أي مظهرا للباطل (كفارا) ستارا للحق ولما دعا على الكفرة بالمؤاخذة الكلية خاف على نفسه ان يؤاخذ بترك الاولى وعلى المؤمنين ان يؤاخذوا بالمعاصي الفرعية فقال (رب اغفر لي) ما يكون معاصي بالنسبة الى ما هو ترك الاولى (و) اغفر (لوالدي) معاصيهما وهما الملك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين فدعا لهما ليكمل برهما (ولمن دخل بيتي) أي سفينتي (مؤمنا) لئلا يغرقها الله بمعصية احدهم (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة كيلا تؤثر معاصيهم في المستقبل في اغراقهم بآثامهم (ولا تزد الظالمين) بعد اغراقهم وادخالهم النار (الا تبارا) أي هلاكا بزيادة العذاب لانه لو لم تزد عليهم لاعتادوا بما يألفونه فلا يجدونه عذابا وكان ذلك في معنى المغفرة لهم فيشاركون المؤمنين في نوع من المغفرة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الجن)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون أقوالهم أشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم اياهم (بسم الله) المتجلي بكمالاته في وحيه (الرحمن) باسماعه الجن والانس (الرحيم) باطلاع من اطلع منهم على محاسن الايمان وقبائح الكفر وعلى عجائب

ذلك (قوله عز وجل يقيمون الصلاة) اقامتها ان يوفى بحقوقها كما فرض الله به عز وجل يقال قام بالامر وأقام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون

القرآن

القرآن وانطاقهم بذلك (قل) لمن يقول انما كان القرآن معجز البشر لكونه كلام الجن انهم اعترفوا باعجاز القرآن لابطريق الخبر منهم حتى يكون محتملا للصدق والكذب بل بطريق الوحى الالهى فانه (أوحى الى أنه) انهم اعترفوا باعجازه حين (استمع نفر من الجن) فرجعوا الى اصحابهم (فقالوا انا سمعنا قرآنا) أى كتابا جامعا للحقائق الالهية والكونية والاحكام والمواعظ وجميع مايحتاج اليه فى أمر الدارين (عجبا) غريبا لاتناسبه عبارات الخلق ولايدخل تحت قدرتهم ومع ذلك (يهدى الى الرشد) الذى هو اعلى مراتب التحقيق فعلمنا انه لايكون الامن الله لتصديق رسوله (فآمنا به) اذ لو لم نؤمن به لزمنا الاشراك بالله فى انزال المعجز (و) لكن (لن نشرك بربنا أحدا و) كيف نشرك به مع أن الاله يجب ان يكون له اعلى مراتب العظمة على الاطلاق (أنه تعالى جد) أى عظمة (ربنا) أن يشاركه فيها أو يكون من يقاربه فى العظمة لذلك (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا و) انما كنا نقول بالصاحبة والولد والشريك اتباعا لابليس على سفاهته (أنه كان يقول سفيهنا) ابليس (على الله شططا) ما يبعد عن شأنه (و) لكن ما عرفنا ذلك (انا ظننا أن) أى انه (لن تقول الانس والجن) مجترئين (على الله كذبا) اذ لا يجترأ على ذى جاه من الخلق فكيف يجترأ على الله (و) لكنهم اجترؤا من الكبر الحاصل لهم من قول الانس (انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) يقولون اذا أمسوا بقفر نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه (فزادوهم رهقا) أى طغيانا على الله (و) انما اجترؤا لظنهم ان لا بعث (أنهم) أى الجن (ظنوا كما ظننتم) أيها الانس (أن) أى انه (لن يبعث الله أحدا و) قالوا انا سمعنا هذا القرآن حين منعنا من أخبار السماء (أنا لمسنا السماء) أى قصدنا الوصول اليها كأنا نريد لمسها (فوجدناها ملئت) ملائكة تحرسنا من الوصول اليها (حرسا شديدا) أى قويا لا يمكننا مقاومته (وشهبا) بايديهم ليرمونا بها (و) انما قصدنا الوصول اليها لاستماع كلامهم (أنا كنا نقعد منها) أى من السماء (مقاعد) كثيرة (للسمع) أى سمع كلام الملائكة باخبار ما يحدث فى الارض لنخبر بها الكهنة وكانت خالية عن الحرس والشهب (فمن يستمع الآن) بعد نزول القرآن (يجد له شهابا رصدا) يرصده (وانا لا ندرى أشر اريد بمن فى الارض) لمنعهم أخبار ما يحدث فيها (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا لمنع الشياطين أن يخلطوا اكاذيبهم (و) الظاهر ارادة الرشد (أنا منا الصالحون) لا يضمون الى ما سمعوا شيأ من الاكاذيب (ومنا دون ذلك) يضمون الى ما سمعوا اكاذيب فيخلطون الصدق والكذب وهو خلط الصلاح بالفساد ولا تتفق اكاذيب واحد باكاذيب الآخر فيلزم الاختلاف اذ (كنا طرائق قددا) أى متفرقة فلا يتفق الاكاذيب أيضا فمنعت جميع تلك الطرق الا طريق الصدق المحض وهو الوحى (وأنا) عند غلبة الظن ارادة الرشد باهل الارض (ظننا) أنا لو بقينا على ما نحن عليه لا يبعد ان يهلكنا وظننا (أن) أى انه (لن نعجز الله) مع انحصارنا (فى الارض ولن نعجزه) اذا هربنا من ظهرها الى بطنها (هربا وأنا) ظننا انه انما يهلك من لا يؤمن بالهدى بعد سماعه لذلك (لما سمعنا الهدى آمنا به) لنأمن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أى نقصا لحقه (ولا رهقا) أى ذلة فضلا عن الاهلاك (و) مع هذا

(قوله تعالى يخادعون الله) بمعنى يخدعون أى يظهرون خلاف ما فى قلوبهم وقيل يخادعون أى يظهرون الايمان بالله ورسوله ويضمرون خلاف

لم يؤمن الكل بل (أنا منا المسلمون) أى المنقادون للحق (ومنا القاسطون) أى الجائرون عنه (فمن اسلم فاولئك تحروا) أى اجتهدوا واقصدوا (رشدا) ففازوا بخير الدارين (وأما القاسطون) فهم لو فازوا بخير الدنيا خسروا الآخرة (فكانوا لجهنم حطبا) أى وقودا (و) لا يبعد تعذيبهم بالنار فانه كتنعيمهم بالماء ولاشك (أن) أى أن الشأن (لو استقاموا على الطريقة) المرضية (لاسقيناهم) تنعيما لهم فى الدارين (ماء غدقا) أى كثيرا وانما جعلنا ذلك تنعيمهم (لنفتنهم) أى نختبرهم هل يتطرون (فيه) فيقيسون عليه التعذيب فى النار أم لا (و) لاشك ان (من يعرض عن ذكر ربه يسلكه) أى يدخله (عذابا) يعلوه (صعدا) سواء كان بالنار أو بغيرها (و) من الاعراض عنه دعوة غيره سيما فى المساجد لما أوحى الى (أن المساجد لله) أى مبنية لعبادته (فلا تدعوا) فيها (مع الله احدا) لئلا تجعلوها مشتركا بعدما بنيت مختصا (و) انما شركوا التعجبهم من عبادة الله وحده حتى أوحى الى (أنه لما قام) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو (عبد الله) بحيث لا يتصور فيه مشاركة غيره اذ بعثه داعيا الى توحيده (يدعوه) فى المسجد الحرام الذى لم يبن الا لتوحيد الاله (كادوا) أى المشركون (يكونون) من تعجبهم (عليه لبدا) متراكمين كلبدة الاسد ولم يكن يشعر بهم لاشتغاله بالله فلما أوحى اليه (قال) لا عجب فى ذلك (انما أدعوا ربى) الذى أرسلنى داعيا الى توحيده (ولا أشرك به أحدا) على خلاف ما أرسلت به فان قالوا اهل تملك انما بهذه الدعوة شيأ (قل انى) وان بلغت من قربه بهذه الدعوة ما بلغت (لا أملك لكم ضرا) هو تعجيل العذاب (ولا رشدا) يدفعه فان قالوا فما فائدة عبادتك له (قل انى) لو عبدت غيره (لن يجيرنى) أى يمنعنى (من) عذاب (الله أحد) عبدته أو تبعته فى عبادة الغير (و) كيف اعبد غيره وانا منجذب اليه بحيث (لن أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ (الا بلاغا) أى تبليغا للفيض (من الله ورسالاته) فانى أجدهما ملجأ من دونه لكونهما فى حكمه (و) اذا كنت فى حكمه حال الانجذاب اليه وغيره كان عصيانى كعصيانه (من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) وهم وان كثروا يكونون (خالدين فيها أبدا) لكن لا يبالون له اعتمادا على كثرتهم وشفاعة أصنامهم فلا يزالون على ذلك (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا) الاصنام أو الرسل (وأقل عددا) الكفار أو المسلمون فالمسلمون وان قلوا فهم لكمال قوتهم أكثر عددا والكفار وان كثروا فهم لغاية ضعفهم أقل عددا فان قالوا لو عرفت ذلك لعرفت وقته (قل ان) أى ما (أدرى أقريب ما توعدون) استعجالا للجزاء بعد استحقاقه (أم) بعيد اذ (يجعل له ربى أمدا) أى مدة تكثيرا له أو لاهله ولا يبعد على ان أجهل بعض الاشياء بما أعلمه من وجه فلست عالم الغيب بل الله على الخصوص (عالم الغيب فلا يظهر) أى لا يطلع (على) شئ من (غيبه احدا) برفع التلبيس عنه من كل وجه (الا) خواصه (من ارتضى من رسول فانه) يطلعه على الغيب مأمونا عن التلبيسات اذ (يسلك) فى ايصال غيبه اليه ملائكة ترصده (من بين يديه ومن خلفه رصدا) يحرسه من تلبيسات الشيطان والولى اذا أطلع على الغيب فلا يأمن من هذه التلبيسات بهذا الطريق بل بعلامات أخر وكثيرا ما يحتاج الى شواهد الكتاب او السنة وانما فعلنا اطلاعه

مايظهرون فالخداع منهم
يقع بالاحتيال والمكر
والخداع من الله عز وجل
يقع بان يظهر لهم من
الاحسان ويعجل لهم من
النعيم فى الدنيا خلاف

ذلك (ليعلم) الرسول (أن) اى ان الشأن (قد أبلغوا) أى الملك الحامل الغيب والمترصدون معه (رسالات ربهم) من غير تغيير شئ منها من جهة الشيطان (و) لا يتصور من جهتهم لانه تعالى (أحاط بما لديهم) من الطبائع والاخلاق كيف (و) قد (أحصى كل شئ عددا) فيحيط بعدد طبائعهم واخلاقهم ولكن الرسل لا يطلعون على جميع الغيوب ليبقى الاختصاص الالهى به فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المزمل)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى لان أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المزمل حتى ارتعد لها فتزمل (الرحمن) بأمره بقيام الليل على أجزاء مختلفة (الرحيم) بالامر بترتيل القرآن (يا أيها المزمل) خوطب به اشارة الى عظم ما حل عليه وانه لا يخف الا بقوة الجذب الى الله تعالى وذلك بقيام الليل (قم الليل الا قليلا نصفه) أى قم نصف الليل الا قليلا يقرب به الى الثلث ذكر الليل أولا ليعلم ان الاصل قيام كله ثم لما استثنى توهم أنه استثناء منه فدل على انه لا يضر نقص القليل ثم لما ذكر النصف علم انه يقوم مقام الكل وان نقص منه القليل ثم قال (أو انقص منه قليلا) أى أو انقص من القليل المستثنى قليلا ليقارب النصف فانه أولى لقيامه مقام النصف القائم مقام الكل (أو زد عليه) أى على النصف بحيث يقارب الثلثين فهو وان نقص عن الكل فهو فى حكم الزائد على الكل ثم أمر بما ينشطه فقال (ورتل القرآن) أى بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها (ترتيلا) يمكن التأمل فيها ليظهر بذلك عظمته التى لاجلها تثقل الاحاطة بما فيه (انا سنلقى عليك) بالتأمل فى القرآن بعد الوحى (قولا ثقيلا) أى عظيما يثقل عليك الاحاطة بجوانبه وتخصيصه بالليل لشدة تأثير القراءة فيه (ان ناشئة الليل) أى القراءة التى تنشأ بالليل (هى أشد وطأ) أى تأثيرا فى مواطأة القلب اللسان (وأقوم قيلا) أى أقوى الاقوال رسوخا فى القلب ولا يتحقق ذلك بالنهار لكثرة اشتغاله (ان لك فى النهار سبحا) أى تقلبا (طويلا) فى المهمات الشاغلة للقلب فلا يتم فيه المواطاة والقوام (و) النهار وان كان فيه سبح طويل فلا ينبغى ان يعطل بل (اذكر اسم ربك و) لا تشغلنك مهماتك عنه بل (تبتل) أى انقطع عنها (اليه) واقطعها (تبتيلا) وان لم تنقطع عنها فانظر الى الله تعالى فيها فانه (رب المشرق والمغرب) فله الظهور فى الاشياء مع البطون عنها اذ لا وجود لها بدون ذلك لانه (لا اله الا هو) فلو لم يظهر فيها أصلا لم توجد ولو ظهر بكليته لم توجد أيضا كما ان الظل بالشمس ولا ظل مع الشمس فلو لم يمكنك النظر اليه فى مهماتك (فاتخذه وكيلا) ليحصلها لك فانه أقدر على تحصيلها واعلم بالمصالح منك (و) اذا تبتلت الى الله تعالى (اصبر على ما يقولون) من نسبتك الى الجنون (و) ان لم يتأت لك الصبر مع اختلاطهم (اهجرهم) أى جانبهم (هجرا جميلا) لا حزن معه ولا غش ولا جزع (و) ان كذبوك فى كفاية الله من انقطع اليه أو توكل عليه (ذرنى والمكذبين) لانكارهم نسبة النعم الى مع كونهم (أولى النعمة) لكن ينسبونها الى أكسابهم

ما ينجيهم عنهم ويستترمن عذاب الآخرة لهم جزاء لفعلهم فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة وقيل بمعنى الخدع فى كلام

ويكفرون بالمنعم الحقيق (و) مع ذلك لاتستعجل عليهم بل (مهلهم) زمنا (قليلا) هو أجلهم لا نزيدهم نعما نزيدون كفرا فازيدهم عذابا (ان لدينا) أنواعا من العذاب (أنكالا) قيودا ثقالا لتقيدهم بالعالم المحسوس (وجحيما) أى نارا تحميها مع ثقلها اذ حميت قوتهم الشهوية والغضبية لاجل المحسوسات (وطعاما ذا غصة) ينشب بالحلق لكفرهم بالاطعمة السائغة لهم (وعذابا أليما) من ضرب الزبانية ولدغ الحيات والعقارب وغيرها للاخلاق الرديئة التى كانت لهم وان لم يدركوها اليوم لاستتارجهنم بالارض يدركونها (يوم ترجف) أى تضطرب بقوة الريح (الارض) فتخرج جهنم من تحتها (و) لايمنع منه الجبال اذ ترجف (الجبال و) تعلوها قوة الريح حتى (كانت الجبال كثيبا مهيلا) أى رملا سائلا ولا يبعد مؤاخذتكم بالعذاب الدنيوى مع كونكم مثل فرعون (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) بلزوم الحجة الموجبة للمؤاخذة من عصيانكم (كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) فصار شاهدا عليه (فاخذناه) فى الدنيا (أخذا وبيلا) أى ثقيلا اذ أهلكناه واعطينا ملكه اعداءه فان اتقيتم اليوم عن مثل عذابه بان لاتدخلوا البحر كما دخله (فكيف تتقون) أى تحفظون من العذاب (ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) من أهواله وأصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويكفى من أهوال ذلك اليوم انه (السماء منفطر به) أى متشقق فى ذلك اليوم وهذا وان كان ممكنا فى الاصل صار بوعد الله واجبا اذ (كان وعده مفعولا) وليست هذه الكلمات ترهات لايعبأ بها بل (ان هذه) الكلمات (تذكرة) موعظة تدعو للتقرب الى الله تعالى (فمن شاء اتخذ الى) القرب من (ربه سبيلا) بالاتعاظ بها فان زعم وانه انما يكون سبيلا الى الله تعالى لو وافق التوراة والمخالف كفرعون يستحق المؤاخذة يقال انما يستحق المؤاخذة من كفر بها أو ترك العمل قبل النسخ وأما من آمن وعمل قبل النسخ وترك بعده فلا كمن عمل بمنسوخ هذا الكتاب ثم تركه بعد النسخ كالتهجد (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) تارة (و) من (نصفه) تارة (و) من (ثلثه) تارة تختار الادنى بعد اختيار الاعلى للعجز عنه (و) يقوم كذلك (طائفة من الذين معك) فيخرجوا من الامر به قبل النسخ (والله) تعالى نسخه بمقدار غير محدود اذ الله (يقدر الليل والنهار) مقادير مختلفة فلا يبعد ان يقدر عبادته بمقدار آخر غير ما قدره اولا كيف وفيه المصلحة كمصالح اختلاف مقاديرهما اذ (علم ان لن تحصوه) أى ان تحيطوا بتلك المقادير المعينة لصعوبتها (فتاب عليكم) بترك المقادير المعينة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا مقدار قراءة يسيرة ثم نسخ غير المحدود أيضا بالصلاة الخمس بقوله (علم أن) أى انه (سيكون) بهذا القيام ولو غير محدود (منكم) أى بعضكم (مرضى و) سيكون بعض (آخرون يضربون) أى يسافرون سفرا ممتدا (فى الارض يبتغون من فضل الله) للتجارة أو لطلب العلم والقيام يعطل عليهم ذلك (و) سيكون (آخرون يقاتلون فى سبيل الله) والقيام ربما يوهن القوى ووجه الترتيب ان الاول يتعلق بالبدن والثانى بالبلد والثالث بالخارج (فاقرؤا ما تيسر منه) أى من القرآن (وأقيموا) بتلك القراءة (الصلوة) المفروضة من الخمس ولما لم يكن نصا فى اجزاء أى قدر من المتيسر لم يعارض

العرب الفساد ومنه قول
الشاعر
طلب الريق اذا الريق خدع
أى فسد فهى يخادعون الله
أى يفسدون بما يظهرون
من الايمان ما يضمرون

قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب (وآتوا الزكوة) قطع المحبة المال تكميلا لما فات من كمال الصلاة بترك قيام الليل (و) لا يشترط فى قطع هذه المحبة صرف الاموال الى الزكاة بل يكفى تكميل الله اياها لمن استقرضه (أقرضوا الله قرضا حسنا) لا رياء فيه ولا عجب (و) لا يمنع هذا من الزيادة على قدر الواجب بل (ما تقدموا لانفسكم من خير) من الصلاة النافلة والصدقة المتطوعة والقيام بالليل والصيام بالنهار (تجدوه عند الله هو خيرا) يجازيكم به فى الدنيا بحلاوة القرب (وأعظم أجرا) فى الآخرة (و) ان بقى مع ذلك صرف ذنب (استغفروا الله ان الله غفور رحيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المدثر)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى بحيث كان يرعد مرة بعد أخرى بحيث يوجب التدثر فى بعض الاوقات (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المدثر لانها أوجبت ارتعاده الداعى الى التدثر (الرحمن) بجعله مخوفا بعد كونه خائفا (الرحيم) بامره بتكبير الرب والطهارة والصبر وغيرها *عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فترة الوحى فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله تعالى (يا أيها المدثر) أى المتغطى بثوبه خوفا من ملك الوحى حقك أن لا تخافه بل يخوف به الناس (قم) قيام جد (فانذر) الناس عذاب ربك (وربك فكبر) ليقع بقلوبهم عظمة عذابه لانها بقدر المعذب ولا بد من هذه المبالغة فى التخويف ليكون ادعى الى تطهير الظاهر والباطن ولما كان نجاسة الظاهر من الامور الخارجية والباطن لا يطهر الا بعد طهارته قدم طهارة الثياب فقال (وثيابك فطهر) حتى لا يتلوث ظاهرك بنجاستها فتؤثر فى الباطن (والرجز) أى نجاسة الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الذميمة والاقوال الكاذبة والافعال القبيحة وسائر النجاسات المحسوسة (فاهجر) أى فجانب لتناسب الرب المنزه فتستفيض منه وتفيض على الخلق (و) من أعظم ملوثات الباطن الطمع لذلك (لا تمنن تستكثر) أى لا تعط أحدا شيأ لتطلب عوضه أكثر فانه من الطمع الملوث للباطن (و) اذا غلبك طمع أو ملوث آخر (لربك) أى لطلب رضوانه وثوابه (فاصبر) فانه أجل عوض من المطموع فيه وكيف لا تصبر عن الملوثات وهى موجبة للشدائد فى أشد الايام ولا يمكن الصبر عليها أصلا (فاذا نقر) أى نفخ (فى الناقور) أى الصور أو قرن آخر (فذلك يومئذ يوم عسير) أى فوقت ذلك النقر فى جملة أوقات يوم القيامة الذى هو أشد الايام وقت عسير لا نسبة لعسر سائر أجزائه اليه لكن لا يؤثر عسره فى المؤمنين فضلا عن المقربين بل انما هو (على الكافرين غير يسير) واذا علمت عسر هذا اليوم على الكافرين من قهرى عليهم فلا تستعجل عليهم قبل ذلك اليوم بل (ذرنى) أيها المأمور بالصبر بعد الانذار بيوم النقر (ومن خلقت) فكان قابلا لقهرى وقد استوجبه اذ كفر بنعمتى بعد ما خلقته (وحيدا) ليس له مال ولا جاه ولا ولد والمراد الوليد بن

من الكفر كال أفسد الله عليهم نعمهم فى الدنيا بما صاروا اليه من عذاب الآخرة (قوله عز وجل) (قوله عز يزكيهم) يطهرهم

المغيرة (وجعلت) بطريق الانعام والتفضل (له مالا ممدودا) أى مبسوطا بالنماء من زرع وضرع وتجارة (وبنين شهودا) أى حضورا ينتفع بلقائهم لا يسافرون لطلب المعاش استغناء بماله ولا يرسلهم الى مصالحه لكثرة خدمه وكان له عشرة أولاد أكثرهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام وأخرهم عن ذكر المال لانهم بدونه ثقيل (ومهدت له تمهيدا) أى وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش وأخر الجاه عن الاولاد لانهم من جملة أسبابه (ثم) مع ماعليه من كفران النعم (يطمع أن أزيد) نعمه (كلا) زجر له عن هذا الطمع (انه كان لآياتنا عنيدا) ومعاندة الآيات معاندة منزلها وهى تقتضى ازالة النعم فاين الزيادة قيل مازال بعد نزول الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه) أى سأكلفه (صعودا) جبل من نار اذا وضع الكافر يده أو رجله ذابت فاذا رفع عادت لانه ترفع على آيات الله لسلوك طريقة شاقة من العناد وروى انه لما أنزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام عليه السلام فى المسجد والوليد بن المغيرة يسمع قراءته فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ليس من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم خرج فقالوا صبأ والله الوليد ولتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل انا اكفيكموه فجلس الى جنبه حزينا فقال مالى اراك حزينا يا ابن أخى فقال هذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك يزعمون انك زينت كلام محمد لتنال من فضل طعامه فغضب وقال ألم تعلم قريش انى من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى قومه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بالشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا قالت قريش للوليد فما هو ففكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل والمرأة وأهله وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر فقال تعالى (انه فكر) فى القرآن (وقدر) أى نظر فى مقدار عظمته (فقتل كيف قدر) أى فبلغ مبلغا استحق من حاسده أن يدعو عليه (ثم) زاد فى هذا المعنى (قتل كيف قدر ثم نظر) فى أمر محمد (ثم عبس) أى قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا (وبسر) أى اهتم اذ لم يدر ما يقول (ثم أدبر) من النظر (واستكبر) على ما استعظمه من القرآن (فقال ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا سحر) غايته انه قول (يؤثر) أى يروى ويتعلم (ان هذا) كان سحرا أولا (الا قول البشر) فهذا منه غاية العناد الموجبة غاية الغضب من أجله (سأصليه سقر) التى هى مظهر الغضب الالهى (و) هى من كمال مظهريتها له (ما أدراك) بأعظم الخلائق (ما سقر) وغاية ما يمكن من تعريفها انها (لا تبقى) من أتى فيها حيا (ولا تذر) أى ولا تتركه ميتا أى محترقا بل يجدد جلده فى كل مرة وهذا كما يترك المعاند الدليل جدلا ولا يقدر على منعه وانما قلنا لا تذر لانها (لواحة للبشر) أى مسودة للجلد فذلك فى معنى الموت وثمة موت آخر وهو ضرب الزبانية اذ (عليها تسعة عشر) زبانية على عدد

(قوله عز وجل يؤلون من نسائهم) يحلفون على وطء بكم العسر أى الصوم فيه أى الافطار فى السفر ولا يريد عز وجل يريد الله بكم اليسر وجل اليسر) ضد العسر وقوله

القوى الاثنى عشر الحيوانية الشهوية والغضبية والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والسبع الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمولدة يصرف كل واحد منهم بمقتضى صرف تلك القوى عما خلقت من أجله ولما نزل قال أبو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم يخبر ابن أبي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أيعجز كل عشرة أن يبطش بواحد منهم فقال أبو الاسد أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني وا كفوني اثنين فنزل (وماجعلنا أصحاب النار) أي خزنتها المعذبين لاهلها (الاملائكة) لايمكن مقاومة أحدهم لجميع البشر (وماجعلنا عدتهم) أي عددهم القليل (الافتنة) أي اختبارا (للذين كفروا) هل يستيقنون فيعاندون أو يشكون أو يجزمون ببطلانها عن الجهل المركب لكن لاوجه للشك والجزم بالبطلان لانها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لموافقته مافي كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) بتصديقهم (ايمانا و) ليس استيقانهم بحيث يبقى معه شبهة لاتؤثر بل بحيث يوجب ان (لايرتاب) بوجه من الوجوه (الذين أوتوا الكتاب و) يصيروا كالايرتاب (المؤمنون و) مع هذا يبقى الجهل المركب للمنافقين والكفار (ليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون ماذا أراد الله بهذا) العدد المستغرب الواقع (مثلا) في الغرابة (كذلك) أي مثل هذا الضلال مع تيقن أهل الكتاب والمؤمنين (يضل الله) بخلق الجهل المركب (من يشاء و) مثل هذه الهداية عن الاطلاع على أسرار كتابه (يهدي من يشاء) لاوجه لشكهم وانكارهم مع جهلهم بجنود الله اذ (مايعلم جنود ربك الاهو) وكيف لايكون في التيقن بهذه العدة هداية (وماهي الاذكرى للبشر) انه يسلط عليه عددا من الزبانية بعددما اختل من قواه ومن ضل بقلة العدد يقال له (كلا) أي انزجر عن اعتقاد المهانة بهم (والقمر) الذي ينتظر غروبه للاغارة وهو مثال ذهاب الحياة الدنيوية التي يغار بعدها الذائذها السفلية (والليل اذ أدبر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال ذهاب حجب المحسوسات (والصبح اذا اسفر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال انكشاف عالم الغيب الذي ينكشف به مضار تلك اللذائذ فهذه أمور قليلة العدد مع ان كل واحد منها وقت الاغارة فيكبر أمرها (انها) أي ان هذه العدة (لاحدى الكبر) أي الامور الكبار التي لايكثر عددها بل يكون أحدها (نذيرا للبشر) كلهم ففيها هداية أو ضلال (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وكيف لاتكون احدى الكبر مع انه (كل نفس بما كسبت) بهذه القوى (رهينة) أي محبوسة على أيدي هؤلاء الزبانية (الاأصحاب اليمين) فانهم بقوة روحانيتهم لما صرفوا قواهم الى الجهة العلوية صاروا (في جنات يتساءلون عن) ضعف (المجرمين) في مقاومة قواهم الجاذبة الى العالم السفلي يقولون لهم (ماسلككم) مع كمال عقلكم الذي يمكنكم مقاومة القوى في جذبها الى العالم السفلي لينجذب الى العالم العلوي (في سقر قالوا) لانالم نصرف القوى المحركة الى الصلاة والزكاة الجاذبتين الى العالم العلوي اذ (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) فلم نصرفها الى العبادة البدنية والمالية (و) لكن صرفناها في غير مصارفها اذ (كنا نخوض) أي

قوله لايمكن مقاومة الخ لو قال لايمكن مقاومة جميع البشر لاحدهم لكان أحسن اه

نسائهم يعني من الالية وهي اليمين يقال ألوة وإلوة وألوة وألية اليمين وكانت العرب في الجاهلية يكره الرجل منهم المرأة ويكره أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يطأها أبدا

نشرع فى الباطل (مع الخائضين) متابعة لهم (و) جعلنا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى العالم السفلى بحيث (كنا نكذب بيوم الدين) الذى خلق العقل من أجله ولم نزل على ذلك (حتى أتانا اليقين) أى الموت فاذا جعلوا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل بمتابعة الخائضين تكذيبا ليوم الدين (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو اجتمعوا عليهم اذلم تبق لقواهم قابلية تنور بنورهم واذا كانت هذه الكلمات بهذه الفوائد الجليلة المذكرة لما هم عليه (فما لهم) أى أى مانع حصل لهم عن التذكرة بحيث صاروا (عن التذكرة معرضين كأنهم) فى الاعراض عن البلادة (حمر) فى النفار عن استماعها (مستنفرة) ينفرها راعيها مع انها نافرة بانفسها اذ (فرت من قسورة) أى عن الاسد لانهم يخافون أن يتأثروا بهذه التذكرة فتدعوهم الى الايمان بما أنزل على الغير وهم لا يريدون الايمان بما انزل على الغير (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا) أى قراطيس (منشرة كلا) زجر لهم عن هذه الارادة اذلم تكن من الشك فيما أنزل على الغير (بل) من أجل انهم (لا يخافون الآخرة كلا) زجر عن ترك خوفها (انه) أى خوف الآخرة (تذكرة) بنفسها لولم يخوف منها فانها تتضمن الضرر بنفسها (فمن شاء ذكره) أى خوف الآخرة (و) لكنهم لغلبة حب الدنيا عليهم وهو مخوف اذ (ما يذكرون) خوفها (الا أن يشاء الله) فانه يخافها الانها تدل على الرجوع اليه وهو مخوف اذ (هو أهل التقوى و) تقواه مفيدة للمغفرة اذ هو (أهل المغفرة) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين •

(سورة القيامة)

سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم من لا يتناهى ثوابه وعقابه بحيث يتحسر فيه كل نفس من تقصيرها وان عملت ما عملت (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القيامة اذ ظهر فيه بما لا يتناهى من آثار جلاله وجماله (الرحمن) بجعل ثوابه وعقابه غير متناهيين (الرحيم) باعلامهم التلافى التقصيرات لدفع ما لا يتناهى من العقاب وجلب ما لا يتناهى من الثواب (لا أقسم) أى لا حاجة الى القسم (بيوم القيامة) الذى يعم فيه التحسر على التقصيرات (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فى الدنيا أربابها على تقصيراتهم اذ كل انسان لا يخلو عن تقصير فى معرفة الله وعبادته ومن أعظم تقصيراته انه لا ينظر فى عواقبه (أيحسب الانسان) أن لا عاقبة له اذ لا بعث لا لظنه انه مبنى على اعادة المعدوم التى يتوهم امتناعها عن شبهات واهية بل يحسب أن لا يكون بجميع الاجزاء المتفرقة أيضا فيظن (أن) أى انه (لن نجمع عظامه) المتفرقة (بلى) نجمعها (قادرين على) ما هو أعجب من الجمع وهو (أن نسوى بنانه) أى نهيئ سلاماه لاعمالها ليقع الجزاء على الهيئة التى صدرت الاعمال عليها ولا يحتاج فى هذا الى التعمق لكن الانسان لا يلتفت اليه لا يجابه التوجه الى الله تعالى والاعمال الصالحة له ولا يريد الانسان ذلك (بل يريد الانسان) قطع النظر عنه (ليفجر أمامه) أى فى المستقبل كما فجر فى الماضى فاذا أمر بالنظر المانع عنه (يسئل) الآمر (أيان) أى متى (يوم القيامة) الذى تأمرنى بالنظر فيه فانى

ولا يحل ... سلها اضرارا بها حتى ... عاقه عليه فتكون معلقة فابطل الله عز وجل ذلك من فعلهم وجعل الوقت الذى يعرف فيه ما عند الرجل للمرأة أربعة أشهر ... يموت أحدهما

لا أنظر فيه مالم أعلم وقتــه لكن النظر فيه لا يتوقف على معرفة وقته بل يكفى له العلم بأنه لابد
من لقاء الله ولقاؤه انما يكون يوم القيامة بظهور نوره فيــه وكانه يريد تأخير الايمان به الى
وقته لكنه موجب للحيرة الداعيــة الى الفرار (فاذا برق) أى تحير لرؤيته (البصر)
تحيره لرؤية البرق (و) كيف لا وقد (خسف) عنــد ظهوره (القمر و) ان كان
لا ينخسف لرؤية الشمس بل (جمع الشمس والقمر) فى الانخساف لانمحاء نورهما عند
ظهوره فاذا رأى الانسان هذا النور المحير (يقول الانسان يومئذ) لعموم النور فيه الاماكن
(أين المفر كلا) زجر له عن طلب المفر (لا وزر) أى لا ملجأ عن تحيره ولا عن سخطه بل
(الى) نور (ربك) فى كل مكان (يومئــذ المستقر) وبه يظهر ما يوجب سخطه اذ
(ينبؤ الانسان يومئذ) أى يوم ظهور نوره المظهر للاشياء (بما قدم) أى عمل (وأخر)
فلم يعمل مع انه لا حاجة الى انبائه بذلك (بل الانسان) مطلع عليه بنفســه لانه (على نفسه
بصيرة) أى كاملة النظر بما فيها (ولو ألقى معاذيره) الكاذبة عنــد الانباء وذلك الانباء
من اطلاعهم على نور الحق مع تحييره اياهم كاطلاعك على أسرار الوحى مع تحيرك عنـده حتى
قيل لك (لا تحرك به) أى بما نبئت به حال حيرتك بالوحى (لسانك لتعجل به) أى تحفظه
خوفا من فواته عن التحير (ان علينا جمعه) فى قلبك بمعانيه (وقرآنه) أى تصويره بصور
الحروف (فاذا قرأناه) بتصوير حروفه (فاتبع قرآنه) بالاستماع اليه (ثم) ان بقى فيه
اشكال (ان علينا بيانه) فان زعموا ان غاية ما يحصــل لهـم يومئذ الحيرة من رؤية نور الحق
كحيرتك من رؤية جبريل ولا يفضى ذلك الى عــذاب يوجب الفرار بل هو ملذلذة عظيمة
هى اقصى آمال المقربين اليه يقال لهم (كلا) زجر عن تمنى اللذة (بل) لا تحصل لهـم
رؤية أصــلا لانهـم (يحبون العاجلة) فيصــير حبها حجابا لهــم (ويذرون الآخرة) فلا
يعمــلون لها عملا يفيدهم نورا يرون به نوره عز وجل ولا تحصل لاهل الكمال حيرة من رؤيتــه
بل لهم (وجوه يومئذ) لظهور أنوار الاعتقادات والاعمال فيه على تلك الوجوه (ناضرة)
أى مشرقة فهى بقوة ذلك النور (الى) نور (ربها ناظرة) عيانا بلا حجاب ولا حــيرة
وتأويل الآية بانتظار الانعام مردود لان الانتظار لا يسند الى الوجه ولا يعدى بالى (ووجوه
يومئذ) تقع فى الحيرة الموجبة للفرار لو حصل لها رؤية لانها (باسرة) شديدة العبوس فلا
تناسب ربها فى النورية ولها حــيرة من أعمالها الطالحة وتقصــيراتها عن الصالحة (تظن)
أى تتوقع من أجل ذلك (أن يفعل بها فاقرة) أى داهية تكسر الفقار فانى يكون لها لذة
الرؤية لو رأت وان زعموا ان هـذه الامور من خصائص يوم القيامة لو وجـد لكن لا وجود له
ولا تكون قبله يقال لهم (كلا) بل تكون عنـد الموت أيضا فانه (اذا بلغت) النفس
(التراقى) عظام الصدر (وقيل) أى قالت الملائكة (من راق) يرقى بروحه أملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (انه الفراق) فراق الدنيا ولذاتها (والتفت
الساق بالساق) أى التوت شــدائد الدنيا بشــدائد البرزخ كالتواء الساق بالساق (الى

(قوله عز وجل يكلم الناس
فى المهد وكهلا) يكلمهم
فى المهـد آية وأعجوبة
ويكلمـهم كهلا بالوحى
والرسالة والكهل الذى

ربك) الموجب لهذا المصير من رؤيته ومن سائر الشدائد (يومئذ) قبل القيامة (المساق) سوق العبد الآبق ويزيده حيرة سؤاله فاذا استل عن اعتقاداته وأعماله (فلا صدق) بالله وآياته ورسله (ولاصلى) الصلاة التي هي رأس العبادات (ولكن كذب) بدل التصديق (وتولى) بدل الصلاة التي بها كمال التوجه الى الله تعالى (ثم) مع هذه التقصيرات في جنب الله (ذهب الى أهله يتمطى) أي يفتخر فيقال له (أولى لك) المعاقبة (فأولى) الزيادة في البرزخ (ثم) في القيامة (أولى لك فأولى) فأنى لهم رؤية الله والتنعم بها (أيحسب الانسان) باعتقاده مشاركة الكل المؤمنين في التنعم برؤية الله تعالى (أن يترك سدى) أي مهملا لا يجازى على أعماله ولا يسئل عن نعمه كانه لم ينعم عليه (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة فخلق) اعضاءه منه (فسوى) تلك الاعضاء لاعمالها وجعلها مختلفة بل وضع أصلها على الاختلاف (فجعل منه الزوجين) ليدل اختلافهما على اختلاف الجزاء وذلك بحسب كمال القوة النظرية والعملية ونقصهما كما جعل منه (الذكر والانثى) ولا ينكر ذلك الا من العاجز لكن (أليس ذلك) الذي قدر على احياء النطفة والعلقة لعمارة الدنيا (بقادر على أن يحيي الموتى) لعمارة الآخرة على الابد * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانسان)

سميت به لتضمنها ان الانسان ينقل من ادنى الاحوال الى أعلى الدرجات بلا عمل ولا اعتقاد فكيف لا ينقل اليها بالاعمال الصالحة والاعتقادات الصائبة ولو تركهما ينقل الى أدنى مما كان عليه (بسم الله) المتجلي باشراق أنوار ذاته وصفاته في الانسان (الرحمن) بهدايته السبيل (الرحيم) بترتيب الجزاء عليها (هل أتى) من القهر (على الانسان حين) طائفة محدودة من الزمان (من الدهر) الزمان الغير المحدود (لم يكن) فيه (شيأ) ثابتا في الخارج بل لم يكن (مذكورا) في الذهن فضلا عن اللفظ والخط ثم كان حين وجوده مقهورا لقدرتنا (انا خلقنا الانسان) مقهورا بالذلة في أصله المادى اذ كان (من نطفة) وفي منشا مادته اذ كان من (أمشاج) أي مختلط من ماء الرجل والمرأة حاصل من جماعهما وفيه ذلة ثم حين فاضت عليه الصورة الانسانية كان مقهورا بالابتلاء اذ كنا (نبتليه) هل يصير عارفا بربه عابدا لله أم لا (فجعلناه) لتحصيل مقدمات المعرفة والعبادة (سميعا بصيرا) لننظر هل يصرف سمعه وبصره الى استماع آيات الله والنظر فيها ثم (انا) ابتليناه بالدلائل العقلية والنقلية اذ (هديناه السبيل) أي سبيل المعرفة والعبادة فجعلناه (اما شاكرا) يقبل نعمة الهداية (واما كفورا) يردها ثم اذا كفر يتحقق عليه انواع القهر الالهي لا متأخرة الى الآخرة من كل وجه بل معدة قبلها (انا أعتدنا للكافرين) لانكارهم الصانع القديم الموجب لتسلسل الحوادث (سلاسل و) لحبسهم الادلة أن تمشي طرقها (أغلالا و) لخرقهم

وجوه

انتهى شبابه يقال اكتهل الرجل اذا انتهى شبابه
(قوله عزوجل يصروا على مافعلوا) أي يقيموا عليه
(قوله عزوجل يمحص الله

وجوه دلالتها (سعيرا) والشاكر امامن الابرار أو المقربين بالاعمال أو الاحوال (ان الابرار يشربون من كأس) أى خمر ابدل السعير (كان مزاجها) بدل حرارة السعير وتتنه (كافورا) أى بماء عين الكافور ذى البرودة والرائحة الطيبة وكانت عين الكافور (عينا) مخصوصة لمقربى الاعمال ولذا (يشرب بها عباد الله) المقربون لكونهم أرباب اليقين البارد أولى الروائح الطيبة وكيف لا وهم (يفجرونها) فى الدنيا بأعمالهم (تفجيرا) لانفسهم ولمن دونهم وذلك انهم (يوفون بالنذر) أى بكل ما ألزموا أنفسهم من الوظائف التى هى فى الاصل نوافل (و) يأتون بنوافل لم ينذروها لانهم (يخافون) لو تكاسلوا ان يلحقهم ظلمات الطبع الداعية الى المعاصى التى تضرهم (يوما كان شره مستطيرا) أى منتشرا (و) قد بالغوا فى قطع الشح المطاع من جملة تلك الظلمات اذ (يطعمون الطعام) غالبين (على حبه مسكينا) عجز عن تحصيله (ويتيما) وهو أعجز منه (وأسيرا) هو أعجز منهما وان صاروا فى الاحتياج اليه مثلهم * عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت عن ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة أيام ان برئا فشفيا فصاموا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا وخبزت خمسة اقراص فوضعت بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال هنالك الله فى أهل بيتك وقد صرحوا فى ذلك بقطع ظلمات الطبع اذ قالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اذ (لا نريد منكم جزاء) أى عوضا محسوسا (ولا شكورا) أى ثناء هو عوض معنوى اذ يعود معهما ظلمة الطبع فيعود خوف اليوم المذكور (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) شديد العبوس وانما وصف اليوم ههنا بعد ما وصفه بما يشعر تصور الشح المطاع لانه يوهم منه انهم قصدوا بذلك دفع الحياء من جمع ذلك بالشح المطاع وهو يتضمن الرياء بما ذكر لان الايثار لذلك رياء وهو أشد من ترك الايثار من أجل الشح لان الشح ليس بشرك والرياء شرك (فوقاهم الله) الذى خافوا منه أن يبتليهم بشر يوم القيامة (شر ذلك اليوم) مع كونه مستطيرا (و) لم يوصل اليهم أثر كونه عبوسا قمطريرا بل (لقاهم نضرة) حسنا بدل العبوس القمطرير (وسرورا) فى قلوبهم بدل الاحزان (وجزاهم بما صبروا) على وفاء ما التزموا وعن المعاصى (جنة) بدل السعير (وحريرا) من ظهور صفاتهم الناعمة من أعمالهم (متكئين فيها على الارائك) ليكونوا كالملوك جزاء على ما عبدوا ربهم (لا يرون فيها شمسا) حرارتها (ولا زمهريرا) برودته جزاء على ما تحملوا من مشقة العبودية بل يصير هواؤهم معتدلا لتعديلهم الاخلاق والاعمال (ودانية) أى قريبة (عليهم ظلالها) أى ظلال أشجار الجنة التى هى جزاء أعمالهم التى تقربوا

الذين آمنوا) أى يخلص الله الذين آمنوا من ذنوبهم وينقيهم منها يقال محص الحبل يمحص محصا اذا ذهب منه الوبر حتى تملص

بها الى الله تعالى (وذللت) لتذللهم لله وللمؤمنين (قطوفها) أى قطوف ثمارها (تذليلا)
بقدر ارتذللهم (و) لاستصحابهم أوانى وكيزانا للوضوء (يطاف عليهم بآنية من فضة) لافادة
الوضوء بياض اعضائهم (وأكواب) أى كيزان (كانت قوارير) فى الصفاء لتصفية
الوضوء القلوب وكانت فى البياض (قوارير من فضة قدروها) معتدلة لتعديلهم الوضوء اذلم
يقصروا عن الاسباغ ولم يسرفوا فى الصب (تقديرا) بقدر رعايتهم للاعتدال (ويسقون)
أى هؤلاء المقربون بالاعمال (فيها) أى فى تلك الاوانى التى اعطوها على استصحاب أوانى
الوضوء المفيد للصفاء المقتضى نوع اشتياق (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا)
أى ماء عين الزنجبيل وكانت (عينا فيها) أى فى الجنة (تسمى سلسبيلا) تسمية لها بحال أصحابها
مقربى الاحوال الغالب عليهم الشوق المانع من الوقوف بحال أو مقام مخصوصين بل
لا يزالون طالبين للترقى بقوة الشوق لا بأنفسهم بل بربهم كأن كل واحد يقول لنفسه دائما
سل ربك سبيلا اليه فأصل العين لمقربى الاعمال ومزجها لمقربى الاحوال (و) لما كان
الغالب على مقربى الاحوال رؤية الحق بلا مظهر وعلى مقربى الاعمال رؤيته بالمظاهر
(يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم) من ظهور نور الجمال
الالهى عليهم (لؤلؤا منثورا) ينعكس شعاع بعضهم على بعض (واذا رأيت ثم) أى فى
السلسبيل وأهله ودرجاتهم (رأيت نعيما) فوق نعيم مقربى الاعمال (وملكا كبيرا)
يتصرفون به فى مقربى الاعمال ومن دونهم لما غلب عليهم من التخلق بأسماء الله والتحقق
بها فصارت صفات ثم ظهرت بصور اللباس عليهم لذلك صاروا (عاليهم ثياب سندس) رقيق
فيما لطف ظهوره (خضر) اذ أفاده خضرة العيش (واستبرق) غليظ حيث تم ظهوره
(وحلوا) لصفاء مودتهم (أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) عن محبة غيره فيقال
لهم (ان هذا كان لكم جزاء) على محبتكم لله وتخلقكم بأسمائه وتحققكم بها وسيركم اليه
بالاحوال والمقامات (وكان سعيكم) اليه بالاحوال والمقامات من غير وقوف على أحدهما
(مشكورا) مقبولا مفيدا للمزيد ثم ان الله عز وجل جمع كمالات الكل لنبينا صلى الله عليه وسلم
اذ جعل كتابه مشتملا على جميعها فقال (انا نحن) من مقام جمعيتنا (نزلنا عليك) أيها
المستعد للجمعية الكاملة (القرآن) الجامع (تنزيلا) مفرقا له لتجتمع فيك الكمالات المتضادة
فى الازمنة المختلفة واذا أمرت بجمعها فصعبت عليك (فاصبر لحكم ربك) الذى
رباك للكمالات (ولا) تبطل استعدادك لها بصاحبة عاص فانه يقطع الجمعية كاحباط
الكافر فلا (تطع منهم آثما أو كفورا) أى أحدهما (و) يتيسر لك جمع الخيرات
بالمداومة على ذكر الله (اذكر اسم ربك بكرة وأصيلا و) بقيام الليل بتطويل
السجود والتسبيح (من الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) فنزول القرآن مع هذه الاعمال
يعينك فى الجمعية اذا قطعت النظر عن أهل المعصية (ان هؤلاء) أى أهل المعصية (يحبون)
اللذات (العاجلة) فيثقل عليهم تركها ميلا مع احتمال أمر ثقيل من الاجتهاد بالمداومة

وحبيل محص وملص
وأملص وقولهم ربنا محص
عنا ذنوبنا أى اذهب ما تعلق
بنا من الذنوب (قوله عز
وجل يطوقون ما بخلوا به

على الذكر والقيام (و) لكنهم (يذرون) كأنهم يجعلون (وراءهم يوما ثقيلا) لاستبعادهم وجوده ولا وجه له اذ (نحن خلقناهم و) لا وجه لنفي ثقله وشدته اذ (شددنا أسرهم و) ان فرض عدم ذلك اليوم فلا يأمن العاصي عذاب الله فانا (اذا شئنا) أهلكناهم ولو احتجنا الى أمثالهم (بدلنا أمثالهم تبديلا) حسنا يكون المبدل خيرا من المبدل عنه (ان هذه تذكرة) تذكر فوائد القرب من الله ومضار البعد منه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ليصل الى تلك الفوائد ويهرب عن تلك المضار (و) لكن (ما تشاؤن) سلوك سبيل الله (الا) وقت (ان يشاء الله) ان يسلكهم سبيله قسرا لكن لا يشاء لعلمه باستعداد أعيانهم انها لا تستعد لسلوك سبيله (ان الله كان عليما) وهو ان قدر على خلاف ذلك لا يخالفه لكونه (حكيما) وهو خلاف الحكمة لكن ذلك لا ينافي مشيئته واختياره لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) فيسلك بهم سبيله (و) يخرج عنه (الظالمين) لانه (أعد لهم عذابا أليما) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يوم القيامة) قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي كنز أحدكم شجاعا أقرع له زبيبتان فيتطوق في حلقه ويقول انا الزكاة التي منعتني ثم ينهشه (قوله عز

(سورة المرسلات)

سميت بها لتضمنها الدليل على ان ما يتوهم من الافعال كونه خيرا أولا ينقلب شرا آخرا (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في الرياح (الرحمن) بجعلها دليل انقلاب ما يتوهم خيريته شرا (الرحيم) بجعلها ملقية ذكر الله عذرا أو نذرا (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا) اقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التي يرسلها احسانا في الظاهر على أهل السفن لينتفع بها المسافرون والحاضرون فعصفت عليها اذا أهلكتها على وقوع ما يوعدون على الافعال التي ترى ارباحا دنيوية باهلاك أربابها اهلاك أهل السفن (والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) واقسم بالرياح التي ينشرها الرحمة المطر فتفرق السحب فتلقي مطرا مخصبا فيوجب ذكر الله شكرا اما حيا لا ساءة اتباع الشهوات فيصير عذرا أو مطرا مهلكا فيوجب ذكر الله خوفا (انما توعدون) على الافعال التي ترى منافع اخروية ولا يعلم ما يقارنها او يلحقها من أسباب الخير والشر (لواقع) ولا يغتر بحسن بعض الافعال في الحال فغايته انه كضوء النجوم (فاذا النجوم طمست) فذهب ضوءها يذهب حسن تلك الافعال (و) لا ينافي احكامها في زعم فاعلها فانه يذهبه (اذا السماء فرجت) أي صدعت (و) لا ينافي تثبيتها في زعم فاعلها بالادلة فانه ينسف أدلته (اذا الجبال نسفت) ونسف الجبال لأجل الريح المغلبة للنار المصدعة للسماء المذهبة ضوء النجوم (و) بالجملة يقع (اذا الرسل اقتت) أي عين وقت شهادتهم وقيل (لاي يوم اجلت) شهادتهم فيجاب بانه (ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل) فانه لا يمكن بيانه الا بهذه الحوادث التي تقع فيه من شدة غضب الله على المكذبين (ويل يومئذ) فوق ما يقع على هذه الاجرام (للمكذبين) وكيف ينكر الويل الاخروي للمكذبين وقد وقع نظيره في الدنيا (الم نهلك) المكذبين (الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود (ثم نتبعهم

الآخرين) كقوم لوط وشعيب وموسى وغيرهم (كذلك) أى مثل ذلك الاهلاك الدنيوى (نفعل) يوم القيامة (بالمجرمين) كلهم لكنه يكون بحسب شدة ذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين) من الاولين والآخرين المهلكين فى الدنيا وغيرهم فان زعموا ان الامر الاخروى انما يقاس على الامر الدنيوى بعد ثبوته لكنه بعيد يقال لهم لا وجه لاستبعاده فانه أيضا مثل الخلق الدنيوى (ألم نخلقكم من ماء مهين) كمهانة لحوم الاموات وعظامهم الرميمة ولا يمنع من احيائها طول مدة لبثها فى الارض فانه كمدة لبث النطفة فى الرحم فانا استقررنا الماء المهين (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر) أى مقدار من مدة الحمل (معلوم فقدرنا) على احياء ذلك الماء المهين بعد لبثه فى الرحم هذه المدة المديدة (فنعم القادرون) على احياء اللحوم والعظام بعد لبثها مدة مديدة فى الارض (ويل يومئذ للمكذبين) هذه القدرة بعد ظهور نظيرها فان زعموا ان ذلك لخاصية الرحم والا فالنطفة لو جعلت فى الارض لم يتولد منها انسان يقال (ألم نجعل الارض كفاتا) أى كافتة ضامة (احياء) كالحشرات (وامواتا) كالجمادات (و) ان زعموا انه ليس فى الارض لطافة المنى التى باعتبارها يتولد منه الانسان وانما يتولد منها سائر الحشرات يقال فى الارض ماهو فى غاية الغلظ ويتولد منه ماهو فى غاية اللطافة اذ (جعلنا فيها رواسى) أى جبالا (شامخات) أى مرتفعة لصلابتها (و) أخرجنا منها ماهو فى غاية اللطافة اذ (أسقيناكم) من تحتها (ماء فراتا) فلا يبعد ان يخلق من الارض ماله لطافة المنى فيخلق منه الانسان مرة اخرى (ويل يومئذ للمكذبين) قدرته على خلق الانسان مرة اخرى بهذه الشبهات الواهية بحيث يقال لهم (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) من الجزاء (انطلقوا الى ظل) أى دخان (ذى ثلاث شعب) شعبة تقف فوق الكافر واخرى عن يمينه واخرى عن شماله على عدد الشبهات المذكورة ألم نهلك الاولين ألم نخلقكم ألم نجعل الارض أو على عدد القوى المؤدية الى هذا العذاب الوهمية التى فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره (لا ظليل) يدفع الحر (ولا يغنى) أى لا يدفع شيأ (من اللهب) فضلا عن الحر (انها) أى النار التى لها هذا اللهب (ترمى) من افراط غضب الله عليهم (بشرر) ما تطاير من النار (كالقصر) فى عظم المقدار (كأنه) فى اللون والتتابع وسرعة الحركة (جمالة) ابل (صفر) لما فيها من النارية (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الجزاء وكيف لا يكون غضب الله عليهم الى هذا الحد بعد ما الزمهم الحجة المؤدية للذهاب الى هذا الظل بحيث يقال (هذا يوم لا ينطقون) بدفع شئ مما الزمهم (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار بالاعذار الواهية (فيعتذرون) بل انما يؤذن بالاعذار القوية وهم لا يجدونها لتكذيبهم فى الدنيا بالحجج وتمسكهم بالشبه (ويل يومئذ للمكذبين) بالحجج لاجل الشبه ثم يقال لهم (هذا يوم الفصل) بين الحجج والشبه (جمعناكم والاولين) فيه للانصاف (فان كان لكم كيد) فى تلبيس الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فكيدون) ان تأتى لكم مني كما تأتى مع ضعفاء

وجل يحرفون الكلم) يقلبونه ويغيرونه (قوله عزوجل يفرطون) أى يقصرون وقوله عزوجل وهم لا يفرطون أى لا يضيعون ما أمروا به ولا

الانس

الانس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الفصل اعتمادا على كيدهم فلم يهتموا بتمييز الحجج عن الشبه ولذلك يقال لهم حين مايصار بهم الى ذلك الظل (ان المتقين) أى الذين خافوا ان يلتبس عليهم الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فى ظلال) تدفع عنهم الحر اذ كانوا مستظلين بالادلة المفيدة برد اليقين (وعيون) تدفع عنهم حر العطش لما تفجر من حججهم عيون المعارف اليقينية (وفواكه مما يشتهون) تدفع عنهم حر الجوع لشبعهم من التحقيق فيقال لهم ضما للثواب العقلى وهو الاكرام الى الحسى (كلوا واشربوا هنيئا) لايشوبه تنغيص كتنغيص الشبه (بما كنتم تعملون) من تخليص الحجج عن تنغيص الشبه وانما تيسر لكم ذلك لنظركم الى الله (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين الى الله فى أعمالهم (ويل يومئذ للمكذبين) بفائدة تمييز الحجج عن الشبه والشبه عن الحجج فى الآخرة فان زعموا ان هذا انما يقال لهم يوم القيامة فى زعمكم وهم يحرمون الآن ونحن يطعمنا الله ويسقينا الآن ولا يبعد ان يديم لنا فيه ذلك يقال لهم (كلوا وتمتعوا) بالمنافع الدنيوية زمنا (قليلا) ولا يدوم لكم ذلك لكفركم بالمنعم (انكم مجرمون) والمجرم يستحق السياسة لا الانعام وليست عليكم فى الدنيا فهى فى الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمر الآخرة لاجل الدنيا الفانية (و) كيف لايكونون مجرمين مع انهم (اذا قيل لهم اركعوا) أى صلوا شكرا لربكم على ما أنعم عليكم وتذللا له (لايركعون) اذ لايعترفون بنسبة النعم اليه ولا بوجوب الصلاة عليهم له (ويل يومئذ للمكذبين) بنسبة النعم الى الله ووجوب الصلاة شكرا له عليها واذا لم يؤمنوا بهذا الحديث العجيب المعجز المبين لكل مايحتاج اليه (فبأى حديث بعده يؤمنون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النبا)

سميت به لعظمته فى ذاته ووقوعه وتعقله بحيث لايزال مختلفا فيه وان بولغ فى بيانه (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نبا القيامة حيث ظهر للبعض بما فيه من الجمال وخفى عن البعض بما فيه من الجلال (الرحمن) بتعظيم شأنه لاصلاح أفعال عباده (الرحيم) بتأخيره باعتبار ذاته وتعقله عن العامة لئلا تتعطل امورهم (عم يتساءلون) سأل سبحانه وتعالى توبيخا وتبكيتا عن سؤال بعضهم بعضا عن حقائق الامور الاخروية البعيدة عن أفهام العامة ليفضى الى انكارها أو التشكيك فيها مع ان الايمان بها لايتوقف على ذلك ولا بد منه لانهم يتساءلون (عن النبا العظيم) فى ذاته على السائلين وقوعا وتعقلا فهو (الذى) وان بولغ فى بيانه (هم فيه مختلفون) اختلافا لاينقطع اذ ينفيه بعضهم بالكلية ويجعله بعضهم عقليا وبعضهم خياليا وبعضهم حسيا وبعضهم طورا وراء ذلك والحق انه جامع فربما يفضى الى الانكار أو التشكيك (كلا) ردع لهم عن السؤال بقصد افضائه الى الانكار أو التشكيك (سيعلمون) فى البرزخ بطريق التخييل (ثم كلا) ردع لهم عن ان يعتقدوا انه حقيقته

(قوله عز وجل يردوهم) يهلكوهم والردى الهلاك (قوله عز وجل ومايشعركم) أى يدريكم (قوله عز وجل يجليها لوقتها) أى يظهرها يقصرون فيه

(سيعلمون) فى القيامة ماهو حقيقته لتعلق الروح بالبدن مع غلبة معنى التجرد عليها فيطلعون على جميعه حينئذ ولا يحتاجون فى الايمان بها الى معرفة حقائقها بل يكفيهم معرفة نظائرها (الم نجعل الارض مهادا) أى مستقرا مع تحرك الافلاك وهو نظير كون الجنة والنار مهادا لاهلهما مع تحرك الافلاك التى هما فيها (والجبال أوتادا) اذ كانت باعتبار مزيد ثقلها مانعة من تحريك الارض بالرياح وهو نظير استقرار الجنة والنار باهلهما (وخلقناكم أزواجا) أى اصنافا وهو نظير اختلاف الجزاء (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا عن الاحساس والحركة وهو نظير قطع الدنيا لذات الاعمال وآلامها التى تحصل فى الجزاء (وجعلنا الليل لباسا) اى سترا وهو نظير ستر الدنيا ثمرات الاعمال (وجعلنا النهار معاشا) وهو نظير كون الآخرة معاش تحصيل تلك الثمرات (وبنينا فوقكم سبعا) من السموات (شدادا) لا تبلى بمر الدهور لغاية غلظها وهو نظير بقاء العالم الاخروى (وجعلنا سراجا) مضيئا (وهاجا) شديد الحرارة وهو نظير التجلى الالهى يستنير به البعض ويحترق به البعض الآخر (وأنزلنا من) الرياح (المعصرات) للسحب بالمطر (ماء ثجاجا) اى كثير الانصباب وهو نظير اعصار النبات سحب الاعمال والاعتقادات والاحوال والمقامات بامطار الرحمة الابدية (لنخرج به حبا) يقتات به وهو نظير جزاء الاعمال (ونباتا) يتقوم به القوت وهو نظير جزاء الاعتقادات (وجنات الفافا) أى ملتفا بعضها ببعض وهو نظير جزاء الاحوال والمقامات ويمكن ان يقال جعل الارض مهادا نظير استقرار ابدانهم مع ورود التغيرات عليها كالارض تبقى مستقرا مع تغير ما عليها وجعل الجبال أوتادا نظير جعل الاعمال أوتادا تحفظهم عن الفناء حفظ الجبال عن تحرك الارض بالرياح وخلق الناس أزواجا نظير اختلاف وتدية الاعمال لاهل الجنة والنار وجعل النوم سباتا نظير قطع الدنيا وتدية الاعمال وجعل الليل لباسا نظير حجب الدنيا لذات الاعمال وآلامها وجعل النهار معاشا نظير ظهور لذاتها وآلامها وبناء السبع الشداد فوقنا نظير بناء الجزاء الغير المنقطع على الاعمال والسراج الوهاج نظير أنوار الاعمال وشدائدها وانزال الماء الثجاج من المعصرات نظير نزول فوائد الاعمال عند صعودها الى الله تعالى واخراج الحب نظير تحصيل ما زرع فى الدنيا للآخرة واخراج النبات نظير تصوير الاعمال والجنات الالفاف نظير كثرة نعم الآخرة من الحسية والعقلية والخيالية ثم أشار الى ان الاعمال وان كانت كالسحب الممطرة فلا تنبت الجزاء الذى كالحب والنبات والجنات الالفاف فى كل وقت بل له وقت معين (ان يوم الفصل) الفارق بين أعمال الخير وأعمال الشر (كان ميقاتا) اذ لو كان قبله لم يبق للتكليف وجه نخص له ذلك اليوم لكونه (يوم ينفخ فى الصور) فيحشر فيه الجميع لكنه لا يوجب اجتماعهم فى فوج لانه موضوع للفرق (فتأتون أفواجا) لكل أهل ملة أو عمل فوج خاص (و) انما كان فارقا مع كونه جامعا لانه من نفخ الصور حصل غمام لاجله (وفتحت السماء) اى شقت (فكانت) من كثرة الشقوق (أبوابا) ظهر بها ما فى ألواحها من أنواع الفرق (و) انما كان يوم

الجزاء

(قوله عز وجل يلحدون فى أسمائه) أى يجورون فى أسمائه عن الحق وهو اشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز وقرئ يلحدون أى يميلون

الجزاء لانه يوم رفعت الارض التى كانت على وجه جهنم لانه (سيرت الجبال) التى كانت أوتاد
الارض (فكانت سرابا) ترى على صور الجبال وليست على حقيقتها انفتت أجزاؤها ثم ان
السماوات كانت أبوابا فلا يمكن الوصول الى جنة فوقها الا بالخلاص عن أيدى المترصدة (ان
جهنم كانت مرصادا) على ظهرها صراط عليه مترصدة يسألون عن الايمان والاعمال فمن
حبسوه لعمل عذبوه بقدره ثم تركوه فيخلص الى الجنة ومن حبسوه للايمان لم يتركوه فكانت
(للطاغين مآبا) ولا يبقى فى حقهم طريق لكونهم (لابثين فيها أحقابا) جمع حقب ثمانون
ألف سنة كل سنة اثنا عشر شهرا وكل شهر ثلاثون يوما وكل يوم خمسون ألف سنة وليست
الاحقاب جميع مدة لبثهم بل هى مدة (لا يذوقون فيها بردا) وبعدها يذوقون الزمهرير
(ولا شرابا) يطفئ حرارة الباطن (الا حميما) يزيد فى حرارته (و) ليس لهم شراب آخر يجيئهم
من جهة اخرى الا (غساقا) هو الصديد جوز وايهما لكونهما (جزاء وفاقا) أى موافقا
لاعمالهم لانها أوجبت الغضب الحار وهو ناشئ من أعمالهم وقد كثرت لهم تلك الاعمال (انهم
كانوا لا يرجون حسابا) فينقطعوا عن بعض الاعمال من خوفه (و) قد تأكد الغضب عليهم
لانهم انما لم يرجوا الحساب لانهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على الحساب (كذابا) اى تكذيبا
بليغا امانعا من احتمال صدقها مع انها ظاهرة الصدق فحسبنا عليهم جميع تلك الاعمال (وكل
شئ) من أعمالهم (أحصيناه كتابا) اى فى كتاب الملائكة بخلاف من صدق بالآيات فانه يكفر
بكثير من معاصيه فأعمالهم وان كانت كأعمال المؤمنين لا يتناهى العذاب عليها لصدورها
عن المبالغة فى تكذيب الآيات الى غير النهاية (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) بعد انقطاع
عذاب المؤمنين ومن زيادة العذاب عليهم فوز أعدائهم (ان للمتقين مفازا) هو نجاتهم من
المترصدين بل من كل هم لان لهم (حدائق) بساتين من مياه أعمالهم (وأعنابا) ثمرات تلك
الاعمال (وكواعب) جمع كاعبة جارية تنهد ثديها (أترابا) ابكارا لم يخالطهن حب الغير لتكمل
لذة الثمار بأكل الاحباب معهم (وكأسا) من الخمر (دهاقا) اى مملوءة ليزيد الحب فتزيد اللذة
وما ثمت ما ينقص اللذة اذ (لا يسمعون فيها لغوا) يسمع من أهل الخمر (ولا كذابا) يسمع
بين الزوجين وانما كمل هذا الكمال لكونه (جزاء من ربك) الكامل فيكون على حسب المجازى
لا العمل فليس فى الحقيقة جزاء بل (عطاء حسابا) اى كافيا لا يتمنى معه شئ وكيف لا يكمل عطاء
من هو (رب السموات والارض وما بينهما) خلقهما رحمة منه من غير سبق وعد فهو
(الرحمن) على الاطلاق فكيف لا تكمل رحمته على من وعدهم بكمالها وهو وان قرب منهم بهذه
الرحمة فعظمته باقية لذلك (لا يملكون منه خطابا) ويزداد ظهور عظمته (يوم يقوم الروح)
الذى تسميه الفلاسفة بالعقل (والملائكة) الذين يسمونهم بالنفوس السماوية (صفا
لا يتكلمون) وان كان يوم الشفاعة والشهادة (الا من أذن له الرحمن) برحمته اياه فى حق من
يرحمه (وقال) فى الشفاعة انه يستحق العفو (صوابا) لايمانه بخلاف الكافر وكيف يتكلمون
فى ذلك اليوم بغير الصواب مع انه (ذلك اليوم الحق) فلا يتكلم فيه بغير الصواب فى غير

(قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أى ليحبسوك يقال رماه فأثبته اذا حبسه ومريض مثبت أى لا حركة به (قوله عز وجل يثخن فى الارض)

الشفاعة أيضا واستحقاق هذه الشفاعة انما يكون بالرجوع الى الحق بالايمان به (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) بالايمان به والانابة عذاب البعد ولا يبعد عنكم (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يكفى فيه تصوير أعماله لكونه (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) مصورة بصورة جميلة أو قبيحة يتلذذ بها أو يتألم (ويقول الكافر) عند رؤيته قبح صورته فى الغاية (ياليتنى كنت ترابا) اى باقيا على صورتها فهى خير من هذه الصورة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

(سورة النازعات)

سميت بها ترغيبا فى اكتساب هذه الصفة التى يتوسل بها الى الكمالات المذكورة بعدها (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى أهل النازعات (الرحمن) بأهل الناشطات (الرحيم) بأهل السابحات وما بعدها (والنازعات غرقا) أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلوب النازعة نفوسها الغرق فى الشهوات غرقا بليغا (و) بالقلوب (الناشطات) فى عبادته لارتفاع تعويق نفوسهم عنها (نشطا) كاملا لا يوجد معه تعب (و) بالقلوب (السابحات) فى بحار المعارف (سبحا) موصلا لهم الى الاحوال والمقامات (فالسابقات) فى مقامات القرب (سبقا) كاملا (فالمدبرات أمرا) للخلق بالرجوع اليهم من الحق متصفة بما يناسب صفاته لترجعن الى الله الذى تعمل له هذه القلوب فان كنتم بهذه الصفات لم يضركم شئ من الشدائد والاضطرابات بها (يوم ترجف الراجفة) اى تتحرك الاجسام الساكنة حركة شديدة كالارض والجبال (تتبعها الرادفة) اى التابعة كالسماء تنشق والكواكب تنتثر فهذه (قلوب) لا تصافها باضداد تلك الصفات (يومئذ واجفة) اى شديدة الاضطراب ولا تنتفع بالنظر الى الله تعالى اذ (أبصارها خاشعة) اى ذليلة لانها لم تتعزز بهذه الصفات العزيزة وكيف لا تؤثر فيهم الراجفة والرادفة بذلك وهم كالمنكرين للموت اذ (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) اى القبر فان أقروا به انكروا البعث بعده اذ يقولون (أئذا كنا عظاما نخرة) أى رميمة نبعث فان بين لهم بالدلائل الواضحة (قالوا) ان صح ما قلتم (تلك) الرجفة (اذا كرة) أى رجعة (خاسرة) أى منسوبة الى الخسران ولا وجه لاستبعادها لانها مرتبة على نفخة الصور ولا بعد فيها (فانما هى) اى النفخة التى يترتب عليها الراجفة والرادفة (زجرة واحدة) لدفع الارواح من الصور الى الابدان (فاذا هم) ملتبسون (بالساهرة) اى بالابدان المتيقظة فان زعموا انه لو كان للقلوب السابقة تدبير الخلائق لم يبق فى الارض فساد يقال للسائل (هل أتاك حديث موسى) من كبار السابقين (اذ) بلغ من مقام القرب الى حيث (ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اى الذى طوى فيه الالتفات الى الغير وقد بعثه الله لاصلاح أمر فرعون اذ قال له (اذهب الى فرعون) لتدبيره بما يصلحه (انه طغى) أى جاوز حده بدعوى الربوبية (فقل) له أولا (هل لك) رغبة (الى أن تزكى) عن الرذائل التى هى منشأ الطغيان (و) هل لك الى أن (أهديك الى ربك) الذى رباك باعطاء الملك فأعرفك ذاته وصفاته وأفعاله (فتخشى) أن يسلبك الملك ويذيقك البأس مكان النعم

أى يغلب على كثير من الارض ويبالغ فى قتل أعدائه (قوله عز وجل يظاهروا عليكم) أى يعينوا عليكم (قوله عز وجل يتخافتون) أى يتسارون

فان خشيت اعطاك ملك الآخرة الذى يعطيه المتقين فقال له فرعون لابد من آية كونك من كنا
هاديا من آية (فأراه الآية الكبرى) التى لايعرضها الشك (فكذب) بكونها آية (وعصى)
بترك الرغبة فى التزكية والهداية وباختيار الطغيان (ثم) لما علم انه وقع بقلوب الحاضرين
صدقها (أدبر) أى التفت (يسعى) فى ابطالها (فحشر) اى جمع السحرة لمعارضتها والخلق
لابصار تلك المعارضة (فنادى) قبلها تهوينا لامره وتكذيباله (فقال أنا ربكم الاعلى) فلو
كان للعالم رب فهو دونى فرد على موسى تدبيره (فأخذه الله) بدل تقريبه لو قبل تدبيره (نكال)
الكلمة (الآخرة) أنا ربكم الاعلى (و) الكلمة (الاولى) ما علمت لكم من الٰه غيرى والدنيا
وان لم تكن دار جزاء فعل به ليكون عبرة (ان فى ذلك لعبرة) لمن بعده نافعة (لمن يخشى) الله فلا
يعتمد على ملكه وقدرته وهذه العبرة وان لم تطرد فى الدنيا فلابد من اطرادها فى الآخرة فان
استبعدتم الآخرة قيل لكم (ءأنتم أشد خلقا) اى أصعب ايجادا (أم السماء) التى هى
أعظم مقدارا أو أكثر تفصيلا مع ما فيها من وفور القوة الجسمية اذ (بناها) بناء قويا لا يبلى
بكثرة حركاتها مدة متطاولة ووفور القوة الروحانية اذ (رفع سمكها) اى ارتفاعها من غير عمد
ولا اعتماد على الجدران وقوّاها بالنجوم (فسوّاها) اى عدلها فعلق بها نفوسا كاملة (و) جعلها
مؤثرة بالتبريد والتسخين اذ (أغطش) أى أظلم (ليلها) فلم يجعل لها شعاعا مسخنا (وأخرج
ضحاها) وجعل له شعاعا (و) لما كان لليلها ونهارها تبريد وتسخين وهى غير قابلة لهما جعل
قابلهما الارض ومن ثمت (الارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومن اجتماع الحرارة والبرودة
فيها (أخرج منها ماءها و) من الماء والتراب مع الحرارة أخرج (مرعاها و) لحفظ المياه فيها
(الجبال أرساها) وانما فعل ذلك (متاعا لكم ولانعامكم) فيختص بمدة بقائهما (فاذا جاءت الطامة
الكبرى) اى الداهية العظمى المفنية لهما انشقت السماء واندكت الارض وهذه الطامة
عليهما لما كانت لاجل غضب الله على الانسان بسبب مساعيه كانت (يوم يتذكر الانسان
ما سعى و) كيف لا يتذكر وقد (برزت الجحيم لمن يرى) وهذا الغضب وان بلغ ما بلغ لا يعم أثره
جميع الناس بل ينقسمون قسمين (فأما من طغى) لمجاوزة حد من حدود الله (و) أعظم أسباب
الطغيان حب الدنيا بحيث (آثر الحيوة الدنيا) على الله وثوابه (فان الجحيم هى المأوى) لكونها
مأوى البعداء عن الله بايثار الغير عليه (وأما من خاف مقام ربه) فلم يطغ فى حد من حدوده
(و) لم يؤثر الحياة الدنيا لانه (نهى النفس عن الهوى) التى لاجلها يؤثر الحياة الدنيا (فان الجنة
هى المأوى) واذ ذكرت كون الجحيم مأوى الطغاة المؤثرين الحياة الدنيا وكون الجنة مأوى
الخائفين الناهين النفس عن الهوى وان ذلك يكون بعد الساعة (يسئلونك عن الساعة)
التى يكون ذلك بعدها (أيان مرساها) أى فى أى آن استقرارها المزيل للشك فيها ولا يسألون
بالتوبيخ فى السؤال لانه سؤال (فيم أنت من ذكراها) لكن لو بينا لهم وقتها لم يكونوا ليؤمنوا
بها قبل مجيئها لكن ليس اليك الاتيان بها ليؤمنوا بل (الى ربك منتهاها) ولو أمكنك الاتيان بها
لم يلزمك لتصديقهم بل (انما أنت منذر من يخشاها) والخاشون لا يسألون عن وقت ارسالها

والمضاهاة معارضة الفعل بمثله يقال ضاهيته أى فعلت مثل فعله (قوله عز وجل يحادد الله ورسوله) أى يحارب ويعادى وقيل اشتقاقه من اللغة كقولك

لانه سؤال استبعاد وهم لا يستبعدونها كما لا يستبعدها من يراها حين وجودها ويحقق له قربها (كأنهم يوم يرونها) يعتقدون فى قربها انهم (لم يلبثوا) فى الدنيا او البرزخ (الا عشية أو ضحاها) اى ضحى يومها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة عبس)

سميت به ليصير عتابه عز وجل على من اعرض عن أدنى المسترشدين حالا بشغله بمن أحسنهم حالا علما بسورة من كتابه دلالة على عظيم عنايته بالمسترشدين (بسم الله) المتجلى بكمالاته للمسترشدين (الرحمن) بعتابه على من أعرض عنهم ليصرفوا عنان هممهم الى ارشادهم (الرحيم) بتقديم من كان أدنى حالا منهم على من كان أحسن حالا من غيرهم روى أنه أتى ابن أم مكتوم رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو صناديد قريش الى الاسلام فقال يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر النداء فظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه هؤلاء يزعمون أن أتباعه العميان والعبيد والسفلة وأعرض عنه فأنزل الله تعالى (عبس) اى كلح وقطب وجهه (و) لم يقتصر عليه بل (تولى) أعرض أيضا لا لاجل قصد اسلام الصناديد وأتباعهم اذ لا عبرة له مع عدم اسلامهم بل لاجل (أن جاءه الاعمى) مع انه بعث رحمة للعالمين وهداية لهم وأولى الناس بالرحمة الضعفاء سيما العميان وبالهداية المسترشدون ولم يخاطبه أولا لغيبته عن أمر الحق وان كان فى دعوة عباده اليه على انه لما غاب عن مطالب من أراد الحضور مع الحق جعل فى حكم الغائب عنه ثم خاطبه ثانيا كمن يشكو الى الناس من جفى عليه حتى اذا حمى فى الشكاية أقبل عليه يخاطبه وهنا لم يكن من يشكو عنه عنده فشكى عنه عنده ثم هذه الكراهة أولى أن تكون فى حق من عمى قلبه (وما يدريك) أنه عمى قلبه فان كان فى الحال (لعله يزكى) فيصير قلبه مرآة تنتقش فيه الغائبات فيدرك ما لا يدركه بصراء العين الظاهرة (أو) لا يتزكى فلعله (يذكر) تذكرا لا يشوبه وهم وخيال (فتنفعه الذكرى) بجر المنافع ودفع المضار الحقيقية خيرا مما يجره ويدفعه بصراء الظاهر وان رخص فى الاعراض عنه فلاجل ارشاد مسترشدين أخر (أما من استغنى) عن ارشادك بل عن الله وثوابه (فأنت له تصدى) اى تتعرض لارشاده معرضا عن المسترشد (وما عليك) شئ من البأس فى (ألا يزكى) هو ولا أتباعه فان أفادك الحرص على ايمانهم فلا يكون مثل ما يفيدك ارشاد المسترشدين لكن كأنك رأيت الفائدة الكلية فى الحرص على ارشاد المستغنى (وأما من جاءك يسعى) فى طلب الارشاد (وهو يخشى) فواته (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل كأنك لا تبالى افائدة ارشاده (كلا) زجر بعد العتاب أن تعود الى مثله (انها) اى دعوتك (تذكرة) لله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وجزائه اختيارا لا يشوبه الجاء كما يشعر به الحاجك للمستغنى (فمن شاء ذكره) اى الله ذكرا يثبت (فى صحف) للملائكة (مكرمة) يكون المذكور فيها أكرم من كرام قريش استغنوا كيف وقد اتصفت

جانب الله ورسوله أى يكون فى حد والله ورسوله فى حد (قوله يؤفكون) أى يصرفون عن الخير ويقال يؤفكون يحدون من قولك رجل محدود أى محروم

بوصف (مرفوعة) الى الله ولا سيما من جهة مناسبتها له باعتبار اتصافها بوصف (مطهرة) ليس فيها رياء ولا عجب ولا قادح آخر ولكونها مكرمة تكون (بايدى سفرة) اى رسل من الملائكة (كرام) لا يسخرون مع الفجار لاتصافهم بوصف (بررة) لا يكتبون الا البر (قتل) اى لعن (الانسان ما أكفره) اذ كفر بمن خصه بهذه الكرامة لو ذكره وقد كرمه بعد دناءة أصله فلينظر انه (من اى شئ) من الاشياء الذليلة (خلقه) ولما علم انه لا يجيب حياء قال (من نطفة خلقه) فأكرمه غاية الاكرام (فقدره) اى اعطاه القدرة على الاشياء (ثم) أعطاه العلم الذى به (السبيل) اليه والى ثوابه (يسره ثم أماته) ليصل الى ما عمل من أجله فى البرزخ (فأقبره ثم) ليصل الى ماله فى الابد (اذا شاء أنشره) أى أخرجه من القبر فانه لا يتخلف عن مشيئته كما لم يتخلف عنها ما ذكر فان توهم من اكرامه بعد كونه نطفة انه لو اعيد انسانا أعيد اكرامه يقال له (كلا) يدع له عن هذا التوهم لانه انما أكرم أولا لانه لم يصدر عنه معصية وأما الآن فقد عصى لانه (لما يقض ما أمره) فلا يستحق الاكرام بل الاذلال بعد الاكرام كالطعام (فلينظر الانسان الى طعامه) كيف يصير رجيعا بعدما أكرم بعناية الحق به (أنا صببنا الماء) من السماء (صبا) عظيما الا كماء الانسان (ثم شققنا الارض) لا كشق الرحم بآلة الجماع (شقا) لا يقدر عليه النبات الضعيف (فأنبتنا فيها حبا) هو الاصل فى القوت (وعنبا) فيه اقتيات وتفكه (وقضبا) نباتا يقطع مرة بعد أخرى معين فى أكل القوت (وزيتونا) دهنية وادام (ونخلا) يقتات به الضعفاء ويتفكه به الاغنياء (وحدائق غلبا) بساتين ملتفة تشتمل على فوائد كثيرة من الادوية وغيرها (وفاكهة) خارجها يتلذذ بها (وأبا) تأكله الانعام أحسن بذلك (متاعا لكم ولانعامكم) لتشكروه فان كفرتم (فاذا جاءت الصاخة) اى صيحة القيامة عذبكم عذابا لا يخلص منكم عنه أحد لانه (يوم يفر المرء من أخيه) الذى هو أحب من الاجانب (وأمه) التى هى أحب من الاخ (وأبيه) الذى هو أحب من الام (وصاحبته) التى هى أحب من الابوين (وبنيه) الذين هم أحب منها اذ لا يقدر على الشفاعة لهم ولا على اعطائهم شيأ من حسناته بل لا يمكنه الالتفات اليهم اذ (لكل امرئ منهم يومئذ) لشدة أهواله (شأن يغنيه) عن شؤن غيره بل أهل الدرجات ينفرون عن أهل الدركات اذ (وجوه يومئذ) لظهور النور الالهى فيه (مسفرة) مضيئة بقبول النور منه (ضاحكة) من الانعام عليهم والاكرام لهم (مستبشرة) بترقى درجاتهم كل يوم (و) هذه تنفر عن اضدادها اذ (وجوه يومئذ) من شدة أهواله (عليها غبرة) غبار من الذلة لاجل فجورهم (ترهقها) اى تغشاها (قترة) اى سواد وهو وان كان تحته لكنه لكونه أثر الكفر يغلب فيعلو الغبار اذ (أولئك) البعداء عن التنور بالنور الالهى (هم الكفرة الفجرة) الذين حجبهم كفرهم وفجورهم عن الاستنارة بنور ربهم

* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

(سورة التكوير)

(قوله عز وجل يخسون) معناه ينقصون (قوله عز وجل يغاث الناس) يمطرون (قوله عز وجل يهرعون) أى يستحثون ويقال يهرعون

سميت به لانه أعظم حوادث ذلك اليوم على المطلوب بالذات بلا معارض بخلاف كشط السماء لانها مطلوبة الكواكبها وبخلاف تسعير الجحيم لانه معارض بازلاف الجنة على ان التكوير أعظم أسباب الانكشاف اذ كان نورها كاشفا من المحسوسات الحاجبة عن المعقولات فانكشفت باحتجابها (بسم الله) المتجلى بجلاله فى هذه الحوادث وبجماله فى الكشف عن الحقائق (الرحمن) باطلاع النفس فى تلك الاهوال (الرحيم) باعلامها ما قبل وقوعها للاستعداد لها (اذا الشمس كورت) اى لف نورها فذهب انبساطه وكان نورها مقويا للحياة حتى يجد المريض خفة عند طلوعها فتكويرها يضعف تعلق الناطقة بالبدن فيزيد تجردها الكاشف فينكشف عن النيات والهيآت النفسية (واذا النجوم انكدرت) وهى مقوية للحواس الشاغلة بالمحسوسات وكان انكدارها كاشفا عن المعقولات (واذا الجبال سيرت) وكانت أوتاد الارض فتسييرها ابطل مهاديتها وهو مضعف للبدن فيضعف تعلق الناطقة به فينكشف لها (واذا العشار) جمع عشراء ناقة أتى على حملها عشرة أشهر (عطلت) وتعطيل الاموال سيما أحبها مضعف للبدن لان قوته بالمال (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت وجمع غير المألوف مضعف للبدن (واذا البحار سجرت) اى أحميت وهو منشأ الرياح الحارة المبطلة اعتدال البدن الذى به تعلق الناطقة فيضعف (واذا النفوس زوجت) اى قرنت بالشياطين ومقارنة لعدو على انه يذكرها ما كان من السوء لتتعذب عذابا عقليا فوق الحسى (واذا الموؤدة) أى البنات التى دفنتها الامهات حية (سئلت بأى ذنب قتلت) وهو يظهر ما فى قلوب الابوين من كراهة خلق الله أو قلة الثقة بضمانه (واذا الصحف) التى كتب فيها الاعمال (نشرت) ليكشف عنها (واذا السماء كشطت) أى قلعت فتنزل الملائكة الصاعدة بالصحف وغيرهم (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت ايقادا شديدا وهو لكونه فى حق كل عامل بمقدار عمله يكشف عن الاعمال (واذا الجنة أزلفت) أى قربت من المؤمنين وهو أيضا كاشف عن مقادير أعمال الخير لان ازلافها بقدرها (علمت نفس) هى الناطقة (ما أحضرت) من نياتها وهيآتها واذا ظهرت الاسباب وزال ضعف بعضها باجتماعها (فلا) حاجة الى القسم على المسبب فان احتججتم فانى (أقسم بالخنس) أى بالكواكب الراجعة تارة (الجوار) أى السائرة على الاستقامة أخرى (الكنس) المختفية تارة فيجوز للنيات والهيآت الحاضرة للنفس الآن أن ترجع فتزول عن الخواطر وأن تجرى على الاستقامة فيظهر لها أثر وان تختفى فيضعف ذلك الاثر ويظهر ضده (والليل اذا عسعس) أى اظلم فتظهر الكواكب ويخفى ما الجو فيجوز للنيات والهيآت أن تظهر وتختفى آثارها السابقة بظهور أضدادها (والصبح اذا تنفس) أى أقبل فاستترت الكواكب وظهر ما فى الجو فيجوز ان يظهر للنيات والهيآت آثار كانت مستترة وتختفى ما كانت ظاهرة من قبل (انه) أى ان هذا القرآن المتضمن لهذا البيان (لقول رسول) وهو جبرئيل عليه السلام حكاية عن قولى من غير تغيير لاتصافه بوصف (كريم) ولا يتأتى منه التغيير ولو فرض فهو انما يغير لوضعف لكنه متصف بوصف (ذى قوة) كيف

أى يسرعون فأوقع الفعل بهم وهو لهم فى المعنى كما قيل أولع فلان بكذا وزهى زيد وارعد عمرو فجعلوا مفعولين وهم فاعلون وذلك ان المعنى أولعه

وهو متصف (عند ذي العرش) بوصف (مكين) وقد بلغ فيه الى حيث اتصف بوصف (مطاع ثم) أي في الملائكة وقرئ ثم تعظيما وعلى الاول انما يمكن هذا التمكين لاتصافه بوصف (أمين) فلا يتصور منه التغيير فيما أرسل به (وما صاحبكم) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عرفتم كمال عقله بطول صحبته (بمجنون) مختل الخيال حتى لا يعتد برؤيته صور الملائكة بقوة الخيال لأن هذه القوة صحيحة من الصحيح وفاسدة من المجنون فساد سائر الحواس بالآفات العارضة ولذلك تعتبر صور الرؤيا الا من المختلين بعوارض تفسد القوة الخيالية (و) لم يعرفه بهذه الصورة فقط بل (لقد رآه) بحقيقته عند اتصاله (بالافق المبين) للحقائق فعرفه في كل صوره رآه من بعد وانما ظهر من بعد في هذه الصورة لانه لا يمكن أخذ الوحي من حقيقته (و) لا بد من انزال الوحي لان الله تعالى (ما هو على) اظهار (الغيب بضنين) أي بخيل ولا يمكن الا بارسال ملك على صورة بشر هذا اذا قرئ بالضاد وان قرئ بالظاء فمعناه كيف يشك في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه ما هو على اخباره عن الغيب بمتهم (و) ليست هذه الصورة صورة الشيطان والا لكان القرآن قول الشيطان لكنه (ما هو بقول شيطان رجيم) لانه لما رجم فليس له همة سوى اضلال من رجم من أجله والقرآن ارشاد محض واذا ظهر أنه قول الرسول الامين والرائي اعتمد على رؤية حقيقته أولا والحق غير بخيل والقرآن ليس بقول شيطان رجيم بل ارشاد محض (فأين تذهبون) الى القول بأنه مفترى وكيف يتصور مع انه (ان هو) أي ما هو (الا ذكر) أي شرف (للعالمين) وصل اليهم تعظيما لهم بما يوصلهم الى الكمالات النظرية والعملية فان لم يتعظم به الكل فهو تعظيم (لمن شاء منكم أن يستقيم) حتى تكمل قوتاه النظرية والعملية (و) لكن (ما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله) أن يقهرهم عليه لكن لا ينافي ذلك عموم ربوبيته للمستقيمين وغيرهم اذ هو (رب العالمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

طبعه وجبلته وزهاه ماله أو جهله وأرعده غضبه أو وجعه وأهرعه خوفه ورعبه ولهذه العلة خرج هؤلاء الاسماء مخرج المفعول بهم ويقال لا يكون الاهراع

(سورة الانفطار)

سميت به لانه أعظم أسباب تعلق العقول والنفوس السماوية بالنفس الانسانية حتى علمت ما قدمت وأخرت (بسم الله) المتجلي بجلاله في السماء والكواكب والبحار وبجماله في القبور (الرحمن) باطلاع النفوس على ما قدمت وأخرت (الرحيم) باعلامه قبل وقوعه للاستعداد له (اذا السماء انفطرت) أي انشقت فبطل تعلق النفوس السماوية بها فبطل تعلق العقول بتلك النفوس فتعلقتا بالنفوس الانسانية ليظهر لها كليات معاني ما قدمت وأخرت وجزئياتها (واذا الكواكب انتثرت) والنفوس السماوية كانت متعلقة بتلك الكواكب أولا فانضمت الى النفوس الانسانية لمناسبتها لها فصار لها الاطلاع على المعاني الجزئية لما قدمت وأخرت (واذا البحار فجرت) اي فتحت بعضها الى بعض فصار الكل واحدا فاختلطت المواد السماوية بالارضية التي منها البدن فتعلق بها العقول والنفوس التي كانت متعلقة بالمادة السماوية (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها فلا يبعد أن تنقلب المعاني الذهنية والجلية

للاعمال فتصير الخفية جلية والجلية خفية (علمت نفس) المعانى الكلية والجزئية لكل (ماقدمت) الى الله تعالى من خير أو شر بفعله (وأخرت) منهما بتركه فاذا قدمت شرا وأخرت خيرا فكوشف عن معانيهما الكلية والجزئية قيل له (يا أيها الانسان) الذى حقه الانس بالحق والخيرات لكن تأنست بغير الله وبالشرور (ماغرك) من نفس وشيطان وخلق ودنيا (بربك) الذى رباك باعتبار اتصافه بوصف (الكريم) لانه (الذى) بمقتضاه (خلقك) اى قدر وجودك (فسواك) أى سوى مزاج بدنك بتسوية الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة (فعدلك) اى عدل أركان بدنك بجعلها متساوية المقدار حفظا لتسوية المزاج لحفظ عليك لتحفظ أوامره ونواهيه ثم بمشيئته المحضة (فى أى صورة ما) من الصور الجميلة والقبيحة (شاء ركبك) أى جعل تركيب أعضائك لخلاف مشيئته فى تحسين صورتك فى القيامة أو تقبيحها فان زعمتم انكم تغترون بكرمه السابق قيل لكم (كلا) لاتغترون بكرمه لانه فرع الاقرار بالجزاء وأنتم لاتقرون به (بل تكذبون بالدين) أى بالجزاء الذى وصفه من كرمه لتطيعوه فيصلح لكم أمور الدارين ولاتعصوه فيفسد عليكم أمورهما (وان عليكم) من كرمه (لحافظين) من الملائكة (كراما) بكم لكونهم (كاتبين) لاعمالكم الحسنات لتستزيدوها اعتمادا على عدم ضياع شئ منها والسيآت لتحترزوا عنها مخافة أن تحاسبوا على جميعها ولا يفوتهم شئ من أعمالكم الظاهرة والباطنة لانهم (يعلمون ماتفعلون) فى الظاهر والباطن لكنهم انما يكونون كراما فى حق الابرار (ان الابرار) من احصائهم لحسناتهم كأنهم الآن (لفى نعيم و) يكونون كاتبين لاغير فى حق الفجار (ان الفجار) من احصائهم لسيآتهم كأنهم الآن (لفى جحيم) لكنهم لايبالون لذلك انما يبالون له يوم الدين لانهم (يصلونها يوم الدين) وانما لايبالون له اليوم لغيبتهم عن الجحيم (وماهم عنها) يوم الدين (بغائبين و) لوغابوا عنها تكفيهم شدائد يوم الدين فانه (ماأدراك مايوم الدين) فى شدائده فشدائده ليست دون شدائد الجحيم (ثم) ان جعلت شدائده كشدائد الجحيم (ماأدراك مايوم الدين) ويكفى من شدائده انه (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) من الشفاعة والنصر (والامر) فى شفاعة من تنفعه الشفاعة (يومئذ) لظهوره بغاية عظمته فيه (لله) فمن ارتضاه من وجه أمر الشفعاء بشفاعته والا فليس لهم شفاعة أصلا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة المطففين)

سميت به لدلالته على ان من اخل بأدنى حقوق الخلق استحق أعظم ويل من الحق فكيف من أخل بأعظم حقوق الحق من الايمان به وبآياته ورسله (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى المكاييل والموازين اذا كانت جائرة أو عدلة (الرحمن) بتعريف مقادير الاشياء بهما ليقيسوا مقادير الاعمال (الرحيم) بحفظ حقوق الخلق بهما (ويل) أى قبيح شنيع وبلاء عظيم لايحمل أدناه على أعظم الامور لازم (للمطففين) أى الآخذين طفيفا أى حقيرا

الاسراع المذعور وقال الكسائى والفراء لايكون الاهراع الا اسراعا مع رعدة (بسعه) أى بجيزه (قوله عزوجل تبروا تتبيرا) يدمروا ويخربوا والتبار الهلاك

من

من حقوق الخلق وهم (الذين اذا اكالوا) أى أخذوا الكيل مستعلين (على الناس يستوفون) أى يطلبون الزيادة على ايهام ان بها تمام الكيل واذا فعلوا ذلك فى الكيل الذى هو أجل مقدارا ففى الوزن بطريق الاولى (واذا كالوهم) أى اعطوهم الكيل (أو وزنوهم) فانه وان قل مقداره فلا يتركونه بحاله بل (يخسرون) فيه أيضا باخراج شئ بعد شئ وانما جمع بين الامرين لان من استوفى فى الاخذ والعطاء أو نقص فيهما لم يكمل الويل عليه لان أحدهما يجبر بالآخر (الا يظن) فضلا عن الاعتقاد الجازم (أولئك) البعداء عن النظر فيما يقبح (أنهم مبعوثون) لاقامة العدل عليهم واسترداد حقوق الله وحقوق الخلق منهم (ليوم عظيم) تعظم فيه الشدة على ما يستحقر من القبائح مع مزيد الفضيحة لكونه (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الذى يقتضى عموم ربوبيته ايفاء الحقوق ثم قال (كلا) زجر عن هذا التطفيف فانه وان كان اتساعا دنيويا فهو عين الوقوع فى ضيق الآخرة (ان كتاب الفجار) الذى كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم (لفى سجين) مبالغة فى السجن وهم فى أشد تضيق منه (وما ادراك ما سجين) أى ما غاية تضييقه حتى سرى التضييق منه الى الكتاب الذى هو فيه فهو (كتاب مرقوم) كتب فيه أسماء الفجار وأعمالهم ليقرأ على رؤس الخلائق فيفتضحوا وكفى به ضيقا مع انه لا يقتصر عليه بل (ويل يومئذ) لكونه يوم الشدائد والاهوال (للمكذبين) بان حقوق الخلق تسترد فهؤلاء هم (الذين يكذبون بيوم الدين و) هم يستحقون أعظم أنواع الويل لانه (ما يكذب به الا كل معتد) جاوز حد الاقتصاد لانه مكذب لدوام ربوبية الله عليه وقدرته على البعث وعدله باسترداد الحقوق كيف وانكاره يوجب الاجتراء على الآثام بحيث يتصف بوصف (أثيم) وكفى فى اعتدائه واجترائه على الآثام انه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا الدالة على دوام ربوبيتنا وقدرتنا على البعث والجزاء واسترداد الحقوق (قال) من اعتدائه واجترائه (اساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (كلا) زجر عن هذا القول اذ لم يصدر عن دليل أو كشف (بل) منع منهم النظر والكشف لانه (ران) اى غطى (على قلوبهم) هيئات (ما كانوا يكسبون كلا) زجر لهم عن ترك التصفية عنها (انهم) لو تركوها (عن ربهم يومئذ) أى يوم ظهوره بالتجلى الشهودى (لمحجوبون) بها فيفوتهم رؤيته التى هى أعظم اللذات (ثم) لا يقتصر على فواتها بل (انهم لصالوا الجحيم) بل صليهم انما يتم بمنع الرؤية لئلا يعارض آلامها لذة الرؤية (ثم يقال) ضما للعذاب العقلى الى الحسى (هذا الذى كنتم به تكذبون) انه يتضمنه معاصيكم تضمن الحلاوات للسم فى بعض الاطعمة يكذب بسمه الناظر الى حلاوته ثم يجد أثر السم (كلا) زجر آخر عن ترك التصفية عن هذا الرين كأنه يقول ان لم تبالوا لضرر تركها فكيف لا تبالون لفوات فائدتها فاقل فوائدها انها ان لم تلحقكم بالمقربين تجعلكم من الابرار (ان كتاب الابرار لفى عليين) بتبعيتهم (وما أدراك ما عليون) فى اتساعه وكثرة فضائله فهو كالمحيط بالنسبة الى

(قوله عز وجل ينغضون
(قوله عز وجل يغضون) أى يحركونها
اليك رؤسهم) قوله عز
استهزاء منهم
وجل يزجى) أى يسوق
(قوله عز وجل يشعرن)
أى يعلمن (قوله عز وجل

المركز وقد حصلت نضائله لكتابهم فيه اذهو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) من حملة العرش وكفى بشهودهم فضيلة له ولمن كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم ومن فوائد شهودهم انهم يفيدونهم التنعم (ان الابرار) كأنهم الآن (لفي نعيم) يتلذذون بأعمالهم ومعارفهم وكأنهم في تلك اللذة كالملوك (على الارائك) من النظر الصحيح (ينظرون) في اسرار ربهم وأعمالهم له تتلذذ بها بواطنهم ثم تسري الى ظواهرهم بحيث (تعرف في وجوههم نضرة) أي بهجة (النعيم) الباطن وكيف لا وهم (يسقون) بهذا النظر (من رحيق) هو خمر المحبة (مختوم) على غيرهم (ختامه) بدل الطين روائح القرب كأنها (مسك وفي ذلك) لا في التطفيف المفضي الى اللذات الحسية التي يشاركه فيها البهائم (فليتنافس) أي فليرغب (المتنافسون) الراغبون في الشئ النفيس وكيف لا يتنافس فيه (ومزاجه من تسنيم) أي منهل عال كان (عينا يشرب بها) صرفا (المقربون) ومع عظم هذه اللذات بحيث لا نسبة للذات الحسية اليها ينكرها المجرمون كل الانكار (ان الذين أجرموا) من المطففين والمكذبين (كانوا من الذين آمنوا) فآثروا اللذات الحقيقية على الحسية (يضحكون) لاعتقادهم انهم فوتوا كل شئ لما ليس بشئ سوى انه أمر متوهم متخيل (و) لا يقتصرون على الضحك بل (اذا مروا بهم يتغامزون) مبالغة في السخر (و) لاعتقادهم ان اللذات منحصرة في الحسية (اذا انقلبوا الى أهلهم) فاجتمعت لهم تلك اللذات (انقلبوا فكهين) أي معجبين بانهم لم يفتهم شئ من الكمالات (و) يرون اعتقاد ما ليس عندهم من الكمالات كمالا ضلالا لا كذلك (اذا رأوهم) أي الذين يؤثرن الكمالات الحقيقية على الحسية (قالوا ان هؤلاء لضالون و) ليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم ان ارسلوا لحفظ الكمالات على أنفسهم (ما أرسلوا عليهم حافظين) كمالاتهم بل انما يحفظون كمالاتهم ما دامت الدنيا فاذا ارتفعت انقلب الامر (فاليوم الذين آمنوا) فآثروا الكمالات الحقيقية (من الكفار) المنكرين لتلك الكمالات المرجحين عليها الكمالات الحسية الفانية (يضحكون) لوجدانهم جميع كمالاتهم وانقطاع كمالات الكفار عنهم وكيف لا تكمل كمالات المؤمنين مع انهم (على الارائك ينظرون) الى الله تعالى والى انقطاع كمالات الكفار ونضائحهم فيقال لهم (هل ثوب) أي جوزي (الكفار ما كانوا يفعلون) من الضحك والتغامز والتفكه والاضلال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانشقاق)

سميت به لان انشقاقها عن أمر الله عز وجل مع كونه أشق الاوامر من غير عاقبة ثواب أو عقاب أعظم حجة على الانسان (بسم الله) المتجلي بكمالاته على السماء والارض حتى رأتا جماله في امتثال أوامره وجلاله في مخالفته (الرحمن) على الانسان بجعل تكاليفه سببا للوصول الى ثوابه أو عقابه (الرحيم) باقامة الدلائل على ذلك (اذا السماء) التي هي

يحاوره أي يخاطبه يقال تحاور الرجلان اذا رد كل واحد منهما على صاحبه والمحاورة الخطاب من اثنين فما فوق ذلك (قوله جل ذكره يقلب كفيه على

منشأ

منشأ روحانية الانسان (انشقت و) لم يكن انشقاقها لضعف بنيتها بل لانها (اذنت) أى سمعت أمر ربها تذللا (لربها و) لم يكن تذللها عما لا يليق بعظمتها بل (حقت) أى كانت جديرة بالتذلل له (واذا الارض) التى هى منشأ جسمية (مدت) أى بسطت لتتسع اقيام الناس عند ربهم (وألقت ما فيها) من اجزائهم ليحصل لهم القيام بجميع أجزائهم (وتخلت) عما تعلق بها من آثارهم للمجازاة عليها (و) لم يكن لها فى ذلك غرض بل (أذنت لربها وحقت) لزمتك الحجة فيما أمرت لو خالفت فيقال لك (يا أيها الانسان) لست باعظم من السماء والارض حتى تخالف أمر ربك وليس أمرهما كامرك بلا غاية من الثواب والعقاب بل (انك كادح) أى ساع للوصول (الى ربك كدحا) لتحصيل ثوابه ورضوانه وليس بمجرد تخيل منك بل هو محقق (فملاقيه) مع ملاقاة ما يحتج به عليك لو ضعفت مع نفسك وهواك وما تحتج به لو قويت عليهما وأول ما يظهر لك من تلك الحجة قوتك أو ضعفك فى وصولها اليك (فاما من أوتى كتابه بيمينه) لكونه قويا على نفسه وهواها فغلبت حسناته (فسوف يحاسب) بعد حساب حسناته الغالبة (حسابا يسيرا) على سيئاته (و) هو وان عوتب على بعضها أو عوقب (ينقلب الى أهله مسرورا) لا يبالى بعتاب أو عقاب سبق بعد ما انضم سرور حسناته الى سرور ملاقاة أهله ولم يذكر من اوتى كتابه بشماله لانه وان لم يكن حسابه يسيرا فرجحه اليسير فكان فى حكم الاول (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) لكون يمناه مغلولة الى عنقه لانقباضه عن الخير وكون يسراه مدخولة فى بطنه مخرجة من ظهره لدخول آثار النفس راسخة فى بطنه مع ادباره لامر الحق (فسوف يدعوا) بعد دعائه الشر على غل يمناه وجعل يسراه فى بطنه واخراجها وراء ظهره (ثبورا) وهو جمع المكاره على حسابه (و) مع ذلك (يصلى سعيرا) من شدة الله عليه (انه كان فى أهله مسرورا) بكفره ومعاصيه مع اجتماع سرور الدنيا عليه عند كونه فى اهله وانما تم له هذا السرور من عدم مبالاته بالله (انه ظن أن لن يحور) أى أنه لا يرجع الى الله ولو رجع لا يجازى (بلى) يرجع اليه ويجازيه بظواهر ما عمل وبواطنه (ان ربه كان به) أى بكل ما فى أعماله (بصيرا) فلا يبعد ان يكون فى المعاصى مراتب يوجب أولها السرور وأوسطها الحجب أو قبائح أخر تنضم الى قبحها الاول وآخرها يكشف عن قبائحها الموجبة لدعوة الثبور وهذا واضح (فلا) حاجة الى القسم فان أحوجتمونى اليه فانى (اقسم بالشفق) وهو الحمرة او البياض من أثر نور الشمس الموجب للسرور (والليل) الحاجب عن الاشياء (وما وسق) أى جمع من المكايد جمع المعصية للقبائح (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم بدرا فكشف ما ستره الليل وهو مثال ما ينكشف عن قبائح المعصية يوم شد (لتركبن) فى أمر المعصية (طبقا) أى مرتبة لها مجاوزين (عن طبق) سابق هذا واضح للعقلاء (فما لهم لا يؤمنون) بعد بيان القرآن له بغاية ما يمكن من الامثلة (و) عبارة القرآن معجزة فما لهم (اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) تذللا لمن اعجزهم بها (بل

ما اتسق فيها) أى بعضها بالواحدة على الاخرى كما يفعل المتقدم الاسف على مافاته (قوله عزوجل بغادر) أى يترك ويخلف وقد مر تفسيره (قوله يضيفوهما)

الذين كفروا يكذبون) بهذا البيان وباعجاز القرآن مع غاية ظهورهما (والله أعلم بما يوعون) أي يجعلون في وعاء نفوسهم من هذه القبائح (فبشرهم) على كل قبيح منها (بعذاب أليم) بدل تلذذهم بمخالفة أمر الله وحكمته وفرحهم على ذلك وظنهم ان لا رجوع اليه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فمحوا كفرهم ومعاصيهم فلا عذاب عليهم بل (لهم أجر) على الايمان والاعمال الصالحة ومحو الكفر والمعاصي (غير ممنون) أي غير منقطع بالغفلة عن الايمان والعجز عن الاعمال لمرض أو موت * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة البروج)

سميت بها لانها أشهر أسباب تعاقب الخير والشر ليدل على لعن من آذى المؤمنين بعد تمكينهم منه (بسم الله) المتجلي بكمالاته بالجمال في البروج السعيدة والجلال في النحسة (الرحمن) بخلق اليوم الموعود للجزاء لمصلح امور الخلائق (الرحيم) بخلق الشاهد والمشهود لاقامة العدل (والسماء ذات البروج) الدائرة بتعاقب الخير والشر بسعودها ونحوسها (واليوم الموعود) للجزاء (وشاهد) على أعمال بني آدم من نفسه وأجزائه والملائكة وغيرها (ومشهود) من تلك الاعمال انه لعن من آذى المؤمنين لايمانهم عند مجيء دائر نحوسهم أو في اليوم الموعود بعد اقامة الشهود عليهم واظهار المشهود به منهم ويدل عليه فيما مضى انه (قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) أي الشق في الارض ليلقوا المؤمنين في (النار) التي فيها (ذات الوقود) أي الحطب الكثير تهويلا لشأنها أهلكهم بارتفاعها اليهم (اذهم عليها) أي على اطراف الاخدود (قعود) قبل ان يقوموا (و) ما أهلكهم الا بعد لزوم الحجة عليهم اذ (هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) على أنفسهم لا يتأتى لهم انكاره أصلا روي انه كان للملك ساحر قد كبر فضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب يسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم حية حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى فعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربي فغضب عليه وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وذهب بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فرجف بالقوم فطاحوا ونجا الغلام فذهب به الى سفينة ليغرق فانكفأت بمن معه ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر بأخاديد في أفواه السكك وأوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرح فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وكيف لا ينتقم الله منهم (وما نقموا منهم الا) لعداوة (أن يؤمنوا بالله) مع استحقاقه ايمانهم باسمه (العزيز) أي الغالب على كل ما سواه مع كثرة انعامه باسمه (الحميد) الموجب لشكره بالقلب واللسان

أي يتزلوهم منزلة الاضياف (قوله عز وجل يعيدون) أي يجاورون لان المجير صاحب الجار (قوله عز وجل بصير) أي بذاب (قوله عز وجل يعقب) أي يرجع

وبالجوارح وكيف يرخص فى ترك الايمان به مع انه (الذى له ملك السموات والارض) كيف وتقتضى عزته وحمده وملكه الانتقام من أعدائه سيما عند ايذائه أولياءه سيما (و) قد شهد عداوة الاعداء وولاية الاولياء وايذاء الاولين اياهم لولايتهم اذ (الله على كل شئ شهيد) واذا تم الدليل فى هذا الجزئى صح قياس الكلى عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين) أى آذوهم لايمانهم (والمؤمنات) وان كان فى ايمان بعضهن ضعف (ثم لم يتوبوا) فالتائب وان عذب لحق الخلق فليس له هذه الشدة (فلهم عذاب جهنم) بانواعه أشد مما لغيرهم (ولهم) مع مزيد الشدة على سائر الانواع (عذاب الحريق ان الذين آمنوا) أى ثبتوا على الايمان مع ما فتنوا (وعملوا الصالحات) كالصبر والرضا وايثار جناب الله على ما سواه (لهم) فى مقابلة ما فتنوا (جنات) ينالونها عن قريب فعذابهم الدنيوى كمن ضرب بحضرة محبوبه (تجرى من تحتها الانهار) فى مقابلة اجراء دمائهم فلا يبالى بعذابهم فى مقابلة ذلك اذ (ذلك الفوز الكبير) ومما يعظم به فوزهم شدة عذاب الله على من فتنهم (ان بطش ربك لشديد) بحيث لا نسبة لشدة فتنتهم اليه (انه هو يبدئ ويعيد) كل شدة عليهم (و) مع غاية شدته على أعدائهم (هو الغفور) لمعاصيهم وان عظمت لانه (الودود) المحب اياهم لايمانهم وأعمالهم ومعاصى المحبوب مغفورة ولا يبعد منه شدة البطش مع عظم اللطف بالغفران والود لانه (ذو العرش) المحيط بالاجسام فلا يبعد منه الاحاطة بالافعال وقد اقتضاها اسمه (المجيد) وهو كما اقتضاها اقتضى الارادة أيضا نهو (فعال لما يريد) ولا يبعد منه الجمع بين الانعام والانتقام فى حق الواحد (هل اتاك حديث الجنود) الذين أنعم عليهم ثم انتقم منهم كقوم (فرعون وثمود) ولا يجمع بينهما يوم القيامة فى حق الكفرة اذ لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بجمعيته (بل الذين كفروا فى تكذيب) بجمعيته وبيوم القيامة (و) لا يبطل بذلك جمعيته اذ (الله من ورائهم) أى خلف حجابهم (محيط) ومن كفرهم باحاطته كفرهم بالقرآن فانه لا ينحصر فيما يفهمونه (بل هو قرآن مجيد) وانما يظهر مجده بكماله لمن نظر (فى لوح محفوظ) فكل حرف من القرآن فيه أعظم من جبل قاف * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وبقال يلتفت (قوله عز وجل يوزعون) أى يكفون ويحبسون وجاء فى التفسير يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار

(سورة الطارق)

سميت به لانه الحافظ للسماء عن تطرق الشياطين اليها حفظ القرآن والقوة النظرية للانسان (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى السماء (الرحمن) بخلق الطارق لحفظ تلك الكمالات عليها (الرحيم) بحفظ النفوس الانسانية بالقرآن والقوة النظرية (والسماء) المحتاجة مع عظمتها الى ما يحفظها (والطارق) الحافظ لها عن الشياطين بأخذ عليها الطريق (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) للشياطين اذا رمى بشهاب ينشأ من نوره (ان) أى ما (كل نفس لما) أى الا (عليها حافظ) هو نظره فى مبدئه ومعاده بالقرآن والقوة

النظرية (فلينظر الانسان) أولا في مبدئه (مم خلق خلق من ماء دافق) ينزل دفقات نزول
النتائج العلمية الدافعة للوساوس (يخرج) بعد نزوله من الرأس بطريق (من بين الصلب)
عظام الظهر (والترائب) عظام الصدر نزول النظر من المفكرة في الرأس الى القلب الذى
بينهما التميزه عن الوهم والخيال والنظر لما كان من المبادى الى المطالب ثم من المطالب الى
المبادى وهو نظير هـذا الماء فهو دليل البعث (انه على رجعه لقادر) برجعه بماء ينزله من
تحت العرش فيخرج الحياة المكمونة في الميت (يوم تبلى) أى تظهر (السرائر) فيظهر
من سر من عطل النظر في القرآن والقوة النظرية أنه عطل الحافظ (فماله من قوة) في نفسه
تحفظه (ولا ناصر) خارج (والسماء ذات الرجع) أى التى ترجع في حركتها الى المواضع
المتروكة (والارض ذات الصدع) أى التشقق بالنبات (انه) أى القول برجع الانسان
الى الحياة المتروكة ظاهرا وبصدع الارض عنه (لقول فصل) بجزم لم يبق فيه شبهة
للمنكر (وما هو بالهزل) لصدوره من الحكيم (انهم) أى القائلين بانه ليس بفصل بل
هو هزل (يكيدون) أى يحتالون لدفعه (كيدا) من الشبهات (وأكيد) في دفع
أقوالهم وشبهاتهم (كيدا) أعظم من كيدهم (فمهل الكافرين) بقولى حتى يظهر
دينى (أمهلهم رويدا) أى زمنا قليلا فانه عن قريب يظهر دينى على الدين كله فابطل
كيدهم بالكلية • تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله أجمعين

ومنه قول الحسن لمالوك
القضاء وكثر الناس عليه
لابد للناس من وزعة أى
من شرط يكفونهم عن
التعاضى (قوله عز وجل

•(سورة الاعلى)•

سميت به لانه مرجع البداية والنهاية كمالا ونقصا (بسم الله) المتجلى بكمالاته في اسمه الاعلى
(الرحمن) على من سبحه (الرحيم) على من قرأ القرآن مستقرا بقلبه (سبح) أى نزه
عن تدارك العقول والاوهام (اسم ربك الاعلى الذى) هو مرجع البداية حيث (خلق)
كل شئ (فسوى) مزاجه بحسبه (والذى) هو مرجع النهاية كمالا حيث (قدر)
اى اعطى القدرة على تحصيل الكمالات (فهدى) الهاما بالعلم والعمل (والذى) هو مرجع
النهاية نقصا حيث (أخرج المرعى) أى انبت ما يرعاه الحيوان رطبا اخضر او أصفر او أحمر
او ابيض (فجعله غثاء) يابسا (أحوى) اسود فاذا سحقته نابته فصرت مرجع الهداية
بداية ونهاية كمال ونهاية نقص أما البداية فانا (سنقرئك) بعد تصقيل قلبك بهذا التسبيح
بحيث لا يقبل الرين (فلا تنسى الا ما شاء الله) أن ينسخه فانه ربما ينسيك على وفق المصالح
(انه يعلم الجهر) أى المصالح الظاهرة (وما يخفى) وهذا بمنزلة تسوية المزاج الذى يتفاوت
فيه بحسب المصالح (و) أما نهاية الكمال فهو أنا (نيسرك لليسرى) أى للطريقة اليسرى
فلا حاجة الى المبالغة في اقامة الحجج ورفع الشبه واذا يسرنا لك الطريقة اليسرى فلا حاجة
الى المبالغة في التذكير (فذكر ان نفعت الذكرى) وهذه قد تفيد منك نهاية كمال تما فانه
(سيذكر من يخشى) فيصل الى نهاية كمال من السعادة الابدية (و) تفيد نهاية نقص في

حق الاشقى فانه (يتجنبها) من لايخشى وهو (الاشقى الذى) فى نهاية النقص لانه أضل
من الانعام حيث (يصلى النار الكبرى) فيصير فحما اسود كالغثاء الاحوى (ثم لايموت
فيها) ليصير الى العدم الذى ليس فيه نهاية كمال ولانقص لانهما صفتان وجوديتان (ولا
يحيى) فيكون له نهاية كمال وهذا وان كان نهاية كمال فليس بكمال مطلق وانما هو بالتزكية لانه
(قد أفلح) بنهاية الكمال المطلق (من تزكى) عن رذائل الاخلاق والافعال (وذكر اسم
ربه) المنير لقلبه (فصلى) تنويرا للجوارح وتقريرا للنور القلب فله غاية الكمال المطلق
ولكن أهل الشقاوة لايرونه كمالا (بل) يرون الكمال فى اللذات المحسوسة أو الجاه لذلك
(تؤثرون الحيوة الدنيا) التى هى كالمرعى الصائر غثاء أحوى على الله وعلى الآخرة (و) لا
ينبغى ان تؤثر على الآخرة اذ (الآخرة خير) فكيف تؤثر على الله (و) لو كانت الدنيا
خيرا من الآخرة لاينبغى ان تؤثر على الآخرة اذهى (أبقى) والدنيا فانية فهم أهل نهاية
النقص وان كانوا يرونه نهاية كمال وليس هذا مما يقبل النسخ (ان هذا لفى الصحف الاولى)
فلم ينسخ ولم يغير (صحف ابرهيم وموسى) قبل الزبور والانجيل فلم يختلف بحسب الازمنة
كمالا ونقصا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الغاشية)

سميت بها لما فيها من تأكيد الانذار بتهويل يوم القيامة وهو من أعظم مقاصد القرآن
(بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الغاشية بجلاله فى الوجوه الخاشعة وجماله فى الناعمة (الرحمن)
بالتخويف والتبشير (الرحيم) باقامة الادلة على ذلك (هل أتاك) استفهام تعظيم وتعجيب
(حديث الغاشية) أى الداهية التى تغشى بشدائدها (وجوه) كانت قبل ذلك اليوم
متعززة مستريحة عن الاعمال الشاقة والمتاعب مستلذة بالاطايب شاربة الذ المشارب آكلة
أطيب المطاعم المسمنة المشبعة (يومئذ خاشعة) متضرعة متذللة ولو كان لهم خشوع فى
الدنيا لكان لهم أعظم ثواب سيما اذا كان فى عمل من الاعمال الصالحة وهى هنالك (عاملة)
يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وبمعالجة السلاسل والاغلال وبالخوض فى النار كالابل
فى الوحل لكنها (ناصبة) أى تاعبة تعبا لايعقبه ثواب بل ثوابها أشد تعبا منها اذ (تصلى) بدل
استلذاذهم بالاطايب (نارا حامية) أى شديدة الحر كأن غيرها من النيران لاحرارة لها
ولايعينهم عليها ماء بارد بل (تسقى) بدل شربهم الذ المشارب (من عين آنية) أشد حرا
من النار باضعاف ثم من أثر الحرارة يسلط عليهم الجوع بحيث يكون عذابه أشد من عذاب
النار لكن (ليس لهم) بدل المطاعم المسمنة المشبعة (طعام الا من ضريع) اى شبرق
يابس هو سم قاتل يتحاماه الابل فلا لذة فيه ومع ذلك (لايسمن) فيفيد قوة تسهل عليهم
تحمل العذاب (ولايغنى) أى لايفيد شيأ (من) دفع (جوع) وفوائد الطعام هذه
الثلاثة اللذة والاسمان والاغناء من الجوع ولا ينافى هذا قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين

يحيى) المعنى فيه يجمع
(قوله عز وجل يحبرون)
أى يسرون (قوله جل
ذكره يتقدون) يتغامون
(قوله تعالى ينزفون

وقوله تعالى طعاما ذا غصة وقوله ان شجرة الزقوم لاختصاص كل واحد بزمن أوقوم لاشئ من هذه الشدائد لمن تحمل لها شدائد الدنيا اذ (وجوه) تحملت الشدائد فى الدنيا (يومئذ ناعمة) بنعمة العز واللذائذ الحسية (لسعيها) أى اتعامها المتعب فى الدنيا (راضية) لانهم بسببه (فى جنة) تجمع اللذات اتم مما فى الدنيا (عالية) لا يصل اليها أهوال القيامة بل ليس فيها أدنى المؤذيات حتى انه (لا تسمع فيها) كلمة (لاغية) ذات لغو فضلا عن الشتم وهذا فى مقابلة تصليهم النار (فيها) فى مقابلة العين الآنية لهم (عين جارية) ماؤها أبرد واصفى (فيها) فى مقابلة خشوعهم (سرر مرفوعة) طوال قوائمها (و) فى مقابلة أعمالهم الناصبة وما كلهم الخبيثة (أكواب) جمع كوب آنية لاعروة لها ولاخرطوم (موضوعة) فوق سررهم كلما أرادوا طعاما أوماء وجدوه فيها بلا تعب فى طلبهما بالنزول عن سررهم (و) لا يتعبون فيها حال الاتكاء اذ لهم فيها (نمارق) أى وسائد (مصفوفة) ضم بعضها الى بعض صفا (و) لا فى حال الجلوس والرقود اذ لهم فيها (زرابى) وهى البسط العريضة (مبثوثة) أى متفرقة (أ) يشكرون خشوع وجوه وعملها ونصبها وصليها وسقيها من العين الآنية وأكلها الضريع (فلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ذليلة مع عظم جرمها عاملة بلا فائدة لها وتصلى بحر الشمس والعطش وتأكل الشبرق قبل اليبس (و) أيشكرون علوا لجنة فلا ينظرون (الى السماء كيف رفعت و) أيشكرون السرر المرفوعة فلا ينظرون (الى الجبال كيف نصبت و) أيشكرون صف النمارق وبث الزرابى فلا ينظرون (الى الارض كيف سطحت) أى بسطت واذا كانت هذه المذكورات امثلة الامور الاخروية (فذكر) بها لكن (انما أنت مذكر) لا مكره اذ (لست عليهم بمصيطر) أى متسلط (الا) على (من تولى) عن تذكرك (وكفر) بالمذكر به فأنت متسلط عليه فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالشهادة عليه (فيعذبه الله العذاب الاكبر) ويسهل علينا تعذيبه (ان الينا ايابهم ثم) يسهل علينا تكثير العذاب عليهم (ان علينا حسابهم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ويبنزفون) يقال نزف الرجل اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف وأنزف الرجل اذا ذهب شرابه واذا ذهب عقله أيضا وأنشد

(سورة الفجر)

سميت به لانه أدل المذكورات على جمع الناس فى القيامة للجزاء (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى فجر عرفة (الرحمن) بجمع الخلائق فيه يومئذ لاعظم اركان الحج (الرحيم) بجعله دليل جمع القيامة (والفجر) لفجر عرفة جامع الحجاج فيها لاعظم اركان الحج (وليال عشر) من أول ذى الحجة جامعات الخلق بمواضع النسك أخرهن مع تقدم أكثرهن لان فضلهن بتبعية ذلك الفجر ولما توهم من ذلك نقصهن جبره بتنكيرهن للتعظيم (والشفع) ثانى أيام التشريق جامع الناس للرمى بمنى (والوتر) ثالث ايامه الذى لا يخلو عن جمع له وأوله الذى يكثر فيه الجمع (والليل) ليل الرجوع الى مكة (اذا يسر) الناس مجتمعين فى الطريق

لقصد بقية المناسك أو ليل الرجوع الى مزدلفة لاخذ حصى الرمى وجواب القسم محذوف أى ليجمعن الخلائق فى مواطن القيامة للجزاء جمعهم فى هذه المواطن للنسك (هل فى ذلك) زينة يزيلها (قسم لذى حجر) أى عقل بل هو مصدق به بلا قسم لان الجزاء مستحسن عنده بل يكاد يوجبه فان استبعدت مجازاة الجمع الكثير أولى القوة يقال لك (ألم تر) أى ألم تعلم بالتواتر النازل منزلة الابصار (كيف فعل) فى دار الابتلاء مما يدل على فعله يوم الجزاء (ربك) الجامع ربوبيته الكل المقتضية لاقامة العدل والانصاف فيهم (بعاد) عاد (ارم) اسم ابنائهم (ذات العماد) أى الاساطين الكبار الرفيعة (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى فى بلاد الدنيا روى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا الدنيا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فبنى فى بعض صحارى عدن حصنا من ذهب وفضة وبنى فيه الف قصر منهما واساسهما من الجزوع اليمانى واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكتهم وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أى قطعوا صخر الجبال بوادى القرى وبنوا النواويس بعمائة مدينة من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى العسكر الكثير الذين لكل واحد منهم خيمة مضروبة بالاوتاد اهلكهم الله لا طمعا فى ملكهم بل رفعا لطغيانهم لانهم (الذين طغوا) طغيانا منتشرا (فى البلاد فاكثروا فيها الفساد) بافساد عقائد العباد وقتلهم وسبيهم وسلب اموالهم (فصب عليهم) صب المطر الكثير (ربك) الذى هو رب من افسدوا عليهم (سوط عذاب) أى نوعا منه ينزل منزلة السوط من السيف والرمح بالنسبة الى ما أعد لهم فى الآخرة (ان ربك لبالمرصاد) أى لمثل الجالس على رأس الطريق لينظر المارة فيه ممن اعطاه ومنعه يرقبه كيف يمر فيها هل يشكر ويصبر ام يكفر ويجزع فكيف لا يرصد المفسدين ولا يصب عليهم العذاب لكن لا ينظر فى ترصده الا من هو أهله (فاما الانسان اذا ما ابتلاه) بالمال (ربه) الذى بالمرصاد (فاكرمه) بالجاه المكتسب منه (ونعمه) أى اعطاه النعم بسببه (فيقول ربى أكرمن) من غير ابتلاء فيامن مكره ويظن انه لا يفعل به سوى ما يناسب اكرامه الاول (واما اذا ما ابتلاه) بالفقر (فقدر) أى ضيق (عليه رزقه) وان اعطاه قدر حاجته (فيقول ربى اهانن) من غير ابتلاء فييأس منه (كلا) ردع عن اعتقاد الاكرام فى الاعطاء والاهانة فى المنع بل لطلب الشكر وهو صرف النعم الى ما خلقت له واعطاء المال لاكرام الناس واحقهم الايتام وهم لا يفعلونه (بل لا يكرمون اليتيم و) اعطاء المال الزائد لمواساة الضعفاء وهم (لا يحضون على طعام المسكين و) لكن يهينون اليتيم بما هو اهانة عندهم وهى الافقار اذ (يأكلون التراث) اذا كفلوهم (اكلا لما) أى مختلطا بين ما يستحقونه بالكفالة والقدر الزائد عليه (و) أيضا اعطاء المال للتفرغ عن طلب الرزق والاشتغال بالعبادة وهم (يحبون المال حبا جما) أى كثيرا بحيث يمنع عن عبادة الله وعن

لعمرى لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

حقوق الضعفاء (كلا) زجر عن الغفلة عن الحكمة الالهية فى اعطاء المال والجاه فان لم يتذكروا الآن تذكروا يوم القيامة (اذا دكت الارض) أى دقت وكسرت (دكادكا) مرة بعد أخرى بحيث لا يبقى ما عليها من جبل أو بناء فهو من اسباب الخوف الموجب للتذكر (وجاء ربك) أى عرشه (والملك) يقومون بين يديه (صفا صفا) محدقين بالجن والانس وهو أيضا من اسباب الخوف المذكر (وجيء يومئذ) مع هذه الاهوال المخوفة بأعظم مخوف (بجهنم) لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش (يومئذ يتذكر الانسان) ما ذكر وغيره (وأنى له الذكرى) أى من أين له فائدة التذكر سوى التحسر (يقول يا ليتنى قدمت) المال والاعمال الصالحة ذخيرة (لحياتى) الابدية لكن التحسر عذاب أشد من العذاب الجسمانى (فيومئذ لا يعذب عذابه) أى عذاب التحسر (أحد) لا النار ولا الزبانية ولا الحيات ولا العقارب لانه لا نسبة للعذاب الجسمانى الى العقلى (و) العقل وان كان شأنه الالتفات الى امور كثيرة يكون بعضها حجابا عن البعض اذ (لا يوثق وثاقه أحد) فانه يمنعه الالتفات الى ما فرطوا فى جنب الله لكن هذا ان كان ملتفتا الى غير الله غير مطمئن بالله واما المطمئن بالله فلا يلتفت الى لذات الارض ولا الرؤية الملائكة ولا لجهنم بل يقال له (يا أيتها النفس المطمئنة) أى المستقرة عند الله لا تتأتى الى بغيره (ارجعى الى ربك راضية) بتجلى الجمال المشهود لك (مرضية) بما يرى فيك من نور جماله (فادخلى فى عبادى) المقربين فى مقام الرؤية وهو السعادة العقلية (وادخلى جنتى) وهو السعادة الحسية اللهم اجعلنا بمحض كرمك ولطفك منهم وان بعدنا أشد غاية البعد عنهم فانك أكرم الاكرمين وارحم الراحمين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل يكور الليل على النهار) أى يدخل هذا على هذا وأصل التكوير

(سورة البلد)

سميت به لانه ادل على ان الانسان لابد له من تحمل الكبد فى الدنيا والآخرة (بسم الله) المتجلى فى هذا البلد بالجلال من حيث هو محل الكبد وبجماله من حيث هو منشأ الارض التى هى منشأ بدن الانسان (الرحمن) بهداية النجدين (الرحيم) بتوفيق اقتحام العقبة (لا) حاجة الى القسم على خلق الانسان فى كبد فان انكرتم فانى (أقسم بهذا البلد) الذى هو اصل الارض التى هى أصل الانسان مع كونه واديا غير ذى زرع يقصد زائره كبدا هذا فى ذاته (و) من الكبد العارض فيه (أنت حل) أى مستحل القتل والايذاء (بهذا البلد ووالد) هو آدم المخرج من الجنة (وما ولد) فى دار المحنة (لقد خلقنا الانسان) بمقتضى اصله الترابى والمائى (فى كبد) أى فى مشقة تصيب الكبد فلابد ان يرجع اليه فى الدنيا باعمال التكاليف أو فى الآخرة باهمالها (أيحسب) هذا المخلوق فى كبد عند اهماله (ان) أى انه (لن يقدر عليه) أى على مكابدته فى الآخرة (أحد) اعتمادا على عزته المكتسبة من انفاق المال اذ (يقول أهلكت) أى انفقت (مالا لبدا) كثيرا على ان الانفاق انما يفيد العظمة عند الله لو انفق فى سبيله وهذا انما أنفقه رياء وافتخارا وعنادا مع الله وسينكر ذلك عند رجوعه الى الله

(أيحسب أن) أى انه (لم يره أحد) فيم ولم أنفق وكيف يعتقد عدم رؤية من امع خلقنا العينين في الاشياء ليبصروا (ألم نجعل له عينين) ومن خلق في الغير ما يبصر به كيف لا يبصر بنفسه (و) كيف لا يعلم ما في القلب من خلق لاظهار ما فيه للغير (لسانا وشفتين و) كيف يسمع منه ان الانفاق كله في سبيل الله مع انا (هديناه النجدين) أى طريق الخير والشر ولو كان هذا منفقا في سبيل الخير لاحتمل كبد الكنه لم يحتمل (فلا اقتحم) أى فلم يدخل (العقبة) وهي الطريق في الجبل والمراد العالى الشاق وذلك لصعوبة الانفاق فيه بخلاف الانفاق في سبيل الافتخار والرياء (وما أدراك ما العقبة) سؤال تعظيم (فك رقبة) عن رق اوقتل أو حبس (أو اطعام في يوم ذى مسغبة) أى حاجة وأولى المحتاجين الايتام سيما الاقارب وهذا لم يطعم (يتيما ذا مقربة) أى قرابة يكون اطعامه صدقة وصلة رحم (أو) المساكين وهذا لم يطعم (مسكينا ذا متربة) أى لاصقا بالتراب (ثم) اقتحام العقبة انما يفيد من (كان من الذين آمنوا و) هو وان افادهم نجاة وثوابا فلا يفيد عظمة الا ان يكونوا من الذين (تواصوا بالصبر) عن الحرام بعد ان يصبروا عنه في أنفسهم (وتواصوا بالمرحمة) في الحلال على الايتام والمساكين (أولئك أصحاب الميمنة) المعظمين عند الله بالانفاق (والذين كفروا بآياتنا) فانهم وان لم يصرحوا بالكفر بها فكوا الرقاب واطعموا الايتام والمساكين وتواصوا بالصبر والرحمة (هم أصحاب المشأمة) فهم أهل المهانة وتحملهم كبد الدنيا لا يفيدهم في الآخرة بل (عليهم) في الآخرة اشد مما تحملوه (نار مؤصدة) أى مطبقة لا يخرج شئ من حرها ولا يدخل نفس بارد من خارج فيها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الشمس)

سميت به لانه امثال الذات الالهية (بسم الله) المتجلى بكمالاته في الشمس (الرحمن) باشراقه في الآفاق (الرحيم) باشراقه في الروح الانسانى (والشمس) التي هي مثال الذات الالهية (وضحاها) الذى هو مثال اشراق نورها على الكل (والقمر) الذى هو مثال الروح (اذا تلاها) أى تبعها لا القلب المكدر والنفس الامارة (والنهار) الذى هو مثال القلب الصافى (اذا جلاها) أى الشمس تجلية القلب الذات الالهية (والليل) الذى هو مثال الرد الى عالم الشهادة (اذا يغشاها) أى يسترها ستر القلب المتجلى عند الرد لمصالح الخلق ودعوتهم الى الحق (والسماء) التي هي مثال الشريعة العالية (وما بناها) محيطة بعالم العناصر احاطة الشريعة بالاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات (والارض) التي هي مثال العقل من حيث انه مزرعة امور الدين (وما طحاها) أى بسطها بسط العقل لزرع الكل (ونفس) لما لم يكن لها نظير معظم يقسم به اقسم بها (وما سواها) أى سوى مزاجها لتصير قابلة للتعليم (فالهمها فجورها) بتغليب القوة الشهوية والغضبية على النظرية (وتقواها) بتغليب النظرية عليهما (قد أفلح من زكاها) بتعديل القوى فانه يشرق عليها نور العقل والشرع

الالف والجمع ومنه كور العمامة (قوله يوبقهن) أى يهلكهن (قوله عز

والقلب الصافي والروح المنيرة بالتجلي الالهي فيصير اعلى من الملائكة (وقد خاب) أي هلك (من دساها) أي نقصها واخفاها فلم يشرق عليها شيء من ذلك فيصير ازل من الحيوانات العجم لترجيحه القوة الشهوية والغضبية على العقلية ولم يكن ذلك للحيوانات العجم ويخاف من ذلك الافضاء الى التكذيب الموجب للهلاك الكلي كهلاك ثمود فانه (كذبت ثمود بطغواها) التي هي جعل القوة النظرية تابعة للشهوية والغضبية (اذ انبعث) أي قام بنشاط لعقر الناقة على خلاف مقتضى العقل والشرع اتباعا للشهوة في حب انعامهم الهالكة بسببها او للغضب عليها لكونها سبب هلاك انعامهم (اشقاها) الذي هلك بسببه الكل وهو قدار بن سالف (فقال لهم رسول الله) صالح الذي انذاره انذار الله احذروا (ناقة الله) ان تعقروها ترجيحا للشهوية والغضبية على العقل (و) احذروا (سقياها) ان تجعلوها لغيرها ترجيحا لهما على الشرع فغلبت شهويتهم وغضبيتهم (فكذبوه) في انذاره (فعقروها) فوقع المحذور وهو الهلاك الكلي (فدمدم) أي طبق العذاب (عليهم ربهم) الذي رباهم بالشرع والعقل والشهوة والغضب ليستعملوا الاخيرتين تابعتين للاولين (بذنبهم) الذي ابطل حكمة تربيته بهما من جعل الاولين تابعتين للاخيرتين (فسواها) أي الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم لاستوائهم في الرضا بقتلها فالراضي كالفاعل (ولا يخاف عقباها) أي الدمدمة من التحسر على اهلاك من رباهم كما يخافوا عقبى السوء من جعل العقل والشرع تابعين لشهويتهم وغضبيتهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الليل)

سميت به لانه اجل اسباب تشتت الاعمال المقصود من هذه السورة (بسم الله) المتجلي باسمائه المختلفة في العاملين اختلافها في هذه الامور المقسم بها (الرحمن) بجعل هذا الاختلاف سبب اختلاف الجزاء (الرحيم) بالتيسير لليسرى لمن جمع فيه الخيرات (والليل) الذي هو مثال الشر في الاعمال الظاهرة والباطنة (اذا يغشى) أي يستر نور الشمس ستر الشر فيها نور الروح والقلب (والنهار) الذي هو مثال الخير فيها (اذا تجلى) أي ظهر به الشمس مثل ظهور نورهما بالخير (وما خلق الذكر والانثى) وهو مثال اجتماع الخير والشر (ان سعيكم لشتى) أي مفترق الى خير محض وشر محض وخير وشر مختلطين وهذا التفرق يوجب تفرق الطريق الموصل الى الجزاء (فاما من) اجتمع فيه الخيرات الظاهرة والباطنة بان (أعطى) المال وهو عمل الظاهر (واتقى) الربا وهو عمل الباطن (وصدق بالحسنى) أي بالمثوبة الحسنى وهو الاعتقاد الصحيح (فسنيسره لليسرى) أي للطريقة اليسرى في جمع خيرات الدنيا وقربات الآخرة (واما من) اجتمع فيه الشرور الظاهرة والباطنة بان (بخل) فلم يعط (واستغنى) بالمال عن الله فلم يتق (و) لم يعامل معاملة التجار في اخذ الاعلى بالادنى لانه (كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) في جمع شرور الدنيا وأهوال الآخرة اذ الاول احاطت به الانوار والثاني الظلمات (و) الاستغناء بالمال

اغنا

(وجل ينشا في الحلية) أي يربى في الحلي يعني البنات (قوله عز اسمه يستعتبون)

انما يتم لو أغنى عنه فى الشدائد كلها لكن (ما يغنى عنه ماله) فى الشدائد (اذا تردى) أى سقط فى تصرفه تصرفه فى غير مصرفه مما يوجب عتابا او عقابا فلا بد فى الاستغناء به من هداية لا تتم الا بنا (ان علينا للهدى) لمن استهدى منا وتوكل علينا (و) لا يفتقر بالصرف لما هديناه من سبيلنا اذ نعوضه فى الدنيا والآخرة (ان لنا للآخرة والاولى) على ان فائدة المال التلذذ بالشهوات ولا يتم لمن استغنى به عن الله فانه موجب لاشد الالام (فانذرتكم نارا تلظى) أى تتلهب وتتغيظ على المستغنى عن الله لانه يفضى الى تكذيب الله فيما وعد من الثواب والتولى عنه اذا سلب عنه المال الذى هو محبوبه فيخاف عليه من نار (لا يصلاها الا الاشقى) فلا يتوهم فيه بالمال سعادة لانه (الذى كذب وتولى وسيجنبها) أى يبعد عن تلك النار (الاتقى الذى) يتقى محبة المال وان اجتمع عنده لانه (يؤتى ماله يتزكى) أى يطلب عن محبة المال تزكية النفس عن رذائل الافعال التى من جملتها البخل (و) يدل عليه انه لا يعطيه بمكافأة نعمة لانه (ما لاحد عنده من نعمة تجزى) باعطاء المال فهو لا يعطيه (الا ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربه الاعلى) فلذة رؤيته أعلى من جميع اللذات برفع حجاب حب المال (ولسوف يرضى) برؤية وجهه بدلا عن لذات رؤية المال نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا ممن كان يؤذيه لاسلامه فاعتقه ليعتقه الله عن الحجب المانعة من رؤيته * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الضحى)

سميت به لانه دليل عود الوحى مرة بعد أخرى وهو المقصود من السورة (بسم الله) المتجلى باسمائه المختلفة فى الضحى والليل ليدل على اختلاف أوقات الانبياء بالوحى وعدمه (الرحمن) بعدم موادعتهم وقلاهم عند غلبة ظلمة البشرية عليهم (الرحيم) باعادة غلبة نوره الموجبة للوحى عليهم (والضحى) أى وقت ارتفاع الشمس الذى هو مثال اشراق النور الالهى على الروح المحمدى (والليل) الذى هو مثال بشريته (اذا سجى) أى غطى كل شئ بظلامه (ما ودعك) أى ما فارقك مفارقة مودع بطول مدة غيبته (ربك) الذى رباك بتجلية نوره بلا واسطة على روحك بعد مفارقة الضحى للنهار او النور له بعروض الليل يزول عن قريب فيعود النهار أو الضحى (وما قلى) أى وما أبغضك بظهور بشريتك نزلت حين فتر الوحى فقال المشركون ودعه ربه وقلاه (و) ان حصل لظلام البشرية غلبة فى بعض الاوقات فالغلبة لنور الحق فى النهاية من ذلك (للآخرة خير لك من الاولى) اذ لا يكون لبشريتك هنالك غلبة أصلا (و) لغلبة نور الحق عليك هنالك دائما (لسوف يعطيك ربك) مقام الشفاعة التى تفيض منها النور على من آمن بك وأحاطت به ظلمات المعاصى (فترضى) بذهاب ظلمة البشرية عن اتباعك فان شككت فى خيرية انتهائك فانظر فى بداية أمرك (ألم يجدك يتيما) مهانا بمقتضى البشرية (فآوى) أى ضمك اليه لمعزك بعزته بمقتضى اشراق نوره عليك (و) من دلائل غلبة النور الالهى عليك بعد غلبة ظلمة البشرية انه (وجدك ضالا) بغلبة ظلمة البشرية (فهدى) بغلبة

(قوله أى يطالب منهم الغنى) أى يلح عليكم (فيحفكم) أى عز ذكره يقال أحفى بالمسئلة

نوره (و) قد غلب خواص الهيته عليك بعد تغليب خواص البشرية اذ (وجدك عائلا) أى فقيرا والفقر من خواص البشرية (فأغنى) والغنى من خواص الالهية وانما أنعم عليك بهذه الاشياء لتنعم بها على خلقه فيكون دليلا على شفاعتك لهم يوم القيامة (فاما اليتيم) فآوه لانه آواك لتؤوى الضعفاء اليك وأولاهم اليتيم فان لم تؤوه (فلا تقهر وأما السائل) فاغنه لانه أغناك لتغنى عباده وأولاهم السائل فان لم تغنه (فلا تنهر وأما بنعمة ربك) وهى الهداية فانما هداك لتهدى عباده وهو بالتحديث (فحدث) وقدم السائل ههنا لانه أنسب لليتيم والهداية هناك اذ بها معرفة التصرف فى الاموال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الم نشرح)

سميت به لدلالته بطريق التأكيد على منشأ الكمال المحمدى وهو اتساع صدره بانوار التجليات الالهية (بسم الله) المتجلى بانواره فى الصدر المحمدى حتى شرحه (الرحمن) بوضع وزره عنه (الرحيم) برفع ذكره (الم نشرح) أى الم نوسع بانوار التجليات (لك) أى لتكميلك بالعلوم والشرائع (صدرك) وهو وجه القلب يلى النفس وهو أضيق مما يلى الروح فاذا اتسع صار ذلك أوسع (و) من هذا التوسيع (وضعنا) أى أزلنا (عنك وزرك) أى ثقل أداء الرسالة وكان ضيقا لانه (الذى) كان من ثقله عليك (أنقض) أى كسر (ظهرك) وكسر الظهر ضيق على النفس (و) بهذا الشرح والوضع (رفعنا لك ذكرك) بجعله مقرونا بذكرنا فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب وبه تم الوضع لانه حصل بذلك جاه يسهل قبول قوله بعد الصعوبة وانما كان لك الشرح والوضع والرفع لانك ابتليت بعسر أداء الرسالة والسنة الالهية قرنت كل عسر بيسرين (فان مع العسر يسرا ان مع) ذلك (العسر) اذا أعيد معرفة (يسرا) آخر اذا اعيد نكرة وانما ذكر مع ههنا مع تحقق تقدم وتأخر لقرب الزمان واذا كان مع العسر الواحد يسران وقد تيسر عليك أداء الرسالة بيسر الشرح والوضع (فاذا فرغت) من أداء الرسالة (فانصب) أى فاتعب للعبادة فان مع تعبها يسر الثواب والقرب (و) ان عسرت عليك مع ذلك (الى ربك فارغب) فانه يزيل تعبها بالكلية * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة التين)

سميت به لانه أجمع الفوائد جمع بدن الانسان اسرار الاجسام الذى به استحق الروح الجامع للكمالات فاشبه ألفاظ القرآن المتضمنة للاسرار الجامعة (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى بدن الانسان (الرحمن) بجعله فى أحسن تقويم من جمعه أسرار الحق والخلق (الرحيم) باعلاء المؤمنين بعد ذلك اعلاء غير متناه بجعل أجرهم غير ممنون (والتين) الجامع للفوائد طعاما أسرع هضما وأكثر غذاء ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير وينفع

وألحف وألح بمعنى واحد
(قوله عز وجل يدعون)
أى يدفعون (قوله عز وجل

من النقرس ولا يستضربه أحد (والزيتون) الجامع للفوائد فاكهة وادا ما ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع (وطور سينين) الجامع اسرار الوحى الموسوى والطور اسم الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء بمعنى الحسن (وهذا البلد الامين) الجامع أسرار الوحى المحمدى المأمون فيه عن تلبيس الشيطان فالاولان مثالا الاجعية بدن الانسان أسرار الاجسام والاخيران مثالا الاجعية روحه أسرار العالم الاعلى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى جامع المقومات الاشياء روحا وجسما على أحسن الوجوه (ثم رددناه) أى جميع افراده من أعلى المراتب التى كانت له لو غلب عقله على سائر قواه (أسفل سافلين) رتبة أنزل من رتبة البهائم (الا الذين آمنوا) فغلبوا عقولهم على خيالاتهم واوهامهم (وعملوا الصالحات) فغلبوا عقواهم على شهواتهم وغضبهم بجاهدوا بذلك سائر القوى (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع بقطع الجاهدة عند استقامة قواهم فلا يزالون يرتفعون أعلى مما كانوا فى الرتبة العالية فعلم من هذا ان الدين انما هو تغليب العقل على سائر القوى بعد استنارته بنور الشرع فهذه مقدمة قطعية فى تصديق الدين (فما) أى فاى شئ (يكذبك بعد) أى بعد هذه المقدمة (بالدين) فان ادعوا حكما لم يعتد به اذ لم يعتبره الله فى مقابلة العقل المنور بنور الشرع وهو الحاكم المطلق (أليس الله بأحكم الحاكمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة العلق)

سميت به لدلالته على ان الله تعالى أعز الانسان بانزال القرآن عليه كما أعز العلق بانزال الروح الانسانى وصورته عليه (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى كلامه (الرحمن) بخلق الخلق صور أسمائه (الرحيم) بخلق الانسان من علق (اقرأ) كلام ربك لا بنفسك بل (باسم ربك) وهو وان كان قديما يمكن جعله مقروا بتصويره صور الحروف كما انه (الذى خلق) الاشياء صور أسمائه وهو وان كان عزيزا واحدا فلا يبعد أن يظهره فى محل الذلة مع الكثرة كما انه (خلق الانسان) عزيزا متكثرا بالاعضاء (من علق) دام مهين متحد لا اختلاف فيه (اقرأ و) لا تستبعد أن يوجد فيك ما يناسب صفته فانه لا يبعد من كرمه اذ (ربك الاكرم الذى علم) خلقه من علمه (بالقلم) الاعلى الذى هو العقل الاول بأنه له اشراق يفيض العلم كالشمس تفيض نورا تظهر به الاشياء ولا يختص ذلك بالسماويات بل (علم الانسان ما لم يعلم) وتعليم القرآن من جنس تعليم العلم فلا يبعد من كرمه تعليمه ولو قيل لو كان أكرم لم يترك أحدا فقيرا يقال (كلا) زجر عن اعتقاد كون الفقر عن عدم أكرميته بل من كراهة طغيان الانسان (ان الانسان ليطغى) على الله وعلى خلقه من اجل (أن رآه استغنى) وان لم يكن له عن الله غنى بحال بل (ان الى ربك الرجعى) فى جميع احواله فانه انما ينتفع بالغنى عن قوة الاكل والمضغ والهضم والتغذية والامساك والدفع على ان الطاغى يرجع اليه فى الآخرة فيسأله عن طغيانه وينتصف منه فان انكروا كون الغنى سبب الطغيان يقال (أرأيت) أى اخبرنى هل يكون طاغيا

يصرون على الحنث) أى يقيمون على الاثم والحنث الشرك والحنث الكبير

الغنى (الذى ينهى) وهو أبو جهل (عبدا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) مع ان العبد حقه أن يعبد ربه بقلبه ولسانه وجوارحه والصلاة جامعة وحق الله أن يكون معبودا فهو طاغ على العبد بل على الله (أرأيت) هل يكون طاغيا الذى ينهى عبدا عما هو فيه من الهدى والامر بالتقوى (ان كان على الهدى او أمر بالتقوى أرأيت) هل يكون طاغيا على الله (ان كذب) من صدقه الله تعالى بالمعجزات (وتولى) عن التفكر فيه هل هو هدى أم لا (ألم يعلم) هذا الطاغى على الله وعلى عباده بهذه الوجوه (بأن الله يرى) وهو قادر على جزائه حكيم (كلا) زجر له عن طغيانه (لئن لم ينته) بهذا الزجر (لنسفعا) لنجذبن قابضين (بالناصية ناصية) استحقته من اتصافها بوصف (كاذبة) من سريان ظلمة كذب صاحبها او بوصف (خاطئة) بسائر أنواع الخطايا من سريان خطايا صاحبها اليها فاذا جذبناه بها (فليدع ناديه) أى اهل مجلسه ليخلصوه لكنه لا يمكنهم فانا (سندع) الملائكة (الزبانية) الذين يزبنون أى يدفعون الناس بشدة الى النار (كلا) زجر لهم عن موافقته فان لم ينزجروا (لا تطعه) فيما نهاك عنه من الصلاة والهدى والامر بالتقوى (واسجد) رغما لانف كارهه فانه أكرم ما فى الصلاة الى هذا الطاغى السجود (واقترب) الى الله تعالى بالسجود وبالصلاة وباداء الرسالة وبعدم اطاعته فانك كلما ازددت منه قربا ازداد لك حفظا ولاعدائك قهرا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله من الذنوب أيضا (قوله عز وجل يظاهرون من نسائهم) اى يحرمونهن

(سورة القدر)

سميت به لانه يظهر فى ليلتها قدر كل شئ فاشبه القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القرآن (الرحمن) بانزاله (الرحيم) بتخصيص انزاله بليلة القدر (انا أنزلناه) أى القرآن من غيب اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وحط درجته بالانزال مجبور بنسبته الى نور العظمة مرتين وبكونه (فى ليلة القدر) أى ليلة يظهر فيها مقدار كل شئ فى ذاته ووقته وخص الليلة لانها أشبه بعالم الغيب (وما أدراك) مع جلالة قدر علمك (ما ليلة القدر) والذى يمكن اظهاره من عظمته انه (ليلة القدر خير من ألف شهر) تشتمل على أيام وليال تتضمن تجليات غيبية وشهودية وتخصيص هذا العدد للاشعار بالانتهاء الى عدد لا رسم لما فوقه على الخصوص والاكثر انها فى رمضان وفى العشر الاخير منه سيما الاوتار ارجى ومن عظمتها أنه (تنزل الملائكة) النفوس السماوية الى ملائكة الارض (والروح) العقل على أرباب المكاشفات (فيها باذن ربهم) فى تكميل من دونهم ليكون لهم رتبة التكميل بعد رتبة الكمال (من كل أمر) مما يجرى على أهل الارض ويكاشف به أرباب المكاشفة ورعاية هذا الكلام الى ان مع كل آية ملكا وروحا وليس هذا النزول لتهر بنى آدم لانه (سلام هى) لا ينزل فيها آفة من أولها (حتى مطلع الفجر) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البينة)

سميت

سميت بها الدلالتها على ان نبينا صلى الله عليه وسلم بينة فى ذاته على نبوته بحيث لا يحتاج الى دليل آخر عليها وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نبيه حتى جعله بينة (الرحمن) بجعله يتلو صحفا مطهرة (الرحيم) بتضمين صحفه كتبا قيمة (لم يكن الذين كفروا) بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (والمشركين منفكين) فى زمن من الازمنة الماضية عن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اما أهل الكتاب فلرؤيتهم نعته فى كتبهم واما المشركون فلسماعهم عن سلفهم عن ابراهيم (حتى تأتيهم البينة) أى الحجة الواضحة على نبوته فحين شاهدوا البينة ما آمنوا بخبره بل كفروا به وليست هذه البينة خارجة عنه بل ذاته حجة على انه (رسول من الله) لاستجماعه شرائط الرسالة من الانتهاء فى الكمالات الانسية اقصى الغايات من جملتها انه مع كونه اميا (يتلو صحفا) هى السور المتعددة من القرآن المستقلة بالاعجاز لذلك كانت (مطهرة) عن ان تظهر على يدى كاذب كيف مع انه (فيها كتب قيمة) أى فيها معانى كتب مستقيمة عند أهل الملل (و) لا يبعد مثل ذلك من أهل الكتاب فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما فعلوه فى حق عيسى عليه السلام فانه (ما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فى حق عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءتهم البينة) المعجزة القاهرة دالة على نبوته (و) لم يعارضها نسخه بعض الاحكام لانهم (ما أمروا) فيما نسخ بشئ (الا) أن يقوموا به (ليعبدوا الله) به فيصلوا اليه لكونهم فيه (مخلصين له الدين) ولا يحجبهم عنه لكونهم (حنفاء) مائلين عما سواه اليه كيف (و) لم يقع فيه اختلاف فى الاعتقادات ولا فى أصول العبادات لانهم ما أمروا الا أن (يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة) وان اختلف الكيفيات (و) لكن لا تبطل بها الاستقامة بل (ذلك دين) الطائفة (القيمة) أى المستقيمة بل لا استقامة لمن أنكر النسخ لانه كفر (ان الذين كفروا من أهل الكتاب) بالنسخ (والمشركين) باصل النبوة يتشاركون فى حكم الآخرة فى انهم (فى نار جهنم خالدين فيها) ولا عبرة بايمان أهل الكتاب بكتابهم هنالك اذ (أولئك) بانكار النسخ او النبوة (هم شر البرية) لانكارهم حكمة الله فى النسخ و بعثة الرسل فهم مرجحون لاهويتهم على حكمة الله فهم شر من البهائم (ان الذين آمنوا) بالمنسوخ والناسخ (وعملوا الصالحات) التى تصلح فى كل زمان المنسوخ فى زمنه والناسخ فى زمنه (أولئك هم خير البرية) لانهم المطلعون على حكمة الله فى كل عصر المراعون لها المرجحون لها على اهويتهم فيترجحون بذلك على من ليس فيهم ما يضاد العقل وهم الملائكة (جزاؤهم عند ربهم) الذى رباهم بالاطلاع على حكمته ورعايتها (جنات عدن) لاقامتهم على أمر الحق وحكمته (تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف من الاستطلاع على أنواع حكمته ولعدم انتهاء أنهار الحكمة لا ينتهى جزاؤهم فيكونون (خالدين فيها ابدا) وكيف لا يكون لهم ذلك مع انهم (رضى الله عنهم) باتمام حكمته فى كل وقت (و) يدل عليه انهم (رضوا عنه) وانما دل رضاهم عنه على رضاه عنهم لان (ذلك) الرضا انما يحصل (لمن خشى ربه) ان يخل بشئ من حكمته فيترك لرعايتها الذاته فاذا اتمت حكمته فذلك دليل حصول رضاه عز وجل

تحريم ظهور الامهات
وروى أن هذا نزل فى رجل
ظاهر فذكر الله قصته

اللهم اجعلنا منهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الزلزلة)

سميت بها لدلالتها على عظم ما تجلى للارض من نور الحق المزلزل لها يوم القيامة (بسم الله) المتجلي بكمالاته للارض حتى تزلزلت (الرحمن) بتنقيل اعمال بني آدم عليها حتى أخرجت (الرحيم) بما أوحى اليها من الاخبار باسباب تلك الاعمال (اذا زلزلت الارض) أي حركت تحريكا شديدا عن اشراق نور الله عليها مع ريح النفخة الثانية ومع غضب الله على أهل المعصية (زلزالها) الممكن لها (واخرجت الارض) أي اظهرت عن اشراق ذلك النور عليها مع رؤية غضب الله على أهل المعصية (اثقالها) أي مقادير اعمال بني آدم عليها كانه ثقل عليها خيرها لكونه لله وشرها لكونه معصيته (وقال الانسان مالها) حصل عليها اثقل ما عمل فيها من غير ان تكون

ثم تبيع هذا كل ما كان من الام محرما على الابن أن يراه كالبطن والفخذين

مكافئة بها (يومئذ) مع تلك الزلزلة لها (تحدث اخبارها) التي فيها تلك الاعمال واسبابها لتكون شاهدة على مقادير اثقالها ولا احتمال للكذب في تلك الاخبار لان ذلك التحديث منها (بان ربك أوحى) أمرا (لها) بتلك الاخبار ولا يقتصر على ايصال تلك الاخبار والاعمال الى بني آدم في مقام الحشر بل (يومئذ يصدر الناس) أي يخرجون عن قبورهم الى اماكن تلك الاعمال (اشتاتا) أي متفرقين لتفرق تلك الاماكن (ليروا اعمالهم) في تلك الاماكن ويسمعوا اخبارها قبل أن يروها في الصحف والموازين لئلا ينكروها فيخرجوا الى الصحف والموازين (فمن يعمل مثقال ذرة) أي نملة صغيرة أو هباءة وان توهم ان مثقالها لا يثقل على الارض أصلا (خيرا يره) وان كان محبطا (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان كان معفوا عنه اذ لا يخلوا عن أثر في التخفيف او نقص الدرجة أو رفعها بالندم عليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة العاديات)

سميت بها لدلالتها على سرعة غضب الله على الانسان الكنود وهو من اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلي بجماله في العاديات حتى أقسم بها وبجلاله حتى جعلها قهر اعدائه (الرحمن) بجعلها مثال سرعة غضبه ليحترز عنه (الرحيم) بجعلها مقسما بها مبالغة في التخويف ليرحم الخائف بالرحمة الخاصة (والعاديات) أي الخيول التي تسرع السير الى الاعداء ضابحة أي مصوتة بصوت أنفاسها واجوافها (ضبحا) يشبه الغاضب اذ يخرج صوت نفسه أو جوفه (فالموريات قدحا) أي التي تخرج النار صكا بحوافرها الحجارة ايراء الغاضب النار من ضربه (فالمغيرات صبحا) أي التي قارب أصحابها ان يغيروا العدو وقت الغفلة والفرح لابداله ترحا كان الغاضب يغير راحة المغضوب عليه حال غفلته (فاثرن به) أي هيجن بذلك الوقت (نقعا) أي غبارا كما يثير الغاضب الغبار على عيني المغضوب عليه (فوسطن به) أي في ذلك الوقت (جمعا) من الاعداء كما ان الغاضب ينزل الآفة بجوف المغضوب عليه (ان الانسان لربه)

أى انعم ربه (لكنود) أى كفور فيوجب قتاله بهذه الخيول وقهره بهذا الغضب مع صوت نفس او جوف من جهنم والزبانية ونار من جهنم ومن ضرب الزبانية ولسع الحيات والعقارب واغارة ما يشتهيه واثارة غبار الحجاب على عينيه واطلاع نار الله على الافئدة وكيف لا يوجب كنوديته ماذكر (وانه على ذلك لشهيد) فهو متعمد فى عداوة ربه وكيف لا (وانه لحب الخير) أى المال (لشديد) أى لقوى وهو دليل استغنائه به عن الله وأى عداوة اتم منه (أ) يزعم أن الكنودية والشهودية وشدة الحب امور خفية يمكن انكارها عند الله (فلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) فقد أخرج ما فى الباطن الى الظاهر سيما (و) قد (حصل ما فى الصدور) بتصويره بصور الظاهرة بحيث يعلم به الخلائق (ان ربهم) الذى رباهم ببواطنهم وظواهرهم (بهم) أى ببواطنهم سيما (يومئذ) أى يوم اذ تظهر السرائر (لخبير) فلا مانع فى حقه من الغضب المنتج لما ذكر نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة القارعة)

سميت بها لدلالتها على اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القارعة بجلاله فى قهر الاجسام الثقيلة والصلبة وجماله فى الاعمال الصالحة (الرحمن) بتثقيل موازين المؤمنين (الرحيم) بجعلهم فى عيشة راضية (القارعة) أى الداهية التى تضرب بشدائدها الاجسام الثقيلة فتخففها والصلبة فتفرقها (ما القارعة) فى عظمة تأثيرها (وما أدراك) وان بلغ علمك ما بلغ (ما القارعة) فى عظمتها وغاية ما يمكن فى بيان عظمتها انها تكون (يوم يكون الناس) من تأثيرها فى الاجسام الثقيلة بالتخفيف (كالفراش) الطير الرقيق المتهافت فى النار (المبثوث) المتفرق فى طيرانه الى جهات شتى على غير نظام أى مثله فى الذلة والضعف والتطاير الى كل جهة (وتكون الجبال) من تأثيرها فى الاجسام الصلبة بالتفريق (كالعهن) أى الصوف المتلون بالالوان المختلفة (المنفوش) أى المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فلا يبقى لها ثقل يحفظها فى اماكنها ولا صلابة تحفظ اجتماع اجزائها ثم يظهر فيه ثقل الاعمال وخفتها الخفية ويكون أثرهما فى حفظ أربابها او عدمه مع ان أمر الثقل والخفة عليهم بالعكس (فامامن ثقلت موازينه) أى اعماله الموزونة لرجحانها عند الله (فهو) لحفظ عمله اياه وعدم ثقله عليه لاحتماله ثقله فى الدنيا (فى عيشة راضية) ذات رضا (واما من خفت موازينه) لانه لا مقدار لها عند الله فلا يحفظ عمله ويصير ثقلا عليه (فامه) أى مرجعه رجوع الصبى الى امه (هاوية) اسم الدرك الاسفل من النار (وما أدراك ماهيه) فى ثقلها عليهم وغاية ما يمكن فى بيانها انها (نار حامية) أى حارة فى الغاية بحيث لا عبرة بحرارة نار أخرى اليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة التكاثر)

سميت به لكونه مما ينذر عنه كالقارعة لانه حجاب يعقبه عذاب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى

وأشباه ذلك (قوله يعادون الله) أى يحاربون الله ويعادونه ويخالفونه

علم اليقين وعينه (الرحمن) بافاضة علم اليقين وفوائده (الرحيم) بافاضة عين اليقين وفوائده (ألهاكم) أى شغلكم عن الله وطاعته والنظر فى أسمائه وصفاته وأفعاله وما يجب عليكم فى حقه وما يجب لانفسكم فى الآخرة وما يجب فى الاموال وسائر النعم من صرفها الى ما خلقت لاجله (التكاثر) بالاموال والاولاد والتفاخر بهما وبالآباء والاقارب (حتى زرتم المقابر) أى متم على ذلك الشغل (كلا) أى انزجروا عن الاشتغال بذلك لانكم (سوف تعلمون) فى البرزخ ما فوتم به من النعيم الابدى والقرب من الجناب الصمدى (ثم كلا) أى انزجروا مرة بعد أخرى لانكم (سوف تعلمون) فى القيامة ما هو أجل من ذلك (كلا) أى انزجروا عن اعتقاد أنه انما يعلم فى البرزخ والقيامة بل (لو تعلمون) الآن ما أنتم عليه (علم اليقين) الكاشف لبعض الحجب الظلمانية (لترون الجحيم) ما أنتم فيه قبل البرزخ والقيامة (ثم) ان زدتم تصفية وانكشف عنكم الحجب (لترونها) أى الجحيم ما أنتم فيه (عين اليقين) أى كرؤية البصر (ثم) أى بعد رؤية الجحيم فى هذه المقامات (لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى عن جميع ما انعم به عليكم مما شغلكم من الصحة والفراغ والشباب والاموال والاطعمة والاشربة من انعم بها ولم انعم بها واين صرفتم ضما للعذاب العقلى الى الحسى نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل يوم يكشف عن ساق) اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر

(سورة العصر)

سميت به لدخول عمر العبد الذى هو رأس ماله فيه فاشبه القرآن الذى هو رأس مال أهل العلم (بسم الله) المتجلى بجلاله فى الانسان أهل الخسر وجماله فى أهل الايمان والاعمال الصالحة (الرحمن) بجعلهما أهل الربح (الرحيم) بزيادة ربح المتواصين بالحق والصبر (والعصر) أى الزمن الذى فيه عمر الانسان الذى هو رأس ماله فى تحصيل الاعتقادات والاخلاق والاعمال والاحوال (ان الانسان) جميع افراده (لفى خسر) أى نوع من نقص رأس المال كلى أو جزئى وهو تضييعه العمر الذى يمكنه فيه تحصيل القرب من الله ورضوانه وثوابه الابدى بالمعاصى أو الشهوات الفانية المستعقبة للبعد من الله وغضبه وعقابه (الا الذين آمنوا) فانهم يربحون المعارف المفيدة للسعادة الابدية والقرب من الله ومخالطة ملائكته (وعملوا الصالحات) فانهم يربحون الاخلاق والاحوال فى الدنيا والفوز بالدرجات والنجاة من الدركات فى الآخرة (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم البعض بالاعتقادات الصائبة والاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة (وتواصوا بالصبر) على الخيرات وعن الشرور فانه ربح بثواب الارشاد والتعليم وثواب من عمل بوصيتهم ولا ينقطع ما دامت سلسلته باقية الى الابد * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الهمزة)

سميت بها لدلالتها على ان من كسر اعراض آحاد الخلق استحق الويل فكيف من هتك حرمة الله ورسوله بالتكذيب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الانسان حتى استحق الويل من رأى النقص

فيه (الرحمن) بحفظ الاعراض بايعاد الويل على هاتكها (الرحيم) بمنع مباديه من التكبر على خلق الله بايعاد الحطمة عليه (ويل) أى قبح عظيم وبلاء شديد لازم (لكل) فرد من أفراد (همزة) يعتاد الهمز كسر اعراض الناس (لمزة) يعتاد اللمز الطعن فى الانساب والاشكال والافعال فكما بالغ فى تقبيح الناس وايذائهم يجازيه الله على سبيل اللزوم لانه حق الخلق وأصله طلب الافتخار عليهم ومنشؤه فى الغالب المال فانه (الذى جمع مالا وعدده) أى جعله معدا لدفع النوائب ولا يرى فى ذاته نقصا ولا فى محاسنه اذ (يحسب أن ماله اخلده) لانه بجمعه لا يموت جوعا ولاعداده للنوائب لا تصيبه النوائب فهو يرى ذاته ومحاسنه محاطة بالكمالات ويرى النقص فى الغير فيطعن ويلمز (كلا) زجر له عن اعتقاد كونه مبقيا لذاته ومحاسنه بل هو سبب لهتكهما بالكلية فانه (لينبذن) أى ليطرحن (فى الحطمة) أى النار التى تكسر العظام وتفرق اللحم والدم وتشوه الصورة فلا يبقى له ذاته بحالها ولا شئ من محاسنه بل يصير اقبح مما يطعن به (وما أدراك) وان بلغت من كمال العلم ما بلغت (ما الحطمة) فى اهلاك من طرح فيها او تقبيحه وغاية ما يمكن من بيانها أنها (نار الله) أى نار قهره (الموقدة) بوقود هو عظم من طرح فيها ولحمه ودمه ولها قهر أشد من ذلك اذ هى (التى تطلع على الافئدة) المتألمة بادنى مؤلم يجازى بذلك على ايلامه افئدة المطعونين ومع ذلك يبالغ فى ايلام ظاهرهم أيضا (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة لا يخرج منها نفس حارعنهم ولا يصل اليهم نفس بارد من خارج ومع ذلك يكونون موثقين (فى عمد) أى خشب مثقوبة فيها ارجلهم (ممددة) أى مطولة لتضييقهم على الناس فى تقبيحهم وتطويلهم عليهم فيه وكانه المراد بالويل * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الفيل)

سميت به لدلالته على ان ادنى اسباب القهر من الله لا يقاومه اعظم الامور فكيف يقاوم ادناها اعلى اسباب القهر وانه لما قهر لهتك حرمة بيته هذا القهر العظيم فكيف لا يقهر لهتك حرمته وحرمة رسله (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى البيت حتى جعله قهرا للاعداء وامنا للاولياء (الرحمن) بجعل هذا القهر دليلا لقهر اعدائه ليحترزوا عن عداوته (الرحيم) بجعل امنه دليلا على أمن المتوجه اليه فى سبيل الله من الحجاب عنه (ألم تر) أى ألم تعلم بالتواتر النازل منزلة البصر (كيف فعل) مما يحير العقول (ربك) الذى رباك ومن تبعك باسرار بيته (باصحاب الفيل) أى بالعسكر الذى لا يمكن قتاله وذلك ان ابرهة بن الصباح الاشرم بنى بصنعاء كنيسة سماها القليس واراد صرف وجوه الحجاج اليها فتغوط فيها بالليل رجل من كنانة فسمع ابرهة فحلف ليهدمن الكعبة وقيل أجج رفقة من العرب نارا حملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه الى جهة اخرى هرول وكان هذا فيلا اعظما قويا وكان معه اثنا عشر او ثمانية أخرى (ألم يجعل كيدهم) وهو بناء القليس وصرف وجوه الحجاج وحزبهم لهدم الكعبة

(قوله تعالى
عن ساقه
ليزلقونك) أى يزلونك
ويقال يغتالونك أى

(فى تضليل) أى تضييع وكفى به دفعا (و) لكن لم يقتصر عليه بل نكلهم تنكيلا اذ (أرسل
عليهم) وهم يحاربون باقوى الحيوانات اضعفها (طيرا) خرجت من شاطئ البحر كاليعاسيب
سوداء أو خضراء او صفراء فى منقار كل طير حجر وفى رجليه حجران (ابابيل) أى جماعات متفرقة
فى الطرق اذهربوا متفرقين فجعل لهم اضعف الاسلحة (ترميهم بحجارة) أكبر من العدسة
وأصغر من الحمصة (من سجيل) أى طين متحجر معرب سنك كل وجعل اثرها اعظم من اثر اسلحة
الحديد تقع على الرؤس وتخرج من الادبار (فجعلهم كعصف مأكول) أى كزرع وتين أكلته
الدواب فراثت ويبس فتفرق اجزاؤه شبه بذلك اقطع أوصالهم وتفرق اجزائهم *تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة قريش)

سميت بها الاختصاصها بذكر المنة عليهم وطلب العبادة منهم لان الناس لهم تبع فالمنة عليهم
منة على الكل وطلب العبادة منهم طلب من الكل وهم فى المتبوعية كالقرآن للكتب
(بسم الله) المتجلى بكمالاته فى بيته (الرحمن) بايلاف اهله (الرحيم) بطلب العبادة منهم ليشكروه
فيزيدهم (لايلاف قريش) أى لتأليف قلوب اولاد بنى النضر بن كنانة مع قلوب أهل الدنيا
لينتظم لهم أمر الدارين على أكمل ماينبغى سيما الاجل (ايلافهم) مع اهل اليمن والشام
(رحلة الشتاء والصيف) من قريش اليهما ومنهما الى قريش بكل مايحصل فى بلادهم من غير
انقطاع وانتظار مدة طويلة (فليعبدوا) شكرا لهذه النعمة التى فى غاية الظهور والعظمة
وان لم يعبدوه لنعمة أخرى مما لايحصى فان لم يعبدوه لربوبيته لهم فليعبدوه لكونه (رب هذا
البيت) المتفقين على تعظيمه فربه اولى بالتعظيم الذى غايته العبادة له سيما اذا انعم عليهم سيما
بواسطة بيتهم المعظم فهو الذى عظم أهله فى قلوب أهل الدنيا حتى (اطعمهم) بايلافهم
(من جوع) لزمهم من سكونهم بواد غير ذى زرع (وآمنهم من خوف) فى بلادهم وطريقهم
ومايحملون اليه من البلاد مع عموم الخوف سائر البلاد والطرق فان لم يعبدوه فلا يبعد منه
ان يميتهم بجوع ويهلكهم بخوف ويجعل لهم الى جهنم رحلتين رحلة فى الزمهرير واخرى
فى الحر *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله أجمعين

(سورة الماعون)

سميت به لان منعه يوجب حجابا يستعقب عذابا فهو مما ينذر عنه انذارا وهو من أعظم مقاصد
القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الدين (الرحمن) بتعظيم حق اليتيم والمسكين (الرحيم)
بتعظيم حق الصلاة والزكاة (أرأيت) أى أخبرنى هل عرفت (الذى) يفعل فعل من (يكذب
بالدين) أى الجزاء بحيث يوجب ظن التكذيب الحقيقى ان لم تعرفه (فذلك الذى يدع) أى يدفع
(اليتيم) الذى هو اضعف الضعفاء عن حقه فان المؤمن بالجزاء يحسن بخاصة ماله الى الناس
سيما الضعفاء سيما الايتام فان لم يفعل فلا يدفع احدا عن حقه فان دفع فانما يدفع من يعانده

يصيبونك بعيونهم وقرئت
ليزلقونك أى ليستأصلونك
من قولهم زلق رأسه

ولا يتصور من الضعفاء سيما الايتام كيف (و) منشؤه ايثار المال بحيث ينتهي في البخل الى حيث (لايحض) أي لايحث أحدا (على طعام المسكين) وان كان دفعا للفرض الكفاية عنه بفعل الغير لعدم اكترائه بالفروض فهو فعل المكذب واذا كان من يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين في حكم المكذب مع انهما ليسا من الطبقة العليا في الدين فكيف من يخل باعلى طبقاته كالصلاة والزكاة (فويل للمصلين) أي المكلفين بالصلاة التي هي الفارق بين الاسلام والكفر (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون لايصلونها بغيبة الناس وانما يصلونها بحضورهم لانهم (الذين يراؤن) والرياء شعبة من الكفر على انهم ان راؤا الناس كانهم يعبدون الله المنفرد بالعظمة والعبادة لاجل رؤية الناس فهو من أشد أنواع الكفر (و) لو صلوا الصلاة فهم (يمنعون الماعون) أي الزكاة التي هي قرينة الصلاة فلا يفعلونهما لله ولا رياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وأزاله اذا احاطه (قوله عزوجل يخسرون) أي ينقصون (قوله عزوعلا

(سورة الكوثر)

سميت به لدلالته على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل عليهم السلام بما يؤتى يوم القيامة من الكوثر وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) باعطائه الكوثر (الرحيم) بامره بالصلاة والنحر (انا) قدم المعطي ليكون النظر اليه اسبق وذكره في (اعطيناك) لئلا يقف نظره على العطاء ونسب العطاء الى مقام العظمة ثم عظمه بخطاب المعطى له اكمل العباد وجعل المعطى به (الكوثر) واصله المبالغة في الكثرة والمراد الحوض روى عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وأبرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه (فصل) شكرا عليه فعبادة مناجاة الرب فيها أحلى من العسل ونور التذلل فيها أبيض من اللبن واليقين الفائض فيها ابرد من الثلج واللطف النازل على صاحبها الين من الزبد والفرائض والسنن المحيط بها تفيد خضرة العيش كالزبرجد والمندوبات والاذكار كاواني الفضة تسقيه مياه المحبة الالهية التي من شربها لايظمأ الى شرب غيرها (لربك) الذي رباك بهذه النعم في الصلاة ليربيك بنعمة الحوض ولم يقل لنا اشارة الى انه لايمكن لبشر ان يأتي بشكر يناسب مقام عظمته عزوجل ثم قال (وانحر) أي اذبح الاضحية التي هي مطية الصراط للوصول اليه على انها تشبه الزكاة التي هي قرينة الصلاة وكفى بهذا الحوض عاقبة حميدة لاينقطع خيراتها عنك ولاعن اتباعك وانما تنقطع عن اعدائك (ان شانئك) أي مبغضك الذي يمنع الشرب من هذا الحوض (هو الابتر) المنقطع عن الله وعن السعادة الابدية وعن خيرات الدارين لايذكر حيث ذكر الامقرونا باللعنة ولاتذكر حيث تذكر الامقرونا بذكر الله تعالى والصلاة في المحافل والخطب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكافرون)

سميت بهم لانها لكمال التفرقة بينهم وبين المؤمنين فى العبادة التى خلقوا لاجلها (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى عابديه (الرحمن) بتوفيقهم للعبادة ليعمر بهم الدارين العابدين بالذات وغيرهم بتبعيتهم ليتم بذلك امرهم (الرحيم) بتخصيصهم بكمال فائدتها فى الآخرة (قل) بامرنا هذا الخطاب الشنيع وان كان على خلاف مقتضى اخلاقك تغليظا عليهم (يا أيها الكافرون) ناداهم طلبا لاقبالهم حال ادبارهم بالكفر وأتى بأى للاشارة الى ما أبهم عليهم من أمر الكفر واتى بها التنبيه لينبه على انه يعرف بادنى منبه والمراد المستمرون على الكفر من اول الولادة الى الموت والا فالمؤمن فى وقت من الاوقات يعبد الله فيه وأشار الى أن كفرهم بعبادة من لا يستحقها اذ قال (لا أعبد ما تعبدون) من حجر او شجر او ماء أو نار او كوكب أو شيطان أو ملك أو صالح وغلب غير العقلاء ليشير الى ان عبادة غير الله خارجة عن قضية العقل سيما عبادة غير العاقل على ان من عبد الله باعتقاد التشبيه او بالحلول والاتحاد بالغير فقد عبد من ليس بإله (ولا أنتم عابدون) بعبادة المظاهر (ما أعبد) لانكم تعتقدون فيها كمال ظهوره وهو اعتقاد نقص فيه ولا اعبد الاله الناقص (ولا أنا عابد) لو عبدت الاسماء الالهية (ما عبدتم) من صورها اذ عبادة الاعلى لا تستلزم عبادة الادنى (ولا أنتم عابدون) بعبادة صور الاسماء الالهية (ما أعبد) من الاسماء على التقدير المذكور ولا من الذات لان الصور قاصرة على انها لو كانت كاملة لم تنزل منزلة اصولها (لكم دينكم ولى دين) لا يتشاركان فى الاصول والفروع بل يختلفان بوجه من الوجوه والدين الاول على سبيل المجاز والمشاكلة والثانى على سبيل الحقيقة ان الدين عند الله الاسلام واضافة الاول لتحقير المضاف والثانى لتعظيمه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يوعون) يجمعون فى صدورهم من التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم

(سورة النصر)

سميت به لانه ظهر به دين الاسلام على سائر الاديان وهو من اعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة التوديع لان الامر بالاستغفار يشعر بدنو الاجل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نصره حتى جعله سبب ظهور دينه (الرحمن) بفتحه بلاد الاسلام وعلومه (الرحيم) بادخال الناس فيه افواجا (اذا جاء نصر الله) أورد الماضى دلالة على التحقق وقد تحقق فهو من اعلام النبوة واذا للشرط المحقق فيه ففيه ايهام الجمع بين المتنافيين واستعار المجىء تخييلا بعد ما استعار النصر للملك كناية فكانه الملك الواصل من الله الى رسوله والاضافة للدلالة على اختصاصه بالله لا يتصور من غيره ولا يعقبه هزيمة وانه مما ظهر به دينه على الدين كله ويدخل فيه النصر الظاهر على الكفار بالسيف والحجج ورفع الشبه والباطن على الشيطان والنفس (والفتح) فتح البلاد كمكة وسائر اماكن الكفر وفتح العلوم ولكونه فرع النصر لم يصرح بنسبته الى الله (ورأيت) مالم تره مدة طويلة ظهرت فيها معجزات كثيرة (الناس يدخلون فى دين الله) الذى ليس فيه شائبة شرك وغيره وان خلا فى الاصل فلا يخلو الآن لان انكار هذا الدين الثابت بالمعجزات يستلزم نسبتها الى غير الله وهو شرك وهو فرع الفتح اذ علموا بذلك انه يتيسر للمسلمين مالم يتيسر لاصحاب

القبيل فلا يدلاحد بقتالهم (افواجا) بعدما كانوا يدخلون افرادا على فترة (فسبح) أى فنزه ربك من ان تشاركه فى كماله تنزيها مقرونا (بحمد ربك) على ما اعطاك من الكمال مما يتوهم المشاركة معه (واستغفره) من توهم المشاركة لئلا يسلبك ما اعطاكه فاذا استغفرته رجع عليك بالفيض (انه كان توابا) أى رجاعا بالفيض لمن استغفره * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة تبت)

سميت بها لدلالتها على تحقق الخسران الكلى المفضى الى الهلاك لاعظم الشرفاء بانكاره هذا الدين وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى هذا الدين بجماله فى أهله وجلاله فى مخالفيه (الرحمن) بمن نجاه به عن التباب (الرحيم) به باهلاك اعدائه عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا انعم ما جربنا عليك الاصدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت (تبت) أى خسرت خسرانا يؤدى الى الهلاك (يدا أبى لهب) أى أعماله الخير والشر أو الظاهرة والباطنة او جانباه القوى والضعيف وأبو لهب كنية عبد العزى بن عبد المطلب لاشراق وجهه والمعتاد فيها قصد التعظيم وقد جعلت ههنا كناية عن جهنمى (وتب) من سريان تباب الافعال اليه بالذات بحيث لا يصلحه شئ لذلك لم يدفع تبابه شئ من الاسباب فانه (ما أغنى) أى ما نفع بالمنع (عنه ماله وما كسب) من الجاه والاتباع والاولاد فلو اغنى عنه شئ منهما فى الدنيا لم يغن فى الآخرة بل (سيصلى نارا) تزيد على سائر النيران بكونها (ذات لهب) أى اشتعال عظيم لزيادة كفره على كفر غيره ومزيد عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم مع قرب قرابته (و) يزداد عذابا باحراق حبيبته فى نظره اذ تصلى (امرأته) أم جميل بنت حرب بن أمية وان صارت عدوا له ازداد بعداوتها عذابا ويزداد فى خزيه أنها هنالك (حمالة الحطب) من الزقوم أو الضريع لما كانت تفعل من حمل حزمة الشوك والسعدان والحسك ونثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تنقل الحديث وتلقى العداوة وتوقد نارها فجوزيت بذلك فى الآخرة (فى جيدها) أى عنقها الذى هو محل كل علق نفيس من الجواهر (حبل) أى سلسلة (من مسد) أى مفتول الحديد كحالها فى حمل الحزمة فى الدنيا أو تصوير الحملها الاحاديث للنقل * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

كما هو المتاع فى الوعاء (قوله عز وجل يوفضون) أى يسرعون

(سورة الاخلاص)

سميت به لاخلاصها فى تعريف الحق وبيان ذاته وصفاته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى صفاته (الرحمن) بتعريفه بها (الرحيم) بالجمع بين الصفات المعرفة على أحسن وجوه الترتيب

(قل) ياأعلم الناس بربه فى تعريفه عن أمره على وفق قواعد الميزان وصريح الكشف والعيان انه يصدق عليه (هو) على الاطلاق لعدم توقف هويته على غيره بخلاف الممكن فان وجوده لما كان من غيره كانت هويته وهى خصوصية وجوده من غيره ثم غاية ما يمكن من ذكر تعريفه ذكر خواصه اللازمة القريبة لانه لغاية بساطته لا يمكن تعريفه بالفصول والخواص اما وجودية أو عدمية أو جامعة وهذه أكمل والنهاية بقوله (الله) الدال على الذات والصفات الوجودية كالحياة والعلم والارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والسلبية كالتنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها واتحاده بها ولما لم تكن غيره كما لم تكن عينه صدق عليه انه (أحد) ولم يقل الواحد لانه مقول بالتشكيك على ما لا ينقسم أصلا وما ينقسم عقلا وما ينقسم حسا بالقوة وما ينقسم بالفعل وكل سابق أولى من اللاحق والاحد يختص بالاول ويدل عليه انه لو انقسم لاحتاج الى اجزائه فلم تكن هويته لذاته وانما اثبتنا له الصفات مع احديته لصمديته اى احتياج الكل اليه مع استغنائه ولما لم تكن باعتبار هويته التى بها أحديته رتبها على الالهية فقال (الله الصمد) ثم قال (لم يلد) لان الولد يشارك الوالد فى الماهية وهى تنافى الالهية وهى تنافى الصمدية لان أحد المتشاركين يغنى عن الآخر (و) لصمديته المنافية للاحتياج واستقلال هويته باقتضاء وجوب الوجود ولامتناع المشاركة صح عليه انه (لم يولد و) كما لا يكون له مساو فى الماهية لا يكون له مساو فى قوة الوجود التى هى الوجوب بالذات لذلك (لم يكن له كفوا احد) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(باب الباء المكسورة) قبل ليس فى كلام العرب

(سورة الفلق)

سميت به لان فلق ظلمة العدم بنور الوجود يشبه فلق ظلمة الجهل بنور العلم وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى النور الفالق (الرحمن) باشاعة ذلك النور (الرحيم) باعاذة من عاذ به من الشرور (قل) ياأيها الجامع بين الصفات الحقية والخلقية (اعوذ برب الفلق) أى ألتجئ بمن ربى الاشياء بفلق ظلمة عدمها بنور وجوده الذى هو خير محض (من شر ما خلق) أى النقائص التى تقتضيها الحقائق الخلقية من آثار الظلمة الاصلية لها سيما عالم الاجسام بموادها أو صورها أو اعراضها (ومن شر غاسق اذا وقب) أى ظلام تعرض لها من خارج بالطبع كظلام القوى الحيوانية اذا دخل النفوس الناطقة فيستر نورها وصفاءها (ومن شر النفاثات) أى النفاخات (فى العقد) فانه ظلام من تأثير النفوس الخبيثة ويقرب من ذلك تأثير القوى كنفخ القوى النباتية فى عقد الطبائع المختلفة ليتزايد فى الجهات كلها (ومن شر حاسد اذا حسد) فقصد الرد الى ظلمة النقص ويقرب منه قصد النفوس الخبيثة رد القلوب فذلك كظهور الصفات الخبيثة للنفس أو الطبيعة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الناس)

سميت به لانه ذكر فيها ما تعلقه بالحقائق الالهية والكونية (بسم الله) المتجلي باسمائه وصفاته وافعاله في الناس (الرحمن) بتكميله بها بعد افاضة نور الوجود عليه (الرحيم) بحفظه من شر ما فيه وشر ما خرج عنه (قل) يا من يرد عليه الوحي والالهام الذي يكاد يلتبس بالوسواس على بعض الناس (أعوذ برب الناس) أي الذي ربى الناس بتسوية المزاج وافاضة البدن والاعضاء (ملك الناس) بافاضة النفس الناطقة المتصرفة بالقوى المدركة والمحركة (اله الناس) الذي شوق النفس الى معرفته وعبادته والتقرب منه (من شر الوسواس) أي الموسوس بما يفسد المزاج أو التدبير النفسي أو المعرفة والعبادة وأسباب التقرب (الخناس) الذي يتأخر عن الخواطر الالهية والملكية مع انه (الذي يوسوس) أي يلقي الخواطر الرديئة (في صدور الناس) التي فيها تعلق الناطقة بالحيوانية وهذا الخناس اما (من الجنة) وهي الاجسام النارية (و) اما المتخيلة من (الناس)* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين الذي هدانا للمعاني التي يعرف بالبديهة اعجازها اذ أديت بهذه العبارات من عظم وقوعها وعظم حلاوتها وعجيب ربطها وترتيبها وتضمنها العلوم التي لا تتناهى مع الاشارة الى دلائلها ورفع الشبه عنها في ألفاظ يسيرة عجيبة السبك كثيرة الفضائل من غير تغيير ظواهرها في الوصول الى سرائرها مع رعاية فائدة كل حرف وانه لا يتصور خلافه بنوع تصرف

فله الحمد على كل حرف حمدا لا ينتهي الى طرف والصلاة والسلام على خير
خلقه سيد أنبيائه واصفيائه محمد وآله أجمعين ملء السموات
والارضين وملء ما شاء الله من شئ بعد وعلى كل نبي وصفي
وعلى كل ملك كريم وكل ذي فضل عظيم
الى يوم الدين بل الى أبد الآبدين
وتمت كلمة ربك صدقا
وعدلا لا مبدل
لكلماته
تم

كلمة أولها ياء مكسورة الا قولهم يسار ويسار اليد

تم والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المتوسل بجاه أبي القاسم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم نحمدك يامن شرحت صدورنا بتبصيرك وأرشدتنا لأقوم طريق بتوفيقك وتيسيرك ونشكرك على ما الهمت من اسرار التنزيل وأحييت بروح البيان الكشاف عن عيون التأويل ونصلي ونسلم على المبعوث بأشرف كتاب افضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيدنا محمد الذي جاء بحياة الارواح والمهج وأنزلت عليه قرآنا عربيا غير ذي عوج فأعجز ببلاغته أكمل البلغاء وأخرس بفصاحته ألسن الفصحاء وتحداهم منه بأقصر السور فلم يعارضوه مع توفر الدواعي والفكر فدل ذلك على أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبه ليكون من المنذرين وعلى آله وأصحابه الحائزين غايات السبق في مضمار البيان المنعوتين بمحاسن الفضائل في محكم البيان (اما بعد) فان علم التفسير أجل العلوم قدرا وأعظمها شرفا واتمها فخرا اذ عليه مدار فهم كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وعليه تأسست قواعد الاسلام ومنه استنبط الحلال والحرام وبه اتضحت المجملات وعرفت المحكمات والمتشابهات وابرزت نكاته أي ابراز واسفر عن وجوه البلاغة والاعجاز ولما كان التفسير المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى اعجاز القرآن قد طابق اسمه مسماه مع وجازة لفظه وجزالة معناه واشرقت شموس التحقيق من مطالع عباراته وأضاء سنا التدقيق من طوالع تلويحاته واشاراته وأينعت ثمار رياضه وتدفقت بسلسله مناهل حياضه وحاز من دقة المعاني ورقة الالفاظ والمباني مع مزج بديع رائق واسلوب عجيب فائق مالم يسبق بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فما رأينا من التفاسير البالغة العدد الكثير واحرز من الاجادة في أداء الافادة اليد البيضاء والرتبة الحسناء فهو جنة علم عاليه لا تسمع فيها لاغيه ومن أجل فرائده واجلاها وأعظم فوائده وأعلاها التلويح لدقيق الحكم وتناسب الآيات والتلميح للمعاني التأويلية عند أرباب الاشارات لاسيما فاتحة الكتاب فان فيها العجب العجاب وكذلك فواتح السور فكم اودع فيها من نفائس الدرر فهو طرفة ذوي الآداب وتحفة النبلاء أولي الالباب ولعمري انه لتفسير يعجب به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون وكيف لا ومؤلفه خاتمة المحققين وواسطة عقد الفضلاء المدققين علامة زمانه ونادرة أوانه صاحب العلوم الجمه والبدائع الحسنة المهمه ذو الفيض الرباني المتحقق بمقام الشهود الاحساني الجامع بين نوري الشريعة والطريقه العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقه المشار اليه في التصوف بأطراف البنان المحرز السبق في حلبة الرهان المفيد ثواقب الانظار بالمنطوق والمفهوم سيدنا ومولانا الشيخ علي المهايمي المخدوم اذاقه الله تعالى حلاوة أنسه ومتعه بالمشاهدة في حظيرة قدسه ولما كان الوزير الاكرم صاحب القدر السامي والمقام الافخم بديع الزمان وفخر الاوان قامع المعاندين والملحدين بقواطع الحجج واسنة البراهين من كمل به الادب وشرفت الفضائل والرتب مالك زمام البيان والبراعه الناظم في اجياد الطروس قلائد البراعه مصباح الفضل المنير وروض العلم النضير رئيس عصره بلا نزاع ولا دفاع وعلامة دهره الذي انعقد على تقديمه الاجماع

الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرامي الى المعالي بكل سهم مصيب تاج العلماء وزين الفضلاء محيي آثار سيد المرسلين حضرة مولانا الشيخ محمد جمال الدين مدار مهام مدينة بوفال بالاقطار الهنديه لازال ناشرا من لطائفه على الانام برودا حسانا عبقريه قد جبلت همته العليه واخلاقه الكريمة المرضيه على المسابقة الى الخيرات والمبادرة الى اسداء المبرات وبث العلوم والمعارف في ظل جنابه الظليل الوارف تفضل من مآثره الجليله وعواطفه الحسنة الجميله بطبع هذا التفسير ذي المنهل الرائق النمير بالمطبعة المصرية الكبرى ببولاق التي اشتهرت محاسنها بالآفاق مزين الهوامش والطرر بكتاب نزهة القلوب بديع الغرر في تفسير غريب القرآن للامام أبي بكر محمد المنسوب الى سجستان ولما بدا في الوجود بدر تمامه وتنفس صبحه عن ليل لثامه وشحه الحبر الذي طالما حبر باقلامه طراز منثوره وعقود نظامه الرافل في حلل الدقائق المتحلي بحلي الرقائق الانسان الكامل بل عين انسان ذوي الفضائل المتمسك بآثار سيد الكونين حضرة العلامة الشيخ محمد حسين الهندي الدهلوي المشتهر بالفقير أمده بأنواره القدسية المنعم القدير سفير مولانا الوزير المومى اليه الذي التزم طبع هذا التفسير بوساطته وعلى يديه فقال مبدعا في هذا الشان مزريا بفرائد عقود الجمان

الحمد لله الذي آتانا الكتاب الحكيم ومن علينا وهدانا الصراط المستقيم وثبتنا على سواء السبيل والنهج القويم وأرانا الحق وألهمنا دقائق القرآن العظيم وألقى في قلوبنا ما يطمئن به روعنا من اعجازه الفخيم فنحمده على الهداية الى السر المكتوم ودراية المنطوق والمفهوم الى ميقات يوم معلوم ونصلي صلوات لا غاية لها ولا انتهاء ونسلم تسليمات لا أمد لها ولا انقضاء على خليله وحبيبه الامي ورسوله ونبيه التهامي المكي المدني الكريم ذي الجود والفضل والخلق العظيم وهو نور من نوره ومظهر الحق ومظهر ظهوره شمس الضحى بدر الدجى مصباح الظلم صاحب اللواء وتحته آدم فمن دونه من الخدم والحشم وعلى آله الطهر سفينة النجاة وكهف الامم وصحبه الزهر نجوم الهدى واعلام التي هي أقوم ما تعاقب الملوان وانار الوجود النيران (وبعد) فيقول العبد الاثيم في الخافقين الراجي شفاعة سيد الكونين الفقير محمد حسين صانه الله تعالى عن آفات الزمان والاين ابن محمد اسمعيل بن محمد بن أنور الهندي الدهلوي الذي ما هو في مصر المحروسة الامسافر جعل الله سريرته خيرا من الظاهر ان علم التفسير علم رفيع الشان باهر البرهان منيع الاركان فائق علوم الاسلام والايمان صنف العلماء فيه تصنيفات جيده والفوا تأليفات انيقة مفيده من صغير وكبير وطويل وقصير جامعة بين الفوائد الجمه واللطائف العجيبة المهمه وفازوا بها فوز الآخرة والاولى وحازوا وأحرزوا البركات والدرجات العلى فهنيئا لهم جزيل الاجور والرضوان ومغفرة الغفور وان ذلك لمن عزم الامور ومن بين تلك المؤلفات طلعت شمس هذا التفسير في سماء الكائنات بعدما كان في خفاء من الزمان ونسجت عليه عناكب النسيان لان قصور العلم اندرست أركانها وجهل مكانها ونبذ كتاب الله وراء الظهور واشتغل بالدنيا وزينة الدور ونسي الموت وغفل عن القبور وعن يوم البعث والنشور وهذا كتاب كثير معناه وقليل لفظه

حاوليما يحب استحضاره وحفظه والآن بعون الله المنان الحنان حصلت بركاته وعمت نفحاته وأنار الآفاق بدر وجوده وروى الظماء قاموس افاداته وجوده وتحلت بصحاح جواهر معانيه اجياد مباشريه ومبتاعيه (نظم)

كلام الله أفضل ما رواه * رسول الله عن جبريل قطعا
عجائبه بحار اللب فيها * وليست تنقضي بدعا وصنعا
وخادمه بتفسير المعانى * أجل الناس منقبة ونفعا
ولا سيما مفسره على * مبين الآى افذاذا وشفعا
هو التفسير ايضاحا وبسطا * ومتبعوه أرق الناس طبعا

أوليس هذا التفسير من أقوى الدلائل فى فهم اسرار القرآن واعظم الوسايط لوضوح معانى الفرقان ومظهرا لشان الجلال والجمال من وجوه آيات الله الكبير المتعال تنشرح به العلوم والمعارف التى يعرف قدرها قلب كل عالم وعارف كيف لا وقد تمطرت الارجاء بطبع هذا الكتاب الذى طالما كان يتطلبه الطلاب المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان لما اودع فيه من رموز الاسرار والبيان وكنوز الكشف والتبيان عن جواهر الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه ونكات بديعه واستنباطات رفيعه وافهام ثاقبه واستظهارات صائبه وعبارات يخر لفصاحتها سحبان ويطرح لبلاغتها قس فى زوايا النسيان وغير ذلك من الاوصاف التى يضيق عن حصرها نطاق التعبير ويجل عن أن يحيط بها تفسير ويحصل بها الارشاد الى تبصير اسرار كتاب العليم البصير وتيسير فهم لطائف آيات اللطيف الخبير فلعمرى ان اسمه طابق مسماه ووافق مدلوله ومعناه كما يعرف ذلك الناقد النحرير ولا ينبئك مثل خبير ولعمرى انه بالحرى ان يكون له خطوط الشعاع خيوط المسطر ويصرف فى مداده ماء السلسبيل والكوثر ويكتب باقلام الذهب على صفائح الزبرجد لا بل على الواح الزمرد لا بل على خدود الحور باقلام النور وكيف لا وقد ألفه صاحب المقامات فى مرضاة رب البريات تاج الماهرين سند الراسخين ذو الجد والجاه تلميذ معلم كليم الله اعنى جناب الخضر ذا الاحترام على نبينا وعليهما الصلاة والسلام مولانا الاجل الامثل ومقتدانا الاكمل الافضل زبدة العلماء نخبة العرفاء تذكرة المتقدمين تكملة المتأخرين الذى به قامت سوق الفضائل والعرفان واجمعت على كماله مجامع افاضل عباد الله المنان الحبر النبيل على بن أحمد بن حسن بن ابراهيم بن اسمعيل الهندى المهايمى تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه بفضله بحبوحة الجنان ويقع فى خلدى من حالاته ومقاماته ان هذا التفسير المنير من كراماته وتحقق طبعه فى مصر المحروسة ببذل الجهد والعنايه وفتح باب الهداية والكفايه عمن له كعب عال فى الاكمال والاستكمال ذى الخلال الزكيه والقرائح الذكيه محط رحال العلماء مهبط رواحل الادباء رواء وجه الدين زلال مناهل اليقين محب المساكين مرجع آمال الآملين مجمع اعمال العالمين العاملين مولانا الشيخ محمد جمال الدين وزير مملكة بوفال ادامه الله الكبير المتعال ولازالت مقاماته محفوفة بالاخيار والسادة الاشراف الابرار ومشحونة بأهل العلم من الصغار والكبار

سيما من لا سيما بتخفيف الياء لغة كما فى القاموس اه مصحح

بفضل رحمة الله العزيز الغفار فبادروا اليه أيها المشتاقون لعلكم بعد أيام لاتجدون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقرظه أيضا ووشاه وقرطه وزينه وحلاه حريرى زمانه وجوهرى أوانه البليغ البارع الذى تحلى بنثره ونظمه المسامع سيد البيان والمعانى حضرة الفاضل الشيخ محمد البسيونى البيبانى اوحد العلماء المصريين وغرة الفضلاء الازهريين فلله دره حيث قال فأعرب عن السحر الحلال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول راجى بلوغ الامانى هنا وفى دار التهانى افقر الورى واحقر مايرى عبيده محمد البسيونى البيبانى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فكان دليلا على انفراده بكمال كمال مجده وبرهانا على نفى شريكه ونده وتنزيها عن شبهه ووزيره وضده فسبحان من نطقت الكائنات بانه الحميد المجيد المبدئ المبدع الصانع ولاح من صفحات ذرات الموجودات انه الحكيم العليم الكريم الواسع فله الحمد البس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان حتى امتلأت ضمائرهم من مواهب الانس وانجلت مرآة قلوبهم بنور القدس فلا غروأن نطقوا عن غير الهوى ونزلوا فوائد الدنيا بأسرها منزلة الهوا كيف لاوقد علوا على عاتق الرغبوت والرهبوت ووطؤا بعلو همتهم بساط الملكوت والصلاة والسلام على عروس مملكة الحضرة الالهية واسطة عقد نظام العوالم السفلية والعلويه سيدنا محمد المؤيد باسرار البلاغة ودلائل الاعجاز المحرز قصب السبق فى مضمار الفخار أى احراز وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه (امابعد) فهذا كتاب فى الكتاب أنجع من الكتائب واسنى فى أوج الشرف الثابت من ثابت الكواكب يعترف كل فكر بفضله على التفاسير فى العموم والخصوص ويشهد له ماجمع من بواهر جواهر الفصوص فلعمرى لقد حوى من طرائف ظرائف الفنون ماتقر بحسنه العيون فلمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وهكذا هكذا تكون رقائق الالفاظ التى هى ابهى من مغازلة الالحاظ وكذا فلتكن افنان سطور الطروس التى بها تسر نفائس النفوس كم افصح عن مكنونات قرآنيه واعرب عن مستورات غيبيه ونبه على لطف الاساليب بألطف اسلوب وبين فرائد فوائد نورها الولاء محجوب مع التحقيق الشريف الشريق والتنميق اللطيف الانيق والتعبير الرقيق والتحرير الدقيق والنكات المستغربه والفكاهات المستعذبه والكشف عن وجوه مخدرات آى القرآن وابرازها على طرف الثمام أى ابراز لاى انسان فلا غروأن كان السعد خادما وصاحبه المخدوم على المقدار سنى المنار شمس العلوم وبدر الفهوم الى فى تفسيره بما لم يحوه تفسير وكشف ستر الكشاف حتى تركه أقل من فتيل وقطمير وقضى على القاضى بسيف حزمه الهندى الماضى وقال لسان حاله ولا فخر منشدا ودع كل صوت غير صوتى فاننى *أنا الصائح المحكى والآخر الصدا ولما ان فاح بالطبع مسك ختامه مدحته مؤرخا العامه

سرى النسيم برياها فحيانى * ولى تلا آى ذكراها فاحيانى
أم روضة الانس تزهو فى أزاهرها * تروح الروح فى روح وريحان
أم غادة بسمت أبدت مباسمها * كنز الجواهر من درّ ومرجان
أم الكتاب الذى كانوا له * من الكتاب يرينا فرق فرقان
اسدى لنا نصا أهدى اناملها * عليها صاغها تفسير قرآن
ابدى نفيس عبارات مهذبة * فاستوجب المدح من قاص ومن دانى
وليس معنى سيوف الهند ماضية * فيما فهمت سوى ما فيه للعانى
ضرب من السحر حل ذوقه ضرب * فى كل معنى ومبنى شاده البانى
هذى بلاغته ما فوق رتبتها * الا المثانى وما للذكر من ثانى
وهكذا خدمة المخدوم سيده * بها ارتقى للمعالى عالى الشان
وحلة الطبع تزهو فى محاسنه * بكل معنى أرانا حسن اتقان
وانظر تجد نزهة تحيى القلوب بدت * بطرة فى غريب للسجستانى
فدونك الكل كلتا الجنتين فهج * ونزه الطرف فى حور وولدان
لله در وزير الهند أى فتى * قد استحق الثنا من كل انسان
محمد ذا جمال الدين قلدنا * فى مصر درّ امتنان غير منان
تخير العالم النحرير ارسله * لطبع روض علوم ذى جنى دانى
ومن تسبب فى الخيرات فادع له * وقل يجازى بغفران واحسان
لا سيما ذلك الخير العظيم فكم * ابدى معالم ايمان وعرفان
ومذ تناهى له الاسعاد ارخه * للطبع اطف لدا تبصير رحمن

٢٩٨ ٧٠٢ ٠٣٥ ١١٩ ١٤١

١٢٩٥

وقد تم طبعه الحسن ووضعه الانيق المستحسن فى دولة من نضرت به الايام وشمل باحسانه الانام عزيز مصر ذى القدر العلى الخديو اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على متع الله تعالى انجاله الكرام بوجوده وافاض على رعيته سجال عدله وجوده مشمولا طبعه الزاهر بادارة جليل المفاخر من رقى فى المعالى على مكانه سعادة حسين بك حسنى مدير المطبعة والكاغدخانه رنظارة ذى المعارف التى عليه تثنى وكيلهما حضرة محمد افندى حسنى وتوج بتاج الكمال
فى أواخر شهر شوّال من عام التاريخ الذى اليه
قد أشير من هجرة أفضل بشير ونذير
صلى الله وسلم عليه وآله وكل
منتم اليه ما كر الجديدان
وما أشرق النيران
م

(فهرسة الجزء الثاني من تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان)

(تمت)